

الموازنة

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الأملى ، الحسن بن بشر بن يحيى ، ٠٠ - ٩٨٠ م
الموازنة (بين شعر أبى تمام والبحترى) / لأبى القاسم الحسن
بن بشر الأملى ، تحقيق السيد أحمد صقر .
ط ٥ - القاهرة : دار المعارف ، ٢٠٠٦ .
٥٧٢ ص ، ٢٤ سم - (ذخائر العرب : ٢٥)
تدمك : ٦ - ٦٩٨١ - ٠٢ - ٩٧٧
١ - الشعر العربى - مصر - تاريخ - العصر العباسى الثانى .
(١) صقر ، السيد أحمد (محقق)
(ب) العنوان

ديوى ٨١١.٥

١/٢٠٠٦/١٠

رقم الإيداع ١٦٩٣٦ / ٢٠٠٦

ذخائر العرب

٢٥

الموازنة

بين شعير أبي تمام والبُحْثَرِي

لأبي الفاسم الحسن بن بشر الأمدى

٥٣٧٠ هـ

تحقيق

السيد أحمد صقر

١

الطبعة الخامسة



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .
هاتف: ٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

بين رافة الزمزم الرحيم

أحمد الله سبحانه وتعالى إذ قدر لي أن أكون أول طابع لكتاب الموازنة بين الطائيين ، الذي ألفه أبو القاسم : الحسن بن بشر الآمدي المتوفى ، سنة سبعين وثلثمائة .

ولست أرتاب في أن قولي هذا سيقع من نفس القارئ وعقله موقع العجب والإنكار . ولكني على ثقة من أن عجبه سيزول ، وإنكاره سيحول إذا ماضى في قراءة هذه السطور . وإنما قلت ذلك وأنا أعلم أني قد سبقت إليه ، وأنه قد طبع عدة مرات أولاها في مطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة ١٢٨٧ هـ عن نسخة خطية كتبها عبد الكريم بن أحمد بن إدريس الصفدي ، في شهر صفر من سنة ١١٢٩ هـ . وكانت هذه الطبعة هي الأصل لكل الطبعات التي صدرت بعدها .

وثانيها في مطبعة جريدة الإقبال ببيروت سنة ١٣٣٢ هـ .

وثالثها في مطبعة محمد صبيح وهي غير مؤرخة .

ورابعها في مطبعة حجازي بالقاهرة سنة ١٣٦٣ هـ = ١٩٤٤ م .

ثم أعيد طبعها سنة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م .

وجميع هذه الطبعات ناقصة ومملوءة بالتحريف . ومن عجب أنها تشتمل على نصوص تشير إلى ذلك النقص .

ألم يقل الآمدي : « وأنا أبتدئ بذكر مساوي هذين الشاعرين لأنهم بذكر محاسنهما ، وأذكر طرفاً من سرقات أبي تمام وإحالاته ، وغلظه ، وساقط شعره ، ومساوي البحري في أخذ ما أخذه من معاني أبي تمام ، وغير ذلك من غلط في بعض معانيه . ثم أوازن من شعريهما بين قصيدتين إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية ، ثم بين معنى ومعنى ؛ فإن محاسنهما تظهر في تضاعيف ذلك . ثم أذكر ما انفرد به كل واحد منهما فجوده من معنى سلكه ولم يسلكه صاحبه ، وأفرد

باباً لما وقع في شعريهما من التشبيه ، وباباً للأمثال أختم بهما الرسالة ، ثم أتبع ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما ، وأجعله مؤلفاً على حروف المعجم ؛ ليقترب تناوله

وكل من يقرأ كلام الآمدي لابد أن يقول لنفسه : وأين باب التشبيه ، وباب الأمثال اللذان قال الآمدي : إنه سيختتم بهما كتابه ؟ وأين المختارات من شعر الشاعرين المجردة عن الموازنة ، والمؤلفة على حروف المعجم ؟ إن هذه الأبواب الثلاثة لا وجود لها في النسخ المطبوعة . ومعنى ذلك بداهة أن الكتاب ناقص تعوزه الموضوعات التي لم ينشر حرف منها من قبل . على أن بعض تلك الزيادة موجودة في النسخة الخطية الوحيدة الموجودة بدار الكتب المصرية . وتبتدئ الزيادة في طبعتنا هذه من صفحة ٤٥٨ ، وهي تشمل على سبعة أبواب ، هي :

محو الرياح للديار .
مقالاه في سؤال الديار وامتنعاجها عن الجواب والبكاء عليها أيضاً .
باب آخر في وصف الديار وساكنيها .
الدعاء للديار بالسقيا والخصب والنبات .
ما يخلف الظاعنين في الديار من الوحش وغيرها .
مقالاه في الوقوف على الديار وفي تعنيف الأصحاب لإياهما على ذلك .
ما جاء عنهما في ترك البكاء على الديار والنهي عنه .
وقد ملأت هذه الأبواب في هذه الطبعة ثمانين صفحة ، غير الزيادات التي جاءت في ثانيا القسم المطبوع قبلها .
والزيادة ليست مقصورة على هذه الأبواب فقط . ولكنها زيادة عظيمة تستغرق الجزء الثاني والثالث من طبعتنا هذه .
ومن أجل ذلك رأيت أن أنقل بعضها ، ليعلم القارئ أي خير دأده عنه الطابعون للكتاب من قبل ؟
أما الزيادة التي تستغرق الجزء الثاني ، فهذه عناوينها :

ذكر الفراق والوداع والترحل عن الديار والبكاء على الطاعنين .
ما قالاه في البكاء على الطاعنين .
ما لأبي تمام في البكاء على النساء المفارقات .
ومن ابتداءاتهما من باب الفراق في معان شتى .
البكاء على الطاعنين .
بكاء النساء المفارقات .
ما ذكره من استيلاء النوى على الأحباب المفارقين .
ذكر الأنفاس والحرق والزفرات عند الفراق .
زوال الصبر وقلة التجلد .
ما قالاه في قتل الفراق للمفارق وسفك دمه .
ما قالاه في الغزل من أوصاف النساء ونعمتهن وشدة الشوق والتذكر والوجد والغرام .

ذكر ابتداءاتهما بتشبيه النساء بالطباء والبقر .
ابتداءاتهما بذكر الثغور .
ابتداءاتهما بذكر البكاء والدموع .
ابتداءاتهما بذكر السهر وطول الليل .
باب آخر في الابتداءات .
مما افتتحه البحترى بالمهجر .
ومما جاء في ابتداءاته من ذكر العيون .
ومن ابتداءات البحترى في الشوق .
ومن ابتداءات البحترى في معان شتى وهي كثيرة .
ذكر ما قالاه في الجمال والبهجة وحسن الوجوه .
ما قالاه في وصف الثغور .
ما قالاه في وصف القدود والحصور والأخصاف وثقل الأرداف وحسن المشى .

ما قالاه فى شدة الحب والوجد والتشوق والغرام والحزن وانتجاز المواعيد ،
وإخلافاً لها ، ونحو ذلك . وفى الشوق والصبابة .

ما قيل فى ائتلاف المحبين .

باب فى نوح الحمام .

باب فى وصفهما للأيام التى خلت ، والأزمان التى حمداها ، والتذكر لها ،
والأسى عليها .

ما جاء عنهما فى وسط كلامهما من هذا الباب .

ما جاء عنهما فى طروق الخيال .

ما قالاه فى الشيب والشباب .

ما جاء عنهما فى وسط كلامهما من ذكر الشيب والشباب .

كره النساء للمشيب .

نزول الشيب قبل حينه .

البكاء على الشباب والتعزى عنه والعزوف عن الصبا .

الاعتذار من الشيب .

مدح الشيب والتعزى عنه .

ذكر الكبر وشكوى الدهر وتغير الحال .

● باب فى ذكر الزمان ، وذكر ظلمه واعوجاجه ، وتعذر الرزق على ذوى
الحزم والفهم ، وتيسره لذوى الجهل والعجز . وفى التعزى والصبر والقناعة . وما
قالاه فى ضد ذلك من بعد الهمة ، والنهوض فى طلب الرزق ، والسير على الإبل ،
وقطع الفيافى . وفى مواعظ وآداب .

ماقالاه من هذه المعانى فى وسط الكلام .

فى المواعظ والآداب .

فى الصبر والقناعة .

ذم ذوى الغنى على البخل ، وذكر مساعدة الدهر لذوى الجهل ، وتحامله على
أهل الفضل والعقل .

ماقالاه فى طلب الرزق والنهوض إليه .

وما ذكر فيه سرى الإبل .

باب الشحوب والتغير من الأسفار .

• الأبواب التي خرجا فيها من النسب إلى المديح .

وجه آخر من الخروج ، وهو خروجهما إلى المديح بمخاطبة النساء .

وجه آخر من خروجهما إلى المدح ، وهو وصف الرياح ، وتشبيه أخلاق
الملوح بها .

وجه آخر من خروجهما إلى المدح .

• باب المديح .

أول ما بدأ به من مدائحهما :

ذكر السؤدد والمجد وعلو القدر .

ثم ما يخص الخلفاء من ذلك دون غيرهم :

من ذكر الخلافة وما يتصرف عليه القول من معانيها .

ذكر الملك والدولة .

وذكر ما يخص أهل بيت النبوة من المدح دون من سواهم :

من ذلك ذكر طاعتهم ، والمحبة لهم ، والمعرفة لحقهم .

وذكر الآلة التي كانت للنبي عليه السلام فصارت إليهم .

وذكر الآثار .

وذكر علو القدر ، وعظم الفضل .

وذكر تأييد الدين وتقوية أمره .

وذكر الرأفة والرحمة .

وذكر الجلال والجمال والبهاء والجهارة والهيبة .

وذكر ما ينبغي أن يمدح به الخلفاء من الجود والكرم .

وذكر ما ينبغي أن يمدحوا به من الشجاعة والبأس .

• • •

وبانتهاء هذه الموضوعات ، تنهى مخطوطة دار الكتب المصرية .

* * *

وأما موضوعات الجزء الثالث التى جاءت فى النسخ الأخرى ، فإنها تكاد تكون ضعف موضوعات الجزء الثانى . وكنت على نية سردها . لولا أنى رأيت المقام قد طال ، وخشيت على القارئ الملل ؛ فرأيت أن أشير إلى بعض الموضوعات الهامة التى تناولها الآمدى بالدرس والموازنة ؛ ليعلم القارئ من علمها ، ويتصور مقدار عظمها .

فإن تلك الموضوعات :

كتاب الجود ، والوصف ، والفخر ، والعتاب ، والوعيد ، والهجاء ، والاعتذار ، والشراب ، ومعاطاة الندمان ، ووصف الغلمان ، والتوجع من العلل والنكبات ، ووصف قصائد هما والبأس والنجدة ، والمرأى .

وكل باب من هذه الأبواب يحتوى على عدة فصول تروك كثرتها إذا ما ذكرت لك تفصيل بعضها وحسبى . أن أقصر على التمثيل بثلاثة أبواب : وهى باب الجود ، وباب المرأى ، وباب البأس والنجدة .

أما باب الجود فقد قال الآمدى فى صدره : « هذا باب يعول عليه الشعراء فى المديح ؛ لأن الجود قد يكون فى الملك والسوقة والشرىف والودون .

وأنا الآن أميز فى هذا الكتاب أنواع الجود والكرم ، وأنتزع من القصائد الأبيات المتجانسة ، وأبويبها أبواباً . وأوازن بينها ليصح القول ويلوح التفضيل .

فأبتدىء بما قالاه فى الرجاء والتأميل ، وفى الوعد وإنجازه ، وفى الابتداء بالعطاء وفى البشر عند السؤال ، وفى الإكثار من العطاء ، والقصد والإسراف ، وتعجيل العطاء ، ومتابعة العطاء . وتشبيه جود الجواد بالسحاب والغيث والأنواء وبالبحر ، وفى خبط الجواد بنائله من غير تمييز . وفى عذل الجواد على الجود ، وفى تعجرف الجواد على ماله حتى يتلفه ، ودفع جود الجواد وعطاياه لنوائب الدهر ، وإعطاء الجواد حتى لا يجد من يعطيه . وفى التذاذ الجواد بالجود ، وإغناء الجواد للسائلين حتى يكونوا مسئولين ، واكتساب الشرف بالعطاء ، وفى اعتذار الجواد بعد العطاء والاعتذار له ، وفى إخفاء الجواد لنائله ، وفى شفاعاة الجواد إلى غيره مما يجود به ، وفيما استن

الكريم للناس من الكرم حتى اقتلوا به ، وفي نواحر من باب الجود ، وفي الاعتداد
بنعم الممدوحين ، وفي الشكر والثناء .

• • •

وأما باب المرائى فقد بدأه الآمدى بقوله :

« قد جرت العادة في كل باب أن تعتبر فيه الابتداءات ، فيجب أن أقدم
ابتداءات هذا الباب . قال أبو تمام :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر وليس لعين لم يفيض مأوئها عن
قد عابه قوم من متقدمي الشيوخ بهذا ، وقالوا : قوله : ” كذا “ إشارة إلى
مجهول غير معروف ، وقالوا : كان ينبغي أن يقول كما قال البحترى :

انظر إلى العلياء كيف تضام ومآثم الأحساب كيف تقام
فأوضح المعنى بقوله : ” ومآثم الأحساب كيف تقام “ . وليس هذا العجز
بمبين عن معنى صدره كما ذكروا ، وإنما هو قسم منسوق على قسم آخر له معنى
غير معناه . فقلوه : ” انظر إلى العلياء كيف تضام “ مثل قول أبي تمام :
” كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر “ وإنما نظر كل واحد منهما إلى الجيوب
تشقق ، والمستور نهتك ، والأعلام تمزق ، والرماح تكسر . فإن مثل هذا يفعل
عند هلاك السادة من الأمراء وغيرهم ، والخيل إنما تعقر عند قبورهم ، وأشباه هذا .
فلما عاين هذان الشاعران من الأمر ما عايناه ، قال هذا : ” فليجل الخطب
وليفدح الأمر “ وقال ذاك ” انظر إلى العلياء كيف تضام “ . ونظر البحترى
إلى كثرة النساء وعظم أقدارهن وإنهنا كهن وما يفعلن بأنفسهن ، فآثم البيت بأن قال :
” ومآثم الأحساب كيف تقام “ لأن المآثم هي اجتماع النساء في الفجائع ومساعدة
بعضهن لبعض . فما على أحدهما فيما قاله طعن .

وإنما عنيت بإيراد هذا النص لأهميته في توثيق الكتاب ، ولأن الآمدى
قد أشار إليه في القسم المطبوع منه بقوله ص ٣٩١ : « وذكر أبو عبيد الله : محمد بن
داود بن الجراح في كتابه ، أن مما عيب من ابتدئات الطائي قوله : كذا فليجل
الخطب . . . وأما قوله : ” كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر “ فليس بمعيب
عندي ، وقد ذكرته في ابتدئات المرائى وأخبرت بمعناه .

وكان هذا القول خليقاً بأن يلفت نظر الطابعين إلى خلوطيبتهم من باب المرائي .
وبعد أن فرغ الآمدى من الموازنة بين الابتداءات فى المرائي ، وازن بينهما فى
أنواع تلك المعانى ، وهى :

عموم الفجيرة وجلالة الرزة .

البكاء على الفقيـد .

زوال الصبر على المفجوع

ذم الدهر والأيام لاخترامهما الفقيـد .

تولى العيش وذهابه وتغير الأشياء لفقده .

تخطى المنايا إلى الأشرف فالأشرف ، والأفضل فالأفضل .

ذكر السؤدد والمجد والعلا وبكائها على الميت وقبحها بعده .

ذكر انقطاع الأمل والرجاء من الطالبين وقعودهم عن الطلب .

ذكر سقوط الحزن وخفة المصائب بعد الفقيـد .

ذكر شماتة الأعداء والحساد وتهديد القاتلين .

ذكر صبر المقتول واختياره القتل على الفرار .

ذكر تحقير القاتل وتهوين أمره .

ذكر القبور والدعاء لها بالسقيا وتشجيع الميت ، وذكر النعش والكفن .

الذكر الجميل وحسن الحديث بعد الفقيـد .

ذكر تعديل مناقب الميت بعده .

ذكر من يخلف الميت ويسد مسده .

مرثية الصغار .

* * *

وأما « باب البأس والنجدة » فيشتمل على الفصول الآتية :

ما قالاه فى وصف الجيش وكثافته .

ما قالاه فى الرأى والتدبير فى الحرب والمكر والخديعة وإمضاء العزم .

ما قالاه فى وصف الحرب .

ذكر وصف رجال الحرب .
ذكر تشبيه الأبطال بالسباع .
ما قالاه في وصف الدروع .
ذكر وصف القوانس والبيض .
ذكر وصف السرايات .
ذكر وصف الخيل في الحرب .
ذكر المسير إلى أرض العدو والتزول عليها ، والظفر والفتوح .
ذكر من انهزم ونجا بجشاشته ، ومن أسر .
ذكر الصلب على الجنوع وحمل الرعوس .
ذكر الحرب في البحر .
ما قالاه في حرب ذوى الأرحام ، والحض على صلحهم والصفح عنهم .
ما قالاه في أوصاف الخيل .

• • •

وفي هذه الأمثلة ، ما يظهر على ضخامة القسم الذى لم يسبق نشره من
كتاب الموازنة .

• • •

ومن أجل ذلك كله ، قلت في صدر كلامي: إني أحمد الله إذ قدر لي أن
أكون أول طابع لكتاب الموازنة ، وأظن أن عجب القارئ من قولى ذلك وإنكاره
له قد زال الآن .

• • •

والحق الذى لا مرية فيه أن كتاب الموازنة خليق بإعجاب القراء ، جدير
بإكبارهم . ولا أحسب أن أحداً منهم بعد قراءته له في هذه الطبعة سينكر على
قولى : إن الآمدى أعظم نقاد الأدب العربى ، وإمامهم الذى لا يضارع ولا
يجارى . وإنه في تاريخ النقد أمة وحده في دقة منهجه ، وأصالة رأيه ، وعمق فكره

وحسن عرضه ، ونصاعة أسلوبه ، وشدة إخلاصه للمهمة الشاقة التي جرد عزمه لها ، وانتدب نفسه للهوض بها ، وصبرها على تحمل أعبائها ، حتى خرج الكتاب من بين يديه مستحسداً قوياً ، وافياً بالغرض الذي أراغ إليه ، جامعاً لأشتات المعاني ، ملمساً بأطراف الأحاديث التي يتطلبها مثل هذا البحث الكبير ؛ كما سنين ذلك عند تحليل الكتاب ، وترجمة صاحبه ، ووصف مخطوطاته في مقدمة الجزء الأخير إن شاء الله .

* * *

ولاريب في أن ظهور كتاب الموازنة في هذه الطبعة الكاملة سيرفع من قدر الآمدي ، وبنه من ذكره وما كان خاملاً ، ولكن بعض الذكر أنه من بعض ، كما يقول الشاعر القديم . وسيكون ظهورها كذلك فتحاً مبيناً ، ومصدراً خصيصاً للأبحاث الجديدة في النقد الأدبي ، وستكشف أضواؤه القوية مسارب الوهم ، ومزالق الخطأ فيما كتبه المحدثون عنه . وإن في نصوصه لثقافاً متيناً يقيم منادها ، ويصلح معوجها ، وسلاحاً صليماً يأتي على معظمها ، ويقبله رأساً على عقب ، ويحفز الأحياء من كتابها إلى إنشائها من جديد ، وتأسيسها على دعائم قوية من الأفكار والآراء التي اشتمل عليها الكتاب ، ولم يظهروا عليها إلا في هذه الطبعة الكاملة التي بذلت وسعى في نشرها ، وعاقني مقامي في الكويت عن تصحيح ملازمها في أثناء طبعها .

* * *

ولاني - على نهجي الذي انتهجت منذ أول كتاب نشرت - أدعو النقاد إلى إظهارى على أوهامى فيها ، وتبيين ما دق عن فهمى من معانيها ، أو ندد عن نظرى من مبانيها ؛ وفاء بحق العلم عليهم ، وأداء لحق النصيحة فيه ، لأبلغ بالكتاب فيما يستأنف من الزمان ، أمثل ما أستطيع من الصحة والإنقان .

والنشر فن خفي المسالك ، عظيم المزالق ، جم المصاعب ، كثير المضايق ؛ وشواغل الفكر فيه متواترة ، ومتاعب البال وافرة ، ومبهضات العقل غامرة . وجهود الفرد في مضماره قاصرة ؛ يؤودها حفظ الصواب في سائر نصوص الكتاب ، ويعجزها ضبط شوارد الأخطاء ، ورجعها جميعاً إلى أصلها ؛ فيأق الناقد وهو موفور الحمام فيقصد قصدها ، ويسهل عليه قنصها .

ومن أجل ذلك قلت - وما أزال أقول - : إنه يجب على كل قارئ للكتب القديمة أن يعاون ناشرها بذكر ما يراه فيها من أخطاء ؛ لتخلص من شوائب التحريف والتصحيف الذى منيت به ، وتخرج للناس صحيحة كاملة . والله ولى التوفيق .

السيد أحمد صقر

الكويت في

الموازنة

بين شعير أبي نُمَامٍ والبُحْتَرِي

لأبي الفاسم الحَسَن بن بشر الأَمَدِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال أبو القاسم : الحسنُ بنُ بشرِ بنِ يحيى الآمديُّ :
 هذا ما حُثَّتْ - أدام الله لك العز والتأييد والتوفيق والتسديد - [عليه
 وبعثني]^(١) على تقديمه ، من الموازنة بين أبي تمام : حبيب بن أوس الطائي ،
 وأبي عبادَةَ : الوليد بن عبيد^(٢) البُحْثَرِيُّ في شعريهما .
 وقد رسمتُ من ذلك ما أرجو أن يكون الله عز وجل قد وهب فيه السلامة ،
 وأحسن في اعتماد الحق ، [وتحرى الصدق] ^(٣) وتجنب الهوى - المعونة بمنه^(٤) ورحمته .
 ووجدتُ - أطال الله بقاءك^(٥) - أكثر من شاهدته ورأيتُه من رواة أشعار^(٦)
 المتأخرين ، يزعمون أن شعر أبي تمام : حبيب بن أوس الطائي لا يتعلّق
 بجيده^(٧) جيّد أمثاله ، ورديّه مطرّح^(٨) مرذول ؛ فلهذا كان^(٩) مختلفاً لا
 يتشابه ، وأن شعر الوليد بن عبيد البُحْثَرِيَّ صحيحُ السُّبُك ، حسن الديباجة^(١٠) ،
 ليس فيه سفسافٌ ولا ردى ولا مطروح^(١١) . ولهذا صار^(١٢) مستويّاً يشبه
 بعضه بعضاً .

-
- (١) الزيادة من « ك »
 (٢) م ، ك « عبيد الله البُحْثَرِيَّ »
 (٣) الزيادة من ك
 (٤) ط « منه »
 (٥) ط ، ك « عمرك »
 (٦) ط « الأشعار »
 (٧) م « بجيد »
 (٨) ط « مطروح ومرذول »
 (٩) م ، ك « ولهذا ما صار »
 (١٠) ط « الديباج »
 (١١) م « مطروح » و ك « مطرح »
 (١٢) في ك : « ما صار »

ووجدتهم فاضلوا بينهما لغزارة شعريهما ، وكثرة جيدهما وبدائعهما ، ولم يتفقوا على أيّهما أشعر ؟ كما لم يتفقوا على أحد ممن وقع التفضيل بينهم من شعراء الجاهلية والإسلام والمتأخرين ، وذلك ليل من ^(١) فضل البحترى ، ونسبه إلى حلاوة اللفظ. ^(٢) ، وحسن التخلص ^(٣) ، ووضع الكلام في مواضعه ^(٤) ، وصحة العبارة ، وقُرب المأتى ^(٥) ، وانكشاف المعاني . وهم الكتاب والأعراب والشعراء المطبوعون وأهل البلاغة .

وميل ^(٦) من فضل أبا تمام ، ونسبه ^(٧) إلى غموض المعاني ودقّتها ، وكثرة ما يورده مما يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج . وهؤلاء أهل المعاني والشعراء أصحاب الصنعة ومن يميل إلى التدقيق وفلسفى الكلام ^(٨) . وإن كان كثير من الناس قد جعلهما طبقةً ، وذهب ^(٩) إلى المساواة بينهما ، وإلّهما لمختلفان ؛ لأنّ البحترى أعرايُّ الشعر ، مطبوع ، وعلى مذهب الأوائل ، وما فارق عمود الشعر المعروف ، وكان يتجنب التعقيد ومُستكره الألفاظ ^(١٠) ووَحْشَى الكلام ؛ فهو بأن يُقاس بأشجع السليبي ومنصور [النمرى] وأبي يعقوب المكفوف [الخريمى] وأمثالهم من المطبوعين - أولى .

ولأنّ أبا تمام شديد التكلف ، صاحبُ صنعةٍ ، ويستكره ^(١١) الألفاظ والمعاني ، وشعره لا يشبه أشعار الأوائل ، ولا على طريقتهم ؛ لما فيه من

(١) في ط ، م : « ذلك كن فضل »

(٢) في ط ، م « النفس »

(٣) في ك : « التلخيص »

(٤) ط « المأتى »

(٥) في ط ، م « ومثل »

(٦) سقطت من ك

(٧) في ك : « ولئن »

(٨) في ك : « وذهب قوم »

(٩) م ، ك « اللفظ »

(١٠) ط « ويستكره »

الاستعارات البعيدة ، والمعاني المولدة ، فهو بأن يكون في حيز مسلم بن الوليد ومن هذا حذوه - أحق وأشبهه .

وعلى أنى لا أجد من أقرنه به ؛ لأنه ينحط عن درجة «مسلم» ؛ لسلامة شعر «مسلم» وحسن سبكه ، وصحة معانيه . ويرتفع عن سائر من ذهب هذا المذهب وسلك هذا الأسلوب ؛ لكثرة محاسنه وبدائعه واختراعاته .

ولست أحب أن أطلق القول بأيهما^(١) أشعر عندي ؟ لتباين الناس في العلم ، واختلاف مذاهبهم في الشعر ، ولا أرى أن يفعل ذلك فيستهدف لدم أحد الفريقين^(٢) ؛ لأن الناس لم يتفقوا على أى الأربعة أشعر ؟ فى امرئ القيس والنابعة وزهير والأعشى ، ولا فى جرير والفرزدق والأخطل ، ولا فى بشار ومروان [والسيد] ، ولا فى أبي نواس وأبى العتاهية ومسلم [والعباس ابن الأحنف]^(٣) ؛ لاختلاف آراء الناس فى الشعر ، وتباين مذاهبهم فيه . فإن كنت - أدام الله سلامتكم^(٤) - ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ، ويؤثر صحة السبك ، وحسن العبارة ، وحلو اللفظ ، وكثرة الماء والرواق ؛ فالبحترى أشعر عندك ضرورة .

وإن كنت تميل إلى الصنعة ، والمعاني الغامضة التى تستخرج بالغوص والفكرة ، ولا تلوى على ما سوى^(٥) ذلك ؛ فأبو تمام عندك أشعر لا محالة .

(١) فى ك : « فأقول أيهما »

(٢) م ، ك « لإحدى الفرقتين »

(٣) م ، ك « والأحنف »

(٤) فى ك : « كرامتكم »

(٥) ط « على غير »

فأما أنا فلست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر ، ولكني أوازن^(١) بين قصيدة وقصيدة^(٢) من شعرهما إذا اتَّفَقَتَا في الوزن والقافية وإعراب القافية ، وبين معنى ومعنى ، ثم أقول^(٣) : أيهما أشعر في تلك القصيدة ، وفي ذلك المعنى ؟ ثم أحكم أنت حينئذ [إن شئت] على جملة ما لكل واحد منهما إذا أحطت علماً بالجميل والردى .

• • •

وأنا أبتدئ بذكر ما^(٤) سمعته من احتجاج كل فرقة من أصحاب هذين الشاعرين على الفرقة الأخرى ، عند تخاصمهم في تفضيل أحدهما على الآخر^(٥) ، وما ينعاه بعض على بعض ، لتتأمل ذلك ، وتزداد بصيرة وقوة في حكمك إن شئت أن تحكم ، واعتقادك فيما لعل أن تعتقده^(٦) .

احتجاج الخصمين

١ - قال صاحب أبي تمام : كيف يجوز لقائل أن يقول : إن البحترى أشعر من أبي تمام وعن أبي تمام أخذ ، وعلى حذوه احتذى ، ومن معانيه استقى ؟ وتعلمذ له^(٧) ! حتى قيل : الطائي الأكبر ، والطائي الأصغر ؛ واعترف البحترى بأن جيد أبي تمام خير من جيده ، على كثرة جيد أبي تمام ، فهو بهذه الخصال أن يكون أشعر من البحترى أولى من أن يكون البحترى أشعر منه .

(١) في ط ، م : « أقارن »

(٢) ط « بين قصيدتين »

(٣) ط « فأقول »

(٤) ط « بما »

(٥) في ك « صاحبه »

(٦) ط « تعتقد احتجاج الخصمين به » ! ، وفي م : « لعلك تعتقده »

(٧) ط « وباراه » !

٢ - قال صاحب البحرى: أما الصبغة فما صحبه ولا تتلمذ له^(١) ولا روى ذلك أحد عنه^(٢) ، ولا نقله ، ولا رأى^(٣) قط. أنه محتاج إليه ، ودليل هذا [هو] الخبر المستفيض من اجتماعهما وتعارفهما عند أبي سعيد : محمد بن يوسف الثغرى وقد دخل إليه البحرى بقصيدته التى أولها :

« آفاق صبُّ من هوى فأفريقاً »^(٤)

وأبو تمام حاضر ، فلما أنشدتها علّق أبو تمام أبياتاً كثيرة منها ، فلما فرغ من الإنشاد أقبل أبو تمام على محمد بن يوسف فقال : أيها الأمير ، ما ظننت أن^(٥) أحداً يُقدم على أن يسرق شعرى وينشده بحضرتى حتى اليوم ، ثم اندفع ينشد ما حفظه ، حتى أتى على أبيات كثيرة من القصيدة ، فبهت البحرى ، ورأى أبو تمام الإنكار فى وجه أبي سعيد : محمد بن يوسف ، فحينئذ قال أبو تمام : أيها الأمير ، والله ما الشعر إلا له^(٦) ، ولقد أحسن فيه الإحسان كله ، وأقبل يُقرّظه ويصف معانيه . ويذكر محاسنه ، ثم جعل يفخر باليمن ، وأنهم ينبوع الشعر ، ولم يقنع من محمد بن يوسف حتى أضعف للبحرى الجائزة .

فهذا الخبر الشائع^(٧) يُبطل ما ادعيت ، إذ كان من يقول هذه القصيدة التى هى من عين شعره وفاخر كلامه ، وهو لا يعرف أبا تمام إلا أن يكون بالخبر ،

(١) ط ، ك « ولا تلمذ »

(٢) سقطت من م ، ك

(٣) ط « ولا رأى »

(٤) عجزه كما فى ديوانه ٧٢٢ « أم خان عهداً أم أطاع صديقاً » وانظر أخبار بى تمام ١٠٥

والأغاني ١٨ / ١٦٩

(٥) سقطت من م

(٦) ط « وإنه أحسن الإحسان »

(٧) فى ط « الخبر الشائع » وهو تحريف شنيع !

يستغنى عن أن يَصْحَبَه أو يتلمذ له أو لغيره في الشعر .

وقد^(١) أخبرني أنا رجلٌ من أهل الجزيرة بكنى أبا الوضاح - وكان عالماً بشعر أبي تمام والبحترى وأخبارهما - أن القصيدة التي سمعها أبو تمام من البحترى عند محمد بن يوسف - وكان اجتماعهما وتعارفهما - القصيدة التي أولها :

فِيمَ أَنْتِ دَارُكُمَا الْمَلَامَ وَلَوْعَا [أَبَكَيْتَ إِلَّا دِمْنَةً وَرُبُوعًا]^(٢)
وأنه لما بلغ إلى قوله :

فِي مَنْزِلٍ ضَنْكَ تَخَالُ بِهِ الْقَنَا بَيْنَ الضُّلُوعِ إِذَا انْحَنَيْنَ ضُلُوعًا^(٣)
نهض إليه أبو تمام فقبل بين عينيه : سروراً به ، وتحفياً^(٤) بالطائفة ، ثم قال : أبي الله إلا أن يكون الشعر يميناً .

قال صاحب البحترى^(٥) : إلا أنا - مع هذا - لا تُنْكِرُ^(٦) أن يكون قد استعار بعض معاني أبي تمام ؛ لقرب البلدين ، وكثرة ما كان يطرق سمع البحترى من شعر أبي تمام فيُعَلِّقُ شيئاً من معانيه ، معتمداً للأخذ أو غير معتمد .

(١) سقطت من م ، ك

(٢) ديوانه ٢٥٧

(٣) في ك والديوان ص ٢٥٩ « في معرك ضنك »

(٤) في ك : « وتحققاً »

(٥) في ط « صاحب أبي تمام » وعلق عليها الشيخ محمد محيي الدين بقوله : « في المطبوعات كلها :

صاحب البحترى ، وليس بذاك !

وأدنى تأمل يدل على أن تغييره لما اتفقت عليه النسخ هو الذي ليس بذاك ، فإن كلام صاحب البحترى لم ينته بعد ، وإنما قال الآمدي : قال صاحب البحترى لأنه ذكر رواية أخرى لم يروها صاحب البحترى وهي التي بدأها بقوله : وقد أخبرني أنا ، ولما فرغ منها رجع إلى سرد بقية الكلام الأول وأشار إلى ذلك بقوله : قال صاحب البحترى

(٦) ط « إلا أنه . . . لا ينكر »

وليس ^(١) ذلك بمناع من أن يكون البحترى أشعر منه ، فهذا ^(٢) كثير قد أخذ عن جميل ، وتلمذ له ، واشتق من معانيه ، فما رأينا أحداً ^(٣) أطلق على كثير أن جميلاً أشعر منه ، بل هو - عند أهل العلم بالشعر والرواية - أشعر من جميل .

وهذا ابن سلام الجُمجى ذكره في كتاب « الطبقات » في الطبقة الثانية من شعراء الإسلام ^(٤) وجعله مع البعيث والقُطامي ، وذكر ^(٥) أنه عند أهل الحجاز خاصة أشعر من جرير والفرزدق والأخطل ، وجعل جميلاً في الطبقة السادسة مع عبد الله بن قيس الرقيات والأخوص ونصيب ^(٦) ، إلا أنه قال : إن جميلاً يتقدمه في النسب ^(٧) .

وهذا غير مقبول منه ؛ لأنه إنما يحكيه عن نفسه ، وأهل الحجاز إنما قدموا كثيراً من أجل نسيبه ، وحسن تصرفه فيه . و [قد] حكى عن جرير في بعض الروايات أنه قال : كثير أنسبنا .

(١) الكلام في جميع النسخ متصل من قول صاحب البحترى ، ولكن الشيخ محي الدين حذف واو « وليس » وزاد قبلها قال صاحب البحترى ، وصدرها برقم ٤ ليصح له تغييره السابق للنص فهو وهم على وهم !

(٢) في ك . « هذا »

(٣) في ط ، م : « أن أحداً »

(٤) راجع طبقات الشعراء ٤٥٢

(٥) م ، ك « وحكى »

(٦) طبقات الشعراء ٥٣٩

(٧) نص عبارة ابن سلام في الطبقات ٤٦١ « وكان لكثير في التشيب نصيب وافر ، وجميل مقدم عليه وعلى أصحاب النسيب جميعاً في النسيب ، وله في فنون الشعر ما ليس لجميل ، وكان جميل صادق الصباية ، وكان كثير يتقول ولم يكن عاشقاً »

ويدلّ على تقدمه في النسب قول أبي تمام في قصيدة يمدح بها أبا سعيد
الكانبي^(١) أولها :

• مِنْ سَجَايَا الطُّلُولِ أَنْ لَا تُجِيبَا^(٢) •

لَوْ يُفَاجِي ذِكْرُ الْمَدِيحِ كَثِيرًا بِمَعَانِيهِ خَالَهِنَّ نَسِيًا^(٣)
طَابَ فِيهِ الْمَدِيحُ وَالتَّدْحِيصُ فَاقَ وَضَعَ الدِّيَارِ وَالتَّشْبِيهِ^(٤)
أَرَادَ أَنْ كَثِيرًا لَوْ فَاجَأَهُ هَذَا الْمَدِيحُ - عَلَى حُسْنِ نَسِيهِ - لَخَالَه نَسِيًا
[من حسنه]

وخصّ كثيراً [بهذا] لشهرته [بحسن] النسب وبراعته [فيه] ،
فاحتمل ضرورة الشعر ، وردّ كثيراً إلى التكبير فقال : كثيراً ، ولم يقل
جَمِيلاً ولا جَرِيراً ولا غيرهما ، مما لا ضرورة في اسمه .

وعلى أن « كَثِيرًا » [قد]^(٥) ذكر اسمه [في شعره] مكبراً : إما^(٦)
ضرورة ، وإما اعتماداً لتفخيم اسمه وأن لا يأتى به مُحَقَّرًا ، فقال :
وَقَالَ لِي الْوَأَشُونَ : وَيَحْكُ ! إِنَّهَا بِغَيْرِكَ حَقًّا يَا كَثِيرُ نَهْمُ
وقد ذكر أبو تمام كثيراً في مواضع آخر ، فجاء به مكبراً في قصيدة يمدح
بها الحسن بن وهب ويصفه بالبلاغة ، وذلك قوله^(٧) :

-
- (١) م ، ك « الصامى » وأبو سعيد هو محمد بن يوسف الثوري راجع ديوان أبي تمام بشرح التبريزي
١٦٤/١ وأخبار أبي تمام ٢٢٧ وهبة الأيام ٢٨٨
(٢) عجزه كما في ديوانه بشرح التبريزي ١٦٤/١ « فصول من مقلّة أن تصوبا » قال التبريزي :
« تصوب : من صاب السحاب إذا جاء بالمطر »
(٣) في ديوانه « ذكر » كما في م وفي ط والتبريزي « ركن » والهاء في معانيه راجعة على الممدوح .
والبيت في الديوان مؤخر عن تاليه
(٤) قال التبريزي : « لأن أطيّب الشعر ما كان تشبيهاً ، وقد صار مدحه ألد وأطيّب » .
(٥) الزيادة من ك
(٦) في ك : « فإما »
(٧) ط « وهو »

فَكَانَ قُصَا فِي عُكَاظٍ. يَخْطُبُ^(١) وَكَثِيرَ عَزَّةٍ يَوْمَ بَيْنِ يَنْسِبُ^(٢)

وذلك لعلم أبي تمام بتقدم كثير في النسب على غيره ، وشهرته بالتجويد فيه ، على^(٣) أن جميلاً لا شعر له مما يُعْتَدُّ به إلا في النسب والغزل .

فقد علمت الآن أن هذه خلة^(٤) لا توجب لكم تفضيل أبي تمام على البحتري من أجل أنه أخذ شيئاً من معانيه .

وأما قول البحتري : « جَيْدُهُ خَيْرٌ مِنْ جَيْدِي وَرَدِيئِي خَيْرٌ مِنْ رَدِيئِهِ »^(٥) فهذا الخبر - إن كان صحيحاً - فهو للبحتري ، لا عليه ؛ لأن قوله هذا يدل على أن شعر أبي تمام شديد الاختلاف ، وشعره شديد الاستواء ، والمستوى الشعر أول بالتقدمة من المختلف الشعر ، وقد أجمعنا^(٦) - نحن وأنتم - على أن أبا تمام يعلو علواً حسناً وينحط انحطاطاً قبيحاً ، وأن البحتري يعلو ويتوسط^(٧) ، ولا يسقط . ومن لا يسقط ولا يُسَفِّسُ أَفْضَلُ مَنْ يَسْقُطُ وَيَسْفِسُ .

والذي أرويه^(٨) عن أبي علي : محمد بن العلاء السجستاني - وكان

(١) هذا صدر بيت عجزه : « وَكَانَ لَيْلِ الْأَخِيلَةِ تَنْدُبُ »

(٢) وهذا صدر البيت الذي يليه وعجزه : « وَابْنُ الْمُقَفَّعِ فِي الْبَيْتَةِ يَسْبَبُ » راجع ديوانه بشرح

التبريزي ١٤٢/١ و ص ٤٠ بيروت

(٣) في ك : « هذا على »

(٤) ط « حالة »

(٥) قال ذلك للحسين بن علي الياقطيني وقد سأله : أيما أشعر أنت أو أبو تمام ، كما رواه العسولي

في أخبار أبي تمام ٦٧ وقد عقب عليه بقوله : « وقد صدق البحتري في هذا ، جيد أبي تمام لا يتعلق به أحد في زمانه ، وربما اختلف لفظه قليلاً لا معناه ، والبحتري لا يحتل » وانظر الأغاني ١٨/١٦٨ .

(٦) ط « اجتمعنا »

(٧) ط « يتوسط »

(٨) ط « نرويه » ، ك : « أرويه أنا » .

صديق البحتري - أنه قال ، سُئِلَ البحتريُّ عن نفسه وعن أبي تمام ، فقال :
كان^(١) أغوص على المعاني [منى] ، وأنا أقومُ بعمود الشعر [منه] . وهذا
الخبر هو الذى يعرفه الشاميون ، دون غيره .

وسمعت أبا عليٍّ : محمد بن العلاء أيضاً يقول : كان البحتريُّ عند
نفسه أشعر من أبي تمام و [من] ^(٢) سائر الشعراء المحدثين [أو أكثر الشعراء
المحدثين] .

وقد ذكر أبو عبد الله : محمد بن داود بن الجراح فى كتابه الذى ذكر
فيه أخبارَ الشعراء نحواً من ذلك^(٣) .

قال أبو عليٍّ : محمد بن العلاء : كان البحتريُّ إذا شرب وأنس أنشد
شعره^(٤) وقال : ألا تسمعون ؟ ألا تعجبون ؟ قال : وكان - مع هذا - [من]
أحسن الناس أدب نفس ، لا يُذكر [له] شاعر محسن أو غيرُ محسن
إلا قرَّظه ، ومدحه ، وذكر أحسن ما فيه .

قال أبو عليٍّ : ولم لا يفعل ذلك ؟ وقد أسقط . فى أيامه أكثر من
خمسائة شاعر ، وذهب بخبزهم^(٥) ، وانفرد بأخذ جوائز الخلفاء والملوك^(٦)
دونهم . فلو لم يفعل ذلك إلا استكفأاً [لهم]^(٧) وحذراً من بيت واحد ينذر
فريقى على الزمان - لكان من الحظ له أن يفعله .

(١) ط « هو »

(٢) الزيادة من ك

(٣) وهو غير كتاب « الورقة » ، على ما نعتقد

(٤) فى ك : « شعر نفسه »

(٥) ط « بخبرهم »

(٦) ليست فى ك .

(٧) الزيادة من ك

[قال] : وكذلك كان أبو علي : دَعْبِلُ بن علي الخزاعي يهجو الملوك والخلفاء ولا [يكاد] يعرض لشاعر^(١) إلا ضرورة ، وقد حذر في أول كتابه الذي ألفه في الشعراء من التعرض للشاعر ، ولو كان من أدون الناس طبقة^(٢) في الشعر ، وقال : رُبَّ بيت جرى على لسان مُفَحَّم قيل فيه : «رُبَّ رمية من غير رام»^(٣) فسارت به الركيان ، ولذلك يقول في بعض شعره :

لَا تَعْرِضَنَّ بِمَرْحٍ لِأَمْرِي طَبَنَ مَارَاضَهُ قَلْبُهُ أَجْرَاهُ فِي الشَّفَةِ^(٤)
فَرُبَّ قَافِيَةٍ بِالْمَرْحِ جَارِيَةٍ مَشْتَوَةٍ لَمْ يَرُدْ إِنْعَاؤُهَا نَمَتِ

ثم نرجع إلى قول الخصمين :

٣- قال صاحب أبي تمام : فأبو تمام انفرد بمذهب اخترعه ، وصار فيه أولاً وإماماً متبوعاً ، وشهر به حتى قيل : مذهب أبي تمام^(٥) ، وطريقة أبي تمام ، وسلك الناس نهجه ، واقتفوا أثره . وهذه فضيلة عري عن^(٦) مثلها البحتري .

٤- قال صاحب البحتري : ليس الأمر في اختراعه لهذا المذهب على ما

(١) ط « لشاعره »

(٢) ط « الشاعر . . . صنعة »

(٣) مثل يضرب للمخطئ يصيب أحياناً ، راجع جمهرة الأمثال ١١٠ وجمع الأمثال ١/٢١٠

(٤) الموشع ٣٨٠ والعمدة ١/٦١ وذيل أمالي القالي ١١٢ والكامل ١/٣٥٤ وأمالي المرتضى

٢/٢٧٠ وديوان دعبل ١٣٧

(٥) في ط ، م : « هذا مذهب أبي تمام »

(٦) في ك : « من »

وصفتهم^(١) ولا هو بأول فيه ، ولا سابق إليه ، بل سلك في ذلك سبيل مُسلم ، [بن الوليد]^(٢) ، واحتذى حذوه ، وأفرط وأسرف وزال عن النهج المعروف ، والسُنن المألوف ، وعلى أن مسلماً أيضاً غير مبتدع لهذا المذهب ، ولا هو أول فيه ، ولكنه رأى هذه الأنواع التي وقع عليها اسمُ البديع - وهي : الامتعارة ، والطباق ، والتجنيس - منشورة^(٣) متفرقة في أشعار المتقدمين ، فقصدها ، وأكثر في شعره منها ، وهي في كتاب الله عز وجل [أيضاً] موجودة ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَشْتَعِلُ الرَّأْسَ شَيْبًا ﴾^(٤) وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾^(٥) وقال : ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾^(٦) فهذا من الامتعارة التي هي [مجاز] في القرآن .

• • •

وقال امرؤ القيس :

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِجَوْرِهِ وَأَزْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكُلِّكَلٍ^(٧)
فَجَعَلَ اللَّيْلُ يَتَمَطَّى ، وَجَعَلَ لَهُ أَرْدَافًا^(٨) وَكُلِّكَلًا .

وقال زهير :

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ
وَعَرَّى أَقْرَاسَ الصَّبَا وَرَوَّاجِلُهُ^(٩)

(١) ط « لا اختراة . . . ما وصفته »

(٢) من ك

(٣) ط « منشورة »

(٤) سورة مريم : ٣ والبديع ١٩ وإعجاز القرآن ١٠١ والصناعتين ٢٧٢ .

(٥) سورة يس : ٣٧ والبديع ١٩ وإعجاز القرآن ٤٠٤ والصناعتين ٢٧٣ .

(٦) سورة الإسراء : ٢٤ والبديع وإعجاز القرآن ١٠١ .

(٧) البديع ٢٥ والصناعتين ٢٨٢ ونقد الشعر ٦٧ والعمدة ٢٤٥/١ والموشح ٣١ ودلائل الإعجاز

٦٢ وطبقات الشعراء ٧١ وديوانه ١٠٠ وسر الفصاحة ١١٣ وإعجاز القرآن ١١٢ وقراءة الذهب ١٥ .

وفى ك : « تمطى بصلبه »

(٨) فى ك : « أردافا »

(٩) البديع ٢٦ وديوانه ٢٤ وسر الفصاحة ١١٥ وإعجاز القرآن ١١٣ والوساطة ٣٣ ، ٢٠٦

والصناعتين ٢٨٢ وقراءة الذهب ١٦ ومعاهد التنخيص ١٧١/٢ وأسرار البلاغة ٢٦ ، ٤٥

والمصباح ٦٣

فجعل للصبأ^(١) أفراساً ورواحل .

[وقال طفيل الغنوى :

وجعلت كورى فوق ناجية يقتات شحم سنامها الرجل^(٢)

فجعل الرجل يقتات السنام] .

وقال لبيد الجعفرى^(٣) :

وعْدَاة رِيحٍ قَدْ كَشَفَتْ وَقْرَةً إِذْ أَصْبَحَتْ بِبَيْدِ الشَّامِ زِمَامَهَا^(٤)

فجعل للشَّامِ يداً ، وللغداة زماماً .

فهذه كلها استعارات .

* * *

وقال عز وجل فى الجناس^(٥) : ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٦)

[وقال] : ﴿ فَأَقُمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيمِ ﴾^(٧) .

وقال النبی علیه السلام : « عُصْبَةُ عَصَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَغِفَارٌ غَفَرَ اللَّهُ

لَهَا ، وَأَسْلَمُ سَأَلَهَا اللَّهَ »^(٨) .

وقال القطامى :

فَلَمَّا رَدُّهَا فِي الشُّوْلِ شَالَتْ بِذِيَالٍ يَكُونُ لَهَا لِفَاعًا^(٩)

(١) ط « الهوى »

(٢) البديع ٣٠ وديوانه ص ٦٢ وفقد الشعر ٦٧ والصناعتين ٢٨٣ وسر الفصاحة ١١٣ واللسان

٣٧٩/٢ والعمدة ٢٤٤/١ وأسرار البلاغة ٤٣

(٣) فى ط « الحق » وهو تحريف

(٤) البديع ٣٣ وشرح القصائد العشر ١٥٨ والعمدة ٢٣٩/١ والوساطة ٣٣ والصناعتين ٢٨٥

وأسرار البلاغة ٤٣ . وفى ط « للغداة يدا وللشام زماماً » وهو خطأ واضح .

(٥) ط ، ك « التجنيس »

(٦) سورة النمل : ٤٤ والبديع ٥٥ وإعجاز القرآن ١٢٧ والصناعتين ٣٢٢

(٧) سورة الروم : ٤٣ والبديع ٥٦ والصناعتين ٣٢٢ وإعجاز القرآن ١٢٧

(٨) البديع ٥٦ والصناعتين ٣٢٣ وعجاز القرآن ١٢٧ وإبتاع الأصماع ١٧٢/١ - ١٧٣

(٩) البديع ٥٦ وديوانه ٤٣ والصناعتين ٣٢٨ وإعجاز القرآن ١٣٠ . والشول : طروقة الفحل .

ردها : لأنه ظن أنها لم تحمل فشالت بذنبها لأنها لا تحم . وذبال : ذنب طويل ولفاع : ثوب تلتصق به

وقال أيضاً :

كَنِيَّةُ الْحَيِّ مِنْ ذِي الْقَيْظَةِ أَحْتَمَلُوا مُسْتَحْقِبِينَ فَوَادًا مَالَهُ فَادٍ^(١)

وقال جرير :

وَمَا زَالَ مَعْقُولًا عَقَالٌ عَنِ النَّدَى وَمَا زَالَ مَحْبُوسًا عَنِ الْخَيْرِ حَابِسُ^(٢)

وقال ذو الرمة :

كَانَ الْبَرَى وَالْعَاجَ عِيجَتِ مُتُونُهُ عَلَى عَشْرِ نَهَى بِهِ السَّيْلُ أَبْطَحُ^(٣)

وقال امرؤ القيس :

لَقَدْ طَمَحَ الطَّمَا حُ مِنْ بُعْدِ أَرْضِهِ لِيُلبِسَنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلَبَّسَا^(٤)

وقال الفرزدق :

خُفَافٌ أَخَفَّ اللَّهُ عَنْهُ سَحَابُهُ وَأَوْسَعُهُ مِنْ كُلِّ سَافٍ وَخَاصِبٍ^(٥)

ذكر ذلك كله أبو العباس : عبد الله بن المعتز في « كتاب البديع » .

وقال : وبن الطباق قول الله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾^(٦) .

(١) ديوانه ٨ سر الفصاحة ١٨٤ والشعر والشعراء ٧٠٣/٢ وفي ط « القَيْظُ فاحتملوا »
وفي ديوانه ٨ « من ذى الغيبة . . . أسيراً ماله » احتملوا من مرعى تذمر عليهم حتى نزلوا في مكان
غيره ، كنية الحى ، يقول : ما للكواعب ودعنى كما ودعنى حتى كنت كلفاً بهم قطنوا واستحقبوا فَوَادَى
وهو الأسير الذى لا يفديه أحد . أراد : ماله من يفديه . ويروى من ذى الغيبة ، وهو مكان »
(٢) ديوانه ٣٢٦ « عن العلى » البديع ٥٦ « عن المهدي حابس » سر الفصاحة ١٨٤ وأخبار أبي تمام
٢٦٤ والصناعتين ٣٢٨ وفي زهر الآداب ٣٦٩/٢ عقاب بن محمد ، جد الفرزدق وحابس بن عقاب ،
أبو الأقرع بن حابس أحد المؤلفين قلوبهم .

(٣) البديع ٥٧ نقد الشعر ٦١ العمدة ٢٩٣/١ والصناعتين ٣٢٧ والكامل ٦٩٢/٢ وفي ديوانه
٨١ « البرى : الخلائيل . والعاج : أسورة تتخذها نساء الأعراب من العاج ، وواحد البرى : برة ،
وكل حلقة تسمى العرب برة . عيجت : لويت على العشر . والعشر : شجر ناعم لين ، شبه سوقها
وسواعدها به فى استوائه ولينه . نهى به السيل أبطح ، يقول : ينهى الأبطح السيل بالمشر إلى مكان ينبت
فيه . والأبطح : بطن الوادى

(٤) البديع ٥٩ والصناعتين ٣٢٥ والكامل ٧٤٠/٢

(٥) البديع ٥٩ ونقد الشعر ٦١ والصناعتين ٣٢٥ ديوانه ٢٩/١ « جفاف أجف »

(٦) سورة البقرة : ١٧٩ والبديع ٧٤ والصناعتين ١٧٥ وإيجاز القرآن ١٢٢ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم [لِلْأَنْصَارِ] ^(١) «إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ ، وَتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَعِ» ^(٢).

وقال زهير :

لَيْتُ بَعَثَ يَصْطَادُ الرِّجَالِ إِذَا مَا اللَّيْثُ كَذَّبَ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقًا ^(٣)
فطابق بين الصدق والكذب .

وقال طُفَيْلُ الْغَنَوِيِّ :

بِسَاهِمِ الْوَجْهِ لَمْ تُقَطَّعْ أَبَاجِلُهُ يُصَانُ وَهُوَ لِيَوْمِ الرَّوْعِ مَبْذُولُ ^(٤)
فطابق بين قوله «يُصَانُ» وبين قوله «مَبْذُولُ» .

فتتبع مسلمُ بن الوليد هذه الأنواع واعتمدها ^(٥) ، ووشَّح شعره بها ، ووضعها في مواضعها ^(٦) ، ثم لم يَسْلَمْ مع ذلك من الطعن ، حتى قيل : إنه أول من أفسد الشعر ، روى ذلك أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح ، قال : حدثني محمد بن قاسم بن مهرويه ، قال : سمعت أبي يقول : أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد ، ثم اتبعه أبو تمام ، واستحسن مذهبه ، وأحب أن يجعل كل بيت من شعره غير خال من بعض هذه الأصناف ، فسلك

(١) من ك

(٢) البديع ٧٤ البيان والتبيين ١٦/٢ والصناعتين ٣٠٩ وإعجاز القرآن ١٢٣

(٣) ديوانه ٥٤ والبديع ٧٨ ونقد الشعر ٢٣ والعمدة ٦/٢ كذب : لم يصدق في الحملة ، والقرن : الكف في القتال ، وعثر : جبل بنبالة أو من ديار مذحج أو واد بالعقيق ؛ كما في معجم البكري : ٩٢١/٣ .

(٤) البديع ٧٩ والصناعتين ٣١٢ والعمدة ٦/٢ وديوانه ٣٣ . بساهم الوجه : أى قليل لم الوجه لطول غزوه ولعنته . والأبجل : عرق في الرجل ، لم تقطع أباجله : لم يفصده البيطار لداء أصابه .

(٥) ط «واعتمدها»

(٦) في ط ، م : «موضعها»

طريقاً وعراً ، واستكره الألفاظ والمعاني ، ففسد شعره ، وذهبت طلالوته ، ونشف ماؤه .

وقد حكى عبد الله بن المعتز في هذا الكتاب الذى لقبه [بكتاب] البديع^(١) أن بشاراً وأباً نواس ومُسلم بن الوليد ومن تَقِيلَهم لم يَسْبِقُوا إلى هذا الفن ، ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم . ثم إن الطائي تفرَّع فيه ، وأكثر منه ، فأحسن في بعض ذلك ، وأساء في بعض ، وتلك عُقْبَى الإفراط ، وثمرة الإسراف .

قال : وإنما كان الشاعر يقول من هذا الفن البيت والبيتين في القصيدة ، وربما قرئ من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت واحد بديع ، وكان يُسْتَحْسَن ذلك منهم إذا أتى نادراً ، ويزداد حُظْوَةً بين الكلام المرسل . وقد كان بعضهم يشبه الطائي في البديع بصالح بن عبد القدوس في الأمثال . ويقول : لو أن صالحاً^(٢) نشر أمثاله في تضاعيف شعره وجعل بينها فصولاً من أبياته ، لسبق أهل زمانه وغلب على ميدانه . قال ابن المعتز : وهذا أعدل كلام سمعته .

* * *

قال صاحب البحرى : فقد سقط الآن احتجاجكم باختراع أبي تمام لهذا المذهب وسبقه إليه ، وصار استكثاره منه وإفراطه فيه من أعظم ذنوبه ، وأكبر عيوبه ، وحصل للبحرئى أنه مافارق عمود الشعر وطريقته المعهودة ، مع مانجده كثيراً في شعره من الاستعارة والتجنيس والمطابقة ، وانفرد بحسن العبارة ،

(١) راجع ص ١٥ - ١٦

(٢) ط ه كان صالح ه

وحلاوة الألفاظ^(١) ، وصحة المعاني : حتى^(٢) وقع الإجماع على استحسان شعره واستجادته ، وروى شعره واستحسنه سائر الرواة على طبقاتهم واختلاف مذاهبهم ؛ فمن تَفَقَّ على الناس جميعاً أولاً بالفضل^(٣) ، وأحقُّ بالتقدمة .

• • •

٥- قال صاحب أبي تمام : إنما أعرض عن شعر أبي تمام من لم يفهمه ؛ لدقة معانيه ، وقصور علمه عنه ، وفهمته العلماء وأهل النَّفَازِ^(٤) في علم الشعر ، وإذا عَرَفَتْ هذه الطبقةُ فضله لم يضره^(٥) طعن من طعن بعدها عليه .

٦- قال صاحب البحرى : فابنُ الأعرابي وأحمد بن يحيى الشيباني - وقبلهما دُعَيْل بن عليّ الخُزَاعِي - قد كانوا علماء بالشعر وبكلام العرب ، وقد عرفتم مذاهبهم في أبي تمام وإرداهم لشعره^(٦) وطعن دُعَيْل عليه ، وقوله^(٧) : إن ثلث شعره محال ، وثلثه مسروق ، وثلثه صالح . رواه^(٨) أبو عبد الله : محمد بن داود بن الجراح في كتاب الشعراء ، عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن الهيثم بن داود عن دُعَيْل .

[وحكى أيضاً] عن دُعَيْل أنه قال : ما جعله الله من الشعراء ، بل شعره بالخطب وبالكلام المنشور أشبه منه بالشعر . ولم يُدْخَلْ في كتابه المؤلف في الشعراء .

(١) في ك : « اللفظ »

(٢) ط « وحيث »

(٣) في ط ، م : « بالفضيلة »

(٤) ط « فهمه عنه وفهمه العلماء والنقاد »

(٥) في ك : « لم يضره »

(٦) ط « وإزدراهم بشعره »

(٧) ط . « وقولهم »

(٨) ط « وروى »

وقال ابن الأعرابي في شعر أبي تمام : إن كان هذا شعراً فكلام العرب باطل ، روى^(١) ذلك أبو عبد الله : محمد بن داود ، عن البحري ، عن ابن الأعرابي .

وحكى محمد بن دواد أيضاً عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن حذيفة ابن محمد - وكان عالماً بالشعر - أنه قال : أبو تمام يريد البديع فيخرج إلى المحال .

وروى [أيضاً] عنه أنه قال : دخل إسحاق بن إبراهيم الموصلي على الحسن بن وهب وأبو تمام يُنشد ، فقال له إسحاق : يا هذا لقد شددت على نفسك . وذكر أيضاً ذلك أبو العباس : عبد الله بن المعتز بالله في كتاب البديع^(٢) .

وغير هؤلاء العلماء ممن أسقط^(٣) شعره كثير : منهم أبو سعيد الضمير ، وأبو العَمَيْثِل الأعرابي صاحباً^(٤) عبد الله بن طاهر [والقيمان بأمر خزانة الحكمة] بخراسان ، وكانا من أعلم الناس بالشعر ، وكان عبد الله بن طاهر لا يسمع من شاعر إلا إذا امتحناه وعرض عليهما^(٥) شعره ورضياه ، فقصدتهما أبو تمام بقصيدته التي مدح فيها عبد الله بن طاهر وأولها :
هَنْ عَوَادِي يُوسُفٍ وَصَوَاحِبُهُ فَعَزَمَ أَفْقِدْماً أَدْرَكَ النَّارَ طَالِبُهُ^(٦)

(١) م «وروى كذلك»

(٢) ص ١٠٣ وانظر الوساطة ٧٠ والصناعتين ٤٦

(٣) ط «أفدوا»

(٤) ط «صاحب»

(٥) ط «وأشدهما»

(٦) ط ، لك «النجاح» وديوانه بشرح التبريزي ٢٢٣/١ «أدرك السؤل» وهما روايتان . وانظر أخبار أبي تمام ١١٥ وهماشها .

فلما سمعا هذا الابتداء أعرضا عنه ، وأسقطا القصيدة ، حتى عاتبهما أبو تمام ، وسألهما [استتمام] النظر قبيها . فلولا أنهما مرا^(١) بيتين مسروقين فيها استحسناهما فعرضا القصيدة على عبد الله بن طاهر وأخذاه الجائزة - لكان^(٢) قد افتضح وخابت سَفَرته ، وخسرت صفقته . والبيتان :

ورَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ عَرَّسُوا عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَمْطُو غَيَابَهُ
لِأَمْرِ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ^(٣)
أخذ معنى البيت الأول من قول البعيث :

أَطَافَتْ بِشُعْثٍ كَالْأَسِنَّةِ هُجِدَ بِخَاشِعَةِ الْأَصْوَاءِ غُبِرَ صُحُونُهَا^(٤)
وأخذ معنى البيت الثاني من قول الآخر :

غُلَامٌ وَغَى تَقَحَّمَهَا فَأَبْلَى فَخَانَ بِلَاءُهُ الدَّهْرُ الْخَوْنُ^(٥)
فَكَانَ عَلَى الْفَتَى الْإِقْدَامُ فِيهَا وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَا جَنَّتِ الْمُنُونُ^(٦)
ولما أوصلا إليه الجائزة قالاه : لم لاتقول ما يفهم ؟ فقال لهما : لم لا

تفهمان ما يقال ؟ فكان بهذا مما استحسنا من جوابه .

وهذا أبو العباس : محمد بن يزيد المبرد [كان معرضاً عنه] ، وما

(١) ط ه ظفرا

(٢) م ، ك « كان »

(٣) ذكر أبو هلال في ديوان المعاني ١٤٠/١ وقال : ليس في المضاء والعزيمة أجود منهما .

(٤) م ، ك « أطاف » ، م : « الأصوات » أى ساكنة الأصوات ومنه قوله تعالى : « ووشحت الأصوات للرحمن » ، أى سكنت والأصواء والصوى : أعلام من حجارة منصوبة في الفياق المجهولة يستدل بها على الطريق وعلى طرفيها . ومعنى غير مصونها : لا يمتدى السير في أوساطها . وفى ك فوق مصونها : « متونها »

وانظر أخبار أبي تمام ١١٧ .

(٥) اللسان ١٧/ ٣٠٤ وديوان المعاني ١٤٠/١ وأخبار أبي تمام ٥٣ ، ١١٨ وفى م ، ك

« بلاءه الزمن » والصناعتين ٢٠٦

(٦) فى اللسان « قال ابن برى : المنون : يريد بها الدهور بدليل قوله فى البيت قبله : فخان بلاءه الدهر الخنون »

علمناه دُونَ^(١) له كبير شيء ؛ وهذه كتبه وأماله وإنشاداته تَدُلُّ على ذلك ، وكان يفضل البحترى ، ويستجيد شعره ، ويكثر إنشاده ، ولا يُمليه ؛ لأن البحترى كان باقياً في زمانه .

وأخبرنا أبو الحسن الأنخفش رحمه الله قال : سمعت أبا العباس : محمد بن يزيد المبرد يقول : ما رأيت أشعر من هذا الرجل — يعنى البحترى — ولولا أنه ينشدنى كما ينشدكم^(٢) لملأتُ كُتُبى وأمالى من شعره . قال صاحب البحترى^(٣) : فقد بطل احتجاجكم بالعلماء ، وتفضيلهم لشعره^(٤) .

• • •

٧- [قال صاحب أبي تمام : أما احتجاجكم بدعبل فغير مقبول ولا معول^(٥)] عليه ؛ لأن دِعْبِلًا كان يَشْنَأُ أبا تمام ويحسده ، وذلك مشهور معلوم منه ؛ فلا يقبل قول شاعر في شاعر . وأما ابن الأعرابي فكان شديد التعصب عليه ؛ لغرابة مذهبه ، ولأنه كان يَرِدُ عليه من معانيه ما لا يفهمه ولا يعلمه ، فكان إذا سُئِلَ عن شيء منها يأنف أن يقول : لا أدري ؛ فيعدل إلى الطعن عليه . والدليل على ذلك أنه أنشد يوماً أبياتاً من شعره وهو لا يعرف^(٦) قائلها ، فاستحسنها وأمر بكتبتها ، فلما عرف أنه قائلها قال : خرّقوا .

(١) م ، ك ه روى »

(٢) ط « لما أنشدكم »

(٣) ط « صاحب أبي تمام » وهو خطأ بين !

(٤) ط « وتفضيلكم شعره عليه ، لأن دعبلا »

(٥) في ك : « معول »

(٦) ط « لا يعلم »

والآبيات من أرجوزته التي أولها :

وعاذِلْ عَذْلَتُهُ فِي عَذْلِهِ فَظَنْ أَنْتَى جَاهِلٌ مِنْ جَهْلِهِ^(١)

و [إذا] كان ابنُ الأعرابي - مع علمه وتقدمه - قد حمل نفسه على هذا الظلم القبيح والتعصب الظاهر ، فما تُنكرون أن تكون حالُ سائر من ذكرتموه أيضاً كحاله^(٢) ؟

• • •

٨ - قال صاحب البحترى : لا يلزم ابن الأعرابي من الظلم والتعصب ما ادَّعيتُم ، ولا يلحقه نقصٌ في قصور فهمه عن معاني [شعر] شاعر عدل في شعره عن مذاهب العرب [المألوفة] إلى الاستعارات البعيدة المُخرجة للكلام إلى الخطأ أو الإحالة ، بل العيبُ والنقص في ذلك يلحقان أبا تمام ؛ إذ عدل عن المحجة إلى طريقة يجهلها ابنُ الأعرابي وأمثاله .

وأما ما أستحسنه ابن الأعرابي من شعر أبي تمام [على أنه لأعرابي] وأمر بكتبه^(٣) ، ثم بتخريقه لما علم أنه قائله - فذلك غير مُنكر ، ولا مُذْخِل^(٤) ابن الأعرابي في التعصب ولا الظلم ؛ لأن الذي يورده الأعرابي - وهو محتذٍ على غير مثال - أحلى في النفوس ، وأشهى إلى الأسماع ، وأحق بالرواية^(٥) والاستجادة مما يورده المتحذى على الأمثلة وعُذرُ ابن الأعرابي في هذا واضح^(٦) ، وقد سبقه الأصمعي وذلك أن إسحاق بن إبراهيم الموصلي أنشد الأصمعي :

(١) ديوانه ٥٠٤ وأخبار أبي تمام ١٧٥ وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٢/٤ والجليس والأنيس (مخطوط) ومروج الذهب ٧٣/٤

(٢) ط « أيضاً أن تكون . . . مثل حاله »

(٣) م « بكتبه »

(٤) ط « ولا يدخل »

(٥) ط « بالزيادة »

(٦) ط « في هذا إذا قد صح »

هَلْ إِلَى نَظَرَةٍ إِلَيْكَ سَبِيلُ فَيُرَوِّى الصَّدَى وَيُشْفَى الْغَلِيلُ
إِنَّ مَا قَلَّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي وَكَثِيرٌ يَمُنُّ تُحِبُّ الْقَلِيلُ

فقال له [الأصمعي] : لمن تنشدين ؟ فقال : لبعض الأعراب ، قال :
والله هذا هو الديباجُ الخسرواني ، قال : فإنهما ليلتهما ، فقال : لا جرم
والله إن أثر الصنعة والتكلف بينَ عليهما^(١) .

حدثنا بهذا الحديث أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش النحوي ، قال :
حدثنا أبو الحسن المهراني^(٢) ، قال : حدثني أبو خالد : يزيد بن محمد
المهلبی ، قال : حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، قال : أنشدت الأصمعي ،
إلا أنه ذكر عن إسحاق أنه [لما] قال له : فإنهما ليلتهما ، قال الأصمعي :
أفسدتها [علي]^(٣) .

فالأصمعي في هذا غير ظالم : لأن إسحاق - مع علمه بالشعر ، وكثرة
روايته - لا ينكر له أن يُورد مثل هذا ، لأنه يقوم في النفس أنه قد احتذاه
على مثال ، وأخذه من^(٤) متقدّم ، وإنما يُستطرف مثله من الأعرابي الذي
لا يعوّل إلا على طبعه وسليقته .

وابن الأعرابي في أبي تمام أعذر من الأصمعي في إسحاق ، لأن أبا تمام
كان مُغرماً مشغولاً بالشعر ، وانفرد به ، وجعله وُكَّده ، وألف فيه كتباً ،
واقترع من كل علم عليه ، فإذا أورد المعنى المستغرب لم يكن ذلك [منه] .

(١) . راجع تاريخ بغداد ٣٤٢/٦ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤٢٤/٢ وأخبار أبي تمام
١٧٥ - ١٧٦ والوساطة ٤٩ وأمال القائل ١٩٦/١ وسط اللال ٤١٠/١ ، ٤٧٢ والأغانى ٧٥/٥ -
٧٦ ومعجم الأدباء ٤٠/٦ والصناعتين ٣٩٥

(٢) ط « البهراني »

(٣) من ك

(٤) في ط ، م : « عن »

يبدع^(١) ؛ لأنه يأخذ المعاني ويحتذيها ، فليست له^(٢) في النفوس حلاوة ما يورده الأعرابي [القح] .

* * *

٩— قال صاحب أبي تمام : فقد أقررتم لأبي تمام بالعلم بالشعر^(٣) والرواية ، ولا محالة أن العلم في شعره أظهر منه في شعر البحتري ، والشاعر العالم أفضل من الشاعر غير العالم .

* * *

١٠— قال صاحب البحتري : قد^(٤) كان الخليل بن أحمد عالماً شاعراً ، وكان الأصمعي عالماً شاعراً ، وكان الكسائي كذلك ، وكان خلف بن حيّان الأحمر أشعر العلماء ، وما بلغ بهم العلم طبقة من كان في زمانهم من الشعراء غير العلماء ؛ فقد صار^(٥) التجويد في الشعر ليست علته العلم ، ولو كانت علته العلم لكان من يتعاطاه من العلماء أشعر ممن ليس بعالم .

فقد سقط فضل أبي تمام من هذا الوجه على البحتري ، وصار [البحتري] أولى بالفضل^(٦) ؛ إذ كان معلوماً شائعاً أن شعر العلماء دون شعر الشعراء . ومع ذلك فإن أبا تمام تعمد^(٧) أن يدلّ في شعره على علمه باللغة وبكلام العرب ؛ فتعمد إدخال^(٨) ألفاظ غريبة في مواضع كثيرة من شعره ، وذلك نحو قوله :

(١) ط « يبدع له »

(٢) ط « فليس لها »

(٣) ط « والشعر »

(٤) ط « فقد »

(٥) ط « كان »

(٦) ط « أفضل وأول بالسبق »

(٧) ط « يعمل [على] أن »

(٨) ط « فيعمد لإدخال »

هُنَّ البجاري يا بُجيرُ أَهْدَى لَهَا الْآبُؤُسُ الْغَوِيرُ^(١)
قوله :

• قَدْكَ اتَّيَّبَ أَرَبَيْتَ فِي الْغَلَوِ^(٢) •

وقوله :

• أَقْرَمَ بَكَرُ تُبَارَى أَيُّهَا الْخَفْضُ^(٣) •

وهذا في شعره كثير موجود ، والبحر لم يقصد هذا ولا اعتمده ، ولا كان له عنده فضيلة ، ولا رأى أنه علم ؛ لأنه نشأ ببادية منبج ، وكان يتعمد^(٤) حذف الغريب والوخشي من شعره ليقربه على فهم من يمدحه^(٥) ، إلا أن يأتيه طبعه باللفظة بعد اللفظة في موضعها من غير طلب لها ، ويرى أن ذلك أنفق له ، فننق ، وبلغ المراد والغرض ، ويدلك على ذلك أنه كان يُكنى أبا عبادة ، ولما دخل العراق تكنى بأبي الحسن ؛ ليزيل العنجهية والأعرابية ، ويساوي في مذاهبه أهل الحاضرة ، ويتقرب^(٦) بهذه الكنية إلى أهل النباهة^(٧) والكتاب من الشيعة .

(١) الوساطة ٢٢

والآبُؤُس : جمع بَأْس ، والفوير غار ، يشير إلى المثل المشهور « عسى الفوير أبؤسا » وهو يضرب للرجل يخبر بالشئ فيتهم فيه . راجع جمهرة الأمثال ١٤٣

(٢) ديوانه بشرح التبريزي ٢٢ - ٢٥ والموشح ٣٠٥ والصناعتين ٤٣٥

وعجزه : « كم تملون وأنتم سجراني » ومعنى قَدْكَ : حبك واتَّيَّب : استحي ، مأخوذ من الإبة هي الحياء ، والمراد بالغلواء : الزيادة في اللوم ، وقد خرج بقوله : كم تملون ، من خطاب الواحد إلى خطاب الجمع . والسجاء الأصقاء . يقول : كم تملونني وأنتم أصحابي وخطائوني وتعلمون ما بي .

(٣) عجزه في ديوانه ١٨٠ « ونجمها أيها المالك الحرض » وهو مطلع قصيدة يملح بها خالد ابن يزيد الشيباني ويهجو رجلا فاعره في المجلس . وفي هامش م « خ : تباهي » والقمر : السيد العظيم وتبارى : تفاخر ، والخفض : الضعيف القليل الشأن . والحرض : السافل الذي لا يرجى خيره ولا يخاف شره .

(٤) في ك : « يتعمل » وهو تصحيف

(٥) « من فهم من يمدحه »

(٦) ط « ويقرب »

(٧) م « التناية »

وقد ذكر بعضهم أنه كان يكنى أبا الحسن ، وأنه لما اتصل بالمتوكل وعرف مذهبه [في التعصب]^(١) عدل إلى أبي عبادة . والأول أثبت .

وقد حكى أبو عبد الله : محمد بن داود بن الجراح [في كتاب الشعراء] أن « أبا عبادة » كنية البحترى القديمة .

فشتان ماهما^(٢) من حضري تشبه بأهل البدو فلم ينفق في البادية ولا عند أكثر الحاضرة ، وبدوى تحضر فنفق في البدو والحضر .

١١ — قال صاحب أبي تمام : فقد عرفناكم أن أبا تمام أتى في شعره بمعانٍ فلسفية ، وألفاظٍ عربية^(٣) ، فإذا سمع بعض شعره الأعرابي لم يفهمه ، وإذا^(٤) فسر له فهمه واستحسنه .

١٢ — قال صاحب البحترى : هذه دعاؤ منكم على الأعراب في استحسان شعر صاحبكم إذا فهموه ، ولا يصح ذلك إلا بالامتحان^(٥) ، ولكنكم معترفون وتجمعون مع من هو معكم وعليكم أن لصاحبكم إحساناً وإساءة^(٦) ، وأن الإحسان للبحترى دون الإساءة ، ومن أحسن ولم يسمى أفضل ممن أحسن وأساء .

(١) يريد تعصبه على آل البيت ، راجع مقال الطالبين ٥٩٧ .

(٢) ط « ما بينهما » وهما سواء ، وإن كان الأصمعي قد أبى شتان ما بينهما ، راجع اللسان

٣٥٣/٢ - ٣٥٤

(٣) ط « غريبة »

(٤) ط « فإذا »

(٥) في ك : « إلا بالامتحان »

(٦) ط « إحسانات وإساءات »

١٣- قال صاحب أبي تمام : ما أجمعنا معكم [على] ^(١) أن صاحبكم لم

يسئ ، بل هو ^(٢) قد أساء في قوله :

يُخْفِي الزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا فَكَأَنَّهَا فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِنْاءٍ ^(٣)

وهذا وصف للإناء ، لا للشراب ؛ لأنه لوم ^(٤) للإناء ديساً لكان هذا

وصفه ^(٥) .

وقال :

ضَحِكَاتٌ فِي إِثْرِ هِنِّ الْعَطَايَا وَبُرُوقُ السَّحَابِ قَبْلَ رُعُودِهِ ^(٦)

فأقام البرق مقام الضحك ، والرعد مقام العطايا ، وإنما كان يجب

أن يُقِيمَ الغيثُ مُقَامَ العطايا ، لا الرعد . وله لُحُونٌ في شعره معروفة

منها قوله :

• وَنَصَبَتْهُ عَلَمًا بِسَامُرَاءَ • ^(٧)

وقوله :

• نِسْرَاتٍ مَعْبَدَةٍ فِي الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ • ^(٨)

(١) من ك

(٢) ليست في ك

(٣) ديوانه ٧٤٥

(٤) ط « ملأ »

(٥) في م ، ط : « صفته »

(٦) ديوانه ٥٧٦ والموشح ٣٤٢

(٧) صدره كما في ديوانه ٧٤٦ « أخليت منه البذ وهي قراره » والضمير في منه يعود على بابك

المذكور في الأبيات السابقة . والبذ : حصن بابك بأذربيجان أو بينها وبين أران ؛ على ما في معجم

البكري ٢٣٥/١ والقاموس ٣٥٠/١

(٨) صدره كما في ديوانه ٧٣٢ ، ١٧٤٨/٣ « هزج الصهيل كأن في نعماته » والهزج : صوت

مطرب ، والصهيل : صوت الفرس

وانظر ديوان المعاني ١٦٦/٢ وزهر الآداب ٣٠٨/١ ونهاية الأرب ٥١/٠

وقد ذكر أبو العلاء هذا البيت في عبث الوليد ٨٧ وعقب عليه بقوله : « الذي يوجه رأى أهل البصرة

كسر الدال في معبد ، ويجوز الفتح على مذهب أهل الكوفة . . . »

[وقوله :

عَرَجٌ بِذِي سَلَمٍ فَثَمَّ الْمَنْزِلُ لِيَقُولَ صَبٌّ مَا يَشَاءُ وَيَفْعَلُ] ^(١)

وقوله :

عَرَجٌ عَلَى حَلَبٍ [فَحَيَّ مَحَلَّةً مَأْنُوسَةً فِيهَا لِعَلْوَةٌ مَنَزِلُ] ^(٢)

وأشباه لهذا كثيرة ؛ فقد تساويا في الغلط .

* * *

١٤ - قال صاحب البحرى : ما نَعَيْنَا على أبي تمام اللحن - وهو في

شعره أكثر وأشنع ^(٣) - فتنعوا مثله على البحرى ؛ لأن اللحن لا يكاد يعرَى
منه أحد من الشعراء المحدثين ، ولا سلم منه شاعر من شعراء الإسلاميين ^(٤) ،
وقد جاء في أشعار المتقدمين ما علمتم من [الإقواء وغير الإقواء] ^(٥) مما لا يقوم
العدرُ فيه إلا بالتأويلات البعيدة .

وعلى أنه ليس شيء مما عبت به البحرى [من اللحن] ^(٦) خارجاً عن
مقاييس العربية ولا بعيداً من الصواب ، بل قد جاء مثله كثيراً ^(٧) في
أشعار القدماء والأعراب والفصحاء ، ولو كان هذا موضع ذكره لذكرناه .

ونحن لو رُمْنَا أَنْ نُخْرِجَ ما في شعر أبي تمام من اللحن ^(٨) لكدر ذلك

(١) الذى فى ديوانه ١٥٧/٣ ، ٢٤ بيروت :

لولا تنفنى نقلت المنزل معنى تبيينه ومعنى مشكل

وبوقفة يشفى غليل صباة ويقول صب ما أراد ويفعل

ولا وجود للشطر الأول فيهما . وفيه طبع المعارف ١٧٧٥/٣ « معنى . . . ومعنى »

(٢) لم يرد هذا البيت فى م ، ك وورد فى ط « وقوله : عرج على حلب » وقد أكلت البيت من

ديوانه ٢٣ بيروت ومصر ١٥٦/٢

(٣) ط « كثير لو تتبع »

(٤) ط « ولا يسلم . . . من الشعراء »

(٥) ط « من الألفاظ ما »

(٦) من ك

(٧) ط « كثير »

(٨) ط « اللحن »

واتسع ، ولوجدنا منه ما يضيق العذر فيه ، ولا يجد المتأول له مخرجاً منه إلا بالطلب والحيلة والتحمل الشديد^(١) ، وذلك نحو قوله :

ثَانِيهِ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِاثْنَيْنِ ثَانٍ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ^(٢)
 معنى هذا البيت أَنَّ بَابَكَ صار في الصَّلْب جَاراً لِمَازِيَار ، وهو ثانيه في كيد السماء ، ولم يكن ثانياً لاثنين إذ هما في الغار : أى هو ثاني اثنين في الصَّلْب الذي^(٣) هو رذيلة ، وليس هو ثانياً [لاثنين] في الغار ؛ لأن تلك فضيلة^(٤) ؛ فكان يجب أن يقول في البيت^(٥) : « ولم يكن لاثنين ثانياً » لأنه خبر يكن ، واسمها هو اسم بابك مضمر فيها ؛ فليس إلى غير النصب سبيل في البيت ، وإلا بطل المعنى وفسد ، وفسادُهُ أَنَّكَ إن^(٦) أَخْلَيْتَ « يكن » من ضمير بابك وجعلت قوله « ثاني » اسمها كان ذلك خطأ ظاهراً قبيحاً : لَأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ : كان زيد وعمرو اثنين ، ولم يكن لهما ثان ، كنت مخطئاً ؛ لأنَّ الاثنتين^(٧) أحدهما ثان للآخر ، وكذلك إِذَا قُلْتَ : كانوا ثلاثة ، ولم يكن لهم ثالث ، كنت مخطئاً ؛ لأنَّ أحد الثلاثة هو ثالثهم ، وإنما تكون مصيباً إِذَا قُلْتَ : كانا اثنين ، ولم يكن لهما ثالث ، [أو كانوا]^(٨) ثلاثة ، ولم يكن لهم رابع .

وأيضاً فإنه لو أراد هذا المعنى لم يكن في البيت فائدة ألبتة ؛ لأنه كان

(١) م ، ك « والتحمل والشدة »

(٢) ديوان أبي تمام ١٥٤ ودلائل الإعجاز ٦٦ ، وقوله :

ولقد شق الأحماء من برحائها أن صار بابك جبار مازيار

(٣) م ط « لِمَازِيَار الذي »

(٤) ط « لأن هذه »

(٥) م « وكان يجب أن يقول لاثنين »

(٦) ط « إذا »

(٧) ط « اثنين »

(٨) ط « ثالث وثلاثة »

يكون المعنى حينئذ أن بابك ثانی ما زیار [فی كبء السماء ، ولم یكن للثنین اللذین كانا فی الغار ثان] ، فأی فائدة فی هذا مع ما فیہ من الخطأ الفاحش ؟ وأی تعلق لهذا المعنى بما قبله فی البیت ؟

وقال فی آخر قصیده^(١) :

شامتُ برؤُفكَ آمالی بِمَضْر ، وَلَوْ أَضَحْتُ عَلَى الطُّوسِ لَمْ تَسْتَبْعِدِ الطُّوسا^(٢)
فأدخل فی طوس الألف واللام ، وهی اسم بلدة معرفة^(٣) .

وقال :

• إحدی بنی بکرِ بنِ عبدِ مناه^(٤) •

ولما هی مناة [بالباء] فی الإدراج ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾^(٥) ولما تكون هاء فی الوقف ، لا مع^(٦) الحركة والتدريج .

• • •

وقال فی هذه القصيدة :

• لَوْلَا صِفَاتُ فِي كِتَابِ الْبَاهِ^(٧) •

ولما هی الباءة یا هذا^(٨) فی تقدير الباعة ، وإن كان قد حكى الباه فی بعض اللغات الرديئة ، والرديء لا يُقْتَدَى به^(٩) .

(١) م م « فی قصیدته » وفی ك : « وفی قصیده »

(٢) فی دیوان أبی تمام ١٧٢ « أضحت بطوس لما قصرت عن طواه وفی ك : « أستبد »

(٣) ط « معرفة »

(٤) عجزه كما فی دیوانه ٣٤١ « بین الكتيب الفرد فالأمواه »

(٥) سورة النجم : ٢٠

(٦) ط « بالهاء . . . لا فی »

(٧) صدره « لم یجمع أشأها فی موطن » وفی م « حتى صفات »

(٨) ط « الباءة بالمد فی تقدير »

(٩) ط « لا یتمد به »

وقال :

فَكَمْ لِي مِنْ هَوَاٍ فِيكَ صَافٍ غَذِيَّ جَوْهٍ وَهَوَى وَبَى^(١)
فشدد « غذى » وهو مخفف^(٢).

وقال في قصيدة^(٣) :

• على الأعادى ميكال وجبريل •

فأوقع الإعراب على [الباء من] الأعادى ، وذلك غير جائز لمتأخر .

وقال :

تسعين ألفاً وتسعيناً ويثلها كَتَائِبُ الْخَيْلِ تَحْمِيهَا الْأَرَاغِيلُ^(٤)
فنوّن النون من « تسعين »^(٥) وهذا لا يُسَوِّغُهُ محدثٌ . ونحو هذا مما
لبست بنا حاجة إلى ذكره ؛ لأننا لم نتبعه ولا عبناه به ؛ لما وصفناه به^(٦)
في باب اللحن وكثرته في أشعار المتأخرين ، وإنما عبناه بخطائه في معانيه .
وإحالاته وبعد^(٧) استعاراته ، وكثرة ما يورده من الساقط والغث البارد ،
مع سوء سبكّه ، ورداءة طبيعته ، وسخافة لفظه ، مما سنذكره في باب آخر من
الاحتجاج عليكم .

• • •

وأما ما عبّتم البحتري به في قوله :

يُخْفَى الزُّجَاجَةُ لَوْنُهَا فَكَأَنَّهَا فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِنَاءٍ

(١) ديوان أبي تمام ٣٤٣ « في هوا »

(٢) ط « قلقل : غذى وهو غذ بالتحفيف »

(٣) م « في قصيدته »

(٤) ط « ستين ألفاً وسبعيناً »

(٥) ط « سبعين »

(٦) ط « وصفنا في باب »

(٧) ط « وإحالاته في استعارات »

فما زالت الرواة وشيوخ أهل العلم والأدب يستحسنون^(١) هذا البيت ويستجيدونه له ، وذكره عبد الله بن المعتز - وقد علمتم فضله وعلمه بالشعر - في باب ما اختاره من التشبيه في كتابه الذي نسبته إلى البديع^(٢) ، ولكنكم تأولتم في إنشاده ، ثم أعظمت^(٣) وأكبرتم أن تنعوا على شاعر مُحسن [مكثر] بيتاً واحداً ، فما زلتم تبحثون^(٤) وتحملون حتى وجدتم له ثانياً يحتمل من التأويل ما احتمل^(٥) الأول ، وهو قوله :

صَحِيكَاتٌ فِي إِثْرِهِنَّ الْعَطَايَا وَبُرُوقُ السَّحَابِ قَبْلَ رُعُودِهِ^(٦)
وكلا البيتين إلى الصواب أقرب ، ومن الخطأ أبعد .
وأما قوله :

يُخْفِي الزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا فَكَأَنَّهَا فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِنَاءٍ
فإنما قصد إلى وصف هيئة الشراب في الإناء ، ولم يقصد وصف الشراب خاصة ، ولا الإناء^(٧) ، كما ادعيت ، ولو أراد وصف الإناء لكان مصيباً ، لأن الزجاجية أيضاً توصف كما يوصف ما^(٨) فيها ، وتقع المبالغة في نعتها ، وقد جاء في أوصاف^(٩) أواني الشراب ما جاء ، ومن أحسن ما قيل في ذلك قول علي بن العباس بن جريج الرومي يصف قدحاً :

(١) م « يحسن »

(٢) البديع ٧٣ - أوربا ، ١٢٩ مفر وانظر ما سبق ص ٢٦ - ٢٧

(٣) ط « ولكنكم أيتم إلا إفساده ، ثم أجلبتم وأكبرتم »

(٤) ط « تتنون » !

(٥) ط « وجدتم آياتاً تحتمل . . . ما يحتمله »

(٦) ديوان البحري ٥٧٦

(٧) ط « ولم يقصد إل وصف . . . ولا إلى الإناء »

(٨) ط « يوصف ما فيها » وفي م : « توصف بما فيها »

(٩) ط « في وصف »

تَنْفُذُ الْعَيْنُ فِيهِ حَتَّى تَرَاهَا أَخْطَأَتْهُ مِنْ رَقَّةِ الْمُسْتَشْفِ^(١)
 كَهَوَاءِ بَلَا هَبَاءِ مُشُوبٍ بَضِيَاءِ ، أَرْقَقَ بِذَلِكَ وَأَصْفِ
 وَسَطَ الْقَدَرِ ، لَمْ يُكَبِّرْ لِحَرْعٍ مُتَوَالٍ ، وَلَمْ يُصَغِّرْ لِرَشْفِ
 لَا عَجُولَ عَلَى الْعُقُولِ جَهُولِ بَلْ حَلِيمٌ عَنْهُمْ فِي غَيْرِ ضَعْفِ^(٢)
 [مَا رَأَى النَّازِرُونَ قَدْأً وَشَكْلًا فَارِسًا مِثْلَهُ عَلَى بَطْنِ كَفٍّ]^(٣)

فالزجاجة إذا صَفَتْ ورقَت وسلمت من الكدر اشتدَّ صفاؤها^(٤) وبريقها ،
 فإذا وقع فيها الشراب الرقيقُ اتصل الشعاعان ، وامتزج الضياءان^(٥) ، فلم
 تكد الزجاجة تتبين للناظر ، ولو صببنا^(٦) دِبْسًا أو عَسَلًا أو لبنًا أو ماء
 كثيرًا في إناء هذه صفته^(٧) في الرقة لما خفى الإناء على الناظر ؛ لأن هذه الأشياء
 لا شعاع لها ولا ضياء يتصل بشعاع الإناء وضوئه .

وقد سبقه إلى هذا المعنى عليُّ بن جبلة فقال :
 كَانَ يَدِ النَّدِيمِ تُدِيرُ مِنْهَا شُعَاعًا لَا تُحِيطُ عَلَيْهِ كَأْسُ
 وقال الآخر - أنشدناه^(٨) أبو الحسن : عليُّ بن سليمان الأخفش -
 فَإِذَا مَا مُزِجَتْ فِي كَأْسِهَا فَهِيَ وَالْكَأْسُ مَعًا شَيْءٌ أَحَدٌ^(٩)
 فأنتم في هذه المعارضة بالخطأ أجدر ، وبالعيب أخرى .

(١) ديوانه ٣٣ وأمالى القالى ٢٨٠/١ وزهر الآداب ٨٦٧/٢

(٢) ط « من غير »

(٣) هذا البيت من ك

(٤) م ، ك « صقالها »

(٥) ط « الضووان »

(٦) ط « ولو جعلها »

(٧) م ، ك « هذا وصفه »

(٨) ط « آخر أنشده » م « أنشدناه على »

(٩) ط « وإذا »

وأما^(١) قوله :

• وَبُرُوقُ السَّحَابِ قَبْلَ رُعْدِهِ •

فإنه أقام الرعد مُقام الغيث ؛ لأنه مقدّمة له ، وعلم من أعلامه ، ودليل من أقوى دلائله ، ألا ترى أن برق الخُلب لا رعد [معه ، فإذا كان البرق ذا رعد فقلّما يخلف] ؛ وقد قال الأعشى :

وَالشَّعْرُ يَسْتَنْزِلُ الْكَرِيمَ كَمَا أَنَّهُ تَنْزَلُ رَعْدُ السَّحَابَةِ السَّيْلًا^(٢)
فجعل الرعد هو الذي يستنزل المطر .

وقال الكميت :

وَأَنْتَ فِي الشَّتْوَةِ الْجَمَادُ إِذَا أَخْلَفَ مِنْ أَنْجُمٍ رَوَاعِدُهَا
وإذا كان البرق ذا رعد فقلّما يُخلف .

ومثل هذا في كلام العرب - عما يُنوب [فيه]^(٣) الشيء عن الشيء ، إذا كان متصلاً به ، أو سبباً من أسبابه ، أو مجاوراً له - كثير ؛ فمن ذلك قولهم للمطر : سماء ، وقولهم^(٤) : ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم^(٥) ، قال الشاعر :

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا^(٦)

(١) ط « فأما »

(٢) ديوانه ١٥٧ والسبل : المطر بين السحاب والأرض

(٣) في ك : « كثير »

(٤) ط « ومنه »

(٥) الأمل ١٨١/١

(٦) ط « إذا نزل » البيت لمعود الحكماء من قصيدة له في المفضليات ٣٥٩ وهو له في معجم الشعراء ٣٩١ والانتصاب ٣٢٠ واللسان ١٢٣/١٩ والخزانة ١٧٤/٤ ، وهو غير منسوب في مشكل القرآن ١٠٢ والأمل ١٨١/١ ومقاييس اللثة ٩٨/٣ والصناعتين ٢٧٦ ، وصدره كذلك في الصاحبي ٦٣ ونسبه ابن رثيق لجرير في العمدة ٢٣٧/١ .

أراد إذا سقط المطرُ رعيناه ، أى^(١) رعيننا النَّبْتَ الذى يكون عنه ،
ولهذا ما سموا^(٢) النبات نَدَى ؛ لأنه عن الندى يكون .

وقالوا : ما به طِرْقُ ، أى ما به قوة ، والطَّرْقُ : الشحم ، فوضعه موضع
القوة ؛ لأن القوة عنه تكون .

وقولهم للمزادة : راوية ، وإنما الراوية : البعير الذى يستقى^(٣) عليه
فسميت باسم البعير لأنه يحملها^(٤) .

ومن ذلك الحَفْضُ متاعُ البيت ، فسمى البعير الذى يحمله حَفْضاً .

ومن ذلك قول المسيب بن علس :

• وَتَعَمَّدُ ثَنَى جَدِيلَهَا بِشِرَاعٍ^(٥) •

أراد بدَقْل ، فقال : بشِرَاع ؛ لأن الشراع عليه يكون .

وهذا باب واسع ، وأشهر^(٦) من أن يحتاج إلى استقصائه .

* * *

وبعد ، فلو كان هذان البيتان خطأ — كما [زعمتم و] ادعيتم وأخذتم
على هذا الشاعر المجمع على إحسانه ، غلطاً فى غيرهما من^(٧) شعره — لما
كان بذلك داخلاً فى جملة المسيئين ، ولا الخاطئين^(٨) فى الشعر ؛ لجودة

(١) ط « يريد إذا . . . يريد رعيننا »

(٢) ط « ولهذا سمى »

(٣) فى ط ، م : « يسقى عليه الماء »

(٤) فى ط ، م : « فسمى الوعاء الذى يحمله باسمه » والكلمة الأخيرة سقطت من م .

(٥) صدره ، كما فى ديوانه ٣٥٤ « وكأن غاربها رباوة محرم » والمفضليات ٦٢ والصناعتين ٧١

والوساطة ١٢ وفى الشعر والشعراء ١٣٠/١ « أراد تعدد جدليها بعنق طويلة ، والجديل : الزمام . وأراد أن
يشبه العنق بالدقل فشبهها بالشراع . قال ابن الأعرابي : لم يعرف الشراع من الدقل . وليس هذا عندى
غلطاً ، والشراع يكون على الدقل ، فسمى باسمه ، والعرب تسمى الشيء باسم غيره إذا كان معه وبسببه ... »

(٦) فى ط ، م : « وأيسر »

(٧) ط « المجتمع . . . من غيرهما فى »

(٨) فى ك : « الخطائين »

نظمه ، واستواء نَسْجِه ، ووقوع لفظه في مواقفه ، ولأن معانيه تصحُّ في النقد^(١) ، وتخلُص على [السبرو] السبك ، وأبو تمام يتبهرجُ شعره عند التفتيش والبحث ، ولا تصح معانيه على التفسير والشرح .

١٥ - قال صاحب أبي تمام : لئن أسرفتم في الذم ، وبالغتم على صاحبنا في الطعن ، وتجاوزتم الحد الذي يقف عنده المحتجُّ المناظر ، إلى مذهب التسقُّط المغالط ، والمتعصّب المتحامل - فلننا ندفع^(٢) أن يكون صاحبنا قد أوهم في بعض^(٣) شعره ، وعدل^(٤) عن الوجه الأوضح في كثير من معانيه . وغيرُ منكرٍ لفكرٍ نتج من المحاسن [مثل]^(٥) ما نتج ، ولَّد من البدائع [مثل] ما ولَّد - أن يلحقه الكلال في الأوقات ، والزلل في الأحيان ، بل من الواجب لمن أحسن إحسانه أن يسامح في سهره ، ويُتجاوز له عن زلله ، فما رأينا أحداً من شعراء الجاهلية [والإسلام] سلم من الطعن ، ولا من أخذ الرواة عليه الغلط والعيب ، هذا الأصمعي قد عاب أمراً القيس بقوله :
وَأَرْكَبُ فِي الرُّوعِ خَيْفَانَةً كَسَا وَجْهَهَا سَعْفٌ مُنْتَشِرٌ^(٦)

وقال : شبه شعرَ الناصية بسعف النخلة ، والشعر إذا غطى العين لم يكن الفرس كريماً ، وذلك هو الغمَم ، والذي يُحمد من الناصية الجبلَّة ، وهي^(٧) التي لم تفرط في الكثرة فتكونَ الفرُس غمَّاء ، والغمَم مكروه ، ولم

(١) ط « بالنقد »

(٢) م « فلننا » ط « نمنع »

(٣) في ك : « بعض من شعره »

(٤) ط « قدومهم . . . وعدا »

(٥) من ك

(٦) ديوانه ٨٠ واللسان ٤٥١/١٠ والوساطة ١٠ والموشح ٣٥ ، ٨٩ وعيار الشعر ٩٩ وصبح

الأعشى ١٩٩/٢

والخيفانة : الجرادة ، ويقال : فرس خيفانة على التشبيه لها بالجرادة لخفتها وضموها .

(٧) سقطت من م

تفرط في الخفة فتكون الفرس سفواء ، والسفء أيضاً مكروه في الخيل ،
والجيد ما قال عبيد [بن الأبرص] ^(١)

مُضَبَّرٌ خَلَقُهَا تَضْصِيرًا يَنْشَقُّ عَنْ وَجْهِهَا السَّبِيبُ ^(٢)

روى ذلك عنه أبو حاتم : سهل بن محمد السجستاني .

وقال أيضاً : سمعت الأصمعي يقول : أخطأ امرؤ القيس في قوله :

لَهَا مَتْنَانِ خَطَّاتَا كَمَا أَكَبَّ عَلَى سَاعِدَيْهِ النَّمِرُ ^(٣)

لأن المتن لا يوصف بكثرة اللحم يُستحب منه التعريق ، وكذلك
الوجه كما قال طُفَيْلُ الغنوي ^(٤) :

* مُعَرَّقَةُ الْأَلْحَى تَلُوحُ مَتُونُهَا ^(٥) *

وَأَخَذَ عَلَيْهِ ^(٦) قوله في وصف الفرس :

فَلْيَلْسُوطِ أَلْهُوبٌ وَلِلْسَاقِ دِرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقَعٌ أَخْرَجَ مُهْذَبٌ ^(٧)

(١) من ك

(٢) ديوانه ٩ وشرح المعلقات المشر ٣١٠ وجمهرة أشعار العرب ١٠١ والموشح ٣٥ ويقال :

فوس مضبر الخلق : أي موثق الخلق مدمج والسبب : شعر الناصية

(٣) ديوانه ٨١ واللسان ٢٨٤/١٧ والمتن : الظهر وفيه لغة أخرى وهي المتن ، ويذكر يؤنث .
والخاطي : الكثير اللحم ، انظر مذهب الكسائي والفراء واختلاف العلماء في أصل قوله : خطا في اللسان

٢٥٤/١٨ - ٢٥٥

(٤) ليست في م ولا في ط

(٥) عجزه كما في ديوانه ١٥ « تثير القطا في منقل بعد مقرب »

ويروى : « في منهل » وهي رواية اللسان ١٦٢/٢ حيث ذكره شاذلاً علم أن المقرب : سير الليل .
وفي الديوان : معرقة الألقى : قليلة لحم الوجوه ، وليس على متونها لحم فكأن موضع اللحم يلوح . أراد أنها
ملحوبة الظهور ؛ لأن الفرس إذا كثر لحم متنه فهو هجين . والمنقل : الطريق في الجبل . والمقرب
الطريق يختصر لقربه .

(٦) ط « عليه في قوله »

(٧) م « مذهب » ديوانه ٣٨ وقد « أهوج منب » وهي رواية اللسان ٢٦٢/٢ وانظر الصناعتين
٧٤ واللسان ٢٤١/٢ ، ٢٨١ والموشح ٢٩ ، ٨٧ وعيار الشعر ٩٦ وصبح الأعشى ٩٩/٢ والمعاني
الكبير ٨١/١ .

والهوب : يعني جريه حين زجره ، والساق درة : أي إذا غمزدر بالجرى . والأخرج : الظليم ، وهو
ذكر النعام . ومهذب : أي مسرع في سيره . يقول : إذا ضرب بالسباط التهب في جريه ، وإذا مرى بالساق در .

وقالوا^(١) : هذه فرس بطيئة ؛ لأنها تُخَوِّجُ إلى السوط ، وإلى أن تُركض بالرجل وتنزجر .

ويقال : إن أول من عابه هذا البيت زوجته لما احتكم إليها هو وعَلَقَمَةُ الفَحْل ، فغَلَبَتْ علقمة [عليه]^(٢) ، فطلقها^(٣) .

وقد أُخِذَ أيضاً عليه قوله :

أَغْرَكَ مِنِّي أَنَّ حُبَّكَ قَاتِلِي [وَأَنْتَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلُ]^(٤)
وقالوا : إذا لم يَغُرْها^(٥) هذا فَأَيُّ شَيْءٍ يَغُرُّ ؟

* * *

وعِيبَ زهير بن أَبِي سُلَيْمٍ بقوله^(٦) :

يَخْرُجْنَ مِنْ شَرَبَاتٍ مَأْوَمَّا طَحِلٌ عَلَى الْجُدُوعِ يَخْفَنَ الْغَمْرَ وَالْغَرَقَا
وقالوا : ليس خروج الضفادع من الماء خوف الغمر والغرق ، وإنما ذلك^(٧)
لأنها تَبْيِضُ في الشطوط^(٨) .

* * *

وعِيبَ عَلَى كَعْبِ ابْنِهِ قَوْلُهُ :

(١) ط « وقال »

(٢) من ك

(٣) راجع الأغاني ١٧٤/٢١

(٤) ديوانه ١٢٨ شرح المعلقات العشر ٢٢ والصناعتين ٧٣ والبصائر والدخائر ٢٦ والموشح ٣٦ والعقد ٣٥٧/٥ وما بين القوسين من ك

(٥) ط « وقال إذا لم يغرى »

(٦) في ك : « وعيب على زهير قوله »

(٧) ديوان زهير ٤٠ والشعر والشعراء ١٠١/١ وصبح الأعشى ١٩٨/٢ والوساطة ١٠ واللسان

٤٧٢/١ ، ٤٢٤/١٣ والعمدة ٢٣٩/٢ والصناعتين ٧٢ والموشح ٤٧ - ٤٨ والعقد ٣٥٨/٥

وفي ط « النعم » وهي كذلك في المزهري ٥٠٢/٢ . يخرجن : أي الضفادع المذكورة في البيت السابق والشرابات : الأحواض التي تحفر حول جذوع النخيل ، طحل : كدر

(٨) هذا النص منقول من الشعر والشعراء ١٠١/١ .

• ضَخْمٌ مُقْلَدُهَا فَغَمٌّ مُقَيِّدُهَا •^(١)

وقالوا : إنما توصف النجائب بدقة^(٢) المذبح .

• • •

وأخذ على النابغة قوله يصف عُتْقُ المرأة بالطول :

إِذَا أَرْتَعَثْتَ خَافَ الْجَبَانُ رِعَاثَهَا وَمَنْ يَتَعَلَّقُ حَيْثُ عُلِقَ يَفْرَقُ^(٣)

[فجعل القرط يخاف ويفرق] .

وهذا قريب من قول أبي نُوَّاس :

[وأخفت أهل الشرك حتى إنه] لَتَخَافُكَ النَّطْفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ^(٤)

بل أبو نُوَّاس أعذر ؛ لأن قوله^(٥) « لتخافك » يريد لتكاد تخافك ،

والشعراء تُسْقِط « تكاد » في الشعر وهي تريدها .

وجاء في القرآن مثل ذلك ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَنْزُولٍ مِنْهُ

الْجِبَالُ ﴾^(٦) [أى لتكاد تنزل !] .

(١) عجزه : « في خلقها عن بنات الفحل تفضيل » ديوانه ١٠ وشرح بانث سعاد لابن هشام ١٢٢ والعمدة ٢٣٦/٢ والشعر والشعراء ١٠٢/١ وقال الأصمى في قوله : ضخم مقلدها : هذا خطأ من الصفة ، لأنه قال : هي غليظة الرقبة ، وغير النجائب ما يدق مذبحه ويعرض منحره ، وفهم مقيدها : مثل رسفها . وبنات الفحل : يعنى بها النوق ، أى لها فضل عليهن في عظم خلقها وفي م « مقلدها » وهو تحريف

(٢) ط « برقة » وما في م يوافق ما في الشعر والشعراء الذى نقل عنه المؤلف هذا التعليق

(٣) الشعر والشعراء ١٢٣/١ وديوانه ٧٦ بيروت

وارتعت المرأة : تحلت بالرعاش ، وهو القرط ، ويفرق : يخاف

(٤) ديوانه ٦٢ والوساطة ٦٠ ، ٤٤١ ونقد الشعر ١٨ والموشح ٧٨ ، ٢٤٥ ، ٢٦٩ والعمدة

٥٩/٢ وعيار الشعر ٤٨ والشعر والشعراء ٧٧٦/٢ والمقد ٤٥/١ ، ٣٣٤/٥ وما بين القوسين من ك

(٥) ط « لقوله »

(٦) سورة إبراهيم : ٤٦ وأنظر مشكل القرآن ١٣٠ والصناعتين ٣٥٧ وقد قرأ على وابن عباس

وابن مسعود : « وإن كاد » كما في القراءات الشاذة لابن خالويه ٦٩ .

وقال الشاعر :

يَتَقَارِضُونَ إِذَا التَّقَوَّا فِي مَوْطِنٍ نَظَرًا يُزِيلُ مَوَاطِنَ الْأَقْدَامِ^(١)
 (أى : نظراً يكاد يُزيل^٢ ، فأضمر يكاد ، واللام إذا جاءت كانت
 أدلّ عليها ، قال تعالى : ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾^(٣) أى : كادت .

وأخذ على النابغة قوله :

أَلِكْنِي يَا عُيَيْنَ إِلَيْكَ قَوْلًا سَتَحْمِلُهُ الرُّوَاةُ إِلَيْكَ عَنِّي^(٤)
 وقالوا : قوله ألكنى ، أى كُنْ لى رسولا ، فكيف يكون ألكنى [إليك قولا
 أى كن رسولى إلى نفسك ، ثم يقول ستحملة الرواة] إليك عنى ؟ فاعتذر له
 الأصمعى ، وقال : هذا مما حملته الرواة على النابغة ! كأنه يدفع أن
 يكون قاله .

وأخذ على المسيب قوله :

وَقَدْ أَتَنَاسَى الْهَمُّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بِنَاجٍ عَلَيْهِ الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدَمٌ^(٥)
 وقالوا : الصيعرية سمّة^(٦) للنوق ، لا للفحول ، فسمعه طرفة بن العبد

(١) البيت غير منسوب فى مشكل القرآن ١٣٠ واللسان ٨٣/٩ ، ١٠/١٢ ، والبيان والتبيين
 ١١/١ والصناعتين ٣٥٧ وعجزه كذلك فى مقاييس اللغة ٢١/٣ وشرح الحماسة للمرزوقى ٢٢١/١

(٢) ما بين الرقعين ساقط من م

(٣) سورة الأحزاب : ١٠ وانظر مشكل القرآن ١٣٠ والصناعتين ٣٥٧

(٤) الصناعتين ٧٧ وفى ديوانه ١٠٨ ، ١١٣ مصر « سأهديه إليك إليك عنى » .

(٥) البيت للمسيب فى ديوانه ٣٥٩ واللسان ١٢٧/٦ ، ٢٤١/١٢ وعيار الشعر ٩٦ والموشح
 ٧٦ ، ٨٧ ونسبه أبو هلال فى الصناعتين ٨٥ للمتلمس ، ولكنه قال بعد ذكر قصته مع طرفة ٨٦ :
 « وروى هذا الحديث له مع المسيب بن علس » ونسبه ابن قتيبة للمتلمس فى الشعر والشعراء ١٣٥/١
 وكذلك أبو الفرج فى الأغاني ٢٠٣/٢١ نقلا عن المفضل الضبى ثم عاد فنقل عن ابن السكيت روايتين
 تنسب أولاهما البيت إلى المتلمس ، وتنسبه الثانية إلى المسيب

(٦) ط « قال . . . صفة » .

- وهو صبي - فقال : استنوق الجمل ، وضحك منه [فذهبت مثلاً]^(١) .
ويقال : إن المسيب قال [له] : أَخْرِجْ لسانك يا فتى ، فَأَخْرَجَهُ ،
فقال : وَيْلٌ لهذا من هذا . يعنى رأسه من لسانه .

* * *

وَأَخَذَ عَلَى الْمَرْقَشِ [الْأَصْغَرُ] قَوْلَهُ :
صَحَا قَلْبُهُ عَنْهَا سِوَى أَنَّ ذِكْرَهُ إِذَا خَطَرَتْ دَارَتْ بِهِ الْأَرْضُ قَائِمًا^(٢) .
وقالوا : مَنْ إِذَا ذُكِرَتْ لَهُ^(٣) دَارَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، لَيْسَ بِصَاحٍ .

* * *

وَأَخَذَ عَلَى عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ قَوْلَهُ :
* يَبْذُ الْجِيَادُ فَارَهَا مُتَتَابِعًا *^(٤)
وقالوا : لَا يُقَالُ لِلْفَرَسِ فَارُهُ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ لَهُ : جَوَادٌ ، وَكَرِيمٌ . وَالْفَارَةُ :
لِلْبَغْلِ وَالْحِمَارِ .

وَأَخَذَ عَلَيْهِ أَيْضًا قَوْلُهُ فِي صِفَةِ الْخَمْرِ :
وَالْمُشْرِفُ الْهِنْدِيُّ يُسْقَى بِهِ أَخْضَرُ مَطْمُوئًا بِمَاءِ الْحَرِيصِ^(٥)

(١) جمهرة الأمثال ١٤ والبيت فيها للمتلئس .

(٢) الأغاني ١٩٤/٥ والشعر والشعراء ١٦٧/١ ، ١٦٩ ، والصناعتين ٧٣ وصبح الأعشى ١٧٩/٢
وفي م « منها » وط « ذكره » !

(٣) ط « ذكر دارت » !

(٤) صدره : « فصاف يفرى جله عن سراته » أى صاف هذا الفرس يكاد يشق جلده عما تحته
من السمن ، لسان ١١/٢٠ ، ١٧/١٧ ، وانظار الشعر والشعراء ١٨٢/١ وشعراء النصرانية ٤٧٢
والعقد ٣٦٠/٥ وفي م ، ط « متتابعاً » والتصويب من اللسان ، ومعنى متتابعاً : متراً .

(٥) المشرف : قدح لهم كانوا يشربون فيه ، ويروى : « والمشرف المصقول » ، « المشمول » أى
الطيب ، ويقصد بأخضر : شرباً أخضر ، وهو أجود الخمر ، والمطموث : المزوج ورواية العقد
٦٣٠/٥ واللسان ٢٨٩/٨ والمعاني الكبير ٤٤٩/١ والشعر والشعراء ١٨٢/١ « بماء الخريص » ورواه
ابن الأعرابي « كماء الخريص » والخريص : الخليلج ، وماء خريص : أى بارد وفي الصناعتين ٩٦ : « كماء الخريص »
وكان صدر البيت سليماً في المطبوعة التى طبع عنها الشيخ محمد محيى الدين ، ولكنه غيّر إلى
« المشرف الهيدب يسمى به » وشرح الهيدب بأنه « الذى عليه أهذاب تتذبذب من مجاد ونحوه » ثم قال : =

الحريص : سحابة تحرص وجه الأرض : أى تقشره لشدها ، ويقال :
الحريص اسم نهر بناحية الحيرة ، فوصف الخمر بالخضرة ، وما وصفها بذلك
أحد غيره .

* * *

وأخذ على الأعشى قوله :
وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الْحَانُوتِ يَتْبَعُنِي شَاوٍ مِثْلُ شَلُولٍ شُلْشُلٍ شَوْلٍ^(١)
وقالوا : هذه الألفاظ كلها التى بعد «شاو» متقاربة فى المعنى^(٢) .

* * *

وقرئ على الأصمعى قول أبى ذؤيب الهذلى :
قَصَرَ الصَّبُوحَ لَهَا فَشَرَّجَ لَحْمُهَا بِالنِّىِّ فَهَى تَشُوخُ فِيهَا الإِصْبَعُ^(٣)

= وكان فى أصول هذا الكتاب « والمشرى الهندى يسقوه » وهو تحريف من عدة وجوه ، ووقع على
الصواب فى الصناعتين !

والصواب الذى رآه الشيخ واقماً فى الصناعتين هو الخطأ المحض كشرحه الهيدب الذى يفسد به
المعنى . وقد أخطأ ناشرا الصناعتين كذلك فى شرح الهيدب بأنه : « سحاب يقرب من الأرض كأنه مستدل
يكاد يسكه من قام براحتة » ومصدر خطأ الأساتذة هو تعليق المرحوم محمد أمين الخانجى على هذه اللفظة
فى طبعته لكتاب الصناعتين ص ٧١ فقد شرحها بثلاثة شروح ، نقل الأول ناشر الموازنة ، ونقل الثانى ناشرا
الصناعتين ، والشرح الثالث خطأ كذلك فقد قال : الهيدب : العمام من الأقوام القدم « وإنما
فصصت عليه لثلا يأتى ناشر آخر فينقله دون تبصر ولا إدراك .

(١) ديوانه ٤٥ واللسان ١٣ / ٣٨٥ والخزانة ٥٤٧ / ٣ والشعر والشعراء ١٦ / ١ ، ٢٢٠ والبيان
١٧٦ / ٣ وشرح المعلقات العشر ٢٧٩ والصناعتين ٣٣٥ والقدح ٣٦٠ / ٥ وإعجاز القرآن ٣٢٦ والمعاني
الكبير ١ / ٣٧٩ وفيه : الشاوى : الشواء ، والمشل : السائق السريع السوق ، والشلول : الممرع
والشلل : الخفيف ، وشول : خفيف أيضاً ، ويروى : شمل : أى طيب النفس والريح »

(٢) فى اللسان ٣ / ٣٨٥ « والألفاظ متقاربة ، أريد بذكرها وإجماع بينها المبالغة »
(٣) ديوان الهذيلين ١ / ١٦ وجمهرة أشعار العرب ١٣٢ والمفضليات ٤٢٧ - ٤٢٨ والشعر
والشعراء ٢ / ٦٣٧ واللسان ٣ / ٤٨٨ ، ٢٠ / ٢٢٤ والصناعتين ٧٨ والفصول والغايات ٤٧٢
والوساطة ١١

ومعنى قصر : حبس اللبن للفرس ، شرح لحمها : أى صار شرجين شحماً ولحماً ، والثى : الشحم ،
وتشوخ : تنقيب ، مثل تشوخ . والمعنى : لو أدخلت فيه إصبع من كثرة لحمها لدخلت .

تَأْتِي بِدِرَّتِهَا إِذَا مَا اسْتَكْرَهَتْ إِلَّا الْحَمِيمَ فَإِنَّهُ يَتَبَضَّعُ^(١)
 فقال : هذه الفرس [لا] تُساوِي دِرْهَمِينَ ، لِأَنَّهُ جَعَلَهَا كَثِيرَةَ اللَّحْمِ ،
 رِخْوَةً تَدْخُلُ فِيهَا الإِصْبَعُ ، حُرُونًا ، إِذَا حُرِّكَتْ قَامَتْ ، إِلَّا الْعَرَقُ فَإِنَّهُ
 يَسِيلُ .

* * *

وَقَرَأَ عَلَى الْأَصْمَعِيِّ [أَيْضًا]^(٢) قَوْلَ أَبِي النَجَمِ :
 * يَسْبَحُ أَخْرَاهُ وَيَطْفُؤُا أَوَّلَهُ *^(٣)
 فقال : حِمَارُ الْكَسَّاحِ - إِذَا - أَفْرَهُ مِنْهُ .

* * *

وعاب الأصمعيُّ ذا الرمة في قوله :
 حَتَّى إِذَا دَوَّمَتْ فِي الْأَرْضِ أَذْرَكَهَ كِبَرٌ وَلَوْ شَاءَ نَجَّى نَفْسَهُ الْهَرَبُ^(٤)
 وقال : الفصحاء لا يقولون دَوَّمَ فِي الْأَرْضِ^(٥) ، وَإِنَّمَا يَقُولُونَ : دَوَّمَ فِي

(١) البيت في اللسان ٤٥/١٥ ، وفيه ٣٦٢ / ٩ « إذا ما استغضبت » « يتبضع : يفتتح بالعرق ويسيل متقطعا » وكان أبو ذؤيب لا يجيد في وصف الخيل ، وظن أن هذا ما توصف به . قال ابن بري : تأتي هذه الفرس أن تدرك بما عندها من جرى إذا استغضبتا ؛ لأن الفرس الجواد إذا أعطاك ما عنده من الجري عفوا فأكبرته على الزيادة - حملته عزة النفس على ترك العدو . يقول : هذه تأتي عند إكراهها ولا تأتي العرق»

(٢) من ك

(٣) الشعر والشعراء ٥٨٦/٢ والوساطة ١١ والعقد الفريد ٣٦٦/٥ والمعاني الكبير ٣٠/١ والأغاني ٨٣/٩ وكلها توافق رواية المخطوطة ومطبوعة الجوانب ١٨ ولكن الشيخ محي الدين غيرها إلى « يسبح أولاده ويطفئ آخره » من غير أن يشير إلى ما فعل ليوافق ما في الصناعتين ! ومن العجب أن البيت على هذه الصورة المغيرة يخلو من الغيب الذي أخذه عليه الأصمعي ؛ فإن الجواد إنما يوصف بأنه تسبح أولاه وتلحق رجلاه ، ولا يوصف بأنه تسبح أخراه ، لأنه إذا سبح أخراه كان حمار الكساح أسرع منه على حد عبارة الأصمعي .

(٤) ديوانه ٢٤ « راجعه كبر » وكذلك جمهرة أشعار العرب ١٨٤ واللسان ١٥/١٠٥ حديث ذكره شاهدا على أن دومت الكلاب : أمنت في السير ، والشعر والشعراء ٥١٨/١ وهو مصدر الآمدي في هذا النص .

(٥) راجع نقد علي بن حمزة لرأى الأصمعي هذا في اللسان ١٥/١٠٥

السَّمَاءُ^(١) ، إِذَا حَلَّتْ ، وَدَوَّى فِي الْأَرْضِ ، إِذَا ذَهَبَ .

وكان الأصمعى أيضاً يعيبه في قوله :

• وَنَقَرَى عَبِيطَ الشَّحْمِ وَالْمَاءِ جَامِسٌ •^(٢)

ويقول : إنما يقال للماء : جامد ، وللسمن وما أشبهه^(٣) : جاسس .
وروى ذلك عنه أبو حاتم .

• • •

وحكى أبو نصر عن الأصمعى قال : كنا نظن الطَّرِمَّاحَ شيئاً حتى قال :
وَأَكْرَهُهُ أَنْ يَعْيبَ عَلَى قَوْمِي هِجَاؤِي الْأَرْدَلِينَ دَوَى الْجِنَاتِ^(٤)
لأنها إْحَنَةٌ وَإِحْنٌ ، ولا يقال حنات .

• • •

وأخذ على الآخر قوله :

فَمَا رَقَدَ الْوِلْدَانُ حَتَّى رَأَيْتُهُ عَلَى الْبَكْرِ يَمْرِيهِ بِسَاقٍ وَحَافِرٍ^(٥)
فسمي رجل الإنسان حافراً ، وهذه استعارة في نهاية القبح .

وكذلك قول الآخر :

قَدْ أَفْتَى أَنَامِلُهُ عَضُّهُ فَأُمْسَى يَعْضُّ عَلَى الْوُظَيْفَا^(٦)

(١) م «ولما دوى» ط «في الهواء»

(٤) صدره : «نفار إذا ما الروح أبدى عن البرى» ديوانه ٢٢٣ «ونقرى سديف» وكذلك في

حماسة ابن الشجرى ٥٤ والمختار من شعر بشار ٢٢٣ ورواية المخطوطة توافق رواية اللسان ٣٤١/٧ والصناعتين ١١٠ والسديف : شحم السنام ، والعبيط من اللحم : ما كان سليماً من الآفات .

(٢) ط : «وقال . . . للجامد من السمن وما أشبهه»

(٤) ديوانه ١٣٤

(٥) البيت بلجهاه الأشجعى من قصيدة في حماسة ابن الشجرى ٢٨٥ واللسان ٢٨٣/٥ وهو غير منسوب في مشكل القرآن ١١٦ والصناعتين ٣٠١ والموشح ٩١ ونقد الشعر ٦٧ وسر الفصاحة ١٥١ وفي عيار الشعر ١٠٣ لمزرداعى الزنج (؟)

(٦) قاله صخر النخعي ، كما في ديوان الهذليين ٧٣/٢ «أنامله أزمه» أفنى أنامله ، يقول : يعض على يديه من القبط ، والأزم : العض ، والوظيف : الذراع . وهو غير منسوب في الصناعتين ٣٠١ في ط ، ك «فأضحى» .

فجعل له وظيفاً مكان الرجل .

وكذلك قول الآخر :

سَلَّمْنَعُهَا أَوْ سَوَّفَ أَجْعَلُ أَمْرَهَا إِلَى مَلِكٍ أَظْلَافُهُ لَمْ تُشَقِّقْ^(١)

وقال الحطيئة :

قَرَوَا جَارَكَ الْعَيْمَانَ لَمَّا جَفَوْتَهُ وَقَلَّصَ عَنْ بَرْدِ الشَّرَابِ مَشَافِرُهُ^(٢)

* * *

وعيب على أيمن^(٣) بن خُرَيْم قوله بمدح بشر بن مروان :

فَانَّا قَدْ وَجَدْنَا أُمَّ بَشِيرٍ كَأُمِّ الْأَسَدِ مَذْكَارًا وَلُودًا^(٤)

وقالوا : أخطأ في أن جعل أم الأسد ولوداً ؛ لأن الحيوانات الكريمة عسرة نَزَرَةِ النَّتَاجِ .

والصواب قول الآخر^(٥) :

بَسْغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحًا وَأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلَاتٌ نَزُورٌ^(٦)

وقال جرير :

صَارَتْ حَنِيفَةً أَثْلَانًا فُتِلُّهُمْ مِنْ الْعَبِيدِ وَثُلُثٌ مِنْ مَوَالِيهَا^(٧)

(١) قاله عققان بن قيس بن عاصم ، اللسان ١٣٤/١١ وسمط اللال ٧٤٦/٢ وهو غير منسوب في الصناعتين ٣٠١ وأبواب مختارة ٣٨ وأمالى القالى ١٢٠/٢ ومشكل القرآن ١١٦

(٢) ديوانه ١٢ « لما تركته » وعيار الشعر ١٠٣ والموشح ٩١ والصناعتين ٣٠١ ومشكل القرآن ١١٧ والعيبة : شهوة اللبن ، والبطش

(٣) ترجمته في تهذيب تاريخ ابن عساكر ١٨٧/٣ - ١٨٩

(٤) الموشح ٢٢٣ ونقد الشعر ٧٢ والصناعتين ١٠٠

(٥) ط « قول كثير »

(٦) البيت في اللسان ٣٧٧/٢ لكثير أو غيره ، ٤٢٣ لعباس بن مرداس ، وكذلك حماسة أبي تمام بشرح المزدوق ٣/١١٥ ونسبه أبو عبيد البكري في اللال ١٩٠/١ لمعود الحكاه ، والحصري في زهر الآداب ١/٣٥٥ لكثير ، وهو في ديوانه ٢٠٣ وغير منسوب في المقد ٣٢٤/١ ونقد الشعر ٧٣ والصناعتين ١٠٠ والموشح ٢٢٣

(٧) ديوانه ٣٠٠ ونقد الشعر ٧٧ وصر الفصاحة ٢٢٥ والموشح ٨٤ ، ١٢٦ والصناعتين ٣٤٣

فقيل لرجل من بنى حنيفة : من أى الأثلاث أنت ؟ فقال : من الثلاث الملقى .

وسمع إسحاق بن إبراهيم الموصلى عمارة بن عقيل ينشد لجريير :
لَمَّا تَذَكَّرْتُ بِالذَّيْرِ بْنِ أَرْقَنِ صَوْتُ الدَّجَاجِ وَقَرَعُ النَّوَاقِيسِ^(١)
فقال : أخطأ والله أبوك ، التاذين لا يكون [إلا] فى أول الليل ، وقال
من طلب العذر لجريير : أراد^(٢) [أرقنى]^(٣) انتظار صوت الدجاج .

* * *

وعاب الأخطل الفرزدق فى قوله :
أَبْنَى غَدَانَةً إِنَّنِي حَرَزْتُكُمْ فَوَهَبْتُكُمْ لِعَطِيَّةَ بْنِ جَعَالٍ^(٤)
لَوْلَا عَطِيَّةٌ لاجْتَدَعْتُ أَنْوَفَكُمْ مِنْ بَيْنِ الْأُمِّ أَعْيُنٍ وَسِبَالٍ^(٥)
قال : وكيف يهبهم له وهو يهجوم بمنل هذا الهجاء ؟ وقال عطية حين
بلغه الشعر : ما أسرع ما رجع أخى فى هبته^(٦) !

ومدح الفرزدق الحجاج - وقد دخل عليه - ببيت واحد ، فقال :
وَمَنْ يَأْمَنُ الْحَجَّاجَ - وَالطَّيْرُ تَتَّقِي عُقُوبَتَهُ - إِلَّا ضَعِيفُ الْعَزَائِمِ^(٧)
فقال له الحجاج : الطير تتقئ الثوب ، وتتقئ الصبي ، ما جئت بشيء !
وإنما أراد الفرزدق الطائر الذى يطير فى السماء فليست تناله يد .

* * *

(١) ديوانه ٣٢١ والصناعتين ١١٠

(٢) ليست فى ط

(٣) من ك

(٤) ديوان الفرزدق ٧٢٦ والأغانى ٢٩٥/٨ (دار الكتب) ، ٥٠/١٩ بولاق والعمدة
٢٢٨/٢ وقد أخطأ أبو هلال العسكري فى الصناعتين ٨٨ فنسبه إلى جريير

(٥) فى ديوانه والأغانى وغيرها : « آنف وسبال »

(٦) نقل المؤلف هذا النص من الشعر والشعراء ١/٥٣

(٧) الموشح ١١٢ والصناعتين ١٠١

وعيب على الأخطل قوله في عبد الملك بن مروان^(١) :
 وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْخِلَافَةَ مِنْهُمْ لَا بَيْضَ لَا عَارِي الْخِوَانِ وَلَا جَذِبِ^(٢)
 وقالوا : هذا لا يمدح به خليفة .

وأراد أن يمدح رجلاً^(٣) من بني أسد كان أجاره ، فهجاده ، وكان يقال
 لقوم الرجل : الْقُيُون ، يُعَيَّرُونَ بذلك ، فقال :
 قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُهُ قَيْنًا وَأَنْبَوُهُ فَاَلْيَوْمَ طَيْرَ عَنْ أَنْوَابِهِ الشَّرِّ^(٤)
 أى : فالיום نفي ذلك عن نفسه ، فما زاد على أن نبه عليه ، وقد كان
 له في المماذج مُتَمَعٌ .

وأراد أن يهجو سُويْدَ بن مَنَجُوفٍ [السدوسي]^(٥) فمدحه ، وذلك قوله :
 فَمَا جَذَعُ سُوَيْدٍ خَرَّبَ السُّوسَ وَسَطَهُ لِمَا حَمَلْتَهُ وَائِلٌ بِمُطِيقِ^(٦)
 [فقبيل له : والله ما يرضى قومه أن يحملوه أمرهم ، فكيف وائل كلها ؟]

• • •

وأخذ على الفرزدق قوله يمدح وكيع بن أبي سود^(٧) :
 إِذَا التَّقَتِ الْأَبْطَالُ أَبْصَرْتَ لَوْنَهُ مُضِيئًا ، وَأَعْنَأُ الْكُمَاةَ خُضُوعُ^(٨)

- (١) ط ، ك • وأخذ • م • قوله في المدح •
 (٢) ديوانه ٢١ • فيكم بأبيض ، والموشح ١٤١ • لأزهر • والصناعتين ٧٥ • لأبلج • والشعر
 والشعر ٤٦٠/١ ، وفي ك : • فيهم •
 (٣) هو سمالك بن مخزومة ، راجع الأغاني ١٨٤/٧ • وديوانه ٢٢٢
 (٤) م • الشررا • والبيت في ديوانه ٢٢٣ • والشعر والشعر ٤٦٠/١ • والموشح ١٣٤ • والصناعتين
 ٨٦ • وطلقات فصول الشعر ٤٠٤
 (٥) من ك
 (٦) ديوانه ١٩٥ • السوس أصله • ، ط • فاجذع • والشعر والشعر ٤٦١/١ • والصناعتين ٨٦
 والأغاني ١٨٤/٧ • والموشح ١٣٥
 (٧) م • ابن أبي سود • ط • ابن أبي سود • وقد رثاه الفرزدق بقوله :
 لقد رزئت حزما وحلما ونائلًا تميم بن مر يوم مات وكيع
 (٨) ط • وديوانه ٥٠٩ • أبصرت وجهه • ونسبه في الصناعتين ٣٤٣ خطأ لحرير

فقالوا : أساء القِسْمَة ، وأخطأ الترتيب ؛ وإنما كان يجب ^(١) أن يقول :
أَبْصَرْتَهُ سَامِيًا وَأَعْنَقَ الْكِمَاةَ ^(٢) خَضُوعٌ ، أَوْ أَبْصَرْتُ لَوْنَهُ مُضِيئًا وَأَلَوَانَ
الْكِمَاةِ كَاسْفَةٍ .

* * *

ومن خطأ الشعر قول عَدِي بن الرَّقَاع يذُكِرُ اللهَ تَبَارَكَ اسْمُهُ :
وَكُفُّكَ سَبْطَةً وَنَدَاكَ سَحًّا وَأَنْتَ الْمَرْءُ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ ^(٣)
فَجَعَلَ رَبَّهُ مَرْغًا .

وعابه الأصمعي في قوله :
لَهُمْ رَايَةٌ تَهْدِي الْجُمُوعَ كَأَنَّهَا إِذَا خَطَرَتْ فِي نَعْلِبِ الرُّمَحِ طَائِرٌ ^(٤)
وقال : الراية لا تخطر ، إنما الخطران للرمح .

* * *

ومن فاسد اللفظ وقبيحه قولُ ذِي الرِّمَّةِ :
فَأَضَحَّتْ مَبَادِيهَا قِفَارًا رُسُومُهَا كَأَنَّ لَمْ-سَيَوَى أَهْلِي مِنَ الْوَحْشِ-تُوْهَلِ ^(٥)
أَرَادَ : كَأَنَّ لَمْ تُوْهَلْ سَوَى أَهْلٍ مِنَ الْوَحْشِ .

* * *

ومن خطأ المدح قولُ الْكَمَيْتِ يمدحُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

-
- (١) في ط ، م : « يَنْبَغِي »
(٢) ط « الْمُلُوكُ » وفي م : « الرِّجَالُ »
(٣) ط « بَسْطَهُ » م « سَمَحَ » والصناعتين ١٠١ « وَنَدَاكَ غَمْرَ »
(٤) ط والصناعتين ٩٦ « لَمْ » وفي اللسان ٢٣١/١ « وَالنَّعْلِبُ : طَرَفُ الرَّمْحِ الدَّاخِلُ فِي جِبَةِ
السَّيْفِ » .

(٥) ديوانه ٥٠٦ « قِفَارًا بِلَادَهَا » وتَأْوِيلُ مَشْكَالِ الْقُرْآنِ ١٦٠ وهو الذي غفل عنه المؤلف ،
وشرح شواهد المغني للسيوطي ٢٣٣ والخزانة ٦٢٦/٣ « فَأَضَحَّتْ مَعَانِيهَا » ومبَادِيهَا : حيث يبدون في
الريبع ، والبلاد : جمع بلدة ، وهي القطعة من الأرض ، وتوْهَلُ : تعمُرُ بِأَهْلِهَا

إِلَى السَّراجِ الْمُنِيرِ أَحْمَدَ لَا تَعْدِلْنِي رَغْبَةً وَلَا رَهَبٌ^(١)
عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ وَلَوْ رَفَعَ الذُّ اسُّ إِلَى الْعِيُونِ وَارْتَقَبُوا
وَقِيلَ : أَفَرَطْتَ ، بَلْ قَصَدْتُ ، وَلَوْ عَنَّفَنِي الْقَائِلُونَ أَوْ ثَلَبُوا
لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسَانُ وَلَوْ أَكْثَرَ فَبِكَ الضَّجَاجُ وَاللَّجَبُ

فمن [ذا]^(٢) يَعْتَفِهِ وَيُؤْنِبُهُ عَلَى مَدْحِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَكْثُرَ عَلَيْهِ فِيهِ الضَّجَاجُ وَاللَّجَبُ ؟ وَهَذَا لَوْ كَانَ قَالَهُ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ وَفِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ لَعَلَّ الْعَذْرَ كَانَ يَتَّسِعُ لَهُ فِيهِ ، وَقَدْ اعْتَذَرَ لَهُ مَعْتَذِرٌ وَاحْتِجَ مُحْتَجٌ بِأَن قَال : إِنَّهُ^(٣) لَمْ يَرِدِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَّةً بِهَذَا الْخَطَابِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَهْلَ بَيْتِهِ ؛ لِأَنَّهُ قَالَ فِيهِمْ مِنَ الشَّعْرِ مَا قَدْ قَالَ وَلَآنَ بَنَى أُمِيَّةٌ كَانَتْ تَعْنِفُ مِنْ مَدْحِهِمْ ، وَتَنْكَرُ أَشَدَّ النُّكْرِ عَلَى مَنْ يَتَحَقَّقُ بِهِمْ^(٤) وَيُفَرِّقُ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وَالْوَصْفِ لَهُمْ .

وَعِيبَ أَيْضاً الْكَمِيتَ بِأَن جَمَعَ بَيْنَ^(٥) كَلِمَتَيْنِ لَا تُشَبِّهُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ، وَفَلَكِ قَوْلُهُ :

وَقَدْ رَأَيْنَا بِهَا خَوْدًا مُنْعَمَةً رُودًا تَكَامَلَ فِيهَا الدَّلُّ وَالشَّنْبُ^(٦)
وَقَالُوا : [الدَّلُّ لَا يَكُونُ مَعَ الشَّنْبِ] إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ الْغَنَجِ أَوْ نَحْوِهِ ،

(١) الهاشيات ٥٨ - ٥٩ وشرح شواهد الشافية ٣١١ وتفسير الطبري ٣٨٣/١ - ٣٨٤ والعمدة
١٣٥/٢ - ١٣٦ وجميع البيان ١٨٢/١ وأمالى المرتضى ٨٠/٢ والحيوان ١٧٠/٥

(٢) من ك

(٣) من ك

(٤) ط «أشد الإنكار على من يتخونهم»

(٥) من ك

(٦) الموشح ١٩٣ «منعمة يضا» ورودا : عشوة حسنة الشباب . والشنب : برد النعم
والأسنان .

وَالشَّنْبُ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ اللَّعْسِ أَوْ مَا يَجْرِي مَجْرَاهُ مِنْ أَوصَافِ الشَّغْرِ وَالْقَمِ
[والشفة] ، والجيدُّ ما قاله ذو الرمة :

لَحْمِيَاءُ فِي شَفَتَيْهَا حَوَّةٌ لَعَسٌ وَفِي اللَّثَاتِ وَفِي أَنْيَابِهَا شَنْبٌ^(١)
ولو استقصينا هذا الباب لطال جداً ، وإنما أوردنا ههنا منه مثلاً لتعلموا
أن فحول الشعراء - الذين غلبوا عليه ، وافتتحوا معانيه ، وصاروا قُدُوةً [فيه] ،
واتبعهم الشعراء ، واحتذوا على حذوهم ، وبنوا على أصولهم - ما عُصِمُوا مِنْ
الزَّلَلِ ، ولا سلموا من الغلط .

هذا في المعاني التي هي المقصد والمرمى والغرض .

وأما ما بوبه النحويون من عيوب الشعر في الإقواء والإكفاء والسناد ،
وغير ذلك مما هو عيبٌ في اللفظ. دون المعنى - فليست بنا حاجة إلى ذكره ؛
لكثرته وشهرته .

وكذلك ما أخذته الرواة على المتأخرين - من الغلط. والخطأ واللحن -
فاش^(٢) أيضاً وأكثر من أن يحتاج إلى أن نبرهنه أو ندل عليه^(٣) ؛ فلم
يكن أحد من متقدم ولا متأخر في خطئه ولا سهوه ولا غلظه بمجهول الحق ،
ولا مجرود الفضل بل عفى عندكم إحسانه على إساءته ، وغطى^(٤) تجويده
على نقصيره ، فكيف خصصتم أبا تمام دون غيره بالطنن ، وعبتموه دون من
سواه بالزلل والوهم^(٥) ؟ ولم يك في ذلك بدعاً ، ولا به منفرداً ، ولا إليه

(١) ديوانه ٥ واللسان ١/٤٨٨ ، ٨/٩١ ، ١٨/٢٢٦ وفي م « يبيضاء في » والعس : سواد
يطلو شفة المرأة البيضاء ، والحوة : سرة الشفة .

(٢) ط « والحن أشهر أيضاً »

(٣) ط « على ذلك »

(٤) ط « وعلا »

(٥) ط « والوجن »

سابقاً ؛ وبخستموه^(١) حق الإحسان الذى انتشر فى الآفاق ، وسارت به الركبان . وتمثل به المتمثل ، وتأدب بحفظه وإنشاده المتأدب ، مما إن ذكرناه لم تنكروه ، وأقررتم بفضيلته ، وأجمعتم [معنا] على استجادته ، واستحسانه فهل الظلم المستقبح والتعصب المستبشع^(٢) إلا ما أنتم مُرتكبوه وخابطون فيه ؟

١٦ - قال صاحب البحرى : أما أخذ السهو والغلط على من أخذ عليه^(٣) من المتقدمين والمتأخرين فى البيت الواحد والبيتين والثلاثة ، وربما سلم الشاعر المكثُر من ذلك ألبته ، وتعزى^(٤) منه حتى لا تؤخذ عليه لفظة ، وأبو تمام لا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من عدة أبيات يكون فيها مخطئاً ، أو مُحيلًا ، أو عن الغرض عادلاً ، أو مستعيراً استعارة قبيحة ، أو مفسداً للمعنى الذى يقصده بطلب الطباق والتجنيس ، أو مُبهما [له]^(٥) بسوء العبارة والتعقيد حتى لا يفهم . ولا يوجد له مخرج ، مما لو عددناه لما أتى عليه الإحصاء كثرة فكيف يكون ما أخذ على الشعراء من الوهم وقليل الغلط عذراً لمن لا تُحصى معايبه ومواقع الخطأ فى شعره ؟ وعلى أن أكثر ما عَدَدْتُموه - مما أخذته الرواة على الشعراء - صحيح ، والسهو فيه إنما دخل على الرواة ، ولو كان هذا موضع ذكره لذكرناه .

١٧ - قال صاحب أبى تمام : فَبِمَ تدفعون^(٦) قول البحرى يرى أبا تمام ودِعِيلاً ويدم من بقى بعدهما من الشعراء^(٧) :

(١) ط « فبخستم حق »

(٢) ط « المستبشع » وم « فهذا الظلم . . . غير ما أنتم »

(٣) م « أخذ من »

(٤) م « وربما الشاعر . . . بته وبعرى »

(٥) من ك

(٦) ط « تدافعون » ، وفى ك : « فبماذا تدفعون »

(٧) ق ك بعد هذا : حيث يقول

قَدْ زَادَ فِي كَلْفِي وَأَوْقَدَ لَوْعَتِي مَشَى حَبِيبٌ يَوْمَ مَاتَ وَدَعَلِي^(١)
 وَبِقَاءِ ضَرْبِ الْخَشَمِيِّ وَشَبْهِهِ مِنْ كُلِّ مُضْطَرَبِ الْقَرِيحَةِ مُجِيلِ^(٢)
 أَهْلِ الْمَعَانِي الْمُسْتَحِيلَةِ - إِنْ هُمْ طَلَبُوا الْبِرَاعَةَ - وَالْكَلامِ الْمَقْفَلِ^(٣)
 أَخَوِي لَا تَزَلِ السَّمَاءُ مُخِيلَةً تَغْشَا كَمَا بَحَا السَّحَابِ الْمُسْبِلِ^(٤)
 جَدْتُ لَدَى الْأَهْوَازِ يَبْعُدُ دُونَهُ مَسْرَى النَّعْيِ وَرِمَّةٌ بِالْمَوْصِلِ^(٥)

فمحال أن يرثي البحتري أبا تمام ويذكر مَنْ بَعْدَهُ من الشعراء بأن قرائحهم مضطربة ومعانيهم مستحيلة وعنده أن أبا تمام تلك صفته ، فلم تنكرون فضل من يعترف البحتري بفضله ، ويشهد في الشعر له به ، وتنسبون العيب إليه وهو ينفيه عنه^(٦) ، وتلحقونه به وهو يبرئه منه ؟ !

• • •

١٨ - قال صاحب البحتري : وَلِمَ لَا يَفْعَلُ البحتري ذلك وقد كان هو وأبو تمام بعد اجتماعهما وتعارفهما متصافيين^(٧) على القرب والبعد ، ومتحابين متلائمين على الدنو والشُّحط ، يجمعها النسب والطلب والمكتسب ، ولم يكن [أيضاً]^(٨) في زمانهما شاعر مشهور يفد على الملوك ويجتلي بالشعر وينتسب

(١) الأبيات في ديوانه ١٧٩٠/٣ وأخبار أبي تمام ٢٧٤ والأول في شذرات الذهب ١١٢/٢ وهو مع الرابع والخامس في هبة الأيام ٥٠ ومعاهد التنخيص ٢٠٦/٢ وفي ط « زاد في حزن »

(٢) ط « نجيل » وأخبار أبي تمام « مهمل » والخمسي هو أحمد بن محمد الخمسي قال ابن خلكان في وفيات الأعيان ٣٨/٤ كنيته أبو عبيد الله ويقال : أبو العباس ، كان يتشج ورجاسي البحري

(٣) في أخبار أبي تمام « المفضل » وفي ك : « البداية »

(٤) في أخبار أبي تمام « بجيا مقيم مسبل » وفي هبة الأيام « بساء مزن »

(٥) فيهما : « عل الأهواز » والمثقفون بها دعل ، وبالموصل أبو تمام

(٦) ط « وهذه صفته عنده »

(٧) م « متصافيين يجمعهما النسب والطلب والمكتسب »

(٨) من ك

إلى طيبي سواهما ، فليس بمنكر أن يشهد أحدهما بالفضل لصاحبه ، ويصفه بأحسن ما فيه ، وينحله ما ليس له ، وخاصة في الشعر ؛ ولا سيما^(١) تأبين الميت ؛ فإن العادة جرت بأن يُعطى من التقريظ والوصف وجميل^(٢) الذكر أضعاف ما كان يستحقه [حيا]^(٣) ، فلا تدفعوا العيان فلن يمحو وصف^(٤) البحرى أبا تمام في حياته وتأبينه إياه بعد وفاته - ما ظهر من مقابحه وفصائح شعره .

• • •

١٩- قال صاحب أبي تمام : فقد علمتم وسمعتم الرواة وكثيراً من العلماء بالشعر يقولون : جيد أبي تمام لا يتعلق به^(٥) جيد أمثاله ، وإذا كان كل جيد دون جيده لم يضره ما يؤثّر من رديته .

• • •

٢٠- قال صاحب البحرى : إنما صار جيد أبي تمام موصوفاً لأنه يأتي في تضاعيف الردى الساقط . فيجىء رائعاً لشدة مباينته ما يليه فيظهر فضله بالإضافة ، ولهذا ، ما قال له أبو هفان : إذا طرحت دُرّة في بحر خُرء فمن الذى يغوص عليها ويخرجها غيرك؟
والمطبوع الذى هو مستوى الشعر قليل السقط. لا يبين جيده من سائر شعره بينونة شديدة ، ومن أجل ذلك صار جيد [شعر]^(٦) أبي تمام معلوماً وعدده^(٧) محصوراً .

(١) في ط ، م : « ثم في تأبين الميت »

(٢) م « والجميل من الذكر »

(٣) من ك

(٤) ط « يمحى »

(٥) م ، ك « به وإذا »

(٦) من ك

(٧) م ، ك « وعدداً »

وهذا عندي - أنا - هو الصحيح ؛ لأنني نظرت في شعر أبي تمام والبحتري [في سنة سبع عشرة وثلثمائة ، واخترت جيدهما] وتلقَّطت محاسنهما ، ثم تصفحت شعريهما بعد ذلك على مر الأوقات ؛ فما من مرة إلا وأنا ألجق في اختيار شعر البحتري ما لم أكن اخترته من قبل ، وما علمت أنني زدت في اختيار شعر أبي تمام ثلاثين بيتاً على ما كنت اخترته قديماً .

٢١- قال صاحب أبي تمام : أفتنكرون كثرة ما أخذَ البحتري من أبي تمام ، وإغراقه في الاستعارة من معانيه ؟ فأبى^(١) أولى بالتقدمة : المستعيرُ ، أم المستعارُ منه ؟

٢٢- [قال صاحب البحتري] : قد ابتدأنا بالجواب عن هذا في صدر كلامنا ، ونحن نُتِمُّه^(٢) في هذا الموضع إن شاء الله تعالى .
أما ادِّعَاؤُكُمْ كثرةَ الأخذِ منه فقد قلنا : إنه غير منكّر أن يكون أخذُ منه لكثرة^(٣) ما كان يرد على سمع البحتري من شعر أبي تمام فيعتلق^(٤) معناه : قاصداً للأخذ ، أو غير قاصدٍ ، ولكن ليس كما ادَّعَيْتُمْ وأدعاه أبو الضياء بشر بن يحيى^(٥) في كتابه ؛ لأننا وجدناه قد ذكر ما يشترك الناس فيه ، وتجري طباع الشعراء عليه ، فجعله مسروقاً ، وإنما السَّرَقُ يكون في البديع الذي ليس للناس فيه اشتراك ، فما كان من هذا الباب فهو الذي

(١) في م ، ط : « فأبىهما »

(٢) في ك : « نتيمه »

(٣) ط « من كثرة »

(٤) في ط ، م : « فيتعلق »

(٥) ط « ابن تميم »

أخذه البحتري من أبي تمام ، لا ما كثر فيه ^(١) أبو الضياء وحشاً به كتابه .
وأنا أذكر هذين البابين ^(٢) في موضعهما من [هذا] الكتاب ^(٣) ، وأبين
ما أخذه البحتري من أبي تمام على الصلحة ، دون ما اشتركا فيه ؛ إذ كان
غير منكر لشاعرين [مكثرين] متناسبين ومن أهل بلدين متقاربين أن
يتفقا في ^(٤) كثير من المعاني ، ولا سيما ما تقدم الناس فيه ، وتردد في الأشعار
ذكره ، وجرى في الطباع والاعتقاد من الشاعر وغير الشاعر استعماله .

وبعد :

فينبغي أن تتأملوا محاسن البحتري ، ومختار شعره ، والبارع من معانيه ،
والفاخير من كلامه ؛ فإنكم لا تجدون فيه على غزوه وكثرته حرفاً واحداً مما
أخذه عن أبي تمام ، وإذا كان ذلك إنما يوجد في المتوسط . من شعره فقد قام
الدليل على أنه لم يعتمد أخذه ، وأنه إنما كان يطرق سمعه فيلتبس بخاطره
فيورده .

تم احتجاج الخصمين بحمد الله .

(١) ط « لا ما ذكره »

(٢) ط « هذين الشيتين »

(٣) في ك : « هذه الرسالة »

(٤) في ط ، م : « على »

منهج الآمدى فى الكتاب

وأنا أبتدئ بذكر مساوى هذين الشاعرين لأختم [بذكر] ^(١) محاسنهما .
وأذكر طرفاً من سرقات أبى تمام ، وإحالاته ، وغَلَطه ، وساقط شعره ،
ومساوى البحتري فى أخذ ما أخذه من معانى أبى تمام ، وغير ذلك من غلطه فى
بعض معانيه .

ثم أوازن من شعريهما بين قصيدة وقصيدة ^(٢) إذا اتفقنا فى الوزن والقافية
وإعراب القافية ، ثم بين معنى ومعنى ؛ فإن محاسنهما تظهر فى تضاعيف
ذلك [وتنكشف] .

ثم أذكر ما انفرد به كل واحد منهما فجوده ^(٣) من معنى سلكه ولم
يسلكه صاحبه .

وأفرد باباً لما وقع فى شعريهما من التشبيه ، وباباً للأمثال ، أختم بهما
الرسالة .

ثم أتبع ^(٤) ذلك بالاختبار المجرى من شعريهما ، وأجعله مؤلفاً على حروف
المعجم ؛ ليقرب تناوله ^(٥) ، ويسهل حفظه ، وتقع الإحاطة به ، إن شاء الله
تعالى .

(١) من ك

(٢) ط « بين قصيدتين »

(٣) م « بمجودة »

(٤) ط « وأضع ذلك » وهو تحريف

(٥) ط « متناوله »

سركات أبي تمام

كان أبو تمام مُسْتَهْتَرًا^(١) بالشعر، مشغولاً به ، مشغولاً مدةً عمره بتبحره^(٢) ودراسته ، وله كتبُ اختيارات [مؤلفة] فيه مشهورة معروفة .

فمنها «الاختيار القبائلي الأكبر» اختار فيه من كل [قبيلة] قصيدة ، وقد مر على يَدَيَّ هذا الاختيار .

ومنها اختيار آخر ترجمته^(٣) القبائلي اختار فيه قطعاً من محاسن أشعار القبائل ، ولم يورد فيه كبيرَ شيء [للشعراء] المشهورين .

ومنها الاختيار الذي تُلَقِّط فيه محاسن شعراء^(٤) الجاهلية والإسلام ، فأخذ من كل قصيدة شيئاً حتى انتهى إلى إبراهيم بن هرمة ، وهو اختيار مشهور معروف [يعرف] باختيار شعراء الفحول .

ومنها اختيار تُلَقِّط فيه أشياء من [أشعار] المقلِّين والشعراء المغمورين غير المشهورين ، وبَوَّبَه أبواباً ، وصدره بما قيل في الشجاعة وهو أشهر اختياراته ، وأكثرها في أيدي الناس ، ويُلقب بالحماسة .

ومنها اختيار المقطعات ، وهو مُبَوَّب على ترتيب^(٥) الحماسة ، إلا أنه ذكر فيه أشعار المشهورين وغيرهم من القدماء والمتأخرين ، وصدره بذكر الغزل ، وقد قرأتُ هذا^(٦) الاختيار ، وتلقت منه نَتَفاً وأبياتاً كثيرة ، وليس بمشهور شهرة غيره .

(١) مُسْتَهْتَرًا : مولماً به ، وقى م ، ط : «مستَهراً» وهو تحريف

(٢) ط «بتخيره»

(٣) م «ترجمته اختار قطعاً»

(٤) سقطت من م وقى ط «شعر»

(٥) في ك : «تأليف»

(٦) م «في هذا الكتاب وهذا الاختيار منه نَتَفاً»

ومنها اختيار مجرد في ^(١) أشعار المحدثين ، وهو موجود في أيدي الناس .
فهذه الاختبارات تدل على عنايته بالشعر ، وأنه اشتغل به ، وجعله
وَكْدَةً [وغرضه] ^(٢) ، واقتصر من كل الآداب والعلوم عليه ، وإنه ما فاته
كبير شيء ^(٣) من شعر جاهلي ولا إسلامي ولا محدث إلا قرأه وطالع فيه ^(٤) ،
ولهذا ما أقول : إن الذي خفي من سرقاته أكثر مما ظهر منها ^(٥) ، على
كثرتها .

وأنا أذكر ما وقع إلى في كتب الناس من سرقاته ، وما استنبطته أنا
منها واستخرجته ؛ فإن ظهرت بعد ذلك منها على شيء ألحقته بها ، إن
شاء الله .

١ - قال الكميت الأكبر ، وهو الكميت بن ثعلبة :

فَلَا تُكْثِرُوا فِيهَا الضُّجَّاجَ فَإِنَّهُ مَحَا السَّيْفُ مَا قَالِ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعًا ^(٦)
أَخَذَهُ الطَّائِي فَقَالَ :

• السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ ^(٧) •

وذلك أن أهل التنجيم كانوا حكموا بأن المعتصم لا يفتح عمورية ،
وراسلته الروم : إنا نجد في كُتُبنا أن مدينتها هذه لا تفتح إلا في وقت

(١) في ط ، م : « من »

(٢) من ك

(٣) ط « فإنه ما شيء كبير » وفي م « ما فاته كثير من »

(٤) ط ، ك « وأطلع عليه »

(٥) ط « مما قام »

(٦) ذكره المؤلف في المؤلف والمختلف ١٧٠ والمرزبان في معجم الشعراء ٣٤٧ وابن قتيبة في
الشعر والشعراء أثناء ترجمة سالم بن دارة ٣٦٣/١ والبحري في حماسه ١٥ . وفي ط « ولا . . . اللجج »
والضجج : المجادلة والمشاقة . وفي ط « فيه »

(٧) ديوانه ٧ وأخبار أبي تمام ٣٠

إدراك التين والعنب ، وبيننا وبين ذلك الوقتِ شهورٌ يمنعك من المُقام فيها
البردُ والثلج . فأبى أن ينصرف ، وأكبَّ عليها حتى فتحها فأبطل ما
قاله ، فلذلك قال الطائي :
السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْعَدَاةِ وَاللَّعِبِ
وهو أحسن ابتداءاته .

٢- وقال النابغة يصف يوم حرب :

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَا النَّورُ نُورٌ وَلَا الْإِظْلَامُ إِظْلَامٌ^(١)
أخذه الطائي ، وذكر ضوء النهار وظلمة الدخان في الحريق الذي وصفه
فقال^(٢) :

ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ وَالظُّلُمَاءُ عَاكِفَةٌ وَظُلْمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي ضَحَى شَجَبٍ
فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا ، وَقَدْ أَفَلَتْ وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا ، وَلَمْ تَجِبِ
٣- وقال الأعشى :

وإِنَّ صُدُورَ الْعِيْسِ سَوْفَ يَزُورُكُمْ ثَنَاءً عَلَى أَعْجَازِهِنَّ مُعَلَّقٌ^(٣)
أخذه الطائي فقال :

مِنَ الْقِلَاصِ اللَّوْائِ فِي حَقَائِبِهَا بِضَاعَةٌ غَيْرُ مُزْجَاةٍ مِنَ الْكَلِمِ^(٤)
٤- وقال مسلم بن الوليد في وصف الخمر :

قَتَلْتُ وَعَاجَلَهَا الْمَدِيرُ فَلَمْ تُقَدِّ فَإِذَا بِهِ قَدْ صَبَّرْتُهُ قَتِيلًا^(٥)

(١) ديوانه ٦١ وأمال المرتضى ٥٢/١ والصناعتين ١٩٧

(٢) م « وصفه فقال »

(٣) ديوانه ١٤٩ « وإن عتاق »

(٤) ديوانه ٢٦٨ والقلاص : جمع قلوص وهي الناقة الشابة ، وغير مزجاة أى جيدة كاملة

(٥) ط « ولم يقد » ديوانه ٤٨ « فلم تفظ » يقول : قتلت بالمزاج ، وعاجلها المدير بالشراب ولم

تفظ بعد ، فإذا به قد صبرته قتيلا ، أى قد أسكرته .

أخذه الطائي فأحسن الأخذ ، فقال :
 إِذَا الْيَدُ نَالَتْهَا بِوَتِيرٍ تَوَقَّرْتُ عَلَى ضِغْنِهَا ثُمَّ اسْتَقَادَتْ مِنَ الرَّجُلِ^(١)
 فَإِنْ كَانَ أَخْذُهُ^(٢) مِنْ دِيكَ الْجَنِّ فَلَا إِحْسَانَ لَهُ [فيه] ؛ لِأَنَّهُ أَتَى
 بِالْمَعْنَى بَعِينَهُ ، قَالَ دِيكَ الْجَنِّ :
 تَنْظِلُ بِأَيْدِينَا تَتَعَتَّعُ رَوْحَهَا وَتَأْخُذُ مِنْ أَقْدَامِنَا الرَّاحُ ثَارَهَا^(٣)
 كَذَا وَجَدْنَاهُ فِيمَا نَقَلْت ، وَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ نَقْطَعَ عَلَى أَيِّمَا أَخْذَ مِنْ
 صَاحِبِهِ ؟ لِأَنَّهُمَا كَانَا فِي عَصْرِ وَاحِدٍ .

٥- وقال الأعشى :
 وَارَى الْعَوَافِي لَا يُوَاصِلُنِ امْرَأً فَقَدَ الشَّبَابَ وَقَدْ وَصِلَنِ الْأَمْرَدَا^(٤)
 فَاتَّخَذَ الطَّائِي الْمَعْنَى وَالْطَفَةَ^(٥) ، فَقَالَ :
 أَحَلَّى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِعًا مَنْ كَانَ أَشْبَهُهُمْ بِهِنَّ خُدُودًا^(٦)
 ٦- وقال البعيث [الحنيني] :
 وَلَمَّا لَنُغْطِي الْمَشْرِقِيَّةَ حَقَّهَا فَتَقَطَّعُ فِي أَيْمَانِنَا وَتُقَطَّعُ^(٧)
 فَقَالَ الطَّائِي :
 فَمَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفُ لَأَقَى ضَرْبَةً فَقَطَّعَهَا ثُمَّ أَنْشَى فَتَقَطَّعَا^(٨)

(١) ديوانه ٤٢٠ وم « توفرت . . . من الدحل » وهو تعريف

(٢) ط « وإن . . . أخذه »

(٣) التشبيهات ١٨١ وفي م « نطل » و ط « تقمع »

(٤) ديوانه ١٥٠

(٥) ط « والصفة »

(٦) ديوانه ٨٨ وقال الشريف المرتضى في الشهاب ١٠ « ولعمري إن بين البيتين تشابهاً ، إلا أن أبا تمام زاد على الأعشى بقوله : من كان أشبههم بهن خدوداً ، فملل ميل النساء إلى المرد ، والأعشى أطلق من غير تعليل »

(٧) الواسطة ٣٢٩ وأخبار أبي تمام ١٠٠

(٨) ديوانه ٣٧٥ وأخبار أبي تمام ٩٨ ومروج الذهب ٧٢/٤

٧- وقال الطائي :

وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَيْسِنَةِ عَرَسُوا عَلَى مِثْلَهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَاهُ^(١)
لَأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ
أَخَذَ صَدْرَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنْ قَوْلِ كَثِيرٍ :

وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَيْسِنَةِ عَرَجُوا فَلَانِصَ فِي أَضْلَابِهِنَّ نُحُولُ^(٢)
ويشبه قول البعث :

أَطَافَتْ بِشُعْثٍ كَالْأَيْسِنَةِ هَجْدٍ بِخَاشِعَةِ الْأَضْوَاءِ غُبِرَ صُحُونُهَا^(٣)
وأخذ معنى البيت الثاني من قول الآخر :

غُلَامٌ وَغَى تَفَحَّحَهَا فَأَبْلَى فَخَانَ بِلَاءُهُ الزَّمَنُ الْخَوْنُ^(٤)
فَكَانَ عَلَى الْفَتَى الْإِقْدَامُ فِيهَا وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَا جَنَّتِ الْمُنُونُ
٨- وقال جرّان العود يصف الخيال :

سَقِيًّا لِرُزُودِكَ مِنْ زَوْرٍ أَتَاكَ بِهِ حَلِيثُ نَفْسِكَ عَنْهُ وَهُوَ مَشْغُولُ^(٥)
فذكر العلة في طروق الخيال ، وهو السابق إلى هذا^(٦) المعنى ، فأخذه

العباس بن الأحنف فقال :

خَيَالُكَ حِينَ أَرْقُدُ نَضَبَ عَيْنِي إِلَى وَقْتِ أَنْتَبَاهِي مَا يَزُولُ^(٧)

(١) راجع ص ٢١

(٢) ديوانه ٧ وفي ظ « عرسوا »

(٣) راجع ص ٢١

(٤) راجع ص ٢١

(٥) ديوانه ٥٥ وحاسة ابن الشجري ١٧٧

(٦) في م ، ط : « لهذا »

(٧) أمالي القائل ١/ ٢٢٩

وليس يزورني صلة ، ولكن حَدِيثُ النَّفْسِ عَنْكَ بِهِ الْوُصُولُ^(١)
فتبعه الطائي فقال :

زَارَ الْخَيَالُ لَهَا ، لا ، بَلْ أَزَارَكَهُ فِكْرٌ إِذَا نَامَ فِكْرُ النَّاسِ لَمْ يَنَمْ^(٢)
وقال أيضاً في هذا المعنى :

نَمْ فَمَا زَارَكَ الْخَيَالُ وَلَكِنَّكَ بِالْفِكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الْخَيَالِ^(٣)
٩ - وقال أبو تمام الطائي :

أَمَّا الْهَيْجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ وَالْمَدْحُ عَنْكَ ، كَمَا عَلِمْتَ ، جَلِيلُ^(٤)
فَاذْهَبْ فَإِنَّتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ عِرْضُ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ
أخذه من قول [أبي] هشام المعروف بالخلق^(٥) ، أحد الشعراء البصريين ،
يهجو بشار بن برد :

بِذَلَّةٍ وَالْبِدْيَكِ كَسَبْتَ عِزًّا وَبِاللُّؤْمِ اجْتَرَأْتَ عَلَى الْجَوَابِ^(٦)

(١) ط « هو الوصول »

(٢) ديوانه ٢٦٨ « فكر الخلق » وفي ط « فكر الخلو » وأما المرتضى ٥٤٢/١ وأما النقال

٢٢٩/١ وحماة ابن الشجري ١٧٦

(٣) ديوانه ٤٥٩

(٤) ليسا في ديوانه ، وقد أوردهما البديعي في هبة الأيام ١٦٠ ضمن أهاجي أبي تمام لأبي المغيث

موسى ، وقبلهما :

أمويس قل لي : أين أنت من الوري لا أنت معلوم ولا مجهول

ثم قال : « والبيتان الأخيران ينسبان لغير أبي تمام » والأبيات في ديوان المعاني ١٧٨/١ لمسلم
ابن الوليد وهي له في هجاء دعبل ، كما قال أبو الفرج في ترجمة مسلم المنقولة من الأغاني في آخر ديوانه
١٦٤ (طبع الهند) وأغرب المبرد فنسبها لدعبل في الكامل ٧٩٨/٢ - ٧٩٩ ونسبها الشريف المرتضى
لمسلم ٤٨٨/١ وفي ط « والمديح فيك » وهو خطأ

(٥) ط « بالخلو » وفي هامش ك : « ع قال لي أبو عبيد المرزباني : هذا أبو هشام : عمرو

الظالمى الباهل يعرف بابن الخليل . والخلق هو أبو مسلم . كان في أيام المأمون

وفي معجم الشعراء للمرزباني ٢١٦ عمرو بن عبد الرحمن بن الخلق أبو هشام الباهل الظالمى

شاعر مكثّر ، كان على عهد المنصور والمهدى والرشد . هاجى بشارا الأعمى فانتصف منه

(٦) البيت لأبي هشام في أخبار أبي تمام ٤٢ ونسبه الثعالبي خطأ للبحرئى في المتحل ١٤٤ وليس

في ديوانه . وفي ديوان المعاني ١٧٩/١ من غير نسبة . وفي معجم الشعراء للمرزباني ٢١٦

وأخذه إبراهيم بن العباس فقال وأجاد وأحسن^(١) :
نَجَابِكَ عِرْضُكَ مَنَجَى الدُّبَابِ حَمَتُهُ مَقَادِيرُهُ أَنْ يُنَالَا^(٢)

١٠- وقال الطائي :

وَالشَّيْبُ إِنْ طَرَدَ الشَّبَابَ بَيَاضُهُ كَالصُّبْحِ أَخَذَتْ لِلظَّلَامِ أَفُولَا
أَرَادَ قَوْلَ الْفَرَزْدَقِ :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبِهِ نَهَارُ^(٣)
فَقَصَّرَ عَنْهُ .

١١- وقال قيس بن ذريح :

بَلِيغٌ إِذَا يَشْكُو إِلَى غَيْرِهَا الْهُوَى وَإِنْ هُوَ لَاقَاهَا فَغَيْرُ بَلِيغٍ
أَخَذَهُ الطَّائِي فَقَالَ :

لَمْ تُنْكِرِينَ مَعَ الْفِرَاقِ تَبَلُّدِي وَبَرَاعَةُ الْمُشْتَاكِ أَنْ يَتَبَلَّدَا^(٤)
١٢- وقال الحطيئة :

إِذَا هُمْ بِالْأَعْدَاءِ لَمْ يَثْنِ هَمُّهُ حَصَانٌ عَلَيْهَا لَوْلُو وَشُنُوفُ^(٥)

(١) ط « فأجاد »

(٢) ط ، ك « مقاديره » وهو في الطرائف ١٦٣ وآمال المرتضى ٤٨٨/١ وديوان المعاني ١٧٩/١ والمتنحل ١٣٢ وأخبار أبي تمام ٤٣ ومعاهد التنصيص ٥٣/٤

(٣) ديوانه ٤٦٧ « في السواد » وهو في الصناعتين ٢٥٤ ، ٣١٤ والأغاني ١٦/١٩ والموشح ١٠٣ وإعجاز القرآن ١٢٥ والكامل ١٨/١ والاقتضاب ١٤٦ واللسان ٩٧/٧ ، ١٣٠/١٤ والشعر والشعراء ١٣/١ ووفيات الأعيان ٦/٢٤٤ ومعاهد التنصيص ١٩/١ وأساس البلاغة ٣٦/٢ ، ٤٨٥ وطبقات فحول الشعراء ٣١٢ وديوان المعاني ٨٧/٢ ونثار الأزهار ٦٥ والمعدة ٢٣٧/١ وحماسة البحترى ١٨٣ ودلائل الإعجاز ٧٥

(٤) ديوانه ١٢٥

(٥) ديوانه ٤١ « كعاب عليها » . وفي م ، ك « لؤلؤ وزبرجد » وهو خطأ ، وفي هامش ك تعليقا عليها في شعره وشنوف . وأول القصيدة :

أمن أجل دار مربع ومصيف لعينيك من ماء الشئون وكيف

فأخذه كثيراً فقال :

إذا ما أراد الغزو لَمْ يَشْنِ هَمَّهُ حَصَانٌ عَلَيْهَا نَظْمٌ دُرٌّ يَزِينُهَا^(١)
وأخذه الطائي فخلط . ؛ لقصده إلى مجانسة اللفظ . [والمطابقة] ؛ فقال :
عَدَاكَ حُرُّ الثُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ بَرْدِ الثُّغُورِ ، وَعَنْ سُلْسَالِهَا الْحَصْبِ^(٢)

١٢ - وقال مسلم بن الوليد :

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَيَقْنَنَ بِهَا فَهَنْ يَتَّبِعْنَهُ فِي كُلِّ مُرْتَحَلٍ^(٣)

أخذه الطائي فقال :

وَقَدْ ظَلَلْتُ عِقْبَانَ أَغْلَامِي ضُحَى بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدِّمَاءِ نَوَاهِلٍ^(٤)
أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَانَتْهَا مِنْ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلْ

فأتى في المعنى بزيادة ، وفي قوله : « إلا أنها لم تُقاتل » وجاء به في بيتين . [وأخطأ أيضاً في المعنى بقوله : « في الدماء نواهل » والنهل : هو الشرب الأول ، والعلل : الشرب الثاني والعقبان لا تشرب الدماء ، وإنما

(١) ط « إذا هم بالأعداء . . . عليها عقد » والبيت في ديوانه ٣٤/٢ وآمال القائل ١٣/١ والأغاني ٣٥/٨ وطبقات فحول الشعراء ٤٦٠ والعقد ٤٠٧/٤

(٢) ديوانه ١٠ و ط « الخصب » وفي شرح التبريزي ٦٨/١ « عدك : صرفك ، والثغور : جمع ثغر ، وهو موضع تخافة العدو ، والمستضامة : التي ضامها العدو وأذلها .

والثغور الثانية : جمع ثغر وهو الفم . والمراد بالسلسال هنا : الريق ، والخصب : الذي فيه الحصباء ، وهي صغار الحصى - وجعله الريق حصبا لأن فيه الأسنان يقول : صرفك عن برد هذا الريق في ثغور الحسان - ما في قلبك من أمر الثغور التي أبيضت وتمكن العدو منها وفي هذا البيت مطابقة بين الحر والبرد ، ومجانسة بين الثغور والثغور .

(٣) ديوانه ١٠ والصناعتين ٢٢٦ والشعر والشعراء ٨١١/٢ وهبة الأيام ١٩٠ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤٢٩/٥ والإبانة والذخيرة ٢٤٢/١ والصبح المنبى ٣٧ وأخبار أبي نواس ١٦٤ ومعاذ التنصيص ٥٩/٣ .

(٤) ديوانه ٢٤٨ وأخبار أبي تمام ١٦٤ والوساطة ٢٧١ والصبح المنبى ٣٧ والإبانة . . . والخزانة

١٩٦/٢ والذخيرة ٢٤٢/١

تأكل اللحم^(١) .

وقد ذكر المتقدمون هذا المعنى ؛ فأول من سبق إليه الأقوه الأودى ،
وذلك قوله :

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا رَأَى عَيْنٍ ثِقَّةٌ أَنْ سَتَمَارَ^(٢)

فتبعه النابغة فقال :

إِذَا مَا غَزَا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ^(٣)
جَوَانِحُ قَدْ أَبْنَعْنَ أَنْ قَبِيلَهُ إِذَا مَا التَّقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ

فأخذه حميد بن ثور فقال يصف الذئب :

إِذَا مَا غَدَا يَوْمًا رَأَيْتَ غَيَايَةً مِنْ الطَّيْرِ يَنْظُرْنَ الَّذِي هُوَ صَانِعُ^(٤)

(١) الزيادة من م ويقول الجرجاني في الوساطة ٢٧١ « نعم كثير من نقاد الشعر أن أبا تمام زاد عليهم بقوله : « إلا أنها لم تقاتل » فهو المتقدم ، وأحسن من هذه الزيادة عندي قوله : « في الدماء نواهل » وإقامتها مقام الريات ، وبذلك يتم حسن قوله : « إلا أنها تقاتل »

(٢) الطرائف ١٣ والوساطة ، ٢٧٠ والصناعتين ٢٢٥ وهبة الأيام ١٨٨ والذخيرة ٢٤٢/١

(٣) ديوانه ٤٣ وفي ط وهامش ك « ما غزوا » وانظر الخزانة ١٩٦/٢ وأخبار أبي نواس ١٦٤

ودلائل الإعجاز ٣٨٤ وهبة الأيام ١٩٠ والصناعتين ٢٢٥ والصبح المنى ٣٧ والشعر والشعراء ١٢١/١ وفيه أن العلماء أخذوا عليه أنه « جعل الطير تعلم الغالب من المظلوم قبل التقاء الجمعين ، والطير قد تتبع المساكر للقتل ، ولكنها لا تعلم أيها يغلب » والذخيرة لابن بسام ٣٤٢/١ - ٣٤٣ وفيه أن ابن شهيد يرى أن كل هؤلاء الشعراء « قصر عن النابغة ؛ لأنه زاد في المعنى ودل على أن الطير إنما أكلت أعداء المملوح ، وكلامهم كلهم مشترك محتمل أن يكون ضد ما نواه الشاعر ، وإن كان أبو تمام قد زاد في المعنى » ويقول الصول في أخبار أبي تمام ١٦٥ : « ولا أعلم أحداً قال في هذا المعنى أحسن مما قاله النابغة ، وهو أول بالمعنى ، وإن كان قد سبق إليه لأنه جاء به أحسن » ويرى القاضى الجرجاني في الوساطة ٢٧١ « أن الأنود الأودى قد فضل الجماعة بأمور : منها سبق ، وهى الفضيلة العظمى ، والآخر قوله : « رأى عين » فخير عن قربها ؛ لأنها إذا بعدت تخيلت ولم تر ، وإنما يكون قربها متوقفاً للفرصة . وهذا يؤيد المعنى ، ثم قال : « ثقة أن سمار » فجعلها واثقة بالميرة ، ولم يجمع هذه الأوصاف غيره ، وأما أبو نواس فإنه نقل اللفظ . ولم يزد فيفضل »

(٤) يصف ذئباً يتبع الجيش طمعاً في أن يتخلف رجل يشب عليه ؛ لأنه من بين السباع لا يرغب في القتل ولا يكاد يأكل إلا ما فرسه . والغياية : كل شيء أظلم الإنسان مثل السحابة والغبرة والظل . والبيت في الوساطة ٢٧١ والخزانة ١٩٧/٢ وأخبار أبي نواس ١٦٤/١ وهبة الأيام ١٨٨ وقد خرج الميمى من مصادر كثيرة - ليست هذه من بينها - في تعليقه على الديوان ١٠٦

وقال أبو نواس :

تَتَابَا الطَّيْرُ غُدُوَّتَهُ ثِقَةً بِالشَّبْعِ مِنْ جَزَرَةٍ^(١)
[تَتَابَا] أى : تتعمد وتقصد .

• • •

١٤ - وقال منصور النمرى فى مدح الرشيد :

وَعَيْنٌ مُحِيطٌ بِالْبَرِيَّةِ طَرَفُهَا سَوَاءٌ عَلَيْهِ قُرْبُهَا وَبَعِيدُهَا
أخذه أبو تمام فقال :

أَطْلُ عَلَى كُلِّ الْآفَاقِ حَتَّى كَأَنَّ الْأَرْضَ فِي عَيْنَيْهِ دَارُ^(٢)
[ويروى طلى] . عجز هذا البيت حَسَنٌ جداً ، وبيت النمرى أَحَبُّ
إِلَى ؛ لِأَن مَعْنَاهُ أَشْرَحُ .

١٥ - وقال مسلم بن الوليد

فَلَمَّا انْتَضَى اللَّيْلُ الصَّبَاحُ وَصَلَتْهُ بِحَاشِيَةٍ مِنْ لَوْنِهِ الْمُتَوَرِّدِ^(٣)
أخذه أبو تمام فقال :

حُطَّتْ إِلَى قَبَةِ الْإِسْلَامِ أَرْحُلُهُ وَالشَّمْسُ قَدْ نَفَضَتْ وَرْسَاعِلِ الْأَصْلِ^(٤)
[أو أخذه من قول النمرى :

أَجَدَّ وَلَمَّا يَجْمَعُ اللَّيْلُ شَمْلَهُ فَمَا حَلَّ إِلَّا وَهُوَ وَرَدُ الْمَغَارِبِ]

(١) ط « غزوته » وما فى م يوافق ما فى الديوان ٦٩ والصناعتين ٢٢٦ والذخيرة ٢٤٢/١
وفى أخبار أبي نواس « تتابى الطير » وفى الصبح المنبى ٣٧ وعبدة الأيام « يتوفى الطير » وفى الواسطة ٢٧١
« تتابى » وشرحها الناشران بقولهما « تتابى تتعمد » ! وهو خطأ . ومعنى من جزره : أى من قتل المسلوح
(٢) ديوانه ١٤١ وشرح التبريزى ١٥٥/٢ « كل : جمع كلية ، واستعارها للآفاق ، لأن من
اطلع على كلية الشيء فقد خبر أمره ، إذ كانت الكلية لا تكون إلا فى الباطن »
(٣) م « وصلته » وفى ديوانه ٦٢ « من فجره » انتضى : أظهر والمتورد : الأحمر ، يعنى
الصبح يريد أنهم وصلوا سير الليل بسير النهار .
(٤) ديوانه ٢٥٠ « إلى عمدة »

هذا ما ذكره ابن المنجم ، والذي أظن أنه أخذه من قول الآخر :

• وَالشَّمْسُ صَفَرَاءُ كَلَوْنِ الْوَرَسِ •

١٦- وقال المار^(١) الفَقْعَسِيُّ في وصف الأثافي :

أَثَرُ الْوُقُودِ عَلَى جَوَانِبِهَا بِخُدُودِهِمْ كَأَنَّهُ لَطْمٌ^(٢)

فأخذه أبو تمام فقال :

أَثَافٍ كَالْخُدُودِ لُطْمَنَ حُزْنًا وَنَوَى مِثْلُ مَا انْفَصَمَ السَّوَارُ^(٣)
أورد المعنى في مصراع ، وأتى في المصراع الثاني بمعنى آخر يليق به فأجاد ،
إلا أن بيت المار أشرح وأظهر معنى ؛ لقوله : « أثر الوقود^(٤) على جوانبها »
فأبان المعنى الذي من أجله أشبهت الخدود^(٥) الملطومة .

١٧- وقا أبو نُوَّاس :

فَالْخَمْرُ بِأَقْوَتِهِ وَالْكَأْسُ لَوْلُوءٌ مِنْ كَفِّ لَوْلُوءٍ مَمْشُوقَةٍ الْقَدِّ^(٦)

أخذه أبو تمام فقال وأساء :

أَوْ دُرَّةٌ بَيَضَاءُ بِكَرٍّ أَطْبِقَتْ حَبَلًا عَلَى يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ^(٧)
لأن قوله : « [أطبقت] حبلًا » كلام مستكره [قبيح] جدًا .

(١) سقطت من الخطية

(٢) البيت له في أمالي المرتضى ٣٤/٢

(٣) ديوانه ١٤١ وشرح التبريزي ١٥٣/٢ « وقال المروزقي : شبه الأثافي في أن أعلاها سواد في حمرة بخدود حمر لطمت حتى اسودت ، وشبه النوى لتلمه ودروس بعض منه وبقاء بعض منه بسوار متكسر » وانظر الوساطة ٢٤٦ وأمالي المرتضى ٤٣/٢ .

(٤) ط « وأوضح معنى . . . أثر الوقود » !

(٥) ط « أشبه الخدود » وفي م « شبهت بالخدود »

(٦) ديوانه ٢٦٥ « كف جارية »

(٧) ديوانه ٣ وشرح التبريزي ٣٧/١ « شبه الكأس بدرة لم تثقب والحمر بياقوتة حمراء ، فكأنها حمل في جوفها وهي حبل بها »

١٨- وقال أبو تمام :

نَقَلَ فَوَادَكَ حَيْثُ شِثَتْ مِنَ الْهَوَى مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ^(١)

أخذه من قول كثير :

إِذَا وَصَلْتَنَا خَلَةً كَيْ تَزِيلَهَا أَبِينَا ، وَقُلْنَا : الْحَاجِبَةُ أَوَّلُ^(٢)

وذكر محمد بن داود بن الجراح في كتابه أنه أخذ المعنى من قول ابن

الطَّشْرِبَةِ إِذْ يَقُولُ :

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا فَارِغًا فَتَمَكَّنَا^(٣)

وهذا أجود ما قيل في هذا المعنى ؛ لأنه ذكر العلة .

١٩- وقال أبو تمام :

وَمَا سَافَرْتُ فِي الْآفَاقِ إِلَّا وَبَيْنَ جُذُوكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي^(٤)

مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي وَإِنْ قَلِقْتُ رَكَابِي فِي الْبِلَادِ

أخذه من قول أبي نُوَاس :

وإِنْ جَرَّتِ الْأَلْفَافُ يَوْمًا بِمِذْحَةٍ لِغَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي^(٥)

(١) ديوانه ٤٥٧ وأخبار أبي تمام ٢٦٣ والصناعتين ٢٠٤ ، ٤١٨ والبيان والتبيين ٣/٣١٣ والحيوان ١/١٦٩ والأغاني ١٧/١٤٦ والعهدة ٣/٤٧٠ ، ٦/١٠٢ غير منسوب ودلائل الإعجاز ٣٧ ومعاهد التنصيص ١/٢٢٩

وانظر تخريج المشرق ويتر هذا البيت في أسرار البلاغة ١٠٨

(٢) الخزائن ٢/٢٨٢ والشعر والشعراء ١/٤٨٨ ودلائل الإعجاز ٢٧٩ وديوانه ٢/٥٣١ إذا أرادت خلة أن تزيلنا « وفي أخبار أبي تمام ٢٧٤ » لتزيلها «

(٣) البيت له في حماسة ابن الشجري ١٤٥ وأخبار أبي تمام ٢٦٤ والزهرة ٢٢ ويعقب عليه داود الأصفهاني بقوله : « ولمعري إن هذا من نفيس الكلام ، غير أن في البيت ضعفاً ، وذلك أنه جعل سبب تمكن الهوى من قلبه أنه صادفه خالياً لم يسبقه إليه غيره ، وليست هذه أحوال أهل التمام إذ كل من صادف محلا لا يدافع عنه لم يتمدح عليه طريق التمكن منه « وقد نسب الجاحظ في البيان والتبيين ٢/٤٢ والحيوان ١/١٦٩ مخجون بن عامر

(٤) ديوانه ٨٩ وشرح التبريزي ١/٣٧٨ وأخبار أبي تمام ١٤١ والوساطة ٢٤٥

(٥) ديوانه ٦٦ وأخبار أبي تمام ١٤٢ والوساطة ٢٤٤

وقد كان ابن أبي دؤاد سأل عن هذا المعنى حين أنشدته القصيدة ، فقال :
أهو مما اخترعته ؟ فقال : [هو ما اخترعته ، فقال : بل] ^(١) أخذته من
قول [الحسن] ابن هاني :

• وإن جَرَّتْ الألفاظُ يوماً بمِذْحَةٍ •

٢٠ - وقال ابن الخياط في قصيدة يمدح بها المهدي - فأجازه جائزة فرقتها
في الدار ، فباغاه فأضعف له الجائزة - :

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الْغَنَى ولم أذر أن الجود من كفه يُعْدِي ^(٢)
أخذه أبو تمام فقال :

عَلَّمَنِي جُودُكَ السَّمَاحَ فَمَا أَبْقَيْتُ شَيْئاً لَدَيَّ مِنْ صِلَتِكَ ^(٣)
وبيت ابن الخياط أبلغ وأجود .

٢١ - وقال [أبو علي] ^(٤) دَعْبَلُ بْنُ عَلِيٍّ :

وإنَّ امرأً أَسَدِي إِلَى بِشَافِعٍ لَدَيَّ يُرْجَى الشُّكْرَ مِنِّي لِأَحَقِّ ^(٥)
شَفِيعِكَ فَاشْكُرْ فِي الْخَوَانِجِ ؛ إِنَّهُ يَصُونُكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا وَهُوَ يَخْلُقُ
فأخذه أبو تمام فقال وألطف المعنى وأحسن اللفظ :
فَلَقِيتُ بَيْنَ يَدَيْكَ حُلُوَ عَطَائِهِ وَلَقِيتُ بَيْنَ يَدَيَّ مَرَّ سُؤَالِهِ ^(٦)

(١) الزيادة من م .

(٢) الأغاني ٩٤/١٨ وأخبار أبي تمام ١٥٩ والوساطة ٢١٦ والصناعتين ٢٠٠ وأمال المرتضى
٥٢٢/١ . وأحكام القرآن ٤٦/١ وآداب الشافعي ١٤٠ ، ٣٣١ والبيت في الأغاني ١٥٠/٣ طبع
الدار لشار ضمن حكاية .

(٣) البيت له في الأغاني ١٠٤/١٥ ، والوساطة ٢١٦ وأخبار أبي تمام ١٥٨ والصناعتين ٢٠٠
(٤) من ك

(٥) الصناعتين ٢١٣ وأخبار أبي تمام ٦٤ والأغاني ١٠١/١٥ وفيها « إليه ويرجو »

(٦) ديوانه ٢٤٠ ويقال : إن رجلاً سأل دعبلاً عن شاهد يؤيد ما كان يدعيه من أن أبا تمام
كان يتبع معانيه فيأخذها فأنشده هذا الشعر ، وإن الرجل قال له : لئن كان أخذ هذا المعنى وتبعته فإ
أحسن ، وإن أخذه منك لقد أجاده فصار أول به منك ، فغضب دعبل ، راجع الأغاني ١٠١/١٥
وأخبار أبي تمام ٦٣

وَإِذَا امْرُؤُ أَسَدَى لِمَلِكٍ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ

٢٢- وقال مسلم بن الوليد في الحجاب ، فأخطأ في المعنى :

كَذَلِكَ الْغَيْثُ يُرْجَى فِي تَحَجُّبِهِ حَتَّى يُرَى مُسْفِرًا عَنْ وَابِلِ الْمَطَرِ
أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ :

لَيْسَ الْحِجَابُ بِمُقْصَرٍ مِنْكَ لِي أَمَلًا إِنَّ السَّمَاءَ تُرْجَى حِينَ تَخْتَجِبُ^(١)

إلا أن لبيت أبي تمام وجهاً من الصواب ، قد ذكرته في باب من هذا الكتاب مع ما أخذ على مسلم بن الوليد في بيته من العيب .

٢٣- وقال النابغة الجعدي :

وَتَسْتَلِبُ الدُّفْمَ الَّتِي كَانَ رَبُّهَا ضَنِينًا بِهَا ، وَالْحَرْبُ فِيهَا الْحَرَابُ^(٢)

فأخذه أبو تمام فقال وقصر عنه :

لَمَّا رَأَى الْحَرْبَ رَأَى الْعَيْنُ تَوَفَّلِسُ

وَالْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرْبِ^(٣)

أو أخذه من قول إبراهيم بن المهدي :

وَمُسْعِرُو الْحَرْبِ وَأَسْمُ الْحَرْبِ قَدْ عَلِمُوا

لَوْ يَنْفَعُ الْعِلْمُ - مُشْتَقٌّ مِنَ الْحَرْبِ^(٤)

(١) ديوانه ٢٢ وديوان المعاني ١٦١/١ وأخبار أبي تمام ٢٢٢

(٢) ديوانه ١٣٠ وأخبار أبي تمام ٥٥ وفي ديوان المعاني ٦٦/٢ « وتستلب المال » والبيت في التحذير من الحرب .

(٣) شرح التبريزي ٧٠/١ وديوانه ١٠ وط « نوفلس » وجواب لما ذكر في البيت التالي هو :
غدا يصرف بالأموال جريتها فعزه البحر ذو التيار والحدب

الحدب : ارتفاع الماء تارة وانخفاضه أخرى . يقول : لما رأى نوفلس الحرب تجرى إليه بالرجال
كما تجرى السيول - بذل المعتم أمولا ليرجع عنه فعزه ، أي غلبه ، يريد المعتم وجيشه »

(٤) في أخبار أبي تمام ٥٥ « هم هيجوا الحرب »

٢٤- وقالت مريم بنت طارق ترثي أخاها في أبيات أنشدناها ابن الأنباري^(١) في أماليه :

كُنَّا كَأَنَّا نَجْمٌ لَيْسَ بَيْنَنَا قَمَرٌ يَجْلُو الدُّجَى ، فَهَوَى مِنْ بَيْنِنَا الْقَمَرُ^(٢)
أخذ أبو تمام اللفظ والمعنى [جميعاً] ، فقال :

كَانَ بَنَى نَبْهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ نَجُومٌ سَمَاءَ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ^(٣)

أو أخذه من قول جرير يرثي الوليد بن عبد الملك :

أَمْسَى بَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ^(٤)
ولست أدري أيهما أخذ من صاحبه ؟ أمريم أخذت من جرير ؟ أم
جرير أخذ منها ؟

وروى دِغْبَلِ بن علي الخزاعي لأبي سُلمى المزني - من ولد زهير ، واسمه
مكنف - الذي يهجو بني القَعْقَاعِ آلَ دُفَافَةَ العبسين^(٥) فيقول :

إِنَّ الضُّرَّاطَ بِهِ تَعَاظَمَ مَجْدُكُمْ فَتَعَاظَمُوا ضَرْطاً بَنَى الْقَعْقَاعِ^(٦)
قال دِغْبَلِ : فلما مات دُفَافَةُ رثاه أبو سُلمى فقال :

أَبْعَدَ أَبِي الْعَبَّاسِ يُسْتَعْتَبُ الدَّهْرُ وَمَا بَعْدَهُ لِلدَّهْرِ عُتْبَى وَلَا عُذْرُ^(٧)
[إذا ما أبو العباس خلى مكانه فلا حملت أنثى ولا مسها طهر]

(١) م « أنشدنا إياها إبراهيم الأنباري »

(٢) البيت لصفية الباهلية في عيون الأخبار ٦٦/٣ وحماة أبي تمام بشرح المزدوق ٩٤٩/٢ وديوان المعاني ١٧/١ وأخبار أبي تمام ١٣٣ وفي العقد ٢٧٨/٣ لأعرابية . وروى الخنساء في بعض نسخ ديوانها ١٣٤

(٣) ديوانه ٣٦٩ وعيون الأخبار ٦٦/٣

(٤) ديوانه ٢٩٧ وأخبار أبي تمام ١٣٤

(٥) ط « العبسي »

(٦) في الأغاني ١٠٦/١٥ وأخبار أبي تمام ٢٠٠ « تصاعد جدكم »

(٧) الموشح ٣٢٨ والأغاني ١٠٧/١٥ والوساطة ١٨٨ وأخبار أبي تمام ٢٠٠ وتهذيب تاريخ

ابن عساكر ٢٥/٤ وبين هذه المصادر اختلاف كثير في ألفاظ القصيدة .

أَلَا أَيُّهَا النَّاعِي دُفَافَةٌ ذَا النَّدَى تَعَسَّتْ وَشَلَّتْ مِنْ أَنَا مِلِكَ الْعَشْرِ
وَلَا مَطَرَتْ أَرْضاً سَمَاءً ، وَلَا جَرَتْ نَجُومٌ ، وَلَا لَذَّتْ لِشَارِبِهَا الْخَمْرُ
كَانَ بَنَى الْقَعْقَاعِ يَوْمَ وَفَاتِهِ نَجُومٌ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَلَدُ^(١)
تَوَفَّيْتَ الْأَمَالَ بَعْدَ وَفَاتِهِ فَأَضْبَحَ فِي شُغْلٍ عَنِ السَّفَرِ السَّفَرُ^(٢)
يُعَزُّونَ عَنْ نَاوٍ تُعَزَّى بِهِ الْعَلَا وَيَبْكِي عَلَيْهِ الْبَأْسُ وَالْمَجْدُ وَالشُّعْرُ^(٣)
وَمَا كَانَ إِلَّا مَالٌ مَنْ قَلَّ مَالُهُ وَذُخْرًا لِمَنْ أَمْسَى وَلَيْسَ لَهُ ذَخْرُ

قال أبو عبد الله : محمد بن داود بن الجراح ؛ قال أبو محمد
اليزيدي : أنشدني دِعْبِلُ هذه القصيدة ، وجعل يعجبني من الطائي في
ادعائه إياها ، وتغييره بعض أبياتها .

٢٥ - وقال مسلم بن الوليد يرثي :

فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ أَتْنِي عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ^(٤)

أخذ أبو تمام المعنى وقصر في العبارة ، فقال :

وَقَفْنَا فَقَلْنَا بَعْدَ أَنْ أَفْرَدَ الشَّرَى بِهِ مَا يُقَالُ فِي السَّحَابَةِ تَقْلَعُ^(٥)
وتقصيره عن مسلم أن مسلماً قال : « أتني عليها السهل والأوعار » فأراد
أن هذه السحابة عمّت بنفعها .

وفي قول أبي تمام : « ما يقال في السحابة تقلع » إيهام ، لأنه لم يفصح
بالثناء عليها وأنها نفعت ، وقد يقال في السحابة إذا أقلعت ما هو غير

(١) ط ، ك والوساطة « بعد وفاته »

(٢) في أخبار أبي تمام والأغاني « يوم وفاته » وفي ط وبقيّة المصادر « بعد دُفَافَةٍ »

(٣) هذا البيت والذي يليه ليسا في الأغاني ولا في أخبار أبي تمام

(٤) ديوانه ٢٣٨ وحسانة أبي تمام بشرح المرزوقي ٩٤٥/٢ وأمالى القالي ٢٧٦/١ وزهر الآداب

٦٦٥/٢ وفي ط « السهل والأجبال » وهو تحريف

(٥) ديوانه ٣٧٣ « وقفنا قلنا بعد أن أفرد الندى »

المدح والثناء ، إذا أتت^(١) في غير حينها ، وفي غير وقت الحاجة إليها ، وكثيراً ما يضرُّ المطر إذا كانت هذه حاله .

وإن كان أبو تمام لم يُرد هذا القسم ، وإنما أراد القسم الآخر فقد قصّر^(٢) في العبارة والشرح ، ألا ترى إلى قول الشاعر الأول ما أحسن ما شَرَطَ ! وهو طَرَفَةٌ :

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرِّبْعِ وَدِيمَةُ تَهْمِي^(٣)
قال : « غير مفسدها » لما دعا لها بالسقيا التي تدوم .

وقال البحتري :

أَلَحَّ جُودًا فَلَمْ تَضُرُّ سَحَابُهُ وَرُبَّمَا ضَرَّ عِنْدَ الْحَاجَةِ الْمَطَرُ^(٤)
وقول أبي تمام : « ما يقال في السحابة تفلح » يحتاج إلى تفسير مع صرّفته [المعنى]^(٥) .

٢٦- وقال العباس بن الأحنف :

سَاطِبُ بُعْدِ الدَّارِ عَنْكُمْ لِيَتَقَرَّبُوا وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ اللَّمُوعُ لِيَتَجَمَّدَا^(٦)
أخذه الطائي فقال :

أَأَلِفَةُ النَّجِيبِ ، كَمْ افْتِرَاقٍ أَظَلَّ فَكَانَ دَاعِيَةً اجْتِمَاعٍ^(٧)
وبيت الأعرابي - وهو عُرُوفَةُ بْنُ الْوَرْدِ- أجود من بيتيهما [ومنه أخذا] :

(١) ط « نزلت »

(٢) ط « الآخر فقط ، فقصر » !

(٣) ديوانه ٦٢ « فنى بلانك » ومعاهد التنخيص ٣٦٢/١

(٤) ديوانه ٩٥٦/٢

(٥) من ك

(٦) البيت للعباس في دلائل الإعجاز ٢٠٧ ومعاهد التنخيص ٥١/١ والوساطة ٢٢٩ وصبح الأعي ٢٥٨/٢ وهو غير منسوب في الكامل ١٧٣/١ وفي ك : « قيل عمرو بن لجأ »

(٧) ديوانه ١٩٣ وشرح التبريزي ٣٣٦/٢ والوساطة ٢٢٩ والصبح المنى ١٥١ والكامل ١٧٤/١ وعيون الأخبار ٢٣٤/١ والمصنعتين ٢٢٠ وأمال المرتضى ٢٥٦/٢

تَقُولُ سُلَيْمَى : لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنَا وَلَمْ تَذِرْ أَنِّي لِلْمَقَامِ أَطَوَّفُ^(١)
 ٢٧- وقال أبو تمام :

أَسْرِبُلُ هُجَرَ الْقَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ إِذَا لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي^(٢)
 أخذ المعنى من قول بعض الخوارج^(٣) وَسَامَهُ قَطْرِيُّ بْنُ الْفَجَاءَةِ قِتَالَ
 الحجاج فأبى ؛ لأن الحجاج كان مَنْ عَلَيْهِ ؛ فقال :

أَقَاتِلُ الْحَجَّاجَ عَنْ سُلْطَانِهِ بَبْدُ تُقِرُّ بِأَنِّهَا مَوْلَاتُهُ^(٤)
 إِنِّي إِذَا لَأَخُو الدَّنَاءَةِ وَالَّذِي عَفَّتْ عَلَى إِحْسَانِهِ جَهْلَاتُهُ
 مَاذَا أَقُولُ إِذَا وَقَفْتُ إِزَاءَهُ فِي الصَّفِّ وَاحْتَجَّتْ لَهُ فَعَلَاتُهُ
 أَأَقُولُ : جَارَ عَلَى ؟ لَا ، إِنِّي إِذَا لَأَخَى مَنْ جَارَتْ عَلَيْهِ وَلَاتُهُ
 وَيُحَدِّثُ الْأَقْوَامُ أَنَّ صَنَائِعًا غُرِسَتْ لَدَيَّ فَحَنَظَلَتْ نَخْلَاتُهُ
 ٢٨- وقال قيس بن الخطيم :

قَضَى لَهَا اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا أَلْ خَالِقُ أَنْ لَا يُكِنِّهَا سَدَفُ^(٥)
 أخذه أبو تمام فقال :

فَنَعِمْتُ مِنْ شَمْسٍ إِذَا حُجِبَتْ بَدَتْ مِنْ نُورِهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ تُحَجَّبْ^(٦)

- (١) ديوان حروة ٩٣ والكامل ١٧٣/١ والوساطة ٢٢٩ والأغانى ١٩٤/٢
 وغير منسوب في عيون الأخبار ٢٣٤/١ والصناعتين ٢٢٠ ومعاهد التنصيص ٥٢/١ وفي الأغانى
 والديوان ، ك : « لو أقمت لمرنا »
 (٢) ديوانه ١٢٩ وشرح التبريزى ١١٦/٢ « أأليس » وأخبار أبي تمام ٢٠٤ ودلائل الإعجاز
 ٣٨٣ ومعاهد التنصيص ٣٦/١ وزهر الآداب ٨٥٥/٢
 (٣) هو عامر بن حطان الشارى ، كما في إعتاب الكتاب ٢٦ وغرر الخصائص ٢٣٩
 (٤) زهر الآداب ٨٥٥/٢ لعمران بن حطان ، وغير منسوبة في تهذيب تاريخ ابن صاكر
 ٦٧/٤ وأخبار أبي تمام ٢٠٥ والأول والثالث كذلك في الصناعتين ٢١٥ ودلائل الإعجاز ٣٨٣ وانظر
 بقية القصيدة في غرر الخصائص
 (٥) ديوانه ١٧ والأصمعيات ٢٢٧ والأغانى ١٦٨/٢ والمختار من شعر بشار ١٤٢ ومجموعة
 المعانى ٢١٣ والصناعتين ١٩٨ والوساطة ٢٩٧
 (٦) ديوانه ١٢ وفي شرح التبريزى ١٠١/١ « أى نعت من جارية كالشمس في حسن وجهها
 ونورها إلا أنها إذا حُجِبَتْ خرق نور وجهها الحجاب فبدت ، والشمس بخلاف ذلك »

أو أخذه من قول أبي نواس :

تَرَى ضَوْءَهَا مِنْ ظَاهِرِ الْكَأْسِ ظَاهِرًا عَلَيْكَ ، وَلَوْ غَطَّيْتُهَا بِغِطَاءٍ^(١)

٢٩- وقال مسلم بن الوليد :

يُصِيبُ مِنْكَ ، مَعَ الْأَمَالِ ، طَالِبُهَا حِلْمًا وَعِلْمًا وَمَعْرِفًا وَإِسْلَامًا^(٢)

أخذه أبو تمام فقال وأبر^(٣) عليه وإن كان بيت مسلم أجمع للمعنى :

تَرَى بِأَشْبَاحِنَا إِلَى مَلِكٍ نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدَبِهِ^(٤)

٣٠- وقال أبو نواس :

تَبْكِي الْبَدُورُ لَضَحْكِهِ وَالسَّيْفُ يَضْحَكُ إِنْ عَبَسَ^(٥)

أراد بالبدور [ههنا] جمع بَدْرَة . أخذه أبو تمام وقصر عنه فقال :

كُلُّ يَوْمٍ لَهُ وَكُلُّ أَوَانٍ خُلِقَ ضَاحِكٌ وَمَالٌ كَثِيبٌ^(٦)

فبإزاء هذا البيت قول أبي نواس : « تبكي البدور لضحكه » وقوله :

« والسيف يضحك إن عبس » فَضَّلَ .

٣١- وقال جرير :

« وَهَنْ أَضْعَفُ خَلَقَ اللَّهُ أَرْكَانًا »^(٧)

أخذه أبو تمام فجعله في [وصف]^(٨) الخمر ، فقال :

(١) ديوانه ٥٤ ط الحلبي ، والوساطة ٢٩٧ وفي هامش ك « في شمره : ساطعاً عليه »

(٢) ديوانه ٥٦

(٣) ط « وبرز »

(٤) ديوانه ٥٢ وشرح الصولي ٢٧٦/١ والموشح ٣٢٦ وأخبار أبي تمام ١٧٧

(٥) شرح التبريزي ٢٩٩/١ ولم يرد في ديوانه

(٦) ديوانه ٥٨ وشرح التبريزي ٢٩٩/١

(٧) صدره : « يصرعن ذا اللب حتى لا ضراع به » ديوانه ٥٩٥ وشرح التبريزي ٣٤/١

والشعر والشعراء ١٢/١

(٨) من ك

وَصَعِيفَةٌ فَإِذَا أَصَابَتْ فُرْصَةً قَتَلَتْ ، كَذَلِكَ قُدْرَةُ الضَّعْفَاءِ
 ٣٢- وقال رجل من بني أسد ، وكان أبو عبد الله الحرشي ^(١) أحد شعراء الشاميين أنشدنيهِ لبعض شعراء بني أسد :

تَغَيَّبْتُ كَيْ لَا تَجْتَوِيَنِي دِيَارُكُمْ وَلَوْ لَمْ تَغِبْ شَمْسُ النَّهَارِ لَمَلَّتْ ^(٢)
 [وظننته مصنوعاً حتى وجدت عبد الله بن المعتز بالله ، ذكر في كتابه المؤلف في سرقات الشعراء عجز هذا البيت [وهو] ^(٣) : • ولو لم تغب شمس النهار لملت • للكُميت ابن زيد] ^(٤)

أخذه الطائي فقال :

فإني رأيتُ الشمسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسِرْمٍ ^(٥)
 فأما قول القائل ^(٦) :

فإني رأيتُ القَطَرَ يُسَامُ دَائِباً وَيُسَالُ بِالْأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَ ^(٧)
 فمن أبي تمام أخذه ؛ لأنه متأخر بعده .

٣٣- وقال مسلم بن الوليد :

مُوفٍ عَلَى مُهْجٍ فِي يَوْمِ ذِي رَهْجٍ كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ ^(٨)

(١) ط « الحرشي » و م « الحوشي »

(٢) ط « لا تحتويني »

(٣) من ك

(٤) الشطر للكُميت في ديوان المعاني ٢٣٩/٢

(٥) روضة العقلاء ٩٧ وفي ط وديوانه ١٠١ وشرح التبريزي ٢٣/٢ « إلى الناس » وكذلك في

أخبار أبي تمام ٦١ والموشى ٢٨ ونهاية الأرب ٤٢/١ وديوان المعاني ١٩٠/٢ وأسرار البلاغة ١١٢ وفي ط ، م : « إلى الخلق »

(٦) ط « قول الإيادي »

(٧) غير منسوب في الموشى ٢٨ وروضة العقلاء ٩٧ وديوان المعاني ٢٣٩/٢ وفي م « دائماً »

وفي ك « ويطلب » وقبله :

عليك بإقلال الزيارة إنها تكون متى دامت إلى الحجر مسلماً

(٨) ط « على نهج » وفي ديوانه ٩ « واليوم ذو » يقول : هو موف على مهج يوفى عليها بالقتل

في يوم ذي رهج ، أي غبار من الحرب ، يعمل في الناس عمل الأجل في الأمل .

فأخذه الطائي فقال وقصر :

رَأَاهُ الْعِلْجُ مُقْتَحِمًا عَلَيْهِ كَمَا اقْتَحَمَ الْفَنَاءُ عَلَى الْخُلُودِ^(١)

٣٤- وقال قطري بن الفُجاعة :

نَمْ أَنْفَنَيْتُ وَقَدْ أَصَبْتُ وَلَمْ أَصَبْ جَذَعَ الْبَصِيرَةَ قَارِحَ الْإِقْدَامِ^(٢)

أخذه أبو تمام فقال - [وكانه عكس المعنى وكلامه اجيد حسن] - :

وَمُجَرَّبُونَ سِقَامُهُمْ مِنْ بَأْسِهِ فَلِذَا لُقُوا فَكَانَتْهُمْ أَغْمَارُ^(٣)

وقد كرر هذا المعنى في بيت آخر فقال :

كَهَلُ الْأَنَاةِ فَتَى الشَّدَاةِ ، إِذَا غَدَا لِلْحَرْبِ كَانَ الْمَاجِدَ الْغِطْرِيغَا^(٤)

٣٥- وقال الآخر :

يَبِيعُ وَيَشْتَرِي لَهُمْ سَوَاهِمَ وَلَكِنْ بِالطَّعَانِ هُمْ تِجَارُ

أخذه^(٥) الطائي فقال وقصر وغير المعنى وجاء بغرض آخر :

لُفْظُ لِأَخْلَاقِ التُّجَّارِ ، وَلَهُمْ لِيَغْدِي بِمَا ادَّخَرُوا لَهُ لَتِجَارُ^(٦)

(١) ديوانه ١٠٥ وشرحه ٣٧/٢

(٢) من أبيات في حسانة أبي تمام بشرح المرزوقي ١٣٨/١

(٣) ديوانه ١٤٨ وفي شرح التبريزي ١٨٧/٢ « كسر الراء أبلغ من فتحها . سقام من بأسه :

أي ركب فيهم من طبعه من النجدة والثبات فإذا لقوا في الحرب فكأنهم أغمار ، أي لم يجربوا الأمور »

(٤) ديوانه ٢٠٧ وشرح التبريزي ٣٨٢/٢ « كان القشيم » والقشيم : المن . والشداة : بأس

الرجل ونفاذه . والغطريف : الحدث . يقول : يتأني في الأمور تأني الشيخ ، ويعجل إلى البأس عجلة

الشاب ، فهو مسن حدث في الحالين » .

(٥) ط « ويروى بالرماع أخذه . . . »

(٦) لقد كتب تحتها في « خ : لفدا » كما في ط . وهما روايتان .

ويروى : « لفدا بكسب الصالحات » وفي ديوانه ١٤٨ « ولهم بكثير ما فضلوا به لتجار »

وقد شرح الشيخ « محمد محي الدين » البيت على رواية الأصل فأخطأ في شرحه إذ يقول : « يعني أنهم

يتكون أخلاق التجار لدناهم ، ولكنهم لكثرة ما أحرزوا من الهامد والمكرمات ولكثرة ما اكتسبوا

بها من ثناء وحمد ، يشبهون التجار فقد اشتروا حمد الناس وثناهم عليهم بكرم مجايهم ، فكانوا

الراغبين » والصواب ما قاله التبريزي في شرحه ١٧٨/٢ « أي يلفظون أخلاق التجار في الدائمة وتبقى =

٣٦- وقال أبو نؤاس يمدح الخصيب :

فما جازُهُ جودٌ ، ولا حلَّ دونهُ ولكن يصيرُ الجودُ حيثُ يصيرُ^(١)

أخذه أبو تمام فقال [يمدح بن أبي دؤاد ، فقصر عنه] :

إليك تناهى المجدُّ من كلِّ وجهةٍ يصيرُ فما يعدُّوك حيثُ نصيرُ^(٢)

٣٧- وقال جرير بهجو الأخطل :

مازلتَ تحسبُ كلَّ شيءٍ بعدهم خيلاً تكرُّ عليكم ورجالاً^(٣)
أخذه أبو تمام فقال :

حيرانَ يحسبُ سجعُ النقع من دهشٍ سقيفاً يحاذرُ أن ينقضَّ أو جرفاً^(٤)
وأخذ جرير المعنى من قول الله تعالى : ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو﴾^(٥)

٣٨- وقال مسلم بن الوليد يرثى :

سلكتُ بكِ العربُ السبيلَ إلى العلى حتى إذا سبقَ الردى بكِ حاروا^(٦)

= النظر فيما يتعلق بمناخ الدنيا ، لكنهم مع ذلك تجار بالأعمال الصالحات لترجمهم عند الله سبحانه »
وفى هامش ك « ع ، سماعى : لقد بكسب الصالحات تجار » وهى نهى فى المعنى الذى ذهب إليه
التبريزى .

(١) ديوانه ٩٩ والواسطة ٢٨٤ وفى ط « يسير . . . يسير »

(٢) ديوانه ١٦٠ وفى شرح التبريزى ٢١٨/٢ « تقديره : يصير حين نصير فما يعدوك »

(٣) ديوانه ٤٥١ ونقائض جرير والأخطل ١٨٩ والمختار من شعر بشار ٩ والحيوان ٢٤٠/٥

وشرح شواهد الشافية ١٢٥ وشرح شواهد المعنى للسيوطى ٢٢٧ وهو غير منسوب فى الصناعتين ٢٢١ وحماة
البحرئى ٢٦١ ومشكل القرآن ٧ وديوان المعانى ١/١٩٥ ونهاية الأرب ٣/٣٥٦ . وفى ك : « عليهم »
(٤) ط : « نقي مجاز » وفى ديوانه ٢٠٢ وشرح التبريزى و ك ٣٦٩/٢ « طوداً » وفيه :

« السجع : بمعنى الستر ، والنقع : الفبار ، والطود : الجبل . يقول : هذا المنهزم من خوفه يحسب
أن ستر الفبار طود يريد أن ينقض عليه أو جرف واد ، لأنه الجرف من شأنها أن تنهار »

(٥) سورة المنافقين : ٤ وقد أخذ المؤلف فكرة أخذ جرير لمعنى الآية من ابن قتبية فى مشكل

القرآن ٦

(٦) ترجمته من كتاب الأغاني الملحقه بآخر الديوان ٢٣٨ « حتى إذا بلغ المدى » ويروى :

« سبق المدى » وفى ط « داروا » وانظر الشعر والشعراء ٨١٧/١ وشرح ديوان الحماسة للمرزوق

نفضت بك الأحلاس نفص إقامة واسترجعت نزعها الأمصار^(١)

[أخذه^(٢) مسلم من قول النابغة :

وإن يهلك النعمان تعر مطية وتخبأ في جوف العباب قطوعها^(٣)

أخذه أبو تمام فقال :

توفيت الآمال بعد محمد فأصبح في شغل عن السفر السفر^(٤)

أو أخذ ذلك من [قول] أبي سلمى يرثي ذفافة العيسى كما ذكر دجيل^(٥)

٣٩- وقال توبة بن الحمير :

يقول أناس : لا يضريك نايها بلى كل ما شف النفوس يصيرها^(٦)

أخذه أبو تمام فقال وزاد فيه :

لا شيء ضائر عاشق ، فإذا نأى عنه الحبيب فكل شيء ضائر^(٧)

٤٠- وقال عنتره :

فشكنت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا محرم^(٨)

(١) النزاع : جمع نازع ، وهو البعيد والغريب . يعنى أن المقيم موضعه رفض الترحال بعد موته ، والمسافر عاد إلى مقره يأساً من كسب المال .

وفى هامش ك فى قال ع : فى كتابي : « نفضت بك الأيام أحلاس المنى » .

(٢) فى « لا ليس هذا أخذه »

(٣) ديوانه ٧٣ « ويلقى إلى جنب الفناء قطوعها » والقطوع : جمع قطع ، وهى الطنفسة تكون تحت الرجل على كفى البعير . يقول : إن هلك النعمان ترك كل واقد الرحلة ولم يستعمل مطيته ورى بأدواتها إلى جنب الفئار استغناء عنها . وما بين القوسين من م

(٤) ديوانه ٣٦٨

(٥) راجع ص ٦٩ - ٧٠

(٦) أمالى القالى ٨٨/١ والشعر والشعراء ٤١٣/١ وفى ط « لا يضرك »

(٧) ديوانه ١٥٥ وشرح التبريزى ٢١٠/٢

(٨) شرح القصائد العشر ١٩٦ وفى ط « الرمح الطويل » وهما روايتان .

أخذه أبو تمام فقال :

يَحْمِلُنَ كُلُّ مُدَجَّجٍ ، سُمُّ الْقَنَا بِإِهَابِهِ أَوَّلِي مِنَ السَّرِبَالِ ^(١)
قال ذلك لأنه ظن أن عنتره أراد الثياب نفسها ، وإنما أراد عنتره بقوله
«ثيابه» نفسه .

٤١- وقال مسلم بن الوليد :

يَكْسُو السِّبْوَ نَفُوسَ النَّاكِثِينَ بِهِ وَيَجْعَلُ الْهَامَ تَيْجَانَ الْقَنَا الذُّبْلِ ^(٢)
أخذه أبو تمام - وأساء الأخذ وتعسف اللفظ - فقال :
أَبْدَلَتْ أَرْؤُسَهُمْ يَوْمَ الْكَرْبَةِ مِنْ قَنَا الظُّهُورِ قَنَا الْخَطَى مُدْعَمًا ^(٣)
أو أخذنا المعنى جميعاً من قول جرير :
كَانَ رُؤُوسَ الْقَوْمِ فَوْقَ رِمَاحِنَا غِدَاةَ الْوَعَى تَيْجَانُ كَسْرَى وَقِيسِرَا ^(٤)
٤٢- وقال امرؤ القيس :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَمَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُو حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ ^(٥)
أخذه أبو تمام ، وعدل به إلى وجه المديح ، فقال :
مِمَّا لِلْعُلَا مِنْ جَانِبَيْهَا كُلَيْهَا سُمُو عُبابِ الْمَاءِ جَاشَتْ غَوَارِبُهُ ^(٦)

(١) ديوانه ٢٦١

(٢) ديوانه ١٠ « دماء الناكثين » وعجزه في ديوان المعاني ٧١/٢ . يريد بقوته يكسو السيوف
دماء الناكثين به ، أى يطلّبها بدمائهم ، فجعل تلك الدماء كسوة لسيفه ، ومن روى يكسو السيوف
رؤوس الناكثين ، أى يحمل السيوف على رؤوس الناكثين ، ويجعل الهام تيجان القنا الذبل : أى يجعل
الرؤوس في أسنة الرماح .

(٣) ديوانه ٣٠٣ وفي الوساطة ٢٢٤ « وقد عد هذا من سرقات أبي تمام ولست أراه كذلك ؛ لأنه
ليس فيه أكثر من رفع الرؤوس على القنا ، وهذا مشترك لا يسرق ، فأما إبدال القنا بقنا فلم يمرض له
مسلم ولا جرير ، وهى ملاحظة بعيدة . وأقرب من ذلك إليه قول أبي تمام :

من كل فئمة غطت ضفائرها صدر القناة فقد كانت ترى علما »

(٤) الوساطة ٢٢٣ وعجزه في ديوان المعاني ٧١/٢

(٥) ديوانه ١٤٠ والشعر والشعراء ٨٥/٢

(٦) ديوانه ٤٥ وشرح التبريزي ٢٣٤

وما قبل في إخفاء الحركة والدبيب أبلغ ولا أبرع من بيت امرئ القيس
هذا .

- ٤٣- وقال الفرزدق يهجو جريراً :
أنتم قرارة كل مدفع سوعة ولكل سائلة تسيير قرار^(١)
أخذ أبو تمام اللفظ والمعنى جميعاً فقال :
وكانت لسوعة ثم اطمأنت كذاك لكل سائلة قرار^(٢)
٤٤- وقال محمد بن بشير الخارجي - من خارجة عدوان - :
ولإذا رأيت شقيقه وصديقه لم تدري أيهما ذوو الأرحام^(٣)
فأخذه أبو تمام فقال :
فلو أبصرتهم والزائريهم لما ميزت البعيد من الحميم^(٤)
فقصر عن الأول .

- ٤٥- وقال بعض الأعراب يصف المصلوب^(٥) ، أنشدته ثعلب :
قام ولما يستعين بساقه آلف مثنواه على فراقه^(٦)
كأنما يضحك في أشداه^(٧) .

(١) ديوانه ٤٦٨/٢ «دافعة تير» وفي ديوان المعاني ١٧٥/١ «كل معدن ... تسيل قرار»
(٢) ديوانه ١٤١ وشرح التبريزي ١٥٣/٢ وفي ديوان المعاني «وكانت زفرة»
(٣) من أبيات له في أمالي الزجاج ٨٩ ومعجم الشعراء ٤١٢ وحماة أبي تمام بشرح التبريزي
٨٠٩/٢ ورويت لعمر بن عمير في معجم الشعراء ٢٤٥ ولابن هرمة في البيان والتبيين ١/١٦٨ ،
٣٣٣٢/٢
(٤) ديوانه ٢٨٩ وفي ط «الحميم من البعيد»
(٥) في الكامل ٧٦٢/٢ «وقال آخر في صفة مصلوب وهو يزيد المهلبى» وفي التشبيهات ٢٤
لابن الروي
(٦) بعده في التشبيهات :
كانه في السج من وثاقه رأى حبيبا م باعتناقه
(٧) في الكامل : «أراد بياض الشريط في فيه» وفي ط «في إشرافه»

فأخذ. أبو تمام قوله : « آلف مشواه على فراقه » فقال :

لا يَبْرَحُونَ وَمَنْ رَأَاهُمْ خَالَهْم أَبَدًا عَلَى سَفَرٍ مِنَ الْأَسْفَارِ^(١)

٤٦- وقال مسلم بن الوليد وهو معنى سَبَقَ إليه :

لا يَسْتَطِيعُ يَزِيدُ مِنْ طَبِيعَتِهِ عَنْ الْمُرُوءَةِ وَالْمَعْرُوفِ إِحْجَامًا^(٢)

أخذ أبو تمام المعنى فكشفه وأحسن اللفظ وأجاده ، فقال :

تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ دَعَاها لِقَبْضٍ لَمْ تُجِبْهُ أَنَامِلُهُ^(٣)

٤٧- وقال ذو الرمة :

وَلَيْلٌ كَجَلْبَابِ الْعُرُسِ أَدْرَعَتْهُ بِأَرْبَعَةٍ وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدٌ^(٤)
أَحْمُ عِلَافِي ، وَأَبْيَضُ صَارِمٌ وَأَعْبَسُ مَهْرِي ، وَأَرْوَعُ مَاجِدُ

أخذه أبو تمام [فقال] وقصّر وليس هو المعنى بعينه :

الْبَيْدُ وَالْعَيْسُ وَاللَّيْلُ التَّمَامُ مَعًا ثَلَاثَةٌ أَبَدًا يُتَمَرَّنُ فِي قَرَنِ^(٥)

والذي تبع ذا الرمة فأحسن الاتباع [الوليد بن عبيد] البحترى في قوله :

(١) ديوانه ١٥٤ وفي شرح التبريزي ٢٠٨/٢ « لسواد وجوههم وتشمرهم »

(٢) ديوانه ٥٥ يمدح يزيد بن مزيد الشيباني ، وفيه : « عن المنية » أى لا يستطيع يزيد من طبيعته انصرافاً عن التقمى للمنية في الحرب ، لا عدولاً عن العطاء

(٣) ديوانه ، لك ٢٣٢ « ثناها . . . لم تطعه »

(٤) مجموعة المعاني ١٩٠ ونثار الأزهار ١٥ ، ١٩ وديوان المعاني ٣٤٢/١ والصناعتين ٢٣٣ ،

٢٤٧ وأمالى المرتضى ٥٤٨/١ وأخبار أبي تمام ٨٣ والعمدة ٢٦٧/١ واللسان ١٦٢/٧ والحيوان

٢٥٠/٣

شبه سواد الليل بجلباب العروس وهو أخضر ، والخضرة الشديدة واجمة إلى السواد ولذلك تجمع العرب بينه وبين الخضرة . وجاء في ديوانه : « جبت الليل بأربعة » ثم فسر الأربعة فقال : أحمر ، أسود ، يعنى الرجل . عِلَافِي : منسوب إلى عِلَافٍ حى من العرب يعملون الرجال . والأبيض : سيف صارم قاطع . والأعيس : الأبيض ، يعنى بعيره . وأشعث يعنى نفسه . والماجد : الكثير المفاخر ، هذه الأربعة شخصها في العين واحد لاجتماعها في سواد الليل والمهرى من الإبل : منسوب إلى مهرة حى من عرب اليمن . والأروغ : الذى يروغك بجماله وهيبته .

(٥) الصناعتين ٢٣٣ وأخبار أبي تمام ٨٢ وفي ديوانه ٣٣٤ « العيس والهم والليل »

يَا خَلِيلِي بِالسَّوَابِ مِنْ وَدِّ بْنِ مَعْنٍ وَيُحْتَرُّ بْنُ عُثُودٍ^(١)

أَطْلُبَا ثَالِثًا سِوَايَ فَلَأَنِّي رَابِعُ الْعَيْسِ وَالْدُّجَى وَالْيَبِيدِ^(٢)

٤٨- وقال النابغة الذبياني ، وكان الأصمعي يتعجب من جودته :

وَعَبَّرَنِي بَنُو ذُبْيَانَ رَهْبَةً وَهَلْ عَلَى بَأْسٍ أَخْشَاكَ مِنْ عَارٍ^(٣)

أخذه أبو تمام فقال وزاد [فيه] ذكر الموت :

خَضَعُوا لِصَوْلَتِكَ الَّتِي هِيَ عِنْدَهُمْ كَالْمَوْتِ يَا أَيُّ لَيْسَ فِيهِ عَارٌ^(٤)

٤٩- وقال كعب بن زهير بمدح قريشاً :

لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلٌ^(٥)

أخذه أبو تمام - على ما ذكر^(٦) بعض الرواة - فقال يرثي بني حُمَيْد :

لَوْ خَرَّ سَيْفٌ مِنَ الْجَوْزَاءِ مُنْصَلِتٌ مَا كَانَ إِلَّا عَلَى هَامَاتِهِمْ يَقَعُ^(٧)

ويروى الشاميون أن أبا تمام سئل عن هذا المعنى ، فقال : أخذته من

قول نادية : لو سقط حجر من السماء على رأس يتيم ما أخطأ .

فأما قول كعب : « لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ » فإنه [إنما]^(٨)

أراد أنهم لا يولون الدبر ، وليس من معنى أبي تمام في شيء .

(١) ديوانه ٦٩٢

(٢) الصناعتين ٢٣٤ وأخبار أبي تمام ٨٣

(٣) ديوانه ٥٨ وفي ط ، ك « خشية » وهما روايتان .

(٤) ديوانه ١٤٦ وشرح التبريزي ١٧٠/٢ وفيهما « خشموا » وأخبار أبي تمام ٩٩

(٥) ديوانه ٢٥ « ما إن لم » قال السكري : « يقال : هلك الرجل : إذا جبن في حمله . قال

الأصمعي : لا يفرون ولا ينهزمون فيقع الطعن في نحورهم . وقال غيره هلك الرجال : إذا هرب . وإنما

أراد أنهم يواجهون القتال » وفي ك : « ليس لهم »

(٦) ط « كما قال لي بعض »

(٧) في الموضح ٣٢٣ وأخبار أبي تمام و ط و ك : « من الميق منصلتنا » وفي ديوانه ٣٧١

« منصلت »

(٨) من ك

٥٠- وقال [أبو تمام] يصف الراية :

تَخَفِيقُ أَثْنَاوِهَا عَلَى مَلِكٍ يَرَى طِرَادَ الْأَبْطَالِ مِنْ طَرَدِهِ^(١)

أخذه من قول أبي نواس :

تَعْدُّ عَيْنَ الْوَحْشِ مِنْ أَقْوَاتِهَا^(٢)

وأخذه أبو نواس من قول أبي النجم :

تَعْدُّ عَانَاتِ اللَّوْىِ مِنْ مَالِهَا^(٣)

٥١- وقال أبو تمام يستهذى نبيذاً :

وَهَى نَزْرٌ لَوْ أَنَّهَا مِنْ دُمُوعِ الصَّبِّ لَمْ تَشْفِ مِنْهُ حَرَّ الْقَلِيلِ^(٤)

أخذه من قول الآخر أو أخذه الآخر منه ، والمعنيان متشابهان :

لَوْ كَانَ مَا أَهْدَيْتُهُ لِنَمِيدٍ لَمْ يَكْفِ إِلَّا مُقْلَةً وَاحِدَةً^(٥)

٥٢- وقال يصف [غناء]^(٦) مغنية تغنى بالفارسية :

وَلَمْ أَفْهَمْ مَعَانِيَهَا ، وَلَكِنْ وَرَتْ كَبِدِي فَلَمْ أَجْهَلْ شَجَاهَا^(٧)

أخذه من قول الحسين بن الضحاك [الخليل] على ما في قول الخليل من

المنافضة :

(١) ديوانه ٩٣ أثناؤه أى أعطائه . وفي شرح التبريزي ٤٤١/١ « تخفق أفياءه » قال المرزوقي :
أى أفياء هذا الملم ، فقاتلة الشجعان عنده صيد »

(٢) الشعر والشعراء ٥٨٧/٢ وديوانه المأني ١٠٩/٢ « غير الوحش » وديوانه ٢٠٩ وقبله :
بأكلب تمرح في قاداتها »

(٣) الشعر والشعراء ٥٨٧/٢

(٤) ديوانه ٤٠٧ وأخبار أبي تمام ١٨٥

(٥) البيت لأبي مالك الراسي ، كما في أخبار أبي تمام ١٨٦

(٦) من ك

(٧) ديوانه ٤٦٧ الكامل ٨٥٢/٣ وديوانه المأني ٣٢٥/١ وأخبار أبي تمام ٢١٤ وزهر

الآداب ١٥٢/١ وفي ط « شجت كبدي »

وما أفهم ما يعنى مُغْنِنَا إِذَا غَنَى^(١)
سوى أننى من حُبِّى له أَسْتَحْسِنُ الْمَعْنَى

لأنه قال : « وما أفهم ما يعنى [مغنيننا] » ثم قال : « أَسْتَحْسِنُ الْمَعْنَى » وإنما أراد بالمعنى اللحن ، لا معنى القول .

وأجود من ذلك كله قول حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ يصف الحمامة :
ولم أرَ مثلى شاقه صوتٌ مثْلِها ولا عَرَبِيًّا شاقه صوتٌ أَعْجَمَا^(٢)

٥٣ - وقال الفرزدق يري امرأة كانت^(٣) حاملا :

وَجَفَنَ سِلَاحٌ قَدْ رُزِئْتُ فَلَمْ أَنْحُ عَلَيْهِ وَلَمْ أَبْعَثْ عَلَيْهِ الْبَوَاكِيَا^(٤)
وَفِي بَطْنِهِ مِنْ دَارِمٍ ذُو حَفِيظَةٍ لَوْ أَنَّ الْمَنَايَا أَمَهَلْتَهُ لِيَالِيَا
أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَأَجَادَ الْأَخْذَ وَأَحْسَنَ اللَّفْظَ^(٥) وَأَصَابَ فِي التَّمْثِيلِ ،
فَقَالَ [يَرِئِي ابْنَيْنِ صَغِيرَيْنِ مَا تَا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ] ^(٦) :

لَهْفَى عَلَى تِلْكَ الْمَخَايِلِ فِيهِمَا لَوْ أَمَهَلْتُ حَتَّى تَكُونَ شَمَائِلَا^(٧)
إِنَّ الْهَلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نُمُوَّهُ أَيْقَنْتَ أَنْ سَيَكُونُ بَدْرًا كَامِلَا

٥٤ - وقال أبو تمام :

صَلْتَانِ أَعْدَاؤُهُ حَيْثُ حَلُّوا فِي حَدِيثٍ مِنْ ذِكْرِهِ مُسْتَفَاضٍ^(٨)

(١) أخبار أبي تمام ٢١٥

(٢) ديوانه ٢٧ وانظر تخريجه هناك وفي أخبار أبي تمام ٢١٥ والحيوان ١٩٧/٣

(٣) ط ، ك « امرأة له ماتت »

(٤) ديوانه ٨٩٤ « وغند سلاح » و « وجوفه من . . . أنسأته لياليا » وفي م « وفي طيه »

وانظر تخريجه في أخبار أبي تمام ٢٢٠

(٥) ط « فقال . . . وأجاد اللفظ وأحسن الأخذ »

(٦) الزيادة من ط

(٧) ديوانه ٣٨٠ « تلك الشواهد » و « أن سيمود بدراً » وانظر تخريجه في هامش أخبار أبي تمام

٢١٨ وأسرار البلاغة ١٢٢ طبع ريتز

(٨) ديوانه ١٨٧ وشرح التبريزي ٣١١/٢ « من عزمه » وصلتان : ماض في أمره وفي ط « حيث

كانوا » وهما روايتان .

فَأَخْطَأُ فِي قَوْلِهِ : «مُسْتَفَاضٍ» وَإِنَّمَا هُوَ مُسْتَفِيزٌ . وَقَدْ احْتَجَّ لَهُ
مُحْتَجٌّ بِأَنَّهُ قَالَ : أَرَادَ مُسْتَفَاضٍ فِيهِ ، وَإِنَّمَا جَعَلَهُمْ يُفَيِّضُونَ فِي ذِكْرِهِ لَأَنَّهُمْ
أَبَدًا عَلَى حَالٍ وَجَلٍّ وَاحْتِرَاسٍ مِنْ إِيْقَاعِهِ بِهِمْ ؛ فَهُمْ لَا يَقْطَعُونَ ذِكْرَهُ لَشِدَّةِ
الْخَوْفِ مِنْهُ ، أَلَا تَرَاهُ قَالَ : «حَيْثُ حَلُّوا» أَيْ : هُمْ بِهَذِهِ الْحَالِ قَرِيبًا
كَانَتْ دَارُهُمْ مِنْهُ أَوْ بَعِيدَةً ؟

وَأَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِ [الْأَعَشَى] أَعَشَى بِأَهْلَةٍ يَرْتِي أَخَاهُ لِأُمِّهِ
الْمُنْتَشِرُ :

لَا يَأْمَنُ الْقَوْمُ مُمَسَّاهُ وَمُضْبَحَهُ فِي كُلِّ فَجٍّ وَإِنْ لَمْ يَغْزُ يُنْتَظَرُ^(١)
أَوْ مِنْ قَوْلِ عُرْوَةَ الصَّعَالِيكِ :

وَإِنْ بَعُدُوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ تَشَوُّفَ أَهْلِ الْغَائِبِ الْمُتَنَظِّرِ^(٢)

وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ جَمِيعًا أَوْضَحُ^(٣) وَأَشْرَحُ وَأَجُودُ مِنْ بَيْتِ أَبِي تَمَامٍ .

وَقَدْ قِيلَ : إِنَّهُ أَرَادَ أَنَّ أَعْدَاءَهُ يُقَرُّونَ بِفَضْلِهِ ، وَيُفَيِّضُونَ فِي ذِكْرِ مَنَاقِبِهِ .
وَذَلِكَ مُحْتَمَلٌ ، وَالْمَعْنَى الْأَوَّلُ أَقْوَى [وَأَقْيَسُ] وَأَفْشَى فِي كَلَامِهِمْ .

٥٥ - وَقَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ :

شَرِبْنَا مِنْ فَوَادِ الدَّنِّ حَتَّى تَرَكْنَا الدَّنَّ لَيْسَ لَهُ فَوَادُ^(٤)

أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَصَّرَ عَنْهُ . فَقَالَ :

غَدَتْ وَهَى أَوْلَى مِنْ فَوَادِي بَعْزَمَتِي

وَرُحْتُ بِمَا فِي الدَّنِّ أَوْلَى مِنَ الدَّنِّ^(٥)

(١) طبقات فحول الشعراء ١٧٥ والكامل ١٢٣٠/٣ وجمهرة أشعار العرب ١٣٧ والأصعبيات

٩٢ والمكاثرة ١٤ وأمالى اليزيدى ١٧ وأمالى المرتضى ٢٣/٢ ومختارات ابن الشجري ١٠

(٢) ديوانه ٨٠ وفي طبعة مصر ٩٣ «تشوق»

(٣) م «أصح»

(٤) ديوانه ٥٢/٣ وفيه : «من بنات الدن»

(٥) ديوانه ٣٣٩

[وقال أبو نواس :

ما زلتُ آخذُ روحَ الزُّقْ في لطفٍ وأستبيحُ دماً من غيرِ معزوح^(١)
حتى غدتُ وليَ رُوحانٍ في بدني والدُّنُّ مطرَحُ جسمٍ بلا روح^(٢)

٥٦ - وقال الأخطل :

تَدِبُ دَبِيباً في العِظامِ كأنه دَبِيبُ نِمالٍ في نقاً يَتَهَيَّلُ^(٣)
أخذه أبو تمام فأقصد المعنى ، فقال :

إذا الرَّاحُ دَبَّتْ فِيهِ نَحِيبُ جِسْمِهِ لِمَا دَبَّ فِيهِ قَرِيَةٌ من قُرى النَّمْلِ^(٤)
٥٧ - وقال أبو دُوَادٍ الإيادي :

لا أَعُدُّ الإِقْتَارَ عُدْماً ولكنَّ فَقَدْ مَنْ قَدْ رُزِنَتْهُ الإِعْدَامُ^(٥)
أخذ أبو تمام صدر [هذا] البيت ، فقال :

لا يَحِسِبُ الإِقْلَالَ عُدْماً بَلْ يَرَى أَنَّ الْمُقِيلَ مِنَ الْمُرُوءَةِ مُعْلِمُ^(٦)
٥٨ - وقال أبو الهندي :

وتَرَى سُهَيْلاً في السماءِ كأنه ثَوْرٌ وَعَارَضُهُ هِجَانُ الرَّبْرِ^(٧)
أخذه أبو تمام فقال :

أَرَايَ من كَوَاكِبِهِ هِجَاناً سَوَاماً لا تَرِيعُ إلى المُسِمِ^(٨)

(١) ديوانه طبع الحلبي ٢٣٣ « روح الدن . . . وأستق دمه من جوف مجروح »

(٢) في ديوانه : « اثنتيت ... في جسد . . . جسمها »

(٣) في ديوانه ٤ وغير منسوب في ديوان المعاني ٣١٣/١ وفي ط « كأنها »

(٤) في ديوانه ٤٢٠ « إذا هي دبَّت في القفَى خال جسمه »

(٥) الأصمعيات ٢١٥ والشعر والشعراء ١٩١/١ والأغاني ٩٤/١٥ والخزانة ١٩٠/٤ ، ١٩١

(٦) ديوانه ٢٨٤

(٧) الأغاني ٢٧٦/٢١ « كأنه نور » وفي ط « يعارضه » وفي اللسان ٣٩٤/١ « الربرب :

القطيع من بقر الوحش »

(٨) ديوانه ٢٨٨ والهجاء هنا : البيضاء . والسلام : الإبل الذاهبة على وجهها حيث شامت في

المرعى . لا ترع : لا ترجع إلى راعيها وهو المسم . فشبها الكواكب التي يراعيها في ليله الطويل

٥٩- وقال أبو نواس :

شُقِقْتُ مِنَ الصَّبَا وَأَشْتُقُ مِنْى كما أَشْتُقُّ مِنَ الْكَرَمِ الْكَرُومُ^(١)

أخذه أبو تمام فقال :

أَلَدُّ مُصَافَاةٍ مِنَ الظِّلِّ فِي الضُّحَى وأَكْرَمُ فِي اللَّأْوَاءِ عُوْدًا مِنَ الْكَرَمِ^(٢)

٦٠- وقال مسلم بن الوليد :

تَحْمِضِي الْمَنَايَا كَمَا تَحْمِضِي أَسِنَّتَهُ كَأَنَّ فِي سَرْجِهِ بَدْرًا وَضِرْعَامًا^(٣)

أخذه أبو تمام فقال :

فَتَى مِنْ يَدَيْهِ الْبَأْسُ يَضْحَكُ وَالنَّدَى وَفِي سَرْجِهِ بَدْرٌ وَلَيْثٌ غَضَنْفُرُ^(٤)

٦١- وقال ابن هرمة :

اسْتَبَقَ عَيْنَيْكَ لَا يُودِ الْبُكَاءُ بِهِمَا وَانْكَفَفَ بَوَادِرَ مِنْ عَيْنَيْكَ تَسْتَبِقُ^(٥)
لَيْسَ الشُّوْنُ وَإِنْ جَادَتْ بِبَاقِيَةٍ وَلَا الْجُفُونُ عَلَى هَذَا وَلَا الْحَدَقُ

أخذه أبو تمام فقال^(٦) :

فَمَا يَبْقَى عَلَى إِذْمَانٍ هَذَا وَلَا هَذَا ، الْعُيُونُ وَلَا الْقُلُوبُ^(٧)

٦٢- وقال أبو تمام بهجو السراج :

يَا أَبْنَ الْخَبِيثَةِ لِمَ تُعْرِضُ صَخْرَةً صِهْمًا مِنْ مَجْدَى بِعَرِضِ زُجَاجٍ؟^(٨)

(١) ديوانه ٣٠٧ ط الحلبي

(٢) ديوانه ٤١١ وفي م « وألزم » وهو تحريف

(٣) ديوانه ٥٤ والكامل ٧٦١/٢

(٤) ديوانه ١٥٩ وشرح التبريزي ٢١٥/٢

(٥) في ط بعد هذا البيت : « أخذه أبو تمام فقال ! وفي ك : « استبق دمعك »

(٦) في ط بدل هذه العبارة « وقال أيضاً »

(٧) ط « ولا يبقى »

(٨) ط « بعرض » ديوانه ٣٢٩

أخذه من قول الآخر وأظنه بشاراً :

أَرْفُقْ بَعْمَرٍ إِذَا حَرَّكَتَ نَسْبَتَهُ فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ مِنْ قَوَارِيرِ^(١)

٦٣ - وقال [العدليل بن الفرّج] :

مَهَامِهِ أَشْبَاهُ كَأَنَّ سَرَابَهَا مُلَاءٌ بِكَفِ الْغَاسِلَاتِ رَحِيضُ^(٢)
أخذه أبو تمام فقال :

وَبِسَاطٍ كَأَنَّمَا الْآلُ فِيهِ وَعَلَيْهِ سَحْلُ الْمَلَاءِ الرَّحِيضُ^(٣)
٦٤ - وقال أبو تمام :

فَاشْمَعَلُوا يُلْجَلِجُونَ دُؤْباً مُضْغاً لِلْمَكَالَلِ فِيهَا أَنْيْضُ^(٤)
أخذه من قول زهير :

تُلْجَلِجُ مُضْغَةً فِيهَا أَنْيْضُ أَصْلَتْ فَهِيَ تَحْتَ الْكَشْحِ دَاءُ^(٥)
٦٥ - وقال أبو نواس :

سَنَ لِلنَّاسِ النَّدَى فَنَدَوْا فَكَانَ الْبُخْلَ لَمْ يَكُنْ

(١) في العقد ١٣٧/٦ « أرفق بنسبة عمرو حين تنسبه »

(٢) الشعر والشعراء ٣٧٥/١ « بأيدي » وحماة ابن الشجري ١٩٩ والبيان ٣٩١/١ والخزانة ٣٦٨/٢ « الغانيات » والأغاني ١٢/٢٠ « الراحضات » والمختار من شعر بشار ٢٩٢ « انسابات »
(٣) ديوانه ١٨٢ وشرح التبريزي ٢/٢٩٠ والبساط : الأرض الواسعة ، والسحل : ثوب أبيض . وفي ط « سحق » والسحق : ثوب أبيض . والرحيض : المغسول

(٤) ديوانه ١٨٢ وقد فسره ناشر الديوان محيي الدين الخياط بقوله : اشمعلوا : ساروا متفرقين مرحاً . يلجلجون : يضجون . دؤباً : جادين الكلال التعب ، الأنيض : الخفقان
وقد نقل هذا الشرح الخطاطي الشيخ « محمد محيي الدين » في هامش ط ٧٥ .

والصواب ما جاء في شرح التبريزي وما نقله ناشره عن الآمدي والخارزنجي ٣٩١ . وهو : اشمعلوا : أسرعوا وجدوا . مضغاً : جمع مضغة وهو ما يمضغ ، ولجلج المضغة في فيه : إذا أدارها ولم يسنها ، واستعمار اللجلجة ها هنا للدوب . والأنيض : اللحم الذي لم ينضج وتقدير الكلام : مضغاً للكلال فيها لحم أبيض ، على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه . يعني أن الركب يلجلجون أي يديرون من الإبل أنفساً قد صارت مضغاً ، أي أقطاعاً من لحم للكلال الذي نالهم .

(٥) ديوانه ٨٢ . الأنيض هنا : الفساد والتغير ، وأصلت : أنتنت ، والكشع : الحنّب . يقول : أخذت هذا المال فأنت لا تأخذه ولا ترده ، كما يلجلج الرجل المضغة فلا يتعلمها ولا يلقها . فإن حبسته فقد أنطويت على دام .

أخذه أبو تمام فقال :

مَضُمُوا وَكَأَنَّ الْمَكْرُمَاتِ لَدَيْهِمْ لَكثْرَةً مَا أَوْصَوْا بِهِنَّ شَرَائِعُ^(١)

٦٦ - وقال في الغزل :

مُسْتَحِيلٌ أَنْ تَحْتَوِيكَ الظُّنُونُ كَيْفَ يُحَوِّى مَا لَا تَرَاهُ الْعُيُونُ
غَيْرَ أَنَا نَقُولُ : إِنَّكَ خَلَقْتَ حَرَكَاتٌ مَوْصُولَةٌ وَسَكُونُ^(٢)

أخذه من قول أبي نواس وقصّر عنه :

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخَ لَمَقَ مِنْ ضَعِيفٍ مَهِينٍ^(٣)

يَسُوقُهُ مَنْ قَرَّارٍ إِلَى قَرَّارٍ مَكِينٍ^(٤)

حَتَّى بَدَتْ حَرَكَاتٌ مَخْلُوقَةٌ مِنْ سَكُونٍ

٦٧ - وقال أبو العتاهية :

كَمْ نِعْمَةٍ لَا نُسْتَقِلُّ بِشُكْرِهَا اللَّهُ فِي طَى الْمَكَارِهِ كَامِنَةٌ^(٥)

أخذه الطائي فقال وأحسن ؛ لأنه جاء بالزيادة التي هي عكس المعنى^(٦)

الأول :

قَدْ يَنْعِمُ اللَّهُ بِالْبُلُوى وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَبْتَلِي اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنَّعَمِ^(٧)

(١) ديوانه ٤٧٩ وم «ما وصلوا»

(٢) ط «مفعولة»

(٣) ديوانه ١٩٩

(٤) في الديوان «من هوا» وبعدة :

في الحجب شيئاً فشيئاً يحور دون العيون

(٥) ط ، ك «لا يستقل . . . الله في طى المكاره» ديوانه ص ٦٥٠ جامعة دمشق والصناعتين

٢٢٧ وعيون الأخبار ٥٢/٣

(٦) ط «الشيء»

(٧) ديوانه ٣١٦

٦٨ - [وقال آخر :

ليست تكونُ المسكرُ ما تـ بغير إنفاقِ الدراهمُ
فأخذ الطائي فقال :

ولم يجتمع شرقٌ وغربٌ لقاصدٍ ولا المجدُ في كف امرئٍ والدراهمُ^(١)

٦٩ - وقال آخر - وليست أدرى أهو قبل الطائي أم في أيامه ؟ - :

ما كنتُ أحسبُ أنْ بَحْرًا زاحِرًا عَمَّ البريةَ كُلَّها إِرْوَاهُ^(٢)
أضحى دفيناً في ذراعٍ واحدٍ مِنْ بعدِ ما مَلَكَ^(٣) الفضاءَ فضاء
[من قولهم : ضاءت الشمس وأضاءت]

فقال الطائي وأبرَّ عليه وعلى كل من ذكر هذا المعنى :

وكيفَ احتملى للسحابِ صنيعَةً بإسقامها قَبْرًا وفي لَحْدِهِ البَحْرُ^(٤)
٧٠ - وقال آخر :

نُؤى كما نَقَصَ الهلالَ مُحاقَهُ أَوْ مِثْلَ ما فَصَمَ السَّوَارَ المِعْصَمُ^(٥)
أخذه أبو تمام فقال :

* ونُؤى مِثْلما أَنْفَصَمَ السَّوَارُ *^(٦)

٧١ - وقال آخرُ في السحاب :

كَأَنَّ صَبِيْنِ باتا طُولَ لَيْلِهِمَا يَسْتَمْطِرانِ على غُدارنه المُقْلانِ^(٧)

(١) ديوانه ٢٨٦

(٢) م « الإرواء »

(٣) ك : « ملا »

(٤) ديوانه ٣٧٠ « للنبوت صنيعه » و م « بإسقامه »

(٥) أمال المرتضى ٣٤/٢ ، وشرح ديوان المتنبي المنسوب للمكبري ١٤٢/٢ .

(٦) سبق أنه أخذه من المزار الفقهسي : ص ٦٤ - ٦٥

(٧) ط « كأن عينين »

فقال الطائي وحول المعنى وأجاد :

كَانَ الْغَمَامُ الْغُرَّ غَيْبَنَ تَحْتَهَا حَبِيباً فَمَا تَرْقَى لَهُنَّ مَدَامُ^(١)
٧٢- وقال الطائي :

وَلَيْسَتْ بِالْعَوَانِ الْعَنَسِ عِنْدِي وَلَا هِيَ مِنْكَ بِالْبِكْرِ الْكَعَابِ^(٢)
أخذه من قول الفرزدق :

وَعِنْدَ زِيَادٍ لَوْ يُرِيدُ عَطَاءَهُمْ رِجَالٌ كَثِيرٌ قَدْ تَرَى بِهِمْ فَقْرًا^(٣)
قُعُودٌ لَدَى الْأَبْوَابِ طَلَابِ حَاجَةٍ عَوَانٍ مِنَ الْحَاجَاتِ أَوْ حَاجَةٍ بِكْرًا^(٤)
٧٣- وقال آخر وهو منقذ الهلالي^(٥) :

أَيُّ عَيْشٍ عَيْشِي إِذَا كُنْتُ مِنْهُ بَيْنَ حِلٍّ وَبَيْنَ وَشَكِ الرَّحِيلِ؟^(٦)
كُلُّ فَجٍّ مِنَ الْبِلَادِ كَأَنِّي طَالِبٌ بَعْضَ أَهْلِهِ بِذُحُولِ
فقال الطائي :

كَانَ لَهُ دَيْنًا عَلَى كُلِّ مَشْرِقٍ مِنَ الْأَرْضِ أَوْ تَارًا لَدَى كُلِّ مَغْرِبٍ^(٧)
٧٤- وقال آخر ، وأنشده ابن أبي طاهر والأخفش للأرقط بن زُعَيْل^(٨) :

نَهْنَةُ دُمُوعِكَ مِنْ سَحٍّ وَتَسْجَامٍ أَلْبِينُ أَكْثَرُ مِنْ شَوْقِي وَأَسْقَامِي
وَمَا أَظُنُّ دُمُوعَ الْعَيْنِ رَاضِيَةً حَتَّى تَسْحَ دَمًا مَهْطَلًا بِتَسْجَامِ

(١) ديوانه ٤٧٨ ، « كان السحاب »

(٢) ديوانه ٥٦ ، وشرح التبريزي ٢٩٠/١

(٣) ديوانه ٢٢٦ ، والأغاني ٣١/١٩

(٤) م « قعود عل » ط « طالب »

(٥) ط « الآخر وهو معبد » و م : « المثل » قال المرزباني في معجم الشعر ٤٠٤ : منقذ

ابن عبد الرحمن بن زياد الهلالي بصري خلیج ماجن منهم في دينه يرمي بالزندقة كان في صدر الدولة العباسية .

(٦) ط « وبين وقت »

(٧) ديوانه ٢٤ وشرح التبريزي ١٥٩/١ وفي ط « كأن لها » و م « ثارا عل »

(٨) ط « ابن دهل » وفي ك « وقال الأرقط بن زغيل »

أخذ الطائي معنى البيتين ولفظهما ، فقال :

ما اليومُ أَوَّلَ تَوَدِّيعِي وَلَا الدَّائِي أَلْبَيْنُ أَكْثَرُ مِنْ شَوْقِي وَأَحْزَانِي^(١)
وما أَظُنُّ النَّوَى تَرْضَى بِمَا صَنَعْتُ حَتَّى تُبَلِّغَنِي أَقْصَى خُرَّاسَانِ^(٢)
٧٥- وأنشدني ابنُ أبي طاهرٍ لدعبل :

إِنْ جَاءَهُ مُرْتَغِبًا سَائِلٌ آلَتْ إِلَيْهِ رَغْبَةُ السَّائِلِ^(٣)
أخذه أبو تمام فقال :

وإِنِّي لَأَرْجُو عَاجِلًا أَنْ تُرَدِّدَنِي مَوَاهِبُهُ بَحْرًا تُرْجَى مَوَاهِبِي^(٤)
٧٦- وقال دِعْبِلُ بْنُ عَلِي :

وَأَسْمَرُ فِي رَأْسِهِ أَزْرَقُ مِثْلُ لِسَانِ الْحَيَّةِ الصَّادِي^(٥)
أخذه الطائي فقال :

مُتَقَفَّاتٍ سَلَبَنَ الرُّومَ زُرْقَتَهَا وَالْعَرَبَ سَمَرَتَهَا ، وَالْعَاشِقَ الْقَضْفَا^(٦)
فزاد [في]^(٧) المعنى بأنَّ شَبَّهَ زُرْقَتَهَا بِزُرْقَةِ الرُّومِ ، وَسَمَرَتَهَا بِسَمَرَةِ
العرب [وبذكر القصف] . ولكن قول دِعْبِلِ : « مثل لسان الحية الصادي »
معنى ما^(٨) لحسنه نهاية .

٧٧- وقال أبو نواس :

وَأَطْعَمَ حَتَّى مَا بِمَكَّةَ آكِلٌ وَأَعْطَى عَطَايَا لَمْ تَكُنْ بِضِمَارِ^(٩)

(١) ديوانه ٣٢٣

(٢) في الديوان ، ك « حتى تشافى بي » و م « تبلغ بي »

(٣) ط « آلت عليه »

(٤) ديوانه ٤٣ وشرح التبريزي ٢٢٢/١

(٥) عيون الأخبار ١٣٠/١ ونهاية الأرب ٢٢١/٦ والنشيهات ١٤٧

(٦) ديوانه ٢٠٣ وشرح التبريزي ٣٧١/٢ وفي م « والعرب ألوانها » و ط « أدمتها » وهي

روايات . والقصف : الدقة والنحافة

(٧) من ك

(٨) ط « الصاوى ليس »

(٩) ط « عطاء لم يكن بضمار »

أخذ الطائي معنى صدر البيت ، فقال :

فَنَوَّلَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُنِيلُهُ وَحَارَبَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُحَارِبُهُ^(١)

٧٨- وقال أبو نواس في أرجوزة يصف فيها الحمام ويمدح قوماً :

بُشْرُهُمْ قَبْلَ النَّوَالِ اللَّاحِقِ كَالْبَرْقِ يَبْدُو قَبْلَ جَوْدِ دَافِقِ
وَالْفَيْثُ يَخْنِي وَقْعُهُ لِلرَّامِقِ إِنَّ لَمْ تَجِدْهُ بِدَلِيلِ الْبَارِقِ^(٢)

أخذ المعنى أبو تمام فقال :

يَسْتَنْزِلُ الْأَمَلُ الْبَعِيدَ بِبُشْرِهِ بُشْرَى الْخَمِيلَةِ بِالرَّبِيعِ الْمُغْدِقِ^(٣)
وَكَذَا السَّحَابُ قَلَمًا تَدْعُو إِلَى مَعْرُوفِهَا الرُّوَادَ مَا لَمْ تَبْرِقِ^(٤)

٧٨- وقال أبو العتاهية :

وإِنَّا إِذَا مَا تَرَكْنَا النَّوَا لَ فَلَمْ نَبْغِهِ فِيهِ يَبْتَدِينَا^(٥)
وإِن نَحْنُ لَمْ نَبْغِ مَعْرُوفَهُ فَمَعْرُوفُهُ أَبَدًا يَبْتَغِينَا

وقال مسلم بن الوليد في معنى بيت أبي العتاهية الأول :

أَخْ لِي يُعْطِنِي إِذَا مَا سَأَلْتُهُ وَلَوْ لَمْ أَعْرِضْ بِالسُّوَالِ أَبْتَدَانِيَا
وأخذ أبو تمام معنى [هذا] ^(٦) البيت ومعنى بيت ^(٧) أبي العتاهية الأول ،

فقال :

(١) ديوانه ٤٥ وشرح المرزوقي ٢٣٤/١

(٢) ط « يجده »

(٣) ديوانه ١٢٣ و ط « بشر » وشرح التبريزي ٤١٨/٢ وفيه : قال المعري : « الخميعة : الأرض السهلة . والربيع : المطر الذي يجيء في الربيع . والمغْدِقُ : الذي يجيء بالغدق وهو الماء الكثير . ويرى : بشرى الخميعة . أى كما تبشر السحابة التى قد أخالت بالمطر . والخميعة هى الرواية » .

(٤) فى الديوان والشرح « إن لم »

(٥) ط « السُّوَالُ منه فلم نبغ بيتينا » وفى الوساطة ٧٤ : « السُّوَالُ فلم نبغ نائله بيتينا »

(٦) من ك

(٧) م « أبو تمام هذا المعنى فى هذا البيت وبيت »

ورأيتني فسألت نفسك مَبيها لي ثم جُدتَ وما أنتظرتَ سُؤالِي^(١)

أو لعله أخذه من قول منصور النمرى :

رَأَيْتُ الْمُصْطَفَى هَارُونَ يُعْطَى عَطَاءَ لَيْسَ يَنْتَظِرُ السُّؤَالَ

وأجود من هذا كله قولُ سَلَمِ الخاسر :

أَعْطَاكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ فَكَفَاكَ مَكْرُوهَ السُّؤَالِ

وأخذ أبو تمام معنى بيت أبي العتاهية الثاني ، فقال :

كَالْفَيْثِ إِنْ جَنَّتُهُ وَافَاكَ رَيْقُهُ وَإِنْ تَحَمَّلْتَ عَنْهُ جَدًّا فِي الطَّلَبِ^(٢)

٨٠- وقال مسلم :

وَمَا كَانَ مِثْلِي يَعْتَرِيكَ رَجَاؤُهُ وَلَكِنْ أَسَاءَتْ شَيْمَةٌ مِنْ فَتَى مُخْضٍ^(٣)

أخذه أبو تمام وزاد زيادة حسنة^(٤) فقال :

فَإِنْ كَانَ ذَنْبِي أَنْ أَحْسَنَ مَطْلَبِي أَسَاءَ فَنِي سُوءَ الْقَضَاءِ لِي الْعُذْرُ^(٥)

٨١- وأنشد أبو تمام في الحماسة^(٦) :

تَرِدُ السَّبَاعُ مَعِيَ فَأُفْ فَيَ كَالْمُدِّ مِنَ السَّبَاعِ

فأخذ المعنى^(٧) فقال :

أَبْنَى مَعَ السَّبَاعِ الْمَاءَ حَتَّى لَخَالَتَهُ السَّبَاعُ مِنَ السَّبَاعِ^(٨)

(١) ديوانه ٢٤٧

(٢) ديوانه ١٦ « وإن ترحلت عنه ليج » وك : « كان في الطلب » وفي شرح التبريزي ١١٩/١ « ريقه : أوله وهو فيل من راق يروق . يقول : هو جواد كالغيث ، إن قصدت ناحيته وافاك أول مائه ، وإن حلت عنه تبك وجد في طلبك ، أي يجود عليك حيث كنت »

(٣) ديوانه ٢١٨

(٤) م « أبو تمام فقال »

(٥) ديوانه ٤٧٥ وأخبار أبي تمام ٥١

(٦) يريد بها الوحشيات ، والبيت فيها آخر قصيدة لعبد الله بن ثعلبة الشكري الأزدی

(٧) ط « المعنى من فيه فقال »

(٨) شرح التبريزي ٣٣٧/٢ وفي الديوان « السباع الغيل » ويروى : « السباع القفر »

٨٢- وقال النظار بن هاشم الأسدي^(١) :

يَعِفُّ المرءُ ما استَحْيَا وَيَبْقَى نَبَاتُ العُودِ ما بَقِيَ اللَّحَاءُ
وما في أنْ يَعِيشَ المرءُ خَيْرٌ إِذَا ما المرءُ زَايَلَهُ الْحَيَاءُ
أخذ أبو تمام معنى البيتين وأكثر لفظهما ، فقال :

يَعِيشُ المرءُ ما استَحْيَا بِخَيْرٍ وَيَبْقَى العُودُ ما بَقِيَ اللَّحَاءُ^(٢)
فلا والله ما في العِيشِ خَيْرٌ ولا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ
٨٣- وقال أبو نواس :

أَبْنِ لِي كَيْفَ صِرْتُ إِلَى حَرَمِي وَنَجِّمُ اللَّيْلِ مُكْحِلُ بِقَارِ^(٣)
أخذه أبو تمام فقال :

إِلَيْكَ هَتَكْنَا جُنَحَ لَيْلٍ كَأَنَّهُ قَدْ اكْتَحَلَتْ مِنْهُ الْبِلَادُ بِإِئْمِدِ^(٤)
٨٤- وسمع أبا نواس قال^(٥) :

يَبْكِي فَيُذِرِي الدَّرَّ مِنْ فَرْجَيْهِ وَيَلْطِمُ الْوَرْدَ بِعُنَابِ^(٦)
فقال- وأساء كل الإمساء [وقصر] وقبح [في]^(٧) صدر البيت - :
مَلْطُومَةٌ بِالْوَرْدِ أَطْلَقَ طَرْفُهَا فِي الْخَلْقِ فَهَوَّ مِنَ الْمَنُونِ مُحْكَمٌ^(٨)

(١) في ط ه الأزدى « وهو تحريف » قال البكري في شرح الأماي ٨٢٦/٢ « النظار بن هشام . . . من بني أسد ، شاعر إسلامي »

(٢) ديوانه ٤٨٥ وجاء في مجموعة المغانى ٢٨ « وقال أبو تمام ووجدتها في مجموع شعره ، وقد أورد منها بيتين في حماسته ولم يسم قائلهما . . . » وهما في روضة العقلاء ٤٣ من غير نسبة .

(٣) الصناعتين ٢٢٢ « وجنح الليل » والتشبيهات ١٩

(٤) ديوانه ١٠٣ والصناعتين ٢٢٢ والتشبيهات ١٩ وشرح التبريزي ٣٠/٢

(٥) ط « وسمع أبو نواس يقول »

(٦) ديوانه طبع الحلبي ٣٥٠ والصناعتين ٢٠١ والوساطة ٣٢٢ ونهاية الأرب ٤٦/٧

(٧) من ك

(٨) ديوانه ٢٨٤ « مظلومة الورد » وهو تحريف . وقد عقب القاضي الجرجاني على التبيين في

الوساطة ٣٧ فقال : « فسبق أبو نواس بفضل التقدم والإحسان ، وحصل هو على نقص السرق والتقصير ، لكنه أحسن في بقية البيت فجبر بعض ذلك النقص »

٨٥- وقال أبو تمام :

ومما كانت الحُكماء قالت : لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ خَدَمِ الْفُؤَادِ^(١)
أخذه من الجعد بن ضمام : أحد بني عامر بن شيان ، وذكره أبو تمام
في اختيار^(٢) القبائل :

إِنَّ الْبَيَانَ مَعَ الْفُؤَادِ ، وَإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ بِمَا يَقُولُ رَسُولًا
٨٦- وقال طريح الثقيني يرثي قوماً :

فَلَيْلُهُ عَيْنَا مَنْ رَأَى قَطُّ حَادِثًا
كَفَرَسِ الْكِلَابِ الْأَسَدَ يَوْمَ الْمُسْلَلِ^(٣)
أخذه أبو تمام فأجاد الأخذ ، فقال :

من لم يُعَايِنَ أَبَا نَصْرٍ وَقَاتِلَهُ فَمَا رَأَى ضَبْعًا فِي شِدْقِهِ سَبْعُ^(٤)
وهذا معنى مُتَدَاوِلٌ ، وقد يجوز أن يكون الطائي أخذه من غير هذا
الموضع .

٨٧- وقال مروان بن أبي حَفْصَةَ :

مَا ضَرَرَنِي حَسَدُ اللَّثَامِ ، وَلَمْ يَزَلْ ذُو الْفَضْلِ يَحْسَدُهُ ذُووُ التَّقْصِيرِ^(٥)

(١) ديوانه ٨٠ وشرح التبريزي ٣٧٩/١

(٢) ط « ابن حمام . . . بن سنان . . . في اختيارات »

(٣) الفرس : القتل .

(٤) ديوانه ٣٧٢ « في شلقها »

وقال الشيخ « محمد محيي الدين عبد الحميد » في تعليقه عليه ص ٨٢ « وأنشده الشربيني ١١٦/١
مع بيت تال له ، وذكر أنه أخذه من بيتين ليزيد المهلبى يرثي فيهما المتوكل »
وقد عجت من قول الشربيني إن أبا تمام أخذ معنى بيته من قول المهلبى في رثاء المتوكل المقتول في
سنة ٢٤٧ في حين أن أبا تمام مات سنة ٢٣٢ . وقد زال عجبى عندما رجعت إلى الشربيني وألفيته
يقول : « وقال يزيد المهلبى يرثي المتوكل :

علتك أسياف من لا دونه أحد وليس فوقك إلا الواحد الصمد
وأصبح الناس فوضى يعجبون به لبسا صريحا تندى حوله النقد
وأخذ لفظ بيته من قول حبيب : من لم يعاين . . . « وفي له » شوقها »
(٥) الساطعة ٢٤٢

أخذه أبو تمام فقال :

• وذو النقص في الدنيا يذو الفضل مولى^(١) •

٨٨- وقال أبو دَهَيْلِ الجُمَحِي :

مَا زِلْتُ فِي الْعَفْوِ لِلذُّنُوبِ وَإِطْ لَأَقِ لِعَانٍ بِجُرْمِهِ غَلِيْقِ^(٢)
حَتَّى تَمْنَى الْبُرَاةُ أَنَّهُمْ عِنْدَكَ أَمْسُوا فِي الْقَيْدِ وَالْحَلْقِ^(٣)

أخذه أبو تمام فقال :

وَتَكْفَلُ الْإِيْتَامَ عَنْ آبَائِهِمْ حَتَّى وَدِدْنَا أَنَّنَا أَيْتَامُ^(٤)

٨٩- وقال زيد الخيل الطائي :

وَأَسْمَرَ مَرْبُوعٌ يَرَى مَا أَرَيْتَهُ بَصِيرٌ - إِذَا صَوَّبْتُهُ - بِالْمَقَاتِلِ^(٥)

أخذه أبو تمام فقال :

مِنْ كُلِّ أَسْمَرَ نَظَّارٍ بِلاَ نَظَرٍ إِلَى الْمَقَاتِلِ مَا فِي مَتْنِهِ أَوْدُ^(٦)

٩٠- وقال أبو نُحَيْلَةَ [السعدي] ^(٧) في مَسْلَمَةَ بن عبد الملك :

وَنَوَّهْتُ لِي بِاسْمِي ، وَمَا كَانَ خَامِلًا

وَلَكِنْ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ^(٨)

(١) صدره : « لقد آسف الأعداء مجد ابن يوسف » ديوانه ١٩٠ وشرح التبريزي ٢٣٥/٢

(٢) حماسة أبي تمام بشرح المرزوقي ١٦٢٠/٤ والصناعتين ٢٠٥ والغاني : الأسير . والفلق : المتروك لا يفك

(٣) في م ، ك « البراء » .

(٤) شرح الحماسة للمرزوقي ١٦٢٠/٤ والصناعتين ٢٠٥ وديوانه ٢٨٠

(٥) ط « ما رأيته »

(٦) ديوانه ٩٩ وشرح التبريزي ١٨/٢ « من كل أزرق »

(٧) من ك

(٨) أمال القائل ٣٠/١ وزهر الآداب ٩٢٥/٢ ورواه المؤلف في المؤلف والمختلف ١٩٣

« وأحييت لي ذكرا » وهو في تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣١٨/٢ والجليس والأنيس . . . والمستطرف

٢٨٠/١ وعيون الأخبار ١٦٥/٣ وفي ط « ونهوت من ذى ذكرى » وحماسة ابن الشجري ١١٧

أخذه أبو تمام فقال :

لَقَدْ زِدْتَ أَوْضَاحِي أَمْتِدَادًا ، وَلَمْ أَكُنْ

بِهَيْمًا ، وَلَا أَرْضِي مِنَ الْأَرْضِ مَجْهَلًا^(١)

وَلَكِنْ أَيْادِي صَادَفْتَنِي جِسَامُهَا أَغْرَ فَحَلَّتْنِي أَغْرَ مُحَجَّلًا^(٢)

٩١- وقال المصيب بن علس :

هُمْ الرُّبِيعُ عَلَى مَنْ كَانَ خِلْفُهُمْ وَفِي الْعُدُوِّ مَنَاكِيْدُ مَشَائِمِ^(٣)

وقال علافة بن عُركِيّ التَّمِيْمِيّ^(٤) يَرْتِي قَوْمًا :

وَكُنْتُمْ قَدِيمًا فِي الْحُرُوبِ وَغَيْرِهَا مَيَّامِينَ فِي الْأَدْنَى لِأَعْدَائِكُمْ نُكْدًا^(٥)

ومثله قول كعب بن الأَجْدَمِ^(٦) :

بَنُو رَافِعٍ قَوْمٌ مَشَائِمٌ لِلْعَدَى مَيَّامِينَ لِلْمَوْتِ وَلِلْمُتَحَرِّمِ^(٧)

أخذ الطائي هذا المعنى ، فقال في مدح أبي سعيد :

إِذَا مَا دَعَوْنَاهُ بِأَجْلَحَ أَيْمَنٍ دَعَاهُ وَلَمْ يَظْلِمْ بِأُضْلَعَ أَنْكَدِ^(٨)

٩٢- وقال دُكَيْنُ الرَّاجِزِ :

• عَارِي الْحَصَى يَدْرُسُ مَا لَمْ يُلْبَسِ •

(١) ديوانه ٢٥٢ والأوضاع : جمع وضع وهو : الضوء والياض من كل شيء . والبهيم : المجهول الذي لا يعرف . والمجمل : التي لا يبتدى فيها لانعدام الأعلام وإجمال بها

(٢) ط « فوافيت بي » وديوانه ٢٥٢ « فألفت بي » ورواه البكري في اللالك ١٣٥/١ « فأوفيت بي » كما في ك والأغر : الشريف ، والمراد بالأغر المجمل : السيد المشهور

(٣) ديوانه ٣٥٩ وفي الوساطة ٢٩٩ « من ضاف أرجلهم »

(٤) ط « علافة . . . التميمي » وفي الوساطة ٢٩٩ « علافة بن عربي »

(٥) ط « للأدنى »

(٦) ط « ابن الجزم » وهو تحريف وفي معجم الشعراء ٣٤٤ « الأجلزم »

(٧) الوساطة ٣٠٠

(٨) ديوانه ١٠١ وشرح التبريزي ٢٤/٢ « الجلح » : انحصار الشعر عن مقدم الرأس ، وهو محمود ، والصلح مذموم . يقول : ندعوه نحن بالسعادة واليمن ويدعوه عدوه بابلك بأنكد لأن أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي كان نكداً على بابلك الخرمي وقد رماه بقاصمة الأضلاب .

أخذه الطائي فقال :

تَجَدَّدُ كُلَّمَا لُبِسْتُ ، وَتَبْقَى إِذَا ابْتَدَلْتُ ، وَتَخْلُقُ فِي الْحِجَابِ^(١)

أو أخذه من قول الآخر^(٢) [يصف طريقاً] :

عَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ مِنَ الْقَدَمِ الْأَوَّلِ يُبْمِتُهُ التَّرْكُ وَيُحْيِيهِ الْعَمَلُ^(٣)

٩٣ - وقال نعيم بن أبي بن مُقْبِل :

قَدْ كُنْتُ رَاعِيً أَبْكَارٍ مُنْعَمَةٍ فَالْيَوْمَ أَصْبَحْتُ أَرْعَى جِلَّةً شُرَفًا^(٤)

يريد عجائز^(٥) .

أخذه الطائي فقال - وَعَدَلْ بِشَطْرِ الْمَعْنَى^(٦) إلى وجه آخر فأحسن - :

كُنْتُ أَرْعَى الْخُدُودَ ، حَتَّى إِذَا مَا فَارَقُونِي أَمْسَيْتُ أَرْعَى النُّجُومَ^(٧)

٩٤ - وقال حسان بن ثابت الأنصاري :

وَالْمَالُ يَغْشَى رَجَالًا لَا طَبَاخَ بِهِمْ كَالسَّبِيلِ يَغْشَى أَصُولَ الدَّنْدَنِ الْبَالِي^(٨)

(١) ديوانه ٥٦ وشرح التبريزي ٢٩٠/١ ويقول : كلما ذكرت هذه النعم التي لك على

وأظهرت تجدد ذكرها واستجرت مثلها ، وإذا ستوت وحجبت أخلقت « وفي م ، ك « وتبل •

وتخلق وجنتها في النقاب « والشطر الثاني هو عجز البيت التالي في الديوان وروايته :

إذا ما أبرزت زادت ضياء وتشعب وجنتها في النقاب

(٢) ط « قول الراجز •

(٣) قاله بشر بن النكث ، كما في اللسان ٣١٧/٤ : « لأقوام أول ، المود الأول : الجمل

السن ، والمود الثاني : الطريق القديم ، وهكذا الطريق يموت إذا ترك ويحيا إذا سلك •

وجاء في ط بعد البيت : « يعني طريقاً •

(٤) البيت له في ديوانه ص ١٨٥ و منتهى الطلب •

(٥) في هامش م « أي سنة •

(٦) ط « بشطر البيت •

(٧) ديوانه ٢٩٠ « أَرعى البلود • و ط « بقيت أَرعى •

(٨) ديوانه ٣٢٧ واللسان ٦/٤ « لا طباخ بهم : لا عقل لهم . والدندن : ما بل وغفن من

أصول الشجر ، وقد جاء هذا البيت في شعر لحية بن خلف الطائي . . .

أخذه الطائي فقال :

لَا تُنْكِرِي عَطَلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغَنَى فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي^(١)

٩٥- وقال أبو تمام في وصف الشعر :

وَلَكِنَّهُ صَرَبُ الْعُقُولِ : إِذَا انْجَلَتْ سَحَابٌ مِنْهُ أُعْقِبَتْ بِسَحَابٍ^(٢)

أخذه من قول أوس :

أَقُولُ بِمَا صَبَّتْ عَلَى غَمَامِي وَدَهْرِي فِي حَبْلِ الْعَشِيرَةِ أُخْطَبُ^(٣)

٩٦- وقال أمية بن أبي الصلت :

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لِامْرِئٍ إِنْ حَبِوَتْهُ بَخِيرٌ ، وَمَا كُلُّ الْعَطَاءِ يَزِينُ^(٤)

أخذه الطائي فقال :

مَا زِلْتُ مُنْتَظِرًا أَعْجُوبَةً زَمَنًا حَتَّى رَأَيْتُ مُوَالًا يَجْتَنِي شَرَفًا^(٥)

٩٧- وقال كثير :

وَنَازَعَنِي إِلَى مَدْحِ ابْنِ لَيْلَى قَوَافِيهَا مُنَازَعَةُ الطَّرَابِ^(٦)

(١) ديوانه ٢٤٦

(٢) ديوانه ٤٣ وشرح التبريزي ٢٢٢/١ وزهر الآداب ١٠٨/١

(٣) أخبار أبي تمام وزهر الآداب ١٠٩/١ وفي المغانى الكبير ٧٩٨/٢ « عل عياني » يقول

بما جربت وما علمت مما مضى من دهري ، وهو مثل « وعمايته : همه وشجته .

(٤) الأغاني ٣/٨ « حبوته يذل » وهو في طبقات فحول الشعراء ٢٢٢ والوساطة ٣١٥ وديوان

المغانى ٤٦/١ والصناعتين ٤١ والمثل السائر ٣٨١/٢ وصبح الأعشى ١٨٦/٢ ودلائل الإعجاز ٣٧٨

(٥) ديوانه ٢٠١ وشرح التبريزي ٣٦٦/٢ « أعجوبة عتنا » مصدر عن يمن بمعنى ظهر .

وهما روايتان . والأول في المثل السائر ، والثانية في دلائل الإعجاز ، وقد قرأها « محمد رشيد رضا »

بقوله : « عتنا : أى معترضة تأتى بلا سبب » وهو خطأ .

(٦) ابن ليلى ممنوح كثير : هو عمر بن عبد العزيز . وفي ط « منازعة الغراب » والطراب :

جمع طرب ، وهو المشوق .

أخذه الطائي فقال :

تَغَايَرَ الشَّعْرُ فِيهِ إِذْ سَهَرْتُ لَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَافِيهِ سَتَقَتَّلُ^(١)

٩٨ - وقالت محياة بنت طليق من بني تميم الله بن ثعلبة :

نَعَى ابْنِي مُجِلُّ صَوْتُ نَاعٍ أَصَمَّنِي فَلَا آبَ مَخْبُورًا بَرِيدُ نَعَاهِمَا^(٢)

وقال سفيان بن عبد يغوث النضري^(٣) :

صَمَمْتُ لَهُ أَذْنَائِي حِينَ نَعِيَهُ وَوَجَدْتُ حُزْنَآ [دَائِمًا] لَمْ يَذْهَبْ

أخذه الطائي فقال :

أَصَمَّ بِكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَصَمَّعَا وَأَصْبَحَ مَغْنَى الْجُودِ بِغَاكَ بَلَقَعَا^(٤)

ونحوه قول الحارث بن نهيك الداري :

وَفَقًّا عَيْنِي تَبْكَاؤُهُ وَأَوْرَثَ فِي السَّمْعِ مِنِّي صَمَمٌ

٩٩ - وقال شقران بن عرياض القشيري^(٥) :

فَمَا السَّائِلُ الْمَخْرُومُ يَرْجِعُ خَائِبًا وَلَكِنْ بَخِيلُ الْأَغْنِيَاءِ يَخِيبُ

وقال آخر وهو الشجاع الهاتف^(٦) في خبر عن ابن الكلبي ورواه ابن

دريد :

لَا تَزْهَدَنَّ فِي أَصْطِنَاعِ الْعُرْفِ مِنْ أَحَدٍ إِنَّ الَّذِي يُحْرَمُ الْمَعْرُوفَ مَخْرُومٌ

أخذه أبو تمام فقال :

فَإِنِّي مَا حُورِفْتُ فِي طَلَبِ الْغَنَى وَلَكِنَّكُمْ حُورِفْتُمْ فِي الْمَكَارِمِ^(٧)

(١) ديوانه ٢٢٧ وفي م « قوافيه »

(٢) ط « ابني مجل . . . آب عمدا »

(٣) م « البصري »

(٤) ديوانه ٣٧٤

(٥) ط « سمران . . . القسري »

(٦) ط « الفائق »

(٧) ط « وإني . . . ولكنكم » ك والديوان ٢٢٠/٣ طلب الملا

١٠٠- وقال عنثرة :

• وَالطَّعْنُ مِنِّي سَابِقُ الْآجَالِ^(١) .

ولمّا أراد : والآجال سابقة طعني ؛ يريد لشدة خوفه إذا سدّد سنانَه للطعن .

فأخذه الطائي ، وغيره تغييراً حسناً ، فقال :

يَكَادُ حِينَ يُلَاقِي الْقِرْنَ مِنْ حَنْتِي قَتَلَ السَّانِ عَلَى حَوْبَانِهِ يَرْدُ^(٢)

١٠١- وقال عدى بن الرقاع بمدح بعض بني مروان :

وإذا رأيت جماعة هوَ فيهم بَيِّنَتْ سُودَدُهُ وإن لَمْ تَسْأَلِ^(٣)

أخذه الطائي فقال :

يَخْبِيهِ لِأَلَاؤُهُ أَوْ لَوَذَعِيَّتُهُ مَنْ أَنْ يُذَالَ بَمَنْ أَوْ مِمَّنِ الرَّجُلُ^(٤)

فقصر عدى بالمدح^(٥) ؛ إذ جعله إذا كان في جماعة لا يُعرف حتى

تنبي عنه شمائله ، وتبعه أبو تمام في التقصير .

١٠٢- وقال أبو تمام :

طَلَبُ الْمَجْدِ يُورِثُ الْمَرْءَ خَبَلًا وَهُمُومًا تُقْضِقُضُ الْحَيَومَ^(٦)

فَتَرَاهُ وَهُوَ الْخَلِيُّ شَجِيًّا وَتَرَاهُ وَهُوَ الصَّحِيحُ سَقِيًّا

أخذ [معنى] قوله : « وهُموماً تقضقض الحيزوما » من قول لقيط .

الإيادي :

(١) صدره . « وأنا المنية حين تشتجر الفناء » ديوانه ١٢٩ والمواطة ٢٩٢

(٢) ديوانه ٩٧ وشرح التبريزي ١٤/٢

(٣) ط « نبئت »

(٤) ديوانه ٢٢٨ و ط « ولوذعيتته عن »

(٥) م « بالملح »

(٦) ديوانه ٢٩٢

١٠٥ - وقال ابن أذينة :

أَسْعَى لَهُ فَيُعْنِنِي تَطْلُبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يُعْنِنِي^(١)
أخذه الطائي فقال :

الرِّزْقُ لَا تَكْمَدُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَأْتِي وَلَمْ تَبْعَثْ إِلَيْهِ رَسُولًا^(٢)
١٠٦ - وقال الطائي :

وَجَّهَ الْعَيْسَ وَهِيَ عَيْسٌ إِلَى اللَّهِ فَابْتَ مِنْ الْهَوَاجِرِ شَيْمًا^(٣)
أخذه من قول ابن هرمة :

بَدَأْنَا عَلَيْهَا وَهِيَ عَيْسٌ فَأَصْبَحَتْ مِنَ السَّيْرِ جُونًا دَامِيَاتِ الْغَوَارِبِ^(٤)
١٠٧ - وأنشد الأثمنانداني في المعاني « يذكر الإبل :

رَدَّتْ عَوَارِيَّ غِيْطَانِ الْفَلَا ، وَنَجَّتْ بِمِثْلِ إِبِبَالَةٍ مِنْ حَائِلِ الْعُشْرِ^(٥)

(١) البيت لمروة بن أذينة ، كما ذكر الآمدي في المؤلف والمختلف ٥٤ وقبله :

لقد علمت وما الإسراف من خلق أن الذي هو رزق سوف يأتي

وهو في الأغاني ١٦٢/٢١ والمقد ٢٠٥/٣ ، والشعر والشعراء ٥٦٠/٢ وأمال المرتضى ٤٠٨/١

(٢) ديوانه ٢٤٣ « لا تحرص عليه »

(٣) ط « فأصت » أي صارت ، وفي ديوانه ٢٩٢ « قَالَتْ مِثْلُ الْقَيْسِ حُلَيْمًا » والشيم : الإبل السوداء .

(٤) ط « بدأت . . . لاحقات الغوارب » والعيس : الإبل البيضاء يخالط بياضها شيء من الشقرة . والجون : جمع جون ، وهو الأسود . ولاحقات : ضامرات . والغوارب : جمع غارب . وهو أعلى مقدم السنام .

(٥) في معاني الشعر للأثمنانداني ٥١ « يريد أنها كانت رعت الغيطان فسمت ، فلما سافر عليها ضمرت ، فكأنها ردت على الغيطان ما استعادت منها من سمها وشحمها . والإيبالة : الحزمة من الحطب . والحائل : الذي أتى عليه الحول . والعشر : ضرب من الشجر . يقول : نجت الناقة وقد صارت مثل الإيبالة من التحول » وهو غير منسوب في شرح المقامات للشريشي ١٢٤/١ وشرح ديوان أبي تمام للشبريزي

أخذه أبو تمام فقال :

فَكَمْ جِرْعَ وَادٍ جَبَّ ذِرْوَةً غَارِبٍ وبِالْأَمْسِ كَانَتْ أُنْثَمَكْتُهُ مَذَانِيهِ^(١)
١٠٨- وقال أبو تمام :

لَوْ أَصَحْنَا مِنْ بَعْدِهَا لَسَمِعْنَا لِقُلُوبِ الْأَيَّامِ مِنْكَ وَجِيئاً^(٢)
أخذه من قول أبي نواس :

حَتَّى الَّذِي فِي الرَّحْمِ لَمْ يَكُ صُورَةً لِفُؤَادِهِ مِنْ خَوْفِهِ خَفَقَانُ^(٣)
١٠٩- وقال آخر :

يَا حَبْذا رِيحُ الْجَنُوبِ إِذَا غَدَتْ بِالْفَجْرِ وَهِيَ ضَعِيفَةُ الْأَنْفَاسِ
قَدْ حُمِلَتْ بَرْدَ الثَّرَى وَحُمِلَتْ عَبْقاً مِنَ الْجُنَجَاتِ وَالْبَسْبَاسِ^(٤)
أخذه الطائي فقال :

أَرْمَى بِنَادِيكَ النَّدَى وَتَنَفَّسَتْ نَفْساً بِعَقْوَتِكَ الرِّيحُ ضَعِيفاً^(٥)
١١٠- وقال نَصِيب :

وَقَدْ عَادَ مَاءُ الْأَرْضِ بَحْراً فَرَادَنِي عَلَى ظَمَى أَنْ أَبْحَرَ الْمَشْرَبُ الْعَذْبُ^(٦)

(١) ديوانه ٤٤ شرح المقامات الشريشي ١٢٤/١ وشرح التبريزي ٢٣٠/١ « جرع الوادي : منعطفه . وجب : قطع . والذروة : أعلى الشيء . وأثمكته : أسهته وأطالته . والمذانب : مسایل الماء في الأودية . وفي م ، ك « ومن قبل كانت »

(٢) ديوانه ٢٧ وشرح التبريزي ١٧٤/١ « من بعدها أي من بعد الضربة ، أو هذه الحرب . والإصاحه : إمالة الأذن للسمع . والرجيب : صوت حركة القلب »

(٣) ديوانه طبع الحلبي ٥٢ وفي ط والواحدة ٦٠ « لم يك نقطة »

(٤) الجشجات : شجر أصفر الزهر ، طيب الريح . وفي اللسان ٣٢٧/٧ « قال أبو حنيفة : البسباس ، من النبات الطيب الريح »

(٥) شرح التبريزي ٣٧٧/٢ « أرمى : أقام . يدعو للمنزل بالخصب وتنسم الرياح ؛ لأن النسيم ينفع ولا يضر ، وربما ضرت الريح القوم » ويروي « نفساً بعرقك » وعقوة الدار : ساحتها ، وكذلك عرصتها »

(٦) في اللسان ١٠٣/٥ « ملحاً فزادني على مرضي » وماء بحر : ملح . وأبحر : صار ملحاً

أخذه أبو تمام فقال :

كَانَتْ مُجَاوِرَةُ الطُّلُولِ وَأَهْلِهَا زَمَنًا عَذَابَ الْوَرْدِ فَهِيَ بِحَارٍ^(١)

١١١- وقال غيلان بن سلمة الشقفي يصف فرساً :

نَهْدَ كَتَيْسٍ أَقْبَى مُعْتَدِلٍ كَانَمَا فِي صَهِيلِهِ جَرَسٌ^(٢)

أخذه أبو تمام فقال :

صَهْصَلِقٌ فِي الصَّهِيلِ تَحْسِبُهُ أَشْرَجَ حُلُقُومُهُ عَلَى جَرَسٍ^(٣)

١١٢- وقال الفرزدق :

قِيَامًا يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ كَانَهُمْ يَرَوْنَ بِهِ هَلَالًا^(٤)

أخذه أبو تمام فقال :

رَمَقُوا أَعَالِي جِدْعِهِ فَكَانَمَا رَمَقُوا الْهَلَالَ عَشِيَّةَ الْإِفْطَارِ^(٥)

١١٣- وقال ابن منذر في البرامكة :

إِذَا وَرَدُوا بِطَحَاءِ مَكَّةَ أَشْرَقَتْ بَيْحِيٌّ وَبِالْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى وَجَعْفَرٍ^(٦)

لَهُمْ رِحْلَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ إِلَى الْعِدَى وَأُخْرَى إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ الْمَشْهُرِ^(٧)

(١) ديوانه ١٤٥ وشرح التبريزي ١٦٦/٢ «أى كانت عذاباً لنا بمضووم ، فلما رحلوا عنها صارت مجاورة الطلول بعدم مجار الورد ، أى ملاحه

(٢) النهْد : الضخم القوى . والأقْبَى : النقيق الخصر الضامر البطن .

(٣) ديوانه ١٧٠ وشرح التبريزي ٢٣٩/٢ «صهلق : شديد الصوت . وأشرج : شد . أى هو مع شدة صوته طيب الصهيل . وهذا يستحب لأنه دال على سعة جوفه »

(٤) ديوانه ٦١٨ وهو فى ملح سعيد بن العاص . وفى ط « قيام »

(٥) ديوانه ١٥٣ وشرح التبريزي ٢٠٤/٢ وأخبار أبى تمام ٩٥ « وجلوا الهلال » والبيت فى شأن صلب بابك الخرى

(٦) لمحمد بن منذر فى معجم الأدباء ٥٧/١٩ وقبله :

مَنْظَمٌ بَنَدَادٌ وَيَجْلُو لَنَا اللَّجَى بِمَكَّةَ مَا عَشْنَا ثَلَاثَةَ أَبْجَرِ

(٧) ط « يوم إلى »

أخذه أبو تمام فقال :

حين عَفَى مقام إبليس سَأَى بالمطايا مقام إبراهيم^(١)

١١٤- وقال أبو تمام :

تَحَيَّوْا بِالْأَسَنَةِ ثُمَّ نَنُوءَا مُصَافِحَةً بِأَطْرَافِ الرِّيحِ^(٢)

أخذ قوله : « تحيوا بالأسنة » من قول مسلم بن الوليد :

تَحَيَّوْا بِأَطْرَافِ الْقَنَا وَتَعَانَقُوا مُعَانَقَةَ الْبَغْضَاءِ غَيْرِ التَّوَدُّدِ^(٣)

وأخذ قوله : « مصافحة بأطراف الرياح »^(٤) من قول أبي اللحام التغلبي^(٥) :

دَلَفْتُ لَهُ بِأَبْيَضٍ مَشْرِقٍ كَمَا يَدْنُو الْمُصَافِحُ لِلْسَّلَامِ^(٦)

١١٥- وقال جرير في معاوية :

الْحَزْمُ وَالْجُودُ وَالْإِيمَانُ قَدْ نَزَلُوا عَلَى يَزِيدَ أَمِينِ اللَّهِ فَاخْتَلَفُوا

ألم به أبو تمام فقال :

مَنِ الْبَأْسُ وَالْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ وَالتَّقَى عِيَالٌ عَلَيْهِ ، رِزْقُهُنَّ شِمَائِلُهُ^(٧)

فقال : « عيال عليه » . وهو نحو قول جرير : « نزلوا على يزيد » . أو

لعل أبا تمام أخذه من قول دعبيل :

تَنَافَسَ فِيهِ الْبَأْسُ وَالْحَزْمُ وَالتَّقَى وَبَدَلُ النَّدَى حَتَّى أَصْطَحَبَنَ ضَرَائِرًا^(٨)

(١) ديوانه ٢٩٢

(٢) ط « فحيوا » وفي م ، ك « بأطراف الصفاح »

(٣) ديوانه ٦٦ وفي ط « فحيوا »

(٤) م ، ك « الصفاح »

(٥) ط « أبي إسحاق » وانظر معجم الشعراء ٥١٥

(٦) ط « دنوت له »

(٧) ديوانه ٢٣٠

(٨) ط « اللهى حتى اصطبحن »

١١٦- وقال الكميت يصف الخيل :

يَفْقَهُنَّ عَنْهُمْ إِذَا قَالُوا ، وَيَفْقَهُهُمْ مُسْتَطَعِمٌ صَاهِلٌ مِنْهَا وَمُنْتَجِمٌ^(١)
أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ :

وَهُوَ إِذَا مَا نَاجَاهُ فَارِسُهُ يَفْقَهُ عَنْهُ مَا تَفْقَهُمُ الْإِنْسُ^(٢)

١١٧- وقال الكميت^(٣) أيضاً :

وَأَذْنَيْنِ الْبُرُودَ عَلَى خُدُودِ يَزِينُ الْفَدَاغِمَ بِالْأَسِيلِ^(٤)
الْفَدَاغِمُ : الْوَجْهَ^(٥) اللَّحِيْمَةُ .

فَقَالَ أَبُو تَمَامٍ :

وَنَوَّاهُ عَلَى وَشَى الْخُدُودِ صِيَانَةً وَشَى الْبُرُودِ بِمُسْجَفٍ وَمُمَهَّدٍ^(٦)

١١٨- وقال الأبيبردُ الرِّياحِيُّ^(٧) :

وَكُنْتُ أَرَى هَجْرًا فِرَاقَكَ سَاعَةً أَلَا، لَا، بَلِ الْمَوْتُ التَّفَرُّقُ وَالْهَجْرُ^(٨)
أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ :

الْمَوْتُ عِنْدِي وَالْفِرَا قُ كَلَاهُمَا مَا لَا يُطَاقُ^(٩)

(١) م « وتفقههم » و ط « صاهل منهم » والنحيم : صوت من صدر الفرس .

(٢) ديوانه ١٦٧ وشرح التبريزي ٢٢٧/٢ وفي م : « ما ناجاه قائده »

(٣) ليست في م

(٤) ط « وألقين »

(٥) ط « يريد بالفداغم الرخوة اللحيمة »

(٦) ديوانه ١١١ وشرح التبريزي ٤٧/٢ ، وشي الخلود : حميتها وبياضها . والمسجف :

المسيل

(٧) في ك : « اليربوعي » وكلاهما صحيح قال الآملي في المؤلف والمختلف ص ٢٤ : هو

الأبيبرد اليربوعي . وهو الأبيبرد بن المنذر بن قيس بن عتاب بن هري بن رباح بن يربوع . شاعر مشهور مقل لمحمد

(٨) أمالي اليزيدي ٢٦ وذيل أمالي القالي ٢ وانظر سبط اللآلي ٤/٣

(٩) ديوانه ٤٥٣

١١٩- وأنشد أبو العباس المبرد للعتبي :

أَضَحَّتْ بِخَدِّي لِلدُّمُوعِ رُسُومُ أَسْفَاً عَلَيْكَ ، وَفِي الْفُؤَادِ كُلوْمُ^(١)
وَالصَّبْرُ يَحْسُنُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ ؛ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ

قال : وأخذه الطائي فقال في إدريس بن بدر السامي^(٢) :

دُمُوعُ أَجَابَتْ دَاعِيَ الْحُزَنِ هُمَمُ تُوَصَّلُ مِنَّا عَنْ قُلُوبٍ تَقَطَّعُ
وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لَايِسُ الصَّبْرُ حَازِمًا فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجْزَعُ^(٣)

قال : وجاء به الطائي في موضع آخر ، فقال :

الصَّبْرُ أَجْمَلُ غَيْرَ أَنَّ تَلَذُّدًا فِي الْحُبِّ أُخْرَى أَنْ يَكُونَ جَمِيلًا^(٤)

١٢٠- وقال الراجز ، أنشده يعقوب بن السكيت :

قَدْ أَصْبَحَتِ الْعَقْدَةُ صَلْعَاءَ اللَّمَمِ وَأَصْبَحَ الْأَسْوَدُ مَخْضُوبًا بِدَمٍ^(٥)

العقدة : موضع ذو شجر لا ينتقى فيذهب . وصلعاء اللمم واللمم :

الجمام^(٦) ، وهو جمع لِمَّة ، فجعله مثلاً لرؤوس النبت أكلته الإبل
فصارت لِمَّةً صَلْعَاءً ، والأسود : الحية تطوّه الإبل فتقتله .

فظفر بهذا [المعنى] أبو تمام ، فقال :

حَتَّى تَعَمَّمَ صَلْعُ هَامَاتِ الرَّبِيِّ مِنْ نَوْرِهِ وَتَنَازَرَ الْأَهْضَامُ^(٧)

(١) في الكامل ٣٨٦/١ وقال العتبي محمد بن عبيد الله يذكر ابناً له مات . . . ثم قال :

« وأحسب أن حبيباً الطائي سمع هذا فاسترقه في بيتين : أحدهما قوله في إدريس بن بدر الشامي : دموع ...
والآخر . . . الصبر أجمل . . . »

(٢) في الكامل وأصول الموازنة المخطوطة والمطبوعة « الشامي » وفي ديوانه ٣٧٢ « السامي من ولد

سامة بن لؤي »

(٣) بين هذا البيت وسابقه تسعة أبيات في الديوان

(٤) ط « تلذذي » والديوان « تلذذا » وهو تصحيف فيها

(٥) منسوب لبعض الأعراب في الوساطة ٢٠٥ وفي ط : « قد أضحت »

(٦) ط « شجر لا يفتنى فيذهب وصلعاء اللمم : الجمام » وهو تحريف عجيب

(٧) ديوانه ٢٧٩ وفي الوساطة « من دونه »

والأهضام : ما انخفض من الأرض .

• • •

وجدت ابن أبي طاهر [قد] حَرَجَ سرقاتِ أبي تمام ، فأصاب في بعضها ، وأخطأ في البعض ؛ لأنه خلط الخاص من المعاني بالمشترك بين الناس : مما لا يكون مثله مسروقاً .

١- فمن السَّرَقِ [الصحيح] قولُ أبي تمام :
كما كَادَ يُنْسَى عهدُ عَمِيَاءَ بِاللُّوَى وَلَكِنْ أَمَلَتْهُ عَلَيْهِ الْحَمَائِمُ^(١)
أخذه من قول العتّابي :

بَكَى فَاسْتَمَلَ الشُّوقَ مِنْ ذِي حَمَامَةٍ أَبَتْ فِي غُصُونِ الْأَيْكِ إِلَّا تَرْتُمَا^(٢)
[أظن أن قوله من ذي حمامة] أراد^(٣) من صوت حمامة ، دعتة إليه
الضرورة ، وليس هذا موضع «ذى»^(٤) .

وقوله : « أملتة » من قول العتّابي : « فاستمَلَّ » . وقد جاء مثله في أشعارهم .

• • •

٢- وقال : أخذ قوله :

لَا تَنْشِجَنَّ لَهَا فَإِنْ بَكَاءَهَا ضَحِكُ . وَإِنْ بَكَاءَكَ أَسْتِغْرَامُ^(٥)

(١) ديوانه ٢٨٥ وفي الوساطة « وقد كاد »

(٢) ط « واستمل . . . من في . . . إلا الترمما »

(٣) ط « أظن قوله في حمامة أراد » وما بين القوسين من ك

(٤) ط « موضع في »

(٥) ديوانه ٢٧٩ « لا تشجين » وما في م يوافق ما في الزهرة ٢٤٢/١

من قول الآخر .

وإني إن بكيتُ بكيتُ حقاً وإنك في بكائكِ تكذِّبينا^(١)

٣- وقال أبو تمام^(٢) :

• فنولَ حتى لم يجد من ينيله •

أخذه من قول علي بن جبلة :

أعطيتَ حتى لم تجد لك سائلاً وبدأت إذ قطع العفأة سؤالها
وقد ذكرتُ أخذه هذا المعنى - فيما تقدم - من غير ابن جبلة^(٣) .

٤- وقال : [أخذ قوله] :

إنني لأعجبُ ممن في حقيبه من المنيِّ ببحورٍ كيف لا يلد^(٤)
من قول مروان :

لو كان يحملُ من هذا الورى أحدٌ لكنتَ أولَ خلقي جاء بالولد^(٥)
ومن قوله أيضاً :

لو كان يُخلَقُ في بطنِ امرئٍ ولدٌ لأصبحَ البطنُ منه ضامناً ولداً

(١) في الزهرة ٢٤٢/١ من أبيات لنهان العشمي :

غلطك في البكاء بأن ليلى أوامله وأنتك تهجيننا
وأنى أشتكى فأقول حقاً وأنتك تشكين فكذبنا

(٢) من ك

(٣) راجع ص ٩٤

(٤) ديوانه ٣٤٣ يهجو عتبة بن أبي عاصم

(٥) ط « كان يحمل . . . الورى ذكر . . . خلق الله »

٥- وقال أبو تمام^(١) :

يَحْيِيهِ لَأَلَاؤُهُ أَوْ لَوْ ذَعِيَّتُهُ عَنْ أَنْ يُذَالَ بِمَنْ أَوْ مِمَّنِ الرَّجُلُ^(٢)
أَخْذَهُ مِنْ قَوْلِ حَسَّانَ :

إِذَا مَا تَرَعَرَعَ فِينَا الْغَلَا مُ فَمَا إِنْ يُقَالُ لَهُ : مَنْ هُوَ؟^(٣)
وَقَدْ ذَكَرْتُ أَخْذَهُ هَذَا الْمَعْنَى - فِيمَا تَقْدِمُ - مِنْ غَيْرِ حَسَّانَ^(٤) .

٦- وقال أبو تمام^(٥) :

فَلَا تَطْلُبُوا أَسْيَافَهُمْ فِي جُفُونِهَا فَقَدْ أَسْكَنْتَ بَيْنَ الطُّلَى وَالْجَمَاجِمِ^(٦)
أَخْذَهُ مِنْ قَوْلِ عَنَتَرَةَ :

وَلَمْ يَعْلَمْ جَرِيَّةٌ أَنْ نَبَلِي يَكُونُ جَفِيرَهَا الْبَطْلُ النَّجِيدُ^(٧)

٧- وقال أبو تمام :

يَتَجَنَّبُ الْآثَامُ ثُمَّ يَخَافُهَا فَكَأَنَّمَا حَسَنَاتُهُ آثَامُ^(٨)

(١) من ك

(٢) سبق ص ١٠٤

(٣) ديوانه ٤٢٢

(٤) راجع ص ١٠٤

(٥) من ك

(٦) ديوانه ٣٨٧ والطلّى : الأعناق .

(٧) ديوانه ٤٩ « هل يدري جرية » و م « ولم تعلم جوية » وجرية : رجل من بني عمرو بن
المجيم كان له مع عنترَةَ قصة والنبل : السهام . والجفير : الكنانة الجعبة التي تجعل فيها السهام .
والنجيد : الشجاع الشديد البأس السريع الإجابة إل ما دعى إليه

وقد شرح الشيخ « محمد محيى الدين عبد الحميد » البيت بما يلي : « الجفير : جعبة من جلود لا خشب
فيها ، أوجبة من خشب لا جلود فيها . يريد أن مكان سيفي وغمده الذي أضعه فيه هو البطل النجيد » .

ولست أدري كيف فسر الشيخ كلمة « نبل » بسيفي ؟ !

(٨) ديوانه ٢٨٠ بملح المأمون

أخذه من قول أبي العتاهية :
لَمْ يَنْتَقِضْني إِذْ أَسَأْتُ وَزَادَنِي حَتَّى كَانَ إِسَاعَتِي إِحْسَانًا^(١)

• • •

٨- وقال الطائي :

أَلَا أَيُّهَا الرَّبِيعُ الَّذِي خَفَّ آهْلُهُ لَقَدْ أَدْرَكْتَ فَيْكَ النَّوَى مَا تُحَاوِلُهُ^(٢)
[أخذه من قول العرجي :

أَلَا أَيُّهَا الرَّبِيعُ الَّذِي بَانَ أَهْلُهُ لَقَدْ أَدْرَكْتَ فَيْكَ النَّوَى مَا تُحَاوِلُهُ]^(٣)

• • •

٩- وقال :

لَا تُذِيلَنَّ مَصُونَهُمْ وَأَنْظُرْ كَمْ بِذِي الْأَيْلِكِ دَوْحَةٌ مِنْ قَضِيبٍ^(٤)
أخذه من قول الأشهب [بن ربيعة] :

عَلَّ بَنِيَّ يَشُدُّ اللَّهُ أَرْزَهُمْ وَالْدَّوْحُ يُنْبِتُ عِيدَانًا فَيَكْتَهِلُ

• • •

١٠- وقال أبو تمام :

أَظَلُّهُ الْبَيْنُ حَتَّى إِنَّهُ رَجُلٌ لَوْ مَاتَ مِنْ شُغْلِهِ بِالْبَيْنِ مَا عَلِمَا^(٥)
أخذه من قول أبي الشَّيْبِ :

فَكَمْ مِنْ مَيْتَةٍ قَدْ مَتَّ فِيهِ وَلَكِنْ كَانَ ذَاكَ وَمَا شَعَرْتُ^(٦)

(١) ط « تنتقضي . . . وزدني »

(٢) ديوانه ٢٢٩ « أجل أيها . . . الذي بان »

(٣) في ديوان العرجي ٢٠

ألا أيها الربيع الذي خف أهله وأسى خلاء موحشا غير أهل

(٤) ديوانه ١٢٧/١ وشرح التبريزي ١٢/٧١ « بنى الأهل » . والمعنى : لا تذيلن صغير هلك أي لا تهمل نظرك فيه فإن كان خيرا فإنه يشمر وتعظم المنفعة به ، وإن كان مما يحذر فإنه لا يؤمن أن يغلب ويتفاقم ، وهذا المعنى قصده نهشل بن حري في قوله :

قال الأقارب : لا يفررك كثرتنا وأغن شأنك عنا أيها الرجل

عل بني . . . ويكمل . فهذا مثل قوله : كم بنى الأهل دوحة من قضيب »

(٦) ط « وكم »

(٥) ديوانه ٣٠٢

[وبيت أبي تمام أجود] .

١١ - وقال في وصف الرماح :

كَأَنَّهَا - وَهِيَ فِي الْأَكْبَادِ وَالْغَةِ
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ النَّمْرِىَّ :

وَمُضَلَّتَاتٍ كَانَ حَقْدًا مِنْهَا عَلَى الْهَامِ وَالرَّقَابِ^(١)

١٢ - وقال :

إِذَا مَا أَغَارُوا فَاحْتَوُوا مَالَ مَعْشَرٍ
أَغَارَتْ عَلَيْهِمْ فَاحْتَوَتْهُ الصَّنَائِعُ^(٢)
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ :

إِذَا أَسْلَفَتْهُنَّ الْمَلَاحِمُ مَغْنَمًا دَعَاهُنَّ مِنْ كَسْبِ الْمَكَارِمِ مَغْرَمُ^(٣)

١٣ - وقال أبو تمام :

وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَسْنَةِ عَرَسُوا عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَاهِيَهُ
[أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ كَثِيرٍ :

وركب كأطراف الأسنة عرسوا قلائص في أصلاهن نُحُولُ]
وقد ذكرتُ أخذه هذا المعنى - فيم تقدم - من [غير] كثير^(٤) .

١٤ - وقال أبو تمام .

تَوَفِّيَتْ الْأَمَالُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ فَأَصْبَحَ مَشْغُولًا عَنِ السَّفَرِ السَّفَرُ

(١) ديوانه ٩٩ وشرح التبريزي ١٧/٢ « في الأوداج والفة »

(٢) في الوساطة ٢٤٣ « حقدأ بها » (٣) ديوانه ٤٨٠

(٤) غير منسوب في الوساطة ٣٠٢ (٥) راجع ص ٦١ - ٦٢

أخذه من قول عصابة الجرجاني : (١)
 أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ آمَاكَ الَّتِي تُؤْفِقُنَ لَمَّا اغْتَالَكَ الْحَدَثَانُ (٢)
 وقد تقدم [أيضاً] ذكر هذا وأخذه [إياه] من موضع آخر (٣) .

• • •

١٥ - وقال أبو تمام :

• تَعْلِيْقُهَا الْإِسْرَاجُ وَالْإِلْجَامُ (٤) •

أخذه من قول جرير :
 حَرَاجِيحُ يُعْلَقْنَ الذَّمِيلُ كَأَنَّهَا مَعَاظِفُ نَبْعٍ أَوْ حَنِيٍّ الشَّرَاجِعِ (٥)

• • •

١٦ - وقال :

ذَاكَ الَّذِي كَانَ لَوْ أَنَّ الْأَنَامَ لَهُ نَسْلٌ لَمَّا رَاضَهُمْ جُبْنٌ وَلَا بَخْلٌ (٦)
 أخذه من قول أبي السَّمُطِ (٧) :

(١) ط « عصام الجرجاني » وهو تحريف . وأخبار عصابة في معجم البلدان ٨٠/٣ وطبقات الشعراء لابن المعتز ٣٩٩ - ٤٠١

(٢) في هامش ك : ع : « آمال »

(٣) راجع ص ٧٢ - ٧٣ و ٨٠

(٤) صدره : « بسواهم لحق الأباطل شرب » ديوانه ٢٨١ والمطوق : ما تعلقه الإبل ، أي ترعاه ، يقال : ما في الأرض علاق ، أي ما فيها مرتع ، قال الأعشى :

وفلاة كأنها ظهر ترس ليس إلا الرجيع فيها علاق

الرجيع الحرة . يقول : لا تجد الإبل فيها علاقاً إلا ما ترده من جربها ، وفي ط « تعليقها » والديوان كالمخطوطة « تعليقها » ويرى الشيخ محي الدين ناسر ط أن ما فيها هو الصواب !

(٥) ديوانه ٣٦٠ والحراجيع : جمع حرجوج ، وهي الناقة الضامرة الحادة القلب ، والذميل :

ضرب من السير السريع اللين . والشرايع : جمع شريع ، وهو النعش

(٦) ديوانه ٢٢٨ وفي ط « لما عابهم »

(٧) ط « أبي السميطة » وهو تحريف . وأبو السميطة هو مروان بن أبي حفصة

لَوْ كَانَ جَدُّكُمْ شَرِيكُ وَالِدَا لِلنَّاسِ لَمْ تَلِدِ النَّسَاءُ بَخِيلًا

• • •

١٧- وقال :

حَمَاءٌ مِنْ حَلَبِ الْعَصِيرِ كَسَوْنَهَا بَيْضَاءُ مِنْ حَلَبِ الْغَمَامِ الرَّقَرَقِ

أخذه من قول مسلم :

صَفَرَاءُ مِنْ حَلَبِ الْكُرُومِ كَسَوْنَهَا بَيْضَاءُ مِنْ حَلَبِ الْقِيُومِ الْبُجَسِ^(١)

• • •

١٨- وقال : أخذ قوله :

• بَيَاضُ الْعَطَايَا فِي سَوَادِ الْمَطَالِبِ •^(٢)

[من قول بعض العرب :

هَمَامٌ عَطَايَاهُ بِدَوْرٍ طَوَالِعُ عَلَى آمِلِيهِ فِي سَوَادِ الْمَطَالِبِ]^(٣)

[و] من قول الأخطل :

رَأَيْنَ بَيَاضاً فِي سَوَادٍ كَأَنَّهُ بَيَاضُ الْعَطَايَا فِي سَوَادِ الْمَطَالِبِ

• • •

١٩- [وقال] : أخذ قوله :

نَادَمْتُ ذِكْرَكَ وَالظُّلَمَاءُ عَاكِفَةُ فَكَانَ يَا سَيِّدِي أَخْلَى مِنَ الشَّهِدِ^(٤)

من قول ابن أبي أمية :

كَمْ لَيْلَةٍ نَادَمَنِي ذِكْرُهُ يُسْعِدُنِي الْمَثَلُ وَالزَّيْرُ

• • •

(١) ديوانه ١٠٨ « من صوب الفيوم » وفي ط « من حلب العصير كسوتها »

(٢) صدره « وأحسن من نور تفتحه العبا » ديوانه ٤٢ وشرح التبريزي ٢١٢/١

(٣) ما بين القوسين ليس في ك

(٤) ط « فاجيت »

٢٠- وأخذ قوله :

• وَالْعَيْشُ غَضُّ وَالزَّمَانُ غَلَامٌ^(١) •

من قول الأخطل :

سَعَيْتَ شَبَابَ الدَّهْرِ لَمْ تَسْتَطِعْهُمْ أَفَالآنَ لَمَّا أَصْبَحَ الدَّهْرُ فَانِيَا؟^(٢)

• • •

٢١- و [قال] : أخذ قوله :

ذَلِكَ الَّذِي أَحْصَى الشُّهُورَ وَعَدَّهَا طَمَعاً لِيَنْتَجِ سَقْبَةً مِنْ حَائِلٍ^(٣)

من قول أعرابي :

إِنَّا وَجَدْنَا طَرْدَ الْهَوَامِلِ خَيْرًا مِنَ التَّنَانِ وَالْمَسَائِلِ^(٤)

وعدة العام وعام قابل ملقوحة في بطن ناب حائل^(٥)

• • •

٢٢- وأخذ قوله :

يُخْشَوْنَ حَتَّى مَا يَشْكُ عَدُوَّهُمْ أَنَّ الْمَنَايَا الْحُمْرَ حَى مِنْهُمْ^(٦)

(١) صدره : « ولقد أراك فهل أراك بقبلة » ديوانه ٢٧٩

(٢) ديوانه ٦٦

(٣) ديوانه ٥٠٢ وقبلة :

ما خلقت حواء أحق حية من سائل يرجو الغنى من سائل

والسقب : ولد الناقة ، والأنثى سقبة . من حائل : غير حامل

(٤) ط « التانان والمسائل » وهو تحريف وقى م « طرد الحوامل »

وقد استشهد بهما في اللسان ١٦٨/١٦ على أن التانان وهو صفة واقع موقع المصدر الذي هو الأنثى وقد ذكر أولهما أيضاً ١٣٥/١٤ وقال « وابل هوامل : مسيبة لاراعى لها . أراد أنا وجدنا طرد الإبل

المهملة وسوقها سلا وصرقة ، أهون علينا من مسألة الناس والتباكي إليهم » وقى هامش اللسان ١٦٨/١٦ أن الصاغاني صوب زيادة مشطور بين المشطورين وهو : « بين الرسيين وبين عاتل »

(٥) في اللسان « ملقوحة : بمعنى ملقمة ، والمعنى أنها عدة لا تصح لأن بطن الحائل لا يكون فيه

سقب ملقمة »

(٦) ديوانه ٢٨٥ و ط « يعلون » ومعناها : يظهرون على أعدائهم

من قول مسلم بن الوليد :

لَوْ أَنَّ قَوْمًا يُخْلَقُونَ مِثِّيَّةً مِنْ بَأْسِهِمْ كَانُوا بَنِي جِبْرِيلَ^(١)

٢٣ - وأخذ قوله :

لَوْ كَانَ فِي الدُّنْيَا قَبِيلٌ آخَرُ بِإِزَائِهِمْ مَا كَانَ فِيهَا مُعْدِمٌ

من قول بشار :

لَوْ كَانَ مِثْلَكَ آخَرُ مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا فَقِيرٌ^(٢)

٢٤ - وقال في قوله :

رَمَا الصُّدُودَ فَلَمَّا اقْتَادَ أَرْسُنَنَا حَنَّتْ حَنِينَ عَجُولٍ بَيْنَنَا الرَّحْمُ^(٣)

من قول الأسود بن يعفر :

سَمَا بَصْرَى لَمَّا عَرَفْتُ مَكَانَهُ وَأَطْتُ إِلَى الْوَأْشَجَاتُ أَطِيطًا^(٤)

٢٥ - و [قال] : أخذ قوله :

صَفَرَاءُ صُفْرَةٍ صَحَّةٌ قَدَرَكَبْتُ جُثَانَهُ فِي ثَوْبٍ سُقْمٍ أَصْفَرٍ^(٥)

من قول علي بن أديم^(٦) الكوفي :

(١) ديوانه ٥٠ ، ٣٦ (طبع الهند)

(٢) البيت له في الأغاني ٣٩/٣ في مدح عقبة بن مسلم ؛ وقبلة :

يا واحد العرب الذي أمسى وليس له نظير

وقد عاد صاحب الأغاني فذكر ٩٠/٣ أن البيتين لابن المولى في مدح يزيد بن حاتم .

(٣) ديوانه ٤١٠ وفي اللسان ٤٥٤/١٣ « المعجول من النساء والإبل : الواله التي فقدت ولدها

الشكل لمجلتها في جيشها وذهابها جزءاً »

(٤) أطلت : أنت حنيئاً . والمراد بالواشجات : القرباب المتشبكة المتصلة

(٥) ديوانه ٣٩٦

(٦) في معجم الشعراء ٢٨٣ « علي بن أديم الكوفي البزاز ، كان في صدر الدولة العباسية .. »

وفي ط « علي بن رزين » وفي المعجم ٢٨٣ « علي بن رزين الخزاعي ، هو أبو دعبل بن علي الشاعر » وفي

جمهرة الأنساب ٢٢٩ « علي بن رزين بن علي بن رزين ابن أخي دعبل »

بَيَّضَاءُ رُعْبُوبَةٌ صَفَرَاءُ مِنْ غَيْرِ [داء]

* * *

٢٦ - وقال في قوله :

* لَمْ تَكْمِدِي فَظَنَنْتِ أَنْ لَمْ يَكْمِدِ ^(١) *

من قول بعضهم :

لَا تُنْكِرِي جَزَعَ الْمُحِبِّ ؛ فَإِنَّهُ يَطْوِي عَلَى الزَّفَرَاتِ غَيْرَ حَشَاكَ
[وأخذه من قول مسلم :

قَدْ أَوْلَعْتُهُ بِطُولِ الْهَجْرِ غِرَّتُهُ لو كان يعرف طعم الهجر ما هَجَرَ] ^(٢)

* * *

٢٧ - وقال في قوله :

سَقَى الْغَيْثُ غَيْثًا وَارَتِ الْأَرْضُ شَخْصَهُ

وَلِإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ سَحَابٌ وَلَا قَطْرٌ ^(٣)

من قول شقيق بن سُلَيْكٍ العامري ^(٤)

* سَقَاكَ الْغَيْثُ إِنَّكَ كُنْتَ غَيْثًا *

* * *

٢٨ - وقال قوله :

أَمِنْ بَعْدِ طَىِّ الْحَادِثَاتِ مُحَمَّدًا يَكُونُ لِأَنْثَوَابِ الْبَنْدَى أَبَدًا نَشْرُؤٌ ^(٥)

(١) صدره : « كشف الغطاء فأوقدني أو أحمدي » ديوانه ١١١ وشرح التبريزي ٤٣/٢ لم تكدي أي لم تمشق فظننت في مثل ذلك . يقول : قد باح السر ، فإن شئت فقلو وإن شئت فذري .

(٢) ديوانه طبع الهند ١٢٠ « طول الهجر » الغرة : الغفلة عن تجربة الأمور . يقول : تذيقي المذاب بهجرها وتأق ذلك بجهل عما آلت ، فلو عرفت ذلك ما هجرتي » وما بين القوسين ليس في ك

(٣) ديوانه ٣٧٠

(٤) هذا يوافق ما في عيون الأخبار ٦٢/٤ وفي ط « عتيق بن سليك » وفي م ، ك « شقيق بن سليل الغاضري » وجاء في قصيدة لمهلل بن ربيعة يرقى أخاه كليياً :

سَقَاكَ الْغَيْثُ إِنَّكَ كُنْتَ غَيْثًا وَيَسْرًا حِينَ يَلْتَمِسُ الْيَارَ

(٥) ديوانه ٣٦٩ وهبة الأيام ١٤٦ و ط « لأنثواب العلى »

من قول أبي نواس :

طَوَى الْمَوْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي الْمَنِيَّةُ نَاشِرٌ^(١)

• • •

٢٩- وقال في قوله^(٢) :

• وَمَنْ الْعَجَائِبِ نَاصِحٌ لَا يُشْفِقُ^(٣) •

من قول المخبل :

لَنْ يَعْدَمَ الْغَاوَى عَلَى الْغَى لَأَمَّا وَإِنْ هُوَ لَمْ يُشْفِقْ عَلَيْهِ يَلُومُ^(٤)

• • •

٣٠- وقال في قوله^(٥) :

مَنْ شَرَّدَ الْإِعْدَامَ عَنْ أَوْطَانِهِ بِالْبَذْلِ حَتَّى اسْتَطَرَفَ الْإِعْدَامُ^(٦)

من قول الأعشى :

هُمْ يَطْرُدُونَ الْفَقْرَ عَنْ جَارِهِمْ حَتَّى يُرَى كَالْفُصْنِ النَّاصِرِ^(٧)

وفي بيت أبي تمام زيادة حسنة ، وهي قوله : «حتى استطرف الإعدام» •

• • •

(١) ديوانه ١٢٩ و ١٠٨ طبع الحلبي وأخبار أبي نواس ٧٠/١ والنقد ٢٥٤/٣

(٢) ط «وقوله أيضاً»

(٣) في ديوانه ٤٩٩

عمرى لقد نصح الزمان وإنه لمن العجائب ناصح لا يشفق

(٤) حسنة البحري ٢٣٦ و ط «ولا يندم»

(٥) ط «وأخذ قوله»

(٦) ديوانه ٢٨٠

(٧) ديوانه . . .

٣١- وقال في قوله :

حَلَفْتُ ، إِنْ لَمْ تَثْبُتْ ، أَنْ حَافِرَهُ
مِنْ صَخْرٍ تَذْمُرُ أَوْ مِنْ وَجْهِ عُثْمَانَ^(١)

من قول الآخر :

لَوْ أَنَّ حَافِرُ بَرْدَوْنٍ كَاوَجَّهُكُمْ
بَنَى بُدَيْلٍ لَمَا أَنْعَلْتُهُ أَبَدًا^(٢)

[باب]

ومما نسبته ابن أبي طاهر فيه إلى السَّرْق وليس بمسروق ؛ لأنه مما يشترك
النَّاسُ فيه من المعاني ، ويجرى على ألسنتهم .
ومنه ما نسبته إلى السَّرْق والمعنيان مختلفان .

٣٢- [فمما نسبته إلى السرق وليس بمسروق] قول أبي تمام :

أَلَمْ تَمُتْ يَا شَقِيقَ الْجُودِ مِنْ زَمَنِ فَقَالَ لِي : لَمْ يَمُتْ مَنْ لَمْ يَمُتْ كَرَمُهُ^(٣)
وقال : أَخَذَهُ مِنْ [قول] العَتَّابِي :

رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ^(٤)

ومثل هذا لا يقال فيه مسروق ؛ لأنه قد جرى في عادات الناس - إذا
مات الرجل من أهل الفضل والخير ، وأثنى عليه بالجميل - أن يقولوا : ما
مات مَنْ خَلَفَ مثل هذا الشَّاء ، ولا من ذُكِرَ بمثل هذا الذكر . وذلك شائع
في كل أمة ، وفي كل لسان^(٥) :

(١) ديوانه ٢٠١ طبع مصر والصناعتين ٣٩٩ والمعدة ٣٨/٢ ودوان المعاني ١/١٩٨ وزهر
الأدب ١٠١٥/٢ ومعجم الأدباء ٢٥٠/١٩ وأخبار أبي تمام ٦٨ وإعجاز القرآن ١٥٨ ويريد
يعثمان : عثمان بن إدريس السامي .

(٢) ط « لو كان »

(٣) ديوانه ٣٨٧ وط « مذ زمن »

(٤) في الكامل ١١٩٧/٣ من أبيات لقطرب فيما يرى الأخفش .

(٥) م « كل إنسان »

٣٣- وقول أبي تمام :

إِذَا عُنَيْتُ بِشَيْءٍ خِلْتُ أَنِّي قَدْ أَدْرَكْتُهُ ، أَدْرَكْتَنِي حِرْفَةُ الْأَدَبِ^(١)
قال : أخذه من قول الخُرَيْمِي :

أَدْرَكْتَنِي - وَذَاكَ أَوَّلُ دَأْبِي - بِسَجِسْتَانٍ ، حِرْفَةُ الْآدَابِ^(٢)
و « حِرْفَةُ الْآدَابِ » لفظة قد اشترك فيها النَّاسُ ، وكثرت على الْأَفْوَاهِ ،
حتى سقط أن [نظن أن] واحداً يستملها من آخر .

هذا قول ابن أبي طاهر ، ولم يقل أبو تمام : « أدركتني حرفة الأدب » ؛
إنما قال : « أدركتني حرفة العرب » . وقد ذكرتُ غلطه في هذه اللفظة
عنده ذكر البيت في الموازنة .

٣٤- وقال في قوله :

لَوْ يَعْلَمُ الْعَاقُونَ كَمْ لَكَ فِي النَّدَى مِنْ لَذَّةٍ أَوْ فَرْحَةٍ ، لَمْ تُحْمَدِ^(٣)
أخذه من قول بشار :

لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلَا الْخَوْفِ ، وَلَكِنْ يَلَذُّ طَعْمَ الْعَطَاءِ^(٤)
وما إخاله احتذى في هذا البيت^(٥) على قول بشار : لأن بشاراً قال :
[إنه] ليس يعطيك رغبة في جزاء يرجوه ولا خيفة من مكروهه ، ولكن
لالتذاده العطية .

(١) ديوانه ٤٧١ : « عنيت لأمر »

(٢) ط « بذلك أول دأبي »

(٣) شرح التبريزي ٢١/٢ هـ وهاشمي « لذة وقريحة » وفي ديوانه ١١٣ « من فرسة وقريحة لم

تفهد » بالغاء المعجمة ، وهو تحريف ، وإن خرج الشيوخ يحيى الدين ناسراً « على أن هذه الجملة صفة
لقريحة » !

(٤) ديوانه ١١١/١ والأغاني ٤٤/٣ والمختار من شعر بشار ٩٣

وأراد أبو تمام أن الطالبين لو علموا التذاذه للندى لم يحمده . فالمعنيان إنما اتفقا من طريق التذاذ المدوح بعطائه فقط . وهذا ليس من بدیع المعاني التي يختص بها شاعر [دون غيره] ، فيقال : إن واحداً أخذه من الآخر ؛ لأن العادة جارية بأن يقال : فلان لا يعطي متكارهاً ولا متكلفاً ؛ بل يُعطي عن نية صادقة ، ومحبة لبذل المعروف تامة . ونحو هذا من القول .

* * *

٣٥- وقال في قوله :

• لَوْ كَانَ يَنْفُخُ قَيْنُ الْحَيِّ فِي فَحَمٍ^(٢) •

من قول الأغلب :

قَدْ قَاتَلُوا لَوْ يَنْفُخُونَ فِي فَحَمٍ مَا جَبُنُوا وَلَا تَوَلَّوْا مِنْ أُمِّ^(٣)
وهذا معنى شائع من معاني كلام^(٣) العرب ، وجارٍ في الأمثال أن يقولوا :
قد فعلت كذا ، واجتهدت في كذا لو كنت أنفخ في فحم ؛ لأن النفخ في الفحم يُحيي النار ويشعلها ، والنفخ في حطب - ليس بفحم^(٤) ولا أَخَذَتِ النار فيه - لا يورى ناراً .

* * *

٣٦- وقال في قوله :

• وَالْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ سَوُولٍ •

(١) ليست في م

(٢) صدره « لم يأنكم مالك صفحاً ومغفرة » ديوانه ٢٦٩

(٣) في اللسان ٣٤٤/١٥ « وفي المثل : لو كنت أنفخ في فحم ، أي لو كنت أعمل في عائدة ، قال الأغلب العجل : هل غير غارهد غاراً فأنهم » قد قاتلوا لو ينفخون في فحم » وصبروا لو صبروا على أمم » يقول : لو كان قتالهم يغني شيئاً ، ولكنه لا يغني ، فكان كالذي ينفخ ناراً ولا فحم ولا حطب ، فلا تنقد النار . يضرب هذا المثل للرجل يمارس أمراً لا يجدي عليه » وانظر مجمع الأمثال ١٨٦/٢

ولإصلاح المنطق ١١٠

(٤) من ك

(٥) ط « بفحم إذا أخذت » وهو تحريف يفسد المعنى .

من قول محمود^(١) :

فَارْغَبْ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ ، وَلَا تَكُنْ

بَادِي الضَّرَاعَةِ طَالِباً مِنْ طَالِبِ

ومثل هذا لا يكون مسروقاً ؛ لأنه جار على الألسن أن يقال : وقع سائل على سائل ، ومُجْتَدٍ على مجتد^(٢) ، ووقع البائس على الفقير ، وأمثال هذا.

• • •

٣٧- وقال في قوله :

هِمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ وَجَدٌ آلِفٌ لِلْحَضِيضِ فَهُوَ حَضِيضٌ^(٣)

من قول أعرابي :

هِمَّتُهُ قَدْ عَلَتْ وَقُدْرَتُهُ فِي اللَّحْدِ بَيْنَ الثَّرَى مَعَ الْكَفَنِ^(٤)

وهذا أيضاً من المعاني المشتركة الجارية في العادة أن يقولوا : همته في علاء وجدته في سفال ، وهمته ناطقة وجدته أخرس ، وهمته ذات حراك وجدته ساكن ، وهمته فلان ترفعه وجدته يَضَعُه ، وأشباه هذا .

• • •

٣٨- [ومما نسبته إلى السرق والمعنيان مختلفان قوله] :

تَقْبَلُ الرُّكْنَ رُكْنَ الْبَيْتِ نَافِلَةً وَظَهَرُكَ كَفْلَكَ مَعْمُورٌ مِنَ الْقَبْلِ^(٥)

[وزعم أنه] من قول عبد الله بن طاهر :

أَعْلَتْ لَهُ ذِكْرُهُ فَكَافَأَهَا بِأَنْ تَوَالَتْ فِي ظَهْرِهَا الْقَبْلُ^(٦)

(١) هو محمود الوراق .

(٢) في الطبعة الثانية من ط « ومجتهد على مجتهد » وهو تحريف واضح الفساد .

(٣) ديوانه ١٨١ وشرح التبريزي ٢٨٩/٢ والصناعتين ٢٢٦ وأخبار أبي تمام ٨٧ والموشح ٣٣٢

وديوان المعاني ١٠٩/١ والوساطة ٣٥٠

(٤) البيت غير منسوب في شرح التبريزي ٢٨٩/٢

(٥) ديوانه ٢٥١

(٦) ط « مكافأة بأن توالى »

وليس بين المعنيين اتفاق إلا بذكر قَبْل الكف . وهذا ليس من المعاني
المبتدعة ؛ لأن الناس أبداً يقولون : ما خلقت وجهه إلا للتحية وكَفّه
إلا للتقبيل ^(١) .

كما قال دِغِيل :

فَبَاطِنُهَا لِلنَّدَى وَظَاهِرُهَا لِلْقَبِيلِ ^(٢)

ومثل هذا مما نطقوا به كثيراً ؛ فلا يكون عندي مسروقاً ^(٣)

• • •

٣٩- وقال في قوله :

نَظَرْتُ فَالْتَفَتُ مِنْهَا إِلَى أَخٍ لِي سَوَادٍ رَأَيْتُهُ فِي بَيَاضٍ ^(٤)

من قول كثير :

وَعَنْ نَجْلَاءَ تَدَمَّعَ فِي بَيَاضٍ إِذَا دَمَعَتْ وَتَنْظُرُ فِي سَوَادٍ

وليس بين المعنيين اتفاق إلا بذكر البياض والسواد ، والألفاظ غير
محظورة . وأبو تمام إنما ^(٥) قال : «فالتفت منها إلى أحلى سواد» يعني
حدقتها ، «في بياض» يعني شحمة عينها . [وهذا هو الصحيح ، وقد قيل :
سواد عينها] ^(٦) في بياض وجهها ، وكثير أراد أن عينها تدمع في بياض إذا
دمعت ، يريد خلدتها ، وتنظر في سواد ، يريد حدقتها . وهذا المعنى ^(٧)
غير ذلك .

(١) ط «لقبل»

(٢) البيت لإبراهيم بن العباس الصولي في الأغاني ٢٩/٩ وديوان المعاني ٢١٥/٢ والصناعتين

٢٢٤ وحماسة ابن الشجرى ١١٥ وزهر الآداب ٣٠١/١ ونهاية الأرب ٩٤/٢

(٣) م «فلا تكون مسروقة»

(٤) ديوانه ١٨٧ وشرح التبريزي ٣٠٩/٢

(٥) ليست في م

(٦) الزيادة من ط

(٧) ليست في م

* * *

٤٠- وقال في قوله :

كَمْ مِنْ يَدٍ لَوْلَا مَا أَخَفَّفَهَا بِهِ مِنَ الشُّكْرِ لَمْ تُحْمَلْ وَلَمْ تُطَقِ^(١)
 بِاللَّهِ أَذْفَعُ عَنِّي ثِقَلِي فَادِحِهَا فَإِنِّي خَائِفٌ مِنْهَا عَلَى عُنِّي^(٢)
 من قول أبي نواس^(٣) :

لَا تُسَيِّدَنَّ إِلَى عَارِفٍ هُتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا^(٤)

[والمعنيان مختلفان : لأن أبا نواس قال :

أَنْتَ أَمْرٌ جَلَلْتَنِي نِعْمًا أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفَا^(٥)
 فذكر أن نِعَمَ الممدوح قد غلبت الشكر ، فاستغفاه^(٦) من نعمة أخرى
 حتى يقوم بشكر السالفة .

وأبو تمام قال : لولا ما أخففها به من الشكر لم أطق حملها ، ثم أحسن
 وألطف في قوله : « فَإِنِّي خَائِفٌ مِنْهَا عَلَى عُنِّي » .
 ومعنى أبي نواس أجود وأبرع .

* * *

٤١- وقال في قوله [ويدخل في الباب الأول] :

أَعْمِلِ التَّنْفَ وَالطَّلَاءَ وَقَدْماً كَانَ صَعْباً أَنْ تُشْعِبَ الْقَارُورَةَ^(٧)

(١) ديوانه ٢٠٩ وشرح التبريزي ٤٠١/٢ « يامنة لك »

(٢) ويروى « حق فادحها » قال الصولي : « وهذا البيت من الغاية التي لم يسبق إليها »

(٣) ط « أبي نواس والمعنيان مختلفان لأن أبا نواس قال « وهو اضطراب في نسق الكلام .

(٤) ديوانه ٧١ وقبله :

قد قلت للعباس معتذراً من ضعف شكره ومعتزفاً

والآيات في ديوان المعاني ١٢٧/١ وعلق عليها أبو هلال بقوله : « وهو أول من أتى بهذا المعنى ،
 إلا أنه عبر عنه عبارة طويلة ، وأحد أدواء الكلام فضل ألفاظه على معانيه » وانظر زهر الآداب ٣٢٢/١

والصناعتين ٢١٥ وشرح المقامات للشرشي ٢٦٨/١

(٥) ط « فقد »

(٦) في م ، ط : فاستغنى

(٧) ط « وقديماً »

من قول الأعشى :

كَصْدَعِ الزُّجَاجَةِ ، لَا تَسْتَطِيعُ مَعُ كَفِّ الصَّنَاعِ لَهَا أَنْ تُحِيرَا^(١)

وهذا معنى [مبتذل] متداول مشهور من معانيهم في الزجاج ، قد نطق به الناس . وأكثروا فيه . حتى سقط . أن يقال : إن أبا تمام أخذه من الأعشى ، وقد تقدم فيه المسيب بن علس ، فقال :

بَانَتْ وَصَدْعُ فِي الْفُؤَادِ لَهَا صَدْعَ الزُّجَاجَةِ لَيْسَ يَتَّفِقُ^(٢)

[وقال آخر :

• كَصْدَعِ الزُّجَاجَةِ لَا يَلْتَمُ •

وقال آخر :

• مِثْلُ صَدْعِ الزُّجَاجَةِ أَعْيَا الصَّنَاعَا •

وكما قال الآخر :

وَتَفَرَّقَتْ نِيَّاتُهُمْ فَتَصَدَّعُوا صَدْعَ الزُّجَاجَةِ مَا لَهَا تِيفَاقُ

ومثله كثير .

٤٢ - وقال في قوله :

إِذَا سَيْفُهُ أَضْحَى عَلَى الْهَامِ حَاكِمًا عَدَا الْعَفْوُ مِنْهُ وَهُوَ فِي السَّيْفِ حَاكِمٌ^(٣)

من قول مسلم بن الوليد :

يَغْدُو عَدُوُّكَ خَائِضًا ؛ فَإِذَا رَأَى أَنْ قَدْ قَدَّرْتَ عَلَى الْعِقَابِ رَجَاكَ^(٤)

(١) ديوانه ٦٧ « ما تستطيع » وفي ط بعد البيت : « قلت : وقد وقع في شعر الأعشى أيضا قوله :

بَانَتْ فِي الصَّدْرِ صَدْعُهَا كَصَدْعِ الزُّجَاجَةِ لَا يَلْتَمُ

وهي زيادة كاتب على الكتاب أدخلها الناسخ والطابع في صلبه . وفي ديوان الأعشى ٢٨ « صدع بها »

(٢) في ط ، م « وصدع القلب كان لها » والبيت في الشعر والشعراء ١٣٠ / ١

(٣) ديوانه ٢٨٧

(٤) ط « يعلو » و م « على الغفاف »

والمعنيان مختلفان : لأن أبا تمام قال : إذا حكم سيف^(١) الممدوح على الهام حكم عصفه على السيف .

ومسلم قال : إن عدو الممدوح يخافه ؛ فإذا رأى أن قد قدر على العقاب رجاه ؛ فليس هذا المعنى^(٢) من ذلك في شيء .

* * *

٤٣ - وقال في قوله :

فإن هزئتُم سَلَلْنَاها وَقَدْ غَنِيَتْ دَهْرًا وَهَامُ بَنِي بَكْرِ لَهَا غَمْدُ^(٣)
من قول سعد بن ناشب^(٤) :

فإن أَسْيَافَنَا بِيضٌ مُهَنَّدَةٌ عُنُقٌ ، وَأَثَارُهَا فِي هَامِكُمْ جُدْدُ^(٥)
والمعنيان مختلفان ؛ لأن أبا تمام قال : « وهام بني بكر لها غمد » ؛
وهذا قال : « وأثارها في هامكم جدد » فهذا غير ذاك .

[وقال في قوله :

رُمْنَا الصُّدُودَ فَلَمَّا اخْتَارَ أُلْفَتْنَا حَنْتَ حَنِينَ عَجُولٍ بَيْنَنَا الرَّحْمُ
من قول الأسود بن يعفر :

سَمَا بِبَصْرَى لَمَّا عَرَفْتَ مَكَانَهُ وَأَطَتْ إِلَى الْوَاشِجَاتِ أَطِيطَا

فهذا قال : إنه لما عرفه أظت إليه الواشجات أى الحقوق والقراية والرحم .

(١) م « السيف »

(٢) ليست في م

(٣) م « فإن هزيتُم . . فقد » وفي ديوان المعاني ٥١/٢ :

وإن هزيتُم سَلَلْنَاها فَاغْمَدَتْ إِلَّا وَهَامُ بَنِي بَكْرِ لَهَا غَمْدُ

(٤) م « ابن ثابت » وهو على الصواب في ديوان المعاني ٥١/٢

(٥) م « فإن . . بيضا » و ط « في هامهم »

أى حنت إليه . وأبو تمام قال : لما صددنا وفارقنا الألفة حنت بيننا الرحم
فهذا كقول قيس بن الخطيم في حربهم :
لما بدت نحونا جباههم حنت إلينا الأرحامُ والصُّحفُ
أى لما صافقنا للحرب حنت إلينا الرحم والصحف . يريد العهد ، والله
أعلم ^(١)

• • •

٤٤ - وقال في قوله :

فلو كانت الأرزاق تجري على الحجي هلكن إذا من جهلهن البهائم ^(٢)
من قول أبي العتاهية :

إنما الناس كالبهائم في الرزق ، سواء جهولهم والحليم ^(٣)
وبين المعنيين خلاف ؛ لأن أبا العتاهية أراد أن رزق كل نفس يأتياها
جاهلة كانت أو حليمة ^(٤) كما يأتى البهائم ، وهذا قائم في الفطر والعقول ؛
تتفق ^(٥) الخواطر في مثله .

وأبو تمام قال : إن الرزق لو جرى على قدر العقل ^(٦) لهلك البهائم
[من جهلها] . وهذه زيادة في المعنى حسنة ، وإن كان إلى معنى ^(٧)
أبي العتاهية يؤول .

• • •

(١) ما بين القوسين من ك

(٢) ديوانه ٢٨٦ « كانت الأقسام » وفي م « الأقدار »

(٣) ديوانه ص ٣٤٠ . جامعة دمشق

(٤) ط « أو غالة » !

(٥) ط « وتتفق »

(٦) ط « قدر أهله »

(٧) ط « إلى منسوب »

٤٥- وقال في قوله :

وَأَشْجَيْتُ أَيَّامِي بِصَبْرٍ حَلَوْنَ لِي عَوَاقِبُهُ ، وَالصَّبْرُ مُرٌّ عَوَاقِبُهُ
[كذا رواه ابن أبي طاهر] ^(١) .

من قول أبي الشَّيْص :

يُصْبِرُنِي قَوْمٌ بَرَاءٌ مِنَ الْهَوَى وَلِلصَّبْرِ نَارَاتٌ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ
فقول ^(٢) الناس : الصبر مر ، والصبر كاسمه صبر . وقولهم : الصبر محمود العاقبة ، وإن كان مرًا . لا يكون [مثل هذا] ^(٣) مسروقاً ^(٤) فيقال : إن واحداً أخذه من آخر ، فقال أبو الشَّيْص ^(٥) : إن للصبر نارَات يكون فيها أمرٌ من الصبر ، أي : له نارَات يكون فيها شديد المرارة . وقال أبو تمام ^(٦) : أَشْجَيْتُ أَيَّامِي بِصَبْرٍ حَلَوْتُ لِي عَوَاقِبُهُ ، ثم قال : والصبر مر عَوَاقِبُهُ ، يريد في الحلق [أي] لو جرعته لكان مقطعه شديد المرارة ؛ وإنما قال هذا ليجمع ^(٧) في البيت ^(٨) حلاوة عَوَاقِبُهُ ومرارة عَوَاقِبُهُ .

هذا تفسيره على ما رواه ابن أبي طاهر ، ولم يقل أبو تمام : والصبر مر عَوَاقِبُهُ ، وإنما قال : « والصبر مثل اسمه صبر » ^(٩) .

• • •

(١) بعد هذا في هامش ك : ع كذا رواه ابن أبي طاهر وهو في شعره : « والصبر مثل اسمه صبر »

(٢) م « فيقول »

(٣) من ك

(٤) م « لا يكون مثل هذا مسروقاً »

(٥) ط « وقول أبي الشَّيْص »

(٦) ط « وقول أبي تمام » وفي ك : وقال أبو تمام : إني أشجيت

(٧) ط « ليجتمع له »

(٨) من ك

(٩) ديوانه ٤٧٥

٤٦- وقال في قوله :

لئن ذممت الأعداء سوء صباحها فليس يؤدى شكرها الذئب والنسر^(١)

من قول مسلم [بن الوليد] :

لو حاكمتك فطالبتك بذخلها شهدت عليك ثعالب ونسور^(٢)

وذكر وقوع الذئب وغيرها والنسور وما^(٣) سواها من الطير على القتلى -

معنى متداول ومعروف ، وهو في بيت أبي تمام غيره في بيت مسلم ؛ لأن مسلماً

قال لمحدوح : لو حاكمتك - يريد الفرقة أو العصب التي لقيتك - في

مطالبتك بمن قتلت منها ، لشهدت عليك الثعالب والنسور .

وأبو تمام قال على سبيل الاستهزاء : لئن ذممت الأعداء سوء صباحها ،

فليس يؤدى الذئب والنسر شكرها ؛ لكثرة ما أكلا منها . وهذا المعنى^(٤) غير

ذاك^(٥) ، والله أعلم .

(١) ديوانه ٤٧٧

(٢) ديوانه ١٢٥ . « عليك ملاحم » وفي م « مطالعتك بذخلها »

(٣) م « وما »

(٤) م « من أكلا . . فهذا معنى »

(٥) جاء فيك بعد ذلك : « تم الجزء الأول من الموازنة ، على ما جزأه مؤلفه ، والحمد

لله كثيراً ، وصلى الله على محمد عبده ورسوله ، وسلم تسليماً »

الجزء الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

[قال أبو القاسم : الحسنُ بن بشر بن يحيى الأمدى عفا الله عنه] ^(١) :

قد ذكرتُ في الجزء الأول احتجاج كل فرقة من أصحاب أبي تمام ^(٢) والبُخترى على الأخرى في تفضيل أحدهما على الآخر ، وقلت : إني أبتدىء - بعد هذا ^(٣) - بذكر معاييبهما ؛ لأنّ ختم الكتاب بوصف محاسنهما ؛ فاتّبع ذلك بما خرّجته من سرقات أبي تمام وبيّضت آخر الجزء لألحق به ما وجدته منها في دواوين الشعراء فعلمت عايه ، وما [لعلّ] أجده بعد ذلك ؛ فإنّه كثير المروق [جدا] .

وقد سمعت أبا علي : محمداً بن العلاء السجستاني يقول : إنه ليس له معنى انفراد [به] واختراعَه إلا ثلاثة معان ، وهى قوله :

نَأْبَى عَلَى التَّصْرِيدِ إِلَّا نَائِلًا إِلَّا يَكُنْ مَاءٌ قُرَاحًا يُمَذَّقُ ^(٤)
نَزْرًا كَمَا اسْتَكْرَهْتَ عَائِرَ نَفْحَةٍ مِنْ فَاوَرَةِ الْمِسْكِ الَّتِي لَمْ تُفْتَقِ ^(٥)

(١) الزيادة من ط

(٢) ط ، ك « تمام حبيب بن أوس الطائي وأبي عبادة الوليد بن عبيد الله البختري »

(٣) ط « هذا الباب »

(٤) ديوانه ٢١١ وشرح التبريزي ٤٠٧/٢ والتصريد : قطع الشرب وتنقيصه . والقراح من الماء الخالص الذى لا يمازجه غيره . « يقول : تأبى هذه المرأة المهيوبة مع تقليلها النوال ، إلا نيلا مذكوقاً غير خالص ، ووصلا مشوباً بالامتناع ، فلا تصافى الرجال ولا تترك الإطعام ، فيكون حبيبها أبداً مطبوعاً من جهتها » ويروى « باتت على التصريد » وفي م ، ك « إلا يكن محضاً قراحاً تمذق »

(٥) قال التبريزي : « أى نيلها عنى قليل كأنه عائر من ريح فارة المسك . والعائر : أصله فى الخيل والسهم ، يقال : فرس عائر : إذا ذهب على وجهه فى الأرض . ويروى : « نزرأ كما استنهدت » أى عطاء نزرأ لا غناء فيه كالرائحة التى تغفل من فارة مسك لم تفتق ، أى بعد نائلها كشمة من هذه الفارة ، ولا تغنى هذه الشمة غناء ، فكذلك نائلها »

وقوله :

بَنَى مَالِكٌ قَدْ نَبَّهَتْ خَامِلَ الثَّرَى قُبُورُكُمْ مُسْتَشْرِفَاتُ الْمَعَالِمِ ^(١)
رَوَاكِدُ قَيْسٍ الْكَفُّ مِنْ مُتَنَاوِلٍ وَفِيهَا عَلَى لَا تُرْتَقَى بِالسَّلَالِمِ ^(٢)

وقوله :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طَوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانُ حَسُودٍ ^(٣)
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرِفُ طَيْبُ عَرَفِ الْعُودِ
ولست أرى الأمر على ما ذكره أبو علي ، بل أرى أن له - على كثرة ما
أخذه من أشعار الناس ومعانيهم - مُخْتَرَعَاتٍ كَثِيرَةً ، وبدائع مشهورة ، وأنا
أذكرها عند ذكر محاسنه بإذن الله .

[وأما هذان المعنيان فقد رأيت مثلهما في أشعار الناس ولعلني أن أخرجهما
فيما أخرج من سرقاته] ^(٤) .

ومع هذا فلم أر المنحرفين عن هذا الرجل يجعلون السرقات من كبير
عيوبه ؛ لأنه باب ما يَعْرِى منه أحد من الشعراء إلا القليل ، بل الذي وجدتهم
يعيبونه ^(٥) كثرة خطائهم وإخلاله وإحالاته ^(٦) . وأغاليطه في المعاني والألفاظ
وتأملت الأسباب التي أدته إلى ذلك فإذا هي ما رواه أبو عبد الله محمد
ابن دواد بن الجراح في كتاب « الورقة » عن محمد بن القاسم بن مهرويه
عن حذيفة بن محمد ^(٧) [الطائي] أن أبا تمام يريد البديع فيخرج إلى

(١) ديوانه ٣٨٦

(٢) في الديوان : « رواكد قيد الشبر »

(٣) ديوانه ٨٥ وشرح التبريزي ٤٠٢/١

(٤) ما بين القوسين من ك

(٥) في ك : « ينعونه »

(٦) ط « وجدتهم ينعونه عليه كثرة غلطه وإحالاته »

(٧) ط « بن أحمد »

وهذا نحو ما قاله أبو العباس : عبد الله بن المعتز بالله في كتابه الذي ذكر فيه البديع^(٢) .

وكذلك ما رواه محمد بن دواد عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن أبيه : أن أول من أفسد الشعر : مُسَلِّم بن الوليد ، وأن أبا تمام اتبعه وسلك في البديع مذهبه فتحير فيه . كأنهم يريدون إغراقه في طلب^(٣) الطُّبَاق والتجنيس والاستعارات ، وإسرافه في التماس هذه الأبواب وتوسيع شعره بها ، حتى صار كثير مما أتى [به] من المعاني لا يُعرَف ولا يعلم غرضه فيها إلا بعد الكدّ والفكر وطول التأمل ، ومنه ما لا يعرف معناه إلا بالظن والحدس ، ولو كان أخذ عَفْو هذه الأشياء ولم يُوغَلْ فيها ، ولم يجاذب الألفاظ والمعاني مجاذبةً ويُقتسرها مُكَارَحةً ، وتناول ما يسمح به خاطره وهو بجمامه^(٤) غير مُتَعَب ولا مكدود ، وأورد من الاستعارات ما قُرِب وحسن^(٥) ، ولم يُفَحِّش ، واقتصر من القول على ما كان محذوفاً [على] حَذْوِ الشعراء المحسنين - ليسلم من هذه الأشياء التي تُهَجِّن الشعر وتذهب بمائه ورونقه ، ولعل ذلك أن يكون ثلث شعره أو أكثر منه - لظننته كان يتقدم عند أهل العلم بالشعر أَكْثَرَ الشعراء المتأخرين . وكان قليله حينئذٍ يقوم مقام كثير غيره ؛ لما فيه من لطيف المعاني ومستغرب الأوصاف^(٦) ، لكنه شَرِهَ إلى إيراد

(١) هذا النص من الأقسام الفاضلة من كتاب الورقة . وقد ذكر المؤلف فيها من ص ١٩

(٢) البديع ٥٥

(٣) ط « إسرافه في طلب »

(٤) ط « بجهامه » !

(٥) في ط ، م : « قرب في حسن »

(٦) في ط ، م « الألفاظ لكن »

كل ما جاش به خاطره وَلَجَلَجَهُ فِكْرُهُ ، فَخَلَطَ الْجَيْدَ بِالرَّدِيِّ ، وَالْعَيْنَ
النَّادِرَ بِالرَّذَلِ السَّاقِطِ ، وَالصَّوَابَ بِالخَطَأِ . وَأَفْرَطَ الْمُتَعَصِّبُونَ لَهُ فِي تَفْضِيلِهِ ،
وَقَدَّمُوهُ عَلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ مِنْ أَجْلِ جِيْدِهِ ، وَسَامَحُوهُ فِي رَدِيْثِهِ ، وَتَجَاوَزُوا لَهُ
عَنْ خَطَايَاهُ ، وَتَأَوَّلُوا لَهُ التَّأَوَّلَ الْبَعِيدَ فِيهِ . وَقَابِلَ الْمُنْحَرِفُونَ عَنْهُ إِفْرَاطًا بِإِفْرَاطِ
فَبَخَسُوهُ حَقَّهُ ، وَاطَّرَحُوا إِحْسَانَهُ ، وَنَعَوَّا سَيِّئَاتِهِ ^(١) ، وَقَدَّمُوا عَلَيْهِ مَنْ
هُوَ دُونَهُ . وَتَجَاوَزَ بَعْضُهُمْ ذَلِكَ إِلَى الْقَدَحِ ^(٢) فِي الْجَيْدِ مِنْ شَعْرِهِ ، وَطَعْنَ فِيْمَا
لَا مَطْعَنَ عَلَيْهِ فِيهِ ^(٣) ، وَاحْتَجَّ بِمَا لَا تَقُومُ حُجَّةُ بِهِ ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِذَلِكَ مَذَاكِرَةً
وَلَا قَوْلًا حَتَّى أَلْفَ فِيهِ ^(٤) كِتَابًا ، وَهُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ : أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
مُحَمَّدَ بْنِ عِمَارٍ الْقَطْرِبِلِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْعَزِيزِ ^(٥) ، ثُمَّ مَا عَلِمْتَهُ وَضَعَ يَدَهُ مِنْ
غَلْطِهِ وَخَطَايَاهُ إِلَّا عَلَى أَبْيَاتٍ يَسِيرَةٍ ، وَلَمْ يُقِمَّ عَلَى ذَلِكَ ^(٦) الْحُجَّةَ ، وَلَمْ يَهْتَدِ
لِشَرْحِ الْعِلَّةِ ، وَلَمْ يَتَجَاوَزْ فِيْمَا نَعَاهُ ^(٧) بَعْدَهَا عَلَيْهِ الْأَبْيَاتَ الَّتِي تَتَضَمَّنُ بَعِيدًا ^(٨)
الِاسْتِعَارَةَ وَهَجِينَ اللَّفْظِ . وَقَدْ بَيَّنْتُ غَلْطَهُ ^(٩) فِيْمَا أَنْكَرَ [عَلَيْهِ] مِنَ الصَّوَابِ
فِي جِزْءٍ مُفْرَدٍ ^(١٠) إِنْ أَحَبَّ الْقَارِئُ [لَهُ] أَنْ يَجْعَلَهُ مِنْ جُمْلَةِ هَذَا الْكِتَابِ
وَيُصِلَّهُ بِأَجْزَائِهِ فَعَلَّ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى : فَإِنَّ الَّذِي ^(١١) تَضَمَّنَ يَدْخُلُ
فِي مُحَاسِنِ أَبِي تَمَامٍ الَّتِي ذَكَرْتُ أَنِّي أَخْتَمُ كِتَابِي هَذَا بِهَا وَمُحَاسِنِ الْبَحْتَرِيِّ .

• • •

(١) فِي ك « إِسَادَاتِهِ »

(٢) م « وَبَعْضُهُمْ تَجَاوَزَ ذَلِكَ أَنْ قَدَحَ »

(٣) فِي ط ، م « فِيْمَا لَا يَطْعَنُ فِيهِ »

(٤) ط « أَلْفَ فِي ذَلِكَ »

(٥) ط « الْمَعْرُوفُ بِالْعَزِيزِ »

(٦) م ، ك « لَمْ يَقُمْ فِيْمَا عَلَى الْحُجَّةِ »

(٧) م « بِنَاءِ »

(٨) ط « بَعْدِ »

(٩) ط « خَطَايَاهُ »

(١٠) م « جِزْءٍ مُفْرَدٍ »

(١١) ط « قَالَ الَّذِي »

وأنا الآن أذكر ما غلط فيه أبو تمام من المعاني والألفاظ ، مما أخذته من أفواه الرجال وأهل العلم بالشعر عند المذاكرة والمفاوضة ، وما استخرجته أنا من ذلك واستنبطته ، بعد أن أسقطت منه كل ما احتل التأويل ، ودخل تحت المجاز ، ولأحت له أدنى علة .

• • •

وأنا أبتدئ بالأبيات التي ذكرت أن أبا العباس أنكرها ، ولم يُقيم الحجة^(١) على تبين عيبها وإيضاح الخطأ فيها ، ثم استقصى الاحتجاج في جميع ذلك ؛ لعلنى بكثرة [المعارضين و] مَنْ لا يجوز على [هذا] الشاعر [الغلط] ، وبوقع له التأول البعيد ، ويورد الشبه والتمويه . وبالله أستعين ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

١- أنكر أبو العباس : أحمد بن عبيد الله على أبي تمام قوله :
هاديه جذع من الأراك ، وما تحت الصلابة صخرة جلس^(٢)
وقال : هذا من بعيد خطائه أن شبه عنق الفرس بالجذع ، ثم قال
« جذع من الأراك » ومتى رأى عيدان الأراك تكون جذوعاً ؟ أو تشبه بها أعناق^(٣) الخيل !

وأخطأ أبو العباس في إنكاره على أبي تمام أن شبه عنق الفرس بالجذع ، وتلك^(٤) عادة العرب ، وهو في أشعارها أكثر من أن يحصى ، وقد بينت ذلك فيما غلط فيه أبو العباس على أبي تمام .

(١) سقطت من م ، ك

(٢) ديوانه ١٦٧ وشرح التبريزي ٢٢٦/٢ « خلف الصلا » وهاديه : عنقه ، والعرب تشبه هادى الخيل بمجنوع النخل ، وإنما اختار الطائي جذع الأراك لأنه أملس . والصلا : واحد الصلوان وهما عظامان يكتنفان الذنب . وصخرة جلس : أى صلبة ثقيلة

(٣) م « وتشبه بأعناق »

(٤) ط « وذلك »

وأصاب أبو العباس في إنكاره أن تكون عيدان الأراك جذوعاً ، وإن لم يلخص المعنى ؛ لأن عيدان الأراك لا تَغْلُظُ حتى تصير كالجذوع ، ولا تقاربها .

فإن قيل : فإن الشجرة من الأراك قد تعظم حتى تصير دَوْحَةً يَسْتَقِلُّ بها الجماعة من الناس والمُسْرَبُ من الوحش ، وذلك معروف موجود ، وقد قال الراعي :

غذاه وحوْلِي الشَّرَى فوق مَتْنِهِ مَدْبُ الْأَنِى والأَرَاكُ الدَّوَانِحُ^(١)
والدَّوَانِحُ [وهي] العِظامُ منه ، جمع دَوْحَةٍ .

قيل : إن الأمر وإن كان كذلك في بعض شجر الأراك من علوها وتشعب أغصانها ، فإن قائم الشجرة وعيدانها لا يغلظ ولا يمتلئ امتلاءً يقارب الجذوع ولا ما هو دونها في الغلظ . ولو انتهت إلى هذه الحالة - وذلك غير معلوم - لما قيل لها أيضاً جذوع ؛ لأن الجذوع إنما هي للنخل^(٢) فقط . وقد يقال على سبيل الاستعارة لما يشبه بالنخلة [أيضاً : جذع] قال الراجز :
بِكَلِّ طَرْفِ أَعْوَجِيٍّ صَهَّالٍ يَمْشِي إِذَا مَا قَبِدَ مَشَى الْمُخْتَالِ^(٣)
« تحت هَوَادٍ كَجُذُوعِ الْأَوْقَالِ »

فقال : « كجذوع الأوقال » جمع وقلة وهي شجرة المقل ؛ لأن فيها نسباً من النخل من جهة الخوص والليف .
فإن قيل : فقد قال ذو الرمة :

(١) في اللسان ٢٦١/٣ « غداة »

(٢) ط « الجذع إنما هو للنخلة »

(٣) أعرجي : فرس منسوب إلى أعرج ، وهو حصان تنسب الخيل الكرام إليه . والهادي : العنق ، وجمعه هواد .

وَهَادِ كَجَذَعِ الْمَسَاجِ سَامٍ يَقْوَدُهُ مُعَرِّقُ أَحْنَاءِ الصَّبِيِّينِ أَشْدَقُ^(١)
 قيل : ذو الرمة إنما قال ذلك على التشبيه ؛ لأن العود من المساج يشبه
 الجذع المنحوت في غلاظه وهيبته . وعود الأراك من أبعد شيء من ذلك ؛
 لأنه لا يمتد ولا يستوى استواء الجذع ولا غيره من أجناس الشجر التي تمتد
 أبدانها علواً امتداداً مستوياً ، وذلك لدقته وشدة التواءه وتشعبه .

٢- وأنكر أبو العباس قول أبي تمام :

رَفِيقُ حَوَاشِي الْحِلْمِ لَوْ أَنَّ حِلْمَهُ بِكَفْمَيْكَ مَا مَارَيْتَ فِي أَنَّهُ بُرْدُ^(٢)

وقال : هذا [و] الذي أضحك الناس منذ سمعوه [و] إلى هذا

الوقت . ولم يزد على^(٣) هذا شيئاً .

والخطأ في هذا [البيت] ظاهر ؛ لأن^(٤) ما علمت أحداً من شعراء

الجاهلية والإسلام وصف الحلم بالرقعة . وإنما يوصف بالعظم والرجحان والثقل

والرزانة ، ونحو ذلك ، كما قال النابغة :

وَأَعْظُمُ أَحْلَاماً وَأَكْثَرُ سَيِّداً وَأَفْضَلُ مَشْفُوعاً إِلَيْهِ وَشَافِعاً^(٥)

وكما قال الأخطل :

شُمُسُ الْعِدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظُمُ النَّاسِ أَحْلَاماً إِذَا قَدَرُوا^(٦)

(١) ديوانه ٣٩٧ والصناعتين ٧٢ والسامى : المرتفع ، والمعوق : الذاهب اللحم ، والأحناء :
 جمع حنو وهو الجانب . والصبيان : جانباً اللحين الأسفلين . والأشدق : واسع الشدق . وفي م
 « معرض أحناء »

(٢) ديوانه « أن خلقه » وفي الوساطة ٧٦ والصناعتين ١١٩ وشرح التبريزي ٨٨/٢ « حلمه »
 وفيه وفي هامشه كلام كثير حول هذا البيت للمرزوقي وابن السيد البطليوسي وابن المستوفي وابن قتيبة

(٣) م « وكم يرد » وهو تحريف

(٤) م « إنى »

(٥) ديوانه ٧٤ وفي ط والصناعتين ١١٩ نقلاً عن الموازنة « وأكبر سيده » .

(٦) ديوانه ١٠٤ والأغاني ٥/١٠ والشعر والشعراء ٤٧٠/١ والصناعتين ١١٩

وكما قال أبو ذؤيب :

وَصَبْرٌ عَلَى حَدَثِ النَّائِبَاتِ وَحِلْمٌ رَزِينٌ وَقَلْبٌ ذَكِيٌّ^(١)

وكما قال عدى بن الرقاع في مثل ذلك :

أَبَتْ لَكُمْ مَوَاطِنُ طَيِّبَاتٍ وَأَحْلَامُ لَكُمْ تَزْنُ الْجِبَالُ^(٢)

وقال عدى أيضاً :

فِي شِدَّةِ الْعَقْدِ وَالْحِلْمِ الرُّزِينِ وَفِي الْإِ
قْوَالِ الثَّبَاتِ إِذَا مَا أَمْتُنَّصِتَ الْكَلِمُ

وقال :

الْجَامِعُ الْحِلْمَ الْأَصِيلَ وَسُودَدَا غَمْرًا يُعَاشُ بِهِ وَحِكْمَةً حَازِمٍ^(٣)

وقال :

قَرَمَ لَهُ مَعَ دِينِهِ وَتَمَامِهِ حِلْمٌ إِذَا وَزَنَ الْحُلُومُ ثَقِيلُ^(٤)

وقال الفرزدق :

أَحْلَامُنَا تَزْنُ الْجِبَالَ رَزَانَةً وَتَخَالِنَا جِنًّا إِذَا مَا نَجْهَلُ^(٥)

وقال أيضاً :

إِنَّا لَتُوزَنَ بِالْجِبَالِ حُلُومُنَا وَيَزِيدُ جَاهِلُنَا عَلَى الْجَهَالِ^(٦)

وكما قال الآخر :

وَعَظِيمُ الْحِلْمِ لَوْ وَازَنَتْهُ بِشَبِيرٍ أَوْ بِرَضْوَى لَرَجَحَ

(١) ديوان الهذليين ٦٨/١ والصناعتين ١١٩

(٢) الصناعتين ١٢٠

(٣) ط « يقاس به »

(٤) القرم : السيد

(٥) ديوانه ٧١٧

(٦) ديوانه ٧٣٠ والصناعتين ١٢٠ وفي مجموعة المعاني ٤٥ « وقال حسان بن خنظلة :

أَحْلَامُنَا تَزْنُ الْجِبَالَ رَزَانَةً وَيَزِيدُ جَاهِلُنَا عَلَى الْجَهَالِ

ومثل هذا كثير في أشعارهم ، ألا تراهـم^(١) إذا ذموا الحلم كيف يصفونه
بالخفة فيقولون : خفيف الحلم ، وقد خَفَّ حلمه [وطاش حلمه]

وقال عياض بن كثير الضبي :

تَنَابَلَةُ سُودٍ خِصَافٍ حُلُومُهُمْ ذَوَى سَرَبٍ فِي الْحَيِّ يَغْدُو وَيَطْرُقُ^(٢)
[وقال عُقَيْبَةُ^(٣) بن هبيرة الأسدي :

أَبْنُو الْمَغِيرَةِ مِثْلُ آلِ خُوَيْلِدٍ يَا لِلرِّجَالِ لِيَخْفَةَ الْأَحْلَامُ]^(٤)
وقال قَدْ بَنَى مَالِكُ^(٥) الْأَسَدِي

كَأَنَّ جَرَادَةً صَفْرَاءَ طَارَتْ بِأَحْلَامِ الْفَوَاضِرِ أَجْمَعِينَ
جعلها صفراء لأنها ذكر ، وهو^(٦) أسرع من الأنثى وأخف .

وقال ابن قيس الرقيبات ، ووجدتها في ديوانه ، والصحيح أنها^(٧)
لأبي العباس الأعمى :

(١) ط « ألا ترى أنهم إذا »

(٢) الصناعتين ١٢٠ وفي ط ، ك « قبائله سود ... فوو نيرب » والشرب : الملك في خفة .
والنيرب : الشر والنية .

(٣) في الحيوان ١٩٢/٣ « عقبه الأسدي » وعقب طيبة الأستاذ « عبد السلام هارون » بقوله :
« لم أر له ذكراً فيما لدى من المراجع » وكذلك ورد في الكتاب لسيبويه ٣٤/١ ، ٣٥ ولعقبة محاورة
مع معلوية بن أبي سفیان وهبلاء لأبي بردة بن أبي موسى الأشعري في العقد ٦١/١ ، ٣١٩/٥ والخزانة
٣٤٣/١ قال البغدادي « عقبية بن هبيرة الأسدي جاهل لإسلا وقد على معاوية »

(٤) البيت في الحيوان مع آخرين في مدح عبد الله بن الزبير . وفي م « ابني المغيرة » وهم بنو
مروان ، فلمهم عائشة بنت معلوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية . وآل خويلد : هم بنو الزبير
ابن العولم بن خويلد .

(٥) ط « علقمة بن هبيرة » وهو خطأ واضح . وفي معجم الشعراء ٣٣٩ « قد بن مالك ... بن
أسد ... وهو من أبيات أنشدتها الفراء :

لعمري أهلك يا سلم بن هند لقد لا تيت منك الأقورينا
كأن جرادة ...

(٦) ط « وهي أسرع »

(٧) ط « ووجدتها ... أنها »

حلماء إذا الحُلومُ اسْتُخِفَّتْ بِرُجُوهٍ مِثْلِ الدنانيرِ مَلَسَ^(١)

وقال قيس بن عمير الكِنَانِي :

كَمَثَلِ الحَصَى بِكَرٍّ وَلَكِنْ خِيَانَةً وَغَدْرًا وَأَحْلَامَ خِفافٍ عَوَازِبُ
فهذه طريقة وصفهم للحلم . ولما^(٢) مدحوه بالثقل والرزانة . ذمُّوه
بالعُشِّ والخفة .

وأيضاً فإن البُرْدَ لا يوصف بالرقّة . وإنما يوصف بالمتانة والصِّفاقة .
وأكثر ما يكون ألواناً مختلفة . كما قال يزيد بن الطُّشَيْرِيَّة :

أَشَاقَتَكَ أَطْلَالُ الدِّيَارِ كَأَنَّمَا مَعَارِفُهَا بِالْأَبْرَقَيْنِ بُرُودُ
وَالْأَبْرَقِ وَالْبِرَاقِ^(٣) مِنَ الْأَرْضِ : ما كان فيها حجارة ورمل ؛ فقبيل
« بَرَقَاء » لاختلاف الألوان فيها ، ومن ذلك الجبلُ الأَبْرَقُ الذي قُتِلَ^(٤) من
قُوَى مختلفة الألوان ؛ فلذلك شبه الشاعر معارفَ الديار^(٥) بالبرود لاختلاف
ألوان البرود .

ولولا أنه قال « رقيق حواشي الحلم » لظننت أنه [ما] شبهه بالبُرْدِ
إلا لمتانته . وهذا عندي من أفحش الخطأ .

ثم قوله « [لو أن حلمه] بكفئك » كلام في غاية [التبعيض] والسخافة ،
وأظن أبا العباس بن عمار إنما أنكر هذه اللفظة فقط .

وإني لأعجب من أتباع البحتري إياه في البُرْدِ - مع شدة تجنبه الأشياء
المنكّرة عليه - حيث يقول :

(١) في ط ، م « وإنما . . . وذموه »

(٢) ط « مجلوم إذا . . . ووجد مثل »

(٣) ط « والبرقاء »

(٤) م « الذي فيه »

(٥) م « معارف البراق »

وَلَيَالٍ كُسِينَ مِنْ رِقَّةِ الصَّبِيِّ فَبِ فَخَيَّلَنَ أَنَّهُنَّ بُرُودٌ^(١)

وكيف لم يجد شيئاً يجعله مثلاً في الرقة غير البرد ؟ ولكن الجيد في وصف الحلم قوله متبعاً للمذهب الصحيح المعروف :

خَفَّتْ إِلَى السُّودَدِ الْمُجْتَمِئِ نَهَضَتُهُ وَلَوْ يُوَاظِنُ رَضْوَى حِلْمُهُ رَجَحًا^(٢)

وقوله :

فَلَوْ وَزِنَتْ أَرْكَانُ رَضْوَى وَيَذْبُلُ وَقَيْسَ بِهَا فِي الْحِلْمِ خَفَّ ثَقِيلُهَا^(٣)

وأبو تمام لا يجهل هذا من أوصاف الحلم . ويعلم أن الشعراء إليه ينتصدون^(٤) . وإياه يعتمدون . ولعله قد أورد مثله ، ولكنه يريد أن يبتدع فيقع في الخطأ .

* * *

٣- وأنكر أبو العباس على أبي تمام قوله :

مِنَ الْهَيْفِ لَوْ أَنَّ الْخَلَاحِلَ صُبِّرَتْ لَهَا وَشَحَاءٌ جَالَتْ عَلَيْهَا الْخَلَاحِلُ^(٥)

ولم يذكر موضع العيب فيه . ولا أراه علمه . و [أنا أذكره وألخصه فأقول : إن] هذا الذي وصفه أبو تمام ضد ما نطق به العرب ، وهو من^(٦) أقبح ما وُصف به النساء ؛ لأن من شأن الخلاخل والبُرِينِ أَنْ تُوصَفَ بِأَنَّهَا تَعَضُّ فِي الْأَعْضَادِ وَالْمَوَاعِدِ . وتضيق في الأسواق^(٧) . فإذا جعل خلاخلها^(٨) وشحاً تجول عليها فقد أخطأ الوصف ؛ لأنه لا يجوز أن يكون الخلاخلُ

(١) ديوان البحري ٦٤

(٢) ديوان البحري ٥٦

(٣) م « ويذبل وقدر بهما »

(٤) ط « من أمر الحلم . . . إليه تقصد وإياه »

(٥) ديوانه ٢٥٦ والصناعتين ١٢٠ والوساطة ٧٧

(٦) من ك

(٧) في ط ، م « السوق »

(٨) ط « في الأسواق . . . خلاخلها »

الذى من شأنه أن يَعْصَ بالساقِ وشاحاً جانلاً على جسدها ؛ لأنَّ الوشاح هو ما تَقَلَّدُه المرأةُ مُتَشَحَّةً به فتطرَّحه على عاتقها فيستبطن الصدر والبطن وينصب جانباً الآخر على الظهر حتى ينتهى إلى العجز^(١) ويلتقى طرفاه على الكشح الأيسر ؛ فيكون منها في موضع حمائل السيف من الرَّجُل . وإذا كانت هذه صورةَ الوشاح فغير جائز [وصفه بالقصر والضيق ، بل الواجب] أن يوصف بالسَّعة والطول ليدل على تمام المرأة وطولها ، ويكون ذلك لائقاً بتشبيه النساء في البيت الثاني بقَدَّ الخطِّ . وإنما يُوصَفُ الوشاح بالقلق والحركة ليستدل بذلك على دقة الخصر ؛ لأنَّه يَقلَقُ هناك إذا كان الخصر دقيقاً والبطن ضامراً ، بل حركته تدل على ضَمَرِ البطن أكثر . وليس طوله في نفسه مما يدل على امتلاء ولا خَمَص . وإذا كان الخلخال - وهو الحلقة المستديرة المعروف قدرها - وشاحاً للمرأة فإنه يأخذ أعلى جسدها كله ، و [هذه] إذا كانت كذلك فقد مُسِخت إلى غاية القماعة والصُّغر ، وصارت في هيئة الجُعَلِ^(٢) .

وقد نصف العرب الخَصْرَ بالدقة ، ولكن تعطى كل جزء من الجسد قِسْطَه من الوصف كما قال امرؤ القيس :

طَوَالَ الْمَتُونِ وَالْعَرَانِينَ كَالْقَنَا لَطَافِ الْخُصُورِ فِي تَمَامٍ وَإِكْمَالِ^(٣)
ألا تراه لما قال « لطف الخصور » قال « في تمام وإكمال » .

ولو قال هذا الشاعر « لو أن الخلاخل صيرت لها حُقباً » لصح له المعنى ، كما قال منصور النَّمَرِي :

(١) ط « إل العجب وتلق » وهو خطأ عجيب

(٢) الجعل : دابة سوداء كالخنفساء ، وقيل هو أبو جمران بفتح الجيم ، كما في اللسان ١١٨/١٣

(٣) ديوانه ١٤٢ « سباط البنان . . . والقنا »

فَلَوْ قَسَتْ يَوْمًا حِجْلَهَا بِحِقَابِهَا لَكَانَا سَوَاءً ، لَا ، بَلِ الْحِجْلُ أَوْسَعُ^(١)
 فجعل حجلها - وهو الخلخال - أوسع من حقاها ، والحقاب ما تديره
 المرأة على خصرها ، فهو يختص بالخصر . وكذلك النطاق ، والوشاح لا
 يختص بالخصر ، وإنما يُعلق^(٢) حتى ينتهي إليه إذا كان الخصر دقيقاً والبطن
 ضامراً ، فاتبع أبو تمام منصوراً في المعنى فأخطأ .

ومن عادة العرب أنها لا تكاد تذكر الهَيْفَ وطَى الكَشْحِ ودقة الخصر إلا
 إذا ذكرت معه من الأعضاء ما يُسْتَحَبُّ فيه الامتلاء والرَيِّ والفظ ، على ما
 عرفتكَ ، كما قال ذو الرمة :

عَجَزَاءُ مَمْكُورَةٌ خُمْصَانَةٌ قَلِقُ عَنْهَا الْوِشَاحُ ، وَتَمَّ الْجِسْمُ وَالْقَصَبُ^(٣)
 وكما قال أيضاً :

أَنَاةٌ تَلَوْتُ الْمِرْطَ مِنْهَا بِدِعْصَةٍ رُكَّامٌ ، وَتَجَنَّبُ الْوِشَاحَ فَيَقْلُقُ^(٤)
 وكما قال [أيضاً] :

وَفِي الْعَاجِ مِنْهَا وَالْدَّمَالِيجِ وَالْبُرَى قَنًا مَالِيٍّ لِلْعَيْنِ رِيَّانٌ عَبْهَرُ^(٥)
 تَرَى خَلْفَهَا نِصْفًا قَنَاءَ قَوْمِيَّةٍ وَنِصْفًا نَقًا يَرْتِجُ أَوْ يَتَمَرَّمُ^(٦)

(١) الصناعتين ١٢٠ نقلا عن الموازنة

(٢) م « يعلق »

(٣) ديوانه ٤ والصناعتين ١٢١ وديوان المداني ١/٢٥٠ وجمهرة أشعار العرب ١٧٧ والعجزة :
 هي العظيمة العجز . والمكورة : حسنة طي الخلق مجدولة . وخمصانة : أي ضامرة البطن كالجماعة .
 قلق وشاحها لضمور بطنها ، ولو كانت ضخمة البطن لما قلق وشاحها . والقصب : العظام التي لها مخ .

(٤) ديوانه ٣٩٢ والأناة : البطيئة انقيام . تلوث : تثنى . المرط : الإزار . الدعصة : كتيب
 الرمل . ركّام : بعضه على بعض . تجنّب : تلبس . الوشاح : القلائد . قلق من ضمير بطنها .

(٥) ديوانه ٢٢٦ والعاج : المراد به الأمورة ، البرى : الخلاخل . قنا : أوصال . عبهر :
 غليظ مثل .

(٦) يتمرمر : حنن لنموته . وقد جاء في اللسان ١٧/٧ « قال أبو منصور الأزهري : معنى
 ترتج وتمرمر واحد ، أي ترعد من رطوبتها » .

وكما قال الشَّنْفَرَى :

فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ وَاسْبَكَرَتْ وَأُكْمِلَتْ فَلَوْ جُنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْحُسْنِ جُنَّتْ^(١)
أَي دَقَّ مِنْهَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَدُقَّ ، وَجَلَّ مِنْهَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَجَلَّ ؛ وَهَذَا
هُوَ كِمَالُ الْوَصْفِ .

وَقَالَ تَمِيمُ بْنُ أُثَيْبٍ بْنِ مُقْبِلٍ :

هَيْفُ الْمُرْدَى رَدَّاحٌ فِي تَأَوُّدِهَا مَخْطُوفَةٌ مَنْتَهَى الْأَحْشَاءِ عَطْبُولُ^(٢)
فَقَالَ « هَيْفُ الْمُرْدَى » ثُمَّ قَالَ « رَدَّاحٌ » وَالرَّدَّاحُ : الْعَظِيمَةُ الْعَجْزُ ، وَهَذَا
كَقَوْلِ ذِي الرُّمَّةِ « [تَرَى] خَلْفَهَا نَصْفًا قَنَازَةً قَوِيمَةً » .

وَقَوْلُهُ : « عَطْبُولٌ » يَرِيدُ : طَوِيلَةً^(٣) الْعُنُقِ . وَقَالَ تَمِيمٌ أَيْضًا :

مِنْ الْهَيْفِ مِيدَانٌ تَرَى نُطْقَاتِهَا بِمَهْلَكَةٍ أَخْرَاصُهَا تَذَبْذَبُ^(٤)
فَجَعَلَهَا هَيْفَاءَ : وَهِيَ الْخَمِيصَةُ الْبَطْنُ ، [ثُمَّ] قَالَ « مِيدَانٌ » ؛ فَصَارَ
الْبَدَنُ لَا يَمْنَعُ مِنَ الْهَيْفِ . وَلَا يَضَادُّهُ .

وَقَالَ تَمِيمٌ أَيْضًا :

(١) الْمُفَضَّلَاتُ ١٠٩ وَالْأَغَانِي ١٣٩/٢١ وَالْحَيَوَانُ ١٠٨/٣ وَالْعَقَدُ ٤١٢/٦ وَفِي اللِّسَانِ ٦/٦
« اسْبَكَرَتْ الْجَارِيَةُ : اسْتَقَامَتْ وَاعْتَدَلَتْ »

(٢) دِيَوَانُ تَمِيمٍ ٢٨٠ وَ الْهَيْفُ : جَمْعُ أَهَيْفٍ وَهَيْفَاءٍ وَهِيَ الضَّامِرَةُ الْبَطْنُ . وَيُقَالُ : امْرَأَةٌ
هَيْفَاءُ الْمُرْدَى : أَي ضَامِرَةٌ مَوْضِعُ الْوَشَاحِ . وَالتَّأَوُّدُ : التَّنَى . وَمَخْطُوفَةٌ مَنْتَهَى الْأَحْشَاءِ . يَعْنِي أَنَّهَا هَيْفَاءُ
ضَامِرَةُ الْخَصْرِ ، خَفِيفَةٌ لَحْمِ الْجَنْبِ وَعَطْبُولٌ : طَوِيلَةُ الْعُنُقِ ، جَمِيلَةٌ فَتِيَّةٌ تَمْتَلِكُ

(٣) فِي ط ، م عَطْبُولٌ : قَوِيمَةُ الْعُنُقِ

(٤) مِيدَانٌ : سَمِيَةٌ مَكْتَنَزَةٌ اللَّحْمِ . وَالنُّطْقَاتُ : جَمْعُ نَطَقٍ وَالنَّطَاقُ : جَمْعُ نَطَاقٍ ، وَهُوَ ثَوْبٌ
لَهُ تَكَّةٌ تَلْبَسُهُ الْمَرْأَةُ ثُمَّ تُشَدُّ تَكَّتُهُ عَلَى وَسْطِهَا . بِمَهْلَكَةٍ : يَعْنِي أَنَّهَا تَعْقِدُ نَطَاقَهَا بِمَوْضِعٍ دَقِيقٍ كَأَنَّهُ
الْمِهْوَاةُ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ ، كَمَا قَالَ ذُو الرِّمَّةِ :

تَرَى قَرْطَهَا فِي وَاضِحِ اللَّيْلِ شَرْفًا عَلَى هَلَكٍ فِي نَفْسِهَا يَنْطَوِّحُ

وَالْأَخْرَاصُ : جَمْعُ خَرَصٍ - بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ - وَهُوَ حَلْفَةٌ صَغِيرَةٌ مِنَ الْحُلِيِّ خَاصَّةً بِالْأُذُنِ
وَالذَّبْدَةُ : تَحْرُكُ الشَّيْءِ الْمَلْقُوقِ فِي الْهَوَاءِ . وَفِي مِثْلِهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

عَلَيْهِمْ لَيْسَ مِنْ طِبَاءِ تِبَالَةٍ مَذْبُذِبَةُ الْخُرْصَانِ بَادٍ نَحْوَرُهَا

وَبَيَّتَ تَمِيمٌ فِي دِيَوَانِهِ ص ١٨

وَمَنْ دَقَّ مِنْهَا الْخَصْرُ حَتَّى وَشَاحَهَا يَجُولُ، وَقَدْ غَمَّ الْخَلَا خَيْلٌ وَالْقُلُوبُ^(١)
وقال على بن علقمة الجسرى^(٢).

ترى حِجْلَهَا مَلَانَ لَيْسَ بِزَائِدٍ يَجُولُ، وَلَمْ تَمَلَّ وَشَاحاً وَلَا عَقْدًا^(٣)
وذلك من شأن الوشاح ؛ لأن من^(٤) سبيله أن يكون جائلاً إذا انتهى
إلى خصرها لدقته ، ومن شأن العقد أن يجول أيضاً على عنقها وترائبها^(٥)
لقلة اللحم هناك . وذلك المحمود من الوصف . وقال امرؤ القيس :
« عَلَى دَضِيمَ الْكَشْحِ رِيًّا الْمُخْلَخِلِ^(٦) »

وقال طرفة بن العبد :
وَمَلَأَى السَّوَارِ مَعَ الدُّمْلُجَيْنِ وَأَمَّا الْوِشَاحُ عَلَيْهَا فَجَالًا^(٧)
وقال علقمة بن عبدة :
صِفْرُ الْوِشَاحَيْنِ مَلَأَى الْمِرْطَ خُرْعَةً كَأَنَّهَا رَشَأٌ فِي الْبَيْتِ مَلْزُومٌ^(٨)
وقال المرار :

(١) في الصناعتين « وقد دق » وفيها وفي ط « الخلاخيل والقلبا » والقلب : السوار . وفي م « الخلاخل » هذا ولعل كلمة « عم » مصحفة عن « صم » فإنه يريد وصفها بامتلاء السائقين والمحمسين . كما قال الشاعر : « براقه الجيد صموت الخلاخل »

(٢) ط « بن أبي علقمة الجسرى » ثم غيرد فأشهرها في الطبعة الثانية وجعله « الجسرى » دون بينة
وقال : « ووقع في الأصول الجسرى وهو تطبيع »

(٣) البيت لعل بن علقمة في حماسة ابن الشجرى ١٨٩

(٤) م « وقال وذلك لأن الوشاح من سبيله »

(٥) ط « وترائبها » وهو تحريف

(٦) صدره : « حصرت بفوضى رأسها فتأملت » ديوانه ١٢٩ وشرح القصائد العشر ٢٧

(٧) الصناعتين ١٢١ نقلا عن الموازنة

(٨) ديوانه ٦١ والمفضليات ٣٩٨ وديوان المعاني ٢٥٠/١ وفي م « ملء القروط » صفر
الوشاحين : ضامرة البطن . الدرع : القميص . الخرعة : الناعمة . الرشأ : الطبى الصغير . ملزوم :
أى تربيته الجوارى في البيوت يلزمه ولا يفارقه إيجاباً به . قال ابن الأنبارى : يقول : هى خالية الوشاحين
لضمر بطنها ، وهى تملأ إزارها لعظم عجيزتها وضخم أوراكاها .

بِيضُ الْعَوَارِضِ بُدْنٌ أَبْدَانُهَا رُجْعُ الرُّوَادِفِ ضَمَرُ الْأَخْصَارِ^(١)
وقال كثير :

كَسَوْنَ الرِّيطَ ذَا الْهُدْبِ الْيَمَانِي خُصُورًا فَوْقَ أَعْجَازٍ ثِقَالٍ
وقال كثير أيضاً :

يَجُولُ الْوِشَاحُ بِأَقْرَابِهَا وَتَأْنِي خَلَاخِلُهَا أَنْ تَجُولَا^(٢)
وقال آخر :

عُقَيْلِيَّةٌ أَمَّا مَلَأَتْ لِمَازِرِهَا فَدِعْصٌ وَأَمَّا خَصَرُهَا فَبَيْتِيلٌ^(٣)
يريد كَأَنَّهُ لِدِقَّتِهِ مَقْطُوعٌ مِمَّا يَلِيهِ . وهذا كله ضدُّ ما قاله أبو تمام .
فإن حمل بعض مَنْ يريد إقامة العذر له نفسه على أن يقول : إنما ذهب في
قوله « جالت عليها الخلاخل » إلى قول الناس^(٤) : فلان يدخل في الخاتم
لظرفه ولين أخلاقه ، لا للين مفاصله^(٥) .

قيل : هذا من كلام العامة . وقول أبي تمام : « من أنهيف » يمنع
[من]^(٦) هذا التَّأَوُّل . ويحجز عنه ؛ لأنَّ الهيفَ الخميصاتُ البطون ،
الواحدة هَيْفَاءٌ . وإلى هذا ذهب . لا إلى وصف الأخلاق و [رقة] الطباع .

(١) العوارض : الثنايا ، سميت عوارض لأنها في عرض الفم . بدن : سينة ضخمة . أبدانها :
أعضاؤها ، يقال : إنها لحسة الأبدان ، وقال حميد بن ثور « لينة الأبدان » كأنهم جعلوا كل جزء
منها بدنًا ، ثم جمعوه على هذا . ورجع : جمع رجاح ، وهي الثقبلة المعجيزة

(٢) ديوانه ١٥٤ . والقرب بالضم : الخاصرة ، وجمعها أقارب

(٣) البيت ليزيد بن الطُّور كما في حماسة أبي تمام بشرح المروزقي ١٣٤٠/٣ وأمالى القالى
١٩٦/١١ وعلق عليه أبو عبيد البكري بقوله : « قال أبو بكر الصولى : هذا الشعر للعباس بن قطن
للال ، وما أخلق هذا القول بالصواب ؛ لأن هذا الشعر لم يقع في ديوان شعر ابن الطُّور وقد جمعت
منه كل رواية » . وانظر تحريج الميمى له في السمت ٤٧١/١ . وقال المروزقي : « الملاث : الموضع الذى
يدار به الشيء ، والمراد به ههنا المعجز . وشبهها بالدعص ، وهو الرمل المجتمع ، لكثرة اللحم عليها .
واكتنازه . والبتل : الهضم الدقيق ، يعنى أنها دقيقة الحصر . جليلة المعجز » . وفى م « فنبيل » .

(٤) ط « إلى قولهم »

(٥) ط « لا لضيق مفاصله » وهو تحريف عجيب .

(٦) من ك

فإن قال قائل : إنما قال « لو أن الخلاخل صيرت لها وشحاً » أي لو ساغ ذلك وجاز ، كما يقال : لو دخل أحد في سم الخياط^(١) لرقته وحسن أخلاقه لدخل زيد وكما قال الشاعر :

« لو طَارَ ذو حافرٍ مِنْ سُرْعَةِ طَارَا^(٢) »

وكما قال الآخر :

لو كَانَ يَقْعُدُ فوقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ
قَوْمٌ لِسُودَدِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعْدُوا^(٣)

قيل : هذا مذهب حسن معروف من مذاهبهم . ولكن ليس بينه وبين قول أبي تمام شبه ، وإنما كان يشبهه [أن] لو قال « لو أن الخلاخل تكون مكان الوشاح لجال عليها » ولو قال هذا أيضاً لكان يُعد مخطئاً ؛ لأنه سواء عليه قال هذا أو قال قصّر ظهرها أو نقص خلقها أو ضم بعض أعضائها إلى بعض حتى يكون خلخالها مكان وشاحها لجال عليها . ومثل هذا لا يقوله أحد إلا الكنجي^(٤) [أ] وأبو العبر ، ولفظ بيته أقبح من هذا وأشنع ؛ لأنه إنما أخرجه مُخرَج الحقيقة أو ما يقارب الحقيقة . نحو قول القائل : لو تغطّت هند بشعرها لغطّاها ، ولو سترت وجهها بذراعها لسترها^(٥) . ولو مسستها لساخت الإصبع فيها ، أو لأذمتها^(٥) . وهذا ضرب من المبالغة وهو إلى الحقيقة أقرب ، وليس من الأبيات المذكورة في شيء ولا على سياقة ذلك

(١) م « في سم أي أرقته » وهو خطأ

(٢) صدره : « يكاد في شأوه لولا أسكه » وهو لمعاوية بن مرداس كما في معاهد التنصيص

٤٠/٣

(٣) البيت لزهير ، كما في ديوانه ٢٨٢ « أو كان يقعد . . . قوم بأولهم » والعمدة ١٢٤/٢

« فوق الجم » والعقد ٢٩١/٥ وهو في أمالي القائل ١٠٥/١ لأبي جويرية العبدي

(٤) ط « الكنجي » و ك « الكنجي »

(٥) ط « لسيرته »

اللفظ ، والإحالة فيما مخرجه مخرج الحقيقة أقبح من الإحالة فيما مخرجه مخرج التوسع والمبالغة .

وبعد فإن أبا تمام إنما قال : من الهيف ، والهيفاء هي الضامرة البطن ، وقد تكون ضامرة مطوية وخصرها غير دقيق ؛ لأنها قد تكون من ضمها عريضة الحقوين ، فيضطرب الوشاح هناك ؛ لأنه إنما يجري من أحد جانبيها على حقو واحد .

واضطراب الوشاح لا يدل على دقة الخصر خاصة ؛ لأنه قد يضطرب والخصر غير دقيق . وصمته ولزومه لا يوجب عرض الخصر لا محالة ؛ لأنه غير مطيف به ، وإنما يقع طرفه على أحد جانبيه ، فما وجه جعل الخلخال في موضع الوشاح ؟

فإن قيل : لم يذهب إلى دقة الخصر ، وإنما ذهب إلى وصف البطن بالضمير ، لأنه قال : من الهيف والهيف . الضوار البطون .

قيل : فهذا موضع غلظه وإحالاته ؛ لأن ضيق الخلخال والوشاح لا يوجب ضمير البطن . ولا يدل على ذلك أيضاً طوله ولا قصره : وإنما يدل على الضمير حركته لا غير . وطوله إنما يدل على طول الظهر . وقصره على قصره . والخلخال بمعزل عن ذلك كله .

وإنما سمع أبو تمام قول علي بن جبلة :

فلو قُستَ يوماً حِجْلُهَا بِحِقَابِهَا لَكَانَا سَوَاءً ، لَابِلِ الْحِجْلِ أَوْسَعُ فَاتْبَعَهُ فَأَخْطَأَ وَأَحَالَ ؛ لِأَنَّ الْحِقَابَ لَا يَخْصُ غَيْرَ الْخَصْرِ ، فَأَرَادَ ابْنُ جُبَلَةَ أَنَّ يَدُلُّ عَلَى دَقَّةِ الْخَصْرِ فَقَالَ : لَوْ قِيسَ خَلْخَالُهَا بِحِقَابِهَا لَكَانَا سَوَاءً وَكَانَ الْخَلْخَالُ أَوْسَعَ ؛ لِأَنَّ الْخَلْخَالَ مُسْتَدِيرٌ كَاسْتِدَارَةِ الْحِقَابِ ، وَدَقَّةُ الْخَصْرِ تَقْتَضِي ضِيقَ الْحِقَابِ . كَمَا أَنَّ تَمَامَ الظَّهْرِ وَطُولَ الْقَنَاةِ يَقْتَضِي

طول الوشاح وطول حمائل السيف ؛ لأنهما يخصان القامة ، ألا ترى إلى قول أبي نواس :

أَشْمُ طَوَالِ السَّاعِدِينَ كَأَنَّمَا يُنَاطُ نِجَادُ سَيْفِهِ بِلَوَاءٍ
وكما قال البحتري :

ينوس إذا تمطى في النجاد^(١)

وكان ينبغي لأبي تمام لما وصف النساء في البيت التالي بالطول والتام
[فقال :

• قَنَا الْخَطُّ، إِلَّا أَنَّ تِلْكَ ذَوَابِلُ •

أن يصف الوُشَحَ^(٢) بالطول والتام ، لأن الوُشَحَ^(٣) من المرأة في موضع حمائل السيف [من الرجل] فكيف^(٤) يجعلها مثل الخلاخل ويجعل الخلاخل مثلها ؟ وقد يبالغ الشاعر في أشياء حتى يخرج فيها إلى المحال ويخرج بعضها مخرج النوادر^(٥) فيستحسن ولا يستقبح ، نحو قول الشاعر :

مَنْ رَأَى مِثْلَ حَبَّتِي تُشْبِهُ الْبَدْرَ إِذْ بَدَأَ^(٦)
تَدْخُلُ الْيَوْمَ ثُمَّ تَدْخُلُ أَرْدَأُهَا غَدًا^(٧)
ومثل هذا كثير .

وقد بالغ^(٨) النابغة في وصف عنق المرأة بالطول ، فقال :

(١) الزيادة من ك

(٢) ما بين القوسين سقط من ك

(٣) ط « الوشاح »

(٤) م « إلا أن يجعلها » وفي ك « لا أن . . . »

(٥) ط « منها . . . النادر »

(٦) هما للمؤمل بن أميل ، كما في البديع ١٢٠ والصناعتين ٣٦٢ وديوان الأعاني ٢٥١/١

(٧) ط « يدخل اليوم حصرها ثم أردأها »

(٨) ط « وقد قال »

إِذَا ارْتَعَثْتَ خَافَ الْجَبَانَ أَرْتَعَاثَهَا وَمَنْ يَتَعَلَّقُ حَيْثُ عُتِقَ يَفْرَقُ^(١)

فجعل القُرْطَ يخاف أن يسقط. من هناك فيهلك ، وإنما أخرج هذا كالمثل : أى لو كان مما يقع منه الخوف لخاف . وقال ذو الرمة :

وَالْقُرْطُ فِي حُرَّةِ الذَّفَرَى مُعَلَّقُهُ تَبَاعَدَ الْجَبَلُ مِنْهُ فَهُوَ يَضْطَرِبُ^(٢)

فدل بقوله «تباعد الجبل منه» على طول عُتْقِ المرأة .

فهذه المبالغة لاثقة مستحسنة ؛ لأنه دل على الوصف بالشئ الذى يخص الموصوف ، لا بالشئ الذى يخص غيره .

ولو كان أبو تمام قال «لو أن الخلاخيل صُيِّرَتْ لها نطقاً» لكان [قد] أتى بالصواب ؛ لأن النطاق هو كل ما يُدار على الخصر مثل المِنْطَقَةِ من سير كان أو ثوب أو غيرها ، أو لو قال «حُقباً» ؛ لأن الحِقَابَ والنَّطَاقَ بمنزلة واحدة ، وأظنه أراد أن يقول هذا فغلط. فجعل مكانه الوشاح .

وقد بالغَ أبو العتاهية في وصف الخصور بالدقة ، فقال :

وَمُخَصَّرَاتٍ زُرْنَنَسَا بَعْدَ الْهُدُوِّ مِنَ الْخُدُورِ

نُفْجُ رَوَادِفُهُنَّ يَلُذُّ بِسَنِّ الْخَوَاتِمِ فِي الْخُصُورِ^(٣)

لم يرد أن خواتمهن في خصورهن ؛ لأن هذا محال ، وإنما ذهب إلى مثل قولهم : جَفَنَةٌ يَقْعُدُ فِيهَا خَمْسَةٌ ، أى لو قعدوا فيها لوسعتهم .

(١) ط ، ك «رعاثها» وقد سبق ص ٤٠

(٢) ديوانه ٦ وجمهرة أشعار العرب ١٧٨ وفى اللسان ٢٥٦/٥ «وحرة الذفرى : موضع بمجال القرط . وقيل : حرة الذفرى صفة أى أنها حسنة الذفرى أسيلتها» وفى ديوانه : «القرط فى أذن عتيقة الذفرى ؛ لأن الحرة هى العتيقة من كل شئ» ، والعتيق : الكريم . وقوله : تباعد الجبل منها : أى تباعد جبل العنق من القرط لأنها طويلة العنق ليست بوقصاء . والذفران : ما عن يمين العنق ويساره .

(٣) فى اللسان ٢٠٥/٣ «وامرأة نفج الحقيبة : إذا كانت ضخمة الأرداف والمأكم» . وأنشد «نفج الحقيبة بضة المتجرد»

وقال الآخر :

لَهَا حَافِرٌ مِثْلُ قَعْبِ الْوَلِيدِ لِدِ يَتَّخِذُ الْفَارُ فِيهِ مَغَارًا^(١)

أى : لو اتخذ فيه مغاراً لوسعته . فكذلك قوله : « يلبس الخواتم في الخصور » أى تصلح خصورهن أن تدخل في خواتمهن لدقتها [على المبالغة]^(٢) وكل ما دنا من المعاني من الحقائق^(٣) كان ألوط بالنفس ، وأحلى في السمع وأولى بالاستجادة .

فهذا ما أنكره أبو العباس مما أبو تمام فيه غلط . وهو ثلاثة أبيات .

٤ - وما أخطأ فيه الطائي البيت الذي بعد قوله :

مَنْ الْهَيْفَ لَوْ أَنَّ الْخِلَاحَ صُيرَتْ لَهَا وَشُحاً جَالَتْ عَلَيْهَا الْخِلَاحُ

وهو قوله :

مَهَا الْوَحْشُ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ قَنَا الْخَطَّ. إِلَّا أَنَّ تِلْكَ ذَوَابِلُ^(٤)

وإنما قيل للرماح^(٥) « ذوابل » للينها وتثنيها ، فنفي ذلك عن قدود النساء

(١) البيت لعوف بن عطية بن الخزاع في المفضليات ٤١٤ والاقطصاب ٣٣٤ ، ٣٣٨ والمعاني الكبير ١٦٩/١ والخزانة ٢٠/٤ وفي ديوان المعاني ١١٤/٢ « ويشبه الحافر بالقعب ، فن قدیم الشعر في ذلك قول امرئ القيس ، « لها حافر مثل قعب الوليد » وقد نقل هذه العبارة الشيخ محمى الدين وعقب عليها بقوله : ولم أجده في شعر امرئ القيس المنشور في العقد الثمين » وقد ظن الشيخ أن أبا هلال يقصد بيت عطية هذا فقال ما قال ، ولكنه يقصد قول امرئ القيس الموجود في ديوانه ٨٠

لها حافر مثل قعب الوليد ركب فيه وظيف عجر

والقعب : قلع من خشب مقعر ، شبه به حافر الفرس في السعة . والمغار : الجعر الذى يغور فيه ، أى يدخل . وهذا من الممكن الذى يخرج به العرب مخرج الواجب ، فظاهر الكلام : أن الفار يتخذ فيه مغاراً على الحقيقة واليوجب ، والمراد : أن الفار لو فعل ذلك لأمكنه .

(٢) الزيادة من ك

(٣) ط « بالحقائق » وفى ك « وكل ما كان من المجازات أقرب إلى الحقائق »

(٤) الوساطة ٤٤

(٥) ط « للقنا »

التي من أكمل أوصافها^(١) الثَّشْنَى واللَّيْنُ والانعطافُ ، كما قال تميم بن أبي
ابن مُقبل :

يَهْزُزْنَ لِلْمَشْيِ أَوْصَالاً مُنْعَمَةً هَزَّ الْجُنُوبَ ضُحَى عِيدَانِ يَبْرِينَا^(٢)
أَوْ كَاهْتِزَازٍ رُدَيْنِي تَذَاوَقَهُ أَيْدِي التَّجَارِ فَرَادُوا مَتْنَهُ لَنَا^(٣)
فشبه تميم قدودَهْن بالردَيْنِي للينه وتثنيه لا غير .

هذا أجود من كل ما قاله الناس في مشي النساء وحسن قدودهن .
وقوله «مها الوحش» أراد : كمها الوحش إلا أن هاتا أوانس . فوضع
المشبه به في مكان المشبه ، وهذا في كلامهم شائع مستفيض .
[تراه في مواضعه من هذا الكتاب إن شاء الله]^(٤) .

* * *

٥ - ومن خطائه قوله^(٥)

قَسَمَ الزَّمَانُ رُبُوعَهَا بَيْنَ الصَّبَا وَقَبُولِهَا وَدُبُورِهَا أَثْلَانَا^(٦)
لأن الصبا هي القبول ، وليس بين أهل اللغة وغيرهم في ذلك خلاف .
فإن قيل : إنما سميت الصبا قبولا لأنها تقابل الدُّبُور ، فلعله استعار
هذا الاسم^(٧) للدُّبُور فقال «بين الصبا وقبولها» يريد الدُّبُور^(٨) لأنها تقابل

(١) ط « صفاتها »

(٢) البيتان لابن مقبل في اللسان ٤٠٢/١١ وفي ديوانه ٣٢٧ ، ٣٢٨ عنه ، ويبرين اسم
موضع ، راجع معجم ما استعجم للبكري ١٣٨٦/٤
(٣) ط « تداوله » وفي اللسان . . والمعروف تداوله » ويقال : ذق هذه القوس : أي انزع
فيها لتخبر لي بها من شدتها

(٤) من ك

(٥) ط ، ك « وما أخطأ فيه الطائي أقبح خطأ قوله »

(٦) ديوانه ٦٣ وشرح التبريزي ٣١٥/١ والصناعتين ١٢١

(٧) م « هذا الاسم »

(٨) م « الدُّبُور » .

الصبا [فكأنه أراد بين الصبا] ومقابلتها ، أى الريح المقابلة لها .

قيل : هذا غلط . من التأويل [من وجوه] :

منها أنه قد ذكر الدبور في البيت مرة ؛ فلا يجوز أن يأتى بها مرة ثانية .
ومنها : أنه ما سُمع من العرب « زَيْدٌ قَبُولُكَ » بمعنى : مُقابلك . ولا
« دار زيد قبول دار عمرو » بمعنى مُقابلتها ؛ وإنما خُصَّت الصبا وحدها بهذا
الاسم لأنها تأتي من الموضع الذى يُقبل منه السَّهَارُ ، وهو مطلع الشمس ،
وقيل دَبُور لأنها ^(١) ضدها ، أخذ ^(٢) من أقبل وأدبر . ولو جاز ^(٣) هذا في
كلامهم أو ساغ في لغتهم أو كان ^(٤) مسموعاً مثله ^(٥) منهم - لساغ أن
تُسَمَّى الشَّمال أيضاً قبولاً ؛ لأنها تقابل الجنوب ، أو أن تسمى الجنوب
قبولاً ؛ لأنها تقابل الشمال . وما أظن أحداً يدعى هذا ، ولا يستجيز أن
يعارض بمثل هذه المعارضة ، ولا أن يُحدِّث لغة غير معروفة ، وينسب إلى
العرب ما لم نقله ^(٦) ولم تنطق به .

ومنها - وهى أوكدها ^(٧) فى فسادها هذا التأويل - أنه قال « بين الصبا » ^(٨)
وقبولها ودبورها أثلاثاً ، وقوله « أثلاثاً » يدلُّك أنه أراد ثلاث رياح ، وإوانه
نومهم أن القبول ربح غير الصبا ، وهذا واضح .

(١) فى ط ، م : « دبورها ضدها »

(٢) ط « وقيل لها دبور لأنها ضدها أخذه »

(٣) م « ولو جاد »

(٤) « كان مثله »

(٥) من ك

(٦) ط « ما لم تعلمه »

(٧) ط « وهى أولها »

(٨) م « من » وهو تحريف

والجيد قول البحترى :

مَتْرُوكَةٌ لِلرَّيْحِ بَيْنَ شِمَالِهَا وَجَنُوبِهَا وَدُبُورِهَا وَقَبُولِهَا^(١)
فجاء بالرياح الأربع .

وقال البحترى أيضاً :

سَنَنْتُ الصُّبَا إِذْ قِيلَ وَجْهَنَ قَصْدَهَا وَعَادَيْتُ مِنْ بَيْنِ الرِّيحِ قَبُولَهَا^(٢)
فقوله « وَجْهَن » يعنى الحُمُولَ ، والهَاءُ فى « قَبُولَهَا » راجعةٌ إلى الرِّيحِ .
وهذا مما^(٣) يُوهَمُك أَنَّهُ أَرَادَ رِيحَيْنِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ رِيحاً وَاحِدَةً وَسَمَّاها بِاسْمِهَا^(٤)
فقال : سَنَنْتُ الصُّبَا ، وَعَادَيْتُ الْقَبُولَ : أَيْ أَبْغَضْتُ هَذَيْنِ الْاسْمَيْنِ ؛ لِأَنَّ
حَمُولَ الظَّاعِنِينَ تَوَجَّهَتْ نَحْوَهَا ، وَلَمْ يَقُلْ إِنَّ الْحَمُولَ تَوَجَّهْنَ إِلَى وَجْهَيْنِ
مُخْتَلَفَيْنِ . . .

وحكى ابن الأعرابى - أَوْ حُكِيَ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ : الْقَبُولُ كُلُّ^(٥) رِيحٍ
طَيِّبَةِ الْمَسِ لِيْنَةِ ، لَا أَذَى فِيهَا ، سُمِّيَتْ قَبُولاً لِأَنَّ النَّفْسَ تَقْبِلُهَا . وَأَظُنُّ
الْأَخْطَلَ - إِنْ كَانَتْ الرِّوَايَةُ صَحِيحَةً - لِهَذَا قَالَ :

فَإِنْ تَبَخَّلْ سَدُوسٌ بِدِرْهَمَيْنِهَا فَإِنَّ الرِّيحَ طَيِّبَةً قَبُولٌ^(٦)

أى : طَيِّبَةٌ لَا نَمْنَعُنَا [مِنْ] الْإِنْصِرَافِ وَالسَّيْرِ .

وهذه ليست من الرياح التى ذكرها أبو تمام فى شىء ، لِأَنَّ هَذِهِ عَلَى هَذَا
الْوَصْفِ قَدْ تَكُونُ الشِّمَالُ ، وَتَكُونُ الْجَنُوبُ ، وَتَكُونُ الصُّبَا ، وَذَاكَ إِغْمَا^(٧) أَرَادَ

(١) ديوانه ٣٤٥ ، ١٧٩٦/٣ « أَنْ قِيلَ » وَالصَّنَاعَتَيْنِ ١٢٢

(٢) ديوانه ٥١١ وَالصَّنَاعَتَيْنِ ١٢٢

(٣) لَيْسَ فِي كَ

(٤) ط « بِاسْمِهَا »

(٥) ط « كُلُّهُ »

(٦) ديوانه ١٢٦ وَالسَّانِ ١٤ / ٦٢ وَالْأَغَانِى ١٨٣/٧ وَفَى م ، ك « فَإِنْ يَمْنَحُ . . . »

دَرْهَمِيَا .

(٧) م « فَإِغْمَا »

ريحاً بعينها ، لأنه قال : « بين الصبا وقبولها » فجعلها مضافة إليها ، كما لو قال « بين الشمال وجنوبها »^(١) لأنهما ريحان معروفتان ، وهما أختان^(٢) تَعْتَقِبَان ، وكذلك لو قال « بين الصبا ودبورها » وكذلك لو قال « بين الدبور وقبولها »^(٣) أو « بين القبول وشمالها » فإذا ذُكرت القبولُ مع هذه الرياح المعروفة^(٤) [فليس يراد بها إلا القبول المعروفة التي] هي الصبا ، وليس هذا موضع القبول التي هي الريح اللينة المسّ الطيبة على ما ذكر ، لأنه وصف^(٥) مجهول ، يجوز أن يكون لكل ريح فلا يقع في هذا الموضع ، لأنك إذا عَنَيْتَها بقولك : قد هبت^(٦) الصبا وقبولها [أو الشمال وقبولها] لم يدر أي ريح هي ، فما معنى^(٧) إضافتها إلى الريح المعروفة التي هي إذا لَأَن مَسَّها جاز أن تسمى بذلك الاسم ؟ هذا خُلْفٌ من القول إذا قبل .

وأيضاً فإن أبا تمام إنما أراد أن هذه الرياح عفت هذه الديار ، وذهبت بها ، فما وجه ذكره لريح طيبة لينة المس مع الدبور ؟ هذا محال أن يكون أرادته ، كيف والديار يُدعى لها بهبوب الرياح اللينة الضعيفة لثلا تعفوها ، ألا ترى [إلى] قول أبي تمام :

أَرْسَى بِنَادِيكَ النَّدَى وَتَنَفَّسَتْ نَفْساً بِعَقْوَتِكَ الرِّيحُ ضَعِيفاً^(٨)

(١) م « بين يعتقبان وشمالها »

(٢) ط « أختان مختلفتان تعتقبان »

(٣) ط « القبول ودبورها »

(٤) ط « الرياح المعروفة كانت هي »

(٥) م « لأنه مجهول »

(٦) ط « قد نفيت » وهو تحريف شنيع !

(٧) ط « هي في معنى » !

(٨) شرح التبريزي ٣٧٧/٢ وديوانه ٢٠٦ « أرسى بعصتك » وهما روايتان .

وقال البحتري :

وإذا هبَّتِ الرِّيحُ نَسِيماً فعَلَى رَيْعِ دارِها والجَنَابِ^(١)

[فشرط أن تكون الرياح نسيماً . وقال :

رَاحَتْ لَأَرْبُعِكَ الرِّيحُ مَرِيضَةً وَأَصَابَ مَغْنَاكَ الغَمَامُ الصَّيْبُ]^(٢)

فَشَرَطَ أن^(٣) تكون الرياح مريضةً لثلاث تعفوها وتمحوها .

فإن قيل : فاعله أراد^(٤) بين الصبا وقبولها أى : بين الصبا وسهلها ولينها ، ولا يكون يريد بالقبول اسمها المعروف ، وإنما يريد الاسم الذى يقع للريح^(٥) اللينة المس ، فكأنه قال « بين القبول وقبولها » كما تقول^(٦) : « جاءنا عباسٌ وعَبَّاسُهُ » أى : وجهه المعبس^(٧) ، و« أتانا الضحَّاكُ وضحاكُه » أى : وجهه الضحَّاك : لأن التعبيس والضَّحِكُ فى الوجه ، و « قد فَتَنَتْنَا حَوَراءُ بحورائِها »^(٨) أى : بعينها الحوراء .

قيل : هذا كله لفظ . سائغ مستقيم ، غير أننا ما سمعنا مثل هذا فى الريح ، ولا علمناه فى اللغة ، ولا وجدنا فى الشعراء أحداً قال : « الصبا وقبولها » ولا « الجنوب وقبولها » ولا « الشمال وقبولها » أى سهلها ولينها . ولو أراد الطائي ذلك لكان أيضاً مخطئاً ؛ لأن الريح لينها وشديدها ريحٌ واحدة ، وقد قال أبو تمام « أثلاثا » فدلَّ على أنه أراد ثلاث رياح . وإن

(١) فى ديوانه ، ك ٥٦٣ « الجنوب . . . فعل رسم »

(٢) ديوان البحتري ٦٨٢

(٣) م « فشرطان » وهو تحريف

(٤) م « أراد الصبا »

(٥) م « الريح »

(٦) ط « وقبولها يقال جاءنا »

(٧) ط « العباس »

(٨) م « بحورائِها »

كان أراد ريحاً أخرى غير الصبا فقد قدمتُ القول في أن ذلك غير سائغ ولا مستقيم .

وقد استقصى أصحابُ « الأنواء » في كتبهم ذكر الرياح وأوصافها ونعوتها ، واستشهدوا بأكثر ما سمعوه من أشعار العرب فيها ، وبالعقبة أبوحنيفة الدينوري في ذلك ؛ فما منهم أحد ذكر أن القبول غير الصبا ، وإنما قال ابن الأعرابي في نوادره : إن العرب تسمى كل ريح طيبة لينة المس قبولاً وقال الأخطل :

فإن تبخل سدوس بدرهميها فإنَّ الرِّيحَ طيبةٌ قبولٌ^(١)

فإنما أراد الصبا ؛ لأنها ريحٌ محبوبةٌ تُنسب إلى الطيب ، وهي دأمة الهبوب لينة المس معتدلة في أكثر أوقاتها . أى فإن تمنع^(٢) سدوس نائلها فإن الرياح طيبة قبول ، أى هى صبا لا تمنعنا من الانصراف والرحيل . فإن كان ما ذكره ابن الأعرابي صحيحاً^(٣) فإنهم إنما قالوا لكل ريح لينة [قبولاً ، تشبيهاً لها بالصبا ، كأنهم إن هبت شمال لينة] ، قالوا : هذه الصبا ، أو هذه القبول ، أى كالصبا أو كالقبول ، فأسقطوا حرف التشبيه ، وجعلوا المشبه في مكان المشبه به ، كما تقول إذا شيمت أترجة^(٤) طيبة العرف : هذه المسك ، وإذا رأيت وجهاً جميلاً قلت : هذا هو البدر ، وإن شئت كان المعنى : هذه المسك حقاً ، وهذا هو البدر يقينا ، ولو هبت شمال شديدة مزعجة حتى تقول^(٥) : هذه هى الدبور بعينها - لكان هذا من أسوغ

(١) سبق ص ١٦٠ ورواية م ، ك هنا كرواية هناك .

(٢) ط « منعت »

(٣) ط ، ك « صحيحاً وهو الصحيح إن شاء الله » . . . إنما قالوه لكل ريح طيبة لينة

(٤) ط « شيمت رائحة »

(٥) م « يقول »

كلام وأصحه^(١) . فإن كانت العربُ سَمَّتِ الشمال والجنوبَ - إذا هَبَّتْ هبياً سهلاً ليناً - قبولاً ، فإنما شبهوها^(٢) بالصبا وأعاروها اسمها . وإنما قيلَ لها قَبُولُ لأنها تَأْتِي من مَطْلَعِ الشمس ، وهو^(٣) الموضع الذي يُقْبَلُ منه النهار ، وقيل للدبور دَبُور لأنها تَهْبُ من حيث يُدْبِر ، وقد قيل غير ذلك ، وهذا هو الصحيح . وقد حكى بعضهم^(٤) عن النَّضْرِ بنِ شُمَيْل أنه قال : الْقَبُولُ رِيحٌ تَلِي الصَّبَا^(٥) ما بينها وبين الجنوب . وهذا غير معروف ولا معمول^(٦) عليه [وقد ذكر بعضهم أن قوماً سمو الشمال قبولاً . قال : وليس ذلك ، بثبت ولا معمول عليه] إلا أن يكون قاله على هذا [الوجه] الذي ذكرته [على التشبيه] والله أعلم .

وبيت أبي تمام لا يحتمل أن يُتَأَوَّلَ فيه الريح ؛ لأنه أراد مَحَوَ الدار^(٧) ولا تُذكر في محو الدار القبول الخفيفة الهبوب^(٨) الطيبة المس مع الدبور التي لا تكاد تَهْبُ ، فإن هبت لم تَأْتِ إلا شديدة مزعجة .

وقال آخر ممن لا تمييز معه أراد بين الصبا وقبولها ، أى : الريح التي قَبَلَتْها^(٩) ، كأنها قابلتها فَقَبَلَتْها فهي قَبُولُها ، يعنى ريحاً من الرياح ، كما تقول فاخرته فَفَخَّرْتُهُ ، وخاصمته فخصمته .

(١) ط « كلام وأصحه وإن »

(٢) م « فإنما يشبهونها . . . وأعادوها اسمها »

(٣) م « الشمس ويكون الموضع . . . من النهار »

(٤) ط « وقد قيل عن »

(٥) م « للصبا »

(٦) في ط ، م : « معمول » وكذا فيها بضمه .

(٧) ط « فيه هذه الريح . . . الديار »

(٨) م « الدار الخفيفة والهبوب »

(٩) م « قبلها »

قيل : هذا خطأ من وجوه ؛ منها أن الريح التي تقابل الصبا مقابلةً صحيحة هي ^(١) الدبور ، وقد ذُكرت في البيت الأول ؛ فلا يجوز أن يريدها ^(٢) .

ومنها : أنك لا تقول قابِلْتُ زيدا فقبَلْتَه ، مثل فاخرته ففخرته ؛ لأنك إذا قابَلْتَه فقد صرت قبالته وصار قبالتك ؛ فليس أحدهما في هذا أبأفضل من الآخر ، وذلك مثل قولك : واجهْتُهُ ، ووازيته ، وساويته ، وحاذيته ^(٣) ؛ لأنك ^(٤) في هذه الأحوال ^(٥) مثله وهو مثلك ؛ فلا يجوز أن تقول فيه : فعَلْتَه ^(٦) ، أي غلبته .

ومنها : أنك إذا قلت : زيد ضاربُ عمرو ، وضروبُ عمرو ^(٧) ، وقاتلُ بكرًا ، وقَتولُ بكرٍ ^(٨) ، لم تدل على أنه كانت مضاربة بينهما أو مقاتلة ؛ لأنه ^(٩) يجوز أن يكون الضرب وقع من أحدهما ولم يقع من الآخر ، [وكذلك القتل] ؛ فلذلك لا يدل قوله «قبولها» [على] أنه كانت هناك مقابلة ، كما لا يدل قولك «زيد ضاربُ عمرو» على أنه كانت مضاربة بينهما حتى غلبَ زيد عمراً بالضرب . وإذا لم يكن على الشيء دليل لم تقم به حجة .

* * *

(١) م « من الدبور »

(٢) م « أن يديرها » ، ط « يريدها »

(٣) ط « واجهته وآزيتَه » وفي م « ووازيته »

(٤) م « إنك . . . الأحوال »

(٥) في ك « الأفعال »

(٦) م ، ك « ففعلته »

(٧) م « وضروبُ عمرو »

(٨) في ك « ضاربُ عمرو أو . . . وقاتل بكرًا »

(٩) « لأنه لا يجوز »

٦ - ومن خطائه ^(١) قوله :

وَصْنِيعَةٌ لَكَ ثِيْبٌ أَهْدَيْتَهَا وَهِيَ الْكَعَابُ لِعَائِدِ بِكَ مُصْرَمٌ ^(٢)
 حَلَّتْ مَحَلَّ الْبَكْرِ مِنْ مُعْطَى وَقَدْ زُفْتُ مِنَ الْمُعْطَى زِفَافِ الْأَيْمِ ^(٣)
 غَلَطَهُ قَوْمٌ ^(٤) فِي الْبَيْتَيْنِ جَمِيعاً ، وقالوا : أراد بقوله « وصنيعة لك » أى :
 للممدوح « ثيب » أى : قد افترعت ^(٥) « أهديتها » وهى الكعاب لعائد
 بك [أى على عائد بك] مصرم « أى : قليل المال ، وجاء بالكعاب على
 أنها تقوم مقامَ البكر ليجعلها فى البيت ضد الثيب فتصح له القِسْمة . أى
 هذه الصنيعة ثيبٌ عندك ؛ لأنك ^(٦) قد اصطنعت مثلها مراراً ، وهى الكعاب
 - يريد البكر- عند هذا العائد بك؛ لأنها أول ما اصطنعته إليه أولاً ^(٧) لأنها
 أكبر صنيعة صنعتها عنده .

قالوا : والكعاب [هى] التى [قد] كَعَبَ ثديها ، فقد ^(٨) تكون بكراً
 وتكون ثيباً ، فليست ضدّاً للثيب ^(٩) فى البيت ، ولا تصحّ بها قسمته : لأن
 اسم الكعاب لا يزول عنها إذا افترعت حتى ينهدّ ثديها ويرتفع .
 قالوا : واعتمد أن يشرح هذا [المعنى] فى البيت الثانى فقال :
 « حَلَّتْ مَحَلَّ الْبَكْرِ مِنْ مُعْطَى ^(١٠) » .

(١) م « ومن غلطه »

(٢) ديوانه ٣١٣

(٣) الوساطة ٧٧

(٤) م « غلط » ط « غلطه وقع فى البيتين »

(٥) م « قد أضرت »

(٦) ط « أى قد »

(٧) ط « إليه أولاً »

(٨) ط « وقد »

(٩) ط « للبكر »

(١٠) أكل البيت فى ط وليس ثمة ما يبرره .

وذلك [هو] ^(١) معنى قوله «وهي الكعاب لعائذ بك» ثم قال : «زفت من المعطى زفاف الأيم» ، وهو يريد معنى قوله : «وصنيعة لك ثيب» . على أن الأيم هي الثيب .

وقالوا هذا خطأ ؛ لأن الأيم هي التي لا زوج لها ، بكرًا كانت أو ثيبًا . قال الله عز وجل : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ ^(٢) ، أفتراه أراد ^(٣) أنكحوا الثيبات من النساء دون الأبكار ؟ إنما أراد تبارك اسمه : انكحوا النساء اللواتي لا أزواج لهن . فالثيب والبكر والصغيرة والكبيرة ممن لا زوج لها تدخل في الآية ، قال الشماخ :
يَقْرُ بِغْنَى أَنْ أَحَدَتْ أَنَّهَا وَلِنْ لَمْ أَتْلُهَا أَيْمٌ لَمْ تَزُوجْ ^(٤)
وهذا هو [المعنى] المعروف في كلامهم .

وهذا الذي ذكره من غلظه في الأيم هو كما ذكرنا ^(٥) ، فأما ما ادَّعَوْه في البيت الأول من الغلط في الكعاب بأن ^(٦) أقامها مقامَ البكر ، فليس ذلك بغلط ، والمعنى صحيح ، وقد جاء مثله في أشعار العرب ، قال قدامة ابن ضرار ^(٧) الحنفى :

[غَدَاةَ خَطْبَنَا الْبَيْضَ بِالْبَيْضِ عَنْوَةً وَأَبْنَى إِلَيْنَا ثِيْبَاتٍ وَكُعْبَا ^(٨)
أراد بالكُعْب الأبكار] ^(٩) ،

(١) من ك

(٢) سورة النور : ٣٢

(٣) ط « قال »

(٤) ديوانه ٧

(٥) م « الذي ذكره . . . كما قال وذكره »

(٦) ط « لن »

(٧) م « بن حراز » و ك « حزار »

(٨) البيض : النساء ، بالبيض : بالسيرف

(٩) الزيادة من ط

وقال جرير يهجو امرأة :

وقد حملت ثمانيةً وتمتَّ لِتَاسِعةٍ وَتَحَسَّبُهَا كَعَاباً^(١)

فَأَقَامَ الْكَعَابَ مَقَامَ الْبَكْرِ ، وجعلها ضدًّا للشيب . ومثله في كلامهم [كثير] موجود وإنما فعلوا ذلك - وإن كانت الكاعبُ قد تكون بكراً [وقد] تكون ثيباً - لأنَّ أولَ أحوال الكواعب أن يكن قد ناهزن حدَّ البلوغ وبدأت تُدِيهِنَّ بالتكعب ؛ فهنَّ^(٢) في هذه الحال أكثر ما يكن أبكاراً وغير ذات أزواج .

وقال عمرو بن معد يكرب :

تَرَكَوا السَّوَامَ لَنَا وَكُلَّ خَرِيدَةٍ بَيْضَاءَ خَرْعَبَةٍ وَأُخْرَى ثِيْبٍ^(٣)

فَأَقَامَ الْخَرِيدَةَ مَقَامَ الْبَكْرِ ، وجعلها ضد الشيب . في البيت [والخريدة الدرة] والخريدة هي الحيَّة . حكى اللحياني قال : سمعت^(٤) أعرابياً من كلب يقول : الخريدةُ الدرةُ التي تُثَقَّبُ وهي من النساء البكر ، والخَرْعَبَةُ : اللبنة المفاصل الطويلة ، وهذه قد تكون [بكراً وتكون] ثيباً ، إلا أنه جعلها بكراً ؛ لأنَّ الحياة أكثر ما يكون في الأبكار .

فقد صحَّ معنى بيت أبي تمام الأول في الكعاب ، وبقى الغلط^(٥) قائماً في الأيم ،^(٦) ونجعلها في البيت الثاني ضد البكر^(٧) .

(١) ديوانه ٦٤

(٢) م « أحوال الكاعب أن تكون قد ناهزت . . فهي في هذه »

(٣) السوام : الإبل الراعية .

(٤) م « سمعنا »

(٥) م « الغلط إنما هو »

(٦) من ك

(٧) ط « الشيب »

فإن قيل : فلم لم تجز^(١) لأبي تمام إقامة الأيم في البيت الثاني^(٢) مقام الشيب : إذ كانت الأيم قد تكون ثيباً ، كما أقمت الكعاب في البيت الأول^(٣) مقام البكر [إذ كانت الكعاب قد تكون بكرًا ، وتتجاوز له في هذا كما تجاوزت في ذلك^(٤) ؟

قيل : لفظ كعاب تدلّ بصيغتها على صغر السن كما عرفتك ، فهي في الأكثر تكون بكرًا غير مُفترعة ؛ ولذلك استحسنوا أن أقاموا الكعاب مقام البكر ، ولفظة أيم لا تدل على حد^(٥) السن ، من صغر ، ولا كبير ، ولا بكورة ، ولا افتراء ؛ فلا تجوز إقامتها مقام الشيب بحال .

وقد غلط في الأيم بعض كبار الفقهاء^(٦) فجعلوها مكان الشيب ، وذلك لحديث روى عن النبي صلى الله عليه وسلم^(٧) فإنه لحقه السهو في تأويله فحمله على غير معناه ؛ فلعل أبا تمام أيضاً^(٨) من هذا الوجه قد لحقه الغلط . وقد ذكر أبو تمام معنى هذين البيتين في موضع آخر ، فقال -^(٩) يذكر صنيعاً أيضاً :

(١) ط « فلم لا يكون »

(٢) ط ، م « الأول »

(٣) ط ، م « الثاني »

(٤) ط « كما تتجاوز في تلك »

(٥) ط « في السن »

(٦) يقصد الإمام الشافعي ، كما قال القاضى الجرجاني ٧٨ . . . وإنما نبذت منه نبذاً اقتضاها فصل أصبه لبعض من اعترض على أبي تمام ، جمع فيه بينه وبين الشافعي في التكرير ووازن بين قوليهما في الخطأ . . .

(٧) يريد قوله عليه السلام : « الأيم أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن في نفسها » قال الجرجاني في الوساطة ٧٧ « فذهب الشافعي إلى أن المراد بالأيم الشيب ، وليس يحفظ عنه ولا يوجد في شيء من كتبه أن الأيم والشيب في اللغة عبارتان عن معنى واحد ، فيجد العائب طريقاً إلى عيبه . . . » وخلاصة رأى الشافعي في الحديث « أن الأيم غير البكر ، وليس غير الأبكار إلا الشيب » . وهو تأويل حديد ضل عنه تفكير الأملى

(٨) من ك

(٩) ط « فقال وقد ذكر »

وَلَيْسَتْ بِالْعَوَانِ الْعَنْسُ عِنْدِي وَلَا هِيَ مِنْكَ بِالْبَكْرِ الْكَعَابِ^(١)

والعَوَان : هي التي بين المُسِنَّة والصغيرة السن ، وهي التي قد عرفت الأمور ، وَجَرَتْ عليها التجربة ؛ ولذلك قيل : العَوَانُ لَا تُعَلِّمُ الْخَمْرَةَ^(٢) ، ومنه قيل : حَرْبُ عَوَانٍ ، وهي التي قُوِّلَ فيها مرّة بعد مرة ، وإنما استعير لها اسم المرأة في هذه الحال ، كما قال الشاعر :

• الْحَرْبُ أَوَّلَ مَا تَكُونُ فَتِيَّةً^(٣) •

فاستعار لها أَوَّلَ ما تبدأ وتنشأ اسم الفتاة ، فأراد أبو تمام أن هذه الصنيعة ليست بالعَوَانِ عندي ، أي ليست صنيعة قد تقدمتها لك لدى صنائع تشبهها لعظمها وجلالها ، ولا هي [منك] بالبكر التي ليست مع ذلك^(٤) بكر صنائعك ، بل [قد] أَسَدَيْتَ كثيراً مثلها إلى غيري .

وهذا هو المعنى الذي قصده في البيتين المتقدمين ، إلا أنه جعل « الْعَنْسُ » ههنا في موضع العانس كأنه أراد أن يقول وليست بالعوان العانس^(٥) عندي فغلط . فقال « الْعَنْسُ » ، والانس : التي يحبسها أهلها عن التزويج حتى جاوزت حَدَّ الفتاة .

والعَنْس : اسم من أسماء الناقة ، وهي التي قد انتهت في شدتها وقوتها ، فأين وَصَفُ الناقة من وصف المرأة ؟

(١) ديوانه ٥٦ وقد سبق ٩٣

(٢) في جبهة الأمثال ١٣٩ « يضرب مثلاً للعالم بالأمر المحرب له . والخمرة مثل الجلجلة ، أي هي عالة بالاختيار فلا حاجة إلى تعليمه »

(٣) عجزه « تسعى يبرزها لكل جهول » وهو لمعرو بن معنى كرب الزبيدي ، كما في اللسان ٤١٦/٩ وانظره في الشعر والشعراء ٣٣٣/١ وعيون الأخبار ١٢٧/١

(٤) ط « وذلك لكبر »

(٥) م « الأحانس » ط « الأحابس »

فإن قيل ^(١) : فإن أبا تمام لم يرد غير العنيس ، ولم يرد العانس ؛ لأنه لو أراد العانس لكان مخطئاً من وجه غير ما ذكرته ، وهو أن العوان - فيما ذكر ^(٢) بعض أهل اللغة - الشيب ، وقيل : إنها التي [قد] كان لها زوج ، وجريير قد أفصح بأنّها ذات الزوج في قوله :

وَأَعْطَوْا كَمَا أَعْطَتْ عَوَانُ حُلِيِّهَا أَقَرَّتْ لِبَعْلٍ بَعْدَ بَعْلٍ تُرَاسِلُهُ ^(٣)
فكيف يكون العانس وصفاً للعوان ^(٤) والعانس هي التي حبست عن التزويج ؟ قال عامر بن جُوَيْنٍ ^(٥) الطائي :

وَاللّٰهُ مَا أَحْبَبْتُ حُبِّكَ عَانِسًا وَلَا ثِيْبًا لَوْ أَنَّ ذَاكَ أَتَانِي

فجعلها ضد الشيب ، والعنس أولى بأن تكون وصفاً للعوان من العانس ، ويكونان جميعاً من أوصاف [العوان لأن العوان إذا أريد بها] الناقة ، وهي دون ^(٦) المسنة وفوق الفتية ؛ فهي حينئذ الكاملة . والعنس : الناقة التي قد انتهت في قوتها ؛ فهما صفتان متفقتان استعارهما الشاعر للصنيعة من أوصاف النوق ، كما استعار البكر الكعاب من أوصاف النساء .

قيل : هذا غلط . من الاحتجاج ، وتعسف من التأول ، وإنما يُستدل ببعض الألفاظ . على بعض ، كما يستدل على المعنى بما يقترن ويتصل به ؛ فيكون في ذلك بيان وإيضاح . أما العوان والبكر - وإن كان قد وُصف بهما غير المرأة من البهائم وغير البهائم - فإن البكر في البيت لا تكون مستعارة إلا من أوصاف النساء ، من أجل ما اقترن بها من لفظ الكعاب التي هي

(١) م « فإن قال »

(٢) م ، ك « زعم »

(٣) ديوانه ٤٨٢ « عوان حليها »

(٤) م « للكعوب »

(٥) م « بن جريير » وهو تحريف راجع للمعمرين ٤٠ والخزاعة ٢٥/١

(٦) م « فهي »

مخصوصة بوصف الجارية التي [قد] كَعَبَ ثديها ؛ فلا تكون العَوَان في صدر البيت من أوصاف النوق ، والبكر في آخره من أوصاف النساء ، فعلمنا أنه لم يرد بالعنُس إلا العانس فغلط. كأنه أراد [أن] هذه الصنيعة ليست في حال ما هي عندى بالعَوَان العانس ، ولا في حال ما هي عندك بالبكر الكعاب ؛ لأن المرأة [قد] تكون كاعباً وبكرًا في حال ، وعواناً وعانساً في حال أخرى ؛ فتنقل في هذه الأوصاف . والعنُس لا موضع لها ههنا .

وأما قوله « إنه لو أراد العانس كان مخطئاً ؛ لأن العانس هي التي حبست عن التزويج حتى جازت حد الفتاة فلا يكون وصفاً للعَوَان لأن العوان عند أهل اللغة الثيب » - فيقال [له] : إنما كان يسوغ لك هذا التأويل لو زَالَ اسم العنوس عن المرأة إذا تزوجت ، فأما وهو^(١) وهو باقٍ عليها بعد التزويج الذي صارت به ثيباً فلم لا يكون وصفاً للعَوَان التي هي أيضاً ثيب عندك ، ألا ترى إلى قول كُثَيْر :

وإنَّ طِلَابِي عَانِسًا أُمٌّ وَلِدَةٌ لَحِيمًا تُمْنِيْنَا النَّفُوسُ الْكَرَادِبُ^(٢)

فقال « عانساً » وجعلها أم ولده .

فإن قال : فلعلَّ أبا تمام لم يرد هذا ، وإنما أراد بالعنُس مصدر عَنَسَتِ المرأةُ تَعْنُسُ عَنَسًا وَعُنُوسًا . فجعل المصدرَ وهو عَنَسَ وصفاً للعَوَان مكان العانس ، والمصادر قد تجعل أوصافاً في موضع^(٣) أسماء الفاعلين .

قيل له^(٤) : المعروف في مصدر عَنَسَتِ المرأةُ هو العُنُوس ، ولم يسمع العُنُس ، وعلى أن الأصمعي قد أنكر عَنَسَتِ مخففاً ، وقال : إنما هو

(١) م « ماهو »

(٢) ط « فإن . . . لها تمنى »

(٣) في ط ، م « مكان »

(٤) ط « له المصدر »

عُنَسْتُ تُعْنَسُ تُعْنِيساً [بالتشديد] ، حكى ذلك عنه يعقوب بن السكيت .
 وَهَبَ [أَنه] قد جاء العُنْسُ مصدر عُنَسْتُ ، فليس في كل موضع يسوغ
 أن تكون المصادر أوصافاً ، وإنما تكون أوصافاً على وجه من الوجوه وطريقة من
 اللفظ ، وهي قولهم : إنما زيد دَهْرُهُ أَكْلٌ وَنَوْمٌ ^(١) ، وإنما عمرو أبداً قيامٌ
 وقعودٌ [فإن شئت كان المعنى : إنما زيد ذو أَكْلٍ وَنَوْمٍ ، وإنما عمرو ذو قيام
 وقعود] ؛ فتقيم المضاف إليه مقام المضاف ؛ لأنه يدل عليه ، أو تجعل
 زيدا نفسه الأكل والنوم ، وعمراً القيام والقعود على المبالغة ؛ لأن ذلك
 كثير منهما ، كما قالت الخنساء :

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا ادَّكَّرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ ^(٢)
 فجعلت الناقة هي الإقبال والإدبار ، لأن ذلك كثر منها ، وإن شئت
 كان المعنى ذات إقبال وإدبار ؛ فأقامت المضاف إليه مقام المضاف .

فهذه طريقة الوصف بالمصادر ، وإذا تأولت بالعُنْسُ المصدر في قوله
 «وليس بالَعَوَانُ العُنْسُ» كان ذلك كقولك : ليست هند بالمصبية الصَّغْرُ ^(٣) ،
 تريد الصغيرة ، ولا دَعْدُ بالهَرَمَةِ الكَبِيرُ ^(٤) ، تريد الكبيرة ؛ وهذا لا يسوغ
 في منطقي ، ولا يعرف ^(٥) في لغة . ولكن قد تستعمل هذه المصادر وصفاً على
 نحو ما ذكرته ؛ فيقال : هندُ الحُسْنُ كله ، ودعدُ الجَمالِ أجمعه ، وزيدُ
 الهَرَمِ أَقْصَاهُ ، وعبدُ الله البُعْضُ ^(٦) نَفْسُهُ ، والتَّيَّةُ عَيْنُهُ . فإن شئت كان

(١) م «زيد دهر لكل ويوم»

(٢) ديوانها ٧٨ والكمال ١٢١٤/٣ واللسان ١٣٥/١٩ والأغاني ١٣٨/١٣ وأمال المرتضى

٤٦٥/١

(٣) م «الصغير»

(٤) ليست في م

(٥) ط «ولا يعد»

(٦) م «وعند»

المعنى هندٌ صاحبةُ الحسن كله ، ودعد ذات الجمال أجمعه ، وزيد أخو الهرم ، وعبد الله ذو التيه ؛ فأقامت المضاف إليه مقام المضاف ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾^(١) يريد أهل القرية . وإن شئت جعلت هنداً هي الحسن ، ودعداً هي الجمال ، على المبالغة ، [لما كانتا غايتين فيهما . وجعلت زيداً هو الهرم وعبد الله هو التيه] لما كانا متناهيين في هذين الوصفين .

ولو كان أبو تمام اقتصر على ذكر العَوَان والبكر - وهما اللفظتان اللتان استعارتهما الشعراء في هذا المعنى ، ولم يخطئ بهما العَنَس والكَعَاب والثيب والأَيِّم^(٢) - لكان قد سلك الطريقَ المستقيم وأتى باللفظ. المؤلف المستعمل ، وتخلص من فاحش الخطأ ، وإنما أراد معنى الفرزدق في قوله :

وَعِنْدَ زِيَادٍ لَوْ تُرِيدُ عَطَاءَهُمْ رِجَالٌ كَثِيرٌ قَدْ تَرَى بِهِمْ فَقْرًا^(٣)
قُعُودٌ لَدَى الْأَبْوَابِ طَلَابُ حَاجَةٍ عَوَانٍ مِنَ الْحَاجَاتِ أَوْ حَاجَةٍ بِكْرًا^(٤)
أى : منهم طالبُ حاجةٍ عَوَانٍ ، أى حاجة قد عرفها وصارت عادة له ورسمًا يتطلبه في كل حين ؛ ومنهم طالب حاجة بكر ، أى أول ما يلتمسه منه ويترجمه^(٥) عنده . فأحبُّ أبو تمام أن يزيد على هذا المعنى ويُغرب فأخرجه ذلك إلى الخطأ .

وقد أحسن محمد بن حازم الباهلي في قوله :

أَبَا جَعْفَرٍ يَابْنَ الْجَحَاجِحَةِ الْغُرِّ بَدَتْ حَاجَةٌ وَالْحُرُّ يَأْوِي إِلَى الْحُرِّ^(٦)

(١) سورة يوسف : ٨٢

(٢) في ك « والثيب والبكر »

(٣) ديوانه ٢٢٦ « يريد . . . يرى . . . » وفي ط « عطاء »

(٤) ط « طالب »

(٥) في ط ، م « ويترجمه »

(٦) الجعاجة : جمع جعاجع ، وهو السيد الكريم

وَقَدْ لَبِستُنِي مِنْكَ بِالْأَمْسِ نِعْمَةً فَهَلْ لَكَ فِي أُخْرَى عَوَانٍ إِلَى بَكْرٍ
عَلَى أَنَّهُ إِنْ أَمْكَنْتَ أَوْ تَعَذَّرْتَ فَإِنَّكَ بَيْنَ الشُّكْرِ مَنَى وَالْعُذْرِ
فهذه طريقة الشعراء في العَوَان والبكر .

٧- ومن خطائه قوله :

الْوُدُّ لِلْقُرْبَى ، وَلَكِنْ عُرْفُهُ لِلْأَبْعَدِ الْأَوْطَانِ دُونَ الْأَقْرَبِ^(١)
لأنه نَقَصَ المدح مرتبةً من الفضل ، إذ^(٢) جعل وَدَّه لَدَوَى قرابته ،
وَمَنَعَهُمْ عُرْفَهُ ، وجعله في الأبعدين دونهم . ولا أعرف له في هذا عذراً يتوجه
وقد عارضني في هذا البيت غير واحد ممن ينتحل نُصْرَةَ أَى تمام
فقال بعضهم : إِنْ العُرْفُ [هو] ما يتبرع به الإنسان . فلذلك جعله
في الأبعد ، فأما الأقارب فَإِنْ بَرَّهم وَصِلَتْهم من الحقوق لِحْصَةِ اللزامة
قلت : إِنْ كُنْتَ تريد الحقوق التي تلزم [وتجب من طريق الحكم]
فإِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا هو للآباء والأجداد والأمهات والأولاد والإخوة والأخوات والأعمام
والأخوال [ومن لا تجوز فيهم المناكحات] إِذَا كانوا فَقَرَاءَ محتاجين ؛
فيجب لهم من الإنفاق عليهم بقدر القوت والكفاية ، وهذا لا يخرج [عن]
أَنْ يسمي معروفاً ، أَلَا تَرَاهُمْ يَقُولُونَ : أُنِيلَ أَبَاكَ مِنْ مَعْرُوفِكَ ، أَوْ أُنِيلَ أُمِّكَ
مِنْ مَعْرُوفِكَ ؛ فلا يكون هذا قبيحاً ، بل حسناً^(٣) ، وقال الله عز وجل فيما
فَرَضَ للنساء^(٤) : ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾^(٥) فقد
صار الفَرَضُ ههنا معروفاً ؛ لِأَنَّ المعروف [ههنا] هو الحسن الجميل من

(١) ديوانه ١٤ وفي شرح التبريزي ١٠٨/١ « أَى يخفف قرابته بالود والمحبة دون العطاء ؛ لأنهم
غير محتاجين ، وعرفه لمن لا نسب بينه وبينه » وهو في الصناعتين ١٢٢

(٢) في ط ، م « وجعل »

(٣) ط « بل حقاً »

(٤) ط « على النساء »

(٥) سورة البقرة : ٢٢٣

القول والفعل الذى قد^(١) عُرِفَت المصلحة فيه فصار معهوداً [معتاداً] إذا ورد لم تنفر منه النفوس فتذكره وهذا لا يكون الإنسان محموداً به إذا أعطاه هذه الطبقة من أهله حتى يمدح بفعله ويفتخر له به ، بل يكون مذموماً إذا اقتصر عليه ولم يتجاوزه [إلى التوسعة عليهم والإغناء لهم إن كان من ذلك متمكناً وعليه مقتدرًا ، فما بال الآن غير هؤلاء] من الأقارب ممن ليس له حق من طريق الحكم ، وهم بنو الأعمام الذين هم الأغصان والعُدة ، وبهم تكون النصرة ، وكذلك بنو الأخوات وبنو الأخوال لم يجعل المعروف الذى هو تبرع^(٢) فى الأبعاد دونهم ويخرجون منه .

وإن [كنت] أردت الحقوق التى يلزمها الإنسان نفسه تكثرماً وتفضلاً فذلك حقيقة العرف الذى يتبرع المرء به ، ويحمد عليه ، ويمتدح بفعله إياه ، وإعطائه له ، ويذم إذا منعه . والأقارب على اختلاف^(٣) طبقاتهم وأنسابهم أولى [به] من الأبعاد ؛ فمن جعله فى الأبعاد دونهم فذلك منه غاية اللوم ، ونهاية العقوق ، وعين الحمق ، وإن وصفه واصفٌ به فقد بالغ فى ذمه ، وتناهى فى هجائه .

وقال آخر^(٤) قوله « الود للقربى » قد جمع لهم الود^(٥) والعرف وغيره ؛ لأن المودة تشتمل على ذلك كله ، والعرف الذى خص به الأبعدين لا يجمع الوداد ؛ إذ ليس كل من أسديت إليه معروفاً فقد^(٦) ودّته : فقد أعطى ذوى القربى أكثر مما أعطى الأبعدين .

(١) سقطت من م

(٢) ط « هو يتبرع به »

(٣) ط « الاختلاف فى »

(٤) فى ط بطل : « وقال »

(٥) م « بالود »

(٦) ليست فى ك

فقلت له : وليس كل من ودته أيضاً فقد أُسْدِيَتْ^(١) إليه نائلاً ولا معروفاً ، ولا تتضمن لفظة الودّ غير المحبة فقط .

وعلى أن قوله « دون الأقرب » تأكيد يوجب إخراج الأقارب من العُرف ، وتخليصه^(٢) للأبعدين ، فما ينحى^(٣) هذا التأويل الذى تأولته .

فأقام على أن الودّ يجمع العُرف والصّلة . وهذا غير معروف ، ولا موجود فى كلام الناس .

وقد قال المقتنع الكِنْدِيُّ :

فإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِي أَبِي وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لِمُخْتَلِفٍ جِدًّا^(٤)
إِذَا جَمَعُوا صَرَّمِي مَعًا وَقَطِيعِي جَمَعْتُ لَهُمْ مَنِي مَعَ الصَّلَةِ الْوُدَّ^(٥)

فأفصح هذا بأنه يجمع لهم بين الصلة والود . وقال البحتري :

مَوْدَّةٌ وَعَطَاءٌ مِنْكَ نِلْتُهُمَا وَرُبُّ مُعْطَى نَوَالٍ غَيْرِ مَوْدُودٍ^(٦)

فقال « مودة وعطاء منك نلتهما » فلو كانت المودة لا تكون إلا ومعها

عطاء لما يكن لهذا القول معنى ، وكذلك البيت قبله ، وقال « ورُبُّ مُعْطَى

نوالا غير مودود » ، [وكذلك تقول : رب معطى نوال غير مودود]^(٧) ورب

مودود غير معطى نوال . ألا ترى إلى قول الأعشى :

بَاتَتْ وَحَدَّ أَسَارَتْ فِي النَّفْسِ حَاجَتَهَا بَعْدَ أَثْرَافٍ ، وَخَيْرُ الْوُدِّ مَا نَفَعَا^(٨)

(١) م ، ك « أوصلت »

(٢) في ط ، م : « وتحصيله »

(٣) ط « عن العرف وتخليصه للأبعد فى معنى هذا » وفى م « بما ينحى هذا التأويل »

(٤) حماسة البحتري ٢٤٠ ، والصناعتين ١٢٢

(٥) رواه البحتري

وإن قطعوا مني الأواصر ضلّة وصلت لهم مني المحبة والودا

(٦) ديوانه ٣٤٧

(٧) الزيادة من ك

(٨) ديوانه ١٣٠ والصناعتين ١٢٢ وتفسير الطبرى ١٠٦/١ طبع المعارف وفى م « باتت »

وأسارت من السور بمعنى أبتت .

فَأَرَادَ أَنَّ الْوَدَّ قَدْ يَكُونُ وَلَا نَفْعَ مَعَهُ ، وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ ^(١) :

قَرَأَنِي اللَّهُمَّ وَالْوَدَّ حَتَّى كَأَنَّمَا أَفَادَ الْغِنَى مِنْ نَائِلِي وَفَوَائِدِي

وعارض آخر بمثل هذه المعارضة سواء ، فأجيبته بمثل هذا الجواب ، وقلت له : فإن كان الأمر على ما تزعم وتركناك ^(٢) وشهوتك في أن الود يجمع المحبة والصلة فقد ناقض أيضاً ^(٣) هذا الشاعر نفسه في البيت ؛ لأنه إن كان أراد بقوله « الود للقربي » المحبة والمعروف جميعاً ، فقد قال في عجز البيت « ولكن عرفه في الأبعد الأوطان دون الأقرب » فأخرج الأقرب [من العرف] بقوله « دون » فلو كنت تركته على ما يقتضيه ظاهر لفظه من حرمان الأقرب ، كان ذلك أقل قبحاً من المناقضة .

فقال : إنما أراد بقوله « ولكن عرفه في الأبعد الأوطان دون الأقرب » إفراد العرف للأبعد ، وألا يجمعه ^(٤) له مع وده ^(٥) كما جمعهما للأقرب .

فقلت : فقول « دون » يفسد عليك هذا التأويل ^(٦) ، وما أراك إلا وقد أوضحت به ^(٧) الإحالة والمناقضة وبينتهما ؛ لأنك في هذا كفائل قال : الود والمال جميعاً لزيد ، والمال لعمر ومفرداً دون زيد . فكيف يجمع المال مع الود لزيد أولاً ويُفرد عمرو ^(٨) به دون زيد آخر ؟ وهذا أقبح ما يكون من

(١) م ، ك : « وقال البحرى » وهو خطأ فالبيت في ديوان أبي تمام ١١٧ وشرح التبريزى ٧٣/٢ واللهى : الأموال . وأفاد : بمعنى استفاد .

(٢) ط « على شهوتك »

(٣) ط « ناقض إذا هذا » ك « ناقض إذا في البيت »

(٤) ط « للأبعد وإلا فجمعه »

(٥) ط ، م « الود »

(٦) ط « التأويل »

(٧) من ك

(٨) ط « عمرا »

المنافضة . وإنما كان يصح هذا^(١) الكلام أن لو قال : الود والمال لزيد ، والمال لعمرو دون الود . فيكون قد أخرج عمرًا من الود لإخراجاً مؤكداً بقوله « دون الود » ، فأما الكلام الأول فمتناقض كما عرفتك . وكذلك بيت أبي تمام كان يُسأل على هذا أن لو قال « دون الود » لا دون الأقرب ، وما ظننت أن أحداً يدعى مثل هذه الدعوى ، ولا أن حاجة تدعو إلى مثل هذا الاحتجاج . ويجب أن يقال لهذا المعارض : هل يجب^(٢) عندك أن تكون مودة لا معروف معها ، إذ ليس كل من ودته فقد أنلته معروفاً ؟ فإن قال « لا » كابرَ وسقط كلامه ، وإن قال « نعم » قيل : فقد خرجت لفظة الود^(٣) عن أن تدلَّ بمجردِها على المعروف إلا^(٤) بشيء يفتنون بها . وقال آخر : إنما أخرج أقاربه من المعروف لأنهم في غنى وسعة بغنائه وسعة حاله ؛ فلذلك أفردهم بالود .

قلت له : فإذا^(٥) كانوا أغنياء بغنائه فقد أوسعهم من معرفته ؛ فما كان ينبغي للشاعر أن يشترط^(٦) للأبعد دونهم .

وقلت له : وكيف يُعلم أنهم أغنياء وليس في ظاهر لفظ^(٧) البيت دليل عليه ؟ قال : كذا نوى وأراد . قلت : ليس العملُ على نية المتكلم ، وإنما العمل على ما توجه^(٨) معاني ألفاظه ، ولو حمل^(٩) قول كل قائل وفعل كل

(١) م « هذا »

(٢) م ، ك « يجوز »

(٣) م « الود أن . . . لا بشيء »

(٤) م « لا »

(٥) ط « فإن »

(٦) ط « يشرط »

(٧) ط « في داخل البيت »

(٨) ط ، ك « على توجيه »

(٩) ط « حملت »

فاعل على نيته لما نَسِبَ أحد إلى غلط. ولا خطأ في قول ولا فعل ، ولكان من سَدَّد سَهْمًا وهو يريد غرضاً فأصاب عينَ رجل فذهبت^(١) - غير مخطئ ؛ لأنه ما اعتمد إلا الغرض ، ولا نوى غير القرطاس .

وقال آخر : أراد بقوله « ولكن عرفه في الأبعد الأوطان دون الأقرب » أى : بَعْدَ الأقرب [كما] نقول : جاء^(٢) الأمير فمن دونه ، أى : فمن بَعْدَهُ .

قلت : فإنما معنى « فمن دونه » أى فمن هو أَدُونُ منه في الرتبة ، بعده كان مجيئه أوقبله .

وقال آخر : إنما أراد أبوتمام بقوله « دون الأقرب » أى : فضلاً عن الأقرب ، أو^(٣) : فكيف الأقرب ، لأن^(٤) هذا مذهب الناس أن يضعوا « دون » في هذا الموضع فيقولوا : أنا أَرْضِي بالقليل دون الكثير [أى : فضلاً عن الكثير]^(٥) وأنا أَقْنَعُ بقرص من شعير دون ما سواه ، أى : فَضْلاً عَمَّا سواه ، وهذا مذهبٌ صحيح معروف .

قلت له : هذا توهم منك فاسد ، وتناول لهذا الكلام على غير وجهه المقصود ؛ لأن معنى « دون » عند أهل العربية^(٦) التقصيرُ عن الغاية ؛ فمعنى قوله « أنا أَرْضِي بالقليل دون الكثير » أى أَرْضِي بالقليل ولا أنتهى إلى الكثير ؛ أى لا أطمح إليه ، وأقنع^(٧) بقرص من شعير ولا أنتهى إلى ما سواه ؛ فهذه

(١) م « فذهب »

(٢) ط « جاء »

(٣) ط « أى »

(٤) ط « وإن كان هذا منجياً للناس »

(٥) الزيادة من ط

(٦) ط « أهل اللغة »

(٧) ط « وأرضى »

حقيقة معنى اللفظ . ، فأما ما تأولته فإنما هو بمعنى بَلَّة التي تأتي في الكلام وموضعها دَع ، كقول كثير :

بَسَطْتُ لِبَاغِي الْعُرْفِ كَفًّا بَسِيطَةً يَنَالُ الْعِدَا ، بَلَّةُ الصَّدِيقِ ، فَضُولُهَا
أى : تنال العدا فدَع الصديق ، أى : لا تصل إلى العدا إلا بعد أن
تصل إلى الصديق . و « دون » لا تتضمن هذا المعنى ولا تؤديه .

قال ^(١) : فقد تأتي « دون » بمعنى فوق ، كما تأتي فوق بمعنى دون ، في قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا قُرْبُهَا ﴾ ^(٢) ذكر أن معناه فما دونها ، لأن « فوق » قد تكون دون عند ما هو فوقها ؛ و « دون » قد تكون فوق عندما هو دونها ^(٣) ؛ فيجوز أن يكون أراد الشاعر بقوله « دون الأقرب » أى : فوق الأقرب ، بمعنى زيادة على ما أعطاه الأقرب ، أو تكون « دون » ههنا بمعنى أمام [لأن بعض أهل اللغة جعلها من الأضداد ، وأنها تأتي بمعنى خلف وبمعنى أمام] ^(٤) مثل ورَاء ، فيكون معنى ^(٥) قوله « دون الأقرب » أى : أمام عرْفه في الأقرب ، أى : قبله . قلت له : أما ما قيل في قوله عز وجل (فما فوقها) [أن] معناه فما دونها ، فإن أهل العربية على خلاف ذلك ، وليس لهذه اللفظة ^(٦) عندهم إلا وجهان ، أحدهما : أن يكون فما فوقها [بمعنى] فما هو أكبر منها ^(٧) ؛ لأن البعوضة نهاية ^(٨) في الصغر ؛ فيكون المعنى أنه تعالى لا يستحي أن يضرب

(١) م « ولا تؤديه فإن فقد »

(٢) سورة البقرة : ٢٦

(٣) ط « تحتها »

(٤) الزيادة من ط

(٥) م « بمعنى »

(٦) ط « اللغة »

(٧) م « أكثر »

(٨) ط « غاية »

مَثَلًا ما بين [هذا] الشيء الذى هو غاية الصغر إلى ما هو فوقه ، أى :
ما زاد عليه وتجاوزه .

والوجه الآخر : [أن يكون فما فوقها بمعنى] فما فوقها فى الصغر ، وهذا
قول أبى العباس : محمد بن يزيد المبرد وأبى إسحاق الزجاج ، والكسائى من^(١)
قبلهما ، وأبى عبيدة ، وما أظن غير هؤلاء [من النحويين] يقول إلا مثل
ذلك .

وأما ما ذكرته من أن « دون » تأتى بمعنى خلف [وأمام]^(٢) وأنها^(٣) عند
أهل العربية من الأضداد مثل « وراء » - فقد أخبرتك أن معناها عند أهل
[اللغوة] العربية التقصير عن الغاية ، وإذا كان الشيء وراء الشيء أو أمامه
أو يَمُنَّة [منه] أو شامة ، صَلَحَ فى ذلك كله أن تقول : هو دونه ، ألا
ترى أنك إذا قلت « بيوت بنى فلان دون الحرة » صلح أن تكون دونها إلى
مَهَبِّ الشمال ، أو إلى مَهَبِّ الجنوب [أو إلى]^(٤) غيرهما من الجهات ، فلا
يعلم المخاطب أى الجهات التى تَعْنَى^(٥) ؛ فليس هذا من الأضداد فى شيء ،
ولمّا جعلها قوم من الأضداد لمّا رأوها تُسْتَعْمَلُ فى هذه الوجوه لما فيها من
الإيهام .

وكذلك « وراء » إنما هى من المَوَارَاة والاستتار ؛ فما اسْتَتَرَ عنك فهو
وَرَاءَ : خَلْفَكَ كان أو قَدَامَكَ ، هذا إذا لم تَرَهُ ولم تُشَاهِدْهُ ، فأما إذا
رأيتَه فلا يكون أمامك وراء^(٦) ، وإنما قال لبيد :

(١) م « ومن »

(٢) م ن ك

(٣) ط « وأمام فإنها »

(٤) الزيادة من ط

(٥) م ، ك « المخاطب أين الجهة حتى يعلمه فليس »

(٦) ط « أمامك ووراءك »

أَلَيْسَ وَرَأَى إِنْ تَرَاحَتْ مَنِيَّتِي لُزُومُ الْعَصَا تَخْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ^(١)

بمعنى أليس أمانى ، لأنه قال ذلك قبل أن يرى ويُشاهد نفسه وقد لزم العصا . وكذلك قول الله تعالى : ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾^(٢) قالوا : إنه كان^(٣) أمامهم ، وصَلَحَ ذلك لأنهم لم يُعاينوه ولم يشاهدوه . فقد وضح لك الآن معنى^(٤) « دون » وأنها لا تخرج عن بابها الذي^(٥) وُضعت له ، ألا ترى أنك تقول : نزلتُ القرية^(٦) دون النخل ، فيجوز أن تكون القريةُ أمام النخل ، وخلفه ، ويكون^(٧) المعنى أنك أفردت القرية بنزولك ، ولم تُعْرِجْ على النخل ، وكذلك « لقيت زيدا دون عمرو » و « أكلت السمك دون اللبن » أخرجتَ عمرا من لقائك ، واللبن^(٨) من أكلك . فكذلك قول الطائي « دون الأقرب » قد أخرجهم من العرف ، وهذا لا شيء أوضح منه .

وقد حمل بعضهم نفسه على أن قال : إنما^(٩) أراد الطائي « لكن عرفه في الأبعد الأوطان دون عرفه في الأقرب » .

وهذا من أفحش الخطأ ، لأن قوله « دون الأقرب » مثل قولك : ودَى لزيد دون عمرو : فليس معناه كمعنى قولك : ودَى لزيد دون [ودَى] لعمرو ؛ لأنك في الأول قد أخرجتَ عمرا من الود وأفردت به زيدا ، وفي الثاني جعلت

(١) م « عليها الأضالع » والبيت في اللسان ٢٦٩/٢٠ والشعر والشعراء ٢٣٦/١ والأغانى ٩٩/١٤

(٢) سورة الكهف : ٧٩

(٣) م « إنما قالوا كان »

(٤) م « ذلك الآن بمعنى »

(٥) ط « التي » م « وصف له »

(٦) ط « في القرية »

(٧) ط « أن يكون »

(٨) م ، ك « والسمك »

(٩) من ك

الود لزيد دون الود لعمرو ، أى أقل منه ؛ فهذا معنى ، وذلك معنى ^(١) آخر .
 وأيضاً فلو اعتمد أبو تمام هذا المعنى لكان قد أخرج « لكن » التى تدخل
 للاستدراك من أن يكون استدراك بها شيئاً : فلا يكون لها فى البيت معنى البتة .
 وقال آخر ممن يلتمس العذر لأبى تمام : إنما هذا على طريق الإيثار كما
 يؤثر الإنسان على نفسه ، فكذلك يؤثر على أقاربه .

قيل له : الإيثار على النفس حسن ^(٢) جداً ، وصاحبه ممدوح ، كما
 قال تعالى : ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ ^(٣) وكما قال
 أبو خراش ^(٤) الهذلى ^(٥) :

أردُّ شُجَاعَ الجُوعِ لو تَعْلَمِينَهُ وَأَوْتِرُ غَيْرِي مِنْ عِيَالِكِ بِالطَّعْمِ ^(٦)
 وكما قال عروة بن الورد :

أَقْسَمُ جِسْمِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ وَأَحْسُو قَرَاخَ الْمَاءِ وَالْمَاءِ بَارِدُ ^(٧)
 فالإيثار إنما يكون إيثاراً ويقع الحمد به إذا أثر الإنسان غيره على
 نفسه أو على ولده ، فى بعض الأحوال ، فأما إذا أثر بعض الطالبين على
 بعض بغير سبب يُعلم ، فهو بذلك مذموم غير ممدوح ، فكيف إذا أثر
 البعيد على القريب ؟

(١) من ك

(٢) م « كمن جدا » !

(٣) سورة الحشر : ٩

(٤) م « أبو خراش » !

(٥) من ك

(٦) ديوان الهذليين ١٢٨/٢ وفى اللسان ٣٩/١٠ « وتزعم العرب أن الرجل إذا طال جوعه
 تعرضت له فى بطنه حية يسمونها الشجاع وقال أبو خراش الهذلى مخاطب امرأته . . . وقال الأصمى :
 شجاع البطن شدة الجوع وأنشد بيت أبى خراش أيضاً « والطعم : الطعام . وفى ك « شجاع البطن »
 (٧) ديوانه ١٤١ وتهذيب الألفاظ ١٩٧ والاقتضاب ٣٧٢ جسه ههنا : طعامه . يقول :
 أقسم ما أريد أن أطعمه فى محاريب قوى ومن يلزمنى حقه والضيغان . والماء القراح : الذى لا يخالطه لبن ولا
 غيره . والماء بارد : أى فى الشتاء

وقد جاء في أشعار العرب من الحث على بر الأقارب ومن حمد من وصلهم
وذم^(١) من حرمهم ، ما هو أكثر وأشهر من أن يخفى .

قال زهير :

وَلَيْسَ مَانِعٌ ذِي قُرْبَى وَذِي رَحِمٍ يَوْمًا ، وَلَا مُعْدِمًا مِنْ خَابِطٍ وَرَقًا^(٢)
وقال أبو ذؤاد الإيادي :

إِذَا كُنْتَ مُرْتَادَ الرِّجَالِ لِنَفْعِهِمْ
فَرِشٌ وَاضْطَنَعَ عِنْدَ الَّذِينَ بِهِمْ تَرْمِي^(٣)

وقال حاتم الطائي :

لَا تَعْذِلْنِي عَلَى مَالٍ وَصَلْتُ بِهِ رَحْمًا قَرِيبًا ، فَخَيْرُ الْمَالِ مَا وَصَلَا^(٤)
وقال أوس بن حجر :

أَلَيْسَ بَوَهَّابٌ مُفِيدٌ وَمُتْلِفٌ وَصُولٌ لِذِي الْقُرْبَى هَضِيمٌ لِمُهْتَضِمٍ^(٥)
وقال زهير :

وَذِي نَسَبٍ نَاءٍ بَعِيدٍ وَصَلْتُهُ بِمَالٍ وَمَا يَذْرَى بِأَنْكَ وَاصِلُهُ^(٦)
وقال كثير :

بَسَطْتَ لِبَاغِي الْعُرْفِ كَفًّا بَسِيطَةً
يَنَالُ الْعِدَا بَلَّةَ الصَّدِيقِ فُضُولُهَا

(١) م « وذلك من »

(٢) ديوانه ٥٣ « والعرب تقول إذا ضرب الرجل الشجر ليحت ورقه فيعلفه ماشيته : قد خرج
يخبط الشجر . والورق يسمى الخبط . ويقال للرجل : إن خابطه ليجد ورقاً : أي أن سائله ليجد عطاء .
أي يكون لخابط المعروف في واد به ورق ، فسمى من طلب بغير يد سائلة ولا معروف - خابطاً .
والإعدام أن تمنع الرجل ما يريد .

(٣) البيت له في الصناعتين ١٢٣ ورائس السهم : ركب عليه الريش

(٤) ديوانه ١١٧ « رحماً وخير سبيل المال »

(٥) هكذا في الأصل والتي في ديوانه ص ١٢٤ . هضم لمهضم

(٦) ديوانه ١٤٣ وفي م « وما مدرية أنك »

فهذا المعنى أولى بالصواب من قول الطائي ؛ لأنه أراد أن عُرِفَه ينال العدا
فضلا عن الصديق : لأن قوله « بله الصديق » أى فدَعِ الصديق لأنه
لا يصل إلى العدا إلا بعد أن يصل إلى الصديق .
وقال كثير أيضاً :

لأهل الودِّ والقُرْبى عليه صنائعُ بثها برٌّ وُصُولُ
وللفُقراءِ عائِدةٌ ورَحْمٌ فلا يُقْصَى الفقيرُ ولا يُعِيلُ^(١)
الأتراه بدأ بأهل وده وقربته فجعل صنائعه^(٢) فيهم ، ثم ثنى بالفقراء ،
فجعل لهم عائدة ورَحماً ، أى رحمة .
وقال كثير أيضاً :

ولم يَبْلُغِ السَّاعُونَ فى المَجْدِ سَعِيَهُ وَلَمْ يُفْضِلُوا إِفْضَالَهُ فى الْأَقَارِبِ
جَزَتْكَ الْجَوَازِى عَنْ صَدِيقِكَ نَضْرَةً وَحِيَّتَ مِنْ مَأْوَى طَرِيدٍ وَرَاغِبٍ^(٣)
وصاحب حق معصم بك حقه وجار ابن ذى قرنى وآخر جانب^(٤)
رَأَيْتُكَ وَالْمَعْرُوفُ مِنْكَ سَجِيَّةٌ تَعْمُ بِخَيْرٍ كُلِّ جَادٍ وَغَائِبٍ
« جادٍ » يقال : فلان^(٥) يَجْدُو وَيَجْتَدِي ، أى : يعم بالمعروف من
هو بحضرتك [يسألك]^(٦) ومن هو غائب عنك ؛ فجعل كثير ، كما ترى ،
معروفه عموماً فى الأقارب وفى الأبعاد إلى الحاضر والغائب .
وقال ابنُ هَرَمَةَ :

كَمْ نَائِلٍ وَصِلَاتٍ قَدْ نَفَحَتْ بِهَا وَنِعْمَةٍ مِنْكَ لَا تَحْصَى أَيَادِيهَا

(١) فى ك « ولا يعول »

(٢) ط « منافع »

(٣) ط « وقربت »

(٤) ط « وصاحب قوم » . م « وجابر ذى »

(٥) من ك

(٦) من ك

[عند الأقارب والأقربين نفعهما بيض روائحها تحدو غواذها] ^(١)

وقال كنانة بن عبد ياليل الثقفي .

صلاة وتسبيح وإعطاء سائل وذو رحم تناله منك إصبع ^(٢)

يريد بقوله إصبع معروف ونائل .

وقال إسماعيل بن يسار النسائي ^(٣) :

ولإذا أصبت من النوافل رغبة فامنع عشيرتك الأدنى فضلها ^(٤)

وقال المسيب بن علس في منع الأقارب :

من الناس من يصل الأبعدين ويشقى به الأقرب الأقرب ^(٥)

وقال الحارث بن كلدة الثقفي يذم فاعل ذلك :

من الناس من يغشى الأبعد نفعه ويشقى به حتى الممات أقاربه ^(٦)

فإن يك خير فالبعيد يناله وإن يك شر فابن عمك صاحبه

فقد تراه كيف ذم على حرمان القريب .

وقال مسافر بن أبي عمرو بن أمية [بن عبد شمس] ^(٧) في [نحو]

ذلك :

تمد إلى الأقصى بذبك كله وأنت على الأدنى ضرور مجدد

وإنك لو أصلحت من أنت مفسد توددك الأقصى الذي تتودد

الضرور ^(٨) : الضيق حلمة الشدى ، والمجدد : الذي قد أنقطع لبنه .

(١) سقط من م

(٢) ط « وإعطاء فائل »

(٣) م « بن بشار النساء »

(٤) م « فانهج عشيرتك »

(٥) ديوانه ٣٥١ والصناعتين ١٢٣

(٦) الصناعتين ١٢٣

(٧) ما بين القوسين من ك

(٨) م « الضرورة »

فهذه طريقة القوم في هذا ، وهو مذهب سائر الأمم .

وأما قول أبي تمام :

وَرُبَّمَا عَدَلْتُ كَفُّ الْكَرِيمِ عَنْ الْقَوْمِ الْحُضُورِ وَنَالَتْ مَعْشَرَ غُيُبًا^(١)

فليس هو من بيته الأول في شيء ، وقا أدرك فيه الغرض ، كأنه يعذر من فعل هذا : أي ربما اتفق أن يفعل من غير قصد ، وليس أيضاً^(٢) بمحمود .

وقد ذهب البحتري إلى نحو ما ذهب إليه أبو تمام فقال :

بَلْ كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنْ سَيِّهِ نَسَبًا مَنْ كَانَ أَبْعَدَهُمْ مِنْ جِذْمِهِ رَحِمًا^(٣)

إلا أنه لم يخرجهم من معروفه ، وإن كان أيضاً قد دخل تحت الإساءة .

ونحو هذا قول البحتري أيضاً :

عَدَا قِسْمَةَ عَدْلًا : فَفَيْيَكُمُ نَوَالُهُ وَفِي سِرِّ نَبْهَانِ بْنِ عَمْرٍو مَأْثَرُهُ

وَلَا عَجَبُ أَنْ تَشْهَدُوا الطَّعْنَ دُونَهُ وَمَا عَشَرْتَكُمْ فِي نَدَاهُ عَشَائِرُهُ^(٤)

فأي قسمة عدل ههنا : أن يجعل نواله^(٥) في غير قومه ، ويقتصر بهم

على أن يحوزوا^(٦) الفخر بمآثره ؟ وإن كان قد دل بقوله « وما عَشَرْتَكُمْ فِي

نداه عَشَائِرُهُ » على أنه لم يحرمهم نواله ألبتة .

والأحسن في هذا قوله :

فَإِنْ تَنْفَرِدَ عَنَّا قُشَيْرٌ بِمَجْدِهِ فَلَمْ تَنْفَرِدْ عَنَّا بِنَائِلِهِ الْجَزَلِ^(٨)

(١) ديوانه ٢٢ وشرح التبريزي ٢٤٢/١ ويروى : « عن النصيح المقيم وقالت حدا غيباً »

(٢) ط « هذا » مكان « أيضاً »

(٣) ديوانه ٥٣٢ وقد نقله مع التعليق عليه صاحب الصناعتين ١٢٣

(٤) ديوانه ٨٨١/٢٥٢ المعارف « وفي سرو »

(٥) ط « وما عجب » و م « أن يشهدوا . . . في نداء »

(٦) ط ، م « نداء »

(٧) ط « أن يجروا الفخر لمآثره »

(٨) ديوانه ٣٦٢ ، ١٨٠٧/٣ وفي م « لمجده »

فأعطاهم المجد والنائل جميعاً .

وشبيه بهذا أو قريب منه قوله :

عَطَاؤُكَ ذَا الْقُرْبَى جَزِيلٌ وَفَوْقَهُ عَطَاؤُكَ فِي أَهْلِ الشَّنَاءِ وَالْبَعْدِ^(١)

فقال «عطاؤك ذا القربى جزيل» ثم قال «وفوقه عطاؤك في أهل الشنأة والبعد» فقله «وفوقه» أى أجزل منه ، وقد يكون «فوقه» بمعنى زيادة عليه [كما تقول لم يقنع بكذا وكذا حتى فعل فوقه كذا وكذا : أى زيادة عليه]^(٢) والمعنى الأول بالبیت أليق .

والجيد في هذا البعيد من العيب قوله :

ظَلَّ فِيهَا الْبَعِيَا مِثْلَ الْقَرِيبِ إِلَى مُجْتَبَى الْعَدُوِّ مِثْلَ الصَّدِيقِ^(٣)

[يريد نعمته]

ولا أعرف لأبى تمام فيما قال عذراً يتوجه ، ولا وجدت فيما تصفحته من أشعار العرب ما يجانسه إلا قول عامر بن صعصعة بن ثور الفقعسى :

لِمَنْ يَزُورُكَ مِنْ أَشْرَافِنَا لَطْفٌ وَذِي الْقَرَابَةِ إِدْنَاءٌ وَتَقْرِيبٌ

وأظن أبا تمام عثربه واستغربه فأخذ المعنى وزاد عليه زيادةً أخرجه إلى ذم الممدوح ؛ لأن هذا الشاعر قال «لمن يزورك من أشرافنا لطف» أى : بر ، «ولذى القرابة إدناء وتقريب» ولم يقل إدناء وتقريب دون البر ، كما قال أبو تمام ؛ لأن البر واللطف إذا كانا للغريب الزائر ، وكان الإدناء والتقريب في تلك الحال لذى القرابة - فقد^(٤) يجوز أن يمنحه البر واللطف في حال أخرى ووقت آخر ، ولا يوصل [البر إليه في وقت لإيصاله إلى

(١) ديوانه ٦١٢ «القربى علو»

(٢) الزيادة من ك

(٣) ديوانه ٤٣٧ ، ١٤٨٩/٣ والصناعتين ١٢٣

(٤) ليست في م و ط «يجوز أن يهجه البر إليه»

الغريب ، وهذا كله^(١) يقع في الأكثر ، فلا عيب على هذا الشاعر فيما قاله
 والله در أبي عبادة الوليد بن عبيد الله البحتري إذ يقول [في هذا المعنى]^(٢) :
 ما إن يزَالُ الندى يُدْزِي إلَيْهِ يَدًا مُنْتَحَاةً مِنْ بَعِيدِ الدَّارِ وَالرَّحِمِ^(٣)
 وقوله :

وَمَا أَضَعْتَ الْحَقَّ فِي أَجْنَبٍ فَكَيْفَ تَنْسَى وَاجِباً فِي الشَّقِيقِ ؟^(٤)

* * *

٨- ومن خطأ [أبي تمام]^(٥) قوله :

يَدِي لِمَنْ شَاءَ رَهْنٌ لَمْ يَذُقْ جُرْعاً مِنْ رَاحَتِكَ دَرَى مَا الصَّابُ وَالْعَسَلُ^(٦)
 لفظ. هذا البيت مبني على فساد ؛ لكثرة ما فيه من الحذف ؛ لأنه^(٧) أراد
 بقوله «يدى لمن شاء رهن» أى أضافه^(٨) وأبايعه معاقدة أو مراهنه إن كان
 لم يذُقْ جُرْعاً مِنْ رَاحَتِكَ دَرَى مَا الصَّابُ وَالْعَسَلُ . ومثل هذا لا يسوغ ؛
 لأنه حذف «إن» التى تدخل للشرط ، ولا يجوز حذفها ؛ لأنها إذا حُذِفَتْ
 سقط. معنى الشرط ، وحذَفَ «مَنْ» وهى الاسم الذى صلته «لم يذُقْ»
 فاختل البيت ، وأشكل معناه .

والحذف لعمرى كثيرٌ فى كلام العرب ، إذا^(٩) كان المحذوف مما تدلُّ
 عليه جملة الكلام ، قال الله عز وجل : ﴿أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ

(١) ط « وهذا إن كان يقع » وفى ك فوق كله كلمة كذا

(٢) من ك

(٣) ديوانه ٦٥٤ ، ١٩٧٤/٣ والصناعتين ١٢٣ وفى ط « فإن ذاك الندى » .

(٤) ديوانه ١٦٢

(٥) من ك

(٦) ديوانه ٣٢٨ والوساطة ٧٧

(٧) م « فكأنه »

(٨) ط « أى أسابقه . . . كان من لم »

(٩) فى ك « إلا أنه إذا كان » وهو خطأ

اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى»^(١) أراد تبارك اسمه أو لم يتفكروا فاعلموا [أنه ما خلق ذلك إلا بالحق ، أولم يتفكروا فيقولوا] وأشباه هذا كثير .

ومن باب الحذف والاختصار قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾^(٢) قال أبو عبيدة^(٣) : العرب تختصر الكلام لعلم المخاطب بما أريد^(٤) ، كأنه أراد : فيقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم .
وقوله عز وجل : ﴿ إِذَا لَأَذْنَلْنَا ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾^(٥) يفسر : ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات .

وفي الشعر مثل هذا موجود ، قال الشاعر :

لَوْ قُلْتَ مَا فِي قَوْمِهَا لَمْ تَنِيثُمْ يَفْضُلُهَا فِي حَسْبٍ وَمِيسَمٍ^(٦)
يريد أحد يفضلها ، فحذف « أحد » لأن الكلام يدل عليه ، ذكر ذلك سيبويه^(٧) . وأنشد [أيضاً] في باب الحذف :
وما الدهرُ إلا تارتانِ فمِنْهُمَا أُمُوتُ وأُخْرَى أَبْتغِي الْعَيْشَ أَكْذَحُ^(٨)
يريد فمِنْهُمَا تارة أُمُوتُ^(٩) .

(١) سورة الروم : ٨

(٢) سورة آل عمران : ١٠٦

(٣) قال ذلك في مجاز القرآن ١٠١

(٤) م « أراد »

(٥) سورة الإسراء : ٧٥ وقد سقط التعقيب على الآية من م والذي في مجاز القرآن ٣٨٦ « مختصر ،

كقولك : ضعف عذاب الحياة وعذاب الممات ، فهما عذابان : عذاب الممات به ضعف عذاب الحياة »

(٦) لحكيم بن ممية الربمي وانظر تخريج الميمى له في السط ٨٣٠/٢

(٧) راجع سيبويه ٣٧٥/١

(٨) البيت لابن مقبل ، كما في سيبويه ٣٧٦/١ والسان ٤٠٥/٣ ، ١٦٤/٥ والكمال

٩٠٨/٣

(٩) ليست في م

فإن تأول متأولُ هذا البيت على ألفاظٍ آخرَ محذوفة غير اللفظ. الذي ذكرته ، فالاختلال^(١) بعدُ قائم [فيه] ؛ لكثرة ما حذف منه ، وسقوط الدليل عليه .

٩- ومن خطائه قوله^(٢) :

شهدتُ لَقَدْ أَقَوْتُ مَغَانِيَكُمْ بَعْدَى وَمَحَّتْ كَمَا مَحَّتْ وَشَائِعُ مِنْ بُرْدٍ^(٣)

جعل الوشائعَ حواشي الأبراد^(٤) أو شيئاً منها ، وليس الأمر كذلك ، إنما الوشائع : غَزَلٌ من اللُّحمة ملفوف يجره الناسج بين طاقات السدى عند النساجة . قال ذو الرمة :

بِهِ مَلْعَبٌ مِنْ مُعْصِفَاتٍ نَسَجْنَهُ كَنَسَجِ الْيَمَانِي بُرْدَهُ بِالْوَشَائِعِ^(٥)
فأما قول كثير :

دِيَارُ عَفَّتْ مِنْ عَزَّةِ الصَّيْفِ بَعْدَ مَا تُجَدُّ عَلَيْهِنَّ الْوَشَائِعُ الْمُنْمَمَا

فإنما أراد بالوشيع هنا ما سُدَّ^(٦) به الخصاصة بين الشبيين ، وهذه وشائع الغزل والمنمم : مأخوذ من النَّمَام . أى : بعد ما كانت هذه الديار تُجدُّ بالوشيع ، أى : تخصصص [بِهِ] خيامها^(٧) .

(١) م « فالاختلاف »

(٢) ديوانه ١٢٧ وشرح التبريزي ١٠٩/٢ والوشائع : الطرائق ، ومع : أخلق ، وشهدت : حلفت ، كأنه قال : والله لقد أقوت .

(٣) ط « البرد »

(٤) سقطت كلمة الأمر من م

(٥) ديوانه ٣٥٥ به : أى بالطلل . المعصفت : رياح شداد نسجه : يعنى الملعب ، مرون عليه ثم عدن ، فهذا سدى وهذا الإلحام . والوشائع : لفائف الغزل ، ويقال : وشعت المرأة الغزل : إذا لفته على يديها للعمل . وفى م ، ك « بحفلات نسجه »

(٦) م « ما شد »

(٧) م « يخصص جنباتها »

ومثل أبي تمام لا يسوغ [له] الغلط في مثل هذا ؛ لأنه حَضَرى ، وإنما يتسامح في [مثل] ذلك البدوى الذى يريد الشيء ولم يُعَابه فيه ذكر غيره لقلة خبره بالأشياء التى تكون بالأمصار . فأما أبو تمام فليست هذه حاله ، بل ما جهل هذا ، ولكنه سامح نفسه فيه ، ألا ترى إلى قوله في موضع آخر يصف قصيدته :

الْجِدُّ وَالْهَزْلُ فِي تَوْشِيْعٍ لِحَمَتِهَا وَالنَّبِلُ وَالسَخْفُ وَالْأَشْجَانُ وَالطَّرَبُ^(١)
فَقَالَ فِي «تَوْشِيْعٍ لِحَمَتِهَا» .

١٠- ومن خطائه قوله :

لَوْ كَانَ فِي عَاجِلٍ مِنْ آجِلٍ بَدَلٌ لَكَانَ فِي وَغْدٍ مِنْ رِفْدٍ بَدَلٌ^(٢)
ولم لا يكون^(٣) في عاجل من آجل بدل؟ والناس كلُّهم على اختيار العاجل وإيثاره وتقديمه على الآجل ، ألا ترى قولَ القائل الذى قد صار مثلاً :
وَالنَّفْسُ مُوَلَّعَةٌ بِحُبِّ الْعَاجِلِ^(٤) .

والعاجل أبداً هو المطلوب والمرغوب فيه ، حتى إن قليله يؤثّر على كثير الآجل ، كما قال الآخر :

أَعَاذَلْ ، عَاجِلٌ مَا أَشْتَهَى أَحَبُّ مِنَ الْأَكْثَرِ الرَّائِثِ^(٥)
كأنه يريد عاجل ما أشتهى مع القلة أحبُّ إلى من الأكثر المبتطى ،

(١) ديوانه ٥١ وشرح التبريزى ٢٦٤/١ «توشع : من قولهم : شعت البرد ، إذا جمعت فيه ألواناً وطرائق . يقول تصرفت في هذه القصيدة بجد وهزل ، وفيها طرب لمن مدحت وحزن لمن ذممت .

(٢) ديوانه ٢٢٧

(٣) م «ولو لم يكن»

(٤) هو جرير ، كما في ديوانه ٤١٥ وصدده : «إني لأمل منك خيراً عاجلاً»

(٥) قاله عبيد الله بن عتبة بن مسعود ، كما في الأغاني ٩٦/٨ ونقد الشعر ٨٥ والموشح ٢٣٣

وسر القصيدة ٢٠٤ وهو غير منسوب في حيون الأخبار ١٨٠/٢ والصناعتين ١٨٨

فمن شأن العاجل أبداً أن يكون أفضل الأعواض والأبدان من كل آجل إذا كان في الخير ، فعاجل الخير خير من آجله ، كما أن عاجل الشر شر من آجله ؛ لأن العاجل شيء قد وقع : إن كان خيراً فقد حصل نفعه ، أو شراً فقد تعجل ضرره ^(١) وآجل الخير يُخشى فوّته ، وربما وقع الإخفاق منه ، كما أن آجل الشر يُرجى زواله ، وربما لم يقع ، فكيف لا يكون العاجل بدلاً أو خلفاً من الآجل ؟

فإن قال قائل : إن الذي أرادَه أبو تمام وقاله صحيح ، ومذهبه فيه مستقيم ؛ لأن العاجل لا يكون أبداً بدلاً ولا خلفاً من الآجل : لأن البدل لا يكون قبل المبدول منه ^(٢) ، ولا الخلف يتقدم ^(٣) ما هو خلف له ؛ لأنه إنما قيل له خلف لإتيانه خلف الذي هو قُدَّامه ؛ فأبو تمام إنما أنكر أن يكون العاجل بدلاً أو خلفاً من الآجل على هذه السبيل .

قيل : هذا غلط من التأويل أو مغالطة : لأنه ليس على هذا الوجه منع أبو تمام من أن يكون العاجل بدلاً من الآجل ؛ فيحتج بأن هذا أولى بالتقديم وهذا أولى بالتأخير من طريق الترتيب ، وإنما أراد أنه لا يقوم مقامه في الحاجة إليه ، فكيف [لا] يكون الأول يقوم مقام الثاني والمقدم ^(٤) مقام المتأخر ؟ وكان وجه الكلام الذي يصح به المعنى ومستقيم أن يقول : لو كان في عاجل قول ^(٥) بدل من آجل فعل ، لكان في وعده من رَفْده بَدَل .

فإن قال : فهذا الذي أرادَه أبو تمام .

(١) ط « شره »

(٢) ط « البدل . المبدل »

(٣) ط « على ما »

(٤) ط « والمقدم »

(٥) م « قوله »

قيل : ليس الأمر كذلك ؛ لأن طريقة لفظه في البيت أن يكون معناه
لو كان في شيء عاجل من شيء آجل بدل

وبعد ؛ فلو أراد ما ظننته وذهبت إليه - وذلك ليس بمعلوم ؛ ولا في البيت
عليه دليل - لم يلتفت إلى إرادته ؛ لأنك إذا فككت^(١) الإضافة من عاجل
قول أو آجل فعل ففرقت^(٢) بين المضاف والمضاف إليه ، لم يدل أحدهما
على الآخر ؛ لأن لفظة «عاجل» لا تدل غير مضافة على ما تدل عليه لفظة
«عاجل قول» كما أن لفظة «آجل» لا تدل على «آجل فعل» ولا يدلان
أيضاً على شيء معين^(٣).

كما أن قولك : زيد أول ناطق وآخر ساكت ، وعمرو أول خارج
[وآخر]^(٤) قادم ، وبكر أول آخذ^(٥) وآخر تارك ؛ إذا أفردت «أول»
و «آخر» لم يدلّا [مفردين] على شيء مما أضيف إليه . ألا ترى أن
الأصمعي أنكر على ذي الرمة قوله يصف الوتر :

• كَأَنَّهُ فِي نِيَابِطِ الْقَوْسِ حُلُقُومٌ •

فقال حُلُقُومٌ ماذا ؟ إذ كان يجب أن يقول : حلقوم طائر ، أو حلقوم
قطاة^(٥) ونحوهما مما يشبه الوتر في الدقة ، وإلا فقد يكون الحلقوم حلقوم
فيل ، أو حلقوم بعير . وهذا من الأصمعي إنكار صحيح ، وإن كان لا يلزم

(١) ط « فصلت »

(٢) ط « شيء مفسر »

(٣) الزيادة من ط

(٤) م « آخر . . . تارك »

(٥) ط « أو غيرها . . . الرقة »

ذا الرمة فيه ما يلزم أبا تمام ؛ لأن العرب لا تُشبه الوتر إلا بحلقوم طائر^(١) ،
وذلك قول الراجز [لَامٌ كَحَلْقُومٍ الْحَبَّارِي

وقال الآخر :]^(٢)

* لَامٌ مُمَرٌّ مِثْلَ حَلْقُومٍ النَّغْرِ؟^(٣) *

أخذه أبو نواس^(٤) فقال :

* [لَامٌ كَحَلْقُومٍ النَّغْرِ *

وقال الراجز :

* لَامٌ كَحَلْقُومٍ الْقَطَاةِ يُعْرِفُ *

فأبو تمام [إنما] أراد أن هذا الممدوح يقوم وَعَدُهُ بصحته^(٥) مقام عطيته ،
وَأَحَبُّ الْإِغْرَابِ^(٦) عَلَى رَسْمِهِ فَأَخْطَأَ فِي تَمَثُّلِ مَا مِثْلُ بَذْكَرِ الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ ؛
لأنه أطلق القولَ عموماً ؛ فلا يدل على الخصوص .

والجيد النادر في هذا قول البحتري :

لو قَلِيلٌ كُنِيَ أَمْرًا مِنْ كَثِيرٍ لَا كُتِفِنَا بِقَوْلِهِ مِنْ فِعَالِهِ^(٧)
وَأَحْسَنُ الرَّاعِي فِي قَوْلِهِ :

ضَافِي الْعَطِيَّةِ : رَاجِيهِ وَسَائِلُهُ سَيَّانٍ ، أَفْلَحَ مَنْ يُعْطَى وَمَنْ يَعْدُ
١١ - وَمَنْ خَطَأَ أَبِي تَمَامٍ قَوْلُهُ :

يَبْئُومُ كَطُولِ الدَّهْرِ فِي عَرَضٍ مِثْلِهِ وَوَجَدِي مِنْ هَذَا وَهَذَاكَ أَطُولُ^(٨)

(١) ط « الطائر »

(٢) الزيادة من ك

(٣) ط « حلقوم الوتر » وهو خطأ . والنغر : طائر يشبه المصفرور

(٤) ط « أبو تمام »

(٥) ط « يقيم وعده لصحته »

(٦) ط « الإغراق » .

(٧) ديوانه ٥٧٢ ، ٣ / ١٨٤٥

(٨) ديوانه ٢٤٤ والصناعتين ١٢٧

فجعلَ للدهر - وهو الزمان - عَرَضاً ، وذلك مَحْضُ المحال ، وعلى أنه ما كانت [به] إليه حاجة ؛ لأنه قد استوفى^(١) [المعنى بقوله « كطول الدهر » فأتى على العَرَض في المبالغة]^(٢) .

فإن قيل : فلم لا يكون سَعَةً ومجازاً [في الكلام]^(٣) ؟

قيل : هذه^(٤) الألفاظ صيغتها صيغة الحقائق ، وهي بعيدة من المجاز : لأن المجاز في هذا له صورة معروفة ، وألفاظ مألوفة معتادة ، لا يتجاوز في النطق^(٥) بها إلى ما سواها ، وهي قول الناس : عَشْنَا في خَفْضٍ ودَعَا زمناً طويلاً عريضاً ، وما زلنا في رَخَاءٍ ونعمة الدهر الطويل العريض . [فإنما أراد تمامه^(٦) وكماله واتساعه لهم بما أحبوه ؛ لأنهم إذا وصفوا بالطول والعرض ماله طول وعرض على الحقيقة ، فإنما يريدون] تمامه وكماله وسعته ، نحو قولهم : ثوبٌ طويل عريض ، أى تامٌ واسع ، وأرضٌ طويلة عريضة ، أى تامة في الطول والسعة ، وكذلك إذا وصفوا ما ليس له طول ولا عرض على الحقيقة فإنما يريدون التمام والكمال ، ألا ترى إلى قول [الشاعر وهو] الراعى :
أَنْتَ أَبْنُ فَرْعَى قُرَيْشٍ لَوْ تَقَايَسُهَا فِي الْمَجْدِ صَارَ إِلَيْكَ الْعَرَضُ وَالطُّولُ^(٧)
[فاستعار للمجد ههنا الطول والعرض ؛ لأنه أراد : صار إليك المجد بتمامه وكماله .

(١) م « استوفى بالمبالغة »

(٢) الزيادة من ط

(٣) الزيادة من ك

(٤) ط « هذه ألفاظ صنعتها صنعة الحقيقة » . وك « هذه ألفاظ صيغتها صيغة الحقيقة »

(٥) ط « في النظر »

(٦) في ط ، م : بقوله « إتمامه »

(٧) الصناعتين ١٢٧ لكثير وفي ط « لوتقاسمها »

وكذلك قول كثير :

بِطَاحِيٍّ لَهُ نَسَبٌ مُصَنَّفِي وَأَخْلَاقٌ لَهَا عَرْضٌ وَطُولٌ ^(١)
أى : لها سعة وتمام وكمال ^(٢) ، فى الفضائل والمحاسن .

وكذلك قوله :

إِذَا ابْتَدَرَ النَّاسُ الْمَكَارِمَ بَزَّهِمْ عَرَاضَةُ أَخْلَاقِ ابْنِ لَيْلٍ وَطُولُهَا ^(٣)
أى بَزَّهِمْ سعة ^(٤) أخلاقه وتماؤها وكماؤها فى الفضل : لَأَنَّ الْأَخْلَاقَ تَمْدَحُ
بِالسَّعَةِ وَتَذِمُّ بِالضِّيقِ ، إِلَّا أَنَّ الْأَكْثَرَ فِيمَا يَأْتِي مِنْ كَلَامِهِمْ ^(٥) العَرَضُ ، إِنَّمَا
يُرَادُ بِهِ ^(٦) السَّعَةُ إِذَا جَاءَ مَفْرَدًا عَنْ الطَّوْلِ ، نَحْوُ قَوْلِهِمْ : فَلَانِ فِي نِعْمَةٍ
عَرِيضَةٍ ، وَلَهُ جَاءَ عَرِيضٌ ، وَكَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ ^(٧) أَى سَعَتُهَا ، وَكَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ :
﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ ^(٨) ، وَكَمَا قَالَ تَيْمٌ ابْنُ أَبِي بَنْ مَقْبَلٍ :
يَقْطَعْنَ عَرْضَ الْأَرْضِ غَيْرَ لَوَاغِبٍ وَكَأَنَّ بَحْرَيْنِهَا لَهْنٌ صَحَارٍ ^(٩)
أى : يَقْطَعْنَ سَعَةَ الْأَرْضِ ، وَكَمَا قَالَ الْآخَرُ :

سَأَجْعَلُ عَرْضَ الْأَرْضِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَجْعَلُ بَيْتِي فِي غِنًى وَأَعْصِرِ ^(١٠)

(١) ديوانه ٢/ ١٦٨ والصناعتين ١٢٧ وفى اللسان ٢٣٧/٣ « قرئش البطاح : الذين
يتزلون أباطح مكة ، وقرئش الظواهر : الذين يتزلون ما حول مكة »

(٢) ط « وكما والفضائل المحاسن » وهو تحريف

(٣) فى اللسان ٢٦/٩ « وقد عرض يمرض عرضاً مثل صفر صغراً ، وعراضة بالفتح ، قال
جرير : إِذَا ابْتَدَرَ . . . وَطُولُهَا » ولكن البيت لا يوجد فى ديوان جرير

(٤) ط « بزهم منه أخلاقه »

(٥) ط ، م « إلا أن أكثر ما يأتى فى كلامهم »

(٦) ط « العرض المراد به »

(٧) سورة آل : عمران ١٣٣

(٨) سورة فصلت : ٥١ .

(٩) م « وكان محزبها » والبحران : جمع بحر ، وهو الريف يريد أنهن يأخذن سبيلهن قدماً
لا يصحبن بشيء كأن الريف أمامهن صحراء قاحلة . والبيت فى ديوانه ١٢٢ .

(١٠) ط « وبينهم » وغنى وأعصر : قبيلتان .

وكما قال العجاج :

إِذَا تَغَشَّوْا بَعْدَ أَرْضِ أَرْضَا حَسِبْتَهُمْ زَادُوا عَلَيْهَا عَرْضَا^(١)

أى سعة وكثرة ، وكما قال تميم أيضاً :

حَتَّى إِذَا الرِّيحُ خَبَّتْ بِالسَّفَا خَبَبًا عَرْضَ الْبِلَادِ أَثَمْتُ الْأَمْرِ وَاخْتَلَفًا^(٢)

أى : سعة البلاد ؛ فهذا إذا جرى على هذا اللفظ. المستعمل^(٣) حَسَن ولم يقبح ، وإذا عدلت^(٤) به عن هذه الطريقة وهذه الألفاظ. المألوفة إلى ما يشبه الحقائق أو يقاربها كنت مخطئاً ؛ لأنك إذا قلت : مضى لنا فى الخَفْضِ والدَّعَا دهر طويل وكان^(٥) طوله كعرضه - لم يجز ذلك ؛ لأن لهذا [على هذا] الترتيب كأنه^(٦) وصف للأشياء المجسمة ، كما قال الطائي :

• يَوْمَ كَطُولِ الدَّهْرِ فِي عَرْضِ مِثْلِهِ •

فكان بهذا^(٧) اللفظ كأنه يذرع ثوباً ، أو يمسح أرضاً ، أو يصف بالاجتماع والتدوير^(٨) رجلاً ؛ كما قال تميم بن أبنِ بن مُقْبِل :

وَكُلُّ يَمَانٍ طَوْلُهُ مِثْلُ عَرْضِهِ فَلَيْسَ لَهُ وَضْلٌ وَلَا طَرْفَانِ^(٩)

فإن قيل : فإذا جعلت للزمان العرض الذى هو سعة على المجاز ، فلم^(١٠)

(١) تغشوا يقال : غشا الإبل وغشاها : أرهاها ليلاً . وهذا شبيه بقول الشاعر : « بات يشبهها بعضب باتر » أى أقام لها السيف مقام العشاء . والعجاج يريد أنهم إذا قطعوا أرضاً بعد أرض ، ويؤيد ذلك الرواية ديوانه ٣٥ . « وإن علوا » وفى ط « تغشوا »

(٢) م « حنت بالسفا جنباً » وخبث : أسرعت . والسفا : التراب . وأثت الأمر وثت : أى تفرق . وفى منتهى الطلب ورقة ٤٠ « هاجت » والبيت فى ديوانه ١٨٠ « حتى إذا الريح هاجت بالسفا خبتا »

(٣) م « المستقبل »

(٤) ط « عدل »

(٥) ط « كأن »

(٦) ط « كان وصفاً لأشياء مجسمة »

(٧) ط « هذا »

(٨) ط « والتدوير » ! وهو تحريف عجيب

(٩) ط « له أصل »

(١٠) ط « لم »

لا تجعل له العرض الذى هو خلاف الطول على المجاز ؟

قيل^(١) : العرض الذى هو خلاف الطول حقيقة ، والزمان لا عرض له على الحقيقة فكيف تكون الحقيقة مجازاً ؟

فإن قيل : إن الزمان لا يُوصَفُ بالسعة [أبداً] ، كما لا يوصف بالعرض ؛ فلم استعرت له العرض الذى هو السعة ؟

قيل : العرض - وإن جاء وصفاً وحلية للزمان فى قولهم : عاش فلان فى نعمة زماناً طويلاً عريضاً - فإنما صلح لأنك وصلته بالطول ، وقرنته به ، فكأن المعنى عاش فى زمن تم له وكمل واتسع بما أحبه ، كما أخبرتك ، والزمان قد يوصف بالسعة فيقال : قد اتسع لك الوقت والزمان فى فعل^(٢) كذا ، ولا يقال عَرَضَ لك [فى الوقت سعة] ، [ولا يقال عَرَضَ]^(٣) والعرض ههنا هو السعة ، ولكن جرى^(٤) هذا على حسب ما استعملوه ، وإنما [يراد] فى الوقت فسحة لك وامتداد ، يراد به معنى الطول . وقال ضرار ابن الخطاب :

[ولولا هاجر وبنو قتال] وَمَا لَأَقَيْتُ فِي الزَّمَنِ الْعَرِيضِ^(٥)

فذكر العرض مفرداً من الطول : أى الزمن الذى اتسع له .

وقد يجوز - إن قلت : عاش فى الخير دهرًا عريضاً - أن تُريد بالعرض سعة الخير فيه ، لا سمعته^(٦) فى نفسه ، كما قالوا : « ليل نائم » أى يُنام

(١) ط « قيل له »

(٢) ط « فى مثل »

(٣) الزيادة من ك

(٤) ط « أجرى . . . ما استعملوه »

(٥) م « والزمن »

(٦) م « لاسعة فى سعة فى نفسه »

فيه ، و « لَمَحْ باصر » أى يُبَصِّرُ به ^(١) . وإنما تُستعار اللفظة لغير ما هي له ، إذا اخْتَمَلَتْ معنى يصلح لذلك الشيء الذى استعيرت له ويليق به ؛ لأن الكلام إنما هو مبنى على الفائدة فى حقيقته ومجازه ، وإذا لم تتعلق اللفظة [المستعارة بفائدة فى النطق فلا وجه لاستعارتها . ولو كان الزمان يوصف] بالعرض على الحقيقة - وهذا ^(٢) محال - لَمَّا كان [له] فى بيت أبى تمام معنى ؛ لأنه إنما أراد أن يبالغ فى طول وَجْدِهِ ؛ إذ كان ^(٣) الوجد [إنما] يوصف بالطول ، كما يوصف به الشوق والغرام ونحوهما ، فيقال : طال وَجْدِي ، وطال شَوْقِي ، وطال غراي . وكذلك الزمان إنما يوصف بالطول ؛ فيقال : طال ليلي ، وطال نهارى . فما كانت حاجته ^(٤) إلى العرض ؛ و [هو] إنما فضل وَجْدَهُ على الدهر وعلى اليوم الذى جعله كالدهر ، من جهة الطول لا من جهة العرض ، ألا تراه قال :

• وَوَجْدِي مِنْ هَذَا وَهَذَاكَ أَطْوَلُ •

وقد ذكر أبو تمام العرض فى بيت آخر فقال :

إِنَّ الثَّنَاءَ بِسَيْرٍ عَرَضاً فِي الْوَرَى وَمَحَلُّهُ فِي الطُّولِ فَوْقَ الْأَنْجُمِ ^(٥)

وكيف يعقل ^(٦) سَيْرُ الثَّنَاءِ عَرَضاً فى الورى ، وهو لم يحدد موضعاً بعينه فيحسن ذكر الطول والعرض فيه ؟ ! فيكون كما قال الراعى :

وَجَرَى عَلَى حَدَبِ الصُّوَى فَطَرَدَتْهُ طَرْدُ الْوَسِيقَةِ فِي السَّمَاءِ طُولاً ^(٧)

(١) ط ، ك « فيه »

(٢) م « فهذا »

(٣) ط « إذ كل »

(٤) ط « حاجة »

(٥) ديوانه ٣١٤

(٦) ط « كيف جعل »

(٧) ط « على حرب » وفى السان ٢٦٠/١٢ « الوسيقة : القطيع من الإبل يطردها الشلال ، =

فحسن أن يقول^(١) « طولا » لأنه ذكر السماء .

وكما قال النابغة - ويقال : إنه محمول عليه - :

جُنِبْنَ مَعَ الْغَطَاطِ يُقْدَنَ حَتَّى قَطَعْنَ الْحَزْنَ عَرَضاً وَالرَّمَالاً^(٢)
فصلح لأنه ذكر أنهن قَطَعْنَ عَرَضَ^(٣) الْحَزْنِ وَالرَّمَالِ .

ومثل قول أبي تمام قول المَرَّار :

فَلَوْ كَانَتْ تَجُوبُ الْأَرْضَ عَرَضاً وَلَكِنْ جَوُّهُنَّ الْأَرْضَ طُولاً
وله ولييت أبي تمام معنى غامض يصحان به ، وأنا أذكره مع شرح المعاني
الغامضة من شعر أبي تمام .
ومما يشبه قول أبي تمام :

« بيوم كطول الدهر^(٤) في عرض مثله » .

أو يقاربه - قول الكُمَيْتِ يصف عَدَدَ^(٥) قوم بالكثرة :

كَاللَّيْلِ ، لَا ، بَلْ يَضَعُفُو نَ عَلَيْهِ مِنْ بَادٍ وَحَاضِرٍ

وكيف يتحصل مقدار الليل حتى يتحصل ضِعْفُهُ ؟ وهذا^(٦) يصحُّ على
السُّبْرِ^(٧) والتفتيش ، إذا حصل معناه ، وذلك لأنَّ^(٨) الليل لا يَغْشَى الْأَرْضَ
كلها بظلمته ، وإنما يَغْشَى بعضها . فلعل الكميت أراد أنهم يأخذون من

==وميت وسيقة لأن طاردها يجمعها ولا يدعها تنتشر عليه فيلحقها الطالب فيردها، والوسيقة من الإبل ونحوها
ما غصبت « والسماء : بادية مشهورة . وفي ك : « مسير »

(١) م « أن يقال »

(٢) الفطاط : الصباح وفي م « حين مع »

(٣) ط « أرض الحزن »

(٤) م « كطول الأرض »

(٥) ط « عدة »

(٦) ط وك « وهذا أيضاً »

(٧) في م ، ط : « التمييز »

(٨) ط « أن »

الأرض ضعف ما أخذه الليل منها إذا غشيها على سبيل المبالغة ، كما قال

الأحمر بن شجاع^(١) الكلبي :

بِحَاوَاءِ تُغْشِي النَّاطِرِينَ كَأَنَّهَا

دُجِيَ اللَّيْلُ ، بَلْ هِيَ مِنْ دُجَى اللَّيْلِ أَكْثَرُ^(٢)

١٢ - وقال أبو تمام :

وَرُحْبَ صَدْرِ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةً كَوُسْعِهِ لَمْ يَضِقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدُ^(٣)

وهذا أيضاً غلط . ؛ من أجل أن كل بلد يضيق بأهله ، وليس ضيقته^(٤)

من جهة ضيق الأرض ؛ لأن الأرض لو كانت [واسعة] عشرة أضعافها في

المقدار أو ألف ضعف مثلها ، لما كان ذلك بموجب أن يكون الحزن أو الصمان

[أو الغول] أو نجد أو مكة أو المدينة أو الكوفة أو البصرة ، في قدر مساحة

كل ناحية منها [أو] أوسع وأزيد مما هي عليه الآن ، إذ لم يختط^(٥) البصرة

والكوفة من اختطهما ولا أسس مكة والمدينة من أسسهما على قدر سعة الأرض

وضيقتهما^(٦) ، ولا صار قدر الحزن والصمان هذا القدر في ذرعهما ومساحتها

(١) طه سجاج .

(٢) ذكره الأمدى ضمن أبيات في المثلث والمثلث ٣٥ و في طه سجاجاً تخشى . والجأواء : التحليل والإبل الحمراء التي تضرب حمرتها إلى السواد . والكثيبة الجأواء : التي يعلوها لون السواد لكثرة الدروع

(٣) ديوانه ٩٧ وفي شرح التبريزي ٢ / ١٢ : « يقع في التسخ عن أهله . قال المرزوقي : الرواية : عن أهلها ، والضمير يرجع إلى الأرض . والمعنى : لو اتسعت الأرض اتساع صدره لكان كل من فيها الساعة حيثنهم بلد ويحتلمهم ولا يضيق ضمهم » . وانظر الصناعتين ١٢٤ والبراطة ٧٥ ،

٤٢٠ ، ٣٧٤

(٤) طه وكه ضيقته .

(٥) م لم تحط . . . من احطتها .

(٦) طه وضيقها .

على قدر مساحة الأرض وذرعهما بتمسيط أخذاه منها ، وإنما ذلك على^(١) حسب [الاتفاق في كل بقعة وعلى حسب]^(٢) ما أدى إليه الاجتهاد والاختيار ممن أسس كل بلدة ، ومَصَّرَ كل مصر .

وكان ينبغي له^(٣) أن يقول : ورُحِبَ صدر لو أن الأرض واسعة كوسعها لم يسعها الفلك أو لضاقت عنها السماء ، أو أن يقول : لو أن سعة كل بلد [أو مصر] كسعة صدره لم يضق عن أهله بلد . وكان حينئذ يكون المعنى مستقيماً .

والجيد الصحيح في هذا المعنى^(٤) قولُ البحرى :
مَفَازَةُ صَدْرٍ لَوْ تَطَرَّقُ لَمْ يَكُنْ لِيَسْلُكْهَا إِلَّا سُلَيْكُ الْمُقَانِبِ^(٥)
أى : لم يكن^(٦) ليسلكه إلا بدليل لسعته ، وأيضاً فإن الجزء من الأرض هو ما يكون فيه^(٧) الحيوان والنبات ، وإنما مقداره [على ما يقوله أهل الهندسة] الربع من الأرض وأقل من الربع ، والمسكون من جملة ذلك لعله لا يكون جزءاً من ألف جزء من ذلك . فما معنى جعله ضيق البلدان الضيقة وإنما هو من أجل ضيق الأرض ؟

فإن قيل : [فإنما أراد بقوله : «لو أن الأرض واسعة»^(٨) أى لو أن البلدان واسعة . قيل : لا يدل قوله «الأرض» وهو لفظٌ عمومى على البلدان التى هى

(١) ط « على حسب الأخلاق في كل سعة وعلى حسب ما أدى » وما بين القوسين من ك .

(٢) من ك

(٣) م « هذا قول »

(٤) ديوانه ٧١٩ « لم تكن ليسلكها » وسليك المقانب : هو سليك بن السلكة المترجم في الأشعر والشعراء ١ / ٣٢٤ والأغاني ١٨ / ١٣٣ وكان أدل الناس بالأرض . وفي الصناعتين ١٢٤ « على أن قوله : مفازة صدر استمارة بمبة » . وفي ط ، م « ليسلك فردا »

(٥) م « لم يسلكه »

(٦) ط « فيه من »

(٧) من ك

مخصوصة ، ولا يكون الغلط. ^(١) إلا هكذا : أن يريد القائل لفظة تدل على معنى . فيأتى بأخرى ليست فيها على ذلك المعنى دلالة .

* * *

١٣ - ومن خطائه ^(٢) قوله :

وَكُلَّمَا أَمْسَتْ الْأَخْطَارُ بَيْنَهُمْ هَلَكَى تَبَيَّنَ مَنْ أَمْسَى لَهُ خَطَرُ ^(٣)
لَوْلَمْ تُصَادِفْ شِيَاتُ الْبَهْمِ أَكْثَرَ مَا فِي الْخَيْلِ لَمْ تُحْمَدِ الْأَوْضَاحُ وَالْغُرَرُ ^(٤)

فالأوضح : هى البياض فى الأطراف ، وقد يكون أيضاً فى البهْم ، وكذلك ^(٥) أيضاً الغرر قد توجد فى البهْم كثيرة ، وهذا فساد فى ترتيب البيت ؛ لأنه ليس إذا وجدت شيات البهْم - [وهى صغار الغنم - أكثر ما فى الخيل ، أو وجدت شيات أكثر ما فى البهْم] ^(٦) ، كان ذلك موجباً لحمد الأوضح والغرر ، [وإنما كان يصح نظم الكلام لو لم توجد الأوضح والغرر فى البهْم] ^(٧) ، حتى تكون مخصوصة بالخيل ؛ فيقول : لو لم تعدم الأوضح والغرر ^(٨) فى البهْم لما حمدت فى الخيل ، فإما أن توجد شيات البهْم فى الخيل كثيراً أو شيات الخيل فى البهْم دائماً ، فليس هذا

(١) ط « يكون اللفظ إلا » وهو تحريف

(٢) م و ك « ومن غلطه »

(٣) ديوانه ١٠٥ وفى شرح التبريزى ٢ / ١٨٧ « يقول : كلما أذل الثام فصر قديم وقط خطرم ، ازداد من له خطر جلالة ، كما أن الشيء لا يعرف إلا بضده »

(٤) الشيات : جمع شية ، وهى كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره . والبهْم بالغم : جمع بهم . أى لو لم يكن أكثر الخيل بهما على لون واحد لم تحمد الفر الهجلة ، وكذلك إنما حمد الفضلاء لأن أكثر الناس جهال »

(٥) م « وذلك »

(٦) ما بين كلمتى « البهْم » ساقط من ك

(٧) الزيادة من ط

(٨) م « ذو الفرر »

بموجب حمد الأوصاح والغرر في الخيل ؛ لأن الغرر والأوصاح [أيضاً] موجودة في الغنم . وقال مخارق بن شهاب^(١) [المازني يصف المعزى وتيس الغنم] :
 وَرَاحَتْ أَصِيلًا كَانَ ضُرُوعَهَا دِلَاةً ، وَفِيهَا وَاتِدُ الْقَرْنِ لَبْلَبٌ^(٢)
 لَهُ رَعَثَاتٌ كَالشُّنُوفِ وَغُرَّةٌ شَدِيدَةٌ وَلَوْ نُ كَالْوَذِيلَةِ مُذْمَبٌ^(٣)
 فذكر أن له غُرَّةً .

وقال آخر في وصف عنز [سوداء] :
 سَوْدَاءُ إِلَّا وَضْحًا فِي الشَّوَى كَأَنَّهَا الْجَوَازُ فِي الْأَكْرَعِ^(٤)
 فذكر بياض أكرعها ، وذلك موضع التحجيل . بلى^(٥) لو قال : « لو لم
 تَقِلْ »^(٦) الأوصاح والغرر في البهم لما حُمدت في الخيل « لكان أقرب إلى
 الصواب ؛ لأنني أظنها في البهم أقل » ، وفي الخيل أكثر . وليس في هذا البيت
 دليل على هذا ولا ذاك .

* * *

(١) ط « طارق بن شهاب » وهو تحريف

(٢) البتان في عيون الأخبار ٧٧/٢ والحيان ٤٨٩/٥ والأول له في اللسان ٢٣٠/٢
 وفهم « أصيلاً » ومعناها واحد وأصيل : تصغير أصلان وهو جمع أصيل . وواتد : متصب .
 وأراد باللبل : شفقة التيس على المعزى التي أرسل فيها ، فهو ذو لبلبة عليها أي ذو شفقة

(٣) في اللسان ٥٧/٢ « ورعثة الشاة : زمتها تحت الأذنين ، ورعثة العنز : أبيضت
 أطراف زمتها . والشنوف : جمع شنف ، وهو القرط الأعلى . وفي اللسان ٥٠٦/٣ « يقال لغرة الفرس
 إذا كانت مستديرة : وثيرة ، فإذا سالت وطالت فهي شادخة ، وقد شدخت شدوخاً : اتسعت في الوجه »
 والوذيلة كما في اللسان ٢٤٩/١٤ المرأة ، طائية . والسيكة من القضة المجلوة »

(٤) الوضع : البياض . والشوى : الأطراف . والأكرع : جمع كراع ، وهو مستنق الساق

العاري من اللحم . وفي م « الحوراء »

(٥) م ، ط : « بل »

(٦) م « بل لو لم يقل »

١٤ - ومن خطأ المديح قوله :

سَأَحْمَدُ نَصْرًا مَا حَيَّتُ ، وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَنَّ قَدْ جَلَّ نَصْرٌ عَنِ الْحَمْدِ^(١)
لأنه^(٢) رفع الممدوح عن الحمد الذي ندب الله عباده [إليه] بأن^(٣)
يذكروه به ، وينسبوه إليه ، وافتتح فُرْقَانَهُ في أول سورة^(٤) بذكره ، وحث
عليه . وللعرب في ذكر الحمد ما هو كثير في كلامها وأشعارها ، ما فيهم مَنْ
رَفَعَ أَحَدًا عَنْ أَنْ يَحْمَدَ وَلَا مِنْ اسْتَقْلَلَ الْحَمْدَ لِلْمَمْدُوحِ ، قال زُهَيْرُ بْنُ
أَبِي سُلَيْمٍ :

مُتَصَرِّفٌ لِلْحَمْدِ مُعْتَرِفٌ لِلرُّزْءِ نَهَاضٌ إِلَى الذِّكْرِ^(٥)

[فقوله : متصرف للحمد] أى : حيثما رأى خلة تكسبه الحمد التمسها

وطلبها .

وقال زهير أيضاً^(٦) :

أَلَيْسَ بِفِيَاضٍ يَدَاهُ عِمَامَةٌ ثِمَالِ الْيَتَامَى فِي السِّنِينَ مُحَمَّدٍ^(٧)

فقوله « محمد » أى : يُحمد كثيراً .

وقال الأعشى :

وَلَكِنْ عَلَى الْحَمْدِ إِنْفَاقُهُ وَقَدْ يَشْتَرِيهِ بِأَغْلَى الثَّمَنِ^(٨)

(١) ديوانه ١١٦ وشرح التبريزي ٦٦/٢ والصناعتين ١٢٤ .

(٢) ط « فإنه »

(٣) م « أن يذكرون »

(٤) ك « أوائل سورة »

(٥) ديوانه ٩٣ والصناعتين ١٢٤ متصرف : يتصرف في كل باب خير حيثما رأى حمداً انصرف

إليه . متعرف صابر إذا نزلت به نازلة صبر لها

(٦) ليست في ك

(٧) ديوانه والصناعتين ١٢٤ ثمال اليتامى : أى يطعمهم في السنين الشداد . والقمامة : السحابة .

(٨) ديوانه ٢١ والصناعتين ١٢٥

[وقال أيضاً :

يَشْتَرِيَ الْحَمْدَ بِأَعْلَى بَيْعَةٍ واشترأ الحمد أذننى الربح^(١)]

وقال أيضاً :

إِلَيْكَ أَبَيْتَنَ اللَّعْنَ كَانَ كَلَالُهَا إلى المأجد الفرع الجواد المحمد^(٢)
فوصفه بأن جعله محمداً ، أى يُحمد كثيراً .

وقال آخر [وهو الحطيئة] :

« وَمَنْ يُعْطِ أَثْمَانَ الْمَحَامِدِ يُحْمَدِ^(٣) » .

فهذه هي الطريقة المعهودة^(٤) المعروفة في كلام العرب .

ولو قال الطائي : « لو جلُّ أحد عن المدح لجللت عنه » كان أعذر ؛

كما قال البحتري :

لَوْ جَلَّ خَلْقٌ قَطُّ عَنْ أَكْرَمَةٍ تُثْنِي بَجَلَّتْ عَنِ النَّدى وَالْبَاسِ^(٥)

أى : كنتَ تجلُّ لعلو شأنك عن أن يقال : سخي ، أو شجاع ؛ إذ

كان هذان الوصفان قد يُوصف بهما من هو دونك .

وقال البحتري أيضاً :

وَالْحَمْدُ أَنْفُسُ مَا تَعَوَّضَهُ أَمْرٌ رُزِيَ التَّلَادَ إِنْ الْمَرْزَأُ عَوْضًا^(٦)

فأما قول البحتري :

كَيْفَ نُثْنِي عَلَى ابْنِ يَوْسُفَ ؟ لَا كَيْفَ سَرَى مَجْدُهُ فَفَاتَ الثَّنَاءُ^(٧) !

(١) الربح : النماء في التجارة

(٢) ديوانه ١٣٢

(٣) ديوانه ٢٤ والصناعتين ١٢٥ وصدره : « تزور امرأة يوقى على الحمد ماله » وفي م « أثمان

المكالم »

(٤) من ك

(٥) ديوانه ٣٨٦ والصناعتين ١٢٥ وفي م ، ط « تبنى »

(٦) ديوانه ٢٩١

(٧) ديوانه ٧١٣ وفي م « شري » وط « فماب الثناء » ! وهو تحريف

ففتوته^(١) الثناء إنما معناه عظم أن يدركه ويبلغ حده ، ألا تراه قال :
 « كيف نشنى على ابن يوسف لا كيف » أى : لا طريق إلى كيفية^(٢) الثناء
 التى يستحقها وتليق به ، ثم قال : « سرى^(٣) مجده ففات الثناء » قطعاً
 من الكلام الأول .

١٥ - ومن خطائه قوله :

ظَعَنُوا فَكَانَ بُكَائِي حَوْلًا بَعْدَهُمْ ثُمَّ أَرْعَوَيْتُ ، وَذَلِكَ حُكْمٌ لَبِيدٍ^(٤)
 أَجْدِرُ بِجِمْرَةٍ لَوْعَةٍ إِطْفَاؤُهَا بِالْدَّمْعِ أَنْ تَزْدَادَ طُولَ وَقُودِ^(٥)

وهذا خلاف ما عليه العرب ، وضد ما يعرف من معانيها ؛ لأن المعلوم من
 شأن الدمع أن يطفى الغليل ، ويُبرّد حرارة الحزن ، ويزيل شدة الوجد ،
 ويُعقب الراحة ، وهو فى أشعارهم كثير موجود يُنحى به هذا النحو من المعنى ؛
 فمن ذلك قول امرئ القيس :

وَأِنْ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعْوَلٍ^(٦)
 وقول ذى الرمة :

لَعَلَّ أَنْجِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجِيَّ الْبَلَابِلِ^(٧)

(١) ط « فعيه »

(٢) ط « كيف الثناء الذى يستحقه ويليق »

(٣) م ، ك « سرى » وط « فغاب الثناء »

(٤) ديوانه ٨٢ وشرح التبريزي ٣٩٢ / ١ والصناعتين ١٢٥ وفى م « حولا كاملا » وهو يريد

قول لبيد المشهور :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

(٥) فى شرح التبريزي « أى : جمره تطفأ بالدمع حقيق بأن تزداد التهاباً وتوقداً . يعنى أن البكاء

لا ينفع ، بل العزى وعزيمة المجلود تنفى عن ذلك »

(٦) شرح القصائد العشر ٨ والصناعتين ١٢٦ وتشنيف السمع بانسكاب السمع ٢٤

(٧) ديوانه ٤٩٢ والصناعتين ١٢٦

وقول الفرزدق :

فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْبُكَاءَ لِرَاحَةٍ بِهِ يَشْتَفِي مَنْ ظَنَّ أَنَّ لَا تَلَاقِيَا^(١)

وهو كثير في أشعارهم ، ما عدل به أحد منهم عن هذا المعنى^(٢) ، وكذلك المتأخرون على هذه السبيل^(٣) ، سلخوا ، وأبو تمام من بينهم قد ذكر هذا المعنى ، وكرره في شعره متبعاً لمذاهب الناس ؛ فمن ذلك قوله :

نَشَرْتُ فَرِيدَ مَدَامِعٍ لَمْ تُنْظَمْ وَالْدَّمْعُ يَحْمِلُ بَعْضَ ثِقَلِ الْمُغْرَمِ^(٤)
وقال في موضع آخر :

وَأَقْعًا بِالْخُدُودِ وَالْبَرْدُ مِنْهُ وَأَقْعٌ بِالْقُلُوبِ وَالْأَكْبَادِ^(٥)
[وقال أيضاً :

فَافْتَرَعُ إِلَى دُخْرِ الشُّوْنِ وَغَرِيهَا^(٦) فَالْدَّمْعُ يَذْهَبُ بَعْضَ جَهْدِ الْجَاهِدِ]
وقال :

فَلَعَلَّ عَيْنَكَ أَنْ تَجُودَ بِمَائِهَا وَالْدَّمْعُ مِنْهُ خَاذِلٌ وَمُوَاسِي^(٧)
وقال أيضاً :

فَلَعَلَّ عَبْرَةَ سَاعَةٍ أَذْرِيَّتَهَا تَشْفِيكَ مِنْ إِرْبَابٍ وَجَدٍ مُحَوِّلِ^(٨)
فلو كان اقتصر على هذا المعنى الذي جرت العادة به في وصف الدمع ،

(١) ديوانه ٨٩٥ والصناعتين ١٢٦

(٢) في ك « الموضع »

(٣) ط ، ك « المتأخرون هذا السبيل سلخوا . . . بينهم ركب »

(٤) الصناعتين ١٢٥ وفي ديوانه ٣١٢ « بعض شجو »

(٥) الصناعتين ١٢٥ وفي الديوان وشرحه « والحرمة » وهما روايتان . يعنى أن الدمع يسيل على الخدود ويرده في القلب والكبد لأنه ينقع الغلة ويشفى الحرقه

(٦) ك « وعزبه »

(٧) ديوانه ١٧٢ وشرح التبريزي ٢/٢٤٢ « أن تعين بمائها » وهما روايتان . وفي م

« والدمع منها »

(٨) ديوانه ٢٢٣

لكان المذهب [الصحيح] المستقيم ، ولكنه استعمل^(١) الإغراب فخرج إلى ما لا يُعرَف في كلام العرب ، ولا مذاهب سائر الأمم .

وقد تبعه على هذا الخطأ البحتري ، فقال :

فَعَلَّامٌ فَيَضُّ مَدَامِعَ تَدِيقُ الْجَوَى وَعَذَابُ قَلْبٍ فِي الْجِسَانِ مُعَذِّبٌ^(٢)

قوله : « تَدِيقُ^(٣) الجوى » من قولهم : « لَمْ يَدِيقِ الْأَرْضُ مِنْهُ شَيْءٌ » أى : لم يصل ، وفي شعر امرئ القيس في قافية^(٤) : « مَوْدِيقِي » أى^(٥) : أَثَرِي ، وأصله من الدنو فكأن قوله^(٦) : « تدق الجوى » أى : تُدْهِقُ^(٧) الجوى ، يقال : أَزَانُ وَدِيقٌ ، أى : تدنو من الفحل ، ومنه الوَدِيقَةُ الهاجرة ؛ لدنو الحر ، وقبل لقطر المطر : وَدَقُّ لَانْحِلَالِهِ^(٨) من السحاب ، وَدُوْدٌ من الأرض .

* * *

١٦ - ومن خطائه قوله :

رَضِيْتُ وَهَلْ أَرْضَى إِذَا كَانَ مُسْخِطِي

وَنَ الْأَمْرِ مَا فِيهِ رَضَى مَنْ لَهُ الْأَمْرُ^(٩)

فمعنى [هل فى] هذا البيت التقرير ، والتقرير على ضربين : تقرير للمخاطب على فعل قد مَضَى وَوَقَعَ ، أو على فعل هو فى الحال ليجب المقرر

(١) ط « أحب »

(٢) ديوانه ١٢٢ والصناعتين ١٢٦

(٣) م « بندق . . . قويم : ما بندق »

(٤) ط « ما فيه » ، م : « فبما فيه » والآمدى يشير إلى قول امرئ القيس ١١٩ :

دخلت على بيضاء جم عظامها تنقى بذيل الدرع إذا جئت مودق

(٥) ط « أى عل »

(٦) ط ، م : « فكأنه قال »

(٧) م « تدق »

(٨) ط « لانهلاله »

(٩) ديوانه ٤٧٥ والصناعتين ١٢٦

بذلك ويحققه ، ويقترضى من المخاطب فى الجواب الاعتراف به ، نحو قوله : هل أكرمتك ؟ هل أحسنت إليك ؟ هل أودك وأوثرك ؟ و [هل] أقضى حاجتك ؟

وتقرير على فعل يدفعه المقرر وينفى^(١) أن يكون قد وقع ، نحو قوله : هل كان منى إليك قط شيء كرهته ؟ وهل عرفت منى غير الجميل ؟
فقوله فى البيت الأول^(٢) « وهل أرضى » تقرير لفعل ينفيه عن نفسه ، وهو الرضا ، كما يقول القائل : وهل يمكننى المقام على هذه الحال ؟ أى لا يمكننى ، وهل يصبر الحر على الذل ؟ وهل يروى زيد ؟ و [هل] يشبع عمرو ؟ فهذه [كلها] أفعال معناها النفى ، فقوله « وهل أرضى » إنما هو نفى للرضا ، فصار المعنى ولست أرضى ؛ إذ كان الذى يُسخطنى ما فيه رضا [من له الأمر : أى رضا]^(٣) الله تعالى ، وهذا خطأ منه فاحش .

فإن قال قائل : فلم لا يكون قوله « وهل أرضى » تقريراً على فعل هو فى الحال ليؤكد من نفسه ، نحو قوله : هل أودك [وهل أوثرك] ؟ ونحو قول الشاعر :

هَلْ أَكْرِمُ مَثْوَى الضَّيْفِ إِنْ جَاءَ طَارِقاً
وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي لَهُ دُونَ مُنْكَرِي

قيل له : ليس قول القائل لمن يخاطبه « هل أودك » ؟ « هل أوثرك » ؟ وقوله « سل عنى هل أصلح للخير » أو « هل أكرم السر » أو « هل أفنع بالميسور » ؟ - مثل قول أبي تمام « هل رضيت ، وهل أرضى » لأن^(٤) صيغة

(١) ط • ينهى • ا

(٢) الزيادة من ك

(٣) الزيادة من ط

(٤) ط • فإن •

هذا الكلام دالة على [أنه قد نفي الرضا عن نفسه ؛ بإدخاله الواو على^(١)]
 «هل» وإنما يشبه هذا قول القائل : «هل [أودك] إذا كانت فعالك
 كذا ؟» «هل أصلح للخير عندك إلا إذا كنت تعتقد غير ذلك في ؟»
 «هل ينفع في زيد العتاب ؟ كقول الشاعر :

* وَهَلْ يُصْلِحُ الْعَطَّارُ مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ^(٢) *

وقول ذي الرمة :

وَهَلْ يَرْجِعُ التَّسْلِيمُ أَوْ يَكْشِفُ الْأَسَى ثَلَاثُ الْأَثَا فِي وَالْدِيَارِ الْبَلَاغِ^(٣)
 لأن الواو ههنا كأنها عطفت جواباً على قول^(٤) قائل : إن فلاناً سيصلح
 ويرجع إلى الجميل ، فقال آخر :
 * وَهَلْ يُصْلِحُ الْعَطَّارُ مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ *

وكقول ذي الرمة :

أَمَنْزِلَتْنِي مَيِّ سَلَامٌ عَلَيْكُمَا هَلِ الْأَزْمُنُ اللَّائِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ^(٥)
 لما علم أن التسليم غير نافع عاد على^(٦) نفسه فقال : «هل يرجع
 التسليم» وكما قال امرؤ القيس :
 * وَإِنْ شِفَانِي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ *

ثم قال :

* وَهَلْ عِنْدَ رَبِّعٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ ؟ *

وكذلك قول أبي تمام «رضيت» ثم قال «هل أرضى إذا كان مُسَخْطِي»

(١) الزيادة من ط

(٢) غير منسوب في الكامل ٢٦٩/١ وصدرو «تدس إلى العطار سلعة بيتها» وقبله :

عجوز ترجى أن تكون خفية وقد لحب الجنبان واحد ودب الظهر

(٣) ديوانه ٣٢٢ وط «يكشف المي . . . الآثافي والرسوم»

(٤) م «قول القائل قال»

(٥) ديوانه ٣٢٢ وهو أول القصيدة والبيت السابق هو الثاني فيها

(٦) سقطت من م

إنما معناه ولست أرضى ، فكان^(١) وجه الكلام أن يقول : رضيت وكيف لا أرضى [أو لم لا أرضى] إذا كان الذى يسخطنى^(٢) ما فيه رضا الله تعالى ، وكذا أراد فأخطأ فى اللفظ ، وأحال المعنى عن جهته إلى ضده .

فإن قيل : إن « هل » هنا بمعنى « قد » ، وإنما أراد الطائى رضيت وقد أرضى ، كما قيل^(٣) [فى قول] الله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾^(٤) [إن المعنى] : قد أتى .

قيل : هذا إنما قاله قوم من أهل التفسير ، واتبعهم قوم من النحويين . وأهل اللغة جميعاً على خلاف ذلك : ولم^(٥) يأت فى كلام العرب [وأشعارها « هل قام زيد » بمعنى قد قام زيد ، وإذا كان ذلك معدوماً فى كلام العرب]^(٦) ولغتها فكيف يجوز أن يؤخذ به أو يعمل^(٧) عليه ؟ وقد قال أبو إسحق الزجاج وجماعة من أهل العربية فى قوله عز وجل : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾ معناه ألم يأت ؟ على سبيل التقرير . وهب الأمر فى هذا كما ذكروا^(٨) . والخلاف ساقط فيه ، فإن بيت أبى تمام لا يحتمل من التأويل ما احتملته الآية ، لأن « هل » إنما شُبَّهَها من شُبَّهَها بقَد إذا وليت الفعل^(٩) الماضى خاصة . وأبو تمام إنما أوقعها على الفعل المستقبل وإذا وقعت على

(١) م « وكان »

(٢) ط « كان مسخطى »

(٣) م ، ط « كما قال »

(٤) سورة الدهر : ١

(٥) ط « إذ لم »

(٦) الزيادة من ط وفيها « ولغاتها »

(٧) ط « أو يعمل »

(٨) م « ذكر » ، ك « ذكره »

(٩) ط « وليت لفظ الماضى »

المستقبل ^(١) سقط. عنها أن تضارع قد ؛ لأن قد ههنا ^(٢) تكون بمعنى ربما .
و « هل » ليس فيها ذلك .

وبعد : فإذا ^(٣) كان الرجل إنما أراد بهل معنى قد فلم لم يقل : رضيت وقد أرضى ؛ فيأتى بلفظة « قد » نفسها إذ كان [إنما] يريد الخبر . ولا يأتى بهل فيلتبس الخبر الذى إياه قصد بالاستفهام ؟ فإن البيت كان يستقيم بقدر [كما يستقيم بهل] ويغنيينا عن الاحتجاج الطويل .

وقد استقصيت القول فى هذا الباب ^(٤) وما ذكره النحويون وسيبويه وغيره فى معنى قد وهل ولخصته فى جزؤ مفرد ، وإنما فعلت ذلك اكثرة من عارضنى فيه ، وادعى الدعاوى الباطلة فى الاحتجاج لصحته .

* * *

١٧- ومن خطائه قوله فى البكاء على الديار ^(٥) :

دارٌ أَجَلُ الهوى من لم أَلَمَ بِهَا فى الركبِ إلّا وعينى من منائحها ^(٦)
وهذا لفظ مُحال عن وجهه : لأن « إلّا » ههنا تحقيق وإيجاب ، فكيف يجوز أن يكون عينه من منائحها إذا لم يُلم بها ؟ وإنما وجه الكلام [أن يقول] : « دار أجل الهوى عن أن أَلَمَ بها [إلّا وعينى من منائحها] ، أو أجل الهوى عن أن أَلَمَ بها [وليس عينى من منائحها] » وقد كنت أظن

(١) الزيادة من ك . وفى ط م « . . فسقط »

(٢) ط ، ك « قد حينئذ قد تكون »

(٣) فى ط ، م : « فإن »

(٤) ط ، ك « البيت »

(٥) ط « الدار »

(٦) ديوانه ٧٢ وشرح التبريزى ١ / ٣٤٧ وانظر رد ابن المستوفى على الآمدى فى هامش صفحة الشرح . والمعنى على رواية الديوان : أجل الهوى عن أن أَلَمَ بالدار إلّا وأنا باك ، أى إذا أَلَمْتُ بها بكيت . وفى م ، ط : « إن لم أَلَمَ بها »

أن أبا تمام على هذا نظم الشعر ، وأن غلطاً وقع^(١) في نقل البيت ، حتى رجعت إلى النسخة العتيقة التي لم تقع في يد « الصولي » وأضرابه ، فوجدت البيت في غير نسخة مثبتاً على هذا الخطأ .

• • •

١٨ - ومن خطائه أيضاً في وصف الربع^(٢) وساكنه ، قوله :
قَدْ كُنْتَ مَعْهُدًا بِأَحْسَنِ سَاكِنٍ ثَاوٍ وَأَحْسَنَ دِمْنَةٍ وَرُؤُومٍ^(٣)
والربع لا يكون رسماً إلا إذا فارقه ساكنوه ؛ لأن الرسم هو الأثر الباقي بعد ساكنه^(٤) .

والصواب قولُ البحتري :
يَا مَقَانِي الْأَحْبَابِ صِرْتُ رُؤُومًا وَغَدَا الدَّهْرُ فَيْلِكَ عِنْدِي مَلُومًا^(٥)
وقال امرؤ القيس :

• وَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُتَوَلٍّ •
قال^(٦) ذلك : لأن الرسم يكون دارساً وغير دارس . وقال :
قِفَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَعِرْفَانٍ
وَرَسْمٍ عَفَتْ آيَاتُهُ مُنْذُ أَزْمَانٍ^(٧)

• • •

١٩ - ومن خطائه أيضاً قوله :
طَلَلُ الْجَمِيعِ لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدًا وَكَفَى عَلَى رُؤْيَى بِذَلِكَ شَهِيدًا^(٨)

(١) ط « وقع عليه »

(٢) م « الربع قوله » وهو تحريف

(٣) ديوانه ٣٠٥ وشرح التبريزي ٢٦١/٣ « منا وحسن » وم « بأحسن »

(٤) ط ك « ساكنه »

(٥) ديوانه ٢٧٣

(٦) ط « فقال »

(٧) ديوانه ١٨٤

(٨) ديوانه ٨٧ وشرح التبريزي ٢٢٠/١

أراد وكفى بأنه مضى حميداً شاهداً على أنى رُزئت ، وكان وجه الكلام أن يقول : وكفى برزنى شاهداً على أنه ^(١) مضى حميداً ؛ لأن حميداً من الطلل قد مضى ، وليس بشاهد ولا معلوم ، ورزؤه بما يظهر ^(٢) من تجمُّعه مشاهد معلوم ؛ فلأن يكون الحاضر شاهداً على الغائب أولى من أن يكون الغائب شاهداً على الحاضر

فإن قيل : إنما أراد أن يستشهد على عظيم رُزئه عند من لم يعلمه .
 قيل : فمن لا يعلم قدر مرزئته التى بعضها ظاهر عليه ، كيف يعلم ما مضى من حميد أمر الطلل حتى يكون ذلك شاهداً على هذا ؟ !
 فإن قيل : هذا إنما جاء به على القلب .

قيل : المتأخر لا يُرخص ^(٣) له فى القلب ؛ لأن القلب إنما جاء فى كلام العرب على السهو ، والمتأخر إما يحتذى على أمثلتهم ، ويقتدى بهم ، وليس ينبغى له أن يتبعهم فيما سهوا فيه .

فإن قيل : فقد جاء القلب فى القرآن ، ولا يجوز أن ^(٤) يقال : إن ذلك على سبيل السهو ولا الضرورة ؛ لأن كلام الله عز وجل يتعالى عن ذلك ، وهو قوله : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ﴾ ^(٥) ، وإنما العصبه تنوء بالمفاتيح : أى تنهض بشقلها ، وقال عز وجل : ﴿ ثُمَّ دَنَى فَتَدَلَّى ﴾ ^(٦) ، وإنما هو [ثم] تدلَّى فدنا ، وقال : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ ^(٧) أى : وإن

(١) ط « على أن . . . لأن حمد أمر الطلل »

(٢) ط « بما يظهر . . . شاهد »

(٣) م « لا يركض » وهو تحريف

(٤) ط « أن يكون ذلك »

(٥) سورة القصص : ٧٦ وانظر تأويل مشكل القرآن ١٥٣ ، ١٥٧

(٦) سورة النجم : ٨

(٧) سورة الماديات : ٨

حبه للخير لشديد . ولهذا أشباه كثيرة في القرآن .

قيل : ^(١) هذا ليس بقلب ، وإنما هو صحيح مستقيم ؛ وإنما أراد الله تعالى اسمه : ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة ، أى : تميلها من ثقلها ، ذكر ذلك الفراء وغيره ، وقالوا : إنما المعنى ^(٢) لَسْتُىءُ العصبة .

وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ قيل : المعنى إنه لحب المال ^(٣) لشديد ، والشدة : البخل ، يقال : « رجل شديد ومتشدد » أى : بخيل ، يريد إنه لحبه ^(٤) المال لبخيل متشدد ، أى ^(٥) لأجل ^(٦) حبه المال يبخل .

وقالوا فى قوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ دَنَىٰ فَتَدَلَّىٰ ﴾ : إنما كان تدلييه عند دُنُوهِ واقترابه ، كما قال أبو النجم :

« قَبْلَ دُنُو الْأُفُقِ مِنْ جَوَازِيهِ » ^(٧)

والجوزاء إذا دَنَتْ من الأفق فقد دنا الأفق منها ، فهذا ليس من القلب المستكره ، ومثله فى الشعر كثير ، ومنه قول الشاعر :

وَمَهْمَهُ مُغْبِرَةٌ أَرْجَاؤُهُ كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاوُهُ ^(٨)

قالوا ^(٩) : كان الوجه أن يقول : كَأَنَّ لَوْنَ سَمَائِهِ مِنْ غَبْرَتِهَا لَوْنُ أَرْضِهِ ، وليس الأمر فى ذلك بواجب ؛ لأن أرضه وسماؤه ^(١٠) مضافان جميعاً إلى الهاء ،

(١) م « قيل هذا ليس بالقضية ، أى بمثلها من ثقلها »

(٢) م « المعنى ليس بالعصبة »

(٣) م ، ك « المال البخل »

(٤) م « حبه المال بخيل » . وفى ط : « حب المال لبخيل »

(٥) ط ، ك : « يريد إنه لحب المال » !

(٦) م « من أجل »

(٧) أمال المرتضى ٢١٧/١ وسر الفصاحة ١٠٨ وتأويل مشكل القرآن ١٥٠

(٨) قاله روبة ، كما فى ديوانه ١ تأويل مشكل القرآن ١٥١ وأمالي ابن السجوى ٢٢٩-٢٣٠

والصاحب ١٧٢ وأبواب مختارة ٣٤ وشرح شواهد المنى للسيوطى ٣٢٨ وأمالي المرتضى ٢١٦/٢

(٩) ط « قوله كأن لون أرضه سماؤه أى كأن . . . »

(١٠) م « وسماؤه جميعاً كانا فيه إلى الهاء »

وهي كناية عن المهمة ، فأيهما يشبه^(١) بصاحبه كانا فيه سواء ، وإنما
تَغَيَّرَ آفاق السماء من الجذب واحتباس القطر .

وقال الحطيئة :

فَلَمَّا خَشِيتُ الْهُونَ وَالْعِيرَ مُمْسِكُ عَلَى رَغْمِهِ مَا أَمْسَكَ الْحَبْلَ حَافِرُهُ^(٢)
قالوا : وكان الوجه أن يقول : ما أمسك الحافر^(٣) حبله . وكلاهما
متقاربان ؛ لأن الحبل إذا أمسك الحافر فإن الحافر أيضاً قد شغل الحبل .
فهذا كله سائق^(٤) حسن . ولكن القلب القبيح^(٥) لا يجوز في الشعر ،
ولا [يجوز مثله] ^(٦) في القرآن ، وهو ما جاء في كلامهم على سبيل الغلط .
نحو قول خِداش بن زهير :

وَتُرْكَبُ خَيْلٌ لَا هَوَادَةَ بَيْنَهَا وَتَشْقَى الرِّمَاحُ بِالضِّيَاطِرَةِ الْحُمْرِ^(٧)
وإنما الضياطرة هي التي تشقى^(٨) بالرماح .

وكقول الآخر :

(١) م « شبهتهما »

(٢) ديوانه ١٠ وتأويل مشكل القرآن ١٤٩ وتفسير الطبري ٨٤/١٤ قال السكري :
« يقول : مادام الحمار مقيداً فهو ذليل معترف بالهون ، وهذا مقلوب . أراد : ما أثبت الحبل حافره
فقلب ، فجعل الفاعل مفعولاً والمفعول فاعلاً »

(٣) م ، ك « الحبل حافره »

(٤) م « شائع »

(٥) م « القبيح في الشعر لا يجوز مثله في القرآن هو »

(٦) من ك

(٧) ط « خيلا . . . وتسمى الرماح » والهوادة : المصاحلة والموادعة . ونمصى : فضرِب ونظن .
والضياطرة : جمع ضيطر ، وهو اللثيم الضخم . والبيت من قصيدة نخدش في جمهرة أشعار العرب ١٠٨
« خيلا » وهو في تأويل مشكل القرآن ١٥٢ والصاحبي ١٧٢ والكامل ١/ ٢٧٤ وسر الفصاحة ١٠٦
والأضداد للجستاني ١٥٣ وأمال المرتضى ٤٦٦/١ والسان ١٦٠/٦ والأضداد لابن الأنباري ٨٥

وتفسير الطبري ١٧/ ٢٠ ، ٢٠/ ٦٩

(٨) م ، ك « تمصى »

كَانَتْ فَرِيضَةً مَا تَقُولُ كَمَا كَانَ الزَّانِءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ^(١)
وإنما الرجم فريضة الزناء .

وكقول الفرزدق يصف ذنباً :

وَأُطْلِسَ عَسَالٍ وَمَا كَانَ صَاحِبًا رَفَعْتُ لِنَارِي مَوْهِنًا فَآتَانِي^(٢)

وإنما أراد^(٣) رفعها للذنب ، أنشده المبرد^(٤) ، وقال : القلب جائز للاختصار ، إذا لم يدخل الكلام لبس . كأنه^(٥) يجيز ذلك للمتقدمين^(٦) دون المتأخرين ، وما علمت أحداً قال « الاختصار » غيره ، فلو قال لإصلاح الوزن^(٧) أو للضرورة ، كما قال غيره ، كان ذلك أشبه .

ويجوز أن يكون الفرزدق في [هذا] البيت سهاً أو اضطر لإصلاح الوزن ، وأبوتام وغيره من المتأخرين لا يصوغون^(٨) مثل هذا . وإنما أراد أبوتام : وكفى بما يظهر من تفجيعي بهذا الرزء الذي رزئته ، شاهداً [لك]^(٩) على أن الظل مضى حميداً ، فقلت . وليس له أن يقلب في مثل هذا [لأنه القلب المستكره .

(١) غير منسوب في تأويل مشكل القرآن ١٥٣ وأما المرتضى ١/٢١٦ وسر الفصاحة ١٠٦ ونسبه في اللسان ٧٩/١٩ للجملي

(٢) ديوانه ٨٧٠ « دعوت لناري » والأطلس : الأغبر . وعسال : نسبة إلى مشيته ، يقال : مر الذنب يعمل ، وهو مشى خفيف كالمرولة

(٣) ك « وإنما النار رفعها للذنب »

(٤) في الكامل ١/٣٢٠ « قوله : رفعت لناري ، من المقلوب ، إنما أراد رفعت له ناري . والكلام إذا لم يدخله لبس جاز القلب للاختصاص »

(٥) م « فإنه » وط « ذلك للمتقدمين »

(٦) ط ، م « للعرب الأوائل »

(٧) م ، ك « الأوزان والضرورة »

(٨) م « لا يصوغون من هذا شيئاً »

(٩) من ك

فإن قيل : إنه لم يُرد القلب ، وإنما أراد وكفى على رزئي بمحمود أمر
الطلل شهيداً .

قيل : فأى شيء أستشهد ؟ وأين شهيدُهُ ؟

٢٠- ومن خطائه قوله في باب الفراق :

دَعَا شَوْقُهُ يَا نَاصِرَ الشُّوقِ دَعْوَةً فَلَبَّاهُ طَلُّ الدَّمْعِ يَجْرِي وَوَابِلُهُ^(١)
أراد أن الشوق دعا ناصراً ينصرده فلبّاه الدمع ، بمعنى أنه يخفف لاجئ
المشوق^(٢) ، ويطفى حرارته . وهذا إنما هو نُصْرَةٌ للمشتاق على الشوق ، والدمع
إنما هو حربٌ للشوق ؛ لأنه يثلمه ويتخونه ويكسر^(٣) حُدَّه ، كما قال
البحترى :

وَبُكَاءُ الدِّيَارِ مِمَّا يَرُدُّ الشَّادِقَ ذِكْرًا وَالْحُبُّ نِضْوًا ضَبِيلًا^(٤)
قوله « يرد الشوق ذكراً » أى : يخففه ويثلمه حتى يصير ذكراً^(٥)
لا يُقلق ولا يزعج كإقلاق الشوق ، وقوله « والحب نضوا » أى يصغره ويمحقه ،
[كما قال جرير :

فَلَمَّا اتَّفَقَى الْحَيَّانِ أَلْقَيْتِ الْعَصِيَّ وَمَاتَ الْهَوَى لَمَّا أُصِيبَتْ مَقَانِلُهُ]^(٦)
فلو كان الدمع ناصراً للشوق لكان يُقَوِّيه ويزيد فيه ، ألا ترى أنك
تقول : قد ذبحنى الشوق إليك ، فالشوق عدوُّ المشتاق وحربه ، والدمع
سلمه^(٧) لتخفيفه عنه ، وهو حرب للشوق ، وليس بهذا الخطأ خفاء .

(١) ديوانه ٢٣٠

(٢) ك ، ط « الشوق »

(٣) ط « ويكسر منه »

(٤) ديوانه ٦٨٧

(٥) م « تذكر »

(٦) الزيادة من ط . والبيت في ديوانه ٤٧٨

(٧) ط « سلم »

وقد تبهره البحتري في هذا الخطأ فقال ينعى^(١) الديار التي وقف عليها :
نَصَرْتُ لَهَا الشُّوقَ اللَّجُوجَ بِأَذْمُعٍ تَلَاخَقْنَ فِي أَعْقَابِ وَضَلِ تَصَرُّمًا^(٢)

* * *

٢١ - ومن خطائه في معنى الشوق قوله :

يَكْنِيكَ شَوْقٌ يُطِيلُ ظِمَاءَهُ فَإِذَا سَقَاهُ سَقَاهُ سَمَّ الْأَسْوَدَ^(٣)
فقوله « شوق يطيل ظمائه » غلط . لأن الشوق هو الظمأ نفسه ، ألا ترى أنك تقول : أنا عطشان إلى رؤيتك ، وظمآن ، ومشتاق ، بمعنى واحد ؟ فكيف يكون الشوق هو المطيل للظمأ وكيف يكون هو الساقى ، والمحبوب هو الذى يظمئ ويستقى^(٤) ! لا الشوق [وهذا خطأ] .

* * *

٢٢ - ومن خطائه قوله :

أَمَرَ التَّجْلُدَ بِالتَّلْدُدِ حُرْقَةً أَمَرْتُ جُمُودَ دُمُوعِهِ بِسُجُومٍ^(٥)
جعل الحرقه أمره للتجلد بالتلدُد ، والحرقه التي يكون معناها التلدد تسقط . التجلد ألبته وتذهب به ، فأما أن يجعله متلدداً فإن هذا من أحقق المعانى وأولاها بالاستحالة ، وأيضاً^(٦) فأى لفظ أسخف من أن يجعل الحرقه أمره [وإن كان ليس بخطأ] وإنما العادة في مثل هذا أن تكون باعثة أو جالبة أو نحو هذا ، وأما الأمر فليس هذا موضعه .

(١) م « ينعى »

(٢) ديوانه ٣٥٥

(٣) ديوانه ١١١ وشرح التبريزي ٤٣/٢ وظماءه : عطشه . والأسود : الحية التي لا يتجو لديها . وفي ط « يكفيك شوق قد يطيل »

(٤) ك ، ط « ويستقى أو البعد أو المهجر لا الشوق فكيف يكون الشوق يطيل شوقه »

(٥) ديوانه ٣٠٥

(٦) م « وهو أيضاً »

[ولو كان قال :

أفنى التجلد بالتلدد حرقة أفنت جمود دموعه بسجوم
كان أولى بالصواب]^(١).

* * *

٢٣- ومن خطائه قوله :

مِنْ حُرْقَةٍ أَطْلَقَتْهَا فُرْقَةٌ أَسْرَتْ قَلْبًا وَمِنْ غَزَلٍ فِي نَحْرِهِ عَذَلٌ^(٢)
قوله « أطلقتها فرقة » أى أبرزتها^(٣) وأظهرتها ، وإنما^(٤) قال « أطلقتها »
من أجل قوله « أسرت قلباً » لطابق بين الإطلاق والأسار^(٥) ، وقوله « أسرت
قلباً » يعنى الفرقة ، [وهو]^(٦) معنى ردىء ؛ لأن القلب إنما يأسره ويملكه
شدة الحب ، لا الفراق ، فإن لم يكن مأسوراً قبل الفراق فما كان هناك
حب ، فلم حَصَرَ للتوديع ؟ وما كان وجه البكاء والاستهلال والزجل^(٧) الذى
ذكره قبل البيت ، والقصة الفظيعة التى وصف الحال فيها عند مفارقتهم ؟
أو ما^(٨) علم أن للفراق لوعة صعبة [وناراً محرقة] عند وروده وفجأته^(٩) فلا
يسمى ذلك أسراً^(١٠) ولا علاقة ! وإنما هو^(١١) محنة تطراً على أسير الحب ،

(١) هذه زيادة ط ك وفى ط « ولو قال بمشت » أو « جلبت » لكان له

(٢) ديوانه ٢٢٧ وفى ط « ومن عذل . . . غزل »

(٣) ط « أى ثورتها »

(٤) م « وإنما عذل قال »

(٥) ط « والأسر »

(٦) زيادة من ط

(٧) م وط « والرجل » « والوجل » والآمدى يشير إلى الزجل فى البيت السابق وهو :

ولو ترائنا وإياهم وموقفنا فى موقف البين لاستهلالنا زجل

(٨) ط « وما علم » وم « علمت أن الفراق »

(٩) م « ومحانه »

(١٠) م « إساراً »

(١١) ط « وإنما يسمى »

وربما قتلته كما يقتل الأسير ، فالفراق إنما له لَوَعَةٌ ثم تبرد ناره ، وتخمد وقتاً فوقتاً^(١) ، حتى يَدْرُس « الحب »^(٢) ؛ والفراق^(٣) يفك أسير الحب ، ويُسمى الخليلَ خليلَه إذا امتدبه زمان ؛ ألا ترى إلى قول زهير بن جناب^(٤) :

إذا ما شئتَ أَنْ تَسْلِيَ حَبِيْباً فَأَكْثِرْ دُونَهُ عَدَدَ اللَّيَالِي
فَمَا أَنْسَى خَلِيْلَكَ مِثْلُ نَائٍ وَمَا أَبْلَى جَدِيْدَكَ كَابِتْدَالٍ^(٥)
وقول الآخر :

يُنْسِي الْخَلِيْلَيْنِ طُولُ النَّائِ بَيْنَهُمَا وَتَلْتَقِي طُرُقُ شَتَى فَنَاتِلِفُ^(٦)
فهذا هو المعنى الصحيح المعروف ، فإن^(٧) كان تقدم أبا تمام في هذا المعنى من تبعه ، وحذا على حذوه ، فالردىء ، لا يؤتم به^(٨) .

ولعله سمع معنى سائغاً حسناً فأفسده بسوء عبارته ، وكثيراً ما يفعل هذا . وكان ينبغي أن يقول : من حرقة بعثتها فرقة ، أو أظهرتها فرقة جرحت قلباً ؛ حتى يكون أسير الهوى وقتيلَ الفراق .

فإن قيل فلم لا يكون « أسرتَ قلباً » للحرقة لا للفراق^(٩) ؟
[قيل : لا يكون ذلك ؛ لأنَّ الأسر إذا قَبِحَ أن يكون فعلاً للفرقة]^(١٠)

(١) من ك

(٢) ط « والفراق . . . وقتاً ووقتاً »

(٣) ط « والفراق »

(٤) « زهير الكلبي » وترجمه زهير بن جناب الكلبي في المؤلف والمختلف ١٣٠

(٥) في المؤلف : « ولا أبلى »

(٦) ط « فيأتلِف » .

(٧) ط « وإن كان قد »

(٨) م « لا يؤثر به »

(٩) ط « أسرت قلبه الحرقة للفراق »

(١٠) الزيادة من ط

قبح أيضاً أن يكون فعلاً للحرقه ؛ لأن الفرقه هي التي جلبت الحرقه ،
فشأنها كشأنها .

• • •

٢٤- ومن خطائه قوله :

مَا لِأَمْرِي خَاضَ فِي بَحْرِ الْهَوَى عُمُرُ
إِلَّا وَلِلْبَيْنِ فِيهِ السَّهْلُ وَالْجَلْدُ^(١)

وهذا عندي خطأ إن كان أراد بالعمر مدة الحياة ؛ لأنه اسم واحد للمدة
بأسرها ؛ فهو لا يتبعص^(٢) فيقال : لكل جزء منه عمر ، فكما لا يقال :
ما لزيد رأس إلا وفيه شجة أو ضربة ، وما له لسان إلا وهو ذرب [أو فصيح]^(٣) ،
فكذلك لا يقال : ما له عمر إلا وهو قصير ، وإنما يسوغ هذا فيما فوق الواحد ،
مثل أن تقول : ما له ضلع إلا مكسورة ، وما له يد إلا وفيها أثر ، ولا رجل
إلا وبها حنق . وليس قولهم : « ما له عيش إلا مُنْغَص ولا حياة إلا كَدْرَة »^(٤)
مثل قولك : ما له عمر إلا قصير ، ولو قلته ؛ لأن عيش الإنسان ليس هو^(٥)
مدة حياته بأسرها ؛ لأنك قد تقول : كان عيشي بالعراق طيباً ، وكانت
حياتي بمصر^(٦) للذيدة ، وكان عيشي بالحجاز أطيب من عيشي باليمن .

(١) ديوانه ٩٧ وفي شرح التبريزي ١١/٢ « يقول : ما هو أحد إلا وقد جعل البين والفراق
عمره بين الشدة واللين ، فيكون تارة مسروراً ، وأخرى مفتماً » والماء في منه تمود على عمر . والجلد :
الأرض الصلبة »

(٢) م « لا يتقص »

(٣) الزيادة من ط

(٤) م « إلا قدرة »

(٥) ط « ليس له »

(٦) ط « بمكة »

ولا تقول : كان عمري ؛ لأن العمر هو المدة بأسرها ، والعيش والحياة ليسا ^(١) كذلك ؛ لأنهما يتبعضان ^(٢) .

فإن قيل : فأنت [قد] تقول : ما لزيد رأس حسن ، ولا أنف أشم ، ولا لسان ذرب .

قيل : إنما صلح ^(٣) هذا من أجل النقي ؛ لأنك إنما تريد ليس له رأس من الرؤوس الحسنة ، ولا لسان من الألسن الذرية ؛ وإذا دخلت «إلا» ههنا فقد جعلت المنفى موجباً وحقيقة ، وإذا قلت «ليس لزيد رأس إلا حسن» فقد أوجبت له عدة رؤوس ، وهذا خطأ ، وكذلك سبيل العمر .

وإن كان أراد بالعمر منزلة الذي يتوطنه ويعمره ^(٤) ، فذلك هو المعمر ، وما علمت أحداً ^(٥) سماه عمراً إلا أن يكون دِير النصارى [فإنهم] ^(٦) يسمونه عمرا ، وما كان يمنعه أن يقول «وطن» مكان عمر ؛ لأن لفظهما ومعناها واحد ، وقد يكون للإنسان عدة أوطان يُوطنُها ^(٧) .

وقد ذكر العمر في موضع آخر من شعره وهو يريد مدة الحياة ؛ فقال :
إذا مَارِقَ بِالْغَارِ جَاوَرَ عُمَرَهُ فَذَاكَ حَرِيٌّ أَنْ تَتَّيْمَ حَلَالِيْلُهُ ^(٨)
أراد أنه إن جاور عمره - أي قارنه ^(٩) - بالغدر فقد عرضه للزوال والنفاد ،

(١) م «ليست»

(٢) م «يتتبعضان»

(٣) ط «قيل يصلح»

(٤) م «ويعمر» ، ك «يطونه ويعمره»

(٥) ط «أن أحداً»

(٦) الزيادة من ط

(٧) ط «توطنها»

(٨) م «جاوز» وديوانه ٢٣١ «حاول غدره»

(٩) ط «قاربه»

وهذا من عَوِيص ألفاظه ، وما أراد بالبيت^(١) إلا مدة الحياة أيضاً ؛ لأن ما قَبِل البيت وما بعده عليه يدل .

• • •

٢٥ - وقال في علي بن الجهم :

هِيَ فُرْقَةٌ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ مَاجِدٍ لَغَدًا إِذَا بَةُ كُلُّ دَمْعٍ جَامِدٍ^(٢)
فَافْزَعْ إِلَى ذُخْرِ الشُّؤُونِ وَعَذْبِهِ فَالِدَمْعُ يَذْهَبُ بَعْضُ جَهْدِ الْجَاهِدِ^(٣)
وَلِذَا فَقَدْتَ أَخَا وَلَمْ تَفْقِدْ لَهُ دَمْعًا وَلَا صَبْرًا ، فَلَسْتَ بِفَاقِدٍ

قوله « يذهب بعض جهد الجاهد » أى : بعض جهد الحزن الجاهد ، أى : الحزن الذى جَهِدَكَ فهو الجاهد لك ، ولو كان استقام له [أن يقول]^(٤) « بعض جهد المجهود » لكان أحسن وأليق ، وهذا أغرب وأظرف ، وقد جاء أيضاً فاعل بمعنى مفعول ؛ قالوا « عَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ » بمعنى مَرْضِيَّةٌ ، و « ملح باصر » وإنما هو مُبَصَّر فيه ، وأشبه لهذا [كثيرة]^(٥) معروفة ، ولكن ليس فى كل شيء^(٦) يقال ، وإنما ينبغى أن ينتهى فى اللغة إلى حيث انتهوا ولا يتعدى^(٧) إلى غيره ؛ فإن اللغة لا يقاس عليها .

وقوله « فلم تفقد له دمعاً ولا صبراً » من أفحش الخطأ ؛ لأن الصابر لا يكون باكياً ، والباكى لا يكون صابراً ؛ فقد نَسَقَ بلفظة على لفظة وهما

(١) ك ، ط . باليت الأول .

(٢) ديوانه ٨٦ وشرح التبريزى ٤٠٦/١

(٣) شرح التبريزى ٤٠٦/١ والديوان ٨٦ . ويروى : « وعونه » ، « وغربه » ، وهى التى وقعت فى أصول ط وقال عنها فاشرها الشيخ محى الدين : « فى الأصول : وغربة وهو تحريف شنيع » !

(٤) زيادة من ك

(٥) من ط

(٦) ط « فى كل حال »

(٧) م « ولا يتعداه »

نعتان متضادان^(١) ، ومعناه أنك إذا فقدت أخاً فأدام البكاء عليك فلست بفاقده . ولم يرد فلست بفاقده شخصه ؛ وإنما أراد لست بفاقده وده ولا أخوته ، أى هو^(٢) محصل لك غير مفقود وإن كان غائباً عنك . وإلى هذا ذهب ، إلا أنه أفسده بذكر الصبر مع البكاء ، وذلك خطأ ظاهر .

ولو كان قال « فلم تفقد له دمعاً ولا جزءاً » أو « دمعاً ولا شوقاً [أو دمعاً] ولا قلقاً » لكان المعنى مستقيماً . وظننته قد^(٣) قال نحو^(٤) هذا وأن غلطاً وقع فى كتب البيت عند النقل ؛ فرجعت^(٥) إلى أصل « أبى سعيد السكرى » وغيره من الأصول القديمة ، فلم أجده إلا « دمعاً ولا صبراً » وذلك غفلة منه عجيبة .

وقد لاح لى معنى أظنه - والله أعلم - إياه^(٦) قصد ، وهو أن يكون أراد إذا فقدت أخاً فلم تفقد له دمعاً - أى فواصل^(٧) البكاء عليه - فلست بفاقده ، على ما [قدمت] ذكره : أى قد^(٨) حصل لك وصار ذخراً من ذخائرك ، وإن غاب عنك أو غيبت^(٩) عنه ، وإن لم تفقد له صبراً - أى وإن صبر عنك - فلست [أيضاً] بفاقده : لأنه إن صبرك^(١٠) وسلاك

(١) ك ، ط « متضادان ولا يجوز أن يكونا مجمعين »

(٢) ط « وهو »

(٣) من ك

(٤) ط « غير هذا . . . فى كتابه » وفى م « أو غلطاً »

(٥) ط « حتى رجعت »

(٦) ط « إليه »

(٧) ط « أى يواصل »

(٨) ط « فقد »

(٩) ط « وغيب »

(١٠) من ك

فليس ذاك بَأَخٍ تُعَوِّلُ^(١) عليه ، فلست أيضاً بفاقده : لأنك لا تعتدُّ به موجوداً ولا مفقوداً .

ولكن ذهب على أبي تمام أن هذا غير جائز ؛ لأنه وصف رجلاً واحداً بالوصفين جميعاً ، وهما متضادان . ولو كان جعلهما وصفين لرجلين ، فقال :

وإذا فَقَدْتَ أَخاً لِفَقْدِكَ بِأَكْباً أَوْ صَابِراً جَلْدًا فَلَسْتَ بِفَاقِدٍ
أى : لست بفاقد هذا لأنه محصل لك ، أو لست بفاقد هذا^(٢) لأنه غير^(٣) ناس مودَّتكَ - لكان^(٤) المعنى سائغاً حسناً واضحاً . أو لو جعله شخصاً واحداً وجعل له أحد الوصفين ، فقال :

وإذا فَقَدْتَ أَخاً فَأَسْبَلَ دَمْعُهُ أَوْ ظَلَّ مُضْطَرِيراً فَلَسْتَ بِفَاقِدٍ
لكان أيضاً سائغاً على هذا المذهب .

أو [لو] كان استوى له في ذلك اللفظ بعينه أن يقول « فلم تفقد له دمعاً أو صبراً » حتى لا يجعل له إلا أحدهما - لساغ ذلك ، لكنه نَسَقَ بالصبر على الدمع فجعلهما جميعاً له ، ففسد المعنى . وهذا^(٥) وأشباهه الذى قاله الشيوخ فيه : إنه يريد البديع ، فيخرج إلى المحال .

• • •

(١) ط « يعول »

(٢) م « هذه »

(٣) ليست فيك

(٤) م « فكان »

(٥) ط « فهذا »

٢٦- وقال أبو تمام :

لَمَّا اسْتَحَرَّ الْوَدَاعُ الْمَخْضُ وَأَنْصَرَمَتْ أَوَاخِرُ الصَّبْرِ إِلَّا كَاظِمًا وَجَمًا^(١)
رَأَيْتُ أَحْسَنَ مَرْنِي وَأَقْبَحَهُ مُسْتَجْمِعِينَ لِي التَّوْدِيْعَ وَالْعَنَمَا
الغنم : شجر له أغصان [لطيفة غضة كأنها بنان جارية ، الواحدة
عَنَمَة] ^(٢). كأنه استحسّن أصابعها^(٣) واستقبح إشارتها إليه بالوداع ، وهذا
خطأ في [هذا] المعنى . أترأه ما سمع قول جرير :

أَتَنْسَى إِذْ تُوَدِّعُنَا سُلَيْمَى بِفِرْعَ بَشَامَةٍ ؟ سَقَى الْبَشَامُ^(٤)
فدعا للبشام بالسُّقْيَا ، لأنها ودّعته به فسرّ بتوديعها .

وأبو تمام استحسّن إصبعها ، واستقبح إشارتها [مودعة] . ولعمري إن
منظر الفراق منظر قبيح ، ولكن إشارة المحبوبة بالتوديع^(٥) لا يستقبحها
إلا أجهل الناس بالحب ، وأقلهم معرفة بالغزل^(٦) ، وأغلظهم طبعاً ،
وأبعدهم فهماً .

• • •

٢٧- وقال [وهو من خطائه] ^(٧) :

فَلَوَيْتَ بِالْمَوْعِدِ أَغْنَاكَ الْوَرَى وَحَطَّمْتَ بِالْإِنْجَازِ ظَهَرَ الْمَوْعِدِ^(٨)

(١) ديوانه ٣٠٢ وشرح التبريزي ١٦٧/٣ وقد ذكر الشريف المرتضى أن أبا العباس بن عمار
عابها على أبي تمام ونقل قوله ثم كر عليه بالنقد العنيف . راجع أمالي المرتضى ٢٥٤/٢ - ٢٥٧

(٢) زيادة من ط

(٣) ط « أصبعها »

(٤) ديوانه ٥١٢ وأمالي المرتضى ٥٤١/١ ، ٢٥٦/٢ والصنايعين ٣٩٢ والبيدع ١٠٧
والعمدة ٤٤/٢ وإعجاز القرآن ١٤٩ وفي اللسان ١٤ / ٣١٧ « البشام : شجر واحدته بشامة .
يعني أنها أشارت بسواكها فكان ذلك وداعها ولم تتكلم خيفة الرقيب »

(٥) ك ، ط « بالوداع لا يستقبحه »

(٦) م « بالقليل » ،

(٧) من ك

(٨) شرح التبريزي ٥٣/٢ وفي الديوان ١١٣ « بالمعروف أغناك المنى » وظن الشيخ =

حَطَمَ ظهر الموعدِ بالإنجاز استعارةً قبيحةً جداً ، والمعنى أيضاً في غابة الرذالة ؛ لأنَّ إنجاز الوعد هو تصحيحه وتحقيقه ، وبذلك جرت العادة أن يقال : قد صَحَّ وعدُ فلانٍ ، وتحقَّق ما قال ؛ وذلك إذا أنجزه . فجعل أبو تمام في موضع صحة الوعد حَطَمَ ظهره ، وهذا إنمَّا يكون إذا أخلف الوعد وكذب ، [ألاً] ^(١) تراهم يقولون : قد مَرَضَ فلانٌ وعَدَه ، وعَلَّله ، ووَعَدَ ^(٢) وَعَدًا مريضاً ؛ فإذا أخلف وعده فقد أَمَاتَه ، والإخلاف هو الذى يَحْطُم ظهرَ الموعد ، لا الإنجاز . ولا خفاءً بفساد ما ذهب إليه ، وكان ^(٣) ينبغى أن يقول : وحطمت بالإنجاز ظهر المال ^(٤) ، لأنَّ الموعد حينئذ كان يصح ويسلم ، ويتلف المالُ .

• • •

٢٨ - وقال :

إذا وَعَدَ انْهَلَتْ يَدَاهُ فَأَهْدَتَا لَكَ النُّجْجَ مَحْمُولًا عَلَى كَاهِلِ الْوَعْدِ ^(٥)
 كاهلُ الوعد إذا حَمَلَ النُّجْجَ فمن ^(٦) سبيله أن يكون صحيحاً مسلماً ،
 لا أن يكون محطوماً ^(٧) كما قال في البيت الأول ؛ فهذه استعارة صحيحة في ^(٨)
 هذا البيت ، وإن كان « كاهل الوعد » قبيحاً .

• • •

« بحى الدين » أنها الصواب فقال : « وقع في الأصول : أعناق الورى وتصويبه الذى ذكرناه عن الديوان »
 ولم يرد في شرح التبريزى غير تلك الرواية المزعومة غلطها « يريد أنك عطفت أعناق الناس إليك
 بما وعدتهم من الإحسان ، ثم عجلت الإنجاز وأزلت الموعد »

(١) زيادة في ط

(٢) م « ووعدت »

(٣) م « وكان بمعنى »

(٤) ط « المال لا الموعد وحينئذ فالموعد كان »

(٥) ديوانه ١٢٨ وشرح التبريزى ١١٣/٢

(٦) ط « من »

(٧) م « بما »

(٨) ط « حل »

٢٩ - ومثلُ هذا البيت الأول في الفساد أو قريب منه ، قوله :
 إِذَا مَارَحَنِي دَارَتِ أَدْرَتِ سَمَاحَةً رَحَى كُلُّ إِنْجَازٍ عَلَى كُلِّ مَوْعِدٍ^(١)
 وهذا إتلافُ الموعد وإبطاله ؛ لأنه جعله مطحوناً بالرحى ؛ وإنما ذهب إلى
 أن الإنجاز إذا وقع بطل الوعد . وليس الأمر كذلك ؛ لأن الوعد ليس
 بضد للإنجاز ؛ فإذا صحَّ هذا بطل ذاك ، بل الوعدُ الصادقُ طرفٌ [من]^(٢)
 الإنجاز ، وسبب من أسبابه : فإذا وقع الإنجاز فهو تمام الوعد ، وتصحيح
 له وتحقيق وتصديق ، فهو في هذه الاستعارة غالط . والمعنى الصحيح قوله :
 أَبْلَهُهُمْ رِيقاً وَكَفّاً لِسَانِي وَأَنْضَرَهُمْ وَعْداً إِذَا صَوَّحَ الْوَعْدُ^(٣)
 فتصويح^(٤) الوعد هو أن يُخلفه الواعد فيبطل ، ولا يصح ؛ لأنه من
 صَوَّحَ النبت : إذا جف . ومثله في الصحة قوله :

تَزَكُّو مَوَاعِدُهُ إِذَا وَعَدُ أَمْرِي أَنْسَاكَ أَحْلَامَ الْكَرَى الْأَضْغَاثِ^(٥)
 فهذا هو المعنى الصحيح : أن يكون الوعد يزكو ، لا أن يبطل ويذهب .
 والله در [أبي سحق]^(٦) إبراهيم بن هرمة إذ يقول :
 يَسْبِقُ بِالْفِعْلِ ظَنُّ مَائِلِهِ وَيَقْتُلُ الرِّيثَ عِنْدَهُ الْعَجَلُ^(٧)

(١) ديوانه ١٠٤ وشرح التبريزي ٣١/٢ « أي كأنك تطحن برحى الإنجاز المواعيد » .

(٢) زيادة من ط .

(٣) ديوانه ١٢٢ وفي شرح التبريزي ٩١/٢ « صوح : أي يبس ولم يكن له منفعة ، أخذ من تصويح الروض وهو يبسه والتوازه . يحتمل أن يكون أراد أنه إذا سأله السائل لم يحمله البخل على أن يعيا بالجواب ، فعل من يحصرو ويبس ريقه في فة » . وفي م « أبلهم ربعا » .

(٤) م « فتصريح »

(٥) ديوانه ٦٥ وفي شرح التبريزي ٣٢٢/١ « أضغاث الأحلام : هو المختلط منها المشبه ، وأصله من الضفت وهو أن يقبض الرجل ملء كفه من النبت فيكون منه ضروب مختلفة . والمعنى : وعد هذا المخلف يزيد على أضغاث الأحلام في البطلان والإلقاء » .

وفي طبعه الجواب « إذا وعد امرء » وجعلها الشيخ « بحى الدين » « إذا وعد امرأ » والبيت على هذا التفسير يقلب المعنى من المدح إلى القبح !! !

(٦) زيادة من ط وهي كنيته كما في الأغاني ١٠٩/٤ .

(٧) م « ويقبل » وهو تحريف .

فهذه الاستعارة الصحيحة أن يَقْتَلَ العَجَلُ الإِبْطَاءَ ، لا أن يقتل الإنجاز الوَعْدَ . فأما قوله :

نَوْمُ أبا الحُسَيْنِ ، وكانَ قَدْماً فَنَيَّ أَعْمَارُ مَوْعِدِهِ قِصَارُ^(١)
وقولُ البَحْثَرى :

وجعلتُ فِعْلَكَ تِلْوًا قَوْلِكَ قاصراً عُمَرَ العُلُوِّ بِهِ وَعُمَرَ المَوْعِدِ^(٢)
فإن عمر الموعد مدةً وقته ، فإذا أنجز صار مالا ؛ فنفاذ وقته ليس بمبطل له ، بل ذلك نقله من حال إلى حال أخرى .

ألا ترى إلى البَحْثَرى كيف كشف عن هذا المعنى ، وجاء بالأمر من فَصَّه ؟ فقال :

يُوليكَ صدرَ اليومِ قاصِيَةَ الغنى بمَوَاهِبٍ قدْ كُنَّ أَمْسَ مَواعِدًا^(٣)
فبطلانُ الموعدِ هو بطلانُ الشيء [الذى الموعدُ واقعٌ به ، وصحته هو صحة ذلك الشيء] ^(٤) ثم أتبع البَحْثَرى هذا البيت بأن قال :

سَوِّمُ السَّحَابِ ما بَدَأَ بَوَارِقًا فى عارضٍ إلَّا أَتْنَيْنِ رَواعِدًا^(٥)
[العارض : السحاب] . فجعل البوارق مثالا للمواعيد ، وجعل الرواعد [التي] هى البوارق على الحقيقة وحالهما واحدة ، مثالا للغيث [الذى هو العطايا] ^(٦) ؛ فالرواعد ليست بمبطلّة للبوارق : بل هى [هى] ؛ لأن تلك نور يحدثه ازدحام [السحاب ، والرعد صوت ذلك الازدحام] ، فالبرق يرى أولاً ، والرعد يسمع آخرًا ، [وهو هو] وذلك لأنَّ^(٧) العين أسبق

(١) ديوان أبى تمام ١٤١ وشرح التبريزى ١٥٦/٢ ونزوم : نقصد ، وأبو الحسين : محمد ابن الميثم

(٢) ديوانه ٤٦١

(٣) ديوانه ٦٤٧ « بعوائد قد » ، ٢ / ٨٢٣ المعارف

(٤) زيادة من ط

(٥) ط « شيم » والديوان « إلّاثنين »

(٦) زيادة من ط (٧) ط « أن »

إلى الإبصار من الأذن إلى الاستماع^(١) ؛ لأن العين ترى الشيء في موضعه ، والأذن لا تسمع الصوت إلا إذا وصل إليها ، فشبهها [البحرى] بالمواعيد التى تحول مواهب^(٢) ، وهذا أحسن ما يكون من التمثيل وأصح ، وإنما أقام الرواعد مقام المواهب لأنه قد يكون برق ولا مطر معه^(٣) [دائماً] ، ولا يكاد يكون رعداً إلا ومعه مطر ؛ ثم إن التشبيه صح بأن صار الرعد بعد البرق .

وما أحسن ما قال خلف بن خليفة الأقطع :

مواعدُهم فعلٌ إذا ما تكلموا بتلك التى إن سُميتْ وجبَ الفعلُ^(٤)

يعنى قول « نعم » . فجعل الوعد هو الفعل نفسه ، لصحته وصلقه .

وقد مثل البحرى أيضاً الموعد وكيف تحول عطاء ، تمثيلاً آخر حسناً ،

فقال :

وشكرتُ منك مواهباً مشكورةً لو سرنَ فى فلكٍ لَكُنْ نجوماً^(٥)

ومواعداً لو كُنْ شيئاً ظاهراً تُفضى إليه العينُ كُنْ غيوماً

وذلك لأن الغيم يصير مطراً ، كما أن الموعد يصير عطاء .

فأبو تمام - فيما يذهب إليه - غلط ؛ لأنه وضع الاستعارة^(٦) فى غير

موضعها .

• • •

(١) ط « للاستماع »

(٢) ط « بالمواعد التى تجر المواهب »

(٣) ط « فيه »

(٤) حماسة أبى تمام بشرح المرزوق ١٧٧٤/٤ وفى ط : « فلك »

(٥) ديوانه ٨٨ ، ١٩٦٨/٣ « مواهباً مشهورة » وفى م « لو سرت »

(٦) ط « الاستعارات »

٣٠- ومن خطائه قوله :

فَلَوْ ذَهَبَتْ سِنَاتُ الدَّهْرِ عَنْهُ وَأَلْقَى عَنْ مَنَاكِبِهِ الدُّثَارُ^(١)
لَعَدَلَ قِسْمَةَ الْأَرْزَاقِ فِينَا وَلَكِنْ دَهَرْنَا هَذَا حِمَارُ

قوله « وألقى عن مناكبه الدثار » لفظ ردى ، وليس من المعنى الذى قصده فى شيء ، وصدر البيت لائق بالمعنى ، فلو كان أتبعه بما يكون [مثله]^(٢) فى معناه بأن يقول : فلو ذهبَت سناتُ الدهر عنه واستيقظ . من رقدته أو انتبه من نومه^(٣) أو أنكشف الغطاء عن وجهه ؛ لكان المعنى يمضى^(٤) مستقيماً ؛ لأن مَنْ كان ذا سِنَةٍ أو نَوْمٍ أو مَغْطَى عن وجهه أو عينيه ، فإنه [لا يبصر الرشود]^(٥) لا يكاد يهتدى لصواب . وإنما هذه كلها استعارات ، والمراد بها هداية القلب وإبصاره وفهمه ، وقد جرت العادة باستعارتها فى هذا المعنى .

فأما دِثَارُ المناكب فليس من هذا الباب فى شيء ؛ إذ قد يُبْصِر الإنسان رُشْدَهُ ويهتدى لصواب أمره وعلى مناكبه دِثَارٌ وعلى ظهره أيضاً حِمْلٌ ، ولا يكون ذلك مع النوم والرقاد والغطاء على العين : لأنه إنما يراد [به] نوم القلب والتغطية عليه ؛ لأن الإنسان إنما يقال له « قد عمى قلبك » و « قد عميت عن الصواب عينك » و « قد غطى على فهمك » ؛ ولا يقال : قد غُطيت بالدثار عن الصواب مناكبك ولا ظهرك . ولفظة الدثار أيضاً إنما

(١) ديوانه ١٤١ وشرح التبريزى ١٥٤/٢ « استعار السنات لدهر ، وهو جمع سنة ، والسنة : النعاس . والدثار ما تكثر به الإنسان فوق شامره ، وذكره ههنا لأن السنة تؤدي إلى النوم ، والنائم من شأنه أن يتدثر »

(٢) زيادة من ط

(٣) ط « لاستيقظ . . . وانتبه من نومه وانكشف »

(٤) ط « المعنى معنى مستقيماً »

(٥) زيادة من ط

تستعمل لمنع الهواء والبرد ، لا لمنع الفهم والرشد ^(١) .

٣١- ومن خطائه قوله :

وَأَرَى الْأُمُورَ الْمُشْكَلَاتِ تَمَزَّقَتْ ظُلُمَاتُهَا عَنْ رَأْيِكَ الْمُتَوَقِّدِ ^(٢)
عَنْ مِثْلِ نَضْلِ السَّيْفِ إِلَّا أَنَّهُ مَذْ سُلَّ أَوَّلَ سَلَّةٍ لَمْ يُغْمِدِ
فَبَسَطَتْ أَزْهَرَهَا بِوَجْهِ أَزْهَرٍ وَقَبَضَتْ أَرْبَدَهَا بِوَجْهِ أَرْبَدٍ

فقال « الأمور المشكلات » وجعل لها ظلمات ، فكيف يقول : فبسطت
أزهرها ، والزهر هو النيرة ^(٣) ، والمشكلات لا يكون منها شيء نير ! [وكانه] ^(٤)
يريد أن الأمور المشكلات ^(٥) منها جيد قد أشكل الطريق إليه ، ومنها ردىء
قد جهلت أيضاً حاله : فهي كلها مظلمة ، فيمزق ^(٦) ظلماتها برأيه ، ويكشف
عن الجيد منها ويبسطه ^(٧) ، أى يستعمله ، ويكشف عن رديئها ويقبضه
أى يكفه ويطره . ولكن ما كان ^(٨) ينبغى له أن يقول : « بوجه أزهر »
و « بوجه أربد » ؛ لأنه لا صنْع للوجه ههنا ولا تأثير ؛ لأن الصنع إنما هو
للرأى وللعقل ^(٩) : فإذا رأى ذو الرأى استنارت به ^(١٠) الأشياء المظلمة ،

(١) قال ابن المستوفى - كما في هامش شرح التبريزي « هذا الذى أنكره الآملى غير منكر ؛ لأن
النائم غالباً يتدثر بالدثار ، ألا ترى إلى قول الله تعالى : « يا أيها المدثر » وكذلك قوله تعالى « يا أيها
المرسل » فشأن البيت متعلق بأوله تعلقاً صحيحاً ، ويريد بالسنان حقيقة النوم »

(٢) ديوانه ١١٣ وشرح التبريزي ٥٢/٢

(٣) ط « التيرات . . . لا يكون شيء منها نيراً »

(٤) زيادة من ط

(٥) ط « المشكلة »

(٦) م « تمزق »

(٧) م « ويبسطه »

(٨) م « ولكن ما ينبغى أن »

(٩) م « للرأى من العقل »

(١٠) ط « استبان منه »

وانفتحت المُغَلَقَةُ ؛ أو رأى أن يُغلق أمراً مفتوحاً إذا كان الصواب موجِباً ذلك عنده ؛ فالرأى على الأحوال كلها [أزهر]^(١) مُسْفَر ، والوجه على الأحوال كلها أبيض ، وإن لم يك^(٢) أبيض في لونه . والعاجز إذا ورد عليه الأمر يَبْهَظُهُ تَبِين^(٣) الكتابة في وجهه ؛ ولله در منصور النمرى حيث يقول :
يُرَى مَسَاكِينَ الْأَوْصَالِ بِاسْطَ وَجْهِهِ يُرِيكَ الْهُوَيْنَا وَالْأُمُورُ نَطِيرُ^(٤)
فقال : « ساكن الأوصال باسط وجهه » فدلّ على قلة اكترائه بالأمور التي تَرِدُ عليه ، وقول أبي تمام : « بوجه أَرِيدَ » لا معنى له ؛ لأنّه من صفة^(٥) الغضبان أو المكتئب من أمر ورد عليه ، وهو عندي في ذلك غلط ، وفي ذلك مسي .

• • •

٣٢- ومن خطائه قوله [يذكر سير الإبل]^(٦)
كَالْأَرْحَبِيِّ الْمَذْكُورِ سَيْرُهُ الْمَرْطَى وَالْوَحْدُ وَالْمَلْعُ وَالْتَقْرِيبُ وَالْخَبَبُ^(٧)
فالأَرْحَبِيُّ من الإبل : منسوب إلى أَرْحَب^(٨) ، حَيٌّ من هَمْدان تنسب إليهم النجائب .

(١) زيادة من ط

(٢) ط « وليس يريد أبيض »

(٣) ط « تبين »

(٤) ط « قرى »

(٥) ط « من صفات »

(٦) من ك

(٧) ديوانه ٤٨ وفي شرح التبريزي ٢٥٢/١ « كان بعض الناس يقول لأبي تمام : أنا استحسن قول امرئ القيس :

وتعرف فيه من أبيه شائلا ومن خاله ومن يزيد ومن حجر

سباحة ذا وجود ذا وفاء ذا وفائل ذا إذا صحا وإذا سكر

فذكر أربعة ورد عليها أربعة أصناف . فلقبه أبو تمام بعد مدة فقال له : أنشدتني بيتي امرئ القيس وتستحسن ذكره لأربعة ورد عليهم أربعة أصناف ، وقد ذكرت خمسة وردت عليهم خمسة أصناف ، وأنشده البيهقي « يريد هذا والذي قبله وهو :

وزير حق ووالى شرطة ورجا ديوان ملك وشيبي ومحتجب

(٨) م « إل رحب »

والمذكي : الذي قد انتهى في سنه وقوته .
 والمرطى من عذو الخيل : فوق التقريب ودون الإهذاب^(١) .
 والوخذ : الاهتزاز في السير مثل وخذ النعام .
 والملع من سير الإبل : السريع .
 والتقريب من عذو الخيل معروف . والخبب : دونه .
 وليس التقريب من عذو الإبل ، وهو في هذا الوصف مخطئ ، وقد
 يكون التقريب لأجناس من الحيوان ، ولا يكون للإبل ، فإننا ما رأينا
 [قط.]^(٢) يقرب تقريبا الفرس .
 والمرطى أيضاً : من عذو الخيل ، ولم أره في أوصاف [سير] الإبل ولا
 عدوها^(٣) .

• • •

٣٣- ومن خطائه قوله :

وَمَشْهَدٌ بَيْنَ حُكْمِ الذَّلِّ مُنْقَطِعٌ صَالِيهِ ، أَوْ بِحِبَالِ الْمَوْتِ مُتَّصِلٌ^(١)
 جَلِيَّتْ وَالْمَوْتُ مُبْدٍ حُرٌّ صَفْحَتِهِ وَقَدْ تَفَرَّعْنَ فِي أَفْعَالِهِ الْأَجَلُ
 فقوله : « بين حكم الذل » لو كان حكم الذل أشياء متفرقة لصلحت^(٢)
 فيها « بين » غير أن حكم الذل والذل بمنزلة واحدة ، وكذلك [حكم]^(٣) العز
 والعز ، فكما لا يقال بين العز فكذلك لا يقال بين حكم العز حتى يقال^(٤)
 هذا ؛ لأن « بين » إنما هي وسط بين شيئين .

(١) السان ٢٧٨/٩ وفي م « ودون الإهذاب »

(٢) زيادة من ط

(٣) ط « ولا سيرها »

(٤) ديوانه ٢٢٨

(٥) ط « لصحت »

(٦) زيادة من ط

(٧) م « يقال : وكذا لأن »

فإن قال : إن حكم الذل مشتمل على مشهد الحرب وَمَنْ يَصِلُ بِهَا^(١) ؛ فكأنه ذهب بقوله « بين » إلى معنى وسط . أى ومشهد وسط . حكم الذل .
 قيل : وسط لا يحل محل بَيْن ، وبين لا يحل محل وسط ؛ لأنك تقول : البشر وسط . الدار ، ولا تقول : البشر بين الدار ، وتقول : المال بيننا نصفين ، ولا تقول : المال وسطنا . والمعنى الذى بنى أبو تمام البيت عليه سياقة^(٢) لفظه أن يقول : ومشهد بين حكم الذل وحكم العز ، أو^(٣) ومشهد بين الذل والعز ، محجّم من يصلاه - وهو الدليل - أو مُقدم - وهو العزيز - جلّيته وكشفته . [وهو] يعنى المدحوح ؛ فحذف أحد القسمين الذى لا يصلح « بين » إلا به مع القسم الآخر ، وجعل قوله « منقطع » فى موضع مُحجّم ، و « متصل » فى موضع مُقدم . [وليس هذا من مواضع متصل ولا منقطع]^(٤) وقد أغراه الله بوضع الألفاظ . فى غير موضعها^(٥) من أجل الطَّباق والتجنيس اللذين بهما فسد شعره وشعر كل من اقتدى به . وقوله « وقد تفرعن فى أفعاله الأجل » معنى فى غاية الركافة والسخافة ، وهو من ألفاظ العامة ، وما زال الناس يعيبونه به ، ويقولون : اشتقّ للأجل الذى هو مُطِلٌّ على كل النفوس فعلاً من اسم فِرْعَوْنَ ، وقد آتى الأجل على نفس فِرْعَوْنَ وعلى نفس كل فرعون كان فى الدنيا .

• • •

(١) ط « يصلها »

(٢) ك « فسياقة »

(٣) ط « ي »

(٤) زيادة من ط

(٥) ط « مواضعها »

٣٤ - ومن خطائه قوله :

سَعَى فَاسْتَنْزَلَ الشَّرْفَ اقْتِسَارًا وَلَوْلَا السَّعَى لَمْ تَكُنِ الْمَسَاعِي^(١)
 قوله «سعى فاستنزل الشرف اقتساراً» ليس بالمعنى الجيد ، بل هو عندى
 هجاء مصرح ؛ لأنه^(٢) إذا استنزل الشرف فقد صار غير شريف^(٣) ، وذلك
 أنك إذا دَمَمْتَ رجلاً شريفاً شريف^(٤) الآباء ، كان أبلغ ما تدممه به أن
 تقول : قد حَطَطْتُ شرفك ، ووضعت من شرفك .
 وقد وكَّده بقوله : «اقتساراً» .

وقوله : «ولولا السعى لم تكن المساعي» فبئس السعى والله سعى ؛ لأن
 الشرف^(٥) لا يُحَطُّ إلا بالألم ما يكون من الأفعال ، وكأنه إنما أراد سعى
 نحو^(٦) الشرف بنفسه فافسد المعنى بذكر استنزاله لإياه ، [كانه]^(٧) لو لم
 يستنزله ما كان يكون حاوياً [له]^(٨) ، فهلا قال : تَرَقَّى إلى الشرف الأعلى
 فحواه ، أو بلغ النجم ، أو علا على الشمس . كما قال الآخر :
 لَوْ كَانَ يَقَعْدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ بِسُودْدِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا^(٩)

٣٥ - ومن خطائه قوله :

يَقِظُ وَهُوَ أَكْثَرُ النَّاسِ إِغْضَا ۚ عَلَى نَائِلٍ لَهُ مَشْرُوقٍ^(١)

(١) ديوانه ١٩٤ وشرح التبريزي ٢٣٩/٢ وبيروى : «اقتداراً»

(٢) م «لأنه ليس إذا»

(٣) م «شريف . . . ذلك أنه»

(٤) م «رجلاً بشريف الآباء»

(٥) م «الشرف بنفسه فاسد المعنى إلا بالألم»

(٦) ط «سعى فحوى الشرف نفسه»

(٧) زيادة من ط

(٨) سبق في ص ١٥٣

(٩) ديوانه ٢٢٠ وشرح التبريزي ٤٤٥/٢

قوله « على نائل له مسروق » خطأ ؛ لأن نائله هو ما يُنيله ، فكيف يكون مسروقاً منه ؟ وهل يكون الهجو إلا هكذا : أن يجعل نائله مأخوذاً منه على سبيل السرقة ، وإنما اعتمد المطابقة لما وصفه بالتيقظ. جعله ممن يسرق منه ؛ إذ كان من شأن التيقظ. أن لا يغفل حتى يستتم^(١) عليه السرقة ، وقد كان يصح هذا المعنى لو قال : على مال له مسروق ، حتى يكون يعطى ماله اختياراً لجوده ، [وَيُعْضَى إِذَا سُرِقَ مِنْهُ لِكْرَمِهِ] ^(٢).

• • •

٣٦- ومن خطائه قوله :

لَوْ يَعْلَمَ الْعَافُونَ كَمْ لَكَ فِي النَّدَى مِنْ لَذَّةٍ وَقَرِيحَةٍ لَمْ تُحْمَدِ^(٣)
ويروى « من لذة أو قرحة »^(٤) أى : من لذة وافتراج ، أى ابتداء واستخراج ، وهذا عندى غلط. : لأن هذا الوصف الذى وصفه به^(٥) داعية إلى^(٦) أن يتناهى الحامد له فى الحمد ، ويجتهد فى الثناء^(٧) لا أن يدع حمده . وإنما ذهب إلى أن الإنسان إنما يحمّد على الشيء الذى يتكلّفه [ويتجشّمه]^(٨) ويتحمل المشقة فيه ، لا على الشيء الذى له بواعث شهوة له^(٩) من نفسه وشدة صباية إليه ومحبة لفعله ، ومن كان غرامه بالجود هذا الغرام فعلى ذلك يجب أن يحمّد ويمدح .

(١) م « يستمر »

(٢) زيادة من ط

(٣) سبق ص ١٢١ ويرى الصولى أن أبا تمام نقل قول المأمون : « إني لأعشق العفو حتى أظن أني لا أوجر عليه » ويجمله فى الجود

(٤) ط « من لذة ومن قرحة » والزيادة منها

(٥) من ك

(٦) من ك

(٧) ط « فى الثناء بأن لا يدع حمده » وهو تحريف

(٨) زيادة من ط

(٩) من ك

فأما قول البحترى :

وَلَقَدْ أَبَدْتَ الْحَمْدَ حَتَّى لَوْ بَنَتْ كَفَّاكَ مَجْدًا ثَانِيًا لَمْ تُحْمَدِ^(١)

فمذهب صحيح ، يريد أنك قد أفنيت الأوصاف والمحامد ؛ فإن جئت بنوع ومن المكارم تبني به مجداً آخر ، لم يقدر من يحمذك ويثنى عليك على أكثر مما قدم^(٢).

* * *

٣٧ - ومن خطائه قوله :

تَنَاولُ الْقَوْتَ أَيْدَى الْمَوْتِ قَادِرَةً إِذَا تَنَاولَ سَيْفًا مِنْهُمْ بَطْلٌ^(٣)

قوله : « تناول القوت أيدي الموت » عويص من عويصاته ، وهو أيضاً محال . وإنما سمع قول سعد بن مالك^(٤) يقول :

هَيْهَاتَ حَالِ الْمَوْتِ دُوْنَ الْقَوْتِ وَأَنْتَضِيَ السَّلَاحُ^(٥)

والقوت : هو النجاة ، أى : حال الموت دون النجاة ، وهذا صحيح مستقيم ، فقال هو « تناول القوت أيدي الموت » وهذا محال ؛ لأن النجاة لا تتناولها يد الموت ولا تصل إليها ، وإلا لم تكن نجاة .

وهذا من نفعه^(٦) الذى يخرج به إلى الخطأ ، وإنما قصد إلى ازدواج الكلام فى القوت والموت ، ولم يتأمل المعنى .

(١) ديوانه ٤٦١ « فلقد بنيت المجد حتى »

(٢) ط « مما تقدم »

(٣) ديوانه ٢٢٩ وشرح التبريزي ١٨/٣

(٤) قال المؤلف فى المؤلف والمختلف ١٣٥ : « سعد بن مالك بن ضبيعة بن ثعلبة ، أحد سادات بكر بن وائل ورسائها فى الجاهلية »

(٥) له فى حماسة أبى تمام بشرح التبريزي ٧٨/٢ « أراد أن الموت قد حال دون أن يفوت الرجل فيلعب عن هذه الحروب مهزماً ، يريد أنه ليس إلا القتل أو الغلب »

(٦) ط « من تعقيده »

وَالْوَجْهَ الصَّحِيحَ قَوْلُ الْبَحْثِيِّ :

تَتَدَانِي الْأَجَالُ ضَرْبًا وَطَعْنًا حِينَ يَدْنُو فَيَشْهَدُ الْهَيْجَاءُ^(١)

• • •

٣٨- ومن خطائه قوله :

وَاكْتَسَتْ ضُمُّرُ الْجِيَادِ الْمَدَاكِي مِنْ لِبَاسِ الْهَيْجَاءِ دَمًا وَحَمِيمًا^(٢)

فِي مَكْرٍ تَلَوَّكُهَا الْحَرْبُ فِيهِ وَهِيَ مُقَوَّرَةٌ تَلَوَّكُ الشُّكِيمَا^(٣)

وهذا معنى قبيح جداً : أَنْ جَعَلَ الْحَرْبَ تَلَوَّكُ الْخَيْلِ ، مِنْ أَجْلِ قَوْلِهِ « تَلَوَّكُ الشُّكِيمَا » . و « تَلَوَّكُ الشُّكِيمَا » أَيْضاً ههنا خطأ ، لِأَنَّ الْخَيْلَ لَا تَلَوَّكُ الشُّكِيمَ فِي الْمَكْرِ وَحَوْمَةِ الْحَرْبِ ، وَإِنَّمَا تَفْعَلُ ذَلِكَ وَاقِفَةً لَا مَكْرَ لَهَا .

فإن قيل : إِنَّمَا أَرَادَ أَنَّ الْحَرْبَ تَلَوَّكُهَا كَمَا تَلَوَّكُ هِيَ الشُّكِيمَ .

قيل : هذا تشبيه ، وليس في لفظ البيت عليه دليل ، وَالْفَظُّ التَّشْبِيهِ مَعْرُوفَةٌ ، وَإِنَّمَا طَرَحَ أَبَا تَمَامٍ فِي هَذَا قَلَّةُ خَبَرِهِ بِأَمْرِ الْخَيْلِ ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ النَّابِغَةِ :

خَيْلٌ صَيَّامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ الْعَجَاجِ وَخَيْلٌ تَعْلُكُ اللَّجْمَا^(٤)

والصيام ههنا القيام : أَيْ خَيْلٌ وَاقِفَةٌ [مُسْتَغْنَى عَنْهَا لِكثَرَةِ خَيْلِهِمْ فَهِيَ وَاقِفَةٌ]^(٥) وَخَيْلٌ تَحْتَ الْعَجَاجِ فِي الْحَرْبِ ، وَخَيْلٌ تَعْلُكُ اللَّجْمَا قَدْ أُسْرِجَتْ وَأُلْجِمَتْ وَأُعِدَّتْ لِلْحَرْبِ .

(١) ديوانه ٧١٣

(٢) ديوانه ٢٩٣ وشرح التبريزي ٢٢٩/٣ والحميم هنا : العرق

(٣) مقورة : ضامرة

(٤) ديوانه ٩٥ واللسان ٣٥٧/١٢ ، ٢٤٤/١٥ والمعانى الكبير ٩١٥/٢ والبحر

المحيط ٢٦/٢ ومجمع البيان ١/ ٢٧١ ومقاييس اللغة ٣/٢٢٣ وغير منسوبة في الصاحي ٤٦

(٥) زيادة من ط

والشاعر الحصين^(١) كان أحذق من أبي تمام وأعلم بأمر الخيل ، قال :
 وَإِذَا احْتَبَيْ قَرْبُومَهُ بِعَيْنَانِهِ عَلَكَ الشَّكِيمَ إِلَى انْصِرَافِ الزَّائِرِ^(٢)
 وإلا فمتى رأى فرساً يجرى وهو يلوك شكيمه ؟
 فأما قول أنس بن الريان :

أَقُوْدُ الْجِيَادَ إِلَى عَامِرٍ عَوَالِكَ لُجْمٍ تَمُجُّ الدَّمَاءُ^(٣)
 فَإِنِ الْقَوْدُ قَدْ يَكُونُ فِي خِلَالِهِ تَلْبُثٌ^(٤) وَتَوَقُّفٌ تَلُوكُ فِيهِ الْخَيْلُ لَجْمَهَا ،
 وَالْمَكْرُ لَا يَسْتَقِيمُ ذَلِكَ فِيهِ [بحال] .
 فأما قول [أبي] ^(٥) حُرَابَةَ التَّمِيمِ :
 خَاضَ الرَّدَا فِي الْعِدَا قِدْمًا بِمُنْصُلِهِ وَالْخَيْلُ تَعْلُكَ ثِنْيَ الْمَوْتِ بِاللُّجْمِ^(٦)
 فَإِنَّمَا جَعَلَ ثِنْيَ^(٧) الْمَوْتِ مَثَلًا ، وَالثَّنْيُ : حطام النبات اليابس ، ولم يرد
 أَنَّ الْخَيْلَ تَعْلُكَ اللَّجْمِ عَلَى الْحَقِيقَةِ .

• • •

٣٩ - ومن خطائه قوله :

وَالْحَرْبُ تَرَكَّبُ رَأْسَهَا فِي مَشْهَدٍ عُدِلَ السَّفِيهُ بِهِ بِأَلْفِ حَلِيمٍ^(٨)
 فِي سَاعَةٍ لَوْ أَنَّ لِقْمَانًا بِهَا وَهُوَ الْحَكِيمُ لَكَانَ غَيْرَ حَكِيمٍ
 جَشَمَتْ طُيُورُ الْمَوْتِ فِي أَوْكَارِهَا فَتَرَكَّنَ طَيْرَ الْعَقْلِ غَيْرَ جُثُومٍ^(٩)

(١) ط « الحصين » وهو تحريف

(٢) في معاهد التنصيص ١٣٢/٢ ليزيد بن مسلمة

(٣) م « علائك »

(٤) م « تثبت »

(٥) الزيادة من ط وأبو حُرَابَةَ ، هو الوليد بن حنيف ، وقد ترجم له أبو الفرج الأصفهاني في

الأغاني ١٥٢/١٩ - ١٥٦

(٦) ط « قلما عنصله . . . ثن » وهو تحريف

(٧) ط « جعل ثن . . . والثن » وهو تحريف

(٨) ديوانه ٣٠٧ وشرح التبريزي ٦٦/٣

(٩) في ديوانه ٣٠٨ ط « طيور الهلك »

فالببتان الأولان جيدان ، وقوله « جثمت طيور الموت في أوكارها » بيت ردى^(١) القسمة ، ردىء المعنى ؛ لأنه جعل طير الموت في أوكارها جائمةً : أى ساكنة لا ينفرها شيء ، وطير العقل غير جُثومٍ ؛ يعنى أنها نفرت فطارت ، يريد طيران عقولهم من شدة الرُّوع ، وما كان ينبغي أن يجعل طير الموت جثوماً في أوكارها ، وإنما كان الوجه أن يجعلها جائمة على رؤوسهم ، ووقعا^(٢) عليهم . فاما أن تكون جائمة في أوكارها فإنها في السلم و^(٣) في الأمن جائمة في أوكارها أيضاً ، وطير العقل ليست بضد لطير الموت ، [وإنما هي ضد لطير الجهل ، وطير الحياة هي الضد لطير الموت] ^(٤) . ولو كان قال : جَثَمْتُ طُيُورَ الْمَوْتِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ فَتَرَكْنَ أَطْيَارَ الْحَيَاةِ تَحُومُ^(٥) لكان أشبه وأليق ، أو لو قال :

سَقَطَتْ طُيُورُ الرُّوعِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ فَتَرَكْنَ طَيْرَ الْعَقْلِ فِي التَّخْوِيمِ^(٦) لكان أيضاً قريباً من الصواب ؛ لأنهم يقولون : طار عقله من الرُّوع ، فإذا تاب إليه عقله وسكن قيل : قد أفرخ رَوْعُهُ ، وهذا مثل ، وذلك أن الطائر إذا أفرخ لزم عُشه وفراخه ، وقد يجوز أن يكون « أفرخ رَوْعُهُ » أى : ذهب ؛ لأن الطائر إذا أفرخ وطارت فراخه انتقل عن ذلك العش .

وقولهم « جثم الطائر » إنما هو أن يلصق جُثمانه بالأرض ، فذهب^(٧) إلى أن طيور الموت ساكنة ، وطيور العقل منزعة طائرة .

(١) ط « ردىء في . . . ردىء في »

(٢) ط « أو واقعة »

(٣) ط « أو »

(٤) وزيادة من ط

(٥) ط « الموت في أوكارها »

(٦) ط « طيور الموت . . . فتركن أطيار العقل في التخويم »

(٧) ط « يذهب »

وقوله «غير جُثوم» لا ينوب مناب طائرة ولا منزعة ، لأن الطائر قد [لا] يكون جائماً و^(١) يكون قائماً على رجله ساكناً مطمئناً ، وهذه حاله في أكثر أوقاته ؛ فقد حمل المعنى على لفظ لا يليق به ، ولا يؤدي [إليه] التأدية الصحيحة عنه .

• • •

٤٠ - ومن خطائه قوله في وصف الفرس :

مَا مُقَرَّبٌ يَخْتَالُ فِي أَشْطَانِهِ مَلَّانٌ مَنْ صَلَفٍ بِهِ وَتَلْهُوقٍ^(٢)

قوله «ملّان من صلف [به]» يريد التّيه والكبر ، وهذا مذهب العامة في هذه اللفظة ؛ فأما العرب فإنها لا تستعملها على هذا المعنى ، وإنما تقول : قد صَلَفَتِ المرأةُ عند زوجها ، إذا لم تَحْظَ عنده ، وَصَلَفَ الرجلُ كذلك ؛ إذا كانت زوجته تكرهه . وقال جرير :

إِنِّي أَوْاصِلُ مَنْ أَرَدْتُ وَصَالُهُ بِحِبَالٍ لَا صَلَفٍ وَلَا لَوَامٍ^(٣)
وَالصَّلَفُ : الذي لا خير عنده ، ومَثَلٌ يضرب «رُبَّ صَلَفٍ تَحْتَ
الرَّاعِدَةِ»^(٤) يعنون الرعد بغير مطر .

فهذا معنى الصلف في كلامهم ، وعلى هذا قد ذم أبو تمام الفرس من حيث أراد أن يمدحه .

والتلهوق : هو لطف المداراة والحيلة بالقول وغيره حتى يبلغ الحاجة ، ومنه قول الأغلب العجلي [في مفاحشاته] يصف مداراة رجل^(٥) امرأة [حتى] نال منها [مراده] :

(١) ط « وقد »

(٢) ديوانه ٢١١ وشرح التبريزي ٤٠٩/٢ . والمقرب الفرس . والمراد بالأشطان هنا : الأرسان . «أى كان فيه من حسن انتصابه وسموه صلفاً وتلهوقاً ، أى مرحاً ونشاطاً كالجنون»

(٣) ديوانه ٥٥١ وفي ط « ولا كوام » وهو تحريف

(٤) في جمهرة الأمثال ١٠٩ « يضرب مثلاً للبخيل الواجد . والراعدة : السحابة ذات الرعد . . . والمعنى أنه ممنوع مع كثرة ماله كالسحابة الكثيرة الماء لا تجود بنيث » وهو في اللسان ٩٩/١١

(٥) ط « رجل له »

فَلَمْ يَزَلْ بِالْحَلِيفِ النَّجِيِّ لَهَا وَبِالتَّلهُوقِ الْخَفِيِّ
 أَنْ قَدْ خَلَوْنَا بِفَضَاءٍ بَقِيَّ وَغَابَ كُلُّ نَفْسٍ مَخْشِيٍّ^(١)
 وقد ذكر أبو عبيد^(٢) القاسم في «الغريب المصنف» في أول نوادر
 الأسماء التلهوق ، وقال : وهو مثل التملق .

وما أرى أبا تمام في وَضْعِ هَاتَيْنِ اللَّفْظَتَيْنِ [في هذا الموضع] إلا غلطاً^(٣) .

* * *

٤١ - وقال أبو تمام :

عَظَفُوا الْخُدُودَ عَلَى الْبُدُورِ وَوَكَّلُوا ظُلَمَ السُّتُورِ بِنُورِ حُورٍ نُهْدٍ^(٤)
 وَثَنُوا عَلَى وَشَى الْخُدُودِ صَيَانَةً وَشَى الْبُرُودِ بِمُسْجَفٍ وَمُمَهْدٍ
 البيت الأول حَسَنٌ حُلُو ، وأخذ قوله « وثنوا على وشى الخدود صيانة وشى
 البرود » من قول الكُمَيْت :

وَأَذْنَيْنِ الْبُرُودَ عَلَى خُدُودٍ يُزِينُ الْقَدَاغِمَ بِالْأَسِيلِ^(٥)
 وقوله « بِمُسْجَفٍ وَمُمَهْدٍ » فالمسجف يريد ستر بابِ الْجَحَلَةِ ، وكلُّ
 ستر^(٦) مشقوق فكلُّ شق منها مسجفٌ ، وكذلك مسجف الخباء ، والمسجف :
 المرخى ، والتسجيف : إرخاء السجفين ، وقوله « بمسجف » أى من مسجف
 وممهد ؛ فجعل الباء في موضع « من » ، كما قال عنترة :

(١) م « الفضاء في . . كل لقش »

(٢) ط ، م « أبو عبيدة » وهو خطأ

(٣) قال ابن المستوفى كما في هامش شرح التبريزي ٤١٠ « إنما بنى أبو تمام معنى الصلف على
 ما أرادته العامة ، وهو العجب والتعجب ، وإن كان هذا لا يسوغ استعماله لكونه عامياً ، وكذلك قوله :
 وتلهوق ، وإن كان لفظاً عربياً إلا أنه مستبشع ، وهو موضوع في غير موضعه في بيته ، فقد جمع
 بين اللفظ العام واللفظ الخوشي »

(٤) ديوانه ١١١ وشرح التبريزي ٤٦/٢ « بحور عين نهْد »

(٥) سبق ص ١١٠

(٦) ط « وكل باب . . فكل ستر »

شَرِبَتْ بِمَاءِ الدَّحْرُضَيْنِ فَأَصْبَحَتْ زَوْرَاءَ تَنْفِرٍ عَنْ حِيَاضِ الدُّيْلَمِ^(١)
أى : من ماء الدحرضين .

والممهد : الوطاء الذى يُوطأ تحت المرأة ، فكيف يكون ذلك منسوقاً^(٢)
على السُّجْفِ الذى ذكر أنهم ثَنَوْه على وشى الخدود ؟ والممهد ليس هذه حاله ،
فيعطفه عليه .

فإن قيل : فيكون^(٣) محمولاً على قول الشاعر :

وَرَأَيْتِ زَوْجَكَ فِي الْوَعَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمَحًا^(٤)
والرُمح لا يُتَقَلَّد ، وقول الآخر :
• وَزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعَيْنَا^(٥) •

والعيون لا تُزَجَّج ، وإنما أراد ذاك : متقلداً سيفاً وحاملاً رمحاً ، وأراد
هذا : وزججن الحواجب وكحلن العيون .

(١) ديوانه ١٤٧ وشرح القصائد العشر ١٨٦ وشرح المعلقات للزوزنى ١٤٤ والسان ٩٥/١٥
وأساس البلاغة ٢٨١/١ والصاحبى ٧٦ وأدب الكاتب ٥١٧ والاقطصاب ٤٤٧ وسر الفصاحة ٦٥
في أمالي المرتضى ٨٤/٢ « معناه : شربت من ماء الدحرضين » وقال ابن السيد : « والدحرضان :
وماءان يقال لأحدهما : وشيع للآخر : الدحرض ، فلما جمعهما غلب أحدهما على الآخر . وزوراء :
مائلة منحرفة . وأراد بالديلم : الأعداء » . وانظر هامش تأويل مشكل القرآن ٤٣١

(٢) ط « ذلك مشرقاً »

(٣) ط « كيف لا يكون »

(٤) نـب الأَخْفَشُ فى تَعلِيقِهِ عَلَى الكَامِلِ ٢٨٩/١ لَعَبَ اللّٰهُ بِنَ الزُّبَيْرِى وَرَوَايَتُهُ هُنَاكَ
« يَأْلِيَتْ زَوْجَكَ قَدْ غَدَا » وَهُوَ كَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ نَسْبَةٍ فِى اللّٰسَانِ ١١١/٣ ، ٤٣٠ ، ٣٩١/٩ ،
وَمَجْمَعُ الْبَيَانَ ١١١/١ وَتَفْسِيرُ الطَّبْرِى ٤٧/١ وَأَمَالِى الْمُرْتَضَى ٥٤/١ ، ٢٦٠/٢ ، ٣٧٥ ،
وَالْبَحْرُ الْمَحِيطُ ٢/٢٦٤ ، ٤٨٥/٦ وَتَأْوِيلُ مَشْكَالِ الْقُرْآنِ ١٦٥

(٥) صدره : « إِذَا مَا الْغَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا » وَهُوَ لِلرَّاعِى كَمَا فِى اللّٰسَانِ ١١١/٣ وَشَرَحَ شَوَاهِدَ
الْمَغْنَى لِلْسَيَّوْطِى ٢٦٣ وَغَيْرَ مَنْسُوبٍ فِى تَأْوِيلِ مَشْكَالِ الْقُرْآنِ ١٦٥ وَأَسَاسُ الْبَلَاغَةِ ٣٩٤/١ وَأَبْوَابُ
مُحَاطَرَةِ ١٥ وَالصَّنَاعَتَيْنِ ١٨٢

قيل : متقلد السيف هو حامله أيضاً ، فحَسُنَ أن يعطف [الرمح] على السيف ؛ لأنهما جميعاً محمولان .

وكذلك زججن وكحلن هما جميعاً زينةٌ ، فحَسُنَ عطف أحدهما على الآخر .

والمهْد لا يشرك الستر في شيء من تغطية الوجه ^(١) ولا صيانتَه ، ولا بنيت ألفاظ. البيت إلا على ستر الخلود بالستور ، ولا يتعلق ^(٢) المهْد بالمعنى بإضمار لفظ. ولا غيره .

• • •

٤٢- ومن خطائه قوله :

بِقَاعِيَّةٍ تَجْرِي عَلَيْنَا كُؤُوسَهَا فَتُبْدِي الَّذِي نُخْفِي وَتُخْفِي الَّذِي تُبْدِي ^(٣)
ذهب في هذا إلى أن الخمر تُخْفِي الذي نبديه ^(٤) في حال الصُّحُو من الحِلْم والوقار والكف عن الهزل واللعب ، « وتبدي الذي نخفي » ^(٥) أي : الذي نعتقده ونكتمه من ضد ذلك كله ؛ لأنه في الطبيعة والغريزة ، والذي كنا نُظْهِره إنما هو تصنع وتكلف ، ويدخل في هذا ما يبوح به المحب من الحب الذي كان يكتمه في صُخُوهِ ويُظْهِر ضِدَّهُ ، أو ما يبوح به من بُغْض زيد وكان يظهر في صُخُوهِ مودته وينافقه ^(٦) وكذلك ما يظهره السكر من بُخْلِ البخل

(١) م « تغطية الواحدة »

(٢) م « ولا يتعلق التمهيد على المعنى . . . ولا تأويل » .

(٣) ديوانه ١١٥ وفي شرح التبريزي « فتبدي الذي تخفي ونخفي الذي تبدي » وهو تحريف . بقاعية :

نسبها إل البقاع ، وهو موضع بدمشق ، نسب إليه الخمر

(٤) م « تبديه »

(٥) م « تخفي »

(٦) ط « مودته ومنافقه » وهو تحريف

وَمَنْعٌ ^(١) ما كان يتجمل ^(٢) ببذله في الصُّحور ، أو ما يظهره من السباحة التي كان ^(٣) لا يسمح بمثلها في صحوره خوفَ العاقبة ونحو هذا ، وما سقط. قول الحكماء ^(٤) : « [إن] ^(٥) الشراب يشير [كل] ما وجد » أى : يظهر كل ما في النفس من خير وشر وحسن وقبيح ؛ فكلُّ شيء يظهره الإنسان وليس في اعتقاده ولا نيته - فإن الذى يضره ويكتمه في نفسه هو ضده ، فإذا أظهر السكرُ اعتقادَ المعتقد الذى هو الصحيح ، فإنَّ ضدهُ مما كان يتصنع ^(٦) بإظهاره يَبْطُل ويتلاشى ؛ لأنَّ الشراب يخفيه ويطويه في الضمير حتى يكون مكتوماً كما كانت الحقيقة مكتومة ، هذا محال ؛ لأنَّ القلبَ هو محلُّ المعتقدات ؛ فلا يجوز أن يجتمع فيه ^(٧) الشيء وضده ، والاعتقادات لا تكون باللسان ؛ لأنَّ اللسان يكذب ، والقلب لا يتضمن إلا الحقيقة .

وقول أبى تمام : « فتبدي الذى نخفى » ^(٨) قول صحيح .

[وقوله] ^(٩) : « ونخفى الذى نبدي » لفظ ^(١٠) فاسد ؛ لأنَّ نخفى معناه تكتم وتسهر ، والذى قد أبطلته وأزلته لا يجوز أن يعبر عنه بأنك أخفيته ولا كتمته .

فإن قيل : ولم لا يكون هذا توسعاً ومجازاً ؟

(١) م « فيمنع »

(٢) ط يتجمله »

(٣) م « كان الشح يمنها . . . وخوف العاقبة »

(٤) ط « من قول »

(٥) زيادة من ط

(٦) ط « يتجمل »

(٧) ط « فيها »

(٨) م « يخفى »

(٩) زيادة من ط

(١٠) ط « اللفظ »

قيل : المجاز في مثل هذا لا يكون ، لأن الشيء الذي نكسبه^(١) وتطويه إنما أنت خازن له وحافظ . فهو ضد للشيء الذي تزيله وتُبطله ، والأضداد لا يستعمل أحدهما في موضع الآخر إلا على سبيل المجاز .

٤٣- ومن خطائه قوله في وَصَفَ فَرَسَ :

وَبِشْعَلَةٍ تَبْدُو كَأَنَّ قُلُولَهَا فِي صَهْوَتَيْهِ بَدَأَ شَيْبَ الْمَفْرِقِ^(٢)
قوله « قُلُولَهَا » يريد ما تفرق^(٣) منها في صهوتيهِ ، والصهوة : موضع اللبد ، وهو مقعد الفارس من الفرس ، وذلك الموضع أبداً ينحت شعره لَغَمَزَ السرج إياه فينبت أبيض ، لأن الجلد هناك يرق ، وأنت تراه في الخيل كلها على اختلاف شياتها ، وليس بالبياض المحمود ولا الحسن ولا الجميل ، فهذا خطأ من هذا الوجه .

وهو خطأ من وجه آخر ، وهو أن جعله شَعْلَةً ، والشعلة لا تكون إلا في الناصية أو الذنب ، وهو أن يبيض عرضها وناحية منها ، فيقال : فرس أشعل وشَعْلَاء ؛ وذلك^(٤) من عيوب الخيل ، فإن كان ظهر الفرس أبيض خلقةً فهو أَرْحَل^(٥) ، ولا يقال أشعل .

وقد أخذ البحرى قوله « بَدَأَ شَيْبَ الْمَفْرِقِ » فجاء به حسناً جداً ، ثم سلم من العيب ، فقال :

(١) م « يكتسه ويطويه وإنما »

(٢) ديوانه ٢١٢ وشرح التبريزي ٤١١/٢ « كأن قُلُولَهَا » وما روايتان . وفيهما وفي ط « وبشعلة نبل » ولم يشرح التبريزي معناها . وقد شرحه ناشر الديوان « محبى الدين الخياط » بقوله « نبل : مطروحة » وقد نقله الشيخ « محمد محبى الدين » ناشر ط . وهو شرح خاطئ . والصواب أن يقال : نبل : أى فيها شيب قليل ، جاء فى اللسان ٤٩/٥ « وفى الرأس نبل أى يسير من شيب »

(٣) م « ما يفرق »

(٤) ط « وذلك عيب »

(٥) اللسان ٢٩٧/١٣ وفى م « أرحل »

وَبِشُعْلَةٍ كَالشَّيْبِ مَرٌّ بِمَفْرَقِي غَزَلٍ لَهَا عَنْ شَبِيهِ بِغَرَامِهِ^(١)
 فقال « بشعلة » ولم ينص على موضعها ، ومعلوم أنه أراد بياضاً في
 الناصية ، وقال « مر^(٢) بمفريقي غزلي » فأوضح أنه ذلك الموضع أراد وقال
 « لها عن شبيه بغرامه » فأتى بشيء يفوق كل حُسن . إلا أن البياض في
 الناصية من عيوب الخيل ، وكذلك البياض [في الذنَب ، ليس بين النامس]^(٣)
 في ذلك اختلاف ، ويقال لبياض الناصية أيضاً : السَعْفُ .

وأيضاً فإن البحتری وصف فرساً أدهم [أغر] فقال :
 جَذْلَانُ تَلَطَّمُهُ جَوَانِبُ غُرَّةٍ جَاءَتْ مَجِيءَ الْبَذْرِ عِنْدَ تَمَامِهِ^(٤)
 فأى حُسنٍ يكون لبياض الناصية على بياض غرة ؟
 ومن قبيح وصف شيات الخيل ، قول أبي تمام في [وصف] هذا الفرس
 أيضاً :

مَسُودٌ شَطْرٍ مِثْلَ مَا أَسْوَدُ اللَّجَى مُبَيَّضٌ شَطْرَ كَابِيضَاضِ الْمَفْرَقِ^(٥)
 شَطْرَ الشَّيْءِ : جانبه وناحيته ، قال الله عز وجل : ﴿ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ
 الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾^(٦) أى ناحيته .

وقد يُراد بالشطر نصف الشيء ، يقال : قد شاطرتك مالى ، أى :
 ناصفتك ، فهذا هو الأكثر الأعم فيما يستعملون ، وذلك من أقبح شيات
 الأبلق على ظاهر هذا المعنى . ولم يُرده أبو تمام ، وإنما أراد بالشطر ههنا

(١) ديوانه ٤٣٣ « في شعلة »

(٢) م « مر بمعنى في غزل » وهو تحريف

(٣) الزيادة من ط

(٤) ديوانه ٤٣٢

(٥) ديوانه ٢١٢ وشرح التبريزي ١٤/٢ وفيهما « كابيضااض المهرق » أى الحريرة البيضاء ،
 وهما روايتان . قال التبريزي : « هذا البيت يوى به إلى الشعلة » يريد أنه مقسوم على شعرة سوداء وشعرة
 بيضاء . وظاهر لفظه يوم من لا يعلم أن نصفه بكليته : أسود سواداً متصلاً ، وليس كذلك »

(٦) سورة البقرة : ١٥٠

البعض والجزء ، أى مسودة جزء مبيض جزء ؛ فجاء بالشرط لأنها لفظة أحسن من الجزء ومن البعض فى هذا الموضع [والله أعلم] .

والجيدُ النادر قولُ البحترى :

أَوْ أَبْلَقَ يَلْقَى الْعُيُونُ إِذَا بَدَا مِنْ كُلِّ لَوْنٍ مُعْجِبٌ ، بِنَمُودَجٍ^(١) .
وقد جعله^(٢) أبو تمام فى أول الأبيات أشعلَ بقوله : و « بشعلة [نَبْدٌ]^(٣) »
ثم جعله ههنا أبلق ؛ فهذا القوس هو الأشعل الأبلق على مذهبه فى هذا التشبيه .

ولا يُنكر^(٤) هذا من ابتداعاته .

• • •

٤٤ - [ومن خطائه قوله :

فكُم دِيَّةٌ تِمُّ غَدَوَاتَ تَسْوِقُهَا لَهَا أَثَرٌ فى تَالِدِيْ غَيْرُ تَالِدٍ^(٥)
وليست دياتٍ من دماءِ هَرَقَتْهَا حَرَاماً وَلَكِنْ مِنْ دِمَاءِ الْقَصَائِدِ
قوله : « فكم دية تيم » أى تامة ، يعنى عشرات الألوف التى كان يصله بها .

وقوله : « لها أثر فى تالدى » أى فى مالى الذى ورثته عن آبائى « غير تالدى » أى غير ميراث^(٦) . يقول : هى زائدة فى ميراثى الذى ورثته عن آبائى ومُقَوِّيةٌ له ، وهى غير ميراث منك ، بل صلة وتفضل . وإنما لم يذكر أنه

(١) ديوانه ٤٣٠

(٢) م « وقد جعلها »

(٣) م « بيد » وهو تحريف

(٤) ط « ولا ينكر مثل »

(٥) من هنا إلى قوله وإنما تأكل الحوم سقط من ك

(٦) ديوانه ١١٩ وشرح التبريزى ٧٦/٢ .

(٧) م « خير » .

أراد أنها قوت أصل ماله الذى عليه يُعَوَّل ، وزادت فيه ، وإذا قوت أصل المال القديم [فهى] ^(١) للطريف أيضاً مُقَوِّية . ثم قال :

وليست ديات من دماء هرقتهَا حراماً ولكن من دماء القصاصِ
فأتى فى هذا بأقبح ما يكون من الخطأ وأشنعه ، وهجا ممدوحه . وهذا أبو الحسن بن الهيثم بن شبابة ظن أنه مادحه ، فكيف يكون الممدوح قاتلاً لمذائحه التى فيها وصف مفاخره ومناقبه ، وهى مشيدة بذكر معاليه وشرف آبائه وفيها إحياء ذكرهم ؟ فإذا سفك دماءها فقد محاذ ذلك كله وهدمه وأبطله وأماته ، وجازى القصاص بضد ما تستحقه من تدوينها وروايتها وحفظها وإدامة إنشادها . ثم لم يقنع حتى جعل سفك دماءها حلالاً بقوله :

وليست ديات من دماء هرقتهَا حراماً ولكن من دماء القصاصِ
وحسبه بهذا خطأ وجهلاً وتخليطاً ، وخروجاً عن العادات فى المجازات والاستعارات .

وقد قال فى آخر هذه القصيدة :

بِسَبَّاحَةٍ تَنَسَّقُ مِنْ غَيْرِ سَائِقٍ وَتَنَقَّادُ فِي الْآفَاقِ مِنْ غَيْرِ قَائِدٍ ^(٢)
جَلَامِدٌ تَخْطُوهَا اللَّيَالَى وَإِنْ سَرَتْ لَهَا مُوَضِّحَاتٌ فِي رُؤُوسِ الْجَلَامِدِ ^(٣)

فكيف تكون مقتولة مسفوكة الدم ، وهى تنساق من غير سائق وتنقاد فى الآفاق من غير قائد ؟ وكيف تكون كالجلامد تخطوها الليالى ولا تؤثر فيها ، وهى أميتت وأبطلت ؟

(١) زيادة يقتضيا المقام

(٢) ديوانه ١١٩ وشرح التبريزي ٧٧/٢ « بسباحة »

(٣) قال التبريزي : « جلامد : يعنى القصاص ، شبهها بالجلامد لطول بقائها على النهر . وقوله : « موضحات فى رؤوس الجلامد » بقول : « إنى ذمت قوماً لم شرف مثل شرف الجبال التى تشتعل على الجلامد غادرت فيها القصاص موضحات ، أى شجاجاً ، من الشجة الموضحة التى تظهر العظم »

فإن قيل : هذا كله إنما جاء به على الاستعارة لا على الحقيقة .
 قيل : الاستعارة لا تستعمل إلا فيما يليق بالمعاني ، ولا تكون المعاني به
 متضادة متنافية . ولهذا حدود إذا خرجت عنها صارت إلى الخطأ والفساد .
 ٤٥ - ومن خطائه قوله :

وقد ظُلِّلَتْ أَعْنَاقُ أَعْلَامِهِ ضُحَى بَعِيقَانِ طَيْرٍ فِي الدِّمَاءِ نَوَاهِلٍ^(١)
 نواهل من النّهل ، وهو الشُّرب الأول . والعَلَلُ : الشرب بعد الشرب .
 والعقبان وسائر جوارح الطير لا تشرب الدماء ، وإنما تأكل اللحوم .

(١) ديوانه ٢٤٨ « عقبان أعلامه » والوساطة ٢٧١ وخزانة الأدب ١٩٦/٢ وعبدة الأيام ١٩٠
 والمصباح المنى ٣٧ والإبانة عن سرقات المتنبي ٣٨

الجزء الثالث

قال أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدى :

قد ذكرتُ في الجزء الثاني [من كتاب] الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري خطأ^(١) أبي تمام في الألفاظ والمعاني ، وبَيَّضْتُ آخرَ الجزء لألحقَ به ما يمر من ذلك في شعره ، وأستدركه من بعدُ في^(٢) قصائده .

وأنا أذكر في هذا الجزء الرُّذَل من ألفاظه^(٣) ، والساقط من معانيه ، والقبيح من استعاراته ، والمستكره المتعقّد من نَسْجه ونَظمه ، على ما رأيت [المتذاكرين بأشعار] المتأخّرين يتذاكرونه ، وينعَوْنَه عليه ويعيونه [به] وعلى أنى وجدتُ لبعض ذلك نظائر في أشعار المتقدمين فعلمتُ أنه بذلك اغترّ ، وعليه في العذر اعتمد ؛ طلباً منه للإغراب^(٤) والإبداع ، وميلاً إلى وَحْشِيَّ المعاني والألفاظ .

وإنما كان ينذر من هذه الأنواع المستكرهه على لسان الشاعر المكثّر^(٥) البيت [الواحد] والبيتان فَيَتَجَاوَزُ له عنه ؛ لأن الأعرابي لا يقول^(٦) إلا على قريحته ولا يعتصم إلا بخاطره ، ولا يستقى إلا من قلبه^(٧) ، فأما المتأخّر الذي يَطْبِع على قَوَالِبَ ، وَيَحْذُو على أمثلة ، ويتعلم الشعر تعلماً ، ويأخذه تلقناً : فمن شأنه أن يتجنّب المذموم [منه] ، ولا يتبع من

(١) ط « أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وشعر أبي عباد البحتري وخطأ »

(٢) م « من بعد معانيه »

(٣) م « لمن اللفظ »

(٤) ط « للإغراق »

(٥) ط « الشاعر المحسن . . أو البيتين يتجاوز له عن ذلك »

(٦) في غيرك « لا يقول »

(٧) في غيرك : « قلبه »

تقدّمه إلا فيما استُخِين منهم ، واستُجيد لهم ، واختير من كلامهم ، أو في المتوسط. السالم إذا لم يقدر على الجيد البارِع ، ولا يرقع الاختيار^(١) والاستكثار مما جاء عنهم نادراً ومن معانيهم شاذاً ، ويجعله حجة له وعذراً ؛ فإن الشاعر قد يُعَاب أشد العيب إذا قصد بالصنعة سائر شعره ، وبالإبداع جميع فنونه ، فإن تلك^(٢) مُجَاهدة للطبع^(٣) ومغالبة للقريحة مخرجة^(٤) سهل التأليف إلى سوء التكلف وشدة العمل ، كما عيب صالح بن عبد القدوس وغيره ممن سلك هذه السبيل حتى سقط شعره ؛ لأن لكل شيء حداً إذا تجاوزه المتجاوز سُمِّي مُفْرِطاً ، وما وقع الإفراط في شيء إلا شأنه وأحال^(٥) إلى الفساد صحته ، وإلى القبح حسنه وبهائه ، فكيف إذا تتبع الشاعر ما لا طائل تحته^(٦) ؛ من لفظة مستغثة لتقدم ، أو معنى وخشي فجعله إماماً ، واستكثر من أشباهه ، وشح شعره بنظائره إن^(٧) هذا لعين الخطأ ، وغاية في سوء الاختيار .

(١) ط « الاحتطاب » ك : « الاحتكار »

(٢) من ك

(٣) في غير ك : « مجاهدة الطبع ، ومغالبة القريحة »

(٤) م « ومخرجة »

(٥) ط « وأعاد »

(٦) ط ، ك « فيه من لفظة شئمة »

(٧) في غير ك : « وإن »

باب

ما جاء^(١) في شعر أبي تمام من قبيح الاستعارات

١- فمن مَرْدُول ألفاظه وقبيح استعاراته قوله :

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِنْ أَخْذَعَيْكَ فَقَدْ أَضْجَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرْقِكَ^(٢)

٢- وقوله :

سَأَشْكُرُ فُرْجَةَ اللَّبِيبِ الرَّخِيِّ وَلَيْنَ أَخَادِعِ الدَّهْرِ الْأَبِيِّ^(٣)

٣- وقوله :

فَضْرَبْتَ الشَّمَاءَ فِي أَخْذَعِيهِ ضَرْبَةً غَادَرْتُهُ عَوْدًا رَكُوبًا^(٤)

٤- وقوله :

تَرُوحُ عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ وَتَعْتَدِي خُطُوبُكَانَ الدَّهْرِ مِنْهُنَّ يُصْرَعُ^(٥)

٥- وقوله :

أَلَا لَا يَمُدُّ الدَّهْرُ كَفًّا بِسَيِّئِ إِلَى مُجْتَدِي نَصْرِ فَيَقْطَعُ مِنَ الزُّنْدِ^(٦)

(١) من ك

(٢) ديوانه ١١٠ والوساطة ٣٩ ، ٦٨ ، ٤٤٦ والصناعتين ٦٠ ، ٣٠٣

(٣) ديوانه ٣٤٤ « فرجة الليث » في الوساطة ٦٨ والصناعتين ٣٠٤ « أخادع الزين » واللبيب :

موضع المنحر من كل شيء واللبيب : البال ، يقال : فلان في بال رنحى ولبيب رنحى : أى في سعة وخصب وأمن . وفي اللسان ٤١٩/٩ « الأخدعان : عرقان من جانبي الرقبة قد خفها وبطننا .. » والجميع الأخادع ورجل شديد الأخدع : ممتنع أبى ، ولين الأخدع بخلاف ذلك « وفيه ١٨ / ٤ » رجل أبى : ذو إباء شديد إذا كان ممتنعا «

(٤) ديوانه ٢٧ وشرح التبريزي ١٧٤/١ والوساطة ٦٨ والصناعتين ٣٠٤ والعمود : الحمل المن

ركوبا : مذللا . يريد فصيرت الشتاء سهلا

(٥) ديوانه ١٩٠ والصناعتين ٣٠٣ وفي شرح التبريزي ٢ / ٣٢٤ « كما يصرع المجنون ، لأن

مثله لا يصدر عن عاقل »

(٦) شرح التبريزي ٢ / ٦٤ : يريد نصر بن منصور بن بسم . ويروى « فتقطع من زند »

وفي ط والصناعتين ٣٠٤ « فتقطع للزند »

٦- وقوله :

وَالدَّهْرُ أَلَامٌ مَنْ شَرِقتَ بِلُؤْمِهِ إِلَّا إِذَا أَشْرِقَتْهُ بِكَرِيمٍ^(١)

٧- وقوله :

تَحَمَّلْتُ مَا لَوْ حُمِّلَ الدَّهْرُ شَطْرَهُ لَفَكَّرَ دَهْرًا أَى عِبَائِهِ أَنْقَلُ^(٢)

٨- وقوله يَصِفُ قَصِيدَتَهُ :

تَحُلُّ بِفَاعِ الْمَجْدِ حَتَّى كَانَتْهَا عَلَى كُلِّ رَأْسٍ مِنْ يَدِ الْمَجْدِ مَغْفَرُ^(٣)
لَهَا بَيْنَ أَبْوَابِ الْمُلُوكِ مَزَامِرُ مِنَ الذِّكْرِ لَمْ تُنْفَخْ وَلَا هِيَ تُزَمَرُ^(٤)

٩- وقوله :

بِهِ أَسْلَمَ الْمَعْرُوفُ بِالشَّامِ بَعْدَ مَا ثَوَى مُنْذُ أَوْدَى خَالِدٍ وَهُوَ مُرْتَدُّ^(٥)

[وقوله] :

أَمَّا وَأَبَى أَحَدَائِهِ إِنَّ حَادِثًا حَدَائِي عَنْكَ الْعَيْسَ لِلْحَادِثِ الْوَعْدُ^(٦)

١٠- وقوله :

جَذَبْتُ نَدَاهُ غُدُوَّةَ السَّبْتِ جَذْبَةً فَخَرَّ صَرِيحاً بَيْنَ أَيْدِي الْقَصَائِدِ^(٧)

(١) ديوانه ٣٠٨ والصناعتين ٣٠٤

(٢) ديوانه ٣٤٥ والصناعتين ٣٠٤

(٣) ديوانه ١٦٠ والصناعتين ٣٠٤ . وفي ك : « من يد الملح »

(٤) شرح التبريزي ٢/ ٢١٦ « ولا تنزمر » وهما روايتان

(٥) ديوانه ١٢٢ والصناعتين ٣٠٤ وفي شرح التبريزي ٢/ ٩١ « أَى ارتد المعروف بإبائه منذ

أودى خاله ، أَى مات ، فأسلم بك وانقاد . قال أبو العلاء المعرى : يعنى خالد بن يحيى البرمكى ، لأنه كان فارسيا ، فتقرب إلى المملوح بذكره ، لأن المملوح ، (وهو محمد بن الهيثم) أيضا من فارس ، وهذا أشبه من أن يعنى خالد بن يزيد ، أو خالد بن عبد الله القسرى ، أو خالد بن يزيد بن معاوية » .

(٦) ديوانه ١٢١ وفي شرح التبريزي ٢/ ٨٤ « ويجوز أن يعنى بلأى أحداثه الدهر ، والشعراء

مولعة بنعمه . والمراد بالوعد : الساقط الذى لا خير فيه ولا مروعة له » . وفي ك « عذائى عنك »

(٧) ديوانه ٩٥ وشرح التبريزي ٢/ ٥

١١ - وقوله :

لَوْ لَمْ تُفَتِّ مُسِنَّ الْمَجْدِ مَذْ زَمَنِ بِالْجُودِ وَالْبَاسِ كَانَ الْجُودُ قَدْ خَرِفَا^(١)

١٢ - وقوله :

لَدَى مَلِكٍ مِنْ أَيْكَةِ الْجُودِ لَمْ يَزَلْ عَلَى كَبِدِ الْمَعْرُوفِ مِنْ فِعْلِهِ بَرْدُ^(٢)

١٣ - وقوله :

فِي غُلَّةٍ أَوْقَدَتْ عَلَى كَبِدِ السُّ ائِلِ نَارًا أَخْنَتَ عَلَى كَبِدِهِ^(٣)
إِثَارَ شَرْرِ الْقَوَى يَرَى جَسَدًا مَعْرُوفٍ أَوَّلَى بِالطَّبِّ مِنْ جَسَدِهِ^(٤)

١٤ - وقوله :

حَتَّى إِذَا أَسْوَدَ الزَّمَانُ تَوَضَّحُوا فِيهِ فَعُودِرَ وَهُوَ مِنْهُمْ أَبْلَقُ^(٥)

١٥ - وقوله :

فَمَا ذُكِّرَ الدَّهْرُ الْعَبُوسُ بِأَنَّهُ لَهُ ابْنٌ كَيَوْمِ السَّبْتِ إِلَّا تَبَسَّما^(٦)

(١) ديوانه ٢٠٤ وشرح التبريزي ٢/ ٣٧٥ وعجزه في الصناعتين ٣٠٥ . لو لم تفت : أى تعد إليه الفتاء والشباب

(٢) ديوانه ١٢١ والصناعتين ٣٠٥ وشرح التبريزي ٢ / ٨٧ وفى م ، ك « إلى ملك فى أَيْكَةِ . . . من نيله برد »

(٣) ديوانه ٩٥ والصناعتين ٣٠٥ « وعلى كبد النائل نارا أخنت » وفى م ، ك « كبد المعروف نارا أعياء » وفى شرح التبريزي ١/ ٤٤٨ « تعي على كبد » أى أوقدت الغلة التى آثرت فيها نارا على كبد العطية بأن حوله إلى وتقلته عن صاحبه ، تلك النار كانت أعيت على كبد الشاعر ، لأنه لم يكن يجد ما يشفيه منها ، وقال الصولي : « الهاء فى كبده لأبى تمام يقول كان أمل وما أخذه من ابن أبى داود قد بطل وذهب »

(٤) قال التبريزي : « يقول : آثرت لإثارت رجل قوى فى رأيه وحزمه ، والشزر : المحكم من الفتل ، واستمار للمعروف جسداً يقول : هذا الرجل يداوى المعروف ليزيل مرضه ، وهو على شفائه أحرص منه على شفاؤه جسده إذا اعتل »

(٥) الصناعتين ٣٠٥ وديوانه ٥٠٠ « بيض إذا اسود » وفى م « توضحته منه »

(٦) ديوانه ٢٩٧

١٦ - وقوله :

وَكَمْ أَحْرَزْتَ وَنُكْمٌ عَلَى قُبْحِ قَدِّهَا صُرُوفُ النَّوَى مِنْ مُرْهَفٍ حَسَنِ الْقَدِّ^(١)١٧ - وقوله يصف الروض^(٢) :إِذَا الْغَيْثُ غَادَى نَسَجَهُ خِلْتُ أَنَّهُ مَضَتْ حِفْبَةٌ حَرَسُ لَهُ وَهُوَ حَائِكُ^(٣)

١٨ - وقوله :

وَلَا اجْتَلِبَتْ فُرُشٌ مِنَ الْأَمْنِ تَحْتَكُمْ هِيَ الْمَثَلُ فِي لَيْنٍ بِهَا وَالْأَرَانِكُ^(٤)

١٩ - [وقوله :

إِذَا لِلنِّسْتُمْ عَارَ دَهْرٍ كَأَنَّمَا لِيَالِيهِ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي عَوَارِكُ]^(٥)٢٠ - وقوله يرثي غلاماً^(٦) :أَنْزَلْتَهُ الْأَيَّامُ عَنْ ظَهْرِهَا مِنْ بَعْدِ إِثْبَاتِ رِجْلِهِ فِي الرُّسَابِ^(٧)

(١) ديوانه ١٢٧ والصناعتين ٣٠٥ وشرح التبريزي ١١٠/٢ أى كم فرق بينى وبين حيايب لى صروف الدهر . وقوله : على قبح قدها أى على قبح صورتها ، لا أنه جعل لها قائداً مثل قد الإنسان « وفى م ، ك » « وكَمْ ملكت منا »

(٢) ط « يصف الأرض »

(٣) ديوانه ٢٢٤ والصناعتين ٣٠٥ وفى ط « نسجها » وفى شرح التبريزي ٤٥٩/٢ « سدى نسجه » وهى روايات . أى إذا أصاب الغيث ندى هذه الأرض وجاده وزينه بالأنوار والزهر - حسب أنه كان يحوكها ويصنعها زماناً من الدهر . وفى ك « ولا جذبت » .

(٤) ديوانه ٢٥٥ « لا استلبت فرش » وشرح التبريزي ٤٦٥/٢ والمثل : جمع مثال وهو الفراش . والأرانيك : الوسائد

(٥) الزيادة من ط ، ك وهو فى ديوانه ٢٢٥ وشرح التبريزي ٤٦٤/٢ « عوارك : أى حيز ، يقول : صرتم فى عار كان أوقاتكم فيها عوارك نساء لأنها نجسة ، وإذا وصف الرجل بأنه قد دخل فى غدر ومأثم قيل : كان عليه ثياب الخائض »

(٦) الصناعتين ٣٠٥ وفى ط « غالباً »

(٧) ديوانه ٣٥٤ فى رثاء محمد بن الفضل الحميرى

٢١ - وقوله :

كَأَنِّي حِينَ جَرَّدْتُ الرَّجَاءَ لَهُ عَضْبًا صَبَبْتُ بِهِ مَاءً عَلَى الزَّمَنِ^(١)

٢٢ - وقوله يصف فرساً :

وَكَاَنَّ فَارِسَهُ يُصَرِّفُ إِذْ بَدَأَ فِي مَتْنِهِ ابْنًا لِلصَّبَاحِ الْأَبْلَقِ^(٢)

وأشبهه هذا مما إذا تتبعته في شعره وجدته [كثيراً] ؛ فجعل كما ترى - مع غثائته هذه الألفاظ - للدهر أخذعاً ، ويداً تُقَطِّعُ من الزند . وكأنه يُضَرِّع . وجعله^(٣) يشرق بالكرام . [ويفكر] ويتبسم ، وأن الأيام بنون له^(٤) ، والزمان أبلق ، وجعل للمدح يداً ، ولقصائده مزامير إلا أنها لا تنفخ ولا تزمز ، وجعل المعروف مُسْلِمًا نَارَةً ومرتبداً أخرى ، والحاثَ وغداً ، وجَدَّبَ ندى المدوح بزعمه جذبةً حتى خر صريعاً بين أيدي قصائده ، وجعل المجد ما يجوز^(٥) عليه الخوف ، وأن له جسداً وكبدًا ، وجعل لصروف النوى قدًا ، وللأمن قرشاً^(٦) ، وظن أن الغيث كان دهرًا حائكاً ، وجعل للأيام ظهراً يركب ، والليالي كأنها عوارك ، والزمان كأنه صُبَّ عليه ماء ، والفرس كأنه ابن للصباح^(٧) الأبلق ، وهذه استعارات في غاية القبحاة والهجانة [والغثائية] والبعد من الصواب .

(١) ط « غضا . . لما ماء » وفي ديوانه ٣٣٤ « غضا أخذت به سيفاً من الزمن »

(٢) ديوانه ٢١٢ وشرح التبريزي ١٥/٢ وفي م ، ك « يضرب إذا غدا » والصناعتين ٣٠٥

(٣) ط « ويحل ويشرق »

(٤) ط « الأيام تنزله »

(٥) ط « مما يحقد عليه الخوف » و م « الحرف »

(٦) م « فرسا »

(٧) ط « ابن الزمان »

وإنما استعارت^(١) العربُ المعنى لما ليس [هو] له إذا كان يقاربه :
أو يناسبه أو يشبهه^(٢) في بعض أحواله ، أو كان سبباً من أسبابه ؛
فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشئ الذى استعيرت له ، وملائمة
لمعناه ، نحو قول امرئ القيس :

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصَلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكُلْكُلٍ^(٣)

وقد عاب امرأ القيس بهذا البيت^(٤) مَنْ لم^(٥) يعرف موضوعات المعانى
[والاستعارات] ولا المجازات^(٦) وهو فى غاية الحسن والجودة والصحة ،
لأنه^(٧) قَصَدَ وَصَفَ أحوال الليل الطويل فذكر امتداد وَسَطِهِ ، وتناقل صدره
للذهاب والانبعاث ، وترادف أعجازه وأواخره شيئاً فشيئاً ، وهذا عندى
منتظم لجميع نعوت الليل الطويل على هيئته ، وذلك أشد ما يكون على مَنْ
يُراعيه ويترقَّب تصرُّمه ، فلما جعل له وَسْطًا يمتد وأعجازاً مرادفة^(٨) للوسط.
وصَدْرًا متشاقلاً فى نهوضه حَسُنَ أن يستعير للوسط اسم الصُّلْب ، وجعله
متمتطياً من أجل امتداده ؛ لأنَّ تَمَطَّى وتمدَّد بمنزلة واحدة ، وصلاح أن يستعير
للصدر اسم الكُلْكُل من أجل نهوضه .

وهذه أقرب الاستعارات من الحقيقة^(٩) ، لشدة ملائمة معناها لمعنى ما
استعيرت له .

(١) م « استعارات »

(٢) ط « أو يدانيه »

(٣) سبق ص ١٤ وفى ط « بمجوزه »

(٤) ط « بهذا المعنى »

(٥) فى ك « من لا يعرف »

(٦) فى ك « والمجازات »

(٧) ط « وهو إنما . أجزاء الليل » ، ك « لأنه إنما »

(٨) ط ، ك « رادفة »

(٩) الحقيقة وأسد ملائمة لمعناها لما

وكذلك قول زهير :

* وَعُرِّيَ أَفْرَاسُ الصُّبَا وَرَوَّاحِلُهُ ^(١) *

لما كان من شأن ذى الصُّبَا أن يوصف أبداً بأن يقال : ركب هَوَاه ،
وَجَرَى في مَيْدَانِهِ ، وَجَمَحَ في عِنَانِهِ ، ونحو هذا ، حُسْنُ أن يُسْتَعَارَ للصُّبَا
اسم الأفراس ، وأن يجعل النزوع عنه ^(٢) أن تُعْرَى أَفْرَاسُهُ ورواحله ، وكانت
هذه الاستعارة أيضاً من أَلْيَقِ شَيْءٍ بما استعيرت له .

ونحو ذلك قول طُفَيْلِ الْغَنَوِيِّ :

وَجَعَلْتُ كُورِي فَوْقَ نَاجِيَةٍ يَفْتَاتُ شَحْمَ سَنَامِهَا الرَّحْلُ ^(٣)

لما كان شَحْمُ السَّنامِ من الأشياءِ التي تُفْتَاتُ ، وكان [الرَّحْلُ] ^(٤) أبداً
يَتَخَوَّذُهُ ^(٥) ، وَتَتَنَقَّصُ منه ، وَيَذِيْبُهُ - كان ^(٦) جعلُهُ إِيَّاهِ قُوْتاً لِلرَّحْلِ من
أَحْسَنِ الاستعاراتِ وَأَلْيَقِهَا بِالْمَعْنَى .

وكذلك قول عمرو بن كلثوم :

أَلَا أَبْلِغُ النُّعْمَانَ عَنِّي رِسَالَةً فَمَجْدُكَ حَوْلِي وَلَوْ مُكَّ فَارِحُ ^(٧)

لما جعل مجده حديثاً ^(٨) غير قديم حُسْنُ أن يقال « حَوْلِي » لأنَّ العرب
إذا نسبَتَ الشَّيْءَ إِلَى الصَّغْرِ وَقَصَرَ الْمُدَّةَ قَالُوا : حَوْلِي ؛ لِأَنَّ أَقْلَ عِدَدِ الْأَحْوَالِ
- وَهِيَ السَّنُونُ - حَوْلٌ وَاحِدٌ ، وَلِهَذَا قَالَ حَسَنُ :

(١) سبق ص ١٥

(٢) من ك

(٣) سبق ص ١٥

(٤) زيادة من ط

(٥) ط « يَتَخَوَّذُهُ »

(٦) ط م « وَيَذِيْبُهُ تَجْعَلُهُ إِيَّاهِ »

(٧) البديع ٣١ والصناعتين ٣٨٤ ونقد الشعر ٦٧

(٨) في ك « جَزَعاً »

لَوْ يَدِبُ الْحَوْلُ مِنْ وَلَدِ الذَّرِّ رَّ عَلَيْنِهَا لَأَنْدَبَتْهَا الْكُلُومُ^(١)
 لم يرد بالحول من ولد الذر ما أتى عليه الحول ، ولكنه أراد بالحول أصغر
 ما يكون من الذر ، وإنما أخذ ذلك من قول امرئ القيس :
 مِنَ الْقَاصِرَاتِ الطَّرَفِ لَوْ دَبَّ مُحُولٌ مِنَ الذَّرِّ فَوْقَ الْإِنِّبِ مِنْهَا لَأَنَّرَا^(٢)
 ومما يدل ذلك^(٣) على صحة هذا المعنى وأنَّ الحولَ إنما يراد به الصَّغر دون معنى
 الحول قولُ الراجز .

• وَاسْتَبَقَتْ تَحْذِفُ حَوْلِي الْحَصَى^(٤) •

فأراد بحولي الحصى ما صغر منه^(٥) ، وقول الآخر أنشدته ثعلب :
 تَلَقَّطْ حَوْلِي الْحَصَى فِي مَنَازِلٍ مِنَ الْحَى أَضَحَّتْ بِاللَّحْيَيْنِ بَلَقَعَا^(٦)
 ولا جعل لومه قديماً حسن أن يقول « قارح » .
 ونحو ذلك قول أبي ذؤيب :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْقَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ^(٧)
 لما كانت المنية - إذا نزلت بالإنسان وخالطته - صلح^(٨) أن يقال :
 نشبت فيه ، وحسن^(٩) أن يستعار لها اسمُ الأظفار ؛ لأنَّ النشوب قد يكون
 بالظفر ، وعلى هذا جاءت الاستعارات في كتاب الله تعالى ، نحو قوله

(١) ديوانه ٣٧٧ والحيوان ١٦/٤ وأندبتها : أثرت فيها . والكلم : الخروج
 (٢) ديوانه ٧٤ والصناعتين ٣٦٠ واللسان ٢٠٧/١٣ والإتب : قميص قصير مشقوق الوسط
 لا أكمام له تلبه المرأة .

(٣) في غيرك « يدل »

(٤) ط « تحذف »

(٥) ط « أصغره »

(٦) اللحين : اسم موضع

(٧) ديوان المهذلين ٣/١ وانظر تخريج في المفضليات ٢٠٤

(٨) ط « صح »

(٩) ط « وصح »

عز وجل : ﴿ وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ ^(١) لما كان الشيب يأخذ في الرأس ويسعى فيه شيئاً فشيئاً حتى يُجِيله إلى غير حاله الأولى كالنار التي تشتعل في الجسم من الأجسام تُشْبِله ^(٢) إلى النقصان والاحتراق ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾ ^(٣) لما كان انسلاخ الشيء من الشيء هو أن يتبرأ منه ويتزَيَّل عنه ^(٤) حالا فحالا كالجلد عن ^(٥) اللحم وما شاكلهما - جعل انفصال النهار عن الليل شيئاً فشيئاً حتى يتكامل الظلام انسلاخاً ، وكذلك قوله عز وجل : ﴿ قَصَبٌ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوِطَ عَذَابٍ ﴾ ^(٦) لما كان الضرب بالسَّوِط من العذاب استعار ^(٧) للعذاب صوطاً .

فهذا مجرئ الاستعارات في كلام العرب .

* * *

وأما قول أبي تمام « ولين أخادع الدهر ^(٨) الآبي » فأى حاجة دعت ^(٩) إلى الأخادع حتى يستعيرها للدهر ؟ [وقد] ^(١٠) كان يمكنه أن يقول : ولين معاطف الدهر الآبي ، أو لين جوانب الدهر ، أو خلائق الدهر ، كما تقول : فلان سهلُ الخلائق ، ولين الجانب ^(١١) ، وموطأ الأكناف ، ولأن الدهر

(١) سورة مريم : ٤

(٢) م « وتحيطه » وهو تحريف

(٣) سورة يس : ٣٧

(٤) في غيرك : « منه »

(٥) ط « من اللحم . . شاكلها »

(٦) سورة الفجر : ١٣

(٧) ط « استعير . . . سوط »

(٨) ط « الزمن . . . يستعيرها للزمن »

(٩) الزيادة من ك

(١٠) من ك

(١١) ط « الجوانب »

قد يكون سهلاً وحزناً وليناً وخشناً^(١) على قدر تَصَرُّف الأحوال فيه ، فإن^(٢) هذه الألفاظ كانت أولى بالاستعمال في هذا الموضع . وكانت تنوب [له] عن المعنى الذى قَصَدَه ويتخلَّص من قبح الأخادع ؛ فإن في الكلام مُتَّسِعاً ، ألا ترى إلى قوله ما أحسنه وأصحه^(٣) .

لَيْلَايَ نَحْنُ فِي وَسَنَاتِ عَيْشٍ كَأَنَّ الدَّهْرَ عَنَّا فِي وَثَاقٍ^(٤)
وَأَيَّاماً لَنَا وَلَهُ لِدَانَا غَنِينَا فِي حَوَاشِيهَا الرِّقَاقِ^(٥)
فاستعار للأيام [رقة] الحواشي ، وقوله :

أَيَّامَنَا مَضْقُولَةٌ أَطْرَافُهَا بِكَ ، وَاللَّيَالِي كُلُّهَا أَسْحَارُ^(٦)
وأبلغ من هذا وأبعد من التكلف وأشبه بكلام الأوائيل^(٧) قوله :

سَكَنَ الزَّمَانُ فَلَا يَدُ مَذْمُومَةٍ لِلْحَادِثَاتِ وَلَا سَوَامٌ تُذْعَرُ^(٨)

فقد تراه كيف يَخْلِطُ الحسن بالقبيح ، والجيد بالردى ، وإنما قبح الأخدع^(٩) لما جاء به مستعاراً للدهر ، ولو جاء في غير هذا [الموضع]^(١٠) أو أتى [به] حقيقة ووضعه في موضعه لما^(١١) قبح ، نحو قول البحتري :

(١) ط « وصعباً »

(٢) ط « لأن »

(٣) ط « وما أوضحه »

(٤) شرح التبريزي ٢ / ٤٢٦ والصناعتين ٢٨٨ والديوان ٢١٥ « سبكي بعده غفلات عيش »
ومها روايتان

(٥) م ، ك « وأيام . . لدان » وفي الديوان وشرحه والصناعتين « عرينا » ويروى : « نعمنا في حواشيها »

(٦) ديوانه ١٥٨ وشرح التبريزي ٢ / ١٨١

(٧) ط « وأشبه بكلام العرب »

(٨) ديوانه ١٥٨ وشرح التبريزي ٢ / ١٩٧

(٩) ط « الأخادع »

(١٠) م « هذا وأتى حقيقة »

(١١) في غيرك « ما »

• وَأَعْتَقْتَ مِنْ ذُلِّ الْمَطَامِعِ أَخْذَعِي^(١) •

ونحو قوله :

• وَلَا مَالَتْ بِأَخْذَعِكَ الضِّيَاعُ^(٢) •

ومما يزيد على كل جيد قول الفرزدق :

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ ضَرْبِنَاهُ حَتَّى تَسْتَقِمَ الْأَخَادِعُ^(٣)

* * *

فأما قوله « فضربت الشتاء في أخذه » فإن ذكر الأخدعين [ههنا] - على قبجها - أسوَّغ ؛ لأنه قال « ضربة غادرته عوداً ركوباً » وذلك أن العود المسن من الإبل [والبعير أبداً] يضرب على صفحتي عنقه فيذل ؛ فقربت الاستعارة ههنا من الصواب قليلاً .

ومن القبيح في هذا قوله :

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِنْ أَخْذَعَيْكَ فَقَدْ أَضْجَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرُوكِ^(٤)
فأى^(٥) ضرورة دعت به إلى الأخدعين ؟ و [قد] كان يمكنه أن يقول
« قوم^(٦) من اعوجاجك » أو « قوم معوج صنعك »^(٧) أو : يَا دَهْرُ أَحْسِنْ
بِنَا الصَّنِيعَ ؛ لَأَنَّ الْأَخْرَقَ هُوَ الَّذِي لَا يُحْسِنُ الْعَمَلَ ، وَضَدَهُ الصَّنْعُ .

وكذلك قوله :

تَحَمَّلْتُ مَا لَوْ حُمِلَ الدَّهْرُ شَطْرَهُ لَفَكَّرَ دَهْرًا أَيْ عِبَائِهِ أَنْثَلُ^(٨)

(١) ديوانه ٩١ « من رق » صدره : « وإني وإن أبلغتني شرف المل »

(٢) ديوانه ٢٢٨ « صدره : « فإرفع التصفح منك طرفاً » وفي م « الطباع »

(٣) ديوانه ٥١٩

(٤) سبق ص ٢٦١

(٥) في غيرك « أى » .

(٦) منك

(٧) ط « ما تعوج من صنعك أى »

(٨) سبق ص ٢٦٢

فجعل للدهر عقلاً^(١) ، وجعله مفكراً في أى العباين أثقل ، وما شئ هو^(٢) أبعد من الصواب من هذه الاستعارة ، وكان الأشبهُ والأليقُ بهذا المعنى لما قال « تحملت ما لو حمل الدهر شطره » أن يقول : لتضعف ، أو لانهد ، أو لأمّن الناس صروفه ونوازل^(٣) ، ونحو هذا المعنى^(٤) مما يعتمد به أهل المعاني في البلاغة والإفراط .

ولمّا رأى أبو تمام أشياء يسيرة من بعيد الاستعارات متفرقة في أشعار القدماء كما عرفت^(٥) لا تنتهي في البعد إلى هذه المنزلة ، فاحتدّها ، وأحبّ الإبداع ، والإغراب^(٦) بإيراد أمثالها ، فاحتطب ، واستكثر منها .
فمن ذلك قولُ ذى الرمة :

تَيْمَنَنْ يَا فُوحَ الدُّجَى فَصَدَّعْنَهُ وَجَوَزَ الْفَلَا صَدْعَ السُّيُوفِ الْقَوَاطِعِ
فجعل للدجى يافوخا .

وقولُ تَابِطٍ شَرًّا :

نَحْزُ رِقَابَهُمْ حَتَّى نَزَعْنَاهَا وَأَنْفَ الْمَوْتِ مَنْخَرَهُ رَثِيمٌ^(٧)
فجعل للموت أنفاً .

وقولُ ذى الرمة :

يُعِزُّ ضِعَافَ الْقِيَوْمِ عِزَّةَ نَفْسِهِ وَيَقْطَعُ أَنْفَ الْكِبَرِيَاءِ عَنِ الْكِبَرِ^(٨)

(١) في ك « دحرا » وهو خطأ

(٢) ط « وما معنى أبعد »

(٣) م « ونواذره »

(٤) من ك

(٥) راجع ص ٢٦١

(٦) ط « الإبداع وأغراق في إيراد »

(٧) رثيم ورثيم : مكسور

(٨) ديوانه ٢٧٣ « تعز ضعاف الناس »

فجعل للكبرياء أنفاً .

وقول مَعْقِل بن خُوَيْلِد الهذلي ، أو غيره :

تُخَاصِمُ قَوْمًا لَا تَلْقَى جَوَابَهُمْ وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْ أَنْفٍ لِحْيَتِكَ الْيَدُ^(١)

فجعل للحية أنفاً : أى قَبَضَتْ يَدَكَ عَلَى طرف لِحْيَتِكَ كما يفعل النادم أو المهوم ، وما أظن ذا الرمة أراد بالأنف إلا أولَ الشئ والمتقدم منه ، كما قال^(٢) يصف الحمار :

إِذَا شَمَّ أَنْفَ الصَّيْفِ الْحَقَّ بَطْنُهُ مِرَاسُ الْأَوَابِي وَامْتِحَانُ الْكَوَانِمِ^(٣)

وقال أبو العباس : عبد الله بن المعتز بالله في كتاب «سركات الشعراء»

وبهذا البيت^(٤) اغترَّ الطائي حتى أتى [بما أتى] به^(٥) [قال أبو القاسم]^(٦)

وإنما أراد ذو الرمة بقوله «أنف الصَّيْفِ»^(٧) : [أول الصيف] كقولهم

«أنف النهار» : أى أوله [ورعينا أنف الغيث أى أوله] قال امرؤ القيس :

قَدْ غَدَا يَحْمِلُنِي فِي أَنْفِهِ لَاحِقُ الْأَطْلَبِينَ مَحْبُوكٌ مَرَّ^(٨)

وقوله «في أنفه» أى في أول جريه وأشدّه ، ويقال «في أنفه» في أنف

(١) البيت لمعقل في ديوان الهذليين ١٦٧/٢ ولأبي خراش في اللسان ٣٥٦/١٠ . وأنف

كل شئ أوله ، يقول كنت غلاما حدثا لا تعاتب ، واليوم قد أخذت بلحيتك .

(٢) في ك «كقوله»

(٣) ط «أنف الصيف .. مراسي الأوايس ... الكرائم» وهو تحريف . وفي ديوانه ٦٢١

«أنف البرد . إذا شم الفحل أنف البرد ، وأنف البرد أوله ، الحق بطنه : أخسر ، ممارسة الأوابي : تكتم حملها . وامتنعها أى يحتجها هل حبلت أم لا فإن كانت حبلت وإلا رد عليها الضرب لتحبل» .

(٤) ط «وهذا .. غر»

(٥) زيادة من ط

(٦) ما بين القوسين من ك

(٧) ط «الصيف»

(٨) ديوانه ٩٠ «لاحق الأيطل» والأيطل : الخاصرة

محبوكة : شديد الخلق . مر : سوى الأعضاء صحيحها

الْقَيْثُ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي أَوَّلِهِ ، يَقُولُ : لَمْ يَطَأْ هَذَا الْغَيْثُ أَحَدًا قَبْلِي ، وَلَمْ يَذْهَبْ
هَذَا الشَّاعِرُ حَيْثُ ذَهَبَ أَبُو الْعَبَّاسِ .

وكَذَلِكَ قَوْلُ أَعْرَابِي يَصِفُ الْبَرَقَ :

إِذَا شِيمَ أَنْفَ اللَّيْلِ أَوْمَضَ وَسَطَهُ سَنَا كَابِتِ سَامِ الْعَامِرِيَّةِ شَاغِفٌ^(١)
لِنَّمَا أَرَادَ إِذَا شِيمَ أَوَّلَ اللَّيْلِ .

وقول الآخر : أَنْشَدَنَاهُ الْأَخْفَشَ عَنْ ثَعْلَبٍ يَذُمُّ رَجُلًا^(٢) :

مَا زَالَ مَذْمُومًا عَلَى آسَتِ الدَّهْرِ ذَا حَسَدٍ يَنْمِي وَعَقْلٍ يَحْرِى^(٣)
فَجَعَلَ لِلدَّهْرِ اسْتَا .

وقول شاتم الدهر وهو أحد شعراء عبد القيس :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ وَغَرًّا سَبِيلُهُ وَأَبْدَى لَنَا ظَهْرًا أَجَبٌ مُسْلَعًا^(٤)
وَمَعْرِفَةً حَصَاءَ غَيْرِ مُفَاضَةٍ عَلَيْهِ وَلَوْنَا ذَا عَثَانِينَ أَجْدَعًا^(٥)

(١) ط « شيم » يقال : شام السحاب والبرق نظر إليه أين يقصد وأين يحطر

(٢) في الأغاني ١٨ / ١٤١ عن العتيبي قال : لما حبس عمر بن هبيرة الفرزدق ، وهو أمير

المراق ، أبى أن يشفع فيه أحداً ، فدخل عليه أبو نخيلة الراجز في يوم فطر ، فوقف بين يديه وأنشأ
يقول :

أطلقت بالأمس أمير بكر فهل فداك نفري ووفرى
من سبب أو حجة أو عذر ينمي التميمي القليل الشكر
من حلق القيد الثقال السمر ما زال مجنوناً على است الدهر
ذا حسب يعمل وعقل يزرى هبه لأخوالك يوم الفطر

(٣) لأبي نخيلة في اللسان ١٧ / ٣٩٠ « ذا حلق » وغير منسوب فيه ١٨ / ١٨٧ « في بدن

ينمي » يقال : ما زال فلان على است الدهر مجنوناً : أى لم يزل مجنوناً دهره كله . ويجرى : ينقص
وجاء ط « ما زال مغموماً . . . ذا حسد . . . » يجرى ! وفى ك « ما زال مجنوناً »

(٤) ذكرها أبو تمام في الحماسة الصغرى ، وهى المعروفة بالوحشيات (القطعة رقم ٣٦٢) وفى م

« أحب » وهو تحريف . والأجيب : المقطوع السنام ، والمسلع : المشتق .

(٥) م « ومعرفة خضاء » و ط « أجما » وفى الوحشيات : « بالعثانين أجدا » والمعرفة بالفتح :

منبت عرف الفرس . وحصاء : لا شعر عليها . ذا عثانين : منبراً . أجده : مقطوع الأذن .

وَجِبْهَةً قِرْدٍ كَالشَّرَاكِ ضَّيْلَةً وَصَعَرَ خَدَيْهِ وَأَنْفًا مُجْدَعًا^(١)
 فجعل للدهر ظهراً أجب^(٢) ، ومعرفةً حصاءً^(٣) ، ولوناً ذا عثانين ، وشبه
 جبهته جبهة قرد ، وجعل له^(٤) أنفاً مجدعاً ، وهذا الأعرابي إنما تملح^(٥) بهذه
 الاستعارات في هجائه للدهر ، وجاء بها هازلاً^(٦) .
 ومثل هذا في كلامهم قليل جداً ، ليس^(٧) مما يعتمد ويجعل أصلاً
 يُحتذى عليه ويستكثر منه [ويستعمل في الجد كما يستعمل في الهزل] .

٢٣ - ومن ردى استعاراته وقبيحها وفاسدها قوله :

لَمْ تُسْقَ بَعْدَ الْهَوَى مَاءً أَقَلَّ قَذًى مِنْ مَاءٍ قَافِيَةٍ بِسَقِيكَهُ فَهِمُ^(٨)
 فجعل للقافية ماءً على الاستعارة ؛ فلو أراد الرونتق لصلح ، ولكنه قال
 « يسقيكه » ففسد^(٩) معنى الرونتق ؛ لأنك إذا قلت « هذا ثوب له ماء
 [أو لفظ له ماء] » لم تجعل الماء مشروباً [على الاستعارة] فتقول : ما

(١) وبعده في الوحشيات :

هناك ذكرت الداهيين أولى النهى	وقلت لعمرو والحمام به ألا دعا
فإني أرى الحيين كمبا ودراما	أصابهم دهر وإن كان مفجما
أرى كل مأفون وكل حزنبيل	وترعية بهدارية قد فصلما
وسامى المعاني يبتغيها لنفسه	فيالك دهرأ لا يزال مروعا

والحزنبيل القصير ، الترعية : الراعى ابن الرعاة ، تطلع : امتلأ

(٢) م « أحب »

(٣) م « غصاء »

(٤) في غير ك : « وجعل أنفه »

(٥) ط ملح »

(٦) ط « ، ك » هازئاً »

(٧) في ك « ليس مثله »

(٨) في ك « كاه قافية »

(٩) ط « فبئس معنى »

شربت ماء [أعذب] ^(١) من ماء ثوب شربته عند فلان ، ورأيت على فلان ^(٢) وكذلك لا تقول : ما شربت ماء أعذب من ماء « قِفَا نَبْكَ » ، أو أعذب من ماء [قصيدة] كذا ؛ لأن للاستعارة حداً تصلح فيه ، فإذا تجاوزته ^(٣) فسدت وقبحت .

فأما قولهم « فلان حلو الكلام » و « عذب المنطق » أو « كأن ألفاظه فُتَات السكر » فهذا كلام الناس على هذه السياقة ، وليس يريدون حلوة على اللسان ، ولا عذوبة في القم ، وإنما يريدون عذباً في النفوس ، وحُلُوا في القلوب ، كما قال [هو أعنى أبا تمام] :

يَسْتَنْبِطُ الرُّوحَ اللَّطِيفَ نَسِيمُهَا أَرْجَا ، وَتُوكَلُّ بِالضَّمِيرِ وَتُشْرَبُ ^(٤)

وكذلك قولهم « حلو المنظر » وإنما يريدون حلواً ^(٥) في العين ، ولا تقول : ما ذقت أحلى من كلام فلان ، ولا ما ^(٦) شربت أعذب من ألفاظ فلان ^(٧) ؛ لأن هذا القول صيغة الحقيقة ، لا الاستعارة ، ولكن يقال : هذا كلام يصلح أن يُتَنَقَّلَ به ، وزيد يُشْرَبُ مع الماء لحسن أخلاقه وحلاوته ، وعمرو يؤكل ويشرب لرقه طبعه ، ولا تقول : ما شربت أعذب من عمرو ، ولا ما أكلت أحلى من عبد الله ، فاعرف ^(٨) هذا ؛ فإن حدود الاستعارة معلومة .

(١) زيادة من ط

(٢) ط ، ك « فلان الملك »

(٣) في غير ك « جاوزته »

(٤) ديوانه ٣٩ وشرح التبريزي ١/١٣٦

(٥) ط « حلوة »

(٦) من ك

(٧) ط « عمرو »

(٨) ط « فاعلم »

فأما قوله ^(١) :

لَمَكَاسِرُ الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ أَطِيبُ وَأَمْرٌ فِي حَنْكِ الْعَدُوِّ وَأَعَذِبُ ^(٢)
فالمكاسر : الأخلاق ، وإنما أراد أمرٌ في حنك العدو إذا نطق بها ، أو
أمر في حنكه أن يذكرها ، أو يخبر بها ، وأعذب في حنك وليه ووديده ،
إذا سترها ، وكما قال زهير :

تَلَجْلِجُ مُضْغَةً فِيهَا أُنَيْضُ أَصَلَّتْ فَهِيَ تَحْتَ الْكَشْحِ دَاءُ ^(٣)
لأنه أراد كلمةً فصلح أن يقول أنيض : أى لم تنضج ، وأصلَّت :
تغيرت وأنتنت ، وذلك لما جعلها مضغة أى لقمة في فيه ؛ فهذا طريق
الاستعارة فيما يصلح منها ^(٤) ويفسد ؛ فتفهّمه فإنه واضح .

فأما قوله :

لَا تَسْقِنِي مَاءَ الْمَلَامِ فَإِنِّي صَبٌّ قَدْ اسْتَعَذَبْتُ مَاءَ بُكَائِي ^(٥)
فقد عيب ، وليس بعيب عندي ؛ لأنه لما أراد أن يقول « قد استعذبت
ماء بكائي » جعل للملام ماء ؛ ليقابل ^(٦) ماء بلاء وإن لم يكن للملام ماء على
الحقيقة ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ ^(٧) ومعلوم أن
الدانية ليست بمسيئة ، وإنما هي جزاء عن السيئة ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ

(١) في ك « فأما قول أبي تمام أيضا »

(٢) ديوانه ٣٨ وشرح التبريزي ١/١٣٤ « المكاسر : جمع مكسر ، وهو الأصل مثل المنصر ،

تقول العرب : فلان طيب المكسر إذا كان لين الجانب حسن الخلق » . وفي ط ، ك « حنك الحسود »

(٣) سبق ص ٩٠

(٤) من ك

(٥) ديوانه ٢ وشرح التبريزي ١/٢٥ « أى لا تلمنى فإنى عاشق قد ألقت البكاء واستعذبت

فلا أكاد أفلح عنه للويلك إياي فكف عني » وانظر أخبار أبي تمام ٣٣ - ٣٧ ورسر الفصاحة ١٣٢ - ١٣٦

(٦) ط « ليقابل ما أراد »

(٧) سورة الشورى : ٤٠

تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ»^(١) والفعل الثاني ليس بسخرية ، ومثلُ هذا في الشعر والكلام كثير مستعمل ، فلما كان [في] مجرى العادة أن يقول قائل : أغلظت لفلان القول ، وجَرَّعته منه كأساً مرة ، أو سقيته منه أمراً من العلقم ، وكان الملامُ مما يُستعمل فيه التجرع على الاستعارة - جعل له ماء على الاستعارة ، ومثل هذا كثير موجود .

وقد احتج محتج لأبي تمام في هذا بقول ذى الرمة :
أَذَاراً يَحْزَوِي هِجَتِ لِلْعَيْنِ عَبْرَةً فَمَاءُ الْهَوَى يَرْفُضُ أَوْ يَتَرَفَّقُ^(٢)
وقول الآخر :

وَكَأْسٍ سَبَّاهَا التَّجْرُ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ كَرَقَةٍ مَاءِ الْبَيْنِ فِي الْأَعْيُنِ النَّجْلِ
وهذا لا يشبه ماء الملام ؛ لأن ماء الملام استعارة ، وماء الهوى ليس باستعارة ؛ لأن الهوى يبكى ؛ فتلك الدموع [هى ماء الهوى على الحقيقة ، وكذلك البين يبكى : فتلك الدموع] هى ماء البين [على الحقيقة]^(٣) .
فإن قيل : فإن^(٤) أبا تمام أبكاه الملام ، واللام قد يبكى على الحقيقة ، فتلك الدموع هى ماء الملام على الحقيقة .

قيل : لو أراد أبو تمام ذلك لما قال « قد استعذبت ماء بكائي » لأنه لو بكى من الملام لكان ماء الملام هو ماء بكائه^(٥) أيضاً ، ولم يكن يَسْتَعْفِي منه .

• • •

(١) سورة هود : ٣٨

(٢) احتج له الصول بهذا البيت في أخبار أبي تمام ٣٤ والبيت في ديوان ذى الرمة ٣٨٩

(٣) زيادة من ط

(٤) في ك « فإن قيل إن أبا تمام إنما . . . »

(٥) ط « بكاء »

(٦) ط « استعاراته »

٢٤- ومن ردى استعارته^(١)؛ وقبيحها قوله :

مَقْصَرٌ خُطَوَاتِ الْبَثِّ فِي بَدَنِي عِلْمًا بِأَنِّي مَا قَصَرْتُ فِي الطَّلَبِ^(٢)
فجعل للبث - وهو أشد الحزن - خطوات في بدنه ، وأنه قد قصرها ؛
لأنه^(٣) ما قصر في الطلب ، وهذا من وساوس المحكمة ، وإنما أراد أنه^(٤) قد
سهل أمر الحزن عليه أنه ما قصر في الطلب ؛ لأنه لو قصر لكان^(٥) يأسف
ويشتد جزعه ، فجعل للحزن خطى في بدنه قصيرة لما جعله سهلاً خفيفاً .
وهذا ضد المعنى الذى أراد ؛ لأن الخطى إذا طالت [أخذت من الشيء الذى
تمر عليه أقل مما تأخذه الخطى القصيرة ، فعلى هذا] يجوز أن يقع قلبه
أو كبده بين تلك الخطى الطويلة فلا يمسه من البث - وهو الحزن - قليل
ولا كثير .

فإن قيل : إنما أراد [أن]^(٥) الحزن هو [فى]^(٤) قلبه خاصة ، وأن قوله
« فى بدنى » أى فى قلبى ، لأن قلبه فى بدنه .

قيل : الأمر واحد فى أن الخطى إذا طالت على الشيء - قلبه كان أو
ما سواه - أخذت منه أقل مما تأخذه إذا قصرت .

فإن قيل : أراد بطول الخطى الكثرة وبقصرها القلة .

قيل : هذا غلط من التأويل^(٦) ، وليس العمل على إرادته ، وإنما العمل
على توحيه معانى ألفاظه .

(١) ديوانه ٤٧١ وشرح التبريزي (مخطوطة الدار) ٧٦٧ « خطرات الم » وفى م ، ك
« مقصراً . . . علمى »

(٢) م « أنه »

(٣) م « أراد به قد »

(٤) فى غيرك « كان »

(٥) الزيادة من ط

(٦) ط « التأويل »

وبعد ؛ فمن أعجب الرسواس^(١) خطوات البث في البدن .

* * *

٢٥- ومن ردى استعارته [وبعيدها] وقبيحها قوله :

جَارَى إِلَيْهِ الْبَيْنُ وَصَلَ خَرِيدَةً مَاشَتْ إِلَيْهِ الْمَطْلَ مَشَى الْأَكْبَدِ^(٢)

الهاء في «إليه» راجعة إلى المحب ، يريد أن البين [ووصل الخريدة تجاريا إليه ، فكأنه أراد أن يقول : إن البين]^(٣) حالَ بينه وبين وصلها ، واقتطعها عن أن تصله ، وأشبه هذا من اللفظ المستعمل الجارى [في العادة] ؛ فعدل إلى أن جعل البين والوصل تجارياً إليه ، كأن^(٤) الرصل في تقديره جرى إليه يريده فجرى البين ليمنعه ، فجعلهما متجارين ، ثم أتى في المصراع^(٥) الثاني بنحو من هذا التخليط. فقال : ما شت إليه المطل مشى الأكبد^(٦) ، فالهاء هنا راجعة إلى الرصل : أى لما عزمَ على أن تصله عزمَ عزم متناقل مُماطل فجعل عزمها مشياً ، وجعل المطل مماشياً لها .

فيا معشر الشعراء والبلغاء ويا أهل اللغة العربية : خبرونا كيف يجارى البين وصلها ؟ وكيف تماشى هى مطلقها ؟ ألا تسمعون ؟ ألا تضحكون ؟

* * *

وأنشد^(٧) أبو العباس بن المعتز في كتاب «سركات الشعراء» لسلم

الخاسر يعييه بردى الاستعارة في قوله يرثى موسى الهادى :

(١) ط « فإن من أعجب العجب »

(٢) ديوانه ١١١ وشرح التبريزي ٢ / ٤٤ - ٤٥

(٣) زيادة من ط

(٤) ط « وأن »

(٥) ط « بالمصراع »

(٦) الأكبد هنا : الفرس الذى يشتكى كبده فيطىء في سيره

(٧) في ك « أنشدنا »

لَوْلَا الْمَقَادِيرُ مَا حَطَّ الزَّمَانُ بِهِ لَا ، بَلْ تَوَلَّى بِأَنْفٍ كَلَمُهُ دَائِي
 وقال : هذا ردىء كأنه من شعر أبي تمام الطائي ، وليت (١) لم يكن
 لأبي تمام من ردىء الاستعارة إلا مثل استعارة «سَلَمٌ» هذه أو نحوها ، ونعزذ
 بالله من حرمان التوفيق .

ما جاء في شعر أبي تمام من قبيح التجنيس

ورأى أبو تمام أيضاً المجانس من الألفاظ متفرقاً^(١) في أشعار الأوائيل ،
وهو ما اشتق بعضه من بعض ، نحو قول امرئ القيس :

لَقَدْ طَمَحَ الطَّمَّاحُ مِنْ بُعْدِ أَرْضِهِ لِيَلْبِسَنِي مِنْ دَائِرِ مَا تَلَبَّسَا^(٢)

وقوله أيضاً :

وَلَكِنِّي أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤْتَلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤْتَلُ أَمْثَالِي^(٣)

وقول القطامي :

وَلَمَّا رَدَّهَا فِي الشُّوْلِ سَالَتْ بِذِيَالٍ يَكُونُ لَهَا لِفَاعًا^(٤)

وقول ذي الرمة :

كَأَنَّ الْبُرَى وَالْعَاجَ عِجَّتْ مُتُونُهُ عَلَى عَشْرِ يَرْمِي بِهِ السَّبِيلَ أَبْطَحَ^(٥)

وقول رجل من عبس :

وَذَلِكُمْ أَنَّ ذُلَّ الْجَارِ حَالَفَكُمْ وَأَنَّ أَنْفَكُمْ لَا يَعْرِفُ الْأَنْفَا^(٦)

(١) ط « شرقاً » !

(٢) سبق ص ١٧

(٣) ك ، ديوانه ١٤٦ « ولكما »

(٤) سبق ص ١٦

(٥) سبق ص ١٦

(٦) نقد الشعر ٦١ والعمدة ٢/٢٩٢ وسر الفصاحة ١٨٤ والبدیع ٥٨ وإعجاز القرآن ١٢٩

وقول مسكين الدرامي :

وَأَقْطَعُ الْخَرْقَ بِالْخَرْقَاءِ لَاهِيَةً

إذا الكواكبُ كانت في الدجى سُرجاً^(١)

وقول حيّان بن ربيعة الطائي :

لَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ أَنَّ قَوْمِي لَهُمْ حَدٌّ إِذَا لُبِسَ الْحَدِيدُ^(٢)

وقول النعمان بن بشير معاوية :

أَلَمْ تَبْتَدِرْكُمْ يَوْمَ بَدْرٍ سَيْوفُنَا وَلَيْلُكَ عَمَّا نَابَ قَوْمَكَ نَائِمُ^(٣)

وقول جرير :

فَمَا زَالَ مَعْتُولًا عَقَالُ عَنِ النَّدَى وَمَا زَالَ مَحْبُوسًا عَنِ الْخَيْرِ حَابِسُ^(٤)

وقول الفرزدق :

خُفَافٌ أَخَفَّ اللَّهُ عَنْهُ سَحَابُهُ وَأَوْسَعُهُ مِنْ كُلِّ سَافٍ وَحَاصِبُ^(٥)

وكان [قول] ^(٦) هذين الشاعرين في تجنيس ما جئناه من هذه الألفاظ

وحاجتهما ^(٧) إليه يشبه قول النبي صلى الله عليه وسلم «عَصِيَّةٌ عَصَتِ اللَّهَ،

وَعَفَّارٌ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَأَلَهَا اللَّهُ»^(٨).

(١) البيت لمسكين في البديع ٥٨ ونقد الشعر ٦١ وسر الفصاحة ١٨٤ ، وأخطأ أبو هلال العسكري فذكر صدره منسوباً للناطقة في الصناعتين ٣٢٦ . والخرق : الغلاة الواسعة ، سميت بذلك لانخراق الريح فيها . والخرقاء : الناقة التي لا تتعهد مواضع قوائمها ، وبغير آخرق : يقع منسه بالأرض قبل خفه .

(٢) البديع ٥٨ ونقد الشعر ٦١ والصناعتين ٣٢٧ وسجاسة أبي تمام بشرح المرزوق ١/٢٨٨ وفي المؤلفات والمختلف للامدني ٩٨ حبان ، بفتح الحاء والباء - وفيه : « لقد علم العمائر . . ذو وجد » قال المرزوق : يقول : شهدت القبائل أن قومي يجيدون في الحرب إذا تدجج أهلها في الأسلحة ويبلون فيها ولا يقصرون . وفي ك « ذو وجد »

(٣) البديع ٥٩ والصناعتين ٣٢٧ ونقد الشعر ٦١ وهو محرف في الأغاني ١/١٢٦ وفي كعقال عن

(٤) سبق ص ١٦

(٥) سبق ص ١٧

(٦) الزيادة من ك

(٧) ط « وحاجتهما »

(٨) راجع ص ١٦

ونحو هذا مما تَعَمَّد الشعراء^(١) لتجنيسه قول جَنْدَل بن الراعى :

فَمَا عَمَرْتُ عَمْرُو وَقَدْ جَدَّ سَعِيْهَا وَمَا سَعِدَتْ يَوْمَ التَّقَيْنَا بَنُو سَعْدٍ^(٢)

ومن أَلطف ما جاء من التجنيس وأَحْسَنِهِ فى كلام العرب قولُ القُطَامِي :

كَنِيَّةُ الْحَيِّ مِنْ ذِي الْقَيْظَةِ احْتَمَلُوا مُسْتَحْقِقِينَ فَوَادًّا مَا لَهُ فَادَى^(٣)

ومثل هذا فى أشعار الأوائِل موجود ، لكن^(٤) إنما يَأْتِي منه فى القصيدة البيتُ الواحد أو البيتان ، على حسب ما يَتَّفِقُ للشاعر ، ويحضر فى خاطره ، وفى الأكثر لا يعتمدُه ، وربما خلا ديوان الشاعر الكثير منه ؛ فلا تُرَى له^(٥) لفظة واحدة .

فاعتمده الطائي ، وجعله غَرَضَهُ ، وبني أكثر شعره عليه ، فلو كان قَلَّلَ منه واقتصر على مثل قوله :

« يَا رَبِّعُ لَوْ رَبَّعُوا عَلَى ابْنِ هُمُومٍ »^(٦)

وقوله :

« أَرَامَةٌ كُنْتُ مَالَفَ كُلِّ رِيمٍ »^(٧)

وقوله :

« يَا بُعْدَ غَايَةِ دَمْعِ الْعَيْنِ إِنْ بَعْدُوا »^(٨)

(١) فى ك : « تعمل الشعر »

(٢) ك ، م « جد وقعها - ولا »

(٣) سبق ص ١٦

(٤) م « لكنه »

(٥) ك ، ط « فيه »

(٦) عجزه : « مستلم لجوى الفراق سقيم » وهو فى ديوانه ٣٠٥ وشرح التبريزي ٣ / ٢٦١

(٧) ديوانه ٢٨٧ وشرح التبريزي ٣ / ١٦٠ ورامة : اسم موضع . وفى م « كنت رامة »

(٨) عجزه : « هى الصباية طول الدهر والسهد » ديوانه ٩٦ وشرح التبريزي ٢ / ١٠ ومعنى

قوله : يا بعد غاية دمع العين ، معناه : ما أشقك ! وفى م « إذ بعدوا »

وأشبهه هذا من الألفاظ المتجانسة المستعذبة اللاتقة بالمعنى - لكان قد أتى على (١) الغرض ، وتخلص من الهجنة والعيب .

فأما أن يقول :

قَرَّتْ بِقَرَّانٍ عَيْنُ الدِّينِ وَانْشَرَّتْ بِالْأَشْتَرَيْنِ عَيْنُ الشَّرِّكَ فَاصْطُلِمَا (٢)

فإن انتشار (٣) عيون الشرك في غاية الغثاثة والقباحة ، وأيضاً فإن انتشار العين ليس بموجب للاصطلام .

وقوله :

إِنَّ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ لَمَلَعُوا ن . وَمَنْ عَقَّ مَنْزِلًا بِالْعَقِيقِ (٤)

وقوله :

ذَهَبَتْ بِمَذْهَبِهِ السَّمَاةُ فَالْتَوَتْ فِيهِ الظُّنُونُ أَمْذَهَبُ أَمْ مُذْهَبُ (٥)

(١) ط « بالغرض »

(٢) ديوانه ٣٠٢ وشرح التبريزي ١٦٩/٣ الصناعتين ٣٣٥ وسر الفصاحة ١٨٥ ودلائل الإعجاز ٢٧٧ وأسرار البلاغة ١٦ « واشترت » وقرآن : اسم مكان ببلاد الخزمية : والاشتر من أمراض العين أن يرتفع جفنها الأعلى حتى لا يغطي بياضها . وأشتر : موضع بين نهاوند وهمدان . والاصطلام : الاستئصال

(٣) ك ، ط « فانتشار »

(٤) ديوانه ٢١٥ وشرح التبريزي ٤٣١/٢ والصناعتين ٢٣٥

(٥) ديوانه ٣٩ وشرح التبريزي ١٣٦/١ والبدیع ٧٣ والموشح ٣٠٩ ودلائل الإعجاز ٢٧٧ وأسرار البلاغة ٦ . بمذهبه : أى بطريقته ، والمعنى ذهب بطريقته السماحة أى غلبت عليه ، كما يقال : ذهب فلان بالمجد أى حازه وصار له . وقوله : التوت فيه الظنون : أى اختلفت ولم تحقق شيئاً واحداً . وقوله : أم مذهب أم مذهب : أى طريقة هو وخلق أم مذهب ، من قول العامة بفلان مذهب ، إذا كان يلج في الشيء ويمزى به وقيل : المذهب بالفتح واحد المذاهب ، والمذهب بالضم : اللوح والسفر من الكتب التى فيها السير ، أى ذهب السماحة بمذهبه كل مذهب فأخذ من كل شيء حظاً فلا يدري أمذهبه مذهب ، أم هو السفر الذى تشعب فيه المذاهب لسمعتها وافتتنائها في كل فن . وقال المرزبانى : « يريد غلبت على مذهبه السماحة فكأن فيها مذهبا يظنه بعض الناس » وقال المرزوق : « المذهب بضم الميم : الجنون والمعنى : أن السماحة قد غلبت عليه واستولت على شمائله وسجاياه ، فهو يفرط فيها ويسرف في لزومها ، حتى قيل على طريق التشكك : أهذا خلق ومذهب أزم جنون ومذهب » وشرح المرزوق هو الشرح

وقوله :

• خُشُّنْتَ عَلَيْهِ أُخْتُ بَنِي خُشَيْنٍ ^(١) •

فهذا كله تجنيس في غاية البشاعة ^(٢) والركاكة والهجانة ، ولا يزيد زيادة

على قبح قوله :

فَاسْلَمْ سَلِمَتْ مِنَ الْآفَاتِ مَا سَلِمَتْ
سِلَامُ سَلَمَى وَمَهْمَا أَوْرَقَ السَّلْمُ ^(٣)

فإن هذا من كلام المبرسمين ^(٤) .

وقد عابه أبو العباس عبد الله بن المعتز ببعض هذه الأبيات في « كتاب

البدیع » ، جاء بها في قبح التجنيس .

و [قد جاء من التجنيس] في أشعار العرب ما يُستكره ، نحو قول

امرئ القيس :

• وَسِنَّ كُتْنِيْقٍ مَنَاءَ وَسُنَّمَا ^(٥) •

ولم يعرف الأصمعي هذا [ولا أبو عمرو] ، وقال أبو عمرو : وهو بيت

مَسْجِدِي : أي من عمل أهل المسجد .

وقال الأصمعي : السن : الثور ، ولم يعرف سنيقا ^(٦) ، ولا سنها ،

(١) عجزه : « وأنجح فيك قول العاذلين » ديوانه ٣٢١ وشرح التبريزي ٢٩٧/٣ بنوخشين :

قبيلة من اليمن

(٢) ط « الشناعة »

(٣) السلام : الحجارة الصلبة ، وسلمى : جبل طيء ، والسلام : شجر له شوك يدبغ بورقه وقشره .

(٤) في ك « المنسجين »

(٥) في ديوانه ١١١ « وسَم » ذعرت بمدلاج الهجير نهوض . والمعاني الكبير لابن قتيبة

٧٧٣/٢ والعصاة ٣٣٨

(٦) ك « م » سنيق ولا سَم »

ويقال : سنيق جبل ، ويقال : أَكَمَّةٌ ، وسنم ههنا : البقرة [الوحشية ^(١)] ،
 مناء : أى ارتفاعاً ، ويروى « سناما » ^(٢) أى ارتفاعاً أيضاً ، من « تسنمت » ^(٣)
 الجبل « علوته .

وقول الأعشى :

• شَاوٍ مِثْلُ شُلُولٍ شُلُشْلٍ شَوْلٍ ^(٤) •

وهذا عند أهل العلم من جنون الشعراء ^(٥) .

وقرأ هذه القصيدة على أبي الحسن على بن سليمان [الأخفش] النحوى
 قارئ ، فلما بلغ إلى هذا البيت قال أبو الحسن : صُرِعَ والله الرجل .

وما زلت أراهم يستكبرون قول ذى الرمة :

• عَصَا قَسَّ قَوْسٍ لَيْنُهَا وَاعْتَدَلُهَا ^(٦) •

ويروى « عَصَا عَسْطُوسٍ » ^(٧) وقد قيل : إنه الخيزران .

وهذا إنما جاء من هؤلاء مقلتاً ^(٨) نادراً ؛ لأنك لو اجتهدت أن ترى
 للواحد منهم حرفاً واحداً ^(٩) ما وجدته .

والطائي استفترغ وسعه في هذا الباب ، وجدَّ في طلبه ، واستكثر منه ،
 وجعله غرضه ! فكانت إساءته فيه أكثر من إحسانه ، وصوابه أقل من
 خطئه ^(١٠) .

(١) زيادة من ط

(٢) م « سناما »

(٣) ط « تسنمت »

(٤) سبق ص ٤٣

(٥) ك ، ط « الشعر »

(٦) صدره « على أمر منتقد العفاء كأنه » ديوانه ٥٣٢ واللسان ٨ / ١٧ . والعفاء : الوبر ،
 ومنتقد العفاء عنه ، يعنى الحمار ، والقس : العابد من النصارى . والقوس : المنارة التى يكون فيها
 الراهب نفسه . شبه الحمار بمصا القس العابد فى ملاستها واعتدالها

(٧) م « عصى عسوطوس » والعسوطوس : من رؤوس النصارى . والعسوطوس : ضرب من الشجر

(٨) ط « مقلتا »

(٩) ك و م « واحداً ثانياً مثله ما وجدت »

(١٠) ط « خطائه »

ما يستكره للطائي من المطابق

[ورأى^(١) الطائي الطَّبَاقَ في أشعار العرب ، وهو أكثر وأوجد في كلامها
[مما قدمت ذكره] ^(٢) من التجنيس ، وهو : مقابلة الحرف بضده أو ما يقارب
الضد ، وإنما قيل «مطابق» ، لمساواة أحد القسمين صاحبه ، وإن تضاداً أو
اختلفا في المعنى . ألا ترى إلى قولهم في أحد المعنيين - إذا لم يشاكل صاحبه :
ليس هذا طَبَقَ هذا ، وقولهم في المثل : «وَأَفَقَ شَنْ طَبَقَةً» ^(٣) والطبق للشيء
إنما قيل له طَبَقَ لمساواته إياه في المقدار ، إذا جُعِلَ عليه ، أو غُطِّيَ به ، وإن
اختلف الجنس ، قال * الله عز وجل : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ ^(٤) أى :
حالا بعد حال ، ولم يرد تساويهما في تمثيل ^(٥) المعنى ، وإنما أراد عز وجل
- وهو أعلم ^(٦) - تساويهما فيكم ، وتغييرهما إياكم ، بمرورهما عليكم ، ومنه
قول العباس بن عبد المطلب :

[ينقل من صالب إلى رحم] إذا مضى عَالَمٌ بَدَا طَبَقٌ ^(٧)

أى : جاءت حال أخرى تتلو الحال الأولى ، ومنه طَباق الخيل ، يقال :
طابَقَ الفرسُ ، إذا وقَعَتْ قوائمُ رجله في موضع قوائم يديه في المشي أو
العدو ، وكذلك [مشى] * * * الكلاب ، قال الجعدي :

(١) الزيادة من ط

(٢) الزيادة من ك

(٣) جمهرة الأمثال ٢٠٢ ، وجمع الأمثال ٣٥٩/٢ * في ك «إحدى»

(٤) سورة الانشقاق : ١٩ * * في ك «وقول»

(٥) في ك «في نفس»

(٦) ك : «أعلم وأحكم»

(٧) من أبيات في مدح النبي عليه السلام في أمالي الزجاجي ٤٤ والفتاوى للزمخشري ٢٨١/٢

والختار من شعر بشار ١٣٩ ونهاية الأرب ٣٦٢/٢ والزيادة من ك وفي م ، ط «إذا انقضى عالم»

والطبق : القرن من الثامن

* * * الزيادة من ك

• طِبَاقُ الْكِلَابِ يَطَانُ الْهَرَّاسَا^(١) •

فهذه^(٢) حقيقة الطباق ، إنما هو مقابلة الشيء بمثل الذي هو على قدره ،
فَسَمُوا الْمُتَضَادِّينَ - إِذَا تَقَابَلَا - مُتَطَابِقِينَ^(٣) .

ومنه قول زهير :

لَبِثُ بَعَثَرٍ يَضْطَاذُ الرَّجَالَ إِذَا مَا اللَّيْثُ كَذَّبَ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقًا^(٤)
فطابق بين قوله « كَذَّبَ » وبين [قوله]^(٥) « صدقا » .
وقول طُفَيْلِ الْعَتَوِيِّ يصف فرساً :

• يُصَانُ وَهُوَ لَيَوْمِ الرَّوْعِ مَبْذُولُ^(٦) •

فطابق بين قوله « يُصَانُ » و [بين]^(٧) قوله « مَبْذُولُ » .
وقول طرفة [بن العبد]^(٨) :

بَطِيءٌ عَنِ الْجُلَى سَرِيعٌ إِلَى الْخَنَا [ذُلُولٌ بِأَجْمَاعِ الرِّجَالِ مُلْهَدٌ]
فطابق بين « بطيء » و « سريع » .

فلو اقتصر الطائي على ما اتفق له في هذا الفن من حلول اللفظ^(٩) وصحيح
المعنى نحو قوله :

(١) صدره « وبخيل يطابقن بالدارعين » هو في المعاني الكبير ٤٦/١ والصناعتين ٣٠٧ واللسان ٨٠/١٢ وفي ١٣٤/٨ « الهراس : شوك كأنه حلك . والمطابقة أن تضع أرجلها مواضع أيديها وتقدم أيديها حتى تبصر مواقعها ، يريد أنها لا تريد الحرب فهي تثبت في مشيها كما تمشي الكلاب في الهراس متقية له » وفي م « الهراشا »

(٢) ط « فهذا . . . لمثل » وفي ك « فهذا حقيقة . وانطباق »

(٣) ط « مطابقتين »

(٤) سبق ص : ١٧

(٥) زياده من ك و ط

(٦) سبق ص : ١٧

(٧) زياده من ك و ط

(٨) ديوانه ٣٥ وفي شرح القصائد العشر ٩٦ « الجلى : الأمر العظيم الذي يدعى له خور الرأى . الذلوك والذليل المقهور . وأجماع : جمع جمع وهو ظهر الكف إذا جمعت أصابعك وضمتها والملهد : المضروب .

(٩) ط « الألفاظ »

• نَشَرْتُ فَرِيدَ مَدَامِيعٍ لَمْ تُنْظَمْ ^(١) •

ونحو قوله :

• جُفُوفَ الْبَيْلِ أَسْرَعَتْ فِي الْغُصْنِ الرُّطْبِ ^(٢) •

ونحو ^(٣) قوله :

قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بِالْبَلَوَى وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَبْنِي اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنَّعَمِ ^(٤)
وأشباه هذا من جيد أبياته .

ثم تجنب مثل قوله :

قَدْ لَانَ أَكْثَرُ مَا تُرِيدُ ، وَبَعْضُهُ خَشِنٌ ، وَإِنِّي بِالنَّجَاحِ لَوَائِقُ ^(٥)
وقوله :

لَعَمْرِي لَقَدْ حُرُزَتْ يَوْمَ لَقَيْتَهُ لَوْ أَنَّ الْقَضَاءَ وَحْدَهُ لَمْ يُبَرِّدِ ^(٦)
وقوله :

وَلِنْ خَفَرَتْ أَمْوَالَ قَوْمٍ أَكْفَهُمْ مِنَ النَّيْلِ وَالْجَدْوَى فَكَفَاهُ مِقْطَعُ ^(٧)
ونحو هذا مما يكثر إن ذكرته ، = لتهذب ^(٨) عظم شعره وسقط . أكثر
ما عيب عليه منه .

(١) سبق مع عجزه في ص : ٢١٠

(٢) عجزه « وخطب الردى والموت أبرحت من خطب » ديوانه ٣٥٦

(٣) م « وهو قوله »

(٤) ديوانه ٢٨٠/٣ (شرح التبريزي)

(٥) ديوانه ٢٢٢ وشرح التبريزي ٤٥٢/٢

(٦) ديوانه ١٠١ وشرح التبريزي ٢٥/٢ « حررت : من الحرارة التي هي خلاف البرودة ، يقول : كنت قربت قتله غير أن القضاء نجاه » وهو في الصناعتين ٣٢٠ والوساطة ٦٨ والموشح ٣٠٨ نقلا عن رسالة ابن المعتز في محاسن شعر أبي تمام ومساويه

(٧) ديوانه ١٩١ وفي شرح التبريزي ٣٣٠/٢ « يقول : إذا كانت يد الرجل كالحفير لماله تخفذه من السؤال ، فكفاه مقطع أى يقطع فيهما الطريق على المال ، لأن المادة جارية بأن المال يؤخذ في قطع الطريق »

(٨) ط « ذكرته ذهب عظيم . . . وأكثر » وفي م « مما عيب » . وقوله : « لتهذب » ، جواب قوله في الصفحة السالفة : « فلو اقتصر الطائي »

وهذا باب ^(١) أعنى - المطابق - لقُبه أبو الفرج قُدّامة بن جعفر [الكاتب] فى كتابه المؤلف فى نقد الشعر : « المتكافئ » ، وسمى ضرباً من المتجانس ^(٢) المطابق ، وهو : أن تأتى بالكلمة ^(٣) مثل الكلمة سواء فى تأليفها واتفاق حروفها ، ويكون معناهما مختلفاً ، نحو قول الأَفَوَاهِ الأَوْدَى : وَأَقْطَعُ الْهُوَجْلَ مُسْتَأْنِساً بِهُوَجْلِ عَيْرَانَةٍ عَنْتَرِيْسٍ ^(٤) والهوجل الأول : الأرض البعيدة ، والهوجل الثانى : الناقة العظيمة الخلق الموثقة .

وقول أبى دُوَادِ الإِيَادَى :
عَهْدَتْ لَهَا مَنْزَلاً دَارِساً وَآلَا عَلَى الْمَاءِ يَحْمِلُنَ آلَا ^(٥)
فالآل الأول : أَعْمِدَةُ الْخِيَامِ ، والآل الثانى : ما يرفع الشُّخُوصَ .
وقول ^(٦) زياد الأَعْجَمِ :
وُنَبِّئُهُمْ يَسْتَنْصِرُونَ بِكَاهِلٍ وَلِدُومٍ فِيهِمْ كَاهِلٌ وَسَنَامٌ ^(٧)
وما علمت [أن] ^(٨) أحداً فعلَ هذا غير أبى الفرج ؛ فإنه وإن كان هذا اللقب يصح لموافقته ^(٩) معنى الملقَّبات ، وكانت الألقاب ^(١٠) غير محظورة ؛

(١) ك « باب من »

(٢) ط « المجانس »

(٣) ط « الكلمة . . . معناها مخالفاً »

(٤) نقد الشعر ٦٠ وديوانه ١٦ وسر الفصاحة ١٨٥ والعمدة ١ / ٢٩٠ والصناعتين ٤٢٠ وإعجاز

القرآن ١٢٣

(٥) نقد الشعر ٦٠ واللسان ٣٩ والعمدة ١ / ٢٨٨ وإعجاز القرآن ١٢٤

(٦) ك ، ط « وقال »

(٧) ط « فيه » و م « منهم » وهو فى نقد الشعر ٦٠ والبديع ٥٨ وسر الفصاحة ١٨٤ والصناعتين

٣٠٧ والأغاني ١١ / ١٧١ وإعجاز القرآن ١٢٣

(٨) زيادة من ط

(٩) م « بموافقته »

(١٠) ط « الألفاظ »

فإني لم أكن أحبُّ له أن يخالف مَنْ تقدّمه ، مثل أبي العباس عبد الله بن المعتز وغيره ممن تكلم في هذه الأنواع وألّف فيها ؛ إذ قد سبقوا^(١) إلى التلقيب ، وكفّوه المؤونة .

وقد^(٢) رأيت قوماً من البغداديين يسمّون هذا النوع [من] ^(٣) المجانس :
المماثل ، ويلحقون به الكلمة إذا تردّدت وتكررت^(٤) ، نحو قول جرير :
تَزَوَّدَ مِثْلَ زَادِ أَبِيكَ فِينَا فَنِعْمَ الزَّادُ زَادُ أَبِيكَ زَاداً^(٥)
[وبابه قليل] ^(٦) .

(١) ط « سبقوه إلى اللقب »

(٢) م « ومنذ »

(٣) الزيادة من ك

(٤) ك « وتكررت في البيت »

(٥) ديوانه ١٣٥

(٦) زيادة من ط وفي ك : « وهو قليل »

وهذا باب

في سوء^(١) نسجه ، وتعقيد [نظمه]^(٢) ، ووحشي^(٣) ألفاظه

وما أكثر^(٤) ما تراه من ذلك ، وتجده في شعره ، وأظنه سمع بما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زهير بن أبي سلمى لما قال [فيه] : « كان لا يُعَاطِلُ بين الكلام ، ولا يتتبع حُوشِيَّه ، ولا يمدح الرجل إلا بما في الرجال »^(٥) فلم يَرْتَضِ^(٦) ما قاله عمر ، وأحبَّ أن يستكثر مما ذمَّ وعابه . وقد فسر أهل العلم هذا من قول عمر : وذكروا معنى المعاظلة ، وهى : مُداخلة الكلام بعبئه في بعض ، وركوب بعضه^(٧) لبعض . كقولك^(٨) : تعاطلَ الجراد ، وتعاطلت الكلاب ، ونحوهما مما يتعلق ببعضه ببعض عند السُّفاد ، وأكثر ما يستعمل في هذين النوعين .

وكذلك فسروا [معنى] حُوشِيَّ الكلام ، وهو [اللفظ الغريب] الذى لا يتكرر في كلام العرب كثيراً ؛ فإذا ورد ورد مُسْتَهْجَأً . وقالوا في معنى قوله : « وكان لا يمدح الرجل إلا بما »^(٩) في الرجال « أنه أراد : لا يمدح السوق بما يمدح به الملوك ، ولا يمدح^(٩) التجار وأصحاب الصناعات بما يمدح به الصعاليك والأبطال وحملة السلاح ؛ فإن الشاعر إذا فعل ذلك فقد وصف

(١) ط « في سوء نظمته وتعقيد ألفاظه نسجه »

(٢) الزيادة من ك

(٣) ط « وأكثر . . . أظنه سمع ما »

(٤) الشعر والشعراء ٨٧/١

(٥) ط « يرتضى هذا لشعره »

(٦) ك « بعض »

(٧) ك وم « من قولك »

(٨) ط « بما يكون »

(٩) ليست في ك

كل فريق بما ليس فيه ، فذكروا هذه الجملة ، ثم ^(١) مثلوا لها أمثلة تزيد ما قاله عمر رضى الله عنه وضوحاً وبياناً ، إلا أبو الفرج قدامة بن جعفر فإنه ^(٢) ذكر ذلك في كتابه المؤلف في نقد الشعر ومثل له أمثلة ، فغلط في أمثلة المعازلة غلطاً قبيحاً ، وقد ذكرت ذلك في كتاب بيّنت فيه جميع ما وقفت عليه من سهوه وغلطه .

• • •

وأنا أذكر ههنا ما إليه قصدت من تبين ^(٣) ما في شعر أبي تمام من هذه الأنواع ، فإنها كثيرة . وأورد من كل نوع قليلاً ^(٤) يستدل به على الكثير فأقول :

إن من المعازلة التي قد لخصت معناها في الكتاب على « قدامة » شدة تعليق الشاعر ألفاظ البيت بعضها ببعض ، وأن يداخل لفظة [من أجل لفظة] ^(٥) تشبهها [أو] ^(٥) تجانسها ، وإن أخل ^(٦) بالمعنى بعض الإخلال .

١ - وذلك كقول أبي تمام :

خان الصفاء أخُ خان الزمانُ أخاً عنه فلم يتخونُ جسْمهُ الكمدُ ^(٧)

فانظر إلى أكثر ألفاظ هذا البيت ، وهي سبع كلمات آخرها قوله : « عنه » ما أشد تشبث بعضها ببعض ، وما أقبح ما اعتمده من إدخال

(١) ك ، م « ولم يثلوا »

(٢) ك « فإنه لما ذكر »

(٣) ط « من سائر »

(٤) ط « فيستدل » . . . وفي م « فأما قوله »

(٥) زيادة من ك ، ط

(٦) ك ، ط « أخل المعنى . . . الاختلال »

(٧) ديوانه « الزمان له أخا » وفي شرح التبريزي المخطوط ٦٣٦ « كان الزمان له أخا »

ألفاظ في البيت من أجل ما يشبهها : وهى قوله ^(١) : « خان » و « خان » و « يتخون » وقوله : « أخ » و « أخا » .

وإذا ^(٢) تأملت المعنى - مع ما أفسده من اللفظ - لم تجد له حلاوة ، ولا فيه كبير فائدة ؛ لأنه يريد : خان الصفاء أخُ خان الزمان أخاً من أجله إذ لم يتخون جسمه الكمد .

٢- وكذلك قوله :

يا يَوْمَ شَرَدَ يَوْمَ لَهْوَى لَهْوُهُ بِصَبَابَتِي وَأَذَلَّ عِزِّي تَجَلُّدِي ^(٣)
فهذه الألفاظ إلى قوله : « بصبابتي » كأنها ^(٤) [أيضاً] ^(٥) سلسلة في شدة تعلق بعضها ببعض . وقد كان أيضاً يستغنى ^(٦) عن ذكر اليوم في قوله « يوم لهوى » ؛ لأن التشريد إنما هو واقع بلهوه . فلو قال : « يا يوم شرد لهوى » لكان أصح في المعنى من قوله : « يا يوم شرد يوم لهوى » وأقرب في اللفظ ؛ فجاء باليوم الثاني من أجل اليوم الأول ، وباللهو الثاني من أجل اللهو الذى قبله ، ولهو اليوم [أيضاً] بصبابته هو ^(٧) من وسأوسه وخطائه ^(٨) ، ولا لفظ [هو] أولى بالمعاطلة من هذه الألفاظ .

(١) ط « وهو خان »

(٢) ك ، ط « فإذا »

(٣) ديوانه ١١١ وشرح التبريزى ٤٥/٢ « تقديره : يا يوم شرد لهو بصبابتي يوم لهوى وأزال صبرى » .

(٤) م « كأنه »

(٥) الزيادة من ك

(٦) ط « استغنى »

(٧) ط « هو أيضاً »

(٨) ك ، م « وخطراته »

٣ ونحو قوله [أيضاً] ^(١) :

يَوْمُ أَفَاضَ جَوَى أَغَاضَ تَعَزَّى خَاضَ الْهُوَى بَحْرَى حِجَاهُ الْمَزِيدِ ^(٢)

فجعل اليوم أَفَاضَ جَوَى ، والجوى أَغَاضَ تَعَزَّى ، والتعزَّى موصولاً به «خاض الهوى» إلى آخر البيت ؛ وهذا غاية ما يكون من التعقيد والاستكراه ، مع أنه قال ^(٣) «أفاض» و «أغاض» و «خاض» [وهي] ألفاظ أوقعها في غير مواقعها ^(٤) . وأفعال غير لائقة بفاعلها ، وإن كانت مستعارة ؛ لأن المستعمل في هذا أن يقال : قد عُلِمَ ما بفلان من جَوَى ، وظَهَرَ ما يكتمه من هَوَى ، وبأن عنه العزاء أو ذهب عنه التعزَّى ^(٥) ، فأما أن يقال : فاض الجوى ، أو أفيض ، أو غاض [التعزَّى] أو أغيض ؛ فإنه - وإن احتمل ذلك على سبيل الاستعارة - قبيحٌ جداً .

وكذلك خَوَّضَ الْهُوَى بَحْرَ التَّعَزَّى معنًى في غاية البعد والهجانة ، ثم اضطر إلى أن قال «بَحْرَى حِجَاهُ الْمَزِيدِ» فوَحَّدَ الْمَزِيدَ ، وخنضه ، وكان وجهه أن يقول : «المزبدین» صفة للبحرين ، فجعله صفة للحجى . ويقال إنه أراد بِبَحْرَى حِجَاهُ الْمَزِيدِ : قلبه ودماعه ؛ لأنهما موطنان للعقل ، وذلك ^(٦) . محتمل ، إلا أنه جعل المزبد وصفاً للحجى ، ولا يوصف العقل بالزيادة ، وإنما يوصف به البحر . وهذا وإن كان يُتَجَاوَزُ في مثله ، فإنه ^(٧)

(١) زيادة من ط

(٢) ديوانه ١١١ وشرح التبريزي/ ٤٦

(٣) ط ، م «مع أن أفاض»

(٤) ط «موضعها»

(٥) في ط «عنه العزاء والتعزَّى»

(٦) ك ، م «وذاك»

(٧) ط «فإنه إلى»

الوجه الأردأ ، عَدَلَ به [إليه] خَبِث^(١) الطريقة عن الوجه الأوضح .
 وإذا^(٢) تأملت شعره وجدت أكثره مبنياً على [مثل] هذا^(٣) وأشباهه .
 وفيما ذكرته^(٤) من هذا الأمثلة من شعره ما دلَّك على^(٥) سواها .

فلن قال قائل : إن هذا الذى أنكرته وذممته فى الأبيات المتقدمة وفى
 هذا البيت : من [شدة] تشبُّث الكلام ببعضه ببعض ، وتعلُّق كل لفظة
 بما يليها ، وإدخال كلمة من أجل أخرى تشبهها وتجانسها - هو المحمود
 من الكلام ، وليس من المعازلة فى شيء ، ألا ترى أن البلغاء والفصحاء لما
 وصَفُوا ما يستجد ويستحب من النثر والنظم قالوا : هذا كلام يدل بعضه
 على بعض ، وبأخذ^(٦) بعضه برقاب بعض ؟

قيل : هذا صحيح من قولهم ، ولم يريدوا [به] هذا الجنس من النثر
 والنظم ، ولا قصدوا هذا النوع من التأليف ، وإنما أرادوا المعانى إذا وقعت
 ألفاظها فى مواقعها ، وجاءت الكلمة مع أختها المشاكلة لها التى تقتضى أن
 تجاورها لمعناها^(٧) : إما على الاتفاق ، أو التضاد^(٨) ، حسبما تُوجِبُه قسمة
 الكلام ، وأكثر الشعر الجيد هذه سبيله ، وذلك نحو قول زهير بن
 أبى سلمى :

سَمِيتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ ، وَمَنْ يَعِشْ ذِمَّانَيْنِ حَوْلًا لَا أَبَاكَ يَسَامُ^(٩)

(١) م « وحيث الطريقة » ، فى ط « وجنب الطريق »

(٢) ط « فإذا »

(٣) زيادة من ط ، ك

(٤) ط « وقد ذكرت . . . ما دل »

(٥) ك : « على ما سواها »

(٦) ط « وأخذ »

(٧) ك ، م « بمعناها »

(٨) م « فالتضاد »

(٩) ديوانه ٢٩ وشرح القصائد العشر ١٢٢

لما قال : « ومن يعيش ثمانين حولاً »^(١) وقدم في أول البيت « سئمت »
اقتضى أن يكون في آخره « يسأم » .

وكذلك قوله أيضاً :

السُّتْرُ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَمَا يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرٍ^(٢)

فالستر الأول اقتضى المستر الثاني .

وكذلك قوله :

وَمَنْ لَا يُقَدِّمُ رِجْلَهُ مُطْمَئِنَّةً فَيُثْبِتَهَا فِي مُسْتَوَى الْأَرْضِ، تَزَلَّتِ^(٣)

لما قال : « ومن لا يقدم رجله مطمئنة » اقتضى أن يأتي في آخر البيت
« يزلق » .

وكذلك قول امرئ القيس :

أَلَا إِنَّ بَعْدَ الْعُدْمِ لِلْمَرْءِ قُنُوءٌ وَبَعْدَ الْمَشِيبِ طُولٌ عُمُرٍ وَمَلْبَسَا^(٤)

اقتضى « العدم » في البيت أن يأتي بعد « قنوة » وكذلك^(٥) اقتضى
قوله : « وبعده المشيب » [قوله :] « طول عمر وملبسا » .

وكذلك قوله :

فَإِنْ تَكْتُمُوا الدَّاءَ لَا نُخْفِهِ^(٦) وَإِنْ تَقْصِدُوا لِدَمٍ نَقْصِدِ^(٧)

(١) م « عاما »

(٢) ديوانه ٩٥ وفيه م « ولا »

(٣) ديوانه ٢٥٠

(٤) ديوانه ٩٩ وفيه م « بعد اليوم »

(٥) م « ولئلك »

(٦) عجز هذا الشطر كما في ديوانه ٦١ « وإن تبعوا الحرب لا نقعد »

(٧) هذا عجز بيت آخر صدره في ديوانه ٦١ « وإن تقتلونا نقتلكم »

كل لفظة تقتضى ما بعدها .

فهذا هو الكلام الذى يدلُّ بعضُه على بعض ، ويأخذ بعضُه برقاب بعض ؛ وإذا أنشدت صدر البيت علمت ما يأتى فى عَجْزِه ؛ فالشعر الجيد - أو أكثره - على هذا مبنى ، وليست بنا حاجة إلى زيادة^(١) فى التمثيل على هذه الأبيات .

[حوشى الكلام وما يستكره من الألفاظ]

وأما قول عمر رضى الله عنه فى زهير : « إنه كان لا يتتبع حوشى الكلام » فإن أباً تمام كان لعمري يتتبعه ، ويتطلبه ، ويتعمل^(١) لإدخاله فى شعره ، فمن ذلك قوله :

أَهْلَسَ أَلَيْسَ لَجَأٌ إِلَى هِمَمٍ تَفَرَّقُ الْعَيْسُ فِي آذِيهَا اللَّيْسَا^(٢)
ويروى « أهيس أليس » والأهيس : الجاد^(٣) ، وهذه الرواية أجود .
وهى مثل^(٤) :

* إْحْدَى لِيَا لِيَكْ فَهَيْسِي هَيْسِي^(٥) .

والهَلَّاسُ : السُّلَالُ من [شدة] الهزال ؛ فكأن قوله : « أهلس » يريد خفيف اللحم .

والأَلَيْسُ : الشجاع البطل الغاية فى الشجاعة ، وهو الذى لا يكاد يبرح موضعه فى الحرب حتى يظفر أو يهلك .

فهاتان^(٦) لفظتان مستكرهتان إذا اجتمعتا ، [ثم] لم يقنع بأهلس أليس حتى^(٧) قال فى آخر البيت : « الليسا » يريد جمع أليس .

(١) ط « ويتعمد إدخاله »

(٢) م « نجا إلى » وفى م والوساطة ٢٢ وديوانه ١٧٢ وشرح التبريزى ٢/ ٢٥٨ « تفرق الأسد » قال التبريزى : « يقال : رجل أليس : إذا كان شجاعا لا يبرح موقفه فى الحرب ، وأهيس من قولم : هاس يهيس ، إذا وطى شديداً ، أو سارسيراً عجلاً »

(٣) م « الحاد . . . أجود فى مثل »

(٤) ك « وفى مثل »

(٥) شرح التبريزى ٢/ ٢٥٨ وفى اللسان ٨ / ١٣٩ وبعده : « لا تمنى أليلة بالتمريس » وهيسى : أى سبرى أى سير كان

(٦) ك و م « فهما »

(٧) ط « ثم »

وقوله :

وَأِنْ بُجَيْرِيَّةً بَانَتْ جَارَتْ لَهَا إِلَى ذُرَى جَلْدِي فَاسْتَوْهَلَ الْجَلْدُ^(١)

فقال : « بجيرية » و « جارت لها » وهذه الألفاظ وإن كانت معروفة مستعملة فإنها إذا اجتمعت استُفْهِمَتْ^(٢) وثقلت .

وكذلك قوله :

• هُنَّ الْبَجَارِيُّ يَا بُجَيْرُ^(٣) •

والبجاري : جمع بُجَيْرِيَّة ، وهي الداهية .

وقوله :

بِنْدَاكَ يُوسَى كُلُّ جَرْحٍ يَغْتَلِي رَأْبَ الْأَسَاةِ بِدَرْدٍ يَبِيسٍ قَنْطَرٍ^(٤)

الدردبيس والقنطر^(٥) : من أسماء الدواهي .

وقوله :

• قَدْكَ اتَّشِبَ أَرْبَيْتَ فِي الْغُلْدَوَاءِ^(٦) •

وزاد^(٧) هذه الألفاظ هجئة [أنها] ابتداء قصيدة .

وقوله :

لَقَدْ طَلَعَتْ فِي وَجْهِ مِصْرَ بَوَجْهِهِ بِلا طَائِرٍ سَعْدٍ وَلَا طَائِرٍ كَهْلٍ^(٨)

(١) ديوانه ٣٦٧ وشرح التبريزي المخطوط ٦٣٦ والصناعتين ٣٠ وفي ط « نابت » و م ك « إلى أبدي » .

(٢) م ك « استهيجت »

(٣) سبق ص ٢٦

(٤) ديوانه ٣٩٦ وشرح التبريزي المخطوط ٧٣٦ . ويؤى : يداوى ويصلح ، والرأب : الإصلاص ، والأساة : الأطباء

(٥) ك « وهما »

(٦) سبق ص ٢٦

(٧) ط « ومثل هذه هجئة (لا يكون) في ابتداء القصيدة »

(٨) طلعت : أى وساس الآمال المذكورة في البيت التالي وهو :

وساوس آمال ومذهب همة نجيمة بين المطية والرحل

في ديوانه ٤٢١ « طائر سهل »

ولما سمع قول بعض الهذليين :

فَلَوْ كَانَ سَلْمَى جَارَهُ أَوْ أَجَارَهُ رِيَّاحُ بْنُ سَعْدٍ رَدَّهُ طَائِرُ كَهْلٍ^(١)

وجدت في تفسير أشعار هذيل : أن الأصمعي لم يعرف قوله : « طائر

كهل » وقال بعضهم : كهل : ضخم .

وما أظن أحداً قال : « طائر كهل » غير هذا الهذلي ، فاستغرب أبو تمام معنى الكلمة فأتى بها ، وأحب أن لا نفوته . فمثل هذه الألفاظ لا يستعملها شاعر [مقدم] إلا أن يأتي في جملة شعره منها اللفظة أو اللفظتان ، وهي في شعر أبي تمام كثيرة فاشية .

وقد أنكر الرواة على زهير - مع ما قاله عمر فيه : « كان لا يتتبع حوشى

الكلام » - قوله :

نَقِيٌّ نَقِيٌّ لَمْ يَكْثُرْ غَنِيمَةً بِنَهْكَ ذِي قُرْبَى وَلَا بِحَقْلٍ^(٢)

واستشنعوا^(٣) « حقل » وهو : السبي الخلق ، ولا يُعرف في شعره لفظة

هي أنكر منها ، وليس مجيئه بهذه اللفظة^(٤) الواحدة قادحاً فيما وصفه به عمر رضي الله عنه .

وأكثر ما ترى هذه الألفاظ الوحشية في أراجيز الأعراب^(٥) ، نحو قول

بعضهم .

(١) البيت لأبي غراش الهذلي ، كما في اللسان ١٢٢/١٤ وأساس البلاغة ٣٩/٢٤ وفي

ديوان الهذليين ١٦٥/٢ يريد : سلمى بن معقل بن أبي صاهلة ، ورياح بن سعد بن أبي زليفة .

وقوله طائر كهل ، أراد رجلاً كهلاً عظيم الشأن « وفي ك » : الهذليين ، وهو صخر النقي .

(٢) ديوانه ٢٣٤ والصناعتين ٣٠ وصبح الأعشى ٢١٦/٢ النهكة : النقص والإضرار

والحقلد : الضيق البخيل السيء الخلق . أي لم يكثر ما له بظلم قرابته وأخذ ما لم .

(٣) ط « يحقلد وهي » وفي ك : « فاستشعوا »

(٤) ك « الكلمة »

(٥) ك : « العرب وما شاكل ذلك . أنشد أبو حاتم »

[وأنشده أبو حاتم] :

• فَشَحَا جَحَافِلُهُ جُرَافٌ هِبْلَمٌ^(١) .

وقول آخر^(٢) :

• غَرَبًا جَرُورًا وَجَلَالًا خَزَخِزٌ^(٣) .

[الغرب : الدلو . والجرور : العظيم . والجلال : الشديد والخزخيز :

القوى]^(٤)

وأنشد الأصمعي :

وَأَخَذَ طَعْمَ السَّقَاءِ سَامِطٌ وَخَائِرُ عُجَالِطٍ عُكَالِطُ^(٥)

إذا ذهب عن اللبن حلاوة الحلب^(٦) ولم يتغير فهو سَامِطٌ ، وإذا خثر اللبن جداً حتى يَتَكَبَّدُ^(٧) فهو عُكَالِطٌ [وعُجَالِطٌ] .

(١) صدره : « وضع الخزير فقليل : أين عجاشع ؟ » وهو بحرير ، كما في ديوانه ٣٤٥ واللسان ، ٣١٩/٥ ، ٢٤٦/١٠ ، ٣٦٩ وغير منسوب في سر الفصاحة ٦٤ . الخزير : عسيدة فيها لحم . وشحاً : فتح ، وجحافل الخليل : أفواهاها ، والجحفلة من الخليل والحمر والبغال بمنزلة الشفة من الإنسان والشعر للبعير . ورجل جراف : شديد الأكل لا يبق شيئاً . والمبلع : العظيم اللقم الأكل

وفي ط « فشحا » وهو تحريف

(٢) ط « أنشد أبو تمام وقول »

(٣) م « غرباً مروراً وجلالاً فرفة » وط « غرباً مروراً وجلالاً مرمر » وقال ناشرها الشيخ محمد محي الدين : « مع طول البحث فيما بين يدي من كتب اللغة ومجاميع الشعر ، لم يتيسر لي العثور على تحقيق هذا الشاهد فأثبتته كما هو في أصول الكتاب غير متحمل تبعته » .

والشاهد في الصحاح ٨٧٤/٢ واللسان ٢١٢/٧ وصدره فهما : « أعددت للورد إذا الورد

حفز » والرجز غير منسوب في سر الفصاحة ٦٤

والورد : الماء الذي يورد ، ووقت يوم الورد بين الظمأين . وحفز : حث وساق ، أودنا . والغرب : الدلو الكبير الذي يستق به . جروراً : أى يجز على شفير البئر لبعدها . والجلال : البعير الضخم الكريم . والخزخيز : القوى الشديد

(٤) الزيادة من ك

(٥) ط « وأجد . . اللقاء » وفي ط و م « عجلط » وكذلك هو في سر الفصاحة ٦٤

(٦) ط « الحليب »

(٧) ط « حتى تخنن فهو عكالط وقال آخر »

وقول الآخر أنشدہ الأصمعي :

(١) في رَبِّ رَبِّ خِمَاصٍ يَأْكُلْنَ مِنْ قُرَاصٍ

• وَخَمَصِيصٍ وَأَصٍ •

واص : نبتٌ متصل ببعضه ببعض .

وإذا كان هذا يُستهجن^(٢) من الأعرابي القحّ الذي لا يتعمّل^(٣) له ولا يتطلّب^(٤) ، وإنما يأتي به على عادته وطبعه ، فهو من المحدث الذي ليس هو من لغته ولا من ألفاظه ولا من كلامه الذي تجرى عادته به - أخرى أن أن يُستهجن .

ولهذا ما أنكر الناس على روبة استعماله الغريب الوحشي ، وذلك لتأخره وقرب عهده ، حتى زهد كثير من الرواة في رواية شعره ، إلا أصحاب اللغة [والغريب] .

وقد ذكر أبو العباس عبد الله بن المعتز في كتابه المؤلف في سرقات الشعراء ومعانيهم ، عن العنزي ، قال : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد السلمى الدار^(٥) ، قال : حدثني ابن عائشة ، قال :

قال أبو العتاهية لابن مُناذر : إن كنت أردت بشعرك شعر العجاج

(١) قبله في اللسان ٨ / ٣٣٨ « يارب شاة شاص » وشاص : منتصب . وخماص : ضمائر البطون : والقارص : اللبن الذي يحضر اللسان . والحمصيص : بقلة حامضة تجعل في الأقط . تأكلها الناس والإبل والغنم . وآص : متصل مثل واص ، كما في اللسان . والأبيات في المعاني الكبير ١٨٠/١ . وما هنا في سر الفصاحة ٦٤

(٢) ط « يستحسن » وزاد قبلها الناشر « لا »

(٣) م « لا يتعمّل » وهو تعريف

(٤) م ، ط « ولا يطلب »

(٥) ط « الزراع . . . ابن أبي عائشة » وهو خطأ . وانظر رواه المرزباني في الموشح ٢٩٥

ورؤية فما صنعت شيئاً ، وإن كنت أردت شعر أهل زمانك فما أخذت
مأخذنا ، رأييت قولك :

• وَمَنْ عَادَاكَ لاقى المَرْمَرِيسَا ^(١) •

أى شئ في المَرْمَرِيس ^(٢) [أعجبك] ؟

ووجدت أبا عبيدة ذكر في كتاب الخيل في باب ما يُستدل به على
جودة الفرس وهو يُخَصِّرُ « بيضة مَرْمَرِيس [وهامة مَرْمَرِيس] ، وهي
الضخمة » وأراد ابن مناذر الداهية .

وقد جاء أبو تمام بالدرّدييس ، وهي أخت المَرْمَرِيس ، فقال :
بنداك يوسى كل جُرح يَغْتَلِي رَأْبَ الأَسَاةِ بِلَرْدِيسِ قَنْطَرِ ^(٣)
[وهي : الداهية أيضاً ، وكذا القَنْطَر] ^(٤) .

(١) ط « يلقى »

(٢) م « بالمرييس » . والزيادة من ط

(٣) م « بذاك يرأب » وقد سبق البيت في ص ٣٠١

(٤) زيادة من ط

باب

فيما كثر في شعره من الزحاف واضطراب الوزن^(١)

وذلك هو^(٢) ما قاله دِغْبِيلُ بن علي الخُزَاعِي وغيره من المطبوعين : إن شعر أبي تمام بالخطب وبالكلام المنشور أشبه منه^(٣) بالكلام المنظوم .

١ - فمن ذلك قوله :

وَأَنْتَ بِمِصْرٍ غَايَتِي وَقَرَابَتِي بِهَا ، وَبَنُو أَبِيكَ فِيهَا بَنُو أَبِي^(٤)

وهذا من أبيات النوع الثاني من الطويل . ووزنه « فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ » وعروضه وضمه « مَفَاعِيلُنْ » فحذف نون « فَعُولُنْ » من الأجزاء الثلاثة الأول^(٥) وحذف الياء من « مفاعيلن » التي^(٦) في المصراع الثاني . وذلك كله يسمى المقبوض ؛ لأنه [حذف]^(٧) خامسه .

٢ - وكذلك^(٨) قوله من هذا النوع :

كَسَاكَ مِنَ الْأَنْوَارِ أَبْيَضُ نَاصِعٌ وَأَصْفَرُ فَاقِعٌ وَأَحْمَرُ سَاطِعٌ^(٩)

(١) في ك « الأوزان »

(٢) م « وهو »

(٣) ك ، م « منه بالمنظوم »

(٤) ديوانه ٢٥ وفي شرح التبريزي ١٦٢/١ « وبنو الآباء » وهما روايتان . يقول : أنت غاية منى بمصر ، وأنت قرابتي لأني أمت إليك بحمة الأدب ووسيلة وإن لم يكن بيننا قرابة النسب بها ، يعني بمصر

(٥) م « الأولى »

(٦) ط « التي هي » . مقبوضا

(٧) زيادة من ك ، ط

(٨) م « ومن ذلك »

(٩) ديوانه ٤٧٨

فحذف النون من أجزاء^(١) «فعولن» كلها ، وهى أربعة ، وحذف الياء من «مفاعيلن» التى فى المصراع الثانى أيضاً ، كما فعل فى البيت قبله .

٣- ومن ذلك قوله من هذا النوع أيضاً :

يَقُولُ فَيُصَمِّعُ وَيَمْشِي فَيُسْرِعُ وَيَضْرِبُ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ فَيُوجِعُ^(٢)

فحذف النون من «فعولن» الأولى^(٣) ، والياء من «مفاعيلن» التى تليها ، ومن «فعولن» التى هى أول المصراع الثانى . وذلك كله [أيضاً] يسمى مقبوضاً ، وهو^(٤) من الزحاف الحسن الجائز . إلا أنه إذا جاء على [هذا] التوالى والكثرة [فى البيت الواحد] قبح جداً .

٤- وقال :

لَمْ تَنْتَقِضْ عُرْوَةٌ مِنْهُ وَلَا قُوَّةٌ لَكِنَّ أَمْرَ بَنِي الْآمَالِ يَنْتَقِضُ^(٥)

وهذا من النوع الأول من البسيط . ووزنه «مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ» . وعروضه وضربه «فَعِلُنْ» فزاد فى عروضه [وهو فَعِلُنْ] حرفاً فصار «فاعِلُنْ» لأنه قال : «قُوَّةٌ» فشدد ، وذلك إنما يجب^(٦) له فى أصل الدائرة لا فى هذا الموضع ، فإن خَفَّفْنَاهَا حتى تصير على وزن «فَعِلُنْ» فيتزَن البيت - كان مخطئاً من [طريق اللغة] .

(١) ط «من آخر»

(٢) ديوانه ١٩١ وشرح التبريزى ٣٢٦/٢ وفيه ٣٢٧ «وأخذ أبو تمام هذا البيت من قول عائشة رضى الله عنها فى وصف عمر : كان إذا قال أسرع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا ضرب أوجع»

(٣) ط «الأول»

(٤) ط «وهى»

(٥) ديوانه ١٨١ وشرح التبريزى ٢٨٦/٢ «منه ولا بسبب» أى لم يؤثر فيه أحواله وفى النزل ولكن فى زمر عفاة

(٦) ط «إنما يجب» دم «إلا فى»

ثم ^(١) نقص [من] «فاعِلن» الأولى من المصراع [الثاني] الألف
فصار «فعلن». وهذا يسمى مَحْبُوناً ؛ لأنه حذف ثانيه .

٥- وقال :

إِلَى الْمُفَدَّى أَبِي يَزِيدَ الَّذِي يَضِلُّ غَمْرُ الْمُلُوكِ فِي ثَمَدِهِ ^(٢)
وهذا من النوع الأول من المنصرح . ووزنه :
مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولَاتُ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولَاتُ مُسْتَفْعِلُنْ
فحذف السين من مستفعِلن [الأولى ومن مستفعِلن] التي هي أول المصراع
[الثاني] فبقى «متفعِلن» وهذا يُنْقَلُ إِلَى «مفاعِلن» ويسمى مَحْبُوناً ؛ لأنه
حذف ثانيه .

وحذف الفاء من مستفعِلن الأخيرة ^(٣) فبقى «مستعلن» فينقل إلى
«مُفْتَعِلن» ويقال له : مَطْوِيٌّ ؛ لأنه ذهب رابعه .

وحذف الواو من «مَفْعُولَاتُ» الأولى والثانية ، فصار «فاعِلَاتُ» ويقال
له أيضاً : مَطْوِيٌّ ؛ فأنفس البيت ^(٤) بكثرة الزحاف . وتقطيعه :
إِلْمَفَدَ . دَا أَبَى يَ . زِيدَ الَّذِي . يَضِلُّغَمَ . رُلْمُلُوكِ . فَيْثَمَدِهِ
مَفَاعِلُنْ . فَاعِلَاتُ . مُسْتَفْعِلُنْ . مَفَاعِلُنْ . فَاعِلَاتُ . مُفْتَعِلُنْ

٦- ثم قال في هذه القصيدة :

جِلَّةٌ أَنْسَارِهِ وَهَمْدَانِهِ وَالشُّمُّ مِنْ أَرْزِدِهِ وَمِنْ أَدَدِهِ ^(٥)

(١) ط «ثم حين نقص . . . الأول»

(٢) ديوانه ٩٢ وشرح التبريزي ٤٣٦/١ . ويريد بأبي يزيد : خالد بن يزيد بن مزيد
الشياني . والنمذ : الماء القليل . أى يقل كبير الملوك في قلبه

(٣) م «الآخرة فبقى مستفعِلن»

(٤) ك «فأنفس وزن البيت»

(٥) ديوانه ٩٤ وشرح التبريزي ٤٤٧/١ وم «والشمر»

فحذف الفاء من «مستفعلن» الأولى ، فعادت إلى «مفتعلن» وحذف
الواو من «مفعولات» الأولى «ومفعولات» الثانية [فصارت «فاعلات» .
وحذف الفاء من «مستفعلن» الأخيرة فصارت «مفتعلن» . وتقطيعه :
جَلَلْتَانُ • مَارِهِيَوَ • هَمْدَانِي • وَشُشْمُمِينَ • أَزْدِي وَ • مِثَادِدَهُ
مُفْتَعِلُنْ • فَاعِلَاتُ • مُسْتَفْعِلُنْ • مُسْتَفْعِلُنْ • فَاعِلَاتُ • مُفْتَعِلُنْ
وهذه الزحافات جائزة في الشعر وغير منكورة إذا قلَّت ، فأما إذا جاءت
في بيت واحد في أكثر أجزائه فإن هذا في غاية (١) القبح ، ويكون بالكلام
المنثور أشبه منه بالشعر الموزون .

٧- ومن هذا النوع من المنسرح قوله :

وَلَمْ يُغَيِّرْ وَجْهِي عَنِ الصَّبْغَةِ آلَ أُولَى بِمَنْفُوعِ اللَّوْنِ مُلْتَمِعَةٍ (٢)
وتقطيعه :

وَلَمْ يُغَيِّرْ • بِرِزْ وَجْهِي • نِصْصِبَغْتِلَ • أُولَى بِمَنْ • فَوَعْلَوْنَ • مُلْتَمِعَةٍ
مَفَاعِلُنْ • مَفْعُولَاتُ • مُسْتَفْعِلُنْ • مُسْتَفْعِلُنْ • مَفْعُولَاتُ • مُفْتَعِلُنْ

فحذف السين من «مستفعلن» الأولى فصارت «مفاعِلُنْ» وحذف الفاء
من «مستفعلن» الأخيرة فصارت [«مُتَعِلُنْ» فنقل إلى] (٣) «مفتعلن»

ومثل هذه الأبيات في شعره كثير إذا أنت تتبعته ، ولا تكاد ترى في
أشعار الفصحاء والمطبوعين على الشعر من هذا الجنس شيئاً .

تم السفر الثاني من الموازنة على ما جزأه مؤلفه ، رحمه الله تعالى
والحمد لله رب العالمين

(١) طه في نهاية »

(٢) ديوانه ١٩٦ شرح التبريزي ٣٤٥/٢ « لم تغير » وفي م « بمسحوق » هو خطأ . يقال :
سفع وجهه : إذا أصابته النار بحرها والشمس بوجهها فغيرت لونه ، والشمع منه ، يمتن أنه أعطاه بلا سؤال
وحفظ ماء وجهه

(٣) الزيادة من ك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

قال أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى :

لما^(١) كنت خرّجت مساوى أبى تمام وابتدأت [منها] بسرقاته - وجب أن أبتدئ من مساوى البحتري بسرقاته ؛ فإنه [قد] أخذ من معانى مَنْ تقدّم من الشعراء . وتأخر^(٢) أخذًا كثيرًا .

وحكى [أبو عبد الله محمد بن داود] بن الجراح فى كتابه [الذى سماه الورقة :]^(٣) أن ابن أبى طاهر أعلمه أنه أخرج للبحتري ستمائة بيت مسروق ، ومنها ما أخذه من أبى تمام خاصة مائة بيت .

وكان^(٤) ينبغى أن لا أذكر السرقات فيما أخرّجه من مساوى هذين الشاعرين ؛ لأننى قد قدّمت القول فى^(٥) أن مَنْ أدركته من أهل العلم بالشعر لم يكونوا يروّون سرقات المعانى من كبير مساوى الشعراء ، وخاصة المتأخرين إذ^(٦) كان هذا باباً [أ] نعرى منه متقدّم ولا متأخر ، ولكن أصحاب أبى تمام أدعوا أنه أول^(٧) وسابق ، وأنه أصل فى الابتداع والاختراع ؛

(١) فى هامش لك : « وهو أول الجزء الثانى منقولا من نسخة عبد السلام البصرى »

(٢) ط « ومن »

(٣) الزيادة من لك

(٤) ط « فكان »

(٥) م « وإن »

(٦) م « أول أن . . . بابا يعرى »

(٧) ط « أول سابق »

فوجب إخراج ما استعاره من معاني الناس ؛ ووجب^(١) من أجل ذلك إخراج ما أخذه البحتري أيضاً من معاني الشعراء . ولم أستقص يابَ البحتري ، ولا صرفت^(٢) الاهتمام إلى تتبعه ؛ لأن أصحاب البحتري لم يدعوا^(٣) ما ادعاه أصحاب أبي تمام [لأبي تمام] ، بل استقصيت^(٤) ما أخذه من أبي تمام خاصة : إذ كان من أقبح المساوي أن يعتمد^(٥) الشاعر ديوان رجل واحد من الشعراء فيأخذ من معانيه ما أخذه البحتري من [معاني] أبي تمام ، ولو كان عشرة أبيات ، فكيف والذي أخذه منها^(٦) يزيد على مائة بيت ؟

فأما مساوي البحتري - من غير السرقات - فقد حرصت^(٧) واجتهدت [في] أن أظفر له بشيء يكون بإزاء ما أخرجته من مساوي أبي تمام في سائر الأنواع التي ذكرتها ، فلم أجد في شعره - لشدة تحرزه ، وجودة طبعه ، وهذيب ألفاظه^(٨) - من ذلك إلا أبياتاً يسيرة أنا ذاكرها^(٩) عند الفراغ من سرقاته إن شاء^(١٠) الله تعالى .

(١) ط « فوجب »

(٢) ط « ولا قصدت »

(٣) م « لم يدعيا » وط « ما ادعوا »

(٤) م « بل استقصيت »

(٥) م « يعتمد . . . ديوان كل »

(٦) ط « منه »

(٧) ط « دققته »

(٨) ك ، م « لألفاظه »

(٩) ط « أذكرها »

(١٠) في ط « سرقاته ، فإن مر بي منها شيء ألحقته به . . . »

سركات البحترى

١- قال [البحترى] :

بُخْفِي الزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا فَكَانَهَا فِي الْكَأْسِ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِنَاءٍ^(١)

أخذه من قول على بن جبلة^(٢) :

كَأَنَّ يَدَ النَّدِيمِ تُدِيرُ مِنْهَا شُعَاعًا لَا يُحِيطُ عَلَيْهِ كَأْسٌ^(٣)

٢- وقال أيضاً :

كَالرَّمْعِ فِيهِ بَضْعٌ عَشْرَةٌ فِقْرَةٌ مُنْقَادَةٌ تَحْتَ السَّنَانِ الْأَصِيدِ^(٤)

أخذه من قول بشار :

خُلِقُوا قَادَةً وَكَانُوا سَوَاءً كَكُؤُوبِ الْقَنَاةِ تَحْتَ السَّنَانِ^(٥)

وأخذه أبو تمام [أيضاً] فقال :

جَمَعْتَ غُرَى أَعْمَالِهِ بَعْدَ فُرْقَةٍ إِلَيْكَ كَمَا ضَمَّ الْأَنْبِيبُ عَامِلُ^(٦)

(١) التشبيهات ١٧٣ وقد سبق ص ٢٨ وفيك « في الكف قائمة »

(٢) ط « جبلة حيث يقول »

(٣) التشبيهات ١٧٣

(٤) ديوانه ٤٦١ « خلف السنان »

(٥) ط « خلفوا . . . فكانوا »

(٦) ديوانه ٢٥٧ وشرح التبريزي ١٢٢/٣ « أى ضمت ما افترس من أمور الملك » وفيك :

« غرى أعيانه » وفي الصناعتين ١٩٩ أنه أخذه من قول الهبال الربى :

أرلك إخوان الصفاء رزقهم فما الكف إلا لصيغ ثم لصيغ

وفي « غرى أعيانه . . . عائل »

٣- وقال البحتري :

أَعْطَيْتَنِي حَتَّى حَسِبْتُ جَزِيلَ مَا أَعْطَيْتَنِيهِ وَدِيْعَةً لَمْ تُوهَبِ^(١)
أَخْذَهُ مِنْ قَوْلِ الْفَرَزْدَقِ :

أَعْطَانِي الْمَالَ حَتَّى قُلْتُ : يُودِعُنِي أَوْ قُلْتُ : أَعْطَى الْإِقْدَرَاءُ لَنَا^(٢)
وَبَيْتُ الْبَحْتَرِيِّ أَجُودُ .

٤- وقال البحتري :

أَرَدْتُ دُونَكَ يَفْظَانَا وَيَأْذُنِي عَلَيْهِ سَكْرُ الْكَرَى إِنْ جِئْتُ وَمَنَا^(٣)
أَخْذَهُ مِنْ قَوْلِ قَبِيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ :

مَا تَدْنَعِي يَفْظِي فَقَدْ تَوَيْبَتْهُ فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرِّدٍ مَحْسُوبٍ^(٤)

٥- وقال البحتري :

مُلُوكٌ يَعْدُونَ الرَّمَا حَ مَخَاصِرًا إِذَا زَعَزَعُوها وَالدُّرُوعَ غَلَايِلًا^(٥)
وهذا مثل قول محمد بن عبد الملك الْفَقْعَسِي ، ولعله منه أخذه :

وَلَا لَأَقْيَا كَعْبَ بْنَ عَمْرِو يَقُودُهُمْ أَبُو دَهْمٍ نَسَجَ الْحَدِيدَ ثِيَابُهَا^(٦)
٦- وقال البحتري :

كَوْعُولُ الْهَضَابِ رُحْنٌ وَمَا يَدُ لِمِ كُنْ إِلَّا صُمَّ الرَّمَا حَ قُرُونًا^(٧)

(١) ديوانه ٦٠٢

(٢) ط « قلت أعطيت »

(٣) ديوانه ١٤٩/٤ م المعارف أمالي المرتضى ٥٤٥/١ وطيف الخيال ٣٤ نقلًا عن الموازنة

في الكتابين

(٤) ديوانه ٥ وأمالي المرتضى ٥٤٥/١ وطيف الخيال ٣٤ وفي م « ومحسوب »

(٥) ديوانه ٧١٠ ، ١٦٠٦/٣

(٦) م « أبو دهر » ط « ثيابا »

(٧) ديوانه ٢٤٧

وهذا من نادر^(١) المعاني ، وما أعرف مثله إلا قول نصر بن الحجاج بن

علاط السلمي ، ولعله منه أخذه :

تَرَى غَابَةَ الْخَطِيءِ فَوْقَ مُتُونِهِمْ كما أَشْرَفَتْ فَوْقَ الصَّوَارِ قُرُونُهَا^(٢)

٧- وقال البحتري :

يَنَالُ الْفَتَى مَا لَمْ يُؤْمَلْ وَرُبَّمَا أَتَاخَتْ لَهُ الْأَقْدَارُ مَا لَمْ يُحَاذِرْ^(٣)

أخذه من قول الآخر وأنشده ثعلب :

وَحَدَرْتُ مِنْ أَمْرِ فَمَرٍّ بِجَانِبِي لَمْ يَلْقَنِى . وَلَقِيتُ مَا لَمْ أَخْذَرْ^(٤)

٨- وقال البحتري :

وَإِذَا الْأَنْفُسُ اخْتَلَفْنَ فَمَا يَنْ رَنِ اتِّفَاقُ الْأَسْمَاءِ وَالْأَقَابِ^(٥)

أخذه من قول الفرزدق :

وَقَدْ تَلْتَقَى الْأَمَمَاءُ فِي النَّاسِ وَالْكُنَى

كَثِيرًا وَلَكِنْ فُرِّقُوا فِي الْخِلَائِقِ^(٦)

٩- وقال البحتري :

لَمْ تَخْطُ بَابَ الدُّخْلِيزِ مُنْصَرِفًا إِلَّا وَخَلَخَالُهَا مَعَ الشَّنْفِ^(٧)

أخذه من قول أبي نواس^(٨) :

« قَدْ جَمَعُوا آذَانَهُ وَعَقَبَهُ »

(١) ط « نوادر . . . وما عرف . . . بن حجاج »

(٢) م « الخطي . . . كما أشرفت » ط « فوق بيوتهم » وفي ديوان المعاني ٦١/٢ « وقد أحسن

القائل في صفة الرماح على العواتق : ترى غابة . . . فوق رؤوسهم » والصوار : القطيع من البقر ، كما في اللسان ١٤٦/٦ .

(٣) ديوانه ٣٥٠ ، ٢ / ٩٦٢ وفي م « أتاحت به الأقدار »

(٤) في ك « لم ينكسني » وفي م « لم يكني »

(٥) ديوانه ٥٦٤ « وإن الأنفس »

(٦) ديوانه ٥٧٨/٢ « فقد . . . ولكن لا تلاقى الخلائق »

(٧) ديوانه ٦٤٢ ، ٣ / ١٤١١

(٨) م « أبي نواس رجز »

١٠- وقال البحتري :

وَلَسْتُ أَعْجَبُ مِنْ عِصْيَانِ قَلْبِكَ لِي عَمْدًا ، إِذَا كَانَ قَلْبِي فِيكَ يَعْصِينِي ^(١)
أخذه من قول الحسين ^(٢) بن الضحاك الخليلي :
وَتَطْمَعُ أَنْ يُطِيعَكَ قَلْبُ سَعْدَى وَتَرْغُمُ أَنْ قَلْبَكَ قَدْ عَصَاكَ ؟ ^(٣)

وبيت البحتري أجود .

١١- وقال محمد بن وهيب ^(٤) :

هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا غَمْرَةٌ ثُمَّ تَنْجَلِي وَشَيْكَا ، وَإِلَّا ضَيْقَةٌ تَنْفَرَجُ ^(٥)
أخذه البحتري فقال :
هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا غَمْرَةٌ وَانْجِلَاؤُهَا وَشَيْكَا ، وَإِلَّا ضَيْقَةٌ وَانْفِرَاجُهَا ^(٦)

١٢- وقال في وصف الذئب :

فَاتَّبَعْتُهَا أُخْرَى فَأَضَلَّتْ نَصْلَهَا بِحَيْثُ يَكُونُ اللَّبُّ وَالرُّعْبُ وَالْحِقْدُ ^(٧)
وقال في هذا المعنى :

قَوْمٌ تَرَى أَرْمَاحَهُمْ يَوْمَ الْوَغَى مَشْغُوفَةً بِمَوَاطِنِ الْكِنَمَانِ ^(٨)
أخذه من قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي :
وَالضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَبْيَضٍ مُرْهَفٍ وَالطَّاعِنِينَ مَجَامِعِ الْأَضْغَانِ ^(٩)

(١) ديوانه ٤١٨

(٢) م « الحسن » وهو تحريف

(٣) في ك « أطمع » .

(٤) م « فقال . . . وهب » وهو تحريف

(٥) م « ففرج » والبيت في الواسطة ١٩٢

(٦) ديوانه ٢١٧ والواسطة ١٩٢

(٧) ديوانه ١٧٣ ومعاهد التنصيص ١٧٣ / ٢ وفي م « فصلها » وهو تحريف وفي ك « فضلها »

(٨) الصناعتين ٢٣٤ .

(٩) الصناعتين ٢٣٤ ومعاهد التنصيص ١٧٢ / ٢ والمطول على التلخيص ٤٠٩ / ١ . وفي ك

« أبيض صارم » .

إلا أن قول عمرو «والطاعنين مجامع الأضغان» في غاية الجودة والإصابة؛^(١) لأنهم إنما يطاعنون الأعداء من أجل أضغانهم . فإذا وقع الطعن في موضع الطعن فذلك غاية كل مطلوب .

١٣- وقال البحتري :

إِلَى فَتَى يُتْبِعُ النُّعْمَى نَظَائِرَ دَا كَالْبَحْرِ يُتْبِعُ أَمْوَاجاً بِأَمْوَاجٍ^(٢)
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي دَهْبِيلِ الْجَمْحَى :
وَلَيْلَةٍ ذَاتِ أَجْرَاسٍ وَأَرْوَاقَةٍ كَالْبَحْرِ يُتْبِعُ أَمْوَاجاً بِأَمْوَاجٍ^(٣)
وهذا إنما أراد قول امرئ القيس :
وَلَيْلٍ كَمْوَاجِ الْبَحْرِ [أَرْخَى سُدُولَهُ] عَلَى بَنَائِمْ هُمُومٍ لِيَبْتَلِيَ^(٤)

١٤- وقال البحتري :

مُحَرِّكُ رَأْسِهِ تَوَهُمُهُ مِنْ عَطْسَةٍ قَائِماً عَلَى شَرَفٍ^(٥)
يشبهه قول الآخر :
كَأَنَّ أَبَا السَّمِيِّ إِذَا تَغَنَّى يُحَاكِي عَاطِشاً فِي عَيْنِ شَمْسٍ^(٦)

١٥- وقال البحتري :

سَقَمُ دُونَ أَعْيُنٍ ذَاتِ سُقَمٍ وَعَذَابُ دُونَ الشَّيَا الْعَذَابِ^(٧)

(١) في ك « وإصابة المعنى »

(٢) ديوانه ٣٨٧ رقم « إلى متى » وهو تحريف

(٣) الأجراس : جمع جرس ، وهو الوقت ، يقال : مر جرس من الليل ، أي وقت وطائفة منه . وقم « أحراس » والأروقة : جمع رواق ، وهو ستر الظلام

(٤) زيادة من ط

(٥) ط « محركا » وديوانه ٦٤٣ ، ١٤١٤/٣ « قد قام من عطسة على » .

(٦) ط « أبا الشمي » .

(٧) ديوانه ٥٦٣

أخذه من قول بشار :

ذات الثنايا العذابِ مِنْ دُونِهِنَّ عَذَابٌ^(١)

١٦ - وقال البحتري :

وَكَأَنَّ فِي جِسْمِي الَّذِي فِي نَظَرِيكَ مِنَ السَّقَمِ^(٢)

أخذه من قول منصور بن الفرّج :

حَلٌّ فِي جِسْمِي مَا كَا نَ بَعَيْنَيْكَ مُقْبِياً^(٣)

١٧ - وقال البحتري :

تَجِدُ بَذَرَ الدُّجَى يَدْنُو بِشَمْسٍ إِلَى مِنَ الرَّحِيقِ الْخُسْرَوَانِي^(٤)

أخذه من قول الخليل :

قَمَرًا يَحْمِلُ شَمْسًا مِنْ رَحِيقِ خُسْرَوَانِي^(٥)

١٨ - وقال البحتري :

كَأَنَّ سُهَيْلاً شَخْصَ ظَمَّانٍ جَانَحَ

مَعَ الْأُفُقِ فِي نَهْيٍ مِنَ الْأَرْضِ يَكْرَعُ^(٦)

أخذه من قول [محمد بن يزيد] الحصني [السلمي]^(٧) يصف النجوم :

(١) ط « عذاب »

(٢) ديوانه ١٣ والوساطة ٢٢٢

(٣) الوساطة ٢٢٢ وفي ك ، م « في جسمك » وهو تحريف

(٤) ديوانه ١٤٥ « تجد شمس الضحى تدنو » وكذلك ديوانه طبع مصر ٢/ ٢٧٨

(٥) ط « قمر . . . الخسرواني »

(٦) ديوانه ٣٠٧ وفي م « في نهر »

(٧) زيادة من ط قال المرزباني في معجم الشعراء ٤١٩ « أبو الأصبح ؛ محمد بن يزيد بن مسلمة ابن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، يعرف بالحصني . كان يزل حصن مسلمة بديار مصر فنسب إليه . وهو شاعر محسن مكثّر مدح المأمون وهجا عد الله بن طاهر » وترجم له ابن المعتز في طبقات الشعراء

حَتَّى إِذَا مَا الْحُوتُ فِي حَوْضٍ مِنَ الدَّلْوِ كَرَعَ^(١)
١٩ - وقال البحتري :

قَوْمٌ إِذَا شَهِدُوا الْكَرِيهَةَ صَبَرُوا كُمَمَ الرَّمَاحِ جَمَاجِمَ الْأَقْرَانِ^(٢)
أخذه من [قول] مسلم بن الوليد^(٣) :

يَكْسُو السُّيُوفَ رُؤُوسَ النَّاكِثِينَ بِهِ وَيَجْعَلُ الْهَامَ تَيْجَانَ الْقَنَا الذُّبُلِ^(٤)
وأخذه^(٥) مسلم من قول جرير :

كَأَنَّ رُؤُوسَ الْقَوْمِ فَوْقَ رِمَاحِنَا
عَدَاةَ الْوَعَى نَيْجَانُ كِسْرَى وَقَيْصَرَا^(٦)

٢٠ - وقال البحتري :

وَلَيْمَ لَا أَغَالِي بِالضَّمِياعِ وَقَدْ دَنَا عَلَى مَدَاهَا وَاسْتَقَامَ اغْوَجَاجُهَا^(٧)
إِذَا كَانَ لِي تَرْبِيعُهَا وَاغْتِلَالُهَا وَكَانَ عَلَيْكُمْ عُشْرُهَا وَخَرَاجُهَا^(٨)
أظنه - والله أعلم - حذا على قول شبيب بن البرصاء :

تَرَى إِبِلَ الْجَارِ الْغَرِيبِ كَأَنَّمَا بِمَكَّةَ بَيْنَ الْأَخْشَبَيْنِ مَرَادُهَا^(٩)
يَكُونُ عَلَيْنَا نَقْصُهَا وَضَمَانُهَا وَلِلْجَارِ إِنْ كَانَتْ تَزِيدُ ، أَرْيَادُهَا^(١٠)

(١) الأنواء لابن قتيبة ٣٣

(٢) الكم : جمع كة وهي القلنسوة

(٣) م « مسلمة »

(٤) سبق ص ٨١ وفي م ، ك « نفوس الناكثين له »

(٥) ك و م « أو أخذه »

(٦) سبق ص ٨١

(٧) ديوانه ٢١٨

(٨) في الديوان « وكان عليك كل عام خراجها » وفي م « تربيعها » وتربيعها : أخذ ريعها ،

واغتلالها : استخراج غلتها

(٩) م « ثوى إبل » والأخشبان : جبلا مكة ، كما في معجم ما استمع ١٢٣/١ ومرادها :

مواطن أريادها

(١٠) ط « يكون عليه » وهو خطأ

٢١- وقال أبو صخر الهذلي :

[أَغْرُ أَسِيدِي تَرَاهُ كَأَنَّهُ إِذَا جَدَّ يُعْطَى مَالُهُ وَهُوَ لَا عِيبُ

أَخْذَهُ الْبَحْتَرَى فَقَالَ] ^(١) :

وَادِعُ يَلْعَبُ بِالْدَّهْرِ إِذَا جَدَّ فِي أَكْرُومَةٍ قُلْتَ هَزَلٌ ^(٢)

٢٢- وقال عبد الصمد بن المعدل :

ظَنَيْتُ كَأَنَّ بِخَضْرَاهُ مِنْ دِقَّةٍ ظَمًا وَجُوعًا ^(٣)
إِنِّي عَلِقْتُ لِشِقْوَتِي يَا قَوْمٍ مَمْنُوعًا مَمْنُوعًا ^(٤)

أَخْذَهُ الْبَحْتَرَى فَقَالَ :

مِنْ غَادَةٍ مُنِعَتْ وَتَمْنَعُ نَيْلَهَا فَلَوْ أَنَّهَا بَذَلَتْ لَنَا لَمْ تَبْذُلْ ^(٥)

فتراد على عبد الصمد بقوله : «فلو انها بذلت لنا لم تبذل» .

٢٣- وقال البحتري :

سُلِّبُوا وَأَشْرَقَتِ الدَّمَاءُ عَلَيْهِمْ مُحْمَرَّةً فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسْلَبُوا ^(٦)

(١) زيادة من ط

(٢) ديوانه ٣٣٣

(٣) البيتان له في الصناعتين ٢٣٤ والأول غير منسوب في ديوان المعاني ٢٥١/١ «من ضميره»

وفي ط «من رقة»

(٤) م «ممنوعاً ممنوعاً» وط «ممنوعاً ممنوعاً» ورواية صدره في الصناعتين : «ومن البلية أني»

(٥) ديوانه ٧٣٠ والصناعتين ٣٣٤ وفي إعجاز القرآن ٣٣٩ «فالييت - عل ماتكلف فيه من

المطابقة وتجشم الصنعة - أنماظه أوفر من معانيه ، وكلماته أكثر من فوائد ، وتعلم أن القصد وضع

العبارات في مثله ، ولو قال : هي ممنوعة مانعة ، كان ينوب عن تطويله وتكثيره الكلام وتهويله ،

ثم هو معنى متداول مكرر على كل لسان »

(٦) ديوانه ٦٨٤ والوساطة ٢٥٢

وهذا مثل قول الجَنْثِفِ بنِ السُّجْفِ الضُّبِّيِّ ^(١) ويجوز أن يكون أخذه منه :
وَفَرَّقْتُ بَيْنَ ابْنَيْ هُثَيْمٍ بِطَعْنَةٍ لَهَا عَانِدٌ يَكْسُو السَّلِيبَ إِذَا رَا ^(٢)
قوله : « لها عاند » يعنى الدم .

٢٤- وقال عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ^(٣) :
وَلَا نِي لَيْدَعُونِي لِأَنْ أَسْتَزِيدَهَا فَوَادِي ، فَأَخْشَى سُخْطَهَا وَأَهَابُهَا ^(٤)
ونحوه قول البحثري ويجوز أن يكون منه أخذ ^(٥) .
وَعَتَبَتِ مِنْ حُبِّكَ حَتَّى إِنْسَى أَخْشَى مَلَامَتِكَ أَنْ أَبْذُلِكَ مَا بِي ^(٦)

٢٥- وقال أبو نؤاس :

بُحَّ صَوْتُ الْمَالِ مِمَّا مِنْكَ يَشْكُو وَيَصِيحُ ^(٧)

(١) قال الشيخ « محمد محي الدين عبد الحميد » : « لم يتم لنا مع كثير المراجعة تحقيق هذا الاسم » .

وقد ترجم له الآملي في المؤلف والمختلَف ١٠٧ ، وقال : « وهو الذي قتل أبى هيثم العامريين : عامراً ، وطارقاً ، من بني صوف بن عمرو بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . عادى بينهما فقتلها ، وهزمت بنو عامر ، فقال الحتف في ذلك :

وفرت بين أبى هيثم بطعنة لها عاند يكسو السليب إذا رَا
وجدت بنفس لا يجاد بمثلها وقد كان نبح النابجات هرا رَا
حفاظاً وذبا عن حريمي ونصرة ولم أتحمل في المواطن هارا

(٢) ط « أبى هيثم » . وفي الوساطة ٢٥٢ « أبى هيثم » وهو تحريف فيها . ويؤكد صواب المخطوطة ورواية المؤلف والمختلَف أن الفرزدق قال فيها - كما في ديوانه ٨٥٨ - :

ونحن قتلنا أبى هيثم وأدركت بجيراً بنا ركض الذكور الصلادم

وفي التفاضل ٣٨٨ : « أبى هيثم : هاسن بن عمرو بن كلاب ، قتلها بنو ضبة يوم دارة مأسل ، وهو يوم أغلوا إبل النعمان » . وفي الوساطة « لها عاند » وهو تحريف .

(٣) ط « عبد الرحمن » وهو تحريف . ويؤيد ما في م في شرح الحامسة لتبريزي ١٠٨/١ ، ٣٤٤/٢ والمرزوق ١١٠/١ ، ٨٧٩/٢

(٤) ط « وأخشى » .

(٥) ط « أخذه منه » .

(٦) ديوانه ٣٤١ .

(٧) ديوانه ٥٩ طبع الحلبي . وفي م و ط « منك يبكى » .

أخذه البحتري فقال :

فَكَمْ لَكَ فِي الْأَمْوَالِ مِنْ يَوْمٍ وَقَعَةٍ
طَوِيلٍ مِنَ الْأَمْوَالِ فِيهِ عَوِيلُهَا^(١)

٢٦- وقال جابر بن السُّدَيْكِ الهَمْدَانِي :

أَرَى بِهَا اللَّيْلَ قَدَامِي فَتَغْشِمُ بِي إِذِ الْكَوَاكِبُ مِثْلُ الْأَعْيُنِ الْحَوْلِ^(٢)

أخذه البحتري فقال :

وَحَدَانُ الْقَلَاصِ حَوْلًا إِذَا قَا بَلَنْ حَوْلًا مِنْ أَنْجُمِ الْأَسْحَارِ^(٣)

٢٧- وقال عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ :

مُطْلَأًا عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ بِسَاحَاتِهِمْ زَجَرَ الْمَنِيحِ الْمُشْهَرِ^(٤)
فَإِنْ بَعُدُوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ تَشَوُّفَ أَهْلِ الْغَائِبِ الْمَتَنَظَّرِ^(٥)

(١) ديوانه ١٧٨٢/٣ م « من الأموال » وهو تحريف

(٢) ط « فغشم » وهو تحريف . ومعنى فتغشم بي : أى تمضى بسرعة لا تلبى على شئ

(٣) ديوانه ٤٤٥ ، ٩٨٧/٢ وعبد الوليد ١٠٧

(٤) ديوانه ٧٨ ، ٨٠ وجمهرة أشعار العرب ١١٥ والشعر الشعراء ٦٥٨/٢ والأصمعيات ٣٩

وشرح الحماسة للمرزوقي ٤٢٣/١ ، ٤٢٤ والتبريزي ٣٩٥/١ والكامل ١١٦/١ وشرح الشواهد الكبرى للمصنف بهامش الخزانة ٦٥٢/٣ والخزانة ١٩٦ / ٤ واللسان ٧٥ / ٧ والميسر والقديح ٦٤ . مطلقا : أى مشرفا على أعدائه ، أى يغزوهم أبدا فهو مطل عليهم ، يعنى غالبا عليهم . يزجرونه أى يصيحون به كما يزجر القمح إذا ضرب به . والمنيح ههنا : الثامن من القديح وهو لا نصيب له ، وإنما يحال لتكثير القديح . وقيل البيت :

ولكن صملوكا صفحة وجهه . كفضوه شهاب القابس المتنور

قال المرزوقي يقول : ولئن الفقير الوضيء الوجه الذى يبذل جهده ويبتذل نفسه فى طلب غناه ويقصر سعيه على ما يبلغ قدره فيشرف على أعدائه غازيا ومفيرا وهم يزجرونه حالا بعد حال ، ويكرهو عليهم وقتا بعد وقت كما يزجر هذا القمح فى خروجه ومع ذلك يرد »

(٥) يقول : إن بعد أعدائه لم يهله بعدهم أن يغزوهم ولا يأمنون ذلك منه ، فهم ينتظرونه فى كل ساعة كما ينتظر أهل الغائب غائبهم متى يقدم ، فأعينهم إليه يشوفونه

أَلَمْ بِهِ الْبَحْتَرَى فَقَالَ :

فَتَرَى الْأَعَادَى مَا لَهُمْ شُغْلٌ إِلَّا تَوَهُمَ مَوْقِعَ يَقْعَةٍ^(١)

٢٨- وقال البحتري :

عَلَى نَحْتِ الْقَوَافِي مِنْ مَقَاطِعِهَا وَمَا عَلَى لَهُمْ أَنْ تَفْهَمَ الْبَقَرُ^(٢)

ذكر « على بن يحيى المنجم » أنه البيت للمجتم^(٣) الراسبي ، وكان شاعراً اتصل بمحمد بن منصور بن زياد فكسب معه [ألف] ألف دينار^(٤) فلما مات اتصل بمحمد بن يحيى بن خالد البرمكي فأساء صحبته ، فهجاه ، فقال^(٥) :

شَتَانُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٍ حَتَّى آمَاتَ وَمَيَّتُ أَحْيَا فِي
فَصَحِبْتُ حَيًّا فِي عَطَايَا مَيَّتٍ وَبَقِيْتُ مُشْتَمِلًا عَلَى الْخُسْرَانِ

فهذا ما مرّ في من سرقات^(٦) البحتري من أشعار الناس على تتبّع فخرجتها.

ولعلّ لو استقصيتها لكانت نحو ما خرجته من سرقات أبي تمام أو تزويد^(٧)

عليها ، وعلى أني قد بيضت في آخر الباب^(٨) ، فمهما مرّ في [من] شيء [منها] ألحقته به ، إن شاء الله تعالى .

(١) ديوانه ٢٣٧ ، ٢ / ١٢٥٠

(٢) ديوانه ٦٧٣ وفي ط « على إذا لم »

(٣) م « وأن البيت للمجتم »

(٤) ك ، ط « درهم »

(٥) م « وقال »

(٦) ط « سرقة »

(٧) م « أو زيد »

(٨) ط « أني . . . الكتاب »

وهذا ما أخذه البحتري من معاني أبي تمام خاصة

مما نقلته من صحيح ما خرَّجه أبو الضياء : بشر بن يحيى^(١) الكاتب ؛
لأنه استقصى ذلك استقصاءً بالغَ فيه حتى تجاوزَه^(٢) إلى ما ليس بمسروق .
فكفانا مؤونة الطلب .

١- قال أبو تمام :

فَسَوَاءٌ إِيَّاجَتِي غَيْرَ دَاعٍ وَدُعَايَ بِالْقَفْرِ غَيْرَ مُجِيبٍ^(٣)
فقال البحتري :

وَسَأَلْتُ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ فَكُنْتُ فِي اسْتِخْبَارِهِ كَمُجِيبٍ مَنْ لَا يَسْأَلُ^(٤)

• • •

٢- وقال أبو تمام :

فَكَادَ بَأَنَّ يَرَى لِلْمَشْرِقِ شَرْقًا وَكَادَ بَأَنَّ يَرَى لِلْمَغْرِبِ غَرْبًا^(٥)
فقال البحتري :

فَأَكُونُ طَوْرًا مَشْرِقًا لِلْمَشْرِقِ أَوْ أَقْصَى وَطَوْرًا مَغْرِبًا لِلْمَغْرِبِ^(٦)

• • •

٣- وقال أبو تمام :

وإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طَوَيْتُ أَتَّاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ^(٧)

(١) ط « بشر بن تميم »

(٢) ط « تجاوز »

(٣) ديوانه ٣٦ والموشح ٣٣١ وفي شرح التبريزي ١٢٦/١ « يقول : لست من يقف على الأطلال يحاطها ويباتها ويشركها في زعمه في لويته ويستحملها على تقديره بعض جزعه ، فسواء عندي في الاستحالة أن أجيب من غير أن أدعى ، وأن أدعيا لا يجب . » وفي م « ودعائي الفقر » وهو تحريف .

(٤) ديوانه ٢٥ ، ١٧٥٤/٣ والموشح ٣٣١ وفي ط « وسألت مالا . . . وكنت »

(٥) الموشح ٣٣٩

(٦) ديوانه ٦٠١ والموشح ٣٣٩

(٧) سبق ص ١٣٨

فقال البحرى :

وَلَنْ تَسْتَبِينَ الدَّهْرَ مَوْضِعَ نِعْمَةٍ إِذَا أَنْتَ لَمْ تُدَلِّلْ عَلَيْهَا بِحَاسِدٍ^(١)

٤- وقال أبو تمام :

فَإِنْ تَكُنْ وَعَكَّةُ قَاسَيْتَ سَوَرَتَهَا فَالْوَرْدُ حِلْفُ لَيْلِيَةِ الْغَابَةِ الْأَضْمِ^(٢)
إِنَّ الرِّيحَ إِذَا مَا أَعْصَفَتْ قَصَفَتْ عِيدَانَ نَجْدٍ وَلَمْ يَعْْبَأَنَّ بِالرَّثَمِ^(٣)

فقال البحرى :

وَلَسْتُ تَرَى شَوْكَ الْقَتَادَةِ خَائِفًا رِيحَ السُّمُومِ الْآخِذَاتِ مِنَ الرَّنْدِ^(٤)
وَلَا الْكَلْبَ مَحْمُومًا وَإِنْ طَالَ عُمُرُهُ إِلَّا لِنَمَا الْحُمَى عَلَى الْأَسَدِ الْوَرْدِ^(٥)

٥- وقال أبو تمام :

رَأَيْتُ رَجَائِي فِيكَ وَحَدَّكَ هِمَّةً وَلَكِنَّهُ فِي سَائِرِ النَّاسِ مَطْمَعٌ^(٦)

فقال البحرى :

ثَنَى أَمَلِي فَاحْتَازَهُ عَنْ مَعَاشِرٍ يَبْتَغُونَ وَالْأَمَالَ فِيهِمْ مَطَامِعٌ^(٧)

(١) ديوانه ٥٤ والموشح ٣٣٩ وأخبار أبي تمام ٧٧ والمختار من شعر بشار ٧٠ وزهر الآداب ٢٠٢/١ وفى م ، ك « ولن تستبر »

(٢) ديوانه ٣١٥ وشرح التبريزي ٢٧٩/٣ « فإن يكن وصف عانيت سورته » وفى ط « تكن وقعة » والورد : الحمى ، والأضم : الغضببان

(٣) فى شرح التبريزي : « يقال عصفت الريح وأعصفت ، بمعنى . والعيدان : جمع عيدانة وهى النخلة الطويلة ، وربما استعمل ذلك فى الصدر . والرثم : ضرب من الشجر »

وأخطأ الشيخ يحيى الدين فى قوله : « نجد : شجر » وهو فى هذا الخطأ تابع لمحيى الدين الخطاط الذى يقول فى تعليقه على الديوان : « النجد : شجر كالتيتم ! وفى م ، ك « ولم يعرضن للرثم »

(٤) ديوانه ٢١٤ « عود القتادة » وفيه وفى ط « سموم الرياح »

(٥) هذا البيت مقدم على سابقه فى الديوان وروايته : « وما الكلب » والورد : الذى يشبه لونه

لون الورد ، كما فى اللسان ٤٧٠/٤

(٦) ديوانه ١٩٢ وشرح التبريزي ٣٣٣/٢

(٧) ديوانه ٧٢ وفى م « والأمال فيك »

٦- وقال أبو تمام :

بِمُحَمَّدٍ وَمُسَوِّدٍ وَمُحَسَّدٍ وَمُكْفَرٍ وَمَمْدَحٍ وَمُعْذِلٍ^(١)

فقال البحتري :

ذَاكَ الْمُسَوِّدُ وَالْمُمَجَّدُ دُ الْمُكْفَرُ وَالْمُحَسَّدُ^(٢)

٧- وقال أبو تمام :

وَقَدْ قَرَّبَ الْعَرْمَى الْبَعِيدَ رَجَاؤُهُ وَسَهَّلَتِ الْأَرْضُ الْعَزَازَ رَكَائِيهِ^(٣)

فقال البحتري :

أَدَارَ رَجَاهُ فَاعْتَدَى جَنْدَلُ الْفَلَا تُرَابًا ، وَقَدْ كَانَ التُّرَابُ جَنَادِلًا^(٤)

٨- وقال أبو تمام :

رَافِعٌ كَفَّهُ لِسْرِي فَمَا أَحْ سَبَّهُ جَاءَنِي لِغَيْرِ اللَّطَامِ^(٥)

فقال البحتري :

وَوَعْدٌ لَيْسَ يُعْرِفُ مِنْ عُيُوسٍ أَنْ قَبَاضِهِمْ أَوْعَدُ أُمَّ وَعِيدٍ^(٦) ؟

(١) ديوانه ٢٣٦ وشرح التبريزي ٣ / ٤٤ وقيله :

حتى تقر عيوننا وقلوبنا بالماجد المستقبل المستقبل

وفي الديوان « محمد ومكند » وهو تحريف صوابه : « ومكفر » كما في الشرح ، والمكفر : المعظم من قولهم : كفر الذي إذا وضع يديه على صدره وهو يريد التعظيم للرئيس والخضوع له . كما قال الشاعر :

فإذا سمعت بحرب قيس يمدّها فضموا السلاح وكفروا تكفيرا

(٢) ديوانه ٥٨٣ « المرحى والمبجل والمؤل والمجد » و ط « المحمد والمسود والمكرم »

(٣) شرح التبريزي ٢٣٢/١ وفي الديوان ٤٥ « العراز » وهو تحريف . والعزاز : الصلب

من الأرض

(٤) ديوانه ٧١١ وفي م « أدار رواء »

(٥) في ديوانه ٢٨٣ وشرح التبريزي ٣ / ٢١٠ « رافعا » وفي الديوان و ط « لسري » وشرحه

الشيخ محي الدين بالاختبار ، وهو خطأ

(٦) ديوانه ٤١٤

٩- وقال أبو تمام :

وَنَعْمَةُ مُعْتَفٍ جَدَّوَاهُ أَحَلَّى عَلَى أُذُنَيْهِ مِنْ نَغَمِ السَّمَاعِ^(١)

فقال البحتري :

نَشْوَانٍ مِنْ طَرَبِ السُّوَالِ كَأَنَّمَا غَنَّاهُ مَالِكُ طَبِيبٍ أَوْ مَعْبَدُ^(٢)

١٠- وقال أبو تمام :

وَمُجَرَّبُونَ سَقَاهُمْ مِنْ بَابِهِ فَإِذَا لُقُوا فَكَأَنَّهُمْ أَغْمَارُ^(٣)

فقال البحتري :

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٌ إِقْدَامٌ غَرٌّ وَاعْتِزَامٌ مُجَرَّبٍ^(٤)

١١- وقال أبو تمام :

لَا الْمَنْطِقُ اللَّغْوُ يَزْكُو فِي مَقَاوِمِهِ يَوْمًا ، وَلَا حُجَّةُ الْمَلْهُوفِ تُسْتَلَبُ^(٥)

فقال البحتري :

إِنْ أَغْفَلُوا حُجَّةً لَمْ يُلَفْ مُسْتَرْقًا لَهَا ، وَإِنْ وَجِعُوا فِي الْأَمْرِ لَمْ يَجِمَ^(٦)

١٢- وقال أبو تمام :

مَجْدٌ رَعَى تَلْعَاتِ الدَّهْرِ وَهُوَ فَتَى حَتَّى غَدَا الدَّهْرُ يَمْشِي مِشْيَةَ الْهَرَمِ^(٧)

(١) ديوانه ١٩٤ وشرح التبريزي ٣٣٩/٢ « معترف يربوه » وقد وضع هذا البيت في م مكان

بيت البحتري السابق

(٢) ديوانه ٦٩٠ والوساطة ٢٠١ وأخبار أبي تمام ٨١ « يطرب للسؤال » وكذلك في ك

(٣) سبق ص ٧٨

(٤) ديوانه ٦٠٢ « إقدام ليث »

(٥) شرح التبريزي ٢٥٤/١ وفي الديوان « حجة الملهوف » وهي خطأ . وشرحها ناشره بقوله :

الملهوف : المهيج ، ونقل هذا الشرح الشيخ محي الدين ! والمقاوم : جمع مقام

(٦) ديوانه ٦٥٤ وط « وإن يهملوا في القول لم يهمل » ولم يهمل : لم يخطئ

(٧) ديوانه ٢٦٩ وشرح التبريزي ١٨٧/٣ وفي اللسان ٣٨٥/١٩ « والتلعة : أرض مرتفعة

غليظة يتردد فيها السيل ثم يدفع إلى تلعة أسفل منها . وهي مكرومة من المنابت » وفي م « قلعات » وهو

تحريف

فقال البحرى :

صَحِبُوا الزَّمَانَ الْفَرْطَ ، إِلَّا أَنَّهُ هَرِمَ الزَّمَانُ وَعِزُّهُمْ لَمْ يَهْرَمِ^(١)

١٣- وقال أبو تمام :

كَرِيمٌ مَتَى أَمَدَحَهُ أَمَدَحُهُ وَالْوَرَى مَعِيَ ، وَمَتَى مَا لُغِمَتْهُ لُغِمَتْهُ وَخَلِدَى^(٢)

فقال البحرى :

أَأَتَشْكُو نَدَاهُ بَعْدَ مَا وَسَّعَ الْوَرَى وَمَنْ ذَا يَذُمُّ الْغَيْثَ إِلَّا مُذَمِّمٌ^(٣)

١٤- وقال أبو تمام :

الْبَيْدُ وَالْعَيْسُ وَاللَّيْلُ التَّمَامُ مَعًا ثَلَاثَةٌ أَبَدًا يُقَرَّنُ فِي قَرَنِ^(٤)

فقال البحرى :

أَطْلُبَا ثَالِدًا رِسْوَايَ فَإِنِّى رَابِعُ الْعَيْسِ وَاللَّجَى وَالْبَيْدِ^(٥)

١٥- وقال أبو تمام :

وَمَا نَفْعُ مَنْ قَدْ مَاتَ بِالْأَمْسِ صَادِيًا إِذَا مَا سَاءَ الْيَوْمُ طَالَ انْتِهَارُهَا^(٦)

فقال البحرى [وقصر] :

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْغَيْثَ لَيْسَ بِنَافِعٍ لِلنَّاسِ مَا لَمْ يَأْتِ فِي إِبَانِهِ^(٧)

(١) ديوانه ١٢٥ ، ٤٠ / ٢٠٨٤ المعارف والفرط : المتقدم

(٢) ديوانه ١٢٩ وشرح التبريزى ١١٦ / ٢ ومعاهد التنصيص ٣٧ / ١ وأخبار أبي تمام ٢٠٤ ربيعة الأيلم ١٥٥ وسر الفصاحة ٩٥ . وفى ط « وإذا ما لمت »

(٣) ديوانه ٦٨ وفى ط « بعد أن »

(٤) سبق ص ٨٣

(٥) سبق ص ٨٤

(٦) ديوانه ٣٩٩ وشرح التبريزى المخطوط ٧٤٠ ولكن الشيخ محيى الدين عبد الله غلطا وصوبها

« بات » لتوافق رواية الديوان . وفى ط « إذا ما الباء »

(٧) ديوانه ٧٠٦

١٦- وقال أبو تمام :

تَكَادُ مَغَايِبُهُ تَهْشُ عِرَاضَهَا فَتَرْكَبُ مِنْ شَوْقِي إِلَى كُلِّ رَاكِبٍ^(١)

فقال البحتري :

لَوْ أَنَّ مُشْتَقًّا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ لَمَشَى إِلَيْكَ الْمُنْبِرُ^(٢)

١٧- وقال أبو تمام :

وَكَيفَ اخْتِمَالِي لِلْسَحَابِ صَنِيعَةً بِإِسْقَانِهَا قَبْرًا فِي لَحْدِهِ الْبَحْرُ^(٣)

فقال البحتري :

مَلَأَنَ مِنْ كَرَمٍ ، فَلَيْسَ يَضُرُّهُ مَرُّ السَّحَابِ عَلَيْهِ وَهُوَ جَهَامُ^(٤)

١٨- وقال أبو تمام :

فَلَيْشْكُرُوا جَنَعَ الظَّلَامِ وَدَرَوْدَا فَهُمْ لِدَرَوْدَ وَالظَّلَامِ مَوَالِي^(٥)

فقال البحتري :

نَجَا وَهُوَ مَوَالِي الرِّيحِ يَشْكُرُ فَضْلَهَا عَلَيْهِ ، وَمَنْ يُؤَلِّ الصَّنِيعَةَ يَشْكُرُ^(٦)

(١) ديوانه ٤١ وفي شرح التبريزي ٢١٢/١ « المراس : جمع مرسة وهي ساحة الدار ، واستمار لها المشاة التي هي البشر والأرعية . يقول : من شهوته لإعطائه المال وبذله تكاد عراض مغايبه تسير إلى من يسير إليها طالبا نيله »

(٢) ديوانه ١٨ ، ١٠٧٣/٢ و ط « ولو . . . غير ما »

(٣) سبق ص ٩٢

(٤) ديوانه ٤٨٩ ، ١٩٥٠/٣ والجهام : السحاب الذي فرغ مائه

(٥) شرح التبريزي ١٣٩/٣ وفي الديوان ٢٦٢ و ط « ودروزاتهم لدروز » وفي م « واشكروا »

فهم له ريد « وهو تحريف

(٦) ديوانه ٤٠٠ ، ٩٨٥/٢ « منى وهو »

١٩- وقال أبو تمام :

أَنْتَ الْمُقِيمُ فَمَا تَعْدُ رَوَاحِلُهُ وَعَزْمُهُ أَبَدًا مِنْهُ عَلَى سَفَرٍ^(١)

فقال البحتري :

مُسَافِرٌ وَمَطَايَاهُ مُحَلَّلَةٌ غُرُوضُهَا وَمُقِيمٌ وَهُوَ مُرْتَحِلٌ^(٢)

٢٠- وقال أبو تمام :

وَتَشَرَّفُ الْعُلِيَا ، وَهَلْ بِكَ مَذْهَبٌ عَنْهَا وَأَنْتَ عَلَى الْمَكَارِمِ قَيِّمٌ؟^(٣)

فقال البحتري :

مُتَقَلِّلُ الْعَزَمَاتِ فِي طَلَبِ الْعُلَا حَتَّى يَكُونَ عَلَى الْمَكَارِمِ قَيِّمًا^(٤)

٢١- وقال أبو تمام :

فَلَمْ يَجْتَمِعْ شَرْقٌ وَغَرْبٌ لِقَاصِدٍ وَلَا الْمَجْدُ فِي كَفِّ امْرِئٍ وَالْدَّرَاهِمُ^(٥)

فقال البحتري :

لِيَقْبِرَ وَفَرَكُ الْمَوْفَى وَإِنْ أَعَا وَزَّ أَنْ يُجْمَعَ النَّدَى وَوُفُورُهُ^(٦)

(١) ديوانه ٤٠٠ وشرح التبريزي المخطوط ٧٤١ وفي ط « فأتعدوا » وفي م « فأتسرى . . وعزمه .

على سهر » وفي ك « فأتسرى رواحله وطرفه . . على سهر »

(٢) ديوانه ٧١٨ ، ١٧٦٤/٣ والفروض : جمع غرض ، وهو حزام الرجل . وفي م

« مسافرون . . . عروضا » وهو تحريف

(٣) تشرف : أى تطلع لها . وضبط في ط تبعا لضبط الديوان بضم التاء وكسر الراء ، وهو خطأ .

وفي م و ك « على المعالي » .

(٤) ديوانه ٢٣٠ وفي م و ك « مقلقل الأحشاء . . على المعالي »

(٥) ديوانه ٢٨٦ وفي شرح التبريزي ١٧٨/٣ « أى كما لا يجتمع السير نحو الشرق والغرب في

حالة واحدة من سائر واحد ، كذلك لا يجتمع الشرف والمعالي لرجل مع إمساكه المال ؛ لأن المجد يكتسب

بهذه المال وإتلاف الرغائب »

(٦) ديوانه ٥٠٧ ، ٩١٢ ٢/٢ المعارف « وفرك الملق » وفي م « ليسر وفرك . . أن

تجمع » وهو تحريف

٢٢- وقال أبو تمام :

فَوَقَّرْتَ يَا فَوْخَ الْجَبَانِ عَلَى الرَّدَى وَزِدْتَ غَدَاةَ الرُّوعِ فِي نَجْدَةِ النَّجْدِ^(١)
فقال البحتري :

وَيَعْدُو وَنَجْدَتُهُ فِي الْوَعَى تُدْرِبُ نَجْدَاتِ فُرْسَانِهِ^(٢)

٢٣- وقال أبو تمام :

مَا زَالَ وَسْوَاسِي لِعَقْلِي خَادِعًا حَتَّى رَجَا مَطَرًا وَلَيْسَ سَحَابُ^(٣)
فقال البحتري :

وَعَجِيبٌ أَنَّ الْغِيُوثَ يُرْجَى هِنٌ مَنْ لَا يَرَى مَكَانَ الْغِيُومِ^(٤)

٢٤- وقال أبو تمام :

بِكُلِّ صَعْبٍ الذَّرَى مِنْ مُصْعَبٍ يَقِظُ أَقَامَ مُتَشِدًّا أَمْ سَارَ مُعْتَزِمًا^(٥)
فقال البحتري :

لَا يَبْرَحُ الْحَزْمُ يَسْتَوِي صَرِيْمَتُهُ أَقَامَ مُتَشِدًّا أَمْ سَارَ مُعْتَزِمًا^(٦)
٢٥- وقال أبو تمام :

لَرَدَدْتُ تُحَفَّتَهُ عَلَيْهِ وَإِنْ عَلَتْ عَنْ ذَاكَ وَأَسْتَهْدَيْتُ بَعْضَ خِصَالِهِ^(٧)

(١) ديوانه ١٣٢ وفي شرح التبريزي ١٢٣/٢ « ووقرت : من الوقار ، يقال : هو مطعم من الهامة عند الفزع : إذا كان رابط الجأش » وفي م « وزدن غداة » وهو تحريف

(٢) ديوانه ٥٧٣ وفي م « نجدان » وهو تحريف

(٣) ديوانه ٤٨٨ وشرح التبريزي المخطوط ٧٠١ وفي م « زجا » وهو تحريف

(٤) ديوانه ١٩٣٧/٤٧٠ وفي ط « أن النجوم »

(٥) ديوانه ٣٠٢ وشرح التبريزي ١٦٩/٣ « إن حل متشداً أو » « من مصعب : أ. من بني مصعب رطب إسحاق بن إبراهيم المدوح . والمعنى : من كل صعب الذي يقظ من بني مصعب يقول : أكرت القتل بمعونة كل صعب جسر من بني مصعب ، متيقظ في حالتي حلوله ومسيره »

(٦) ديوانه ٥٣٢ « عزيمته » وفي اللسان ٢٢٧/١٥ « والصريمة : العزيمة على الشيء وقطع الأمر » .

(٧) ديوانه ٢٣٩ وفي شرح التبريزي ٥٧/٣ وقوله :

لو كان يهدي لأمري ما لا يرى يهلى لعظم فراقه وذياه =

وقال أبو تمام أيضاً^(١) :

وَانْفُخْ لَنَا مِنْ طِيبِ خِيَمِكَ نَفْحَةً
فَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

لَا تَسَلْ رَبَّكَ الْكَثِيرَ وَسَلُهُ
خَصْلَةً تَسْتَفِيدُهَا مِنْ خِصَالِهِ^(٢)

٢٦- وقال أبو تمام :

غَرِيبَةٌ تُؤْنِسُ الْآدَابَ وَخَشَنُهَا
فَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

صَوَارِبُ فِي الْآفَاقِ لَيْسَ بِبَارِحٍ
بِهَا مِنْ مَحَلٍّ أَوْ طَنَّتْهُ أَرْجَحَالُهَا^(٣)

٢٧- وقال أبو تمام :

كُلَّمَا خَامَرَهُ أَوْلَقُ
فَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

وَتَخَالَ رَيَّعَانَ الشَّبَابِ بِرُوعِهِ
مِنْ جَنَّةٍ أَوْ نَشْوَةٍ أَوْ أَفْكَلٍ^(٤)

= أى لو كان يهدى لأمري ما لا يتيأ إهداؤه لعظم فراقه إذا زال عن صاحبه - لرددت تحفته وسألته أن يهدي لي بعض خصاله الحميدة ، ولكن لا سبيل إلى ذلك . وفي م « ازدادت لحفته . . . وإن غلت في السوم » . وفي ك : « وإن غلت في السوم »

(١) م « وقوله »

(٢) ديوانه ٤٠ وفي شرح التبريزي ١ / ١٤٤ « يقول : خذ العبد إليك ، وأعطني من أخلاقك ما هو أحسن منه ، وإن كان الكريم إذا وفد رفداً لم يرتجمه »

(٣) ديوانه ٥٧٢ « الخطير وسله خصلة تستميرها »

(٤) ديوانه ٢٢٩ يقصد بالفريية : قصيدته

(٥) ديوانه ٢٢٤ ، ٣ / ١٦٩٤ ويريد بالضرارب : قصائده الفريية . وفي ط « ليس

بنازع »

(٦) ديوانه ١٧٩ وشرح التبريزي ٢ / ٢٨٠ . خامره : أى خالط هذا الفرس الموصوف . أولق : جنون ، وغازلت من معازلة النساء ، ذكره مستعاراً . والخندريس : الخمر القديمة . وفي م و ك « أو خالطت »

(٧) ديوانه ٧٣٢ ، ٣ / ١٧٤٨ « وتظن » والأفكل : الرطة كما في اللسان ٤٥ / ١٤

٢٨- وقال أبو تمام :

حَمْدُ حُبَيْتٍ بِهِ وَأَجْرٌ خَلَقْتُ مِنْ دُونِهِ عُنْقَاءَ لَيْلٍ مُغْرِبٍ^(١)

فقال البحتري :

فَأَنْتَ تُصِيبُ الْحَمْدَ حَيْثُ تَلْأَلَاتُ

كَوَاكِبُهُ إِنْ أَنْتَ لَمْ تُصِيبِ الْأَجْرَ^(٢)

٢٩- وقال أبو تمام :

تُدْعَى عَطَايَاهُ وَفَرًّا وَهِيَ إِنْ شُهِرَتْ كَانَتْ فَخَارًا لِمَنْ يَغْفُوهُ مُؤْتِنًا^(٣)

فقال البحتري :

وإِذَا اجْتَدَاهُ الْمُجْتَدُونَ فَإِنَّهُ يَهَبُ الْعُلَى فِي سَبِيهِ الْمَوْهُوبِ^(٤)

٣٠- وقال أبو تمام :

وَتَلْبَسُ أَخْلَاقًا كِرَامًا كَانَتْهَا عَلَى الْعِرْضِ مِنْ قَرَطِ الْحَصَانَةِ أَذْرُعُ^(٥)

فقال البحتري :

قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الدُّرُوعَ لِمَوْقِفٍ لَبَسُوا مِنَ الْأَخْسَابِ فِيهِ دُرُوعًا^(٦)

(١) ديوانه ٤٠ وشرح التبريزي ١٣٤/١ يعنى غلاما كان وجهه له الحسن بن سهل . يقول كما قال الصولي : قد جلب إليك هذا الفلام حمداً وشكراً لما أهديته إلى ، ولكن ليس لك في إهدائه أجر ، لأنك أهديته لأسومه الحرام ، فكان أجره طارت به عنقاه مغرب . وفي م « مجد . . . به وآخر . . . » معرب « وهو تحريف

(٢) ديوانه ٥٥٩ وم « وأنت . . . المجد »

(٣) ديوانه ٢٠١ وشرح التبريزي ٣٦٥/٢ ومؤتفا : أى مستقبلا ، ويعفوه : يسأله ، ووفراً : أى غنى ، لأن كل من أعطاه هذا فقد استغنى عن الناس كلهم ، وهو يعطى سرا وجهراً ، فعطاياه في السر إن شهرت كانت فخراً ومؤتفاً وشرفاً مستطرفاً لائله ، لأنه شريف العطاء ، فن أعطاه أكسبه إعطائه فخراً وغنى

(٤) ديوانه ١٧٧ « في نيله الموهوب » والسيب والنيل : العطاء ، واجتداه : سأله . ٢٤٨/١

معارف

(٥) ديوانه ٣٧٣

(٦) ديوانه ٢٥٨ ، ١٢٥٥/٢ « لبستم الأعراض فيه دروعا » وفي م وك « لبستم

الأجساد » .

٣١- وقال أبو تمام :

لَمَّا أَظْلَمْتَنِي غَمَامُكَ أَصْبَحْتَ نِلْكَ الشُّهُودُ عَلَيَّ وَهِيَ شُهُودِي^(١)

فقال البحتري :

وَمُعْتَرِضِينَ إِنْ حَاوَلْتُ أَمْرًا بِهِمْ شَهِدُوا عَلَيَّ وَهُمْ شُهُودِي^(٢)

٣٢- وقال أبو تمام :

أَنْصَرْتُ أَيْكَتِي عَطَايَاكَ حَتَّى صَارَ سَاقًا عُودِي وَكَانَ قَضِييَا^(٣)

فقال البحتري :

حَتَّى يَعُودَ الذُّئْبُ لَيْثًا ضَيْغَمًا وَالْعَصْنُ سَاقًا وَالْقَرَارَةُ نَيْقًا^(٤)

٣٣- وقال أبو تمام :

• فَمَا تَصْطَادُ غَيْرَ الصَّبْدِ^(٥) •

فقال البحتري :

• تصطاد الفوارس صيدها^(٦) •

(١) ديوانه ٨٤ وشرح التبريزي ٤٠١/١ « يقول : أصبغت إلى قول وتحققت أمرى فكف أعدائي فلك ممي »

(٢) ديوانه ٢٨٤ « إن حظمت أمراً « وفي ط « ومعترضون »

(٣) ديوانه ٢٨ وفي شرح التبريزي ١٧٩ / ١ « أي جعلتها نصيرة ، والنصارة : الخفصة ، وأصل الأيكة الشجر الملتف « وفي ك « حتى عاد غصني ساقا »

(٤) ديوانه ٧٢٥ والصناعتين ٢٢٨ . والنبي : الجبل الطويل كما في اللسان ٢٤٢/١٢

(٥) بقية البيت كما في ديوانه ٨٢ وشرح التبريزي ٣٨٩/١ :

وحشية ترمى القلوب إذا اغتلتت وبنى فا

قال المرزوقي : « وحشية : يجوز أن يكون أراد أنها في حسنها كالحشية ، ويجوز أن يكون أراد أنها تنفر عن الريب ، فكأنها وحشية . وقوله : فا تصطاد غير الصيد ، يجوز أن يكون عني أنه لا يرويهن ولا هم بين إلا الكبار من الرجال المكبرون ، لعزيم وجلالهم في النفوس ، ويجوز أن يكون أراد أنهم لا يتواضعن إلا لرى الرجال المعجبين بأنفسهم ظرفاً وهزة . قال الصولي : وبنى : كأنها ناعسة من النعمة

(٦) تمته كما في ديوانه ٤٦٥ :

على أذن أخشى هل دار أنها بنى الروح يصطاد . . .

٣٤- وقال أبو تمام :

الآن حين غرستُ في تلك الرُبى تلك المني وبنتُ فوق أماس^(١)

فقال البحتري :

غفل الرجال بنوا على جد الشرى لَمَّا بنوا ، وبنتُ فوق أماس^(٢)

٣٥- وقال أبو تمام :

فعلام الصدود في غير جُرم والصدود الفراق قبل الفراق^(٣)

فقال البحتري :

على أن هجران الحبيب هو الذوى لدى ، وعرفان المشيب هو العذل^(٤)

٣٦- وقال أبو تمام :

وفتى إذا جنف الزمان فما يرى إلا إلى عزماته يتظلم^(٥)

فقال البحتري :

ولَوْ أنصفتني سرّ مرأى لَمْ أكن إلى العيس من إيطانها أتظلم^(٦)

(١) ديوانه ١٧٥ وشرح التبريزي ٢/٢٥٢ « فالآن . . . في كرم الثرى » وفي ط « في كرم الندى » .

(٢) في ديوانه ٣٨٦ :

فلذا بنى غفل الرجال بنى على جدد بنيت على ذرى وأساس

(٣) ديوانه ٤٥٣ وشرح التبريزي المخطوط ٦٨٤ .

(٤) الواسطة ٢٣٢ وفي ديوانه « النوى المشت وعرفان » .

(٥) ديوانه ٢٨٦ وشرح التبريزي ٣/٢١٤ « ظلم الزمان » وهما روايتان . وفي م و ك

« خيف »

(٦) ديوانه ٦٧ وفي ط « من قطانها » وإيطانها : اتخذها وطنًا ،

وقال الشيخ محمى الدين « العيس : جمع أعيس ، وهو الكريم من الإبل ، وأراد بها الرجال الكرام » وقد أصاب في نقل معنى العيس ، وأخطأ في بيان المراد منها . ذلك أن البحتري لم يرد من العيس أى شيء غيرها ؛ لأنه يقول : لو أنصفتني مدينة سمرن رأى لأقمت بها ولم أعمد إلى العيس متظلماً من توطئها لتزِيل ظلامي بالارتحال عنها ، وبعد البيت :

لقد خاب فيها جاهد وهو ناطق وأصلى منها وادع وهو مفهم

٣٧- وقال أبو تمام :

مِنْ دَوْحَةِ الْكَلِمِ الَّذِي لَمْ يَنْفَكِكَ وَقَفَا عَلَيْكَ رَصِينُهُ مَحْبُوسًا^(١)

فقال البحتري :

وَلَكَ السَّلَامَةُ وَالسَّلَامُ فَلِإِنِّي غَادٍ وَهْنٌ عَلَى عُلاكَ حَبَائِثُ^(٢)

٣٨- وقال أبو تمام :

وَكَذَلِكَ لَمْ تُفْرِطْ كِتَابَةَ عَاطِلٍ حَتَّى يُجَاوِرَهَا الزَّمَانُ بِحَالٍ^(٣)

فقال البحتري :

وَقَدْ زَادَهَا إِفْرَاطَ حُسْنِ جَوَارِهَا خَلَائِقَ أَصْفَارٍ مِنَ الْمَجْدِ خَيْبٍ^(٤)

٣٩- وقال أبو تمام :

وَمَا الْعُرْفُ بِالتَّسْوِيفِ إِلَّا كَخُلَّةٍ تَسَلَّيْتُ عَنْهَا حِينَ شَطَّ مَزَارُهَا^(٥)

فقال البحتري :

وَكُنْتُ وَقَدْ أَمَلْتُ مُرًا لِحَاجَتِي كَطَالِبٍ جَدَوَى خُلَّةٍ لَا تُوَاصِلُ^(٦)

٤٠- وقال أبو تمام :

آسَادُ مَوْتٍ مُخْدِرَاتُ مَالِهَا إِلَّا الصَّوَارِمَ وَالْقَنَا آجَامُ^(٧)

(١) ديوانه ١٧٨ وشرح التبريزي ٢/٢٧٣ « الكلم الذي . . . رصينها »

(٢) ديوانه ٣٨١ وقبلة :

هذه القصائد قد زفت صباحها تهدي إليك كأنهن عرائس

(٣) ديوانه ٢٦٠ وشرح التبريزي ٣/١٣٢ « بحال »

(٤) ديوانه ٧٥ والتفسير في زادهها يعود على أخلاق المملوح المذكورة في البيت السابق ١/١٩٢

من ك .

(٥) ديوانه ٣٩٩ وشرح التبريزي المخطوط ٧٤٠ « وما النفع » والخلة : الخلية ، وشط : بعد .

(٦) ديوانه ٦٦٢ ، ٣/١٨٦٨ في هجاء مر بن علي بن مر ، الطائي ، وفيه « مرأ لئائل » .

(٧) ديوانه ٢٨١ وشرح التبريزي ١٥٦ والمخدر : الذي اتخذ الأجمة خدرًا . وفي م و ك

« ما لها خير »

فقال البحتري :

حَشِدْتُ حَوْلَهَا سِبَاعَ الْمَوَالِي وَالْعَوَالِي غَابَ لِيَتْلِكَ السَّبَاعُ^(١)

٤١- وقال أبو تمام :

وَلَاذَتْ بِحَقْوِيهِ الْخِلَافَةُ وَتَقَتْ عَلَى خِذْرِهَا أَرْمَاحُهُ وَمَنَاصِلُهُ^(٢)

فقال البحتري :

لَاذَتْ بِحَقْوِيهِ الْخِلَافَةُ ؛ إِنَّهَا قَسِمٌ لِأَفْضَلِ هَاشِمٍ فَأَلْفَظِلِ^(٣)

٤٢- وقال أبو تمام :

قَدْ جَاءَنَا الرَّشَاءُ الَّذِي أَهْدَيْتَهُ خَرْقًا وَلَوْ شِئْنَا لَقُلْنَا الْمَرْكَبُ^(٤)

فقال البحتري :

حَمَلْتُ عَلَيْهِ فِي سَبِيلِ فُتُوَّةٍ هِيَ الشَّعْرُ خَلْفَ الْمَجْدِيلِ تَفْضُلُ الشَّعْرَا^(٥)

٤٣- وقال أبو تمام :

وَقَدْ تَأَلَّفَ الْعَيْنُ الدُّجَى وَهُوَ قَبْدُهَا وَيُرْجَى شِفَاءُ السَّمِّ وَالسَّمُّ قَاتِلُ^(٦)

(١) ديوانه ١٣٢ ، ١٢٤٤/٢ ، والموالى : الرياح

(٢) ديوانه ٢٣١ وشرح التبريزي ٢٦/٣ وفي م « فالقت » وهو تحريف . والحقو : الخصر ومشد الإزار من الجنب . والعرب تقول : عذت بحقوه : إذا استجرت به واعتصمت بيمينك

(٣) ديوانه ١٦ « عاذت بحقواك » ، ٣ / ١٦٢٧ « بحقوك »

(٤) ديوانه ٤٠ وفي شرح التبريزي ١٤٢/١ « يعنى الغلام الذى أهداه إليه الحسن بن وهب . والخرق : الذى قد دهش وتغير كأنه رشاء ، وهو مع ذلك يصلح للتمتع . وأصل الخرق الضعف فى القوائم من النعمة »

(٥) ديوانه ٥٥٩

(٦) ديوانه ٢٥٩ وفي شرح التبريزي ١٢٨/٣ « قال المرزوقى : المرذول من الأمور والمعضول من الأسباب قد يعلق الرجاء بهما إذ مست الحاجة إليهما ودعت الضرورة نحوهما ، كما أن العين الرميدة تنتفع بالظلمة وإن كانت قيداً لشعاعها ، والسّم كلحوم الحيات وما أشبهها يتداوى به وإن كان قاتلاً فى نفسه »

فقال البحرى :

وَيَحْسُنُ دَلَّهَا وَالْمَوْتُ فِيهِ وَقَدْ يُسْتَحْسَنُ السَّيْفُ الصَّقِيلُ^(١)

٤٤- وقال أبو تمام :

أَوْرَقْتُ لِي وَعَدًّا وَفَقْتُ بِنُجْحِهِ بِالْأَمْسِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُثْمِرِ^(٢)

فقال البحرى [وقصر] :

وَالْوَعْدُ كَالْوَرَقِ الْجَنِيِّ تَأَوَّدْتُ مِنْهُ الْغُصُونُ وَنُجْحُهُ أَنْ يُثْمِرَا^(٣)

٤٥- وقال أبو تمام :

إِنَّ الْهِلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نُمُوَّهُ أَيْقَنْتَ أَنْ سَيَكُونُ بَدْرًا كَامِلًا

فقال البحرى :

مِثْلُ الْهِلَالِ بَدَأَ فَلَمْ يَبْرَحْ بِهِ صَوْعُ اللَّيَالِي فِيهِ حَتَّى أَقْمَرَا^(٤)

٤٦- وقال أبو تمام :

نَرَى بِأَشْبَاحِنَا إِلَى مَلِكٍ نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدْبِهِ^(٥)

فقال البحرى :

نَعْدُو فَلِوَمَا اسْتَمَحْنَا مِنْ مَوَاهِبِهِ فَضْلًا وَلِأَمَّا اسْتَفَدْنَا مِنْهُ آدَابًا^(٦)

(١) ديوانه ٣٠٠ ، ٣ / ١٨٢٢

(٢) م « لنا وعدًا »

(٣) في ديوانه ٣٧٧ « كالورق النضير . . . ونجحها » ولم يرو هذا البيت في م و ك وورد

بدله :

أفديك مورك موعد لم يفلق من قول باع إنه لم يثمر

وليس له ، وإنما هو لأبي تمام ، كما في ديوانه ٣٩٧ وشرح التبريزي المخطوط ٧٤٧

(٤) ديوانه ٣٧٨ ، ٢ / ٩٧٩ .

(٥) ديوانه ٥٢ وشرح التبريزي ٢٧٦ / ١ . ترى : أى العيس . وفي م « بنا أشباحنا »

وفي أخبار أبي تمام ١٧٧ « تحمل أشباحنا »

(٦) م « استجنا » . . . وفيها وفي ك : « وإما استمرنا »

٤٧- وقال أبو تمام :

وَمَا خَيْرُ بَرْقٍ لَاحَ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ وَوَادٍ غَدَاً مَلَانٌ قَبْلَ أَوَانِهِ^(١)

فقال البحتري :

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْغَيْثَ لَيْسَ بِنَافِعٍ لِلنَّاسِ مَا لَمْ يَأْتِ فِي إِبَانِهِ^(٢)

٤٨- وقال أبو تمام :

لَا يَكْرُمُ النَّائِلُ الْمُعْطَى وَإِنْ أُخِذَتْ مِنْهُ الرِّغَائِبُ حَتَّى يَكْرُمَ الطَّلَبُ^(٣)

فقال البحتري :

عَلَّمْتَنِي الطَّلَبَ الشَّرِيفَ وَرُبَّمَا كُنْتُ الْوَضِيعَ مِنْ أَنْضَاعِ مَطَالِبِي^(٤)

٤٩- وقال أبو تمام :

أَرَمَى بِنَادِيكَ النَّدَى وَتَذَفَّسَتْ نَفْسًا بِعَقْوَتِكَ الرِّيحُ ضَعِيفًا^(٥)

فقال البحتري :

رَاحَتْ لِأَرْبُعِكَ الرِّيحُ مَرِيضَةً وَأَصَابَ مَفْزَاكَ الْقَمَامُ الصَّبِيبُ^(٦)

(١) ديوانه ٣٢٠ وشرح التبريزي ٢٩٦/٣

(٢) ديوانه ٧٠٦ وسبق ص ٣٢٨

(٣) ديوانه ٤٨ وشرح التبريزي ٢٥٠/١ • لن يكرم الظفر . . . به الرغائب • وفي ط
• السائل المعطى • قال المرزوقي : • إنما العرف يكرم والنوال يشرف • متى صين طلب الماني الزائر
من المثل ، ولم يكن ولم يتنل بالتسويق والدفاع •

(٤) ديوانه ٦٩٨ وفي ط • وإنما كنت • ١٠ / ١٦٢ معارف

(٥) سبق ص ١٠٧ ، ١٦١

(٦) سبق ص ١٦٢ وفي ط • ضحيفة • (٦٨٢)

٥٠- وقال أبو تمام :

الْوُدُّ لِلْقُرْبَى وَلَكِنْ رَفْدُهُ لِلْأَبْعَدِ الْأَوْطَانِ دُونَ الْأَقْرَبِ^(١)

فقال البحتري :

بَلْ كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنْ سَبَبِهِ سَبَباً مَنْ كَانَ أَبْعَدَهُمْ مِنْ جِذْمِهِ رَحِمًا^(٢)

٥١- وقال أبو تمام :

شَرُخٌ مِنَ الشَّرَفِ الْمُئِيفِ يَهْزُهُ هَزُّ الصَّفِيحَةِ شَرُخٌ عُمَرِ مُقْبِلِ^(٣)

فقال البحتري :

أَذْرَكْتَ مَا فَاتَ الْكُھُولَ مِنَ الْحِجَى

فِي عُتُقُونِ شَبَابِكَ الْمُسْتَقْبَلِ^(٤)

٥٢- وقال أبو تمام :

بَعْثُنَ الْهُوَى فِي قَلْبِ مَنْ لَيْسَ هَائِماً

فَقُلْ فِي فُؤَادِ رُغْنِهِ وَهُوَ هَائِمٌ^(٥)

(١) سبق ص ١٧٥

(٢) سبق ص ١٨٨ وفي م « من حزمه » وهو تحريف

(٣) شرح التبريزي ٥٠/٣

وقد ظن الشيخ محي الدين أن قوله : « شرح عمر مقبل » خطأ فغيره إلى « عمر مقبل » ليوافق ما في الديوان ص ٢٣٧ وقال في شرحه نقلاً عن هاشم الديوان أيضاً : « الشرح : العرق . والمنيف ؛ العالي ، والصحيقة : السيف العريض . والشرح الثاني : أول الشباب ، والفمر : الكريم ، والمقبل : الذي نبت شعر وجهه » .

ورواية الديوان محرفة . والمراد بالشرح الأول : الأصل . والمملوح بالبيت أبو الوليد بن أحمد بن أبي دؤاد الإيادي .

(٤) ديوانه ٦٨٢ ولم يرد هذا البيت في م و ك وورد بدله فيهما :

فاسلم لشرح مكارم مستقبل أنف وبرد شبية مستقبل

البيت ليس للبحتري ولكنه لأبي تمام في ديوانه بمد بيته السابق ، وروايته فيه : « فاسلم لحدة سؤدد . . »

(٥) ديوانه ٢٨٥ وشرح التبريزي ١٧٧/٣ بعث : أي الحطام المذكورة في البيت قبله .

فقال البحرى :

فَبَعَثْنَا وَجْدًا لِلْمَخْلِيِّ وَزِدْنَا فِي بُرَحَاءِ وَجْدِ الْهَائِمِ الْمُسْتَهْتَرِ^(١)

٥٣- وقال أبو تمام :

غُرَّةٌ بِهَيْمَةٍ أَلَا إِنَّمَا كُنْتُ أَغْرًا أَيَّامَ كُنْتُ بِهِيْمًا^(٢)

فقال البحرى :

عَجِبْتُ لِتَفْوِيفِ الْقَذَالِ وَإِنَّمَا تَفْوِيفُهُ لَوْ كَانَ غَيْرَ مُقَوِّفٍ^(٣)

٥٤- وقال أبو تمام :

وَمَا زَالَتْ تُجِدُّ أَسَى وَشَوْقًا لَهُ وَعَلَيْنِهِ إِخْلَاقُ الرُّسُومِ

فقال البحرى :

فَهَيْجُ وَجْدِي رَبْعَهَا وَهُوَ سَاكِنٌ وَجَدَّدَ شَوْقِي رَسْمَهَا وَهُوَ مُخْلِقٌ^(٤)

٥٥- وقال أبو تمام :

تَرَاهُ يَذْبُ عَنْ حَرَمِ الْمَعَالِي فَتَحْسِبُهُ يُدَافِعُ عَنْ حَرِيمٍ^(٥)

فقال البحرى :

حَامِيَ عَنِ الْمَكْرُمَاتِ مُجْتَهِدًا ذَبَّ الْمُحَامِي عَنْ مَالِهِ وَدَمِهِ^(٦)

(١) ديوانه ٣١ « وجد العاشق »

(٢) ديوانه ٢٩١ وشرح التبريزي ٢٢٣/٣ ، « والبهمة : من قولك : فرس بهيم ، وهو الذي لا يخالط لونه غيره ، كأنه أبيض عن الشياتى أى أغلق دونها من أجهت الباب إذ أغلقتة . وجاز أن يجعل نفسه بهيما لأنه أراد الشعر وأنه أيام كان أسود لم تكن له غرة ، أى شيب . وفى ك : « غرة مرة » .

(٣) ديوانه ١٤١٦/٣ والشهاب ٧ فى الصحاح ١٤١٢/٤ « ويرد مقوف : أى فيه خطوط بيض . وفى م « وإنما تفويقه . . . مقوف » ! والقذال : جبايع مؤخر الرأس من الإنسان .

(٤) ديوانه ٥١٨ « فعرك بئى . . . وجدد وجلى »

(٥) ديوانه ٢٨٨ وشرح التبريزي ١٦١/٣ .

(٦) ديوانه ١٩٥ « جهد المحامى » . ٤٠٦٤/٤ .

٥٦- وقال أبو تمام :

تَنْصَلُ رَبُّهَا مِنْ غَيْرِ جُزْمٍ إِلَيْكَ سِوَى النَّصِيحَةِ وَالْوَدَادِ^(١)

فقال البحتري :

أَفِرُّ بِمَا لَمْ أَجْنِهِ مُتَنَصِّلاً إِلَيْكَ . عَلَى أَنِّي إِخَالُكَ أَلَوْماً^(٢)

٥٧- وقال أبو تمام :

وَتَنَدُّ عَنْدَهُمُ الْعَلَى إِلَّا عَلَى جُعِلَتْ لَهَا مِرْرُ الْقَصِيدِ قِيداً^(٣)

فقال البحتري :

وَالْمَجْدُ قَدْ يَأْبِقُ عَنْ أَهْلِهِ لَوْلَا غُرَى الشَّعْرِ الَّذِي قَيْدَهُ^(٤)

٥٨- وقال أبو تمام :

شَكَّ حَشَاها بِخُطْبَةٍ عَنْنِ كَانَتْهَا مِنْهُ طَعْنَةٌ خَلَسَ^(٥)

فقال البحتري :

فَرَجَّتْ جَوْنَهَا بِخُطْبَةٍ فَيَنْصَلِ مِثْلُهَا فِي الرَّوْعِ طَعْنَةٌ فَيَنْصَلِ^(٦)

(١) ديوانه ٨١ وشرح التبريزي ٣٨٦/١ . ربهما : أى صاحب القصائد المنزهة عن السرق المكرومة عن الممنى المعاد ، كما قال في البيت الذى قبله

(٢) ديوانه ٩٥

(٣) ديوانه ٩٠ وشرح التبريزي ٤٢٦/١ . تند : أى تشرد وتذهب ماضية على وجوهها . عنهم : عند العرب الأول . والمرر بكسر الميم - جمع مرة ، وأصلها الحبل الذى أجيد فتله . يقول : إن المكارم إذا لم تقيد بالشعر تتفرق وتتبدد . وفى م و ك « مرر القريض » .

(٤) ديوانه ٣١٥ .

(٥) ديوانه ١٦٨ وشرح التبريزي ٢٣١/٢ والضمير فى « حشاها » يعود على حومة الخطاب التى قد فرجها الحسن بن وهب ببلاغته وبيانه ، كما قال أبو تمام فى بيته السابق . والعن : المعترضة ، من قولهم : عن الشيء يمن ، إذا بدا لك ، وخلص أى مختلطة سريعة .

(٦) م « فرجت حوضها » . ولم يرد البيت فى ديوان البحتري .

٥٩- وقال أبو تمام :

جَمُّ التَّوَاضُّعِ وَالذُّنْيَا بِسُوءِ دِيهِ تَكَادُ تَهْتَرُ مِنْ أَقْطَارِهَا صَلَفًا^(١)

فقال البحتري :

أَبْدَى التَّوَاضُّعِ لِمَا نَالَهَا رِعَةً عَنْهَا وَنَالَتْهُ فَأَخْتَالَتَ بِهِ تِيهَا^(٢)

٦٠- وقال أبو تمام :

إِذَا أَطْلَقُوا عَنْهُ جَوَامِعَ غُلَّةٍ تَيَقَّنَ أَنَّ الْمَنَ أَيْضًا جَوَامِعُ^(٣)

فقال البحتري :

وَقَى عَفْوِهِ لَوْ تَعَلَّمُونَ عُقُوبَةَ تُقَعِّعُ فِي الْأَعْرَاضِ إِنْ لَمْ يُعَاقِبِ^(٤)

٦١- وقال أبو تمام :

قَصْرُ بَيْدَلِكَ عُمَرَ مَطْلِكُ تَحْوِلِي حَمْدًا يُعَمَّرُ عُمَرَ سَبْعَةَ أَنْسُرٍ^(٥)

(١) شرح التبريزي ٣٦٤/٢ وديوانه ٢٠١ « لسؤده » وفي م « بادى التواضع » والعلف :
التيه . أى هو كثير التواضع والدنيا تتكبر بمكانه

(٢) ديوانه ٢٨ « نالما دعة » وهو تحريف وفي ط « فنالت » والرة : الورع

(٣) ديوانه ٤٨٠ « يغفر بقومه » عنه أى عن الأسير الذى إذا أسروه لم يأسر البغى عفوهم عنه ،
كما قال فى البيت قبله . وفي ط « أطلقوه عن » وفي م « غلة » وهو تحريف . والجوامع : جمع جامعة ،
وهى الحديدة التى تجمع يد الأسير إلى عنقه

وقد أخطأ الشيخ محبى الدين إذ فسرهما بقوله : « وهى ضرب من الحللى يجمع اليدين إلى المتق » !!!
والغل : التقيد

قال التبريزي فى شرحه المخطوط ٧٨١ « يقول : إذا منوا على الأسير فأطلقوه تيقن أنه من الصنمية
فى جوامع تمنه من أن يجارهم أو يعرض لهم بما يكرهون . وكأنه من قول الخاريجى : غل يدا مطلقها
واسترق رقية منعها »

(٤) ديوانه ٧٢١ وفي ط « يملون » وفي م « فى الأعواذ وإن لم تعاقب » . ٨٢/١ معارف

(٥) ديوانه ٣٩٧ وشرح التبريزي المخطوط ٧٣٧ وفي ط « وعذك تحولى شكراً » وفي م « وعدى
تحتوى » . وفى ك « شكراً يسمر »

فقال البحرى :

وَجَعَلْتَ فِعْلَكَ تَلَوَّ وَعَدِكَ قَاصِرًا عُمَرَ الْعَدُوِّ بِهِ وَعُمَرَ الْمَوْعِدِ^(١)

٦٢- وقال أبو تمام :

دَعَا شَوْقُهُ يَا نَاصِرَ الشُّوقِ دَعْوَةً فَلَبَّاهُ طَلُّ الدَّفْعِ يَجْرِي وَوَابِلُهُ^(٢)

فقال البحرى :

نَصَرْتُ لَهَا الشُّوقَ اللَّجُوجَ بِعَبْرَةٍ تَلَاخَقُ فِي أَعْقَابِ وَضَلِ نَصْرُهَا^(٣)

٦٣- وقال أبو تمام :

مِنْ لَيْلَةٍ فِي وَبِلِهَا لَيْلَاءُ فَلَوْ عَصَرْتَ الصَّخْرَ صَارَ مَاءً^(٤)

فقال البحرى :

أَشْرَقَنَ حَتَّى كَادَ يُقْتَبِسُ الدُّجَى وَرَطْبُنَ حَتَّى كَادَ يَجْرِي الْجَنْدَلُ^(٥)

٦٤- وقال أبو تمام :

بِرُّ بَدَأَتْ بِهِ وَدَارُ بَابِهَا لِلْخَلْقِ مَفْتُوحٌ وَوَجْهُ مُقْفَلُ^(٦)

فقال البحرى :

إِلَامَ بَابِكَ مَعْقُودٌ عَلَى خُلُقِي وَرَاعَهُ مِثْلُ مَدِّ النَّيْلِ مَحْلُولِ^(٧)

فهذا ما أخذ البحرى من أبي تمام .

(١) ديوانه ٤٦١ « تلو قوئك » وفي ط « نيلك تلو »

(٢) سيق ص ٢٢١

(٣) ديوانه ٣٥٥ « بأدع تلاحقن » وفي م « قصرت له » وفي ط « تواصل في أعقاب »

(٤) ديوانه ٤١٣ وشرح التبريزي المخطوط ٧٥٣ والأول فيهما مؤخر عن الثاني

(٥) ديوانه ٢٦ طبع بيروت وأشرقن : أى أيام المتوكل

(٦) ديوانه ٢٤٠ وشرح التبريزي ٥٨/٣ وفي م « بدان »

(٧) ديوانه ٢٧٦ « معقوداً . . . مثل ماء المزن »

ولعل قائلًا يقول : [إني] قد تجاوزت في هذا الباب ، وقصرت ، ولم أستقص^(١) جميع ، ما خرّجه «أبو الضياء : بشر بن يحيى»^(٢) من المسروق . وليس الأمر كذلك ، بل قد استوفيتُ جميعه [فأوضحت]^(٣) ، وتسامحت بأن ذكرتُ ما لعلّه لا يكون مسروقاً ، وإن اتفق المعنيان أو تَقَارَبَا . غير أني أطرحت سائر ما ذكر «أبو الضياء» بعد ذلك لأنه لم يقنع بالمسروق الذي يشهد التأملُ الصحيحُ بصحته^(٤) حتى تعدّى ذلك إلى التكثير ، وإلى أن أدخل في الباب ما ليس منه ، بعد أن قدّم مقدمة افتتح بها كلامه ، فقال : ”ينبغي لمن نظر في هذا الكتاب أن لا يَعَجَلَ بأن يقول : «هذا مأخوذ من هذا ، حتى يتأمل المعنى دون اللفظ ، ويُعْمَل الفكر فيما خفي . وإنما المسروق»^(٥) في الشعر ما نُقل معناه دون لفظه ، وأبعد آخذه في أخذه“ .

قال : ”ومن الناس من يبعد ذهنه إلا عن مثل^(٦) امرئ القيس وطرفة حين لم يختلفا إلا في القافية ، فقال أحدهما : «وتجمل»^(٧) ، وقال الآخر : «وتجلّد» .

قال : ”ففي الناس طبقة أخرى يحتاجون إلى دليل من اللفظ مع المعنى^(٨) ، وطبقة يكون الغامض عندهم بمنزلة [اللفظ]^(٩) الظاهر ، وهم قليل“ .

(١) ط « ولم تستقص »

(٢) ط « بشر بن تميم »

(٣) من ط وفيها « وساعت »

(٤) م و ك « لصحته . . . ذلك إلى »

(٥) ط و ك « ما هذا »

(٦) ط و ك « السرق »

(٧) ط « بيت » وفي ك « بيتي »

(٨) م « وتجمل » .

(٩) م « مع النقي »

(١٠) الزيادة من م

فجعل هذه المقدمة ^(١) توطئة لما اعتمده من الإطالة والحشر ^(٢) ، وأن يُقبلَ منه كلُّ ما يورده ، ولم يستعمل - مما وصَّى به من التأمل وإعمال الفكر - شيئاً ، ولو فعل ذلك لرجوت ^(٣) أن يُوفَّقَ لطريق الصواب ، فيعلم أن السرقة ^(٤) إنما هي في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر ، لا في المعاني المشتركة بين الناس التي هي جارية في عاداتهم ، ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم ، مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يورده أن يقال : [إنه] أخذه من غيره .

غير أن «أبا الضياء» استكثر من هذا الباب ، وخلطَ به ما ليس من السَّرَقِ في شيء ، ولا بين المعنيين ^(٥) تناسب ولا تقارب ، وأتى بضرب آخر ادعى أيضاً فيه السرقة والمعاني مختلفة ؛ وليس فيه إلا اتِّفَاقُ ألفاظ ^(٦) ليس مثلها مما يحتاج واحد أن يأخذه من آخر ؛ إذ كانت الألفاظ مباحة غير محظورة ، فبلغ غرضه في توفير الورق وتعظيم حجم الكتاب .

وأنا أذكر [في كل باب] من هذه الأبواب أمثلة يستدل بها ^(٧) على صحة ما ذكرناه ^(٨) . ونجعلها قياساً على ما لم نذكره ؛ فإن في البعض غنى عن الإطالة بذكر الكل .

١ - فمما أورده «أبو الضياء» من المعاني المستعملة الجارية مجرى ^(٩)

(١) ط «المقدمة»

(٢) ط «والحشد» وفي ك «الحشو»

(٣) م و ك «بلوزت وأن» وهو تحريف

(٤) ط و ك «السرقة إنما هو»

(٥) م «بين النقيضين»

(٦) م و ك «الألفاظ . . ما احتاج»

(٧) ط «تدل على . . ما ذكرناه ونجعلها»

(٨) في ك «ما ذكرته . . ما لم أذكر»

(٩) ط «محاربي»

الأمثال ، وذَكَرَ أن البَحْثَرى أَخذه من أَبِي تمام - قول أَبِي تمام :
جَرَى الْجُودُ مَجْرَى النَّوْمِ مِنْهُ ؛ فَلَمْ يَكُنْ
بِغَيْرِ سَمَاحٍ أَوْ طِعَانٍ بِحَالِهِ^(١)

وقول البَحْثَرى :

وَبَيَّتُ يَحْلُمُ بِالْمَكَارِمِ وَالْعَلَى حَتَّى يَكُونَ الْمَجْدُ جُلًّا مَنَامِهِ^(٢)

وهذا المعنى^(٣) موجود في عادات الناس ، ومعروف في [معاني]^(٤) كلامهم ،
وجار^(٥) كالمثل على ألسنتهم ، بأن يقولوا لمن أحب شيئاً أو استكثر منه :
فلان لا يَحْلُمُ إلَّا بالطعام ، وفلان لا يحلم إلَّا بفلانة من شدة وَجْدِهِ
بها ، وهذا الزنجى ما حُلِمَ إلَّا بالتمر ، ولا يقال لما^(٦) كانت هذه سبيله :
سَرَقَ ، وإنما يقال له : اتفاق ، فإن كان واحد سمع هذا المعنى أو مثله من
آخر واحتذاه^(٧) فلنما ذكر معنى قد عرفه واستعمله ، لا أنه أَخَذَهُ أَخَذَ سَرَقَ^(٨)

٢- وأنشد لأبي تمام :

إِذَا الْقَصَائِدُ كَانَتْ مِنْ مَدَائِحِهِمْ يَوْمًا فَأَنْتَ لَعَمْرِي مِنْ مَدَائِحِهَا^(٩)
وذكر أن البَحْثَرى أَخذه فقال :

(١) ديوانه ٣٨٥ « جرى المجد » وشرح التبريزي المخطوط ٦٥٥ وفيهما « بنير طعان أو سباح » .

وفى ك « مجرى الروح »

(٢) ديوانه ٤٣٢

(٣) ط « وهذا الكلام . . . ومعروف في معاني »

(٤) الزيادة من ك

(٥) م « وحاز »

(٦) ط « لمن »

(٧) ك و م « فاحتذاه فلنما ذكره بمعنى »

(٨) ط « سرقة »

(٩) ديوانه ٧٤ وشرح التبريزي ٣٥٧/١ وفى م و ك « في مدائحهم » يقول : كما يفتخر هؤلاء

بالقصائد تفتخر بك القصائد .

وَمَنْ يَكُنْ فَاخِرًا بِالشَّعْرِ يُذَكَّرُ فِي أَضْعَافِهِ فَيْكَ الْأَشْعَارُ تَفْتَحِرُ^(١)
 وهذا غلط. على البحترى ؛ لأن الناس لا يزالون يقولون : فلان يزِينُ
 الشباب ولا تزينه ، ويجملُ الولايةَ ولا تجملهُ ، وفلانة تزيدُ في حسن الحلِ
 ولا يزيِدُ في حسنِها ، وفلان تفخر^(٢) به الأنسابُ ولا يفخرُ بها . وهذا ليس
 من المعاني التي يجوز أن يدعى أحد من الناس أنه ابتدعها واخترعها أو سَبَقَ
 إليها ، ولا يجوز أن يكون مثل هذا - إذا اتفق فيه خطيبان ، أو شاعران -
 أن يقال : [إن]^(٣) أحدهما أخذ من الآخر .

٣- وأنشد لأبي تمام :

ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السَّنُونَ وَأَمَلُهَا فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَخْلَامُ^(٤)
 وذكر أن البحترى أخذه فقال :

وَأَيَّامُنَا فَيْكَ اللَّوَاتِي تَصَرَّمَتْ مَعَ الْوَصْلِ أَضْغَاثُ وَأَخْلَامُ نَائِمٍ^(٥)
 وكأنه ما سمع الناس يقولون : ما كان الشباب إلا حلمًا ، وما كانت
 أيامنا^(٦) إلا نومة نائم ، وما أشبه ذلك من اللفظ ، فكيف يجوز أن يكون
 ذلك^(٧) مسروقاً ؟

٤- وذكر أن من ذلك قول أبي تمام :

قَدْ يُقَدِّمُ الْغَيْرُ مِنْ دُعْرِ عَلَى الْأَسَدِ^(٨)

(١) ديوانه ٦٥٧ ، ٩٥٨/٢ المعارف « بالشعر يمدح » وفي م « فالشعر يذكر وأصنافه قبل »

وهو تحريف

(٢) ط « تفتخر »

(٣) زيادة من ط

(٤) ديوانه ٢٧٩ وشرح التبريزي ١٥٢/٣

(٥) ديوانه ٤٤٧ « الوصل أم أضغاث أحلام » وفي م « وأيامنا فيها »

(٦) ط « أيامه » (٧) في ك « مثل ذلك »

(٨) صدره : « أطلت روعك حتى صرت لي غرضاً » كما في ديوانه ٤٩٥ وشرح التبريزي

المخطوط . ٧١٢

وقول البحترى :

فَجَاءَ مَجِيءَ الْعَيْرِ قَادَتْهُ حَيْرَةٌ إِلَى أَهْرَتِ الشُّدَقَيْنِ تَدْمَى أَظْفَرُهُ^(١)
أَوْ لَمْ يَسْمَعْ مَا^(٢) هُوَ كَالْمَجْمَعِ عَلَيْهِ مِنْ أَنَّ الْعَيْرَ إِذَا رَأَى السَّبْعَ أَقْبَلَ إِلَيْهِ
مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِ مِنْهُ ، حَتَّى صَارَ مِثْلًا يُتَمَثَّلُ بِهِ ، كَمَا يُتَمَثَّلُ بِالْفَرَّاشَةِ إِذَا
تَهَافَّتَتْ فِي النَّارِ ، وَفِي ذَلِكَ أَشْعَارُ وَأَمْثَالُ كَثِيرَةٌ ، مَا أَظُنَّ عَلِمَهَا سَقَطَ عَنْ
الْبَحْثَرَى .

٥- ومن ذلك قول أبي تمام :

هَيْهَاتَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّكَ لَوْ ذَوَى بِالْصَّبْنِ لَمْ تَبْعُدْ عَلَيْكَ الصَّبْنُ^(٣)
وقول البحترى :

يُضْحِي مُطِلًّا عَلَى الْأَعْدَاءِ لَوْ : « وَقَفُوا »

بِالصَّبْنِ فِي بُعْدِهَا مَا اسْتَبَعَدَ الصَّبْنُ^(٤)

وهذا جارٍ على أفواه العامة والخاصة والنساء والصبيان أن يضربوا المثل في
البعد بالصبن ، وأن يوقعوا التهديد^(٥) به ؛ فيقولوا : لو أنك بالصبن لما
بعدت على ، فكيف لا يهتدى البحترى إلى مثل^(٦) هذا ؟

٦- ومن ذلك قول أبي تمام :

كَأَنَّ بَنِي نَبْهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ نُجُومٌ سَمَاءَ حَرٍّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَذَرُ^(٧)

(١) ديوانه ٢٥١ وأهرت الشدقين : واسمهما

(٢) في ك « بما »

(٣) ديوانه ٣٢٨ وشرح التبريزي ٣/٣٢١ « لم يعلم : أي بابك الخرى »

(٤) ك وط « لو وقعوا في الصبن من بعدها » . وفي ديوانه ٢٢٠٣/٤ المعارف « يسمى قريبا

من الأعداء » وفي ط : « بالصبن من بعدها » .

(٥) م « التهديد »

(٦) ليست في ك

(٧) سبق ص ٧٢

وقول البحتري :

فَإِذَا لَمَقْتَهُمْ فَمَوَكِبُ أَنْجُمٍ زُهرٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بِدُرِّ الْمَوَكِبِ^(١)
وهذا معنى متقدّم مبتذل ، [قد]^(٢) جاء به النابغة وغيره ، وكثر على
الألسن حتى صار أشهر من كل مشهور^(٣) .

وببت أبي تمام خاصة فإنما سرقه على ساقته^(٤) من مريم بنت طارق
ترثي أخاها :

كُنَّا كَأَنْجُمٍ لَيْلٍ بَيْنَهَا قَمَرٌ يَجْلُو الدُّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْنِنَا الْقَمَرُ^(٥)
[أو من قول جرير يرقى الوليد بن عبد الملك :

أَمْسى بنوه وقد جَلَّتْ مصيبتهم مثل النجوم هوى ما بينها القمر]^(٦)
٧- ومن ذلك قول أبي تمام :

هِمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ وَجَدٌ آلِفٌ لِلْحَضِيضِ فَهُوَ حَضِيضٌ^(٧)
وقول البحتري :

مُتَحَيِّرٌ يَغْدُو بِعِزْمٍ قَائِمٌ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ وَجَدٌ قَاعِدٌ^(٨)
وهذان المعنيان جنسهما واحد ، ولفظهما مختلف ، وهما شائعان [في
الكلام]^(٩) وجاريان في الأمثال ، يقال^(١٠) : فلان على الهمة ، وهمة في

(١) ديوانه ١٢٣

(٢) الزيادة من ك

(٣) ط « مشهور »

(٤) ط « سياقه » وفي ك « سياقه »

(٥) سبق ص ٧٢ وفي ك « بيننا »

(٦) سبق ص ٧٢ وفي ك : « من بينها »

(٧) سبق ص ١٢٦

(٨) ديوانه ٤٦٤ « كل فائز » وفي م « متحيز » وهو تحريف

(٩) زيادة من ط وك

(١٠) م و ك « بأن يقولوا »

الثريا وحاله في الحضيض ، وفلان يسامى^(١) بهمته [النجم] ولكن [قد] قَعَدَ به حَظُّهُ ، ونحو هذا من اللفظ . ؛ فليس يجوز أن يَعتَوِرَ هذا المعنى شاعران فيقال : [إن] أحدهما أخذ من الآخر .

٨- ومن ذلك قول أبي تمام :

وَلَيْسَتْ فَرَحَةُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا لَمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحِّ الْوَدَاعِ^(٢)
وقول البحتري :

مَا لَيْشَىءُ بِشَاشَةٍ بَعْدَ شَيْءٍ كَمَلَّاقٍ مُوَاشِكٍ بَعْدَ بَيْنٍ^(٣)

وهذا معنى مستفيض معروف ، ومنه قول الحجاج [بن يوسف]^(٤) :
لولا فَرَحَةُ الْأَوْبَاتِ لما عذبتهم^(٥) إلا بالأسفار .

وغرض كل واحد من هذين الشاعرين في هذين البيتين مخالف لغرض صاحبه ؛ لأن أبا تمام ذكر أنه لا يفرح بالقدوم إلا مَنْ شَجَاهُ وَحَزَنَهُ^(٦) التوديع .

وأراد البحتري أنه ليس شيء من المسرة والجدل إذا جاء في أثر شيء ما كالتلاقى^(٧) بعد التفرق .

فليس - وإن كان جنس المعنيين واحداً - يصح^(٨) أن يقال : إن أحدهما

(١) ط « سام » .

(٢) ديوانه ١٩٣ وفي شرح التبريزي ٣٣٦/٢ « أى لم يعرف ترح الوداع من قولم : وقفت فلانا على أمرى فهو موقوف عليه ، أى من لم يجد ألماً للفراق لم يجد فرحاً باللقاء »

(٣) ديوانه ٤٠٥ وطبع مصر ٢٩٤/٢ وفي ط « بين بعد »

(٤) من ط

(٥) ط « لما عرفهم » وهو تحريف

(٦) ط « وأحزنه » وفي اللسان ٢٦٦/١٦ « حزنه لغة قريش ، وأحزنه لغة تميم ، وقد

قرئ بهما »

(٧) م و ك « لتلاق »

(٨) م و ك « وجب أن »

أخذ من الآخر : لأن هذا قد صار جارياً في العادات ، وكثيراً على الألسن ،
فالتهمة ترتفع عن أن يأخذه^(١) واحد من آخر .

٩- ومن ذلك قول أبي تمام :

لَهُمْ نَسَبٌ وَلَيْسَ لَهُمْ سَمَاحٌ وَأَجْسَامٌ وَلَيْسَ لَهُمْ قُلُوبٌ^(٢)

وقول البحتري :

خَلَقْتُ مَمْلُوءَةً بِغَيْرِ خَلَاتِقٍ تُرْجَى ، وَأَجْسَامٌ بِلاَ أَرْوَاحٍ

وهذا المعنى^(٣) أيضاً هو أعرف في كلامهم وأشهر من أن يحتاج شاعر
أن يأخذه من آخر ، وهم دائماً يقولون : ما فلان إلا شبح من الأشباح ، وما
هو إلا صورة في حائط ، أو جسد فارغ ، ونحو هذا من القول المشاع
المشتهر .

١٠- ومن ذلك قول أبي تمام :

لَا تَدْعُونَ نُوحَ بْنَ عَمْرٍو دَعْوَةً لِلْخَطْبِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ جَلِيلًا^(٤)

وقول البحتري :

يَا أَبَا جَعْفَرٍ ! وَمَا أَنْتَ بِالْمَدِّ عَوْ إِلَّا لِكُلِّ أَمْرٍ كِبَارٍ^(٥)

ونسى قول الناس : اختتر لعظيم الحوائج العظيم من الناس^(٦) ، ولكبار
الأمور كبيرهم ، وقال رجل لابن عباس : إن لي إليك حاجة صغيرة ، فقال :
اطلب لها رجلاً صغيراً .

(١) ط « يأخذ أحد عن أحد »

(٢) م « لهم نسب » وهو تحريف

(٣) ط « وهذا الكلام »

(٤) ديوانه ، ٢٤ وشرح التبريزي ٧٠/٣

(٥) ديوانه ٤٤٦ والكبار : الكبير ، والبيت في مدح أبي جعفر بن حميد

(٦) ل « عظيم الناس »

١١- ومن ذلك قول أبي تمام :

بَيْضُ فَهْنٍ إِذَا رُمِقْنَ سَوَافِرًا صُورٌ ، وَهْنٌ إِذَا رَمَقْنَ صَوَارُ^(١)

وقول البحتري :

أَنْتِ لَحَظْتَ فَأَنْتِ جُودَرُ رَمْلَةٍ وَإِذَا صَدَدْتَ فَأَنْتِ ظَبْيُ كِنَاسٍ^(٢)

وهذا يشبه^(٣) أعين النساء بأعين البقر : ويمثلهن بالصَّوَار ، وبالظباء .

وجُلَّ كلام العرب عليه يجرى ؛ فلا يكون الشعراء فيه إلا متفقيين .

١٢- ومن ذلك قول أبي تمام :

وَلَقَدْ جَهَدْتُمْ أَنْ تُزِيلُوا عِزَّهُ فَإِذَا أَبَانُ قَدْ رَسَا وَيَلْمَلِمُ^(٤)

وقول البحتري :

وَلَكِنْ يَنْقُلُ الْحَسَادُ مَجْدَكَ بَعْدَمَا تَمَكَّنَ رَضْوَى وَاطْمَأَنَّ مُتَالِيعُ^(٥)

وهذا المعنى أيضاً شائع من معانيهم^(٦) ، وكثير في أشعارهم ، ومنه قول

الفرزدق :

فَادْفَعْ بِكَفِّكَ إِنْ أَرَدْتَ بِنَاءَنَا ثَهْلَانَ ذَا الْهَضَبَاتِ هَلْ يَتَحَلَّحَلُ؟^(٧)

(١) ديوانه ١٤٥ وفي شرح التبريزي ١٦٧/٢ « يقول : إذا وآهن الناظر فكأنهن صور من

حسهن ، وقوله : وهن إذا رمقن صوار ، أي عيونهن تشبه عيون بقر الوحش إذا نظرت »

(٢) ديوانه ٣٨٥ ، ١١٣٤/٢ « إما » وفي ط « أي لحظت » وفي ك « إما لحظت » والجدور :

ولد البقرة الوحشية ، كما في اللسان ١٩٤/٥

(٣) ط و ك « تشبيه . . . تمثيلهن والظباء »

(٤) ديوانه ٢٧٤ وشرح التبريزي ٢٠٠/٣ وفي م « جهدتهم عن وجهتهم . . . » وهو

تحرير وفي ك « ولقد جهلتم عزه وجهتهم » وأبان ويللم : جيلان ، كما في معجم ما استعجم للبكري

١٣٩٨/٤ ، ٩٥/١

(٥) ديوانه ٧٣ ورضوى ، ومتالع - بضم الميم - جيلان كما في معجم ما استعجم ٦٥٥/٢ ،

١١٨١/٤

(٦) م « من معانيه » و ط « من أشعارهم »

(٧) ديوانه ٧١٧/٢ وفي اللسان ١٨٤/١٣ « ما يتحلل » أي ما يتحرك عن مكانه .

وثهلان جيل بالعين أو بالمالية ، كما في معجم ما استعجم ٣٤٧/١ وفي هامش ك : « الذي أعرف

ثهلان ذر بالروخ »

وقوله يخاطب جريراً [أيضاً] ^(١) :

« فَرُمَ حَصَنًا فَانْظُرْ مَتَى أَنْتَ نَاقِلُهُ » ^(٢) .

أفتري البحتری ما سمع بهذا ^(٣) من قول الفرزدق ولا من قول غيره فنقله
كما سمعه أبو تمام فنقله ؟

١٣ - ومن ذلك قول أبي تمام :

وَفِي شَرَفِ الْحَلِيبِ دَلِيلُ صِدْقٍ لِمُخْتَبِرٍ عَلَى شَرَفِ الْقَدِيمِ ^(٤)

وقول البحتری :

عَلَى أَنَا نُوكِّلُ بِالْأَدَانِي وَتُخْبِرُنَا الْفُرُوعُ عَنِ الْأَصُولِ
وهذا معنى شائع في الكلام أيضاً ، مشهور كثير على الأفواه أن يقولوا :
[إن] ^(٥) العروق عليها ينبت الشجر ، وَمَنْ أَشَبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ ، والعَصِي ^(٦)
من العَصِيَّة ، والغصن من الشجرة ، ودللت على الأم السُّخْلَةُ ، ومثل هذا لا
يكون مأخوذاً مستعاراً .

١٤ - ومن ذلك قول أبي تمام :

وَلِذَاكَ قِيلَ : مِنَ الظُّنُونِ جَلِيَّةٌ صِدْقٌ ، وَفِي بَعْضِ الْقُلُوبِ عُيُونٌ ^(٧)

وقول البحتری :

وَلِذَا صَحَّتِ الرَّوِيَّةُ يَوْمًا فَمَسْوَءٌ ظَنُّ أَمْرِي وَعِيَانُهُ ^(٨)

(١) زيادة في ط

(٢) صدره كما في ديوانه ٧٣٧ « فإن كنت ترجو أن توازن دارياً » وحسن جبل ، كما في

معجم ما استعجم ٤٥٥/٢

(٣) ط « سمع هذا . . . غيره حتى سمعه »

(٤) ديوانه ٢٨٩ وشرح التبريزي ١٦٣/٣

(٥) ديوانه ١٦٧/٣

وتسلي الشكوك عليه مالم تخبر الأصول عن الفروع

(٦) الزيادة من ك

(٧) ديوانه ٣٢٩ وفي شرح التبريزي ٣٢٦/٣ « من قولهم : إن المؤمن ينظر بنور الله »

وفي م « ولذلك »

(٨) ديوانه ٣١٩

وهذا أيضاً من الأمثال المشهورة المتداولة^(١) السائرة ، وهو قولهم : ظنُّ
[العاقل] كيقين [غيره] ومنه^(٢) قول أوس بن حجر :

الْأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظُّ نَّ كَانَ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا^(٣)

١٥- و [من ذلك] قول أبي تمام :

لَا نَجْمٌ مِنْ مَعْشَرٍ إِلَّا وَهْمُهُ عَلَيْكَ دَائِرَةٌ يَا أَيُّهَا الْقُطْبُ^(٤)

[وقول البحترى :

مَا دَارَ لِلْمَكْرُمَاتِ مِنْ قَدَلِكِ إِلَّا وَزَاكِي أَعْمَالِهِ قُطْبُهُ]^(٥)

وكأنه ما سمع قول الناس : فلان قُطْبُ هذا الأمر ، وعلى فلان مدار

القصة ، ونحو هذا من القول الذي يستغنى الإنسان بما جرى منه في عاداته
أن يستعيره من غيره .

١٦- ومن ذلك قول أبي تمام :

وَأَقْلُ الْأَشْيَاءِ مَخْصُولَ نَفْعٍ صِحَّةُ الْقَوْلِ وَالْفَعَالُ مَرِيضُ^(٦)

وقول البحترى :

وَمَا لِحِثْلِي فِي الْقَوْلِ مِنْكَ رِضًا وَالْقَوْلُ فِي الْمَجْدِ غَيْرُ مَحْسُوبٍ^(٧)

(١) ط « المشهورة المبثولة »

(٢) ط « ومن ذلك »

(٣) في اللسان ٢٠٢/١٠ « قال الأزهري : الألمعي : الخفيف الظريف . وأنشد قول أوس

ابن حجر « والبيت في الكامل ١٢٠٥/٣ ومعهده التنخيص ١٨٢/١ وفي ك « يظن لك »

(٤) ديوانه ٥٠ وشرح التبريزي ٢٦١/١ وفي م « في معشر »

(٥) ديوانه ١٩٨ وجاء في ط مكان هذه الزيادة : « بقى بيت البحترى لم يذكره ، وهو هذا :

ودارت بنو سامان طرا عليهم مدار النجوم السائرات على القطب »

وكان خليقاً بالشيخ محي الدين أن يضع هذا الكلام في هامش الكتاب أو يضمه بين علامتين ويشير إلى أنه

من تعليق بعض القراء ، وليس من صلب الكتاب

(٦) ديوانه ١٨٣ وشرح التبريزي ٢٩٢/٢ وفي م « والفعال قريض » وهو تحريف

(٧) ديوانه ٦٦٥ « ولا لثلى » وفي م « وما كثل » ٢٦٧/١ معارف

وأبو تمام زعم أن رَوْنَقَ القول بالمواعيد لا يتحصّل منه نفع إذا لم يكن فعال ، وجعل الصحة في القول والمرض في الفعل^(١) مثلين على^(٢) الاستعارة .
 والبحترى إنما^(٣) ذكر أنه لا يرضى بالقول ؛ لأن القول لا يُختسب به للماجد بغير فعل ؛ فالغرضان مختلفان ؛ والمعنى معنى واحد شائع جارٍ في عادات الناس أن يقولوا^(٤) : إنما زيد كلام ، وإنما عمرو قول بلا فعل .
 ومثل هذا - مع كثرته على الألسن - لا يقال : إنه مسروق .

١٧ - ومن ذلك قولُ أبي تمام :

سَتَرَ الصَّنِيعَةَ فَأَسْتَمَرَ مُلْعَنًا يَدْعُو عَلَيْهِ النَّائِلُ^(٥) الدُّظْلُومُ

وقول البحترى :

لَكَافِرٌ مِنْكَ فَضَلَ نُعْمَى وَسَتَرَ نُعْمَى الْكَرِيمِ كُفْرُ^(٦)

فذكر أبو تمام رجلاً ذمه بسَتر الصنِيعَة^(٧) ، وجعله مُلْعَنًا يدعو عليه

النائل [المظلوم]^(٨) ، على الاستعارة .

والبحترى ذكر أن سَتَرَ النُعْمَى كفر . وكِلَا اللفظين مستعملان^(٩) شائعان

[جاريان] على الألسن ؛ فلا يقال لمن تكلم بأحد^(١٠) اللفظين : إنه استعاره

من آخر^(١١)

(١) ط « في الأفعال »

(٢) في ط « في »

(٣) ك « فإنما »

(٤) م « يقول »

(٥) ديوانه ٣٠١ وشرح التبريزي ٢٩٣/٣ «سرق الصنِيعَة فاستمر بلعنة». و في ط « واستمر»

(٦) ديوانه ٧١ «لذاكر»

(٧) ك « يستره للصنِيعَة » -

(٨) زيادة من ط

(٩) م « مستعملين . . . ولا »

(١٠) ك « بأحدعما »

(١١) ط « من الآخر »

١٨ - ومن ذلك قول أبي تمام :

شَهِدْتُ جَسِيمَاتِ الْعُلَى وَهُوَ غَائِبٌ وَلَوْ كَانَ أَبْضاً شَاهِداً كَانَ غَائِباً^(١)

وقول البحترى :

بَشِيرًا لَكُمْ فِيهَا نَذِيرًا لِعَبِيرِكُمْ لَدَى شَاهِدٍ عَنْ مَوْضِعِ الْقَهْمِ غَائِبٌ^(٢)

وهذا المعنى أيضاً جارٍ على الأقواء ، ومستعمل في الكلام ، يعرفه العام^(٣)

كما يعرفه الخاص . وذلك قولهم : فلان شاهد كعائب ، وحاضر كمن لم يحضر ، وفلان سواء والعدم .

١٩ - ومن ذلك قول أبي تمام :

دَعَيْتَنِي عَلَى أَخْلَاقِ الصَّمِّ لِلَّتِي هِيَ الْوَقْرُ أَوْ سِرْبُ تَرْنٍ نَوَادِبُهُ^(٤)

وقول البحترى :

وَأَخَذُ الْقِلَاصِ يَرُدُّنِي لَكَ بِالْغِنَى فِي بَعْضِ ذَا التَّطَوَّافِ أَوْ يُرِيدُنِي^(٥)

وهذان المعنيان أصلهما واحد ، وهو قول امرئ القيس :

نُحَاوِلُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا^(٦) .

(١) ديوانه ١٧ وشرح التبريزي ١٤٩/١ وجسيمات العل : ضغائها . وفي م « حسيان » وهو تحريف

(٢) م « لكم فيه بدراً » وط « له شاهد . . . غائب » والذي في ديوانه :

نصحتكم لو كان للنصح موضع لدى سامع عن موضع النصح غائب
نذيراً لكم منه بشيراً لكم به وما لي في هاتين قولتي . . كاذب

(٣) ط « العامة كما تعرفه الخاصة » .

(٤) ديوانه ٤٤ وشرح التبريزي ٢٢٧/١ وفي م « التي » ويروى : « أخلاق الصل » وهي جمع صامل ، وهو الصلب الشديد . يريد أنه إذا عزم على أمر لم يسع قول العاذل ، فكان أخلاقه صم على معنى الاستعارة . وقوله : لتي هي الوقر ، أي للرحلة التي تؤدي إلى الوقر ، أي المال . والسرب : الجماعة من النساء . يقول : دعيتني أرتحل فيما أن أتمول وإما أن يقوم على سرب نساء يندبن .

(٥) ديوانه ٢١١ وقبله وهو المطلع :

ليس الزمان بمعتى قدري أرى تجهيم خطبه بجبي

والبيت في ديوانه طبع مصر ٢٨٠/٢ وإن قال الشيخ محيي الدين : « لا يوجد هذا البيت في ديوان البحترى المطبوع في مصر » ! ! والوخد : ضرب من سبر الإبل ، وهو سعة الخطوط المشي . والقلاص : جمع قلوص ، وهي الثنية من الإبل ، بمنزلة الحارية الفتاة من النساء . البيت في ديوانه ٢٢٣/٤ المعارف

(٦) صدره كما في ديوانه ٧٢ « فقلت له لا تمك عينك إنما »

وشهرته وكثرة استعمال الناس إياه ، يغنى البحثرى عن أن يقال : إنه أخذه أو استعاره .

٢٠- ومن ذلك قول أبي تمام :

كُحِلْتُ بِقُبْحِ صُورَتِي فَأَمْسَى لَهَا إِنْسَانٌ عَيْنِي فِي السَّبَاقِ^(١)

وقول البحثرى :

شَكَوْتُ قَدْ بَعَيْنِكَ بَاتَ يَدِي كَأَنَّكَ قَدْ نَظَرْتَ إِلَى طَمَاسٍ^(٢)

وهذا أيضاً من المعاني التي تمنع شهرتها وأبتدال العامة والخاصة لها من أن يقال : [إنها مسروقة ، و]^(٣) إن واحداً يرثم^(٤) فيها بآخر .

* * *

١- ومما جاء به « أبو الضياء » على أنه مسروق ، والمعنيان مختلفان ليس

بينهما اتفاق ولا تناسب - قول أبي تمام :

وَأَقْسِمُ اللَّحْظَ بَيْنَنَا إِنْ فِي اللَّحْظِ ظَرٌّ لَعَنُوا نَ مَا يُجْنُ الضَّمِيرُ^(٥)

وقال البحثرى :

سَلَامٌ وَإِنْ كَانَ السَّلَامُ تَحِيَّةً فَوَجْهُكَ دُونَ الرَّدِيِّ كَفَى الْمُسْلِمًا^(٦)

وأبو تمام سأل مَنْ يُخَاطَبُهُ أَنْ يُقْبَلَ عَلَيْهِ ، ويجعل قِسْطاً من النظر له ؛

لأن^(٧) إدامة النظر تدلُّ على المودة ، كما أن الإعراض يدل على

البغضة^(٨) .

(١) ديوانه ٥٠١ وشرح التبريزي المخطوط ٧٢٦ « فأُصْحِي » وهو في هجاء ابن الأعرشى

(٢) ديوانه ٧٣٦ وطماس : اسم المهجو

(٣) زيادة من ط

(٤) ط « ائتم »

(٥) ديوانه ٣٩٨ وشرح التبريزي المخطوط ٧٣٤

(٦) ديوانه ١٢٨ ، ٢٠٨٩/٤ المعارف

(٧) ط « فإن »

(٨) ط « البغض »

والبحتريُّ إنما سلَّم على الهَيْثَمِ الغَنَوِيِّ ، وذكر أن السلام تحية ، وأن وجهه لجماله وطلاقة يَكْفِي المسلم قبل رَدِّه [السلام] . والمعنيان مختلفان ، وليس لواحد^(١) منهما من الدقة والغرابة ما ينسب أحدهما [إلى] أنه مَحْدُوْرٌ^(٢) على الآخر أو مسروق [منه]^(٣) .

٢- ومن ذلك قولُ أبي تمام :

وَرَحْبَ صَدْرٍ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةٌ كَوْسُهُ لَمْ يَضِقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدٌ^(٤)

وقول البحتري :

مَفَاذَ صَدْرٍ لَوْ تُطْرُقُ لَمْ يَكُنْ لَيْسْلُكُهَا فَرْدًا سُلَيْكُ الْمَقَانِبِ^(٥)

فأبو تمام ذكر أن رَحْبَ صَدْرٍ الممدوح و[أن] سَعَتُهُ تزيد على سعة الأرض ، فأسرف ، وأخطأ في المعنى بما قدمت ذكره^(٦) في باب خطئه في المعاني .

والبحتريُّ ذكر سَعَةَ صدر الممدوح ، وجعل له مفازة على الاستعارة ، وذكر أنه لو تطرق لم يكن ليسلُكُهَا سُلَيْكُ الذي لم يكن [ليكبِر] ^(٧) عليه سلوكُ أرض^(٨) وإن عَرُضَتْ وطالت .

وإنما^(٩) أراداً جميعاً سَعَةَ صدر الممدوح ، كما جرت العادة بهذا الضرب

(١) لثوم « بواحد . . . من الدقة »

(٢) م « مجذو »

(٣) زيادة من ط

(٤) سبق ص ٢٠٣

(٥) سبق ص ٢٠٤ . . . وفي م « يسلكها »

(٦) ط « بما قد ذكرته . . . خطائه »

(٧) زيادة من ط

(٨) ط « الأرض »

(٩) ل و م « وإنما . . . جميعاً »

من المدح ، فأفراطاً ، ولكن سَلَكَ كل واحد منهما معنى غير معنى صاحبه
[كما تَرَى]^(١) .

٣- ومن ذلك قول أبي تمام :

إِنَّمَا الْبِشْرُ رَوْضَةٌ فَإِذَا مَا كَانَ بِرٍّ فَرَوْضَةٌ وَغَدِيرٌ^(٢)

وقول البحتري :

فَإِنَّ الْعَطَاءَ الْجَزَلَ مَا لَمْ تُحَلِّهِ بِيَشْرِكَ مِثْلَ الرَّوْضِ غَيْرَ مُنُورٍ^(٣)

فأراد^(٤) أبو تمام [أن] البشر مع البر كالروضة والغدير .

وأراد البحتري أن العطاء متى^(٥) لم يكن معه بشر كان كالروض غير منور .

فليس بين المعنيين اتفاق إلا في ذكر البشر والروض ، والألفاظ غير
محظورة على أحد^(٦) .

٤- ومن ذلك قول أبي تمام :

وَلَأِنِّي مَا حُورِفْتُ فِي طَلَبِ الْغِنَى وَلَكِنَّمَا حُورِفْتُ فِي الْمَكَارِمِ^(٧)

وقول البحتري :

إِذَا ابْتَدَأَ بِخَلَاءِ النَّاسِ عَارِفَةً يَتَّبِعُهَا الْمَنُ فَالْمَرْزُوقُ مَنْ حُرِمًا^(٨)

فأراد^(٩) أبو تمام أنه ليس بمحدود ولا مُحَارَف في ملتمساته ومطالبه ،

(١) زيادة من ط وك

(٢) ديوانه ٣٩٨ وشرح التبريزي المخطوط ٧٣٤ « إن في البشر . . . كان ينزل » وفي « كان وبر »

(٣) ديوانه ٢٨٠ ٢٠٢ / ٨٩١ المعارف « وكان العطاء »

(٤) م وك « وأراد »

(٥) ط « ما لم »

(٦) ط « واحد »

(٧) سبق ص ١٠٣ وفي م « ما جوزفت . . . المل . . . جوزقم » وفي ك « المل »

(٨) ديوانه ٥٣١ « إذا بدا »

(٩) م « وأراد . . . ولا مجازف »

ولكن الذى أمهم^(١) وطلب ما عندهم حُورِفُوا^(٢) فى مكارمهم . وأحسن فى المعنى واللفظ كل الإحسان .

وأراد البحترى أن البخيل إذا امتنَّ بمعروفه فالمرزوق من حُرِّم ذلك المعروف .
فهذا المعنى غير معنى أبى تمام ، وليس بينهما اتفاق ولا تقارب .

٥ - ومن ذلك قول أبى تمام :

إِذَا شَبَّ نَارًا أَقْعَدْتُ كُلَّ قَائِمٍ وَقَامَ لَهَا مِنْ خَوْفِهِ كُلُّ قَاعِدٍ^(٣)

وقول البحترى :

وَبُجِّلَ وَسَطَ الرِّجَالِ خُفُوفُهُمْ لِقِيَامِهِمْ وَقِيَامُهُمْ لِقُعُودِهِ^(٤)

وليس أحد المعنيين من الآخر فى شىء ؛ لأن أبا تمام أراد أن المدح إذا شبَّ نار الحرب أقعدت كل قائم [أى كل قائم] لقتاله ومنابدته : أى^(٥) تُزْعج كل واحد خوفاً وقرعاً . وذلك مأخوذ من قول الفرزدق :

أَتَانِي وَرَحَلِي بِالْمَدِينَةِ وَقَعَّةٌ لِّأَلِ تَعِيمٍ أَقْعَدَتْ كُلَّ قَائِمٍ^(٦)

وقوله : « وقام لها من خوفه كل قاعد » أى : [أنه] زال^(٧) عن الطمأنينة والهدوء [والقرار فقام ، وإنما يريد انزعاج الخائف ؛ فجعل ذلك قياماً له .
والبحترى إنما^(٨) ذكر أن الرجال [إنما]^(٩) يَخِفُّونَ لقيام ممدوحه ، أى :

(١) ك « أمهم »

(٢) م « أمهم . . . جوزفوا »

(٣) ديوانه ٣٦٦ وشرح التبريزى المخطوط ٦٣٦

(٤) ديوانه ٦٥٩

(٥) م وك « ومنابدته أو أراد الحبر لها كل أحد »

(٦) ديوانه ٨٥٣/٢

(٧) م « أزال »

(٨) م وك « فإنما »

(٩) زيادة ن ط

يُسْرِعُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذَا قَامَ ، فَإِذَا قَعَدَ قَامُوا لِجَلَالَا وَهَيْبَتَا ، لِأَنَّ^(١) مِنْ شَأْنِهِ أَنْ لَا يَجْلِسَ أَحَدٌ بِجُلُوسِهِ ، وَأَنْ يَكُونَ النَّاسُ كُلُّهُمْ قِيَاماً إِذَا جَلَسَ .

فالمعنيان مختلفان ، وليس بينهما اتفاق إلا في ذكر القيام والقعود ، والألفاظ مباحة .

٦- ومن ذلك قول أبي تمام :

وَرُبَّ يَوْمٍ كَأَيَّامٍ تَرَكْتَهُ بِهِ مَتْنُ الْقَنَاةِ وَمَتْنُ الْقِرْنِ مُنْقَصِفًا^(٢)
وقول البحتري :

فِي مَعْرَكٍ ضَنْكَ تَخَالَ بِهِ الْقَنَا بَيْنَ الضُّلُوعِ إِذَا انْتَشَيْنَ ضُلُوعًا^(٣)
وليس بين المعنيين اتفاق إلا في أن الشاعرين وصفا حال الطعن بالقناة^(٤) كيف يقع ، فذكر ذلك أن ممدوحه يَقْصِفُ مَتْنُ الْقِرْنِ وَمَتْنُ الْقَنَاةِ ، وَشَبَّهَ هذا انطواء الرماح واعوجاجها - إِذَا وَقَعَتْ^(٥) بضلوع القوم - باعوجاج ضلوعهم . وهذا من التشبيهات الظريفة العجيبة ، وهو المعنى الذي استغربه واستحسنه أبو تمام [لما أنشد البحتري محمد بن يوسف القصيدة ، وذلك أول اجتماعهما وتعارفهما] على ما يرويه الشاميون .

٧- ومن ذلك قول أبي تمام :

بَيْنَ الْبَيْنِ فَقَدْهَا ، قَلَمًا نَةً رِفْ فَقَدْهَا لِلشَّمْسِ حَتَّى تَغِيْبًا^(٦)

(١) ط « وأن »

(٢) ديوانه ٢٠٣ وشرح التبريزي ٣٧١/٢ وفي م « منقضا »

(٣) سبق ص ٩ وفي م وك « إذا انتحين »

(٤) م وك « القنا »

(٥) م « إذا وقعت »

(٦) ديوانه ٢٥ وشرح التبريزي ١٦٦/١ وقيله :

وكمابا كأمبا ألبسها غفلات الشباب برداً قشياً

وفي ط « يعرف فقد »

وقول البحترى :

فَاضِلَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ عُسْرَى فِي ظَلَمَاءَ لَبِلٍ تَفَاضَلَتْ شُهْبَةُ^(١)

وليس بين المعنيين تناسب [ولا تقارب] ؛ لأن أبا تمام ذكر أن موضع فقدما بآن ، وأنه^(٢) قليلا ما يعرف فقد الشمس إلا بعد غروبها . وهذا جارٍ في عادات الناس واستعمالهم ، أن يقولوا : لا تعرف فضل الإنسان حتى تفقده ، ولا تعرف فضل^(٣) العافية إلا عند البليّة ، [ولا] قدّر الدرهم إلا عند الحاجة [إليه] .

والبحترى أراد أن عُسْرَه بَيْنَ له عن مراتب إخوانه ، وفضل بعضهم على بعض [في معونته وبرّه] ، كما تتفاضل الشهب في ظلمة الليل وبين^(٤) فضل بعضهم على بعض [، وأراد بالشهب الكواكب . وهذا معنى لطيف جداً ، [و] ليس من معنى^(٥) أبي تمام في شيء .

* * *

[هذا]^(٦) ، ومما ادعى فيه «أبو الضياء» على البحترى السرقة والاتفاق في أكثر ذلك إنما^(٧) هو في الألفاظ التي ليست بمحظورة على أحد ، وقد مضى فيها قبل من هذا الباب أبيات .

١ - فمن ذلك قول أبي تمام :

إِنَّ الصَّفَائِحَ مِنْكَ قَدْ نُصِدَتْ عَلَى مُلْقَى عِظَامٍ لَوْ عَلِمْتَ عِظَامَ^(٨)

(١) ديوانه ١٩٨ «الإخوان عدى» وفي م «إخوانى .. وعن « وفي ك « وعن ظلماء »

(٢) ط « وأنه قلما »

(٣) ك « قد »

(٤) ط « وبين »

(٥) ط « من معاني »

(٦) زيادة من ط

(٧) ط « في ذلك أكثر فإنما هو من الألفاظ .. محظورة »

(٨) ديوانه ٢٧٥ وقوله :

ياترّبة المصوم تترك مودع ماء الحياة وقائل الإعدام
وفي شرح التبريزي ٣٠٣/٣ «ياحفره» وفي م «نصدت لمخامع إل» وهو تحريف

وقول البحتري :

مَسَاعٍ عِظَامٌ لَيْسَ يَبْلَى جَدِيدُهَا وَإِنْ بَلَّيَتْ مِنْهُمْ رَمَائِمُ أَعْظَمُ^(١)
فأراد^(٢) أبو تمام أن عِظَام الرجل الذي رثاه عظام^(٣) القدر .

وأراد البحتري أن مساعي القوم عظام لا يبلى جديدها وإن بَلَّيَتْ عظامهم .

وليس ههنا اتفاق إلا في لفظ العظام لا غير .

٢- ومن ذلك قول أبي تمام :

لَا يَدْهَمَنَّكَ مِنْ دَهْمَائِهِمْ عَدَدٌ فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ أَوْ كَلَّهِمْ بَقَرٌ^(٤)

وقول البحتري :

عَلَى نَحْتِ الْقَوَائِي مِنْ مَقَاطِعِهَا وَمَا عَلَى لَهُمْ أَنْ تَفْهَمَ الْبَقَرُ^(٥)

فأراد أبو تمام أنه لا يجب أن ينظر إلى كثرة عددهم ، فإن أكثرهم بقرة .
وذكر البحتري أن عليه أن يُجيد القول ، وليس عليه أن تفهمه البقرة .
وما ههنا [أيضاً] اتفاق إلا في لفظ^(٦) البقرة .

٣- ومن ذلك قول أبي تمام :

لَهَا نَ عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ وَتَفْعَلَا^(٧) .

(١) ديوانه ٤٨٧ / ٣٠ ١٩٤٨

(٢) م « وأراد . . . الذي رثاه »

(٣) ط « عظيم »

(٤) ديوانه ١٥٠ وشرح التبريزي ١٨٦/٢ « فإن جلهم » أو « كلمهم » وفي ط « أو جلهم »
من دهمائهم : أي من جماعتهم .

(٥) سبق ص ٣٢٣ .

(٦) ط « لفظة » .

(٧) عجزه كما في ديوانه ٢٥٢ وشرح التبريزي ٩٨/٣ - : « ونذكر بعض الفضل منك
فتفضلا أي لقد هان علينا أن نسال بالقول ، وتعطى أنت بالفعل ، وتمدحك ببعض ما فيك
من الفضائل وتكلفنا بالإفصال علينا »

وقول البحتري :

إِنَّ الْخَلِيَّةَ لَيْسَ يَرْقُبُ فِي الَّذِي حَاوَلْتُ إِلَّا أَنْ نَقُولَ وَيَفْعَلًا^(١)
والاتفاق ههنا إنما هو في القول والفعل^(٢) .

٤- ومن ذلك قول أبي تمام :

وَمَا يَوْمُ زُرْتُ اللَّحْدِيَوْمُكَ وَحْدَهُ عَلَيْنَا ، وَلَكِنْ يَوْمُ زَيْدٍ وَحَاتِمٍ^(٣)
وقول البحتري :

بَأَبْيَضٍ وَضَّاحٍ كَانَ قَمِيصُهُ يُزَرُّ عَلَى الشَّيْخَيْنِ زَيْدٍ وَحَاتِمٍ^(٤)
أفترى البحتري ما سمع بذكر زيد الخيل ولا^(٥) حاتم الطائي اللذين تفخر
بهما اليمن كلها ، فيشبه ممدوحه بهما - إلا من بيت أبي تمام ؟

٥- ومن ذلك قول أبي تمام :

لَعَمْرُكَ مَا كَانُوا ثَلَاثَةً إِخْوَةً وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا ثَلَاثَ قَبَائِلٍ^(٦)
وقول البحتري :

كَانُوا ثَلَاثَةً أَبْحَرُ أَفْضَى بِهِمْ وَلَعُ الْمَدُونِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْبَرٍ^(٧)
فجعلهم أبو تمام ثلاث قبائل ، وجعلهم البحتري ثلاثة أبحر .

(١) ديوانه ٣ / ١٨٧٧ « طالبت . . تقول فيفعلا » م « أن يقول »

(٢) م « وهو في يقول ويفعل »

(٣) ديوانه ٣٨٦ وشرح التبريزي المخطوط ٦٥٥ « يوم عمرو وحاتم » والبيت في رثاء هاشم

ابن عبد الله الخزاعي

(٤) ديوانه ٤٤٨ « بأروع من طى كان »

(٥) م و ك « وحاتم »

(٦) ديوانه ٣٨١ وشرح التبريزي المخطوط ٦٥٠ ثلاثة أخوة ، يعني بهم أبا نصر محمداً

وهو الأكبر ، ومحمداً وقحطبة ، بنى حميد .

(٧) ديوانه ٦٨٠ ، ٢ / ١٠٣٢ « أفضى بها » .

وليس ههنا اتفاق إلا في لفظ ^(١) ثلاثة .

٦- ومن ذلك قول أبي تمام :

كَمَاكَ مِنَ الْأَنْوَارِ أَبْيَضُ نَاصِعٌ وَأَحْمَرُ قَانٍ وَأَصْفَرُ فَاقِعٌ ^(٢)

وقول البحتري :

مِنْ وَاصِحٍ يَفْقِي وَأَصْفَرٍ فَاقِعٍ وَمُضْرَجٍ جَسَدٍ وَأَحْمَرٍ قَانِي ^(٣)

أفتري البحتري لم يكن ليتهدى إلى أصفر فاقع وأحمر قانٍ لولا بيت أبي تمام ؟

٧- ومن ذلك قول أبي تمام :

لَوْلَا مُرَاقِبَةٌ فَيْكُمْ لَغَادَرَكُمْ قَرِيسَةَ الْمُرهَفَيْنِ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ ^(٤)

وقول البحتري :

زِنْتَ الْخِلَافَةَ إِشْرَافًا وَحِيْطَةً وَذُذْتَ عَنْ حَقِّهَا بِالسَّيْفِ وَالْقَلَمِ ^(٥)

وكذلك أيضاً لم يكن البحتري يتهدى إلى الجمع بين السيف والقلم لو لم يجمعهما [له] أبو تمام !

(١) ط في ذكر .

(٢) سبق ص ٣٠٦ باختلاف . وقد سقط من شرح التبريزي المخطوط . وفي م و ك « وأحمر

ساطع »

(٣) ديوانه ٦٢٦ ومضرج : أى ملطح ، والجسد : الدم ، كما في اللسان ٩٤/٤

(٤) ديوانه ٢٧٠ وشرح التبريزي ١٩١/٣ « لولا مناشدة القربى لغادركم حساند » ويروى :

« لولا مناشدة فيكم »

(٥) ديوانه ٦٥٤ « ست الخلافة .. عن حوضها » وفي ط « إشراقاً وقد حبطت » وفي م و ك

« إشراقاً »

٨- ومن ذلك قول أبي تمام :

أَبَى لِي نَجْرُ الْفَوْثِ أَنْ أَرَامَ النَّبِيَّ أَسْبُ بِهَا ، وَالنَّجْرُ يُشْبِهُهُ النَّجْرُ^(١)

وقول البحترى :

سَيْدُ نَجْرٍ الْمَعَالِي نَجْرُهُ يَمْلِكُ الْجُودُ عَلَيْهِ مَا مَلَكَ^(٢)
وقد كان ينبغي لأبي الضياء أن لا يُخَرِّجَ مثل هذا في السَّرقِ ، ولا
يَفْضَحَ نفسه .

٩- ومن ذلك قول أبي تمام :

مُتَوَاطُّو عَقِيْبِكَ فِي طَلَبِ الْعُلَى وَالْمَجْدُ ثَمَّةٌ تَسْتَوِي الْأَقْدَامُ^(٣)

وقول البحترى :

حَزَتْ الْعُلَى سَبْقًا ، وَصَلَّى ثَانِيًا ثُمَّ اسْتَوَتْ مِنْ بَعْدِهِ الْأَقْدَامُ^(٤)

١٠- ومثله قول أبي تمام :

فِي غَذَاةٍ مَهْضُوبَةٍ كَانَ فِيهَا نَاصِرُ الرُّوْحِ لِلْسَّحَابِ نَدِيمًا^(٥)

(١) ديوانه ٤٧٥ « بحر الفوْث » وشرح التبريزي المخطوط ٧٧٥ وفي م « لى بحر . . . اتى أبت بها والبحر . البحر » قال التبريزي : « النجر : الأصل . والفوْث من طى . » وكل من لزم شيئا وألفه وأحبه فقد رثمه

(٢) ديوانه ٤٠٨ وسيد : يريد به عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر

(٣) ديوانه ٢٨٢ وقيله :

فبنو أهلك على نفاسة قدمهم فيهم وأنهم هم الأصنام

وفي شرح التبريزي ١٥٨/٣ « متواطو ، يقول : أنت المقدم في طلب العلى ، وعشيرتك يقتلون بك ويطلقون على عقيبك ، ثم يتقارب التفاضل بين الناس »

(٤) ديوانه ٤٨٩ / ٣ / ١٩٥٢ وفي م « جزت . . . من بعدك الأقوام »

(٥) شرح التبريزي ٢٣٠ / ٣ وفي ديوانه ٢٩٣ و م و ك « فى غداة » والغداة : أرض طيبة

التراب بعيدة من الماء ، ولذلك قالوا : أرض غفية ، أى أنها لا تحتاج إلى السقى لأنها لا تفتقر إلى ذلك .
ومَهْضُوبَةٌ : أى قد أصابها هضبة من المطر ، أى دفعة منه

[وقول البحتري :

قد تَعَالَتْ بِكَ الْمُرُوءَةُ حَتَّى قَدْ حَسِبْنَاكَ لِلسَّمَاءِ نَدِيمًا^(١)
وما يجعل مثل هذا مسروقاً إلا مَنْ لا معرفة له بجُلِّي الماني فضلاً عن
خفيها .

١١ - ومن ذلك قول أبي تمام يصف الفرس :

مِنْ نَجَلٍ كُلِّ تَلِيدَةٍ أَعْرَافُهُ طَرْفٍ مِعْمٍ فِي السَّوَابِقِ مُخَوِّلٍ^(٢)
وقول البحتري :

وَإِذَا الضُّلُوعُ يَشُدُّ عَقْدَ حِزَامِهِ يَوْمَ اللَّقَاءِ عَلَى مِعْمٍ مُخَوِّلٍ^(٣)
وما في « معمم مخول » من الغرابة حتى يتلقنه البحتري من أبي تمام على
كثرته^(٤) على الألسن ، وقول الناس في مدح الفرس : كريم الآباء والأمهات ،
وشريف الأنساب ، [ونحو هذا] ؟

١٢ - ومن ذلك قول أبي تمام :

فَأَذَرْتُ جُمَانًا مِنْ دُمُوعِ نِظَامِهَا عَلَى الْخَدِّ إِلَّا أَنْ صَائِعَهَا الشَّفَرُ^(٥)

(١) ديوانه ٢٧٤ « بك المآثر حتى » وفي م « حسبتك »

(٢) ديوانه ٢٣٥ وشرح التبريزي ٤٣/٣ والمراد بالتليدة هنا : الناقة الأصلية الموروثة عن الآباء وطرف : كريم النسب كثير الآباء إلى جده الأكبر . وفي اللسان ٣١٨/١٥ « والعرب تقول : رجل معم مخول : إذا كان كريم الأعمام والأخوال كثيرهم ، قال امرؤ القيس « بجيد معم في العشرة مخول » »

(٣) ديوانه ٧٣١ وفي نقده يقول الباقلاني في إعجاز القرآن ٣٤٨ - : « نبل المخزم مما تمدح به الخليل ، فهو لم يأت فيه بديع . وقوله : يشد عقد حزامه ، داخل في التكلف والتعسف لا يقبل من مثله وإن قبلناه من غيره ، لأنه يتنبع الألفاظ وينقدها نقداً شديداً ، فهلا قال : يشد حزامه ، أو يأتي بمشعر آخر سوى العقد ؟ فقد عقد البيت بذكر العقد . ثم قوله : يوم اللقاء ، حشو آخر لا يحتاج إليه »

(٤) م « على كثرة » وفي ك « على كثرة ذكره »

(٥) شرح التبريزي المخطوط ٧٧٤ وفي ديوانه ٤٧٤ « فأبدت » و م و ك « وأذرت . . . نظامه . . . صائفة الشفر » وفي الديوان وشرحه « على الصدر »

وقول البحتري :

جَرَى فِي نَحْرِهَا مِنْ مُقْلَتَيْهَا جُمَانٌ يَسْتَهْلُ عَلَى جُمَانٍ^(١)
فالاتفاق مهنا إنما هو في لفظ. «جُمَانٌ» وقول ذاك^(٢) : «نظامها»^(٣)
على الخد « وقول هذا : «جرى في نحرها » لا^(٤) يقتضى أن يكون أحدهما
مأخوذاً من الآخر ؛ لأن الدمع على الخد يجرى^(٥) ، وإلى النحر يصل . وهذه
حال لا يجهلها أحد ممن^(٦) وصف الدمع .

١٣- ومن ذلك قول أبي تمام :

وَهَلْ لِلْقَرِيضِ الْغَضُّ أَوْ مَنْ يَحُوكُهُ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ - مُعَوِّلٌ^(٧)
وقول البحتري :

وَعَلَيْكَ سُفْيَاهُمْ لَنَا إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي نَوْمَةٍ إِلَّا عَلَيْكَ مُعَوِّلٌ^(٨)
فحَظَرَ على البحتري لفظة «معول» وَحَرَّمَهَا عليه من أجل أن أبا تمام
لفظ بها !

١٤- ومن ذلك قول أبي تمام :

وَإِذَا امْرُؤٌ أَهْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّمَا مِنْ مَالِيهِ^(٩)

(١) ديوانه ٢١٢ ويستهل : ينصب بشدة

(٢) ط « ذلك »

(٣) م و ك « نظامه »

(٤) ط « فلا »

(٥) ط « جريه »

(٦) م و ك « من »

(٧) ديوانه ٢٤٥ وشرح التبريزي ٧٤/٣

(٨) ديوانه ٦٦٦ وفي طبعة مصر ٣٠٩/٢ وإن قال الشيخ محيى الدين : « لا يوجد هذا

البيت في ديوان البحتري المطبوع بمصر » !

(٩) وشرح التبريزي ٦٠/٣ وقد سبق ص ٧١ . وفي ك « أهلى إلى » .

وقول البحترى :

حَازَ حَمْدِي ، وَلِلرَّيَاحِ اللَّوَاتِي تَجْلِبُ الْغَيْثَ مِثْلُ حَمْدِ الْغُيُومِ^(١)
 فمعنى أبي تمام مشترك بين الناس ، وليس مخترعاً [له] : لأنك تسمع
 أبداً قول القائل - إذا بلغ حاجته بشفاعة - أن يقول للشفيع : ما أعتدُّ
 هذا إلا من الله ومنك ، فليس لأبي تمام فيه شيء أكثر من أن عَبَّرَ عنه^(٢)
 بعبارة حسنة مكشوفة ، فالبحترى لم يأخذ المعنى منه ؛ لأنه في العادات
 موجود ، ولكنه أبدع^(٣) في التمثيل ، وأغرب وأحسن .

(١) ديوانه ٤١٩ ، ٤ / ٢٠٧٢ المعارف وفي م وه حاز شكرى ه

(٢) ط ه ه غير فيه ه

(٣) ط ه أحسن . . . وأبدع ه

وهذا الآن ما أخطأ فيه البحرى من المعانى

١- قال البحرى :

ذَنْبٌ كَمَا سُحِبَ الرِّدَاءُ يَذُبُّ عَنْ عُرْفٍ وَعُرْفٌ كَالْقِنَاعِ الْمُسْبِلِ^(١)

هذا خطأ من الوصف ؛ لأن ذنب الفرس - إذا مس الأرض - كان عيباً ، فكيف إذا سحبه . وإنما الممدوح من الأذنان ما قُرب من الأرض ولم يمسها ، كما قال امرؤ القيس :

• بِضَافٍ فُوقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعَزَلِ^(٢) •

فقال «فويق» أى : فوق الأرض بقليل .

وقد عيب^(٣) على امرئ القيس قوله :

لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْعُرْسِ تَسُدُّ بِهِ فَرْجَهَا مِنْ دُبُرٍ^(٤)

(١) سقط من ديوانه طبع بيروت وهو فى طبعة المعارف ١٧٤٦/٣ وفى إعجاز القرآن ٣٥٢ • البيت وحسن الابتداء منقطع عما سبقه من الكلام . . وكان يحتاج أن يقول : ذنب كالرداء ، فقد حلف والوصل غير متق ولا مليح . . ثم قوله : كما سحب الرداء ، قبيح فى تحقيق التشبيه وليس بواقع ولا مستقيم فى العبارة إلا على إظهار أنه ذنب يسحبه كما يسحب الرداء . وقوله : يذب عن عرف ، ليس بحسن ولا صادق ، والحمد مذكرو امرؤ القيس ، وهو قوله : • فوق الأرض ليس بأعزل • • .
• نقل البخداى فى الخزانة ٢١/٤ هذا الكلام إلى قوله : • وإن لم يبلغ فى الطول إلى أن يس الأرض •

(٢) ديوانه ١٣٤ وشرح المملقات العشر ٤٤ وصدوره : • ضليح إذا استدبرته سد فرجه • وفى المعانى الكبير ١ / ١٤٩ • ضاف : سابع ، سد فرجه : أى فرج ما بين فخذه ، يريد كثرة الذنب . والعزل : أن يعزل ذنبه فى أحد الجانبين ، وذلك عادة لا خلقة •

(٣) كـ • عيب امرؤ القيس بقوله •

(٤) ديوانه ٨١ . وانظر ما سبق ص ٣٨ و ٢٧٣

وما أرى العيب يلحق^(١) امرأ القيس في هذا ؛ لان العروس وإن كانت تشحَبُ ذيلها ، وكان ذنب الفرس إذا لمس الأرض فهو عيب ؛ فليس يَنْكُر^(٢) أن يشبه الذنب به [و] إن لم يبلغ [إلى] أن يمس الأرض ؛ لأن الشيء إنما يشبه بالشيء إذا قاربه^(٣) ، أو دنا^(٤) من معناه ، فإذا شابهه^(٥) في أكثر أحواله فقد صح التشبيه ، ولآق به . ولأن^(٦) امرأ القيس لم يقصد طول الذنب أن يشبهه بطول ذيل العروس فقط . وإنما أراد السبوح^(٧) والكثرة والكثافة . ألا تراه قال : « تسد به فرجها من دُبُر » .

وقد يكون الذنب طويلاً يكاد يمس الأرض ولا يكون كثيفاً ، بل [قد] يكون رقيقاً^(٨) نَزَرَ الشعر خفيفاً فلا يسد فرج^(٩) الفرس ، فلما قال : « تسد به فرجها » علمنا أنه [إنما] أراد الكثافة والسبوح مع الطول ، فإذا أشبه^(١٠) الذنب الطويل [ذيلَ العروس]^(١١) من هذه الجهة ، وكان في الطول قريباً منه ؛ فالتشبيه صحيح ، وليس ذلك بموجب للعيب ، ولا أن يكون ذنبُ الفرس من أجل تشبيهه بالذيل مما يحكم على الشاعر أيضاً أنه قصد إلى أن الفرس يسحبه على الأرض .

(١) ط « لحق . . . العروس إذا كانت »

(٢) ط « ينكر »

(٣) ط « إذا قرب منه »

(٤) م « أو ضامن »

(٥) ط « فإذا أشبهه »

(٦) م و ك « لأن امرؤ »

(٧) م « السبوح »

(٨) م و ك « حقيقة » والزيادة من ك

(٩) ك « فروج »

(١٠) ط « وإنما »

(١١) زيادة من ط

وإنما العيب^(١) في قول البحترى : « ذنبٌ كما سُحِبَ الرداء » ، فأفصح بأن الفرس يسحب ذنبه .

ومثل قول امرئ القيس قول خِدَاش بن زُهَيْر :

لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْهَدْيِ إِلَى جَوْجُوٍ أَيْدِ الزَّافِرِ^(٢)

الهدْيُ : العروس التي تُهْدَى إلى زوجها ، وأَيْدِ : شديد ، والزافر : الصدر ؛ لأنها تزفر منه . وإنما أراد^(٣) بذيل العروس طوله وسُبوغَه ، فشبه الذنبَ [الطويل] السابغ به ، وإن لم يبالغ في الطول إلى أن يَمَسَّ الأرض .

ومما يصحح^(٤) ذلك قولهم : فرسٌ ذَيَّالٌ ؛ إذا كان طويلاً طویل الذنب ، وإن^(٥) كان قصيراً طویل الذنب قالوا : ذائل^(٦) ، وإنما قالوا ذلك تشبيهاً للذنب بالذيل لا غير ، قال النابغة [اللبياني] :

بِكُلِّ مُدَجَّجٍ فِي الْبَاسِ يَسْمُو إِلَى أَوْصَالِ ذَيَّالٍ رِفْنٍ^(٧)

رِفْنٌ ورَفْلٌ واحد ، وهو : الطويل الذنب .

وقد استقصيت الاحتجاج لصحة بيت^(٨) امرئ القيس فيما بينته من سهو [أبي العباس عبد الله]^(٩) بن المعتز فيما ادعاه على امرئ القيس من الغلط ، في كتابه الذي جمع فيه « سرقات الشعراء » .

(١) م « وإنما أجيب »

(٢) المعاني الكبير ١ / ١٤٩

(٣) ط « فإنما »

(٤) م « يصح »

(٥) ط « فإذا »

(٦) في المعاني الكبير ١ / ١٥٠ بعد ذلك : « والأنثى ذائلة »

(٧) المعاني الكبير ١ / ١٥٠ وفي م و ك « في الناس » وفي ط وديوانه ١٩٠ « كالليث »

(٨) ط « لبيت »

(٩) زيادة من ط

٢- وقال البحتري :

هَجَرْتَنَا يَقْطِي وَكَادَتْ عَلَى عَا ذَاتِهَا فِي الصُّدُودِ تَهْجُرُ وَنَسَى^(١)
وهذا [أيضاً] عندي غلط. ؛ لأن خيالها يَتَمَثَّلُ له في كل أحوالها ،
كانت يقطى أو ونسى [أو ميتة] . والجيد قوله :
أَرَدْتُ دُونَكَ يَقْطَانًا ، وَيَأْذُنِي عَلَيْكَ سُكْرُ الْكَرَى إِنَّ جَنَّتْ وَسَنَانًا^(٢)
فصحح المعنى وأنى به على حقيقته .
وكذلك قوله :

إِذَا مَا تَبَادَلْنَا النَّفَائِسَ خِلَتْنَا مِنَ الْجَدِّ أَيْقَاطًا وَنَحْنُ نِيَامُ^(٣)
وقوله :

• نَعَذِّبُ أَيْقَاطًا وَنَنْعَمُ مُجْجَدًا^(٤) •

جيد أيضاً ؛ لأنه حملها^(٥) على أن حالها مع خياله إذا نامت كحالها مع
خيالها إذا نام ، وإن كان واحد منهما ينعم منفرداً^(٦) مع خيال صاحبه ؛
لأنهما ينعمان معاً في حال واحد^(٧) إذا نام أحدهما فرأى خيال الآخر .
وإنما أخذ معنى بيته الأول - وعليه بنى أكثر أوصافه للخيال - من^(٨) قول
قيس بن الخطيم :

(١) ديوانه ٢١٤٣/٤٠٣٥٧ المعارف وأمال المرتضى ٥٤٤/١ وطيف الخيال ٣٤ وفي م • وكانت •

(٢) سبق ص ٣١٤ .

(٣) في ديوانه ٣٦٣ • ما تبادَلْنَا • وأمال المرتضى ٥٤٤/١ وهو في طيف الخيال ٧٠

(٤) ديوانه ١٣٣ • صدره • ولم أر مثليتنا ولا مثل شأننا •

(٥) م • حلمه لأن • وفي ك • حلمه •

(٦) ط • مفرداً •

(٧) ط • وك • واحدة •

(٨) م • في قول •

أَنْتَى سَرَبْتْ وَكُنْتَ غَيْرَ سَرُوبٍ وَتُقَرَّبُ الْأَحْلَامُ غَيْرَ قَرِيبٍ^(١)
مَا تَمْنَعِي يَقْظَى فَقَدْ تَوْتِينَهُ فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرِّدٍ مَحْسُوبٍ

وما أظن أحداً سبق قيساً إلى هذا المعنى في وصف الخيال ، وهو حسن جداً ، ولكن فيه أيضاً مقال لمعترض . وذلك هو الذى أوقع البحرى في الغلط . لأن قيساً قال : « ما تمنى يقظى فقد توتينه في النوم » فأراد أنها أيضاً توتيه^(٢) نائمة ، وخیال المحبوب يتمثل في حال يوم المحبوب^(٣) ويقظته كما ذكرت .

وكان الأجود لو قال : ما تمنى في اليقظة فقد توتينه في النوم : أى ما تمنينه في يقظتى فقد توتينه في حال نوى ، حتى يكون النوم واليقظة معاً منسوبين^(٤) إليه ، إلا أنه يتسع من التأويل^(٥) [في هذا] لقيس ، لا يتسع للبحرى ؛ لأن قيساً قال : « فقد توتينه في النوم » ، ولم يقل : فقد توتينه نائمة [فقد يجوز أن يجعل^(٦) على أنه أراد ما تمنى يقظى وأنا يقظان فقد توتينه في [النوم ، أى في] نوى . ولا يسوغ مثل هذا في بيت البحرى ، لأن البحرى قال « وَمَنْنَى » ولم يقل في الوسن^(٧) .

(١) ديوانه ٥٥ وأمالى القالى ٢٧٣/٢ وطيف الخيال ٣٦ وزهر الآداب ٨٨٠/٢ وأمال المرتضى ٢ / ٣٩٣ ، ٥٤١ وحماسة ابن الشجرى ١٨٩ وغير سرُوب أى غير مبعلة

(٢) م « توتينه »

(٣) ط « الهب »

(٤) ط « منسوبة »

(٥) ط « التأويل »

(٦) ك « يجعل »

(٧) قال الشريف المرتضى في أماليه ٢ / ٢٤٥ « وقد يمكن من التأويل للبحرى ما أمكن مثله لقيس ، لكن الأملئ قد ذهب عن ذلك ؛ لأن البحرى لما قال : ومنى ، دل على حال الوسن ، والحال =

٣- وقال البحتري في مدح المعتز بالله :

لَا الْعَدْلُ يَرَعُهُ وَلَا الـ تَغْنِيفُ عَنْ كَرَمِ يَصُدُّهُ^(١)

وهذا عندي من أهجى^(٢) ما مدح به خليفة وأقبحه ، ومن ذا يُعْتَفُ الخليفة أو يَصُدُّه ؟ إن هذا ابالهجو أولى منه بالمدح .

٤- وقال البحتري :

تَشْقُ عَلَيْهِ الرِّيحُ كُلَّ عَشِيَّةٍ جُيُوبَ الْعَمَامِ بَيْنَ بَكْرٍ وَأَيْمٍ

وهذا أيضاً غلط ؛ لأنه ظن أن الأيم هي الشيب ، وقد غلط في مثله أبو تمام ، وذكرته في أغاليطه ، وسها أيضاً فيه « بعض كبار الفقهاء »^(٣) فظن البحتري أن الأيم هي الشيب ، فجعلها في البيت ضد البكر . والأيم : هي التي لا زوج لها ، بكرًا كانت أو ثيبًا ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَأُنكِحُوا الْأَيَامَ مِنْكُمْ ﴾^(٤) أراد جل ثناؤه اللواتي لا أزواج لهن ؛ والشيب والبكر جميعاً داخلتان تحت الأيم^(٥) فتكون بكرًا وتكون ثيبًا .

إفإن قيل : إن الأيم قد تكون ثيبًا وإنما أراد الشيب .

= الممهودة للوسن حال يشترك الناس فيها في النوم بالمادة ، كما أن الحال الممهودة لليقظة حال مشتركة بالمادة ؛ فقوله : وسى ، ينسب من كونه هو أيضاً دائماً ؛ وإنما أراد المقابلة في زنة اللفظ بين يقظى وسى . وقوله : يقظى ، متى لم يحمل أيضاً على هذا المعنى لم يصح ؛ لأنه لا بد أن يريد بذلك : هجرتنا في أحوال اليقظة ، ويكون معنى يقظى يتمدى إليه ؛ ألا ترى أن الآمدى حمل قول قيس : يقظى على معنى : وأنا يقظان ، وإن لم يبين الوجه ، فكيف ذهب عليه مثل ذلك في قول البحتري ! وقوله : وسى ويقظى مثل قول قيس : يقظى ، ولومكن قياس وزن الشعر من أن يقول : وسى في مقابلة يقظى لقاله وما عدل عنه إلى النوم ؛ لأنه لم يكن عليه في « وسى » إلا ما عليه في « يقظى » وما يتأول له في أحد الأمرين يتأول له في الآخر « وقد كرر هذا الكلام بنصه في كتابه طيف الخيال ٣٥

(١) ديوانه ٦٣٣

(٢) ط « أهجن »

(٣) يقصد الشافعي ، كما سبق بيانه في ص ١٦٩

(٤) سورة النور : ٣٢

(٥) م « تحت الآية قد تكون بكرًا وقد تكون ثيبًا . وإنما أراد الشيب »

قيل : أجل إنها تكون ثيباً [وتكون بكرًا ومعنسة [أيضاً] وكعاباً ، إلا أن لفظة « أيم » لا تدل^(١) على شيء من هذه الأوصاف ، وليست عبارة^(٢) لإعان التي لا زوج لها لا غير ، وقد شرحت هذا المعنى شرحاً شافياً في غلط أبي تمام^(٣) .

٥- وقال البحتري :

شَرْطِي الْإِنْصَافُ إِنْ قِيلَ اشْتَرَطُ وَصَدِيقِي مَنْ إِذَا صَافَى قَسَطُ^(٤)
وكان يجب أن يقول « أقسط » أي^(٥) : عدل ، وقسط - بغير ألف -
[إنما] معناه جار .

[قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾^(٦)] وقال :
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٧) [٨] .

٦- وقال البحتري :

صِبْغَةُ الْأَفْقِي بَيْنَ آخِرِ لَيْلٍ مُنْقَضِ شَانُهُ وَأَوَّلِ فَجْرِ^(٩)
يصف فرساً أشقر أو خلوقياً ، والحمرة لا تكون بين آخر الليل وأول
الفجر ، وهو عندى^(١٠) في هذا غلط ، لأن أول الفجر الزرقة ، ثم البياض ،

(١) ط « لا تزول عن »

(٢) م « عبارة الأيم إلا عن » وفي ك « عبارة الأيم إلا عبارة عن »

(٣) راجع ص ١٦٨ - ١٦٩

(٤) ديوانه ٧٤١ « وخليل » وفيه ٢ / ١٢٢٧ « لو قيل : اشترط وعدوى » وفي ط « إذا قال »

(٥) م و ك « إذا »

(٦) سورة الجن : ١٥

(٧) سورة المائدة : ٤٢

(٨) زيادة من ط

(٩) ديوانه ٣٧٢

(١٠) م « عدى ، غلط في هذا . الفجر البياض ثم الزرقة » وهو تحريف

ثم الحمرة عند بدو قرْنِ الشمس ، كما أن آخر النهار عند غيبوبة الشمس
الحمرة ، ثم البياض ، ثم الزرقة وهى آخر الشفق . و [قد] قال البحتري :
وَأَزْرَقُ الْفَجْرِ يَبْدُو قَبْلَ أَبْيَضِهِ وَأَوَّلُ الْغَيْثِ رُشٌّ ثُمَّ يَنْسَكِبُ^(١)
وقال آخر :

وَأَنْ يَسْجَعَ الْقُمْرِيُّ فِيهَا إِذَا غَدَا بِرُكْبَانِهَا قَرْنٌ مِنَ الشَّمْسِ أَزْرَقُ^(٢)
وكان البحتري أراد أن يقول : بين آخر ليل منقضى شأنه وأول نهار ؛
فيكون قد قابل بين الليل والنهار ، والحمرة قد تكون بين آخر الليل وأول
النهار ، كما تكون بين آخر النهار وأول الليل ، فقال : « وأول فجر »^(٣)
[ضرورة] .

والجيد في [مثل] هذا [المعنى] قول أبي تمام يصف فرساً أشقر :
[ضَمَخَ مِنْ لَوْنِهِ فَجَاءَ] كَأَنَّ قَدْ كُسِفَتْ فِي أَدِيمِهِ الشَّمْسُ^(٤)
٧- وقال البحتري :

قَفِ الْعَيْسَ قَدْ أَدْنَى خُطَاهَا كَلَالُهَا وَمَلَّ دَارَ سُعْدَى إِنْ شَفَاكَ سُؤَالُهَا^(٥)
هذا لفظ حسن ، ومعنى ليس بالجيد : لأنه قال : « قد أدنى خطاها
كلالها » أى قاربَ من خطوها الكلال ، وهذا كأنه لم يقف لسؤال الدار
التي تعرض لأن يشفيه سؤالها ، وإنما وقف لإعياء المطى .

(١) ديوانه ٧٠٨ « يأتى قبل . . . الغيث ظل »

(٢) ط « بركبانه »

(٣) م « الفجر »

(٤) ديوانه ١٦٨ وشرح التبريزي ٢٢٨/٢ « ضمخ : أى لطح . وفى الشمس قولان :
أحدهما أنه ضمخ الشمس من لون هذا الفرس ، فجاء الفرس كأن قد كسفت في أديمه وجلده لأنها توصف
بشدة الاصفرار في حال كسوفها . والثاني : أنه أراد ضمخ سائر ألوان الصفر من لون هذا الفرس ،
فجاء هذا الفرس وكأن الشمس كاسفة في لونه »

(٥) ديوانه ٢٥٦ ، ١٦٢٩/٣

والجيد قول عنتره ؛ لأنه ^(١) لما ذكر الوقوف على الدار احتاط بأن شبهه
ناقته بالقصر ، فقال :

فَوَقَفْتُ فِيهَا نَاقَتِي وَكَأَنَّهَا فَدَنُ لِقَفِي حَاجَةَ الْمُتَلَوِّمِ ^(٢)
قال ذلك ليعلم أنه لم يقفها ^(٣) ليريحها .

وقد كشف ذو الرمة عن هذا المعنى فأحسن [فيه] وأجاد ، فقال :
أَنْخَضْتُ بِهَا الْوَجْنَاءَ لَا مِنْ سَامَةٍ لِثِنْتَيْنِ بَيْنَ اثْنَيْنِ جَاءَ وَذَاهِبِ
يقول : أنخضتها لأصلي ، لا من سامة بها . وقوله «لثنتين» يريد
[ركعتي العصر] اللتين يقصرهما المسافر «بين اثنين جاء» يريد الليل
«وذاهب» ^(٤) يريد النهار .

فإن قيل : إنما قال : «قد أدنى خطاها كلالها» ليعلم أنه قصد الدار من
شقة بعيدة .

قيل : العرب لا تقصد الديار للوقوف عليها ، وإنما تعجّز بها ، فيقول
الرجل لصاحبه أو صاحبيه ؛ قِفْ ، وقفا . ولو كان هناك قصد إليها لكانوا
إذا وصلوا لا يقولون : قف «ولاقفا» وإنما ذلك تعريض على الديار ، في
مسيرهم ^(٥) وسأزيد في شرح هذا المعنى فيما بعد عند ذكر الوقوف على الديار .

٨- وقال البحتري :

غَرِيبُ السَّجَايَا مَا تَزَالُ عُقُولُنَا مُدْلَكَةً فِي شُحْلَةٍ مِنْ خِلَالِهِ ^(٦)

(١) م و ك « فإنه »

(٢) ديوانه ١٤٣ وشرح القصائد المشر ١٧٣ والفن : القصر ، والمتلوم : المتكث ، وحى
بالمطلوم نفسه

(٣) ط « لم يقف بها »

(٤) ك « بين »

(٥) ط « في سيرها »

(٦) ديوانه ١٩٦ ، ١٦٢٤/٣

إِذَا مَعَشَرَ صَانُوا السَّمَاحَ نَعَسَفَتْ بِهِ هِمَّةٌ مَجْنُونَةٌ فِي ابْتِذَالِهِ^(١)

قوله : « إذا معشر صانوا السماح » معنى ردىء ، لأن البخيل ليس من أهل السماح فيكون له سماح يصونه . وسواءً عليه قال : صانوا السماح ، أو صانوا السخاء ، أو صانوا الجود ، أو صانوا الكرم ، فإن هذا كله لا يملك البخلاء منه شيئاً ، وهو منهم بعيد ، فكيف يصونونه ؟

فإن قيل : إنما أقام السماح مقام الشيء الذى يُسَمَّح به ، وفى مجازات العراب ما هو أبعد من هذا .

قيل : البحتري لا يسوغ [له] مثل ذلك ، ولا يجوز له ؛ لأنه متأخر ، ولا سيما^(٢) وليست ههنا ضرورة ؛ لأنه قد كان يمكنه أن يقول : « صانوا الثراء »^(٣) مكان « صانوا السماح » .

(١) فيه « صانوا التلاد »

(٢) ط « ولا سيما أن ليست »

(٣) ح « الثرى » من تعريف

وهذا ما عيبُ به البحتري وليس بعيبٍ

ولمّا ذكرته لثلاث يظن ظان أنه صحيح ، وألى ^(١) تخطّيته .

فمن ذلك ما نعاد عليه أصحاب أبي تمام ، وهما بيتان ، وقد ذكرت احتجاج أصحاب البحتري فيهما في ^(٢) الجزء الأول من هذا الكتاب ^(٣) ، وأنا أعيد ذكرهما [ها هنا] لزيادةٍ عندي في الاحتجاج بحتاج إليها .

١ - أنكروا عليه قوله :

يُخْفِي الزَّجَاجَةَ لَوْنُهَا فَكَانَتْهَا فِي الْكَفِّ قَائِمَةً بِغَيْرِ إِنْاءٍ
وقالوا : لو . إلى . الإِنْاءِ دُبْساً لَكَانَتْ هَذِهِ حَالَهُ .

والمعنى عندي صحيح لا عيب فيه ، ولا قَدَح ، وذلك أن الرجل قد دَلَّ بهذا الوصف على أن شُعاع الشراب [في غاية الغلبة ، وأن الكأس] في غاية الرقة ، واعتمد أن وَصَفَ الإِنْاءَ وما فيه وَوَصَفَ الهَيْئَةَ على ما هي عليه .

ولمّا أخذ المعنى من قول علي بن جبلة :

كَأَنَّ يَدَ النَّدِيمِ تُدِيرُ مِنْهَا شُعَاعاً لَا تُحِيطُ عَلَيْهِ كَأْسٌ ^(٤)
ألا ترى أن هذا أيضاً قد دل على أن الكأس في غاية الرقة ؟
ومثله قول الآخر :

(١) م « وأسد خطاته » وهو تحريف . وفي ك « خطاته »

(٢) م و ك « فيهما فيما قبل »

(٣) راجع ص ٢٧ - ٢٧

(٤) سبق نس ٢٤ و ٣١٣ .

إِنَّمَا نَعَجُّنَا مَوْسُومَةً ضُمْنْتُ حَمْرَاءُ تَرْمِي بِالزُّبْدِ^(١)
 وَإِذَا مَا نَزَلْتُ فِي كَأْسِهَا فَهَيَّ وَالْكَأْسُ مَعًا شَيْءٌ أَحَدٌ^(٢)
 وَقَدْ أَنَشِدَ «أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبُ» بَيْتَ الْبَحْتَرِيِّ هَذَا فِي «أَمَالِهِ» ،
 وَقَالَ : إِنَّهُ أَخَذَ الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِ الْأَعَشَى :
 تُرِيكَ الْقَدَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونَهُ إِذَا ذَاقَهَا مِنْ ذَاقِهَا يَتَمَطَّقُ^(٣)
 [و] قَالَ «أَبُو الْعَبَّاسِ» فِي^(٤) هَذَا الْبَيْتِ : [إِنَّهُ] أَجُودُ مَا قِيلَ فِي
 وَصْفِ الْخَمْرِ ، لِأَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ اللَّوْنِ وَالطَّعْمِ ، وَنَحْوَهُ قَوْلُ الْآخَرِ [وَهُوَ
 الْأَخْطَلُ]^(٥) :

وَلَقَدْ تُبَاكِرُنِي عَلَى لَذَاتِهَا صَهْبَاءُ عَارِيَةِ الْقَدَى خُرْطُومُ^(٦)

يريد أنها صافية ، فالقذى فيها لا يستتر .

وَلَمْ يَعِْبْ^(٧) «أَبُو الْعَبَّاسِ» الْبَحْتَرِيَّ ، وَلَا طَعَنَ فِي بَيْتِهِ ، بَلْ دَلَّ^(٨)
 إِنْشَادَهُ [لَهُ] وَذِكْرَهُ فِي مَوْضِعِ السَّرْقِ ، عَلَى اسْتِجَادَتِهِ [لَهُ] وَاسْتِحْسَانِهِ
 إِيَّاهُ .

(١) كَذَا فِي ط وَفِي م وَ ك «لَقَحْتَنَا» وَلَسْتُ أَعْرِفُ وَجْهَ الصَّوَابِ فِيهَا

(٢) م «مَا بَدَلْتُ» وَرَوَاهُ الْمُؤَلِّفُ فِيهَا سَبْقُ ص ٣٤ «فَإِذَا مَا مَزَجْتُ» .

(٣) دِيوَانُهُ ١٤٧ وَفِي اللَّسَانِ ٢٢٢/١٢ «الْتَمَطَّقُ وَالْتَلْمِظُ : التَّنَوُّقُ وَالتَّصَوُّقُ بِاللِّسَانِ ، وَقِيلَ : هُوَ الْإِصْبَاقُ اللَّسَانُ بِالْفَارِ الْأَعْلَى فَيَسْمَعُ لَهُ صَوْتٌ ، وَذَلِكَ عِنْدَ اسْتِطَابَةِ الشَّيْءِ . . . وَالتَّمَطَّقُ بِالشَّفَتَيْنِ : أَنْ يَضُمَّ أَحَدَاهُمَا بِالْآخَرَى مَعَ صَوْتٍ يَكُونُ مِنْهُمَا ، وَأَنَشَدَ : «تَرَاهُ إِذَا مَا ذَاقَهَا يَتَمَطَّقُ» .

(٤) ط «قَالَ» . . . وَهَذَا الْخَمْرَةُ

(٥) زِيَادَةُ فِي ط

(٦) دِيوَانُهُ ٨٤ وَالشَّعْرُ وَالشَّعْرَاءُ ٢٢١/١ وَالْخَزَانَةُ ٥٥٢/١ وَفِيهَا «عَالِيَةُ الْقَدَى

وَالْخُرْطُومُ : الْخَمْرُ السَّرِيمَةُ الْإِسْكَارُ

(٧) م «وَلَمْ يَنْغَلِبْ»

(٨) ط «بَلْ يَدْلُكُ»

٢- وأنكروا قوله :

صَحِيحَاتٌ فِي إِثْرِهِنَّ الْعَطَايَا وَبُرُوقُ السَّحَابِ قَبْلَ رُعُودِهِ^(١)
وقالوا : أقام الرعد مُقَامَ العطايا^(٢) ، وإنما كان ينبغي أن يقيم الغيوث
مُقَامَ العطايا .

وهذا جهل ممن قاله بمعاني^(٣) كلام العرب ، ومعنى التمثيل في البيت
صحيح ، لأن الرعد مقدّمة الغيث ، وَقَلَّ^(٤) رعدٌ لا يتلوهُ المطر ، وإذا كان
هذا هكذا فقد صار^(٥) كآذنه أوله .

وإنما أخذ البحتري المعنى من قول بشار :

وَعَدُّ الْجَوَادِ يَحُثُّ نَائِلُهُ كَالْبَرْقِ ثُمَّ الرَّعْدِ فِي أَثَرِهِ
فَأَقَامَ الرعد مُقَامَ الغيث ، ونحوه قول بشار أيضاً :
حَلَبْتُ بِحَمْدِي رَاحَتِيهِ فَدَرَّتَا سَمَاحاً كَمَا دَرَّ السَّحَابُ عَلَى الرَّعْدِ^(٦)

وأظنهما جميعاً أخذوا المعنى من قول الأعشى :
وَالشَّعْرُ يَسْتَنْزِلُ الْكَرِيمَ كَمَا إِنَّهُ تَنْزَلَ رَعْدُ السَّحَابَةِ الْمَبْلَا^(٧)
وأنشد ابن الأعرابي في نوادره :

فَإِنْ لَمْ أَصْدَقْ ظَنَّهُمْ بَتِّيَقُنِي فَلَا سَقَتِ الْأَوْصَالُ مِنِّي الرَّوَاعِدُ

(١) سبق ص ٢٨ و ٣٣ و ٣٥

(٢) م « المطايا » محرفة

(٣) م « سنان » محرفة

(٤) م « وكل » محرفة

(٥) ط « ماز المعنى »

(٦-٦) ما بين الرقيم في ط مؤخر عزه بيت الأعشى

(٧) ديوانه ١٥٧ وسبق ص ٣٥

فجعل التي نستقي هي الرواعد .

وقال الكميت :

وَأَنْتَ فِي الشُّتُوِّ الْجَمَادِ إِذَا أَخْلَفَ مِنْ أَنْجُمٍ رَوَاعِدُهَا^(١)

ومثل هذا كثير في كلامهم لا ينكره منكر .

وقد قال أبو تمام :

وَكَذَا السَّحَابُ قَلَمًا تَدْعُو إِلَى مَعْرِفَتِهَا الرُّوَادَ مَا لَمْ تَبْرِقِ^(٢)

فجعل البرق عند الرواد دليل الغيث ، وقد يكون برق لا مطر معه كثيراً ، وبرق الخلب تلك^(٣) حاله .

فالبحتري في أن أقام الرعد مقام الغيث أعذر من أبي تمام ، لأنه قد يرتفع سحاب^(٤) ويبرق ولا يطر ، فإذا أرعد فلا يكاد يخلف .

٣- ومن ذلك قول^(٥) البحتري :

يَا هِلَالاً أَوْفَى بِأَعْلَى قَضِيبٍ وَقَضِيباً عَلَى كَثِيبٍ مَهِيلٍ^(٦)

وقالوا : هذا خطأ ؛ لأن الكثيب - إذا كان مهيلاً - فإنه يذهب ولا يستمسك ، وذلك مذموم من الوصف .

(١) سبق ص ٣٥

(٢) سبق ص ٩٥

(٣) ط « هذه »

(٤) ط « سحاب و برق لا مطر فيه . . . لا يكاد » وفي م « أن يخلف » .

(٥) ك « قوله »

(٦) ديوانه ٦٠٣ ، ١٦٧٧/٣ وفي اللسان ١٩٦/٢ « قال القراء الكثيب : الرمل ،

والمريل : الذي تحرك أسفله فيهبان عليك أعلاه »

قالوا : والجيد قوله :

كالبدر غير مُخَيَّلِ والغصن غير مُدْعَصِ غير مُهَيَّلِ ^(١)

وقالوا : فقد تراه هنا كيف شرط في الدَّعَصِ - لما شبه العَجَزَ به - أن جعله غير مهيل ؛ لأن العرب إذا شبهت أعجاز النماء بكشبان الرمل شَرَطَتْ فيها أن تكون ندية ، وأن تكون مَمْطُورَة ، [كما قال الراجز :

جِنَّ بَاعْجَازٍ لَهْنَ نَاوِيَة] كَأَنَّهَا الْكُتْبَانُ غِبَّ سَارِيَة

ناويه : سمان . ، من النوى وهو الشحم ، كقول الآخر :

• مِثْلُ الْكُتَيْبِ إِذَا مَا بَلَّهُ الْمَطَرُ •

وكما قال مرداس ^(٢) بن أبي عامر السُّلَمِي :

إِذَا هِيَ قَامَتْ فِي النَّسَاءِ حَمِيْبَتَ مَا فُؤَيْقَ نِطَاقِ الْعَقْدِ صَعْدَةَ سَأَمِ ^(٣)

(١) ديوانه ٧٣١ ، ١٧٤٢/٣ غير مخيل : غير محبوب بنم . والدعص : الكتيب من الرمل

قال الباقلافي في إعجاز القرآن ٣٤٠ « التشبيه بالبدر والغصن والدعص أمر منقول متداول ، ولا فضيلة في التشبيه بنحو ذلك . وإنما يبقى تشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء في البيت ، وهذا أيضا قريب ؛ لأن المعنى مكرر . ويبقى له بعد ذلك شيء آخر ، وهو تمسكه للترصيع في البيت كله إلا أن هذه الاستثناءات فيها ضرب من التكلف ؛ لأن التشبيه بالغصن كاف ، فإذا زاد فقال : كالغصن غير معوج ، كان ذلك من باب التكلف خللا ، وكان ذلك زيادة يستغنى عنها . وكذلك قوله : كالدعص غير مهيل ، لأنه إذا انهال خرج أن يكون مطلق التشبيه مصروفاً إليه ، فلا يكون لتقييده معنى »

(٥) اللسان ٢٢٤/٢٠

(٢) م « داس بن عامر » وهو تحريف . ومرداس بن أبي عامر ، أحد أزواج الخنساء ، ووالد العباس بن مرداس الشاعر ، راجع الأغاني ٦٤/١٣

(٣) م « فوق » والنطاق : كل ما يشد به الوسط . والعقد : موضع ربط الإزار . والصعدة : القناة التي تنبت مستوية . والسأم : شجرة تتخذ منه القسي . وفي ط « مأس » وهو تحريف . والنجاء : جمع نجو ، وهو السحاب الذي قد أراق مائه ثم مضى . والهاك : النجم المعروف . والحجم : الضخم المرتفع وفي م « الحجم » .

وقد ضبط الشيخ محمد محي الدين كلمة « العقد » بكسر العين لأنه فهم أن الشاعر « شبه عنق المرأة في استوائه بالقناة » ولم يذهب الشاعر إلى هذا التشبيه ، بل ذهب إلى تشبيه ما فوق خصرها بالقناة المستقيمة ، وما تحته بالكتيب الذي أصابه المطر . وفي هذا المعنى يقول بعض الشعراء :

خلقت غير خلقة النوان إن قمت فالأعل قضيب بان
وإن توليت فدعصان وكل إد تفعل العنسان

وَأَسْفَلَ مِنْهُ ظَهَرُ دِعْصٍ أَصَابَهُ نَجَاءُ السَّمَاءِ فِي الْكَثِيبِ الْمُجَمِّمِ^(١)

وقال الأخضر بن جابر الفزاري^(٢) :

تَلَوْتُ أَثْنَاءَ اللَّفَاعِ الْأَتْحَمِي بِمِثْلِ دِعْصِ الرَّمْلَةِ الْمُدِيمِ^(٣)

أراد الذي قد بَلَّته^(٤) الدِّعْمَةُ ، وهي السحابة .

وقال جندل بن المثنى الطُّهَوِيُّ :

لَا بَلَّ كَدْعَصَاءَ نَفَاها مُثْرَى عَفْرَاءَ حُقَّتْ بِرِمَالِ عُمْرٍ^(٥)

وقال امرؤ القيس :

كَحِيفِ النَّقَا يَعْشَى الْوَلِيدَانِ فَوْقَهُ

بِمَا اخْتَبَسَا مِنْ لَيْنٍ مَسٍّ وَتَسْهَالٍ^(٦)

وَالْحِيفُ : المستدير من الرمل ؛ لِأَنَّ الرِّيحَ تَنْخُلُهُ^(٧) وتجمعه ، وقال :

« يَعْشَى الْوَلِيدَانِ فَوْقَهُ » لِأَنَّ النَّدَى أَصَابَهُ فَهُوَ صَلْبٌ وَفِيهِ مَعَ ذَلِكَ لَيْنٌ وَنَعْمَةٌ .

وقد شبه امرؤ القيس أيضاً كَفَلَ الْفَرَسِ بِالْدَّعْصِ النَّدَى ، فقال :

لَهُ كَفَلٌ كَالدَّعْصِ لَبْدُهُ النَّدَى إِلَى كَاهِلٍ مِثْلِ الرِّتَاجِ الْمُضْطَبِّ^(٨)

(١) في ك « المخيم »

(٢) تزييم له الآمدي في المؤلف والمختلف ٣٤

(٣) ط « بكرت » وهو تحريف ، والأثناء : جمع ثنى وهو ما انثنى من الثوب ، وهي معاطفه وتضاعفه . واللفاع الأتحمي : الثوب الأحمر خاصة ، أو المخطط بالصفرة . وفي م و ك « تلوث أنبار »

(٤) م « بلت »

(٥) الدعصاء : أرض سهلة فيها رملة نذاها مثرى : أى كثير . وفي هامش ك « نذاها » و ط « نفاها » وهو تحريف تكلف في شرحه ناسرها ص ٢٢٣ والعفرة : الغبرة في حمرة

(٦) ديوانه ١٤٠ وفي م « فا احتسبا » وفيها وفي ك : « وإسهال »

(٧) ط « تنحله »

(٨) ديوانه ٣٦ وله هناك رواية أخرى . والرتاج : الباب ، والمضرب : الملبس بالحديد . وفي

« مثل الرياح » وهو تحريف

[وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

وَلَا مَالَ الصُّبْحِ بِهَا فَدَعْصُ مِنَ الْكُثْبَانِ مُلْتَبِدٌ مَطِيرٌ^(١)

[و] قالوا : هذا [هو] الوصف المحمود^(٢) ، والمعنى الصحيح من معاني العرب . ولولا أن تشبيهه^(٣) أردافه بالكثيب المنهال خطأ لما قال البحرى فى بيته الآخر : « والدعص غير مهيل » .

وهذا المذهب الذى ذهبوا إليه لعمري صحيح من مذاهبهم ، إلا أن الشعراء إذا شبهت أعجاز النساء بكثبان الرمل^(٤) ثم وصفتها بالأنهيال فإنما تقصد^(٥) إلى تحريك أعجازهن عند المشى ، كما قال [رؤبة بن] ^(٦) العجاج :

إِذَا وَصَلْنَ الْعَوَمَ بِالْهَرَكْلِ رَجْرَجْنَ مِنْ أَعْجَازِهِنَّ الْخُزْلُ^(٧)
• أَوْرَاكَ رَمْلٍ وَالْجِ فِي رَمْلٍ •

فقال : « أورك رمل والج فى رمل » وولوجه ، [هو] ^(٨) تحركه ودخول بعضه فى بعض وكما قال الأعشى :

رَوَادِفُهُ تَشْنِي الرِّدَاءَ تَسَانَلَتْ إِلَى مِثْلِ دِعْصِ الرَّمْلَةِ الْمُتَهِيلِ^(٩)

(١) زيادة من ط و ك

(٢) ط « المجيد »

(٣) م « يشبه الرداة » وهو تحريف . وفى ك « تشبيه الرادة بالكثيب المهيل »

(٤) ط « ووصفتها »

(٥) م « يقصد »

(٦) زيادة من ط

(٧) الزيادة من ك

(٨) ديوانه ١٣١ وفى م « وخرجن من أعجازهن » والعوم : السباحة ، وسير الإبل والسفينة ، كما فى اللسان ٣٢٧/١٥ والمراد هنا : السير السريع . والمركلة : ضرب من المشى فيه احتمال وبطء . والخزل : الثقيلة

(٩) ديوانه ٢٢٦ وفى م و ك « وراية »

نِيَافُ كَقُضْنِ الْبَانِ تَرْتَجُ إِن مَشَتْ

دَبِيبَ قَطَا الْبَطْحَاءِ فِي كُلِّ مَنْهَلٍ^(١)

فدل بقوله : « ترتج إن مشت » على أن قوله : « إلى مثل دعص الرملة المنهيل » إنما أراد تحرك^(٢) عجزها في حال مشيها .

وكذلك قول رُؤْبَةِ :

مَيَالَةٌ مِثْلُ الْكَيْبِ الْمُنْهَالِ عَزَزَ مِنْهُ وَهُوَ مُعْطَى الْأَسْهَالِ^(٣)
• صَوْبُ السَّوَارَى مَتْنُهُ بِالتَّهْتَالِ •

التهتال والتهتان واحد^(٤) ، فقال : « مثل الكيب المنهال » لما قال : [إنها] « مiale » أى : أنها تنثنى في مشيتها وتتحرك روادفها^(٥) ، وشرط أنه « عزز منه صوب السوارى » أى شدّه ليمنع من سيلانه وذهابه ، وإنما أراد حالا بين الحالين ، ألا تراء قال : « وهو معطى الأسهال » [أى شدة] ضرب السوارى وهو مع ذلك ينهيل^(٦) .

(١) نيف : مرتفعات مشرفات . ويقال : امرأة نيف : تامة الطول والحسن

(٢) م « تجرى عجزها » وهو تحريف

(٣) الثاني والثالث مع شرحهما في اللسان ٢٢٤/٧ ، ٢١٣/١٤ وثلاثها فيه ٣٤٩/١٢ « قال العجاج يصف الجارية : فهي ضناك كالكيب . . . الضناك : الضخمة . كالكيب الذى ينال . عزز منه : أى سد من الكيب . ضرب السوارى : أى أطار الليل ، فلزم بعضه بعضاً . شبه خلقها بالكيب وقد أصابه المطر . وهو معطى الأسهال : أى يعطيك سهولة ما شئت » ورواية الأول في اللسان كرواية ملحق ديوان العجاج ٨٦ وفى م « صوب السوارى » .

(٤) في اللسان ٢١٣/١٤ « التهال : مثل التهان ، ومجاوب هتل وهتن : هطل ، وقيل متابعة المطر قال العجاج : غرز . . . وفى م و ك « . . . والتهتان بمنزلة واحدة . . . مثل الكعبت » والكلمة الأخير محرفة

(٥) م و ك « أردانها ثم شرط . . . »

(٦) ط « ضرب » وفى م ، ك « . . . مع ذلك سهل »

وقال ابن أبي^(١) سفيان الغامدي :

ذَات شَوَى خَذَلٍ وَخَصِرٍ أَتَلٍ وَكَفَلٍ مِثْلِ الْكَيْبِ الْأَهْلِ^(٢)

فأراد بالأهمل الذي يترجرج^(٣) عند المشي .

وقال الْمُقَنَعُ الْكِنْدِيُّ :

إِذَا قَامَتْ تَنُوهُ بِمَرْجَجٍ كَدِغْصِ الرَّمْلِ يَنْهَالُ أَنْهِيَالًا^(٤)

فجاء^(٥) بذكر الانهيال من أجل ذكره للقيام ، ولو لم يذكره لكان غرضه فيه معروفاً .

وقال عبد الرحمن بن الحكم^(٦) :

كَانَ مَا بَيْنَ قُصْرَاهَا وَخِنْصِرِهَا مِنْهَا نَقًا دَمِثٌ مِنْ عَالِجٍ هَارٍ^(٧)

(١) ط « ابن أبي »

(٢) في اللسان ١٧٨/١٩ « الشوى : اليدان والرجلان » والخذل : العظيم المتسل ، ويقال : امرأة خذلة وخلاء : ممثلة الساقين والذرايين . وفي ط « شوى عبل » والعلل : الضخم . والمراد بالأهمل : اللقيح الضامر . وفي م « وكهل مثل » وهو تحريف

(٣) م ط « الذي يترجرج »

(٤) تنوهُ بمرججن : أى بميز مهتز ، جاء في اللسان ١٦٩/١ « والمرأة تنو بها عجيزتها : أى تثقلها ، وهى تنو بميزتها : أى تمهض بها مثقلة »

(٥) م و ك « فحسن ذكر الانهيال »

(٦) راجع ترجمته في الأغاني ٧٢/١٢ - ٧٦

(٧) النقا : الكتب من الرمل . والست : السهل اللين . وفي اللسان ١٥١/٣ « وعالج : رمال معروفة بالبادية . . . وعوالج الرمال : جمع عالج ، وهو ما تراكم من الرمل ودخل بعضه في بعض » وهار : منهار

ويقول الشيخ « محمد محي الدين عبد الحميد » : « القصرى : الضلع الذى تلى الشاكلة بين الجنب والبطن . والقصيرى - مصغرة - مثله . وأراد بما بين قصرها وخنصرها : بطنها » !!
وعلى هذا يكون الشاعر قد وصف محبوبته بأن بطنها تتحرك إذا مشت كما يتحرك الكتيب من الرمال عند إرادة الانهيال !

وسياق البيت يأبى هذا التفسير لأن الأمدى قد أورد قبله أربعة عشر بيتاً كلها في تشبيه الردف بالكتيب ، ثم أعقب البيت بما يوضح معناه إذ يقول : « فدل بقوله : هار على أنه أراد تحرك روادفها » ولو لم يسبق الأمدى البيت هذا المساق ولم يشرحه هذا الشرح لما كان هناك مندوحة عن الذهاب إليه =

فُضِّرَها : آخر الأضلاع ، وهي القُصْرَى^(١) والقُصَيْرَى ، فدل بقوله :
« هار » على أنه أراد تحرك رِدَافَتِها^(٢) .

وكذلك قول البحري :

• وقَضِيّاً على كَثِيبٍ مَهِيلٍ •

إنما أراد تحرك أَرْدافه ، وقد دل على المشي بقوله :

• يا هاللاً أَوْ قَى بَأَعْلَى قَضِيبٍ •

فالمعنيان لا يتناقضان ؛ لأن الشاعر إن ذكر الانهيار فإنه أراد الحركة
عند المشي ، وإن لم يذكر ذلك وَشَرَطَ في الكتيب الندي أو^(٣) إصابة الغيث
فإنما قصد أن يَنْصُ^(٤) على اجتماعه واستمساكه ؛ كما قال رؤبة :

• مَيَّالَةٌ مِثْلُ الكَثِيبِ المُنْهَالِ •

ثم قال :

عَزَزَ منه وهو مُعْطَى الأنْهَالِ صَوَّبُ السَّوَارِي مَتْنَهُ بالتَّهْتَالِ^(٥)

فانتظم الوجهين^(٦) جميعاً .

= لأن الشاعر قد حدد مراده تحديداً دقيقاً .

وبليغ أن ما يرى من المرأة المدبرة مهترأ مترجرجا بين قصيرها وخصرها إنما هو ردفها لا بطنها ،
وجمال البطون في ضهورها ودقة خلقها . وقبحها في عظمها وتكرشها ، فإذا استرخت وترجرجت نبت
عنها الأنظار والأفواق .

(١) ك : « القصيرة » .

(٢) ط « روافدها » وفي اللسان ١٤/١١ « والروادف : الأعجاز » . قال ابن سيده :

ولا أرى أمو جمع ردف نادر ، أم هو جمع رداقة « وفي ك » رادفها »

(٣) ط « الندي وإصابة »

(٤) ك « أن يبق »

(٥) ط « ضرب »

(٦) ط « الوجهان » وهو تحريف لأنه يريد أن يقول : إن رؤبة قد أصاب في شعره المعنيين معا

بحقهما

والذى شَرَحَ هذين المعنيين أنتم الشرح ، وأبرُّ في الوصف على كل محسن -
 نعيمُ بن أبي بن مقبل ، في قوله يصف مشى النساء :
 يَمْشِينَ هَيْلَ النَّقَا لَأَنَّ جَوَازِيَهُ يَنْهَالُ حِينًا وَيَنْهَاهُ الثَّرَى حِينًا^(١)
 إنما^(٢) أراد بقوله : « ينهال حيناً » تحرك أعجازهنَّ إذا مَشَيْنَ كما يتحرك
 جانب الرملة للانهيال فينهال الثرى وهو ما تحته من التراب والرمل الندى ،
 وهذا لا شيء أوضح منه .

٤ - ومن ذلك قوله :

مَتَى أَرَدْنَا وَجَدْنَا مَنْ يُقْصِرُ عَنْ مَسْعَاتِهِ أَوْ فَقَدْنَا مَنْ يُدَانِيهِ^(٣)
 وقالوا : ليس هذا بالجيد ؛ لأنه وصفٌ يَشْرِكُ ممدوحه فيه البِقَالُ
 [والحمال]^(٤) والمَرَّاق وماعة الدواء ولُقَاط النوى ؛ لأن هؤلاء أيضاً متى شِئنا
 وَجَدْنَا من يقصر عن مسعاتهم ، وهو الحجام والكنَّاس والنَّبَّاش .

والبيت عندي صحيح ، وغرض البحتري فيه معروف ، ومثله [أو نحو] قول الأعشى :

وَأَخُو النِّسَاءِ مَتَى يَشَأْ يَصْرِفُهُ وَيَعُدُّنَ أَعْدَاءَ بُعَيْدٍ وَدَادٍ^(٥)
 وهو لا يشاء ذلك [بحال ، و] إنما أراد أن ذلك سهلٌ موجود في النساء .
 وكذلك قول البحتري : « متى أردنا وجدنا » أى : أن ذلك موجود
 سهل حاصل ، وإن لم يكن هناك إرادة ولا طلب ؛ لأن تلك حال قد عُلِمَتْ
 منه ، وقد صَحَّحَ المعنى ووَكَّدَ المدح بقوله : « أو فقدنا من يدانيه » والبقال

(١) ط « مالت » وانظر ما سبق ص ١٥٨

(٢) ك « فإنما »

(٣) الزيادة من ك

(٤) ديوانه ١٧٥ وفي ط « وبقلفا »

(٥) ديوانه ٩٨ « منه ويكن »

والمراق وأمثالهما غير مفقود من يدانيهم ، فجعل البحرى أحد القسمين في البيت معلقاً بالآخر : أى ذلك كله سهل موجود ، ولو اقتصر على نصف البيت ^(١) الأول كان لعمرى [للقدح] ^(٢) فيه متعلق .

٥- ومن ذلك قوله :

نَهَاجِرُ أُمِّ لَا وَصَلَ يَخْلِطُهُ إِلَّا تَزَاوُرُ طَيْفِنَا إِذَا هَجَدَا ^(٣)
قالوا : والطيفان لا يهجدان ^(٤) ، وإنما أراد [أن يقول] : ^(٥) إذا هجدنا ، فقال : « إذا هجدنا » .

وقد سمعت من يحتج فيه بما لا يبعد عندى من الصواب ، وهو أن قال : إنه أراد ألا تزاور نفسينا إذا هجدنا ، فأقام الطيف مقام النفس ، وقال : « هجدنا » ولم يقل : « هجدنا » للفظ الطيف وهو مذكر .

وقال : إن النفس تنام على الحقيقة كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ ^(٦) .

فقبل له : النفس لعمرى يطلق عليها النوم ، فإذا نامت رأت خيالات الأشياء التى ترى حقائقها فى اليقظة - فالنفس غير الخيال ، وقد تتمثل للنفس فى حال يقظتها [خيالات الأشياء الغائبة عنها وصورها على ما هى فتراها النفس فى حال يقظتها] ^(٧) وإن لم ترها العين ، فليس النفس من الخيال فى شىء .

(١) ط « على النصف الأول »

(٢) الزيادة من ك ، م

(٣) ديوانه ٤٦ وطيف الخيال ٣٧ وفى ط « هجرا » وهو تحريف من أجل ذلك قال الشيخ

بحى الدين « لا يوجد هذا البيت فى ديوان البحرى المطبوع فى مصر » وهو فيه ١٣٤/١

(٤) ط « لا يهجران . . . هجرنا . . . هجرا » وهكذا فى بقية الكلام

(٥) الزيادة من ك

(٦) سورة الزمر : ٤٢

(٧) الزيادة من ك

فقال^(١) : فإذا كانت النفس والخيال يلتقيان في النوم ، فلم لا أسميهما خياليَيْن - وإن كان أحدهما خيالا والآخر نفساً - على المجاز الذي نفعله العرب ؟

وهذا عندي احتجاج صحيح ، ويصح عليه معنى البيت .

٦- ومما نسبوا فيه البحتري إلى سوء القسمة^(٢) قوله :

فَكَأَنَّ مَجْلِسَهُ الْمُحَجَّبَ مَحْفِلٌ وَكَأَنَّ خَلْوَتَهُ الْخَفِيَّةَ مَشْهَدٌ^(٣)

وقالوا : إنه ليس في المصراع الثاني من الفائدة إلا ما في الأول ؛ لأن مجلسه المحجَّب هي خلوته الخفية ، وقوله : « محفل » كقوله : « مشهد » . والمعنى عندي صحيح ؛ لأن المجلس المحجَّب قد يكون فيه الجماعة الذين يخصهم ، وفي الأكثر الأعم لا يسمى مجلساً إلا وفيه قوم ، ألا ترى إلى قول مهلهل :

• وَأَمْسَبَ بَعْدَكَ يَا كَلَيْبُ الْمَجْلِسُ^(٤) •

أى : أهل المجلس ، على الاستعارة ؟

فجعل البحتري مجلسه الذي احتجَّب فيه مع من يخصه كالمحفل ، والمحفل : هو الجمع الكثير ، والخلوة الخفية قد يكون فيها منفرداً ، وقد يكون معه محبوب^(٥) فيها ، وبين المجلس والمحفل فرق ؛ فكأنه إذا خلا خلوة خفية ففيها^(٦) معه من يشاهده - ومن يشاهده يجوز أن يكون واحداً

(١) ط « قال »

(٢) ط « التقسيم »

(٣) ديوانه ٦٩٠ .

(٤) صدره : « تبيت أن النار بعلك أوقدت » كما في شرح الحياطة للمرزوقي ٩٢٨/٢

(٥) م « محبوبة » وفي ك : « محبوبة فيبينها وبين المجلس فرق »

(٦) ط « وفيها »

أو اثنين - والمفضل لا يكون إلا عددًا كثيرًا . فهذا أيضاً فرق صحيح [بين
المفضل والمشهد] .

وإنما أراد البحتري أنه لا يفعل في مجلسه المحجّب إلا ما يفعله في
المفضل ، ولا يفعل في خلوته الخفية إلا ما يفعله^(١) مع مَنْ يشاهده ، ينسبه
إلى شدة التصوّف وكرم السريرة .

٧-.. ومثله قوله :

أَمِينَ اللَّهِ ، دُمْتَ لَنَا سَلِيمًا وَمُلِّيتَ السَّلَامَةَ وَالْدَّوَامَا^(٢)

قالوا : فقوله^(٣) : « دمت لنا سليماً » هو قوله : « وُلِّيتَ السلامة والدواما »
وهذا قبيح جداً .

وليس الأمر عندي كذلك ، بل القسمة صحيحة ؛ لأنه لما تقدم ذكر
السلامة والدوام في أول البيت قال في عجزه : « وُلِّيتَ السلامة » أي :
أدّيت لك تلك السلامة [وذلك الدوام . وأجود من هذا أن يكون لما قال :
دمت لنا سليماً وَكَذَلِكَ بذكر السلامة وفيها الألف واللام ؛ لأنها اسم الجنس ،
وكذلك الدوام . فكأنه قال : ملّيت السلامة كلها والدوام كله . ثم إنه^(٤)
ليس بمنكر أن يقول [القائل في الدعاء]^(٥) « دام لك الدوام » كما يقول :
طال طولك ، وقر قرارك ، وضلّ ضلالك ، وزال زوالك . وذلك كلام مستعمل
حسن . ومعنى « ملّيت » : [أي] أطّيلت لك وأدّيت ، مثل تَمَلّيت

(١) ك : « ما يفعله إذا حضره من يشاهده »

(٢) ديوانه ٣١

(٣) ط « وقوله . . . فإن هذا »

(٤) في ط بدل هذه الزيادة « والملاوة - بكسر الميم وضمتها وفتحها ، ذكر ابن السكيت لها ثلاث

لغات وذلك الدوام وليس « وهي ليست من أصل الكتاب

(٥) الزيادة من ك

[جيبك] وهو مأخوذ من المَلَاة والمَلَاوة^(١) وهما الدهر ، والمَلوان : الليل والنهار ، ومنه قولهم : وَقَفْتُ مَلِيًّا .

٨- وقال البحرى :

الْيَوْمَ أَطْلَعَ لِلْخِلَافَةِ سَعْدُهَا وَأَضَاءَ فِينَا بَدْرُهَا الْمُتَهَلِّلُ^(٢)
لَيْسَتْ جَلَالَةٌ جَعْفَرٍ فَكَانَتْهَا سَحَرُ تَجَلَّلَهُ النَّهَارُ الْمُقْبِلُ^(٣)
وقالوا : هذا معنى فاسد ، لأن السحر طرّة النهار وأوله وبدء ضيائه ،
والشيء فى مثل هذا لا يتجلل أوله ؛ لأن التجلل هو : أن يشتمل عليه
ويغطيه ، والسحر أمام النهار أبداً ، فلا يجوز أن يتغشاه ؛ لأنه المتصل
بالظلمة والمختلط بها والطارد لها ، فهو يدور حول «كرة الأرض» دائماً على
صورة واحدة لا يتغير .

وهذه^(٤) عندى معارضة صحيحة ، إلا أن هذا معنى يُتَجَاوَزُ فى مثله ؛
لأن البحرى إنما أراد تجلله النهار فى رأى أعيننا وما نشاهده ؛ لأن زُرْقَةَ
السحر لما استطار الضوء كان كأنه^(٥) شىء غَطَّى عليها ، وإن كانت
حقيقتها أنها انتقلت^(٦) إلى قطر آخر من الأرض .

٩- وقال البحرى :

لَمْ أَرَ كَالْهَجَرِ لَمْ يُرَحَمْ مُعْتَبُهُ وَالْوَصْلُ لَمْ يَحْتَمِدْ مُعْطَاهُ بِالْحَسَدِ^(٧)
وهذا كان بعضهم يراه سهواً ، ويقول : إن المقلب بالهجر مرحوم ،

(١) ط « والملاوة »

(٢) ديوانه ٢٥ « وأضاء فيه وفيه ١٧٥٤/٣ وفى ك : « وأضاء فيها » وهما فى مدح التوكل

(٣) فى ديوانه طبع بيروت ، وفيه طبع المعارف « تجلله الصبح » « يجله النهار »

(٤) ط « وهذا »

(٥) ط « صار »

(٦) ط « انتقلت »

(٧) « ديوانه طبع مصر ١٧٨/١ وفى م « لم يركم » وهو تحريف . وفى ط « وهذا بعضهم كان »

فأما من ^(١) يواصله حبيبه فمغبوط أبداً ومحسود ، وقد قيل في ذلك من

الأشعار ما هو أشهر وأكثر ، فمنها قول يزيد بن الطثرية :

أَعُوذُ بِخَدِّكَ الْكَرِيمَيْنِ أَنْ يَرَى لَنَا حَاسِدٌ فِي غَيْرِ الْوَصْلِ مَطْمَعًا ^(٢)

وقول أبي صخر الهنلي :

فَقَدْ تَرَكَتْنِي أَحْسَدُ الطَّيْرِ أَنْ أَرَى الْيَفَيْنِ مِنْهَا لَمْ يَرَوْعَهُمَا الذُّفْرُ ^(٣)

وقول جرير :

وَنُحْسَدُ أَنْ تَزُورَكُمُ - وَتَرْضَى بِذُنِ الْبَذْلِ - لَوْ عَلِمَ الْحُسُودُ ^(٤)

وقول جميل بن معمر :

لَوْلَا الْوُشَاةُ لَزُرْتَكُمُ بِبِلَادِكُمْ لَكِنْ أَخَافُ مَقَالََةَ الْحَسَادِ

وقول عتبة بن بجير ^(٥) الحارثي :

أَيَّامَ تَهَجَّرُنِي لَيْلَى وَأَحْسَدُهَا وَأَطْيَبُ الْعَيْشِ عِنْدِي مُضْغَةُ الْحَسَدِ

أى : هى تهجرنى وأنا أحسدُها : أى أحسد عليها .

وليس الأمر عندى فى هذا البيت [على] ما تأوله [هذا] المتأول وظنه ،

وذلك لأن البحترى لم يرد بقوله : «لم أر كالهجر» جنس الهجر ^(٦) ، ولا

جنس الوصل ، فيخرج الكلام مخرج العموم لكل هجر وكل وصل ،

[كما] يقال : أَهْلَكَ النَّاسَ الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ «لم أر كالهجر لم

(١) ط و النى .

(٢) فى م و ك «فى غير» و غير الوصل : بقيته

(٣) شرح الحاشية أبى تمام المرزوق ١٢٣١/٣ وفى أسأل القائل ١٤٩/١ و أخبط

الوشح . . . لا يردعهما الذعر ، وفى ك : «لا يروعهما» وانظر تخريج الأستاذ عبد العزيز الميمنى له فى السط ٣٩٩/١ .

(٤) ديوانه ١٦٠ و تحسد « وفى ط و يحسد . . . ويرضى »

(٥) ط «ابن حجر» وهو تحريف

(٦) ط «حسن» ولا حسن « وهو تحريف

يرحم معذبه » أى : كالهجر الذى هذه حاله [على طريق التعجب والوصل :
ولم يعتمد معطاه بالحسد ، أى والوصل الذى هذه حاله . وهذا كما تقول :
لم أر كالرجل بسىء فلا يذم . ويحسن فلا يشكر . أى كالرجل الذى هذه
حالته] ولم يرد كل الرجال .

وكيف يظن مثل هذا بالبحترى وهو يقول :
وَنُحَسِّدُ أَنْ تَسْرِيَ إِلَيْنَا مِنَ الْهَوَى عَقَابِيلُ يَغْتَادُ الْجَوَى باغْتِيَادِهَا^(١)
فَكَمْ نَأْفِسُوا فِي حُرْقَةٍ إِثْرَ فُرْقَةٍ تَعَجَّبُ مِنْ أَنْفَاسِنَا وَأَمْتِدَادِهَا
فقد ترى كيف يزعم أنه يُحَسِّدُ على الْجَوَى وعلى الْحُرْقِ ، فكيف على
الوصل ؟

١٠- وقال البحتري :

أَيُّ لَيْلٍ يَنْهَى بِغَيْرِ نَجُومٍ أَوْ سَحَابٍ تَنْدَى بِغَيْرِ بُرُوقٍ؟^(٢)
عابه بعضهم بهذا ، وقالوا : قد يكون بَرَقٌ لا غيث معه ، وهو بَرَقُ الْخَلْبِ .
والرجل لم يقل : لا برق إلا ومعه مطر ، وإنما قال : لا مطر إلا ومعه
برق .

١١- وسمعت من يعيب قوله :

كَالرَّوْضِ مُوتَلِقاً بِحُمْرَةِ نَوْرِهِ وَبَيَاضِ زَهْرَتِهِ وَخُضْرَةِ عُشْبِهِ^(٣)
ويقول : النور هو الأبيض [خاصة]^(٤) ، والزهر هو الأصفر لا محالة ،

(١) ديوانه ١٠٩ « بتاد الهوى » وفى م « يفتاد » . باغتيادها « وهو تحريف . والمعاقيل : بقايا
للمشق

(٢) ديوانه ٤٣٦ وفى أمالي المرتضى ١ / ٦٠١ « أو سماء تندى » وفى م « أرى ليل » وهو
تحريف وفى ط « يندى »

(٣) ديوانه ٧٠٠ والمشبه كتابه الحسن بن وهب وحكمه ١٦٥/١ معارف

(٤) الزيادة من ك

فإذا قلت : « في هذا الروض أنوار مختلفة » جاز ذلك ؛ لأنك تضم إلى البياض غيره فيجری الاسم^(١) على الجميع ، على سبيل المجاز ، كما يقال^(٢) : « العُمران » لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، و « القُمران » للشمس والقمر ، وما أشبه ذلك .

وكذلك إذا قلت : « فيها أزهار كثيرة » جاز ذلك وإن كان فيها أبيض وأحمر وما سواهما مع^(٣) الصفرة تَوْسَعاً ومجازاً ؛ فإذا فصلت مُعْتَمِداً^(٤) لأن تخص كل جنس باسم ، كما فعل البحترى - لم يجز^(٥) أن يعدل بكل جنس عن اسمه المخصوص ؛ فتقول حينئذ : يعجبني من هذا الموضع صفرة زَهْرٍ ، وبياض نَوْرٍ ، وحمرة شقائقه . ولا يجوز أن تقول : يعجبني حمرة نَوْرٍ ، ولا بياض زهره ، كما قال البحترى ؛ لأن ذلك ؛ خطأ في اللغة على ما استعملته العرب .

ولعمري إن هذا هو الأشهر في كلامهم ، والأغلب في المأثور عنهم ، إلا أنهم قد جعلوا الزهر نَوْرًا ، والنور زَهْرًا ، وجاء ذلك في الشعر ، قال عدي ابن زيد :

حتى تعاونَ مُسْتَكُّ لَهُ زَهْرٌ مِنْ التَّنَاوِيرِ شَكْلُ الْعَيْنِ فِي اللَّوْمِ^(٦)

(١) ط « الرسم »

(٢) ط « تقول »

(٣) ط « من »

(٤) ط « فصلت مقيدا [اضطرت] » وهو تحريف اضطره لهذه الزيادة

(٥) ط « ولم » وهو تحريف .

(٦) « في اللسان ٤/١٦ وفي ٢٢٨/١٤ » من التناويل ، والمستك : الملتصق . وتنوير الشجرة : إزهارها . يقال : أنارت الشجرة وأنورت : أي حنت خضرتها ، من الإنارة ، وقيل أطلعت نورها . وقد سمي إدراك الزرع تنويرا ، وجمعه عدى به زيد فقال « ونى تناوير . . . » وفي اللسان ٢٣٨/١٤ « التناويل : ما على الموادج من الصوف الأحمر والأخضر والأصفر . ويقال للرياض إذا تزينت بنورها وإزهارها من بين أصفر وأحمر وأبيض وأخضر - : قد علاها تهويلها » . وفي ك « مشتك »

اللَّوْمُ : جمع لَأَمَّة ، وَلُؤْمَةٌ ، وهى مَتَاعُ الرَّحْلِ مِنَ الْأَشْيَةِ ^(١) ، والولايا
وتكون مُوَشَّاة بِالْعِهْنِ والنصوف المصبوغ بالحمرة وغير ذلك من الألوان ؛
فقال : « زهر » ثم قال : « من التناوير » وقال : « شكل العهن » .

وقال زهير بن مسعود [الضَّبِّي] :

وَمُنَوَّرٌ غَدِيقُ النَّدى قُرْبَانُهُ مِثْلُ الْعُهْنِ مِنَ الْحَوَاضِرِ مُقْفَرٍ ^(٢)

وقال أبو النجْم :

فَالرَّوْضُ قَدْ نَوَّرَ فِي دَجَوَانِهِ مُخْتَلِفُ الْأَلْوَانِ فِي أَسْمَائِهِ ^(٣)

نَوَّرَ نَحَارُ الشَّمْسِ فِي حَمْرَائِهِ مُكَلَّلًا بِالنُّورِ مِنْ صَفْرَائِهِ ^(٤)

فقال : « بالنور من صفرائه » .

وقال حميد بن ثور :

كَأَنَّ عَلَى أَشْدَاقِهِ نَوْرَ حَنَوَةٍ إِذَا هُوَ مَدَّ الْجِدَ مِنْهُ لِيَطْعَمَا ^(٥)

(١) الأشلة : جمع شليل ، وهو الخلس . والولايا : جمع ولية ، وهى البرذعة أو ما نتجت من
كل ما ولى الظهر من كساء أو غيره

(٢) م « غديق الثرى قربانه وفى لك » غديق الثوى « ط » من الحواطر مقمر « والعنق : الكثير .
والقربان : جمع قرى - بفتح فسر - وهو مجرى الماء فى الروض . وفى حديث قس : وروضة ذات
قربان . الحواضر جمع حاضر ، ويعنى به القوم التزول على الماء . ومقفر : خال . يريد أنها روضة
أنف أى لم يرعها أحد

وقال فاشر ط « أراد بالحواطر : الخطر ، وهى جمع خطرة ، مثل سدرة وسدن ، والخطرة :
عشبة معروفة لها قصبه يجهدا المال ويفرز عليها » وهذا القول منقول من اللسان ٣٣٧/٥ وبعده
« والعرب تقول : رعيانا خطرات الوسى ، وهى اللع من المراتع والبقع . ومقمر : كثير أو أبيض
أو مائل إلى الخضرة

(٣) ط « نور فى حوائه » ومعنى فى دجوائه : أى فى عظمه وسعته وطول نبتة وفى اللسان ٢٢٧/١٨
« الحواء مثل المكاء : نبت يشبه لون الذئب ، الواحدة حواءة »

(٤) م « نوراً . . . من حمرائه »

(٥) ديوانه ٢٥ والشعر والشعراء ٣٥٠/١ وعيون الأخبار ١٨٨/٢ وفى اللسان ٢٢٤/١٨
« قال أبو زياد : من العشب الحنوة ، وهى شديدة الخضرة طيبة الريح ، وزهرتها صفراء وليست بنسخة ،
قال جميل :

بها قصب الريحان تندى وحنوة ومن كل أفواه البقول بها بقل »

يصف فرخ الحمامة وُصْفَرَة أشداقه ، ويشبها بصفرة [زهر الحنوة
لامحالة فقال] : نَوَّرَ حَنَوَةً ؛ ولم يقل زهر حنوة .

وقال الأعشى :

وَشَمُولٌ تَحْسِبُ الْعَيْنُ - إِذَا صُفِّقَتْ - وَرَدَّتْهَا نَوَّرَ الذُّبْحُ^(١)
والذُّبْحُ نبت ، ونَوَّرَهُ أحمر شديد الحمرة ، ويقال [له] : « الذُّبْحُ »^(٢) .
وهذا كله دليل على أن هذه الأسماء تستعمل في هذه الألوان كما ترى على
اختلافها .

١٢ - وسمعت من يعيب قوله :

فَمُجْدَلٌ وَفُرْمَلٌ وَمُوسِدٌ وَمُضْرَجٌ وَمُضْمَخٌ وَمُخَضَّبٌ^(٣)
ويقول^(٤) : إن قوله : « مضرَج ومضمَخ ومخضَّب » بمعنى واحد . وذكر
أنه لو^(٥) أراد رجلا واحداً أنه مُضْرَجٌ ومضمَخٌ ومخضَّبٌ - جاز ؛ لأن [كل]
لفظة تكون مؤكدة للأخرى ، قال : ولكنه [إنما]^(٦) أراد فمنهم^(٧) مضرَجٌ
[ومنهم مضمَخ ومنهم] مخضَّب ، كما قسم^(٨) في صدر البيت .
ولعمري إن البحتري كذلك أراد ، وليس بمكثر [عندي] ؛ لأن - المضرَج^(٩)

(١) ديوانه ١٦٢ واللسان ٧١/١٢ وفيه ٢٦٥/٣ « إذا صفقت في دنها » ويروى :
بردتها لون الذبح « بردتها : لونها . ومعنى صفقت : حولت من إناء إلى إناء . والوردة : الحمرة ،
يقال : عشية وردة : إذا احمر أفقها عند غروب الشمس

(٢) راجع اللسان ٢٦٥/٣

(٣) ديوانه ٦٨٤ وهو في وصف قتل الممدوح

(٤) م « ويقال » ط « ويقولون »

(٥) ط « أنه إن »

(٦) ط « منهم »

(٧) الزيادة من ك

(٨) ط « كما فهم »

(٩) ط « لأن التضريج من التضريج »

من الضَّرج وهي الحمرة المشرقة التي ليست بقانية ، والمضْمَخ يريد [به] غلظ الدم وأنه [قد صار] في متانة الطيب الذي يتضمن به ، والمخضب أراد أن الدم قد خَفَّضَ كما يخضَّب بالحناء ؛ ففي كل لفظة ما ليس في الأخرى ، وإن كانت الحمرة قد شَمِلَت الجميع ؛ لأن المضرَج يجوز أن يكون أراد به طراوة الدم : أى منهم حديث عهد بالقتل ومضْمَخ^(١) مَنْ قد خَثُرَ عليه الدم كأنَّ قتله قد تقدم قَبْلَ [قتل] الآخر ، والمخضَّب يجوز أن يكون [من قد]^(٢) مضى لقتله يوم أو أكثر فقد اسودَّ عليه الدم .

وهذه معان كلها^(٣) محتمل .

وقد يجوز أن يريد بقوله : « مضرَج » سائر جسده ، وبالمضْمَخ أن السيف أخذ عوارضه وتحت لحيته ، وذلك موضع من مواضع التضميخ^(٤) بالطيب ، وأراد بالمخضَّب أن السيف أخذ في رأسه وفي يديه ورجليه ، وذلك موضع الخِضَاب ، وقد يكون المضرَج : المقطع [يقال]^(٥) : « ضَرَجَه » إذا قطعه .
وهذه معان لطيفة^(٦) ويجوز أن يعتدَّ بها ، والوجه القويُّ هو الأول .

١٣ - وسمعت قوماً ينكرون قوله في وصف الخمر :

وَقَوَاقِعُ مِثْلُ الدُّوْعِ تَرَدَّدَتْ فِي صَحْنٍ خَدَّ الكَاعِبِ الْحَسَنَاءِ^(٧)
ويقولون : إن الدموع لا تتردد في الخد كما يتردد الحَبَاب في الكأس ، وإنما الدمع يجري ويتتابع .

(١) ط « والمضخ »

(٢) الزيادة من ك

(٣) م و ك « كلها معان كلها » و ط « محملة »

(٤) ط « التضميخ »

(٥) زيادة من ط وفيها « ضربته إذا قطعه »

(٦) ط و ك « وقد يجوز أن يعتدَّ بها »

(٧) ديوانه ٤٧٥ (١ / مصر)

والمعنى صحيح ، ولا عيب فيه ؛ لأن التردد قد يكون الجَوْلان ، وقد يكون التتابع والتواتر ، يقال : قد تَتَابَعْتُ كُتُبِي إِلَيْكَ ، وتردَّدْتُ : بمعنى ، وتواترت رُسُلِي وتتابع ، والكتاب الأول^(١) غير الثاني ، وكذلك قد يكون الرسول الأول غير الرسول الثاني : وإنما حُسِّنَ أَنْ يُقَالَ : تتابع وتردَّدت لأن كل واحد [من الكتب] يقال له : كتاب ، ويقال لكل واحد [من الرسل] : رسول ؛ فلما ضُمَّهُمْ اسم واحد حُسِّنَ استعمالُ التتابع والتردد ، وإن كانت أشخاصاً متباينة ، وكل واحد غير الآخر .

وكذلك الدمع يحسن^(٢) أن يقال : قد تَتَابَعْتُ دُمُوعُهُ عَلَى خَدِّهِ ، وتردَّدت ، وإن كانت كلُّ دَمْعَةٍ غير الأخرى . وَالْحَبَابُ وإن جال في الْقَدَحِ دائراً^(٣) فيه فإنه ربما جَرَى فيه على جِهَةٍ واحدة ، كما يجري الدمع على جهة واحدة .

وهذا من أحسن التشبيه وأليقه ؛ لأن الخمر قد يكون منها [ما هو] أحمر إلى التوريد الخفيف كحمرة الخد ، وخاصة إذا أُرِقَّتْ بالماء ، كما قال الشاعر :

كُمِيتَ إِذَا فُضَّتْ ، أَوْفَى الْكَأْسِ وَرْدَةً لَهَا فِي عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَبِيبُ
فَإِذَا شَبَّهَتْ الْخَمْرَةَ بِالْخَدِّ وَذَكَرَ الْحَبَابُ^(٤) فَمَنْ أَلِيقَ مَا شَبَّهَ بِهِ وَأَحْسَنَهُ
وَأَصَحَّهُ الدَّمْعُ ؛ لأن الدمع قد يقف في الخد كوقوف الحَبَابِ في صحن
الكَأْسِ . وباب اختلاف حركة الحَبَابِ و^(٥) حركة الدمع ، فليس كل شيء

(١) ط « هو غير »

(٢) ط « حسن »

(٣) ط « حائراً »

(٤) م « من »

(٥) ط « أو »

يُشَبَّهُ بشيء يقع التشبيه فيه من جميع الجهات حتى لا يغادر منها شيئاً^(١) قد يكون ، إنما شبه به ببعض ما فيه لا بكاه .

١٤- ورأيت مَنْ عاب قوله :

فَصَبَّغْتُ أَخْلَاقِي بِرَوْنَقِ خُلُقِهِ حَتَّى عَدَلْتُ أَجَاجَهُنَّ بِعَذْبِهِ^(٢)

وقالوا : إنما كان ينبغي لما ذكر الأجاج والعذب أن يقول : « فمزجت » لا أن يقول : « فصبغت » ، أو لما قال : « فصبغت أخلاقي » أن يقول : « حتى عدلت ألوانها^(٣) بحسن لونه » .

وليست هذه المعارضة بشيء . والمعنى صحيح : وذلك أنه ليس هناك صبغ على الحقيقة فيقابل بذكر لون حتى يتكافأ المعنيان ، ولا مشروب عذب ولا أجاج على الحقيقة فيستعمل ذكر^(٤) المزاج ، و [إنما] هذه استعارات ينوب بعضها عن بعض . ويقوم بعضها مقام بعض ؛ لأنها ليست بحقائق فيما استعيرت له . ألا ترى أنك تقول : فلان قد شابك^(٥) فلانا ، وخالطه ، ومزجه [وداخله] . وانصغ به . بمعنى واحد وإن كان بعضها أوكد من بعض ، ولا يكون هناك مُدَاخَلَةٌ ولا مِمَازِجَةٌ لجسم^(٦) في جسم ولا مخالطة على الحقيقة ؟

١٥- ومما عيب عليه من التعسف والتعقيد في اللفظ قوله :

فَتَى لَمْ يَلِ بِالنَّفْسِ مِنْهُ عَنِ الْعُلَى إِلَى غَيْرِهَا شَيْءٌ سِوَاهُ مُمِيلُهَا^(٧)

(١) ط « شيء » وقد

(٢) ديوانه ٧٠٠

(٣) ط « ألوانين »

(٤) ط « يذكر »

(٥) ط « شارك »

(٦) ديوانه ٣ / ١٧٨٠ « يميلها » م « مازجة في جسم في جسم »

وكان بعض الناس يرى أنه لاحت [فيه] ، ويقول : إنه إنما أراد
فتى لم يمل بنفسه عن العلى شيء مميل نفس سواه ، أى : ما يميل النفس
عن المعالى من اللهو واللعب والدعة وحب الراحة والضنّ بالمال ، ونحو هذا من
الأشياء الشاغلة عن السؤدد ، فقدّم «سواه» وكفى عن النفس بقوله
«مميلها» بعد أن حدّثها .

قال : وذلك غير جائز ؛ لأنك إذا قلت : «لن يضرب هامة عمرو [أحد
ضارب هامة غيره» ، فقدمت هامة غيره [فقلت : لن يضرب هامة عمرو
واحد^(١) غير ضاربها ، جعلت الهاء فى «ضاربها» كناية عن الهامة لتقدمها -
لجاء^(٢) : إلا أن البصريين من النحويين يقولون : «هامة غيره^(٣) ضاربها
هو» كما أنه لو قال : «شيء نفس سواد مميلها هو» جاز .

فإن فككت^(٤) الإضافة وأسقطت «هامة» وقدمت غيره^(٥) فقلت :
«لن يضرب هامة عمرو أحد غيره^(٦) ضاربها» لم يجر : لإسقاطك الهامة
التي كنايتها الهاء فى قولك : «ضاربها» ، ولا تجوز الكناية عن غير مذكور
[فى] مثل هذا ، فكذلك لا يجوز فى البيت «شيء سواه مميلها» وهو يريد
شيء نفس سواه مميلها ؛ لأن الهاء فى قوله «مميلها» كناية عن النفس ؛
فلا يجوز إسقاط النفس .

وهذا لعمري إن كان البحتري أرادده فهو غلط ، غير أنه - والله أعلم -

(١) ك : «هامة غيره ضاربها»

(٢) ط «جاز»

(٣) ط «غير»

(٤) ط «فإن فصلت»

(٥) ط «غير»

(٦) ط «واحد غيره»

لأنما أراد قَتَّى لم يَمِل^(١) بالنفس منه عن العلى إلى غيرها شيء ، بخفض «شئ»
على أن المدح هو الذى لم يَمِل بنفسه عن العلى إلى شيء غيرها ، ثم قال
«سواد مميلها» على الابتداء والخبر : أى لكن^(٢) سواد من الناس مميلها ،
فأضمر «لكن» وهذا سائق ، وأنشد سيويه :

عَلَى الْحَكَمِ الْمَأْتَى يَوْمًا إِذَا قَضَى قَضِيَّتُهُ أَنْ لَا يَجُورَ ، وَيَقْصِدُ^(٣)

قال : أراد ولكنه يقصد ، فأضمر «لكن» فلذلك رفع «يقصد» .
وعلى أنه مستعمل كثير فاش^(٤) فى كلام الناس أن يقولوا : زيد لا
يقعد عن المكارم وعمره يقعد عنها ، وأنا لا أجفوك^(٥) بكر [هو] الجافى
لك ، فيكون الكلام مستغنياً بنفسه ؛ فلا يحتاج إلى إضمار .
فإن سلم البيت من عيب اللحن لم يَسَلَمْ من عيب التعسف . ولست أعرف
بيتاً تعسف فى نظمه غير هذا [البيت] .

١٦ - ومن ردىء التجنيس وقبيحه قوله :

أَمِنَّا أَنْ تُصْرَعَ عَنْ سَمَاحٍ وَلِلْأَمَالِ فِي يَدِكَ اضْطِرَاعُ^(٦)

يقول : أَمِنَّا أَنْ يَغْلِبَكَ غَالِبٌ يَصْرَعُكَ عَنْ السَّمَاحِ وَيَمْنَعُكَ مِنْهُ ، وللاّمال
فى يدك اضطراع : أى تنافس وتغالّب وازدحام ، وقوله : «فى يدك» لأن
العطاء إليها ينسب .

(١) ط «لا يميل»

(٢) ط «أى لأن»

(٣) البيت فى كتاب سيويه شرح الشواهد (٤٣١/١) لعبد الرحمن بن أم الحكم

(٤) ط «فى الكلام أن تقول»

(٥) ط «إنما بكر»

(٦) ديوانه ٢٢٨ ، ٢ / ١٢٤٦ فى ملح إبراهيم بن المديبر

وقد جاء هذه اللفظة في موضع آخر ، فقال يصف أخلاق المدوح :
يَتَصَرَّعَنَّ لِلرَّجَاءِ دُنُوًّا أَلْ حُزْنِ وَالْوَدْقُ خَارِجٌ مِنْ خِلَالِهِ^(١)
وهي ههنا أقل قبحاً منها في البيت الأول . ولو [كان]^(٢) قال : « يتدانين
للرجاء دُنُوًّا المزن » كان أحسنَ في اللفظ . وأَوْفَقَ من أجل التجنيس ، ولكن
« يتصرعن » أؤكد في المعنى ؛ لأنه بمعنى^(٣) يتساقطن ويتطرحن ، يريد
الإسراع إلى الرجاء من غير ترفق ولا توقُّ للانحطاط والوقوع ، ليدل على
الحرص والشهوة .

وقد جاء هذه اللفظة في موضع آخر . وأوقعها موقع الذم ، فقال :
مَنْ يَتَصَرَّعُ فِي إِثْرِ مَكْرَمَةٍ فَدَابُّهُ فِي اتِّبَاعِهَا دَابُّهُ^(٤)
يريد مَنْ يتساقط^(٥) في إثر مَكْرَمَةٍ إذا سعى لطلبها ولم يكن له نهوضٌ
فيها فدأب المدوح دأبه المعروف المشهور منه ، أى : جِدُّه وَلَحَاقَهُ . وحرك
الدأب الثاني وسكن الأول ، ومعناها واحد .
ويجوز أن يكون أراد فدأبه في اتباعها : أى عادته في اتباعها دأبه ،
أى : سَعْيُهُ وَحَرَكَتُهُ ، وهو أجود .

١٧ - ومن ردى التجنيس أيضاً قوله :

حَيِّيتِ بَلْ سُقِّيتِ مِنْ مَعْهُودَةٍ عَهْدِي غَدَّتْ مَهْجُورَةٌ مَا تُعْهَدُ^(٦)

(١) ديوانه ٥٧١ ، ١٨٤٣/٣٥ « دنو النيم » وقوله

موسر من خلائق تترامى من ضروب الربيع أو أشكاله
(٢) الزيادة من ك

(٣) سقطت من ك .

(٤) ديوانه ١٩٩ « في ابتنائها »

(٥) ط « تساقط »

(٦) ديوانه ٦٨٩ وبسده :

لو كنت سامة لبعث بلوعى ولقلت : ما فعل الحسان الخرد

ويرى : «سقيت من معمورة» يخاطب الدَّمنَ ، أى : عهدى بها معمورة^(١) .

ومن رواد^(٢) : «معمودة عهدى» أى : عهدى بها معمودة^(٣) .

وقد يكون العهد^(٤) من التَّعهد . ويكون قوله : «ما تعهد» أى : قد نسيت ، وهذا يشبه^(٥) تجنيسات أبى تمام .

(١) ط «معمورة معمودة»

(٢) ط «روى»

(٣) ط و ك «معمودة ففدت معمودة ما تعهد»

(٤) ط «تعهد»

(٥) ط «وهذه شبه»

باب

في اضطراب الأوزان

وما رأيت شيئاً مما عيبَ به أبو تمام إلا وجدت في شعر البحتري مثله ،
إلا أنه في شعر أبي تمام كثير وفي شعر البحتري قليل .

فمن ذلك اضطراب الأوزان في شعر أبي تمام .

١ - وقد جاء في شعر البحتري بيتٌ هو عندي أقبح من كل ما عيب به
أبو تمام في هذا الباب ، وهو قوله :

وَلِمَاذَا تَتَّبِعُ النَّفْسُ شَيْئًا جَعَلَ اللَّهُ الْفِرْدَوْسَ مِنْهُ بَوَاءً^(١)

وكذلك وجدته في أكثر النسخ . وهذا خارج عن الوزن ، والبيت من
العروض هو البيت الأول من الخفيف [وهو] سُدَائِي [ووزنه] :

فَاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ • فَاعِلَاتُنْ^(٢) مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ

ونقطيعه :

وَلِمَاذَا • تَتَّبِعُنْ • نَفْسُشَيْئًا جَعَلَلَالَهُلْ • فِرْدَوْسِيْنْ • هُبَوَاءْ

(١) ديوانه ٤٤٤ «يجمل» وفي عبث الوليد لأبي العلاء المعري ٢٦ :

ولماذا تكره النفس شيئاً جعل الله الخلد منه بسواء

كان في النسخة : « جعل الله الفردوس منه بواء » وهو كسر ، والتغيير الذي ذكره ابن العميد : « جعل
الله الخلد منه بواء » وقد جاء أبو عباد في شعره بمثل هذا وفي غير موضع ، من ذلك قوله :

وأحق الأيام بالحسن أن يؤثر عنه يوم المهرجان الكبير

تقويمه : ذو المهرجان الكبير ، أو نحو ذلك . وهذا كسر متجانس ؛ لأنه زيادة حرفين الأول متحرك
والثاني ساكن في الوزن الذي يسمى الخفيف »

(٢) م «فاعلان . . فاعلان»

فَعِلَاتُنْ • مَفَاعِلُنْ • فَاعِلَاتُنْ^(١) • فَوِلَاتُنْ • مُسْتَفْعِلُنْ - فَعِلَاتُنْ

فحذف ألف «فاعلاتن» الأولى والثانية والأخيرة فصارت فَعِلَاتُنْ ،
وسين «مستفعلن» الأولى فصارت مَفَاعِلُنْ ، وذلك كله زحاف جائز .

وزاد في البيت سَبَبًا ، وهو حرفان : الهاء من اسم الله عز وجل ، واللام
من لفظ الفردوس ، وهو^(٢) : هل إكفاء . ولا أعرف مثل هذا البيت .

وقد رأيت في بعض النسخ : «جَعَلَ اللهُ الْخُلْدَ مِنْهُ بَوَاءً»^(٣) فإن يكن
هكذا قال فقد تخلّص من العيب ، ويكون تقطيع البيت^(٤) :

• جَعَلَلَلَا • هُلْخُلْدَ مِنْ • هُبَوَاءَ •

فاعلاتن • مستفعلن • فاعلاتن

٢- وقال البحترى :

حَلَلَاتُنَا عَنْ حَاجَةٍ مَمْنُوعٍ مُبْتَغَاهَا وَحَاجَةٍ مَمْطُولَةٍ^(٥)

وهذا من العروض هو البيت الأول من الخفيف ، وتقطيعه :

حَلَلَاتُنَا • عَنْحَاجَتَيْنِ • مَمْنُوعِنِ مُبْتَغَاهَا • وَحَاجَتَيْنِ • مَمْطُولَةٍ

فَاعِلَاتُنْ • مُسْتَفْعِلُنْ • مَفْعُولُنْ فَاعِلَاتُنْ • مَفَاعِلُنْ • مَفْعُولُنْ

وكان يجب أن تكون عروض البيت - وهى مفعولن الأولى - «فاعلاتن» ،

ولا يجوز فيها «مفعولن» ، بل لو كان البيت مُصَرَّعًا لجاز في عروضه

(١) م • فعلان •

(٢) ط • وهو إكفاء •

(٣) م • البيت من مستفعل هو افعلان وقال البحترى •

(٤) ديوانه ٤٧٥ • عن رفته في منام • وحلاتنا : أى منتعنا سعدى البخيلة بما يسأل المحب

(٥) م • منوع •

«مفعولن» كما جاز في ضربه - وهي القافية - وذلك قوله : «مخطولة» .
وأما جعله «مفاعلين» في موضع «مستفعلن» الثانية في البيت ، فذلك جائز
من الزحاف .

وقد غير قوم هذه اللفظة في البيت - وهي ممنوع - فقالوا : «بممنوع
مبتغاها» أي : حالاً لنا عن حاجة [بمانع] ^(١) منع مبتغاها من عائق أو والٍ
عليها ، ويكون «مبتغاها» في موضع نصب بممنوع ، وهو [وجه] محتمل ^(٢) .

* * *

قال أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدى :

وأنا أذكر بإذن الله الآن في هذا الجزء [أنواع] المعاني التي يتفق فيها
الطائيان : وأوازن بين معنى ومعنى ، وأقول : أيهما أشعر في ذلك المعنى
بعينه . فلا تطلبني ^(٣) أن أتعدى هذا إلى أن أفصح لك بأيهما أشعر عندي
على الإطلاق ، فإنني غير فاعل ذلك ، لأنك إن قلدتني ^(٤) لم تحصل لك
الفائدة بالتقليد .

وإن طالبت بالعلل والأسباب التي أوجبت التفضيل ، فقد أخبرتك فيما
تقدم بما أحاط به علمي من نعت مذهبيهما ، وذكر مساويهما ^(٥) في سرقة
المعاني من الناس [وانتحالها] ^(٦) ، وغلطهما في المعاني والألفاظ . و[في]
إساءة من أساء منهما في الطباق والتجنيس والاستعارة وركاءة النظم واضطراب
الوزن ، وغير ذلك مما أوضحته في مواضعه وبينته ، وما سيعود ذكره في

(١) الزيادة من ك

(٢) في ك « آخر معاني البحري »

(٣) ط « فلا تطلبني »

(٤) م « قلدتني بشئ »

(٥) ط « وذكر مطلوبيهما في سرقة معاني »

(٦) زيادة من ط

الموازنة من هذه الأنواع على ما يقوده القول وتقتضيه الحجة ، وما ستراد من محاسنها وبدائعهما وعجيب اختراعاتهما^(١) ؛ فإنني أوقع الكلام على جميع ذلك وعلى سائر أغراضهما ومعانيهما في الأشعار التي أرتبها في الأبواب ، وأنص^(٢) على الجيد وأفضله ، وعلى الرديء وأرذله ؛ وأذكر من علل الجميع ما ينتهي إليه التخليص ، وتحيط به العبارة^(٣) . ويبقى ما لا يمكن إخراجه إلى البيان ، ولا إظهاره إلى الاحتجاج ، وهو^(٤) علة ما لا يُعرف إلا بالتَّجربة وذائم التجربة وطول الملائمة . وهذا يُفضّل أهل الحداقة بكل علم وصناعة^(٥) مَنْ سِوَاهُمْ ممن نقصت تجربته^(٦) ، وقلّت دُرْبَتُهُ ، بعد أن يكون هناك طَبْع فيه تقبّل لتلك الصناعة^(٧) وامتزاج [بها] ، وإلا فلا^(٨) .

ثم أَكَلِّكَ بعد هذا إلى اختيارك ، وما تقضى عليه فطنتك وتمييزك ؛ فينبغي أن تنعم^(٩) النظر فيما يرد عليك ، ولن ينتفع بالنظر إلا من يُحسن أن يتأمل ، ومن إذا تأمل علم ، ومن إذا علم أنصَفَ .

ثم إن العلم بالشعر [قد] خُصَّ بأن يدّعيه كلُّ أحد ، وأن يتعاطاه مَنْ ليس من أهله ؛ فلم لا يدعى أحد هؤلاء المعرفة بالعين والوَرِق والخيل والسلاح والرقيق والبَزَّ والطيب وأنواعه ، ولعله قد لا بس من أمر الخيل وركوبها

(١) ط « اختراعاتهما »

(٢) ط « وأنبه . . وأفضله على الرديء وأبين الرديء وأرذله »

(٣) ط « به العناية . . . ما لم »

(٤) ط « وهي »

(٥) م « فن »

(٦) ط « قريحته »

(٧) ط « لتلك الطباع » وهو تحريف

(٨) ط « وإلا لا يتم ذلك وأكلك بعد ذلك »

(٩) ط « أن تم »

والسلاح والعلم به ^(١) ، أو الرقيق واقتنائه أو الثياب ولبسها أو الطيب واستعماله -
 أَكْثَرَ مما عاناه من أمر الشعر وروايته ؛ فلا يَتَّهَم نفسه في المعرفة بالشعر ^(٢)
 تَهْمته إياها بالمعرفة ببعض هذه الأشياء مما عاناه وزاوله ^(٣) . وما باله - وقد
 ركب الخيل كثيراً - لمَّا راقه من الفرس ملاحَةً مَسْبِيه ^(٤) ، وامْتِدَارَةً كَفَلِه ،
 وبريقُ شعره ، وحسن إشرافه [وجوده حُضْره - توقف عن ابتياعه حتى يشاور
 من يخبر ^(٥) أمره في جنسه] وعَتَقِه ^(٦) ، وموضع نتاجه ، وصحة قوائمه ، وسلامة
 أعضائه ، وبراءته من العيوب الظاهرة والباطنة .

وكذلك السيف لَمَّا بَهَّرَه جلاؤه ، وصِقَّالَه وصَفاء حديدته ^(٧) - لم
 يُخْض فيه اختياره على غيره من السيوف ، حتى ثاور مَنْ يعرف حسنه ^(٨) وطبعه
 وجوره وفِرْنَدَه ومضاءه .

وكذلك لما أعجبه من ثوب الوشي حسن طَرَزِه ^(٩) ، وكثرة صوره ،
 وبديع نقوشه ، واختلاف ^(١٠) ألوانه - لم يبادر إلى إعطاء ثمنه حتى رجع إلى أهل
 العلم بجوره وكثرة مائه وجودة رُقْعته وصحة نساخته وخلاص ^(١١) إِبْرَيْسِمِه .

(١) ط « والعلم بذلك »

(٢) سقطت من ك

(٣) ط « وتناوله »

(٤) في اللسان ٤٤٢/١ « السبيب من الفرس : شعر الذنب والعرف والناصية » وفي ك

« شيبته »

(٥) ط « يحيز »

(٦) ط « إشرافه وعتقه »

(٧) ط « حديدته » و م : « فلم يجعل في اختياره »

(٨) ك « جنسه »

(٩) م « و ك » طروحه »

(١٠) ط « واختلاط »

(١١) ك « ونخالص »

فكيف لم يفعل ذلك في الشعر لَمَّا رَاقَهُ حَسَنُ وَزَنَهُ وَقَوَّافِهِ ، ودقيق معانيه ، وما يشتمل عليه من مواظـ و أدب وحكم وأمثال^(١) ، فلم يتوقَّف عن الحكم له على ما سواه حتى يرجع إلى من هو أعلم منه بالفاظه ، واستواء نظمه ، وصحة سبكه ، ووضع الكلم منه في مواضعه ، وكثرة مائه ورؤنقه ؛ إذ كان الشعر لا يُحكم له بالجودة إلا بآن تجتمع هذه الخلال فيه ؟ !

ألا ترى أنه قد يكون فَرَسَان سَلِيَان من كل عيب ، موجودٌ فيهما سائرُ علامات العِتق والجودة والنجابة ، ويكون أحدهما أَفْضَل من الآخر بفرق لا يعلمه إلا أهلُ الخبرة والدربة الطويلة .

وكذلك الجاريتان البارعتان في الجمال ، المتقاربتان في الوصف ، السليمتان من كل عيب : قد يَفْرُق بينهما العالمُ بِأمر الرقيق ، حتى يجعل بينهما في الثمن فضلا كبيراً ، فإذا قيل له [وللنَّحَّاس] ^(٢) : من أين فضلت أنت هذه الجارية على أختها ؟ ومن أين فضلت أنت هذا القوس على صاحبه ؟ لم يقدر على عبارة توضح الفرق بينهما ، وإنما يعرفه كلُّ واحد منهما بطبعه ، وكثرة درسته ، وطول ملاسته .

وكذلك الشعر : قد يتقارب البيتان الجيدان النادران ، فيعلم أهل العلم بصناعة الشعر أيهما أجود إن كان معناه واحداً ، أو أيهما أجود في معناه إن كان معناه مختلفاً .

وقد ذكر هذا المعنى بعينه محمد بن سَلَام الجُمَحِي^(٣) وأبو علي : دِعْبِل ابن علي الخَزَاعِي ، في كتابيهما .

(١) م و ك ه لم

(٢) زيادة من ط و ك

(٣) راجع طبقات فعول الشعراء بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر ٦ - ٨

وحكى إسحاق الموصلي قال : قال لى المعتصم : أخبرنى عن معرفة النعم وببئنها لى . فقلت : إن من الأشياء أشياء تُحيط بها المعرفة ، ولا تؤدبها الصفة .

قال : وسألتى محمد الأمين عن شرعين متقاربين ، وقال : اختر أحدهما ، فاخترت ، فقال : من أين فضلت هذا على هذا وهما معقاران ؟ فقلت : لو تَفَاوُتا لَأَمَكَّنِى التَّبَيُّن ، ولكنهما تقاربا وفضلت^(١) هذا بشيء تشهد به الطبيعة ولا يعبر عنه اللسان .

وقد قيل لخلف الأحمر^(٢) : إنك لا تزال تردُّ الشيء من الشعر ، وتقول : هو ردىء ، والناس يستحسنونه !

فقال : إذا قال لك الصَّبْرُفَى : إن هذا الدرهم زائفٌ فاجهد جَهْدَكَ أَنْ تنفقه فإنه لا ينفعك قولٌ غيره : إنه جيد .

فمِنْ سَبِيل مَنْ عَرَفَ بِكَثْرَةِ النَّظَرِ فى الشعر والارتياض به وطول الملابس له - أَنْ يُقْضَى لَهُ بِالْعِلْمِ بِالشَّعْرِ والمعرفة بأغراضه^(٣) ، وَأَنْ يَسْلَمَ لَهُ الْحُكْمُ فِيهِ ، وَيُقْبَلَ مِنْهُ مَا يَقُولُهُ ، وَيَعْمَلُ عَلَى مَا يُمَثِّلُهُ^(٤) . وَلَا يُنَازَعُ فى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ؛ إِذْ كَانَ مِنَ الْوَاجِبِ أَنْ يَسْلَمَ لِأَهْلِ كُلِّ صِنَاعَةٍ صِنَاعَتَهُمْ ، وَلَا يَخَاصِمَهُمْ فِيهَا ، وَلَا يَنَازِعُهُمْ إِلَّا مَنْ كَانَ مِثْلَهُمْ نَظِيرًا^(٥) فى الْخِبْرَةِ وطول الدُّرْبَةِ والملابس^(٦) .

(١) ط « فضل »

(٢) راجع طبقات فحول الشعراء ٨

(٣) م و ك « بأغوائه » !

(٤) ط « على تمثاله »

(٥) ط « نظرا »

(٦) ط « فإنه »

وإنه ليس في وُسْع كل أحدٍ [منهم] ^(١) أن يجعلك أيها السائل المتعنت أو المسترشد المتعلم في العلم بصناعته كنفسه ، ولا يجد إلى قذف ذلك في نفسك ولا في نفس ولده أو مَنْ هو أخص الناس به سبيلاً ، ولا أن يأتيك بعلقة قاطعة ، ولا حجة باهرة ، وإن كان ما اعترضت به اعتراضاً صحيحاً ، وما سألت عنه سؤالاً مستقيماً ؛ لأن ما لا يدرك إلا على طول الزمان ومرور الأيام ، لا يجوز أن يحيط . [محيط] به في ساعة من نهار .

ثم إن العلم بالذي لا يُعلم ^(٢) في أكثر أحواله إلا بالرؤية والمشاهدة ^(٣) لا يعرف حق المعرفة بالقول ^(٤) والصفة ، وقد قيل : ليس الخبر كالمعاينة . وعلّة ذلك بيّنة واضحة ، ومعلومة ^(٥) ظاهرة ، وهى : أنه لا يمكنه أن يشاهد بك ^(٦) جميع المعلومات التي اختبرها ^(٧) وعلم علمه [منها] بملاستها في السنين الطويلة . فمن المحال أن يقدر [على أن يصور لك عشرة آلاف فرس أو] أن يصف لك عشرة آلاف جارية أو عشرة آلاف سيف مختلفات الأجناس والجواهر [والأوصاف] فيجعلك مشاهداً لذلك كله في لحظة واحدة ووقت واحد ، ومُخبراً ^(٨) لك بكل علة وكل حجة وكل نعت وصفة في كل نوع من ذلك وكل جنس في تلك الساعة ، وهو إنما علّم ذلك على مرور

(١) الزيادة من ك

(٢) ط « الذي لا يعلم به »

(٣) ط « والمشاهدة »

(٤) م « في الصفة »

(٥) ط « ومعلوم ظاهره أنه لا يمكن »

(٦) م « كل جميع »

(٧) ط « التي احتواها »

(٨) م و ك « ومخبراً لك كل »

الأيام وطول الزمان ، وهذا محال^(١) لا يمكن ولا يسوغ ولا يقدر عليه [أحد]^(٢) إلا خالق الخلق وبارئ البشر .

وبعد : فلم لا تصدق نفسك أيها المدعى ، وتعرفنا من أين طرأ عليك [العلم]^(٣) بالشعر ؟ أمن أجل أن عندك خزانة كتب تشتمل على عدة من دواوين الشعراء^(٤) ؟ وأنتك ربما قلبت ذلك وتصفحته أو حفظت القصيدة والخمسين منه ؟

فإن كان ذلك هو الذى قَوَّى ظنك ، ومَكَّن ثقتك بمعرفتك ، فلم لا تدعى المعرفة بشيَاب بدنك ورجل^(٥) بيتك ونفقتك ؟ فإنك دائماً^(٦) تستعمل ذلك وتستمتع به ، ولا تخلو من ملابسته ، كما تخلو فى كثير من الأوقات من ملابسة الشعر ودراسته^(٧) ، حتى إذا رُمْتَ تصريف دينار بدراهم أو تصريف دراهم بدنانير أو ابتياع ثوب أو شيء من الآلة - لم تثق بفهمك ولا علمك حتى ترجع إلى من يعرف ذلك دونك فتستعين به على حاجتك ، ولم لَمَّا خِضَتْ الغَبِيْنَةُ فى مالك فأذعنت وسلَّمت وأقررت بقلَّة المعرفة - لم^(٨) تخش الغبينة والوكس فى عقلك فتسلَّم العلم بالشعر إلى أهله ؟ فإن الضرر فى غَبْن العقل أعظم من الضرر فى غبن المال .

فإن قلت : وما العلم بالخيال والبزُّ والرقيق والذهب والفضة التى لم

(١) ط « محال »

(٢) الزيادة من ك

(٣) م « عليك العلم والشعر . . . أن عنى »

(٤) ط « وأنت . . . أو صفته »

(٥) م « ورجل » ويعنى برجل منزله : أئامه

(٦) ط « ونفقتك . . . دأباً »

(٧) فى ط « ودراسة وإنشاده »

(٨) ط « ولم »

يُطَبِّع الإنسان على المعرفة بها والعلم بجيدها ورديتها كما يُطَبِّع على الكلام ؛ فكان كل أحد [يكون] متكلماً ، وليس كل أحد صيرفياً ولا بزازاً ولا نَحَاساً ؟

قيل : ولا كل أحد يكون شاعراً ، ولا خطيباً ، ولا في منطقته بارعاً ولا بليغاً^(١) ولو كان ذلك كذلك لما رأيت أحداً يتكلم [فيستحسن كلامه ولا يستعاد^(٢)] ، وآخر يتكلم [فيُضْحَك منه ، فالإنسان المتكلم يعلم معاني ألفاظ لغته ، ولا يعلم جيدها من رديتها [ومتخبرها من مردولها^(٣)] ، كما أنه يعلم أيضاً أنواع الثياب والجواهر والخيال والرقيق ، ويميز بين أجناسها ، ولا يعلم جيد كل جنس^(٤) من رديته ، وأرفعه من أدونه^(٥) . فكما أن المعرفة بكل جنس من هذه صناعة ، فكذلك المعرفة بأجناس الكلام^(٦) [من الشعر] والخطابة صناعة . فإذا رجعت في^(٧) المعرفة بتلك إلى أهلها فارجع أيضاً [في المعرفة] بهذه إلى أهلها .

وبعد : فإني أدلك على ما^(٨) يَنْتَهِي بك إلى البصيرة والعلم بأمر نفسك في معرفتك بهذه^(٩) الصناعة أو الجهل بها ، وهو أن تنظر ما أجمع عليه الأئمة في علم الشعر من تفضيل بعض الشعراء على بعض ، فإن عَرَفْتَ علَّة

(١) ط « ولا منطقياً بليغاً ولا بارعاً »

(٢) ك « ولا يستفاد »

(٣) زيادة من ط و ك

(٤) م « كل نفس »

(٥) ط « دونه »

(٦) م « بكل أجناس الكلام والحكاية » ! و ط « بكل جنس من أجناس الكلام »

(٧) م « إلى »

(٨) ط « ما تنتهي إليه البصيرة »

(٩) ط « بأمر هذه »

ذلك فقد علمت ، وإن لم تعرفها فقد جهلت ، وذلك أن تتأمل شعر أوس
ابن حجر والنابعة الجعدى ؛ فتنظر من أين فَضَّلُوا أَوْسًا ، وتنظر في شعرى^(١)
بشر بن أبي خازم وعم بن أبي بن مُقِيل ، فتنظر من أين فَضَّلُوا بشرًا^(٢) .
وأخبرني بعضُ الشيوخ عن أبي العباس ثعلب عن ابن الأعرابي عن الفضل :
أن سائلاً سألَه عن الراعى وذى الرِّمَّة أيهما أشعر ؟ فصاح عليه صَيْحَةً منكورة :
أى لا يقاس ذو الرمة بالراعى ، وكذلك غَيْرُ الفضل لا يقيسه به ولا يقارب
بينهما .

فتأمل أيضاً شعرى هذين^(٣) فانظر من أين وقع [تفضيل الراعى أو
غير هؤلاء من شاعرين أجمع على تفضيل أحدهما على الآخر فينظر من
أين وقع] ^(٤) التفضيل .

فهذا الباب أقرب الأشياء لك إلى أن تعلم حالك في العلم بالشعر ونقده .
فإن علمت من ذلك ما علموه ، ولاحت^(٥) لك الطريقُ التى بها قَدَّمُوا من
قَدَّمُوهُ وَأَخَّرُوا من أَخَّرُوهُ ؛ فَثِقْ حينئذ بنفسك ، واحكم يسمع^(٦) حكمتك .
وإن لم ينته بك التأمل إلى علم ذلك فاعلم أنك بمَعَزَلٍ عن الصناعة .
ثم إن كنت شاعراً فلا تظهر^(٧) شعرك ، واكتمه كما تكتم سرك .
فإن قلت : إنه^(٨) قد انتهى بك التأمل إلى علم ما علموه - لم يقبل

(١) ط « في شعر كثير بن [عبد الرحمن و] بشر »

(٢) ط « كثيرا »

(٣) م « هذين تفضيل الراعى ، أو غير هؤلاء من شاعرين أجمع على تفضيل أحدهما على الآخر
فتنظر من أين »

(٤) الزيادة من ك

(٥) ط « ولاح »

(٦) ط « يسمع »

(٧) ط « فلا تظهر »

(٨) ط « إنك »

ذلك منك حتى تذكر العلل والأسباب ، فإن لم تقدر على تلخيص العبارة عن ذلك فحتى تعلم شواهد^(١) من فهمك ، ودلائله من اختياراتك وتمييزك بين الجيد والردى .

ثم إنى أقول بعد ذلك : لعلك - أكرمك الله - اغتررت بأن شارفت شيئاً من تقسيمات المنطق ، أو جملاً^(٢) من الكلام والجدل . أو علمت أبواباً من الحلال والحرام ، أو حفظت صدرًا من اللغة ، أو اطلعت على بعض مقاييس العربية ، وأنت لما أخذت بطرف نوع من هذه الأنواع بمُعانة ومزاولة وتُصِلِ عناية فتوجهت^(٣) فيه ومهرت - ظننت أن كل ما لم تلابسه من العلوم ولم تزاوله يجرى ذلك المجرى . وأنت متى تعرضت له وأمررت^(٤) قريحتك عليه نفذت فيه ، وكشفت [لك] عن معانيه . هيهات ! لقد ظننت باطلاً ، ورمت عسيراً ؛ لأن العلم - [من] أى نوع كان - لا يدركه طالبه إلا بالانقطاع إليه ، والإكباب عليه ، والجد فيه ، والحرص على معرفة أسرارهِ وغوامضهِ .

ثم قد يتأنى جنس من العلوم لطالبه ويتسهل^(٥) ، ويمتنع عليه جنس آخر ويتعذر : لأن كل امرئ إنما ييسر^(٦) له ما فى طينته قبوله ، وما فى طباعه تعلمه .

فينبغي - أصلحك الله - أن تقفَ حيث وقف بك ، وتقنع بما قسم لك ، ولا تتعدى إلى ما ليس من شأنك ولا من صناعتك .

(١) ط « شواهد ذلك . . . ودليله »

(٢) ط « وجملاً . . . والجدال »

(٣) ط « فتوجهت . . . وميزت »

(٤) م « وأبرزت »

(٥) ط « ويسهل » .

(٦) ط « يتيسر له ما فى طبعه قبوله وما فى طاقته تعلمه »

باب في فضل أبي تمام

وجدتُ أهل النُصْفَةِ^(١) من أصحاب البحري ، وَمَنْ يُقَدِّم مطبوع الشعر دون متكلِّفه - لا يَذْفَعُونَ أبا تمام عن لطيف المعاني ودقيقها ، والإبداع والإغراب فيها ، والاستنباط لها ، ويقولون : إنه وإن اختلفَ في بعض ما يورده [منها] فإن الذي يوجد فيها من النادر المستحسن أكثر [مما يوجد من السخيف المسترذل ، وإن اهتمامه بمعانيه أكثر]^(٢) من اهتمامه بتقويم ألفاظه ، على شدة^(٣) غرامه بالطباق والتجنيس والمائلة ، وإنه إذا لاح له أخرجه بأي لفظ استوى من ضعيف أو قوى .

وهذا من أعدل^(٤) ما سمعته [من القول] فيه .
وإذا كان هذا هكذا فقد سلموا له الشيء الذي هو ضالة الشعراء وطلبتهم ، وهو لطيف المعاني .

وبهذه الخلطة دون ما سواها فُضِّل امرؤ القيس ؛ لأن الذي في شعره - من دقيق المعاني وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحكمة - فوق^(٥) ما في أشعار سائر الشعراء من الجاهلية والإسلام ، حتى إنه لا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من أن تشتمل من ذلك على نوع أو أنواع ، ولولا لطيف المعاني

(١) ط « أهل البصرة » !

(٢) زيادة من ط ، ك

(٣) ط « على كثرة »

(٤) ط « أعدل كلام سمته »

(٥) ط « ما استعار سائر » !

واجتهاد امرئ القيس فيها وإقباله عليها^(١) - لما تقدم على غيره ، ولكن كسائر الشعراء^(٢) [من] أهل زمانه : إذ ليست له فصاحة توصف بالزيادة على فصاحتهم ، ولا لألفاظه من الجزالة والقوة ما ليس لألفاظهم .

ألا ترى أن العلماء بالشعر إنما احتجوا في تقديمه بأن قالوا : هو أول من شبه الخيل بالعصى ، وبالوحش^(٣) والطير ، وأول من قال : « قَيْدُ الأَوْبَدِ » وأول من قال كذا ، وقال كذا ، فهل هذا التقديم له إلا^(٤) من أجل معانيه ؟ وقالوا : وإذا^(٥) كان قد اضطرب لفظ أبي تمام واختل في بعض المواضع ، فهل خلا من ذلك شاعر قديم أو محدث ؟

هذا الأعشى يختل^(٦) لفظه كثيراً ، ويُسْفِسُ دائماً ، ويرق ويضعف ، ولم يجهلوا حقه وفضله حتى جعلوه نظيراً للنابعة ، وألفاظ النابعة في الغاية من البراعة والحسن ، وعديلاً لزهير الذي صرّف اهتمامه كله إلى تهذيب ألفاظه وتقويمها ، وألحقوه بامرئ القيس الذي جمع الفضيلتين ؛ فجعلوهم طبقة ، وصار فضل كل واحد من غير الوجه الذي فضل منه^(٧) صاحبه .

ولو أن أبا تمام حتى^(٨) يخلو من كل لفظ جيد البتة ، أو لو أنه قال بالفارسية أو الهندية :

(١) م « فيها » و ك « وإقباله قبلها »

(٢) ط « شعراء »

(٣) ط « وذكر الوحش »

(٤) ط « إلا لأجل »

(٥) م و ك « وإذا يكون إذا اضطرب »

(٦) ط « يحيل »

(٧) م و ك « به »

(٨) ط « حتى » فضل !

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أُنَاحَ لَهَا لِسَانٌ حُسُودٌ^(١)
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيهَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرِفُ طَيْبُ عُرْفِ الْعُرْدِ^(٢)

أو قال :

هِيَ الْبَدْرُ يُغْنِيهَا تَوَدُّدٌ وَجْهَهَا إِلَى كُلِّ مَنْ لَاقَتْ وَإِنْ لَمْ تَوَدِّدِ^(٣)
أو ما أشبه هذا من بدائعه حتى يفسر^(٤) لنا [ذلك] مفسر بكلام عربي
منثور ، أما كان يكون هذا شاعراً محسناً يثابر شعراء زمانه من أهل اللغة
العربية على طلب شعره وتفسيره واستعارة معانيه ؟ فكيف وبدائعه مشهورة^(٥) ،
ومحاضنه متداولة ، ولم يأت إلا بأبلغ لفظ. وأحسن سبك ؟

(١) سبقا ص ١٣٨ ، ٣٢٤

(٢) ط « فضل حرف »

(٣) ديوانه ١٠٠ وشرح التبريزي ٢ / ٢٣ « تودد وجهها : حسنة ، وأن كل أحد يحبه »

وفي م « يغنيها تبدد »

(٤) ط « يفسره لي محنا باعشا »

(٥) ط م و لك « المشهورة . . المتداولة »

باب في فضل البحترى

وجدت أكثر أصحاب أبي تمام لا يدفعون^(١) البحترى عن حلو اللفظ ،
وجودة الرصف^(٢) ، وحسن الديباجة ، وكثرة الماء ؛ وأنه^(٣) أقرب مأخذاً ،
وأسلم طريقاً من أبي تمام ، ويحكمون^(٤) - مع هذا - بأن أبا تمام أشعر منه .

وقد شاهدت وخاطبت منهم على ذلك عدداً كثيراً .
وهذا^(٥) مذهب من جُل ما يراعيه من أمر الشعر دقيق المعاني ، ودقيق
المعاني موجود في^(٦) كل أمة ، و [في] كل لغة .

وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حُسن النَّاتِي ، وقرب المأخذ ، واختيار
الكلام^(٧) ، ووضع الألفاظ في مواضعها^(٨) ، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد
فيه المستعمل في مثله ، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت
له وغير منافرة^(٩) لمعاد ؛ فإن الكلام لا يكتسى البهاء والروائق إلا إذا كان
بهذا الوصف ، وتلك طريقة البحترى .

(١) م « لا يدفع »

(٢) ط « الوصف »

(٣) ط « فإنه »

(٤) ك « ثم يحكمون »

(٥) ط « وهذا رجل ما يراعيه ! »

(٦) ط « في كلامه »

(٧) م و ك « الكلم »

(٨) م « وإن لم يورد »

(٩) ك : « نافرة »

قالوا : وهذا أصل يحتاج إليه الشاعر والخطيب صاحب النثر ؛ لأن الشعر أجوده أبلغه ، والبلاغة إنما هي إصابة المعنى وإدراك الغرض بالفاظ سهلة عذبة مستعملة سليمة من التكلف [كافية] ، لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة ، ولا تنقص نقصاناً يقف دون الغاية ، وذلك كما قال البحري :

والشعر لمُحْ تكفى إشارتهُ وليس بالهذر طوَلت خطبتهُ^(١)

وكما قال أيضاً :

ومعانٍ لو فصلتها القوافي هجنت شِعْرَ جرولٍ وليدٍ^(٢)
حزنٌ مُستعملُ الكلامِ اختياراً وتجنبن ظلمةَ التعقيدِ
ورسبين اللفظَ القريبَ فأدرَكْ ن به غايةَ المرادِ البعيدِ

فإن اتفق - مع هذا - معنى لطيف ، أو حكمة غريبة ، أو أدب حسن ؛ فذاك^(٣) زائد في بهاء الكلام ، وإن لم يتفق فقد قام الكلام بنفسه ، واستغنى عما سواه .

قالوا : وإذا كانت طريقة الشاعر غير هذه الطريقة ، وكانت عبارته مقصورة عنها ، ولسانه غير مدركٍ لها حتى^(٤) يعتمد دقيق المعاني من فلسفة يونان أو حكمة^(٥) الهند أو أدب الفرس ، ويكون أكثر ما يورده منها بالفاظ متعسفة ونسج مضطرب ، وإن اتفق في تضاعيف ذلك شيء من

(١) ديوانه ٢٠٥ ، ١ / ٢٠٩ معارف

(٢) ديوانه ٦٩٤ في ملح كتابة محمد بن عبد الملك الزيات . وجرول : اسم الحليئة وفي ط « اللفظ القريب . . . غاية المرام . والغريب . . . غاية المرام » والغريب تعريف يحمل المدح قدحا

(٣) ط « فذلك »

(٤) ط « مدرك لما يعتمد »

(٥) ك : « حكم » . . . « أو آداب »

صحيح الوصف وسليم النظر^(١) - قلنا له : قد جئت بحكمة وفلسفة ومعان لطيفة حسنة ، فإن شئت دعوناك حكيمًا ، أو سميناك فيلسوفًا ، ولكن لا نسميك شاعرًا ، ولا ندعوك بليغًا ؛ لأن طريقتك ليست على طريقة العرب ، ولا على مذاهبيهم ، فإن سميناك بذلك لم نلحقك بدرجة البلغاء ولا المحسنين الفصحاء .

وينبغي أن تعلم أن سوء التأليف ورداعة^(٢) اللفظ. يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ويعميّه حتى يحوج^(٣) مستمعه إلى [طول] تأمل ، وهذا مذهب أبي تمام في عظم شعره .

وحسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء وحسنًا وروْنًا حتى كأنه قد أحدث فيه غرابة لم تكن ، وزيادة^(٤) لم تعهد ، وذلك مذهب البحترى ، ولهذا^(٥) قال الناس : لشعره ديباجة ، ولم يقولوا ذلك في شعر أبي تمام .

وإذا جاء لطيف المعاني في غير بلاغة^(٦) ولا سبك جيد ولا لفظ حسن ، كان ذلك مثل الطراز الجيد على الثوب المخلّق ، أو نقش^(٧) العبير على خدّ الجارية القبيحة الوجه .

• • •

وأنا أجمع لك معاني هذا الباب في كلمات سمعتها من شيوخ أهل العلم

(١) ط « الوصف وسليمه » وفي ك : « وسليم النظم »

(٢) ط « وردية »

(٣) ط « يحتاج »

(٤) م « وثارة »

(٥) ط « ولذلك »

(٦) ط « غرابة » !

(٧) ط « أو نقش » ولست أدري كيف ينفخ العبير أو ينقل على خدها ؟

بالشعر : زعموا أن صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا تجود وتستحكم إلا بأربعة أشياء [وهي] : جودة الآلة ، وإصابة الغرض المقصود ، وصحة التأليف ، والانتهاء إلى تمام^(١) الصنعة من غير نقص فيها ولا زيادة عليها .

وهذه الخلال الأربع ليست في الصناعات وحدها ، بل هي موجودة في جميع الحيوان والنبات .

ذكرت الأوائل أن كل مُحَدَّث مصنوع يحتاج^(٢) إلى أربعة أشياء : علة هيولانية وهي الأصل ، وعلة صورية ، وعلة فاعلة ، وعلة تمامية .

فأما الهيولانية^(٣) فإنهم يعنون : الطينة التي يبتدعها الباري جل جلاله ويخترعها ليصور ما شاء تصويره [منها] من رجل أو فرس أو جمل أو غيرها من الحيوان ، أو بُرَّة^(٤) أو كَرْمَة أو نخلة أو سِدْرَة أو غيرها من سائر أنواع النبات .

[والعلة الصورية : هي المعنى الذي يقصد الباري - جل جلاله - تصويره من رجل]^(٥) .

والعلة التامة هي^(٦) : أن يُتِمَّها تبارك اسمه ويفرغ من تصويرها من غير انتقاص منها .

(١) ط « إلى نهاية . . . نقص منها

(٢) ط « محتاج »

(٣) ط « الهيولى »

(٤) في اللسان ٥ / ١٢٠ « قال ابن دريد : البر أنصح من قولهم : القمح والحنطة ،

واحدته برة »

(٥) الزيادة من ك

(٦) ط « هو »

وكذلك الصانع المخلوق في مصنوعاته التي علّمه الله عز وجل إياها : لا تستقيم له وتَجُود إلا بهذه الأشياء الأربعة ؛ وهي :

آلة يستجدها ويتخيرها مثل خشب النجار ، وفضة الصائغ ، وآجر البناء ، وألفاظ الشاعر والخطيب ، وهذه هي العلة الهيولانية التي قدموا ذكرها وجعلوها الأصل .

ثم إصابة الغرض فيما يقصد^(١) الصانع صَنَعَتَهُ ، وهي العلة الصورية التي ذكرها^(٢) .

ثم صحة التأليف حتى لا يقع فيه خلل ولا اضطراب ، وهي العلة الفاعلة . ثم أن ينتهي الصانع إلى تمام صنعته من غير نقص منها ولا زيادة عليها ، وهي العلة التامة .

فهذا قول جامع لكل الصناعات [و] المخلوقات .

• • •

فإن اتفق الآن لكل صانع بعد هذه الدعائم الأربع أن يُحْدِثَ في صنعته معنى لطيفاً مستغرباً كما قلنا في الشعر من حيث لا يخرج عن الغرض - فذلك زائد في حُسْنِ صنعته وجودها ، وإلا فالصنعة قائمة بنفسها مستغنية عما سواها .

وقد ذكر بزرجمهر فضائل الكلام وردائله ، وبعض ذلك داخل^(٣) في الشعر ، فقال : إن فضائل الكلام خَمْسٌ إن نقصت^(٤) منها فضيلة واحدة

(١) ط « فيها يقصد » !

(٢) ط « ذكرتها » !

(٣) ط « دليل » !

(٤) ط « لو نقص »

مَقْطَعُ فَضْلٍ سَائِرُهَا ، وَهِيَ : أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ صَدَقًا ، وَأَنْ يُوَقَعَ مَوْقِعُ الْإِنْتِفَاعِ بِهِ ، وَأَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ فِي حِينِهِ ، وَأَنْ يَحْسِنَ تَأْلِيفَهُ ، وَأَنْ يَسْتَعْمَلَ مِنْهُ مَقْدَارَ الْحَاجَةِ .

قال : وَرِثَائِهِ بِالضَّدِّ [مِنْ ذَلِكَ] ؛ فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ صَدَقًا وَلَمْ يُوَقَعَ مَوْقِعُ الْإِنْتِفَاعِ بِهِ بَطَلَ فَضْلُ الصَّدَقِ مِنْهُ .

وإِنْ كَانَ صَدَقًا وَأُوَقَعَ مَوْقِعُ الْإِنْتِفَاعِ بِهِ [وَلَمْ يَتَكَلَّمَ بِهِ فِي حِينِهِ - لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ الصَّدَقُ وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ .

وإِنْ كَانَ صَدَقًا وَأُوَقَعَ مَوْقِعُ الْإِنْتِفَاعِ بِهِ [وَتَكَلَّمَ بِهِ] فِي حِينِهِ وَلَمْ يَحْسِنِ تَأْلِيفَهُ - لَمْ يَسْتَقِرَّ فِي قَلْبِ مُسْتَمْعِهِ ، وَبَطَلَ فَضْلُ الْخِلَالِ الثَّلَاثِ مِنْهُ .

وإِنْ كَانَ صَدَقًا وَأُوَقَعَ مَوْقِعُ الْإِنْتِفَاعِ بِهِ وَتَكَلَّمَ بِهِ فِي حِينِهِ وَأَحْسِنَ تَأْلِيفَهُ ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ مِنْهُ فَوْقَ الْحَاجَةِ - خَرَجَ إِلَى الْهَذَرِ ، أَوْ نَقَصَ عَنِ الْإِتْمَامِ - صَارَ مَبْتُورًا وَسَقَطَ مِنْهُ فَضْلُ الْخِلَالِ كُلِّهَا .

وهذا إِنْمَا أَرَادَ بِهِ بُزْرُجْمَهَرُ الْكَلَامِ الْمُنْشُورِ الَّذِي يَخَاطَبُ بِهِ الْمَلُوكَ ، وَيَقْدِّمُهُ الْمُتَكَلِّمُ أَمَامَ حَاجَتِهِ ، وَالشَّاعِرُ لَا يَطَالِبُ بِأَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ صَدَقًا ، وَلَا أَنْ يُوَقَعَ مَوْقِعُ الْإِنْتِفَاعِ بِهِ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَقْصِدُ إِلَى أَنْ ^(١) يُوَقَعَ مَوْقِعُ الْفَضْرِ ، وَلَا أَنْ يَجْعَلَ لَهُ وَقْتًا دُونَ وَقْتٍ ، وَبَقِيَّتَ الْخِلَتَانِ الْآخَرَيَانِ [وَهُمَا] وَاجِبَتَانِ فِي شَعْرِ كُلِّ شَاعِرٍ . [وَذَلِكَ] : أَنْ يَحْسِنَ تَأْلِيفَهُ ، وَلَا يَزِيدَ فِيهِ شَيْئًا عَلَى قَدَرِ حَاجَتِهِ .

فَصَحَةُ التَّأْلِيفِ فِي الشَّعْرِ وَفِي كُلِّ صِنَاعَةٍ هِيَ أَقْوَى دَعَائِمُهُ بَعْدَ صِحَّةِ

(١) ط و إل أنه ،

المعنى ، فكل من^(١) كان أصحَّ تأليفاً كان أقوم بتلك الصناعة ممن^(٢) اضطرب تأليفه^(٣) .

وقد انتهيت الآن إلى المُوازنة [بينهما]^(٤) ، وكان الأحسن أن أوازن بين البيتين أو القطعتين إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإغراب القافية ، ولكن هذا لا يكاد يتفق مع اتفاق المعاني التي إليها المقصد ، وهي المرمى والغرض ، وبالله أستعين على مجاهدة النفس ، ومخالفة الهوى ، وترك التحامل ، فإنه جلّ اسمه حسبي ونعم الوكيل^(٥) .

وأذا أبتدئُ بإذن الله من ذلك بما افتتحا به القول : من ذكر الوقوف على الديار والآثار ، ووصف الدّمن والأطلال ، والسلام عليها ، وتعزية الدهور والأزمان والرياح والأمطار إياها ، والدعاء بالسُّقيا لها والبكاء فيها ، وذكر استعجابها عن جواب سائلها ، وما يَخْلُف قَطينها الذين كانوا حُلُولاً بها من الوحش ، وفي تعنيف الأصحاب^(٦) ولومهم على الوقوف عليها ، ونحو هذا مما يتصل به من أوصافها ونعوتها ، وأقدّم من ذلك [ذكر] ابتداءات قصائدهما^(٧) في هذه المعاني ، إن شاء الله .

(١) ط « وكلما كان »

(٢) ط « بما »

(٣) في ط بعد ذلك : « والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً »

(٤) الزيادة من ك

(٥) هذا آخر ما نسخته ك

(٦) ط « الصحابة . . . بها »

(٧) ط « قصائدهم »

الابتداءاتُ بذكر الوقوف على الديار

١- قال أبو تمام :

مَا فِي وَقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسٍ نَقَضِي ذِمَامَ الْأَرْبَعِ الْأُدْرَاسِ^(١)

وهذا ابتداء جيد بالغ^(٢) .

وقوله : «الأُدْرَاس» جمع دارس ، وقَلَمًا^(٣) يُجْمَعُ فاعل على أفعال ،

ومنه^(٤) : شاهد وأشهاد ، وماجد وأمجاد ، وصاحب وأصحاب .

٢- وقال أيضاً :

قِفُوا جَدُّدُوا مِنْ عَهْدِكُمْ بِالْمَعَاهِدِ وَإِنْ هِيَ لَمْ تَسْمَعْ لِنِشْدَانٍ نَاشِدٍ^(٥)

أراد^(٦) لنشيدان الناشد الذي يقول : أين أهْلُكَ يا دارُ ؟ كما ينشد

الناشد الضَّالَّة إذا طلبها .

٣- وقال أيضاً :

قِفْ بِالطُّلُولِ الدَّارَسَاتِ عُلَاثًا أَضْحَتْ جِبَالُ قَطِينِهِنَّ رِثَاثًا^(٧)

علاثة : اسم صاحبه ، أراد قف يا علاثة .

وهذان ابتداءان صالحان .

(١) ديوانه ١٧٢ وشرح التبريزي ٢٤٢/٢

(٢) ط « صالح »

(٣) ط « وقليل ما »

(٤) ط « وشله » وفي شرح التبريزي : « والأُدْرَاس إن جعل جمع دارس فهو مثل شاهد وأشهاد

وصاحب وأصحاب ، وإن جعل جمع دريس فهو مثل يتيم وأيتام وشریف وأشراف »

(٥) ديوانه ١١٦ وشرح التبريزي ٦٨/٢ وفي م « لنشوان » وهو تحريف

(٦) م « أراد أن ينشد »

(٧) ديوانه ٦٣ وشرح التبريزي ٣١٤/١ والقطلين : أهل اندار . والرثاثة جمع رث وهو البال

٤- وقال أيضاً :

قِفْ نُوبَنْ كِنَاسَ ذَاكَ الْغَزَالِ إِنَّ فِيهَا لَمَسْرَحاً لِلْمَقَالِ^(١) .

التأبين : مدح الهالك ، والكِناس هنا : الربيع ، وإنما يريد الخيمة أو البيت من بيوتهم ، سماء كناساً لأنه جعل المرأة غزالاً : أى قِف بنا ننديه فإن المقال يتسع فيه .

وهذا أيضاً بيتٌ جيد ومعنى حسن مستقيم .

٥- وقال :

لَيْسَ الْوُقُوفُ بِكَفٍّ شَوْكَكَ فَانْزِلِ وَأَبْلُلْ غَلِيلَكَ بِالْمَدَامِعِ يُبْلِلُ^(٢)

وهذا معنى ظريف ، وقد جاء مثله في الشعر ، قال الأصم الباهلي - واسمه عبد الله بن الحجاج^(٣) - ولا أعرف غيره ، وأظن أبا تمام عثر به واحتذى عليه ، لأنه كان مولعاً بغرائب الألفاظ والمعاني :

أَتَنْزِلُ الْيَوْمَ بِالْأَطْلَالِ أَمْ تَقِفُ لَا بَلْ قِفِ الْعَيْسَ حَتَّى يَمْضِيَ السَّلَفُ

السلف : المتقدمون ، وإنما قال ذلك لأن الوقوف على الديار إنما هو وقوف المطى ، ولا يكادون يذكرون نزولاً .

وأنشد منشد قول كثير وهو^(٤) يسمع :

وَقَضَيْنَ مَا قَضَيْنَ ثُمَّ تَرَكْنِي بِفَيْفَا خُرَيْمٍ قَاعِدَا أَتْلَدُ^(٥)

(١) ط « هذا الغزال »

(٢) ديوانه ٢٣٣ « غليلا بالدموع فيبلل » وفي شرح التبريزي ٢ / ٣٢ « بكف شوك . . . تبلل فيبلل » يقول : شوك يعظم أن يكون وقوفك كفواً له ، فانزل بمطيتك في هذا الربيع ، لأنه يستحق أن ينزل فيه « وفي م » فانزل ذلك غليلا « وهو تحريف

(٣) في المؤلف والمختلف ٤٤ « . . . شاعر غيبث إسلامي ، له قصائد يهجو فيها الفرزدق »

(٤) ط « وكثير »

(٥) ديوانه ١١٤/١ ومعجم ما استمع ١٠٣٨ / ٣ « وأزمن بيتاً عاجلاً وتركني . . . قائماً

أتلد « وفيفا خريم : اسم مكان . وفي م « بهيفا »

فقال كثير : [أنا] ^(١) ما قلت كذا ، أتراني قاعدًا أصنع ماذا ؟ قيل :
فجالسًا ؟ قال : ولا هذا ! أجالسًا كنت أُول ، قيل : فما قلت ؟ قال :
واقفًا . يريد واقفًا على مطيته ، فهذا هو المعروف من عاداتهم .

وقد قال كثير :

خَلِيلِي هَذَا رَسْمُ عَزَّةٍ فَأَعْقِلًا قَلُوصِيكُمَا ثُمَّ ابْكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ ^(٢)
وَالْقُلُوصُ لَا يَعْقِلُهَا رَاكِبُهَا إِلَّا إِذَا نَزَلَ عَنْهَا ، وَالْعَقْلُ فَوْقَ الرُّكْبَةِ .

١- وقال البحتري :

مَا عَلَى الرُّكْبِ مِنْ وَقُوفِ الرُّكَّابِ فِي مَعَانِي الصَّبَا وَرَسْمِ التَّصَابِي ^(٣)
التصابي : التفاعل من صَبَا يَصْبُو إذا اشتاق ، وإذا فَعَلَ فَعَلَ الصبي .

٢- وقال أيضاً :

ذَاكَ وَادِي الْأَرَاكِ فَاحْيَسْ قَلِيلًا مُقْصِرًا مِنْ مَلَامَتِي أَوْ مُطِيلًا ^(٤)
[وهذان ابتدآن في غاية الجودة] ^(٥) .

٣- وقال :

قَفِ الْعَيْسَ قَدْ أَذْنَى خُطَاهَا كَلَالُهَا وَسَلْ دَارَ سُعْدَى إِنَّ شِفَاكَ سُوءُهَا ^(٦)
وهذا لفظ حسن ، ومعنى ليس بالجيد ، لأنه قال : « [قد] أذنى خطاها

(١) زيادة في ط

(٢) في ديوانه ٣٦/١ وط : « هذا ربع »

(٣) ديوانه ٦٢ هـ ٨٣/١ د معارف القول الفائق ٨ ظ

(٤) ديوانه ٦٨٦ هـ « من صباة » وفي ط « عن »

(٥) زيادة من ط

(٦) سبق في أخطاء البحتري ص ٣٧٩ .

كلالها « أى : قاربَ من خطوها الكلالُ ، وهذا كأنه لم يقف لسؤال الديار
التي تعرّض لأن يشفيه ، وإنما وقف لإعياء المطى .

والجيد قولُ عنترة :

فَوَقَفْتُ فِيهَا نَاقَتِي وَكَانَتْهَا فَدَنْ لِقَضَى حَاجَةَ الْمُتَلَوِّمِ^(١)

فإنه لما أراد ذكر الوقوف احتاط بأن شبه ناقته بالقدن ، وهو القصير ،
ليُعلم أنه لم يقفها ليريحها .

وقد كشف ذو الرمة هذا المعنى وأحسن فيه وأجاد ، فقال :

أَنخْتُ بِهَا الْوَجْنَاءَ لَا مِنْ سَامَةٍ لِثِنْتَيْنِ بَيْنَ جَاءٍ وَذَاهِبٍ^(٢)

يقول : أنختها لأصلى^(٣) ، لا من سامة ، كذا فسروه . وقوله « لثنتين »
يعنى [ركعتى العصر] اللتين يقصرهما المسافر « بين اثنتين جاء » يريد
الليل « وذاهب » يعنى^(٤) النهار .

فإن قيل : إنما قال : « [قد] أدنى خطاها كلالها » ليُعلم أنه قصد الدار
من شقة بعيدة [فيكون أبلغ فى المعنى] .

قيل : العرب لا تقصد الديار للوقوف عليها ، وإنما تجتازها ، فإن
كانت [واقعة] على سَنَن طريقهم^(٥) قال الذى له أَرَبٌ فى الوقوف لصاحبه
أو أصحابه : قِفْ ، وقفا ، وقفوا . وإن لم تكن على سَنَن الطريق قال :
عُجْجًا وَعُرْجًا ، وعُجْجًا وعُرْجًا . كما قال امرؤ القيس :

(١) سبق فى أخطاء البحرى ص ٣٧٩

(٢) سبق فى أخطاء البحرى ص ٣٧٩

(٣) ط « لأن أصلى . . . هكذا »

(٤) ط « يريد »

(٥) ط « الطريق »

عُوجَا عَلَى الطَّلَلِ الْمُحِيلِ لَعَلَّنَا

نَبْكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ حِذَامٍ^(١)

وإذا عَرَّجُوا كان التعرّيج أشقَّ على الركب والركاب [من الوقوف] ؛
لأن لها في الوقوف حيث انتهت راحة ، والتعرّيج فيه زيادة في تعبها وكلالها ،
وإن قلَّت المسافة ، كما قال أبو تمام :

وَمَا بِكَ إِذْ كَانِي مِنَ الرُّشْدِ مَرَكَبًا أَلَا إِنَّمَا حَاوَلْتَ رُشْدَ الرَّاكِبِ^(٢)

لأن هذا القول منه دلٌّ على التعرّيج والتردد في الرسوم ، أو أن^(٣) صاحبه
أراد أن يستمرَّ في السير ولا يتعوَّق^(٤) بالوقوف فيعود ذلك عليها بضرر وإن
أكسبها راحة ما في الوقوف ، فقال [له] ^(٥) أبو تمام : « إنما حاولت رشد
الراكب » لا رشدى .

فأما الأصمعي فإنه يرى التعرّيج أيضاً وقوفاً لا عدولا ، قال أبو حاتم :
قلت له : ما معنى عَرَّج ؟ قال : وقف ، فقلت : يقال : عَرَّج إذا عدل ،
فقال : لا ، وأنشد بيت ذى الرمة :

يَا حَادِيَّ بِنْتِ فُضَايْزٍ أَمَا لَكُمَا - حَتَّى نَكَلِّمَهَا - هَمٌّ بِتَعْرِيجٍ^(٦)

(١) ديوانه ١٧٦ والمحيل : المتغير وقال ناشر ط « الطلل المحيل ويشله المحول : الذى أتى عليه
الحول » !

(٢) ديوانه ٤١ وشرح التبريزى ٢٠٨/١ « قال المرزوق : يخاطب لائمه في الوقوف على الدار ،
يقول : ليس بك - فيها تتكلفه من لوى - هدايتى وصرفى عن غيى إلى رشادى وإنما شق عليك وقوف الإبل
بأحمالها ، فحملك الإشتاق عليها والحد في المنع من حبسها على الإسراف فى العتب وتقليظ القول ، فأما
أن يكون بك صلاحى فلا »

(٣) ط « وأن أصحابه أرادوا »

(٤) ط « ولا يترقق في الوقوف » !

(٥) زيادة من ط

(٦) ديوانه ٧١ « يا جارق بنت فضاىص » وفي م « يكلمها »

أى : همُّ بوقوف ، وهذا لا يمنع أن يكون همُّ بعدول ، ونفس الاشتقاق يدل على العدول ، والله أعلم .

وقال كثير يصف السَّيْلَ :

فَطَوْرًا يَسِيلُ عَلَى قَصْدِهِ وَطَوْرًا يُعْرِجُ آلَا يَسِيلًا^(١)

فلو كان هناك قصد إلى الدار من جماعتهم أو منه وحده^(٢) لما لاموه ، ولا عنفوه على احتباسه وإطالته ، ولا استعجلوه وهو دائباً يسألهم التلوم عليه والتوقف معه .

وهذه طريقة القوم في الوقوف على الديار ، ولهم فيها من الأشعار ما هو أشهر وأكثر من أن أحتاج إلى ذكره ، وتلك سبيل سائر المحدثين ، وطريقة الطائيين : ما عدلاً عنها ، ولا خرجاً إلى غيرها . ألا ترى إلى قول أبي تمام :

مَا فِي وَقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسٍ نَقْضِي ذِهَامَ الْأَرْبَعِ الْأَذْرَاسِ^(٣)

كيف سأل صاحبه أن يقف [عليه] ساعة ، ثم قال بعد بيت آخر :

لَا يُسْعِدُ الْمُشْتَقَّ وَسَنَانُ الْهَوَى يَبْسُ الْمَدَامِعِ بَارِدُ الْأَنْفَاسِ^(٤)

وقوله [أيضاً] :

لَا تَمْنَعْنِي وَقْفَةٌ أَشْفَى بِهَا دَاءُ الْفِرَاقِ فَإِنَّا مَاعُونُ^(٥)

وقال البحتري :

يَا وَهْبُ هَبْ لِأَخِيكَ وَقْفَةً مُسْعِدٍ يُعْطِي الْأَسَى مِنْ دَمْعِهِ الْمَبْدُولِ^(٦)

(١) في ملحق ديوانه ٢٣٧

(٢) ط « ومنهم وحده » !

(٣) سبق ص ٤٣٠

(٤) في شرح التبريزي ٢٤٣/٢ « الوسان : الناعس ، واستعاره هنا هنا للهوى ولم يستعمل ذلك من قبل الطائي . يقول : لا يسعد المشتاق إلا مشتاق مثله ، فأما من هواه ضعيف ودماعه فاقدة للبكاء ، فهو سال لا يعين باكياً » .

(٥) ديوانه ٢٢٨/٣ حج التبريزي ٢٢٢/٣

(٦) ديوانه ١٠ ، ١٦٦٢/٣

[وقوله أيضاً :

قِفْ بِهَا وَقْفَةً تَرُدُّ عَلَيْهَا أَدْمَعًا رَدَّهَا الْهَوَى أَنْضَاءً^(١)

وقوله أيضاً :

ماذا عليك مِنْ انتظارٍ مُتِمِّمٍ بَلْ مَا تَضُرُّكَ وَقْفَةٌ فِي مَنْزِلٍ^(٢)

قوله أيضاً :

خَلِيَّاهُ وَوَقْفَةً فِي الرُّسُومِ يَخْلُ مِنْ بَعْضِ بَشَّةِ الْمَكْتُومِ^(٣)

ثم إِنَّا ما علمنا أحداً قَصَدَ داراً عَفَتَ من شَقَّةٍ بعيدة ، واحداً كان أو في جماعة ، للتسليم^(٤) عليها ، والمسألة لها ، ثم انصرفوا راجعين من حيث جاءوا ، فإن^(٥) هذا ما سُمِعَ به ، ولا هو من أغراضهم ، إذ ليس فيه جدوى ، ولا يؤدي إلى فائدة ، لأنَّ المحبوب إن كان حياً موجوداً فَقَصَدُ رباعه ومواطنه التي هو قاطنها والإلامُ به فيها أولى وأجدى^(٦) ، وإن كان ميتاً فالإلامُ بناحية الأرض التي فيها حُفْرَتُهُ أولى وأخرى ، وعلى أنهم لا يكادون يزورون القبورَ ، وإنما وقفوا على الديار ، وعَرَّجوا عليها عند الاجتياز بها والاقتراب منها ، لأنَّهم تذكروا عند مُشَارَفَتِهَا أوطارَهم فيها ، فنَازَعَتْهُمْ نفوسُهُم إلى الوقوف عليها ، والتلُّومِ بها ، ورأوا أن ذلك من كَرَمِ العهد وحُسنِ الوفاء ، ألا ترى إلى قول أبي تمام :

أَمَوَاقِفَ الْفَتَيَانِ تَطْوِي لَمْ تَزُرْ شَوْقًا وَلَمْ تَنْدُبْ لَهُنَّ صَعِيدًا^(٧)

(١) ديوانه ٧١٢ وفي م « ردها الكوى » وهو تحريف

(٢) ديوانه ٧٣١ « ما يضرك » وانظر نقد الباقلافي البيت في إعجاز القرآن ٣٤٢ - ٣٤٣

(٣) ديوانه ٥٩٤

(٤) م « للسلام . . والمسالمة نجالها »

(٥) ط « وإن . . من أغراضها وليس »

(٦) ط « وأخرى »

(٧) ديوانه ٨٧ وشرح التبريزي ١ / ٤١٢ ويروى : الفتيتات ، ولم نزر ، ولم نندب

ويروى شرفا . وتطوى : أى تمر فيها وشرفا : أى مرتفعاً ، وفي م « لم يرد اشغفا » وفي ط « أمواطن »

ويروى : « لم نزر شَعْفًا » أى : كيف نظوى هذه الرسوم والدمن التي هي مواقف أهل الفتوة^(١) ، يريد الكرام ، ولم نزر^(٢) حَزَنًا لها ولا سَهْلًا ؛ لأنه أراد بالشعف ما ارتفع^(٣) من الأرض وعلا ، وأراد بالصعيد ما اطمأن من الأرض وسفل ، والصعيد إنما هو وجه الأرض الذي فيه التراب ، وأكثر ما يكون فيما اطمأن من الأرض ، لا فيما علا ، فكانوا يرون الوقوف على الديار من الفتوة والمروءة ، وأن طيها عند الاجتياز بها من النذالة وقبيح الرعاية وسوء العهد . وما أحسن ما قال أبو نؤاس :

وَإِذَا مَرَرْتَ عَلَى الدِّيارِ مُسْلِمًا فَلْيَغِيْرِ دَارِ أُمَيْمَةَ الْهَجْرَانِ^(٤)
على^(٥) طريقة القوم [المعتادة] .

وقال البحتري يخاطب نفسه أو صاحبا معه :

قَفِ الْعَيْسَ قَدْ أَذْنَى خُطَاهَا كَلَالُهَا
وَسَلِّ دَارَ سَعْدَى إِنَّ شَفَاكَ سُؤَالُهَا^(٦)

فمن زعم أن البحتري بهذا القول كان قاصدا للدار وغير مجتاز ، احتاج إلى دليل من لفظ البيت يدل عليه ، ولا سبيل له إلى ذلك .

فإن قيل : [و] لم لا يكون للمطية حق على من بلغته منازل أحبابه^(٧) يوجب أن يكرمها ويريحها ، كما قال أبو نؤاس :

(١) م « أهل الميرم »

(٢) م « ولم تزر وعلا والصعيد ما اطمأن وسفل ، والصعيد إنما هو وجه الأرض الذي فيه التراب حزنًا لها » وهو خطأ

(٣) م « ما ارتفع من التراب ، وأكثر ما يكون فيها »

(٤) ديوانه ٥١ طبع الحلبي

(٥) م « فعل »

(٦) سبق ص ٣٧٨ ، ٤٣٢

(٧) الأحباب »

وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَغَنَ مُحَمَّدًا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامٌ^(١)
 قَرَّبْنَنَا مِنْ خَيْرٍ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى فَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامٌ
 قيل : هذا أصل آخر طريقه غير طريق الوقوف على الديار ، ولا يقاس
 أصل على أصل ، وإنما يقاس على الأصل فروعه التي تتفرع منه ، وهذا الشرط
 في كل علم^(٢) .

وقال أبو نؤاس في موضع آخر يخاطب ناقته أيضاً :
 فَلَمْ أَجْعَلْكَ لِلْغُرَبَانِ نُحْلًا وَلَمْ أَقُلْ : أَشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ^(٣)
 يريد قول الشَّامِخ ، وَالشَّامِخُ إِنَّمَا قَالَ :

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرَابَةً فَأَشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ^(٤)
 لأنه رأى ناقته قد شققها السير وهزلها وأنضأها حتى دبّرت ، وذلك قوله :
 إِلَيْكَ بَعَثْتُ رَاحِلَتِي تَشْكِي كَلْوًا بَعْدَ مَحْفِدِهَا السَّمِينِ^(٥)
 فيقول : إِذَا بَلَغْتَنِي^(٦) عَرَابَةً فلا أبالي أن تهلكي ، وهذا ليس بدعاء
 عليها . وإنما أراد أنك إِذَا بَلَغْتَنِيهِ فَقَدْ بَلَغْتَ الْغَنَى وَأَدْرَكْتَ الْعَوْضَ مِنْكَ ؛
 فهذا معنى . وقول أبي نؤاس [له] معنى آخر ، وليس بضد لقول الشَّامِخ ،

(١) ديوانه ٥٥ والخزاة ٥٥٤/١ ويريد بمحمد : الخليفة الأمين

(٢) م « كل عل » !

(٣) ديوانه ٥٦ ومحاضرات الراغب ٣٣٢/١ والصناعتين ٢١١ « إشرق » والتحل : العطاء .

والهبة

(٤) ديوانه ٩٢ والخزاة ٤٥٣/١ ، ٢٢٢/٢ والكامل ١١٣/١ ، ١١٤ ، ٦٤٥/٢

والصناعتين ٢١٠ ومحاضرات الراغب ٣٣٢/١

(٥) يعني بالكلوم : الجراح التي يحدثها طول السير في ظهرها وقد قال الشيخ محمد محيي الدين
 « المحفد بزفة المجلس أو بزفة المنبر - شيء كالملك تلطف فيه الإبل » ! والصواب : أن المحفد :
 السنام ، كما في اللسان ١٣٢/٤ ورواية الديوان : « مقعدها » وشرحها الشيخ أحمد الشنقيطي
 بقوله : « المتحد » السنام . والمعنى : أهزلتها بسيرى عليها بعد سمنها » ورواية الخزاة كرواية الديوان ،
 وشرحها الرضي بالسنام ٢٢٦/٢

(٦) م « إِذَا بَلَغْتَنِيهِ فَلَا »

ولإنما يضاده قول المرأة التي قالت : يا رسول الله ، نَذَرْتُ إِنْ بَلَغَتْنِي نَاقَتِي هذه إِلَيْكَ أَنْ أَنْحَرَهَا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَبِئْسَ مَا جَزَيْتَهَا »^(١) لأن هذه قصدتُ أَنْ جعلت جزءا التبليغ النحر ؛ فهذان المعنيان يتضادان ، وقول الشامخ خارج عنهما ، لأنه^(٢) أصل ثالث .

والوجه الذي جاء به البحرى فى الوقوف على الديار وتحرز منه^(٣) عنتره وذو الرمة - وجه غير هذه الوجوه ، وطريقة غير هذه الطرق ، ولم أقل إنه خطأ : وإنما قلت : إن المعنى غير جيد ، فإن التمسنا^(٤) العذر للبحرى قلنا : إنه وصف حقيقة أمر العيس عند الوصول إلى الدار ، وهذا مذهب من مذاهب العرب عام فى أن يَصِفُوا الشئ على ما هو ، وكما^(٥) شوهد ، من غير اعتماد لإغراب ولا إبداع [فربما ورد هذا الوجه على ألسنتهم أحسن من كل معنى بديع مستغرب] ، وربما^(٦) وقع فيه مثلُ هذا الخلل لقلة التحرز^(٧) .

وسترى للبحرى وغيره - فى هذا الكتاب - مِنْ هذا النوع فى مواضعه ، ما هو أجود من كل جيد ، إن شاء الله .

٤ - وقال البحرى :

عَرَّجَ بِذِي سَلَمٍ فَتَمَّ الْمَنْزِلُ فَيَقُولُ صَبٌّ مَا أَرَادَ وَيَفْعَلُ^(٨)

وهذا ابتداء جيد ، وقد رواد قوم : « ليقول صب ما أراد ويفعل »

(١) ورد فى الخزائن

(٢) ط « فإنه »

(٣) م « من مثله ذو الرمة »

(٤) ط « التمس »

(٥) ط « وعلى ما شوهد »

(٦) ط « وإنما »

(٧) ط « التجوز » !

(٨) سبق ص ٢٩ « ليقول »

والنصب أجود [في الروايتين] ، والرفع له وجه ، والمتأخرون لا [يكادون]
يَسْلَمُونَ من اللحن ، وهو في أشعارهم كثير جداً .

٥- وقال (أيضاً) :

كَمْ مِنْ وَقُوفٍ عَلَى الْأَطْلَالِ وَالْدَّمَنِ لَمْ يَشْفِ مِنْ بُرَحَاءِ الشُّوقِ ذَا شَجَنِ^(١)
وهذا أيضاً ابتداء جيد .

٦- وقال أيضاً :

اسْتَوْقِفِ الرَّكْبَ فِي أَطْلَالِهِمْ وَقِفَا وَإِنْ أَجَدَّ بِلَى مَأْثُورِهَا وَعَفَا
يقال : أجد في أمره من الانكماش ، وجد . وهذا ابتداء صالح .

٧- وقال :

قِفَا فِي مَغَانِي الدَّارِ نَسْأَلُ طُلُولَهَا عَنِ النَّفْرِ اللَّائِنِ كَانُوا حُلُولَهَا^(٢)
وليس هذا الابتداء بالجيد ، من أجل قوله « اللائين » لأنها لفظة ليست
بالحلوة ، وليست^(٣) مشهورة .

فهذا ما ابتدأ به من ذكر الوقوف ، وأجعلهما فيه متكافئين ، من أجل
براعة بيتي البحترى الأولين ، وأنها أجود من سائر أبيات أبي تمام ، ولأن
للبحترى^(٤) في الباب التقصير الذي ذكرته وليس لأبي تمام مثله .

(١) ديوانه ٥٨١

(٢) ديوانه ٥١١ وفي ١٧٩٦/٣ « عن الأنس المفقود كانوا »

(٣) م « ولا مشبهة »

(٤) ط « البحترى . . . القصير . . . ذكرته له »

التسليم على الديار

١- قال أبو تمام :

دِمْنُ أَلَمٍ بِهَا فَقَالَ سَلَامٌ كَمْ حَلَّ عُقْدَةَ صَبْرِهِ الْإِلْمَامُ^(١)

هذا المصراع الأول في غاية الجودة والبراعة والحسن [والصحة] والحلاوة ،
وعجز البيت أيضاً جيد بالغ .

٢- وقال :

سَلَّمَ عَلَى الرَّبْعِ مَنْ سَلَّمِي بِذِي سَلَمٍ عَلَيْهِ وَشَمُّ مِنْ الْأَيَّامِ وَالْقِدَمِ^(٢)

وهذا ابتداء ليس بالجيد ؛ لأنه جاء بالتجنيس في ثلاثة ألفاظ ، وإنما
يحسن إذا كان بلفظتين ، وقد جاء مثله في أشعار الناس ، والردى لا يؤتم
به ، قال الأبيورد بن المعنر الرياحي^(٣) :

جَزَعَتْ وَلَمْ تَجْزَعْ مِنَ الْبَيْنِ مَجْزَعًا وَكُنْتَ بِذِكْرِ الْجَعْفَرِيَّةِ مُوَلَعًا

وقد جعل بعض الرواة هذا البيت أول قصيدة لامرئ القيس على هذا
الوزن ، وذلك باطل^(٤) .

وما ينبغي للمتأخر أن يَحْتَذِيَ الْأَخَذَ إِلَّا لِلجيد المختار ؛ لِسعة محاله ،
وكثرة أمثله .

(١) ديوانه ٢٧٩ وشرح التبريزي ١٥٠/٣

(٢) ديوانه ٢٦٧ وشرح التبريزي ١٨٤/٣ « ذو سلم : موضع . ووسم غير معجمة ،
أى علامة من الأيام والقدم ، وذلك إذا أنه نظر إليه علم أنه قد أتت عليه السنون والأحقاب » .

(٣) ط ، م « المذل » والتصويب من المؤلف والمختلف للأمدى ٢٤ وفي الأغاني ١٠/١٢
« ابن المعذر بن عبد بن قيس بن عتاب بن هرمي بن رياح . . . شاعر فصيح بدوى . من شعراء الإسلام
وأول دولة بنى أمية وليس بمكثر ولا بمن وفد إلى الخلفاء فدهمهم »

(٤) في ديوان امرئ القيس ، مما نسب إليه ، وروايته هناك ١١٤ « ولم أجزع . . . وعزيت
قلبا بالكواعب مولعا » ، وفي م « ركبت بذكر »

وقال البحتري :

١ - هَذِي الْمَعَاهِدُ مِنْ سَعَادٍ فَسَلِّمْ وَاسْأَلْ وَإِنْ وَجَمْتُ فَلَمْ تَتَكَلَّمْ^(١)

٢ - وقال أيضاً :

أَمَحَلَّتْنِي سَلْمَى بِكَاطِمَةَ أَسْلَمَا وَتَعَلَّمَا أَنَّ الْهَوَى مَا هِجُمَا^(٢)

وهذان ابتداءان جيدان .

٣ - وقال أيضاً :

حَيِّتُمَا مِنْ مَرْتَعٍ وَمَصِيفٍ كَانَا مَحَلِّي زَيْنَبٍ وَصَدُوفٍ^(٣)

هذا ابتداء صالح .

٤ - وقال أيضاً :

مِيلُوا إِلَى الدَّارِ مِنْ لَيْلَى نُحْيِيهَا نَعَمْ وَنَسْأَلُهَا عَنْ بَغْضِ أَهْلِهَا^(٤)

وهذا بيت^(٥) رديء ؛ لقوله « نعم » وليس بالمعنى إليها حاجة ، فجاء

بها^(٦) حَشَوًا . ومن الحشو ما لا يقبح ، و « نعم » ههنا قبيحة ، وقد أولع بها

كثير بن عبد الرحمن في ابتداءاته ، فقال :

أَمِنْ أُمِّ عَمْرٍو بِالْخَرِيقِ دِيَارُ نَعَمْ دَرِاسَاتُ قَدْ عَفَوْنَ قِفَارُ^(٧)

(١) ديوانه ١٢٤ ، ٢٠٨٠/٤ ط «المعارف و ط «عالم»

(٢) ديوانه ٢٢٨ ، ١٩٥٨/٣ « أن الجوى »

(٣) ديوانه ٦٣٥ « من مترج » ، ١٤٠٣/٣

(٤) ديوانه ٢٦

(٥) ط « البيت »

(٦) ط « جاء »

(٧) ط « أمن آل » وهما روايتان ، وفيها وفي م : « بالخریق » والتصويب من معجم ما استعجم

وقال :

أَمِنْ آلِ سَلَمَى الرَّكْبُ أَمْ أَنْتَ سَائِلُ
نَعَمْ وَالْمَغَانِي قَدْ دَرَسْنَ مَوَائِلُ

وقال :

أَهَاجَكَ لَيْلَى إِذْ أَجَدُ رَجِيلُهَا نَعَمْ وَدَنْتَ لَمَّا اخْرَأَلْتَ حَمُولُهَا^(١)
اخْرَأَلْتَ : انتصبت وارتفعت^(٢).

وقال :

أَبَايْنَةُ سُعْدَى ؟ نَعَمْ سَتَبِينُ كَمَا انْبَتَّ مِنْ حَبْلِ الْقَرِينِ قَرِينُ
وهي في كل هذه الأبيات رديئة ، وموضعها من هذا البيت الأخير أصلح ؛
لأن إسقاطها من الجميع يحسن ، ولا يحتاج الاستفهام فيها إلى جواب ، إلا
هذا البيت فإن الاستفهام فيه يقتضى أن يكون « نعم » جواباً له ، ومع هذا
فليس لها حلاوة ولا حسن . ولكثير استفهامات لا جواب لها على عادات
الشعراء المحسنين .

منها قوله :

أَمِنْ آلِ قَيْلَةَ بِاللَّخُولِ رُسُومُ وَبِحَوَّلِ طَلَلٍ يَلُوحُ قَدِيمُ^(٣)
وكل أبيات كثير أجود من بيت البحتري ؛ لأن « نعم » فيها جواب ،
وهي في بيت البحتري حشو ، وقال البحتري في بيته : « نحييها » والأجود

(١) ط « أهاجتك »

(٢) كتب هذا التفسير في م على الهامش . وفي م « اجزألت »

(٣) أمالي المرتضى ٣٣/٢ وفي معجم ما استعجم ٤٨/٢ « آل قتله »

وفي م « ظلل تلوح » وفي ط « من آل »

« نَحْيُهَا » لِأَنَّهُ جَوَابُ الْأَمْرِ ، وَقَدْ يَكُونُ « نَحْيُهَا » رَفْعاً عَلَى الْحَالِ ، وَالْجَوَابُ هَهُنَا أَجُودُ مِنَ الْحَالِ .

• • •

فهذا ما وجدته من تسليمها على الديار ، وأبو تمام عندي - في قوله :
 « دِمْنُ أَلَمٍ بِهَا فَقَالَ سَلَامٌ » - أشعر من البحتري في سائر أبياته .
 وما سمعت من التسليم على الديار أحسن من قول أبي نُوَّاسٍ :
 وَإِذَا مَرَرْتُ عَلَى الدِّيَارِ مُسَلِّماً فَلْيَغَيِّرْ دَارَ أُمَيْمَةَ الْهَجْرَانُ^(١)

• • •

ما ابتدآ به من ذكر تعفية^(١) الدهور والأزمان للديار

قال أبو تمام :

لَقَدْ أَخَذَتْ مِنْ دَارِ مَاوِيَّةَ الْحَقْبُ أَنْحُلُ الْمَغَانِي لِلْبَلَى هِيَ أَمْ نَهَبُ^(٢)
 أراد أَنْحُلُ المغاني [هي] لِلْبَلَى فحذف التنوين^(٣) ، وَالْحَقْبُ : الدهر ،
 وجمعه أحقاب ، وَالْحَقْبُ : السُّنُونُ ، واحدها حِقْبَةٌ ، وقال : « لقد
 أخذت » فَأَنْتَ وَالْحَقْبُ مذكر ، وأظنه أراد أيام الدهر ولياليه ، ويقال :
 الحقب ثمانون سنة ، فعلى هذا قال « أَخَذَتْ » [فَأَنْتَ] .

وقال أيضاً :

قَدْ نَابَتِ الْجَزَعُ مِنْ أُرْوِيَّةَ النَّوْبُ وَاسْتَحَقَبَتْ جِدَّةً مِنْ رَبْعِهَا الْحَقْبُ^(٤)
 « واستحقت » أى جعلتِ الْحَقْبُ - وهى السنون - جِدَّةً الرَّبْعِ فى
 حقيقتها .

والحقيية : ما يحتقبه الراكب ، وهو وعاء يجعله خلفه إذا ركب ويُحْرَزُ
 فيه متاعه وزاده ، وهذه استعارة حسنة ، وإنما يريد أن الحقب سلبت الربيع
 جدته وذهبت بها^(٥) .

(١) م « ابتداء ما ابتدآ . . تعفية »

(٢) ديوانه ٣٠، وشرح التبريزى ١٨٤/١ « والنحل : العطية . تقديره : أنحل المغاني للبلَى أم
 نهب ؟ فحذف التنوين للضرورة . يقول : أصيرت المغاني للبلَى نحلًا أم نهبًا ؟ » وفى م « مارية »

(٣) م « البنون ! »

(٤) شرح التبريزى ٢٤٤/١ وفى الديوان ٤٦ « من دارها » وفى ط « من ماوية » والخزع :
 المحلة قال التبريزى : « قوله : من أروية ، فيه حذف ، كأنه قال : من منازل أروية أو من أجزاءها
 أو نحو ذلك ، ليصح دخول « من » إذ كانت للتبويض

(٥) قارن شرح الحقيية هنا بشرحها فى التبريزى

وقال البحرى :

أَرْسُومُ دَارِ أُمِّ سُطُورِ كِتَابٍ دَرَسْتُ بِشَاشَتُهَا عَلَى الْأَحْقَابِ ^(١)
 أَى : على مر السنين ، وهذا البيت أبرع من بيتي ^(٢) أبى تمام لفظاً ،
 وأجود سبكاً ، وأكثر ماء وروئفاً ، وهو من الابتداءات النادرة العجيبة ،
 المشبهة لكلام الأوائل ؛ فهو فيه أشعر من أبى تمام .

(١) ديوانه ٣٤٠ ، ٢٩٤/١ معارف

(٢) م « بيت »

وفى إقواء الديار وتعفيها

١- قال أبو تمام :

ظَلَّلَ الْجَمِيعَ لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدًا

وَكَفَى عَلَى رُزْئِي بِذَلِكَ شَهِيدًا^(١)

أراد « وكفى بأنه مضي حميداً شاهداً على أنى رزئت » . وكان وجه الكلام أن يقول : وكفى برزئى^(٢) شاهداً على أنه مضي حميداً ، وقد استقصيت الكلام فى هذا فيما تقدم من أغاليط^(٣) أبى تمام :

٢- وقال أيضاً :

أَجَلَ أَيُّهَا الرَّبْعُ الَّذِي بَانَ آهِلُهُ

لَقَدْ أَذْرَكْتَ فِيكَ النَّوَى مَا تُحَاوِلُهُ^(٤)

وهذا أيضاً ابتداء جيد .

٣- وقال أيضاً :

شَهِدْتُ لَقَدْ أَفَوْتُ مَغَانِيَكُمْ بَعْدِي وَمَحَتْ كَمَا مَحَتْ وَشَائِعُ مِنْ بُرْدٍ^(٥)

وهذا بيت ردىء معيب ؛ لأن الوشاعة والوشائع هو الغزلُ الملفوف من

(١) سبق ص ٢١٦ . وفى م « رزه نذاك » وهو تحريف

(٢) ط « رزئى »

(٣) ط « فى غلط »

(٤) ديوانه ٢٢٩ وشرح التبريزى ٢١ / ٣ « خف آهله » قال المعرى : « هذا لا يمكن أن يكون إلا على كلام متقدم ، لأن أجلاً فى نعم نعم ، ولا معنى لقولك هذه الكلمة إلا وقد سبقها كلام من غيرك . فكأنه ادعى أن الربع كلمه وشكا إليه ، فقال له : أجلاً أيها الربع . » وخف آهله : ارتحل من كان فيه من السكان » .

(٥) سبق ص ١٩٢

اللحمة التي يُدْخِلُهَا^(١) الناسجُ بين السدى ، والبرد الذي تمت نساجته ليس فيه شيء يسمى وشيعة ولا وشائع ، وقد ذكرت هذا في أغاليطه .

١- وقال البحتري :

تِلْكَ الدِّيارُ وَدَارِساتُ طُلُولِها طَوْعُ الخُطوبِ دَقِيقِها وَجَلِيلِها^(٢)

٢- وقال أيضاً :

يا مَعانِي الأَحْبابِ صِرَتْ رُسوماً وَعَدَا الدَّهْرُ فَيْكِ عِنْدِي مَلُوماً^(٣)

٣- وقال أيضاً :

لَمْ يَبْقَ فِي تِلْكَ الرُّسومِ بِمَنْعِجٍ إِمَّا سَأَلْتَ مُعْرَجٌ لِمُعْرَجٍ^(٤)

٤- وقال أيضاً :

هَلَّا سَأَلْتَ بِجَوْ نَمَهْدَ طَلَلًا لِمَيْةَ قَدْ تَابَدَ^(٥)

هذه كلها ابتداءات جيدة^(٦) بارعة اللفظ صحيحة المعنى .

وأبيات أبي تمام أيضاً رائعة . ولكن فيها ما ذكرته .

(١) ط « يدخلها »

(٢) ديوانه ٣٤٥

(٣) ديوانه ٢٧٣

(٤) ديوانه ٤٢٨ / ١ ٣٩٩ معارف

(٥) ديوانه ٥٨٢ وفي اللسان ٣٥ / ٤ « تأيد المنزل : أي أقفر وألفته الوحوش »

(٦) ط « جباد »

تعفية الرياح للديار

قال أبو تمام :

عَفَتْ أَرْبُعُ الْحِلَّاتِ لِلْأَرْبَعِ الْمُلْدِ لِكُلِّ هَضِيمِ الْكَشْحِ مُغْرِبَةِ الْقَدِّ ^(١)
 الحلات : جمع حِلَّة ، وهو الموضع الذي يَحُلُّونه ، يقال : حِلَّةٌ وَمَحَلَّةٌ ،
 والأربع الملد : يريد أَرْبَعُ نِسْوَةٍ ^(٢) مُلْدٌ ، من قولهم : غَضِنُ أُمْلُودٌ ، وهو
 [الفصن] الناعم ، و «أملود» لا يجمع على «مُلْد» و [ملد] هو جمع
 أُمْلُد .

و «هضم الكشح» يريد ضامرة البطن .

وقوله : «مغربة القد» يريد أغربَ قَدُّها : أى ^(٣) لها قَدٌ غريبٌ فى
 الحسن ، وإنما أراد عَفَتْ أَرْبَعُ حِلَّاتٍ : أى مواطن ، لأربع نِسْوَةٍ ^(٤) ، وهذه
 تَكْلِفَةٌ شديدة ، جاءت بلفظ غير حسن ولا جميل .

وكذلك «مغربة القد» من قول الشعراء المتأخرين : غريبُ الحسنِ ،
 وغريب القد . والكلمة إذا لم يوثَّ بها على لفظها المعتاد هجنت وقبحت .

وقوم يروونه : «أَرْبَعُ الْحِلَّاتِ» جمع رَّبْع ، وذلك غلط . وإنما أراد
 الرجلُ العَدَدَ : أى عَفَتْ أَرْبَعُ لَأَرْبَعِ .

(١) ديوانه ١٣٠ وشرح التبريزى ١١٨/٢ «مجدولة القد» قال المرزوق : «أى عفت ديار
 هؤلاء الجماعات لفارقة هؤلاء النسوة الأربع . والملد : جمع ملداه ، وهى الناعمة . والحلات : جمع حلة ،
 وهى جماعة من الناس وجماعة من بيوتهم»

(٢) ط «نساء ملد»

(٣) م «أى أنها قد غربت»

(٤) ط «وهذا تكلف شديد وقد» وفى اللسان ٢١٨/١١ يقال : حملت الشيء تكلفه : إذا
 لم تطلقه إلا تكلفا ، وهو تفعله»

ولا أعرف^(١) لأبي تمام ابتداء ذكر فيه الرياح غير هذا البيت . وهو ردىء اللفظ . قبيح النسيج .

١- وقال البحتري :

بَيْنَ الشَّقِيقَةِ فَالَلَوَى وَالْأَجْرَعِ دِمْنٌ حُبْنٌ عَلَى الرِّيحِ الْأَرْبَعِ^(٢)

وهذا من ابتداء آتية العجيبة^(٣) النادرة وإحسانه فيه الإحسان المشهور .

وقوله : « بين الشقيقة فاللوى » كقول امرئ القيس : « بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْمَلٍ » والأصمعي يرويه بالواو ، وأهل العربية يقولون : الدخول مواضع متفرقة^(٤) .

[وأكثر الشعراء يستعملون الفاء في هذا الموضع] .

٢- وقال البحتري :

أَصَبَا الْأَصَانِلِ إِنَّ بُرْقَةً مُنْشِدٍ تَشْكُو اخْتِلَافَكَ بِالْهُبُوبِ السَّرْمَدِ^(٥)

ما زلت أسمع الشيوخ من أهل العلم بالشعر يقولون : إنهم ما سمعوا لمتقدم ولا متأخر في هذا المعنى أحسن من هذا البيت ، ولا أبرع لفظاً ، ولا أكثر ماء ولا رونقاً ، ولا ألطف معنى .

٣- وقال البحتري :

لَا أَرَى بِالْبِرَاقِ وَسْماً يُجِيبُ أَمْسَكَتْ آيَةُ الصَّبَا وَالْجُنُوبِ^(٦)

وهذا ابتداء صالح .

(١) ط « ولا أعلم »

(٢) ديوانه ٧٢٧ ، ٢ / ١٢٨٦ « فالأجرع »

(٣) ط « الحسنه »

(٤) راجع معجم ما استعجم ٥٤٨/٢

(٥) ديوانه ٤٥٨ وفي ط « برقة تُهد »

(٦) ديوانه ٨١ / ١ طبع مصر ١١٢ / ١٥ معارف القول ١٤ ط

وفي البكاء على الديار

١- قال أبو تمام :

عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبُعٍ وَمَلَايِبٍ أَذِيلَتْ مَصُونَاتُ الدُّمُوعِ السَّوَائِبِ^(١)
قد أنكر بعضهم قوله : « مصونات الدموع السواكب » ، وقال : كيف
يكون من السواكب ما هو مَصُون ؟

وإنما أراد أبو تمام [أذيلت] مصونات الدموع التي هي الآن سواكب ،
ولفظه يحتمل ما أراده ، والبيت جيد لفظاً ومعنى ونظماً .

٢- وقال أيضاً :

أَمَّا الرُّسُومُ فَقَدْ أَذْكَرْنَ مَا سَلَفَا فَلَا تَكُفَّنُ مِنْ شَأْنِيكَ أَوْ يَكْفَا^(٢)
هذا ابتداء حسن .

٣- وقال أيضاً :

أَزَعَمْتَ أَنَّ الرَّبْعَ لَيْسَ يُتِمُّمُ وَالْدَّمْعُ فِي دِمْنٍ عَفَتْ لَا يُسْجَمُ^(٣)

٤- وقال أيضاً :

قَرَى دَارِهِمْ مِنْ الدُّمُوعِ السَّوَائِكُ وَإِنْ عَادَ صُبْحِي بَعْدَهُمْ وَهَوَّحَالِكُ^(٤)
وهذان ابتداءان جيدان .

(١) ديوانه ٤٠ وشرح التبريزي ١ / ٢٠٥ « أذيلت أي أهينت »

(٢) ديوانه ٢٠٠ وشرح التبريزي ٢ / ٣٥٩ « شأنيك تشية شأن ، وهي مجازي الدمع » ويروى
« عن شأنيك »

(٣) ديوانه ٢٨٣ وشرح التبريزي ٢ / ٢١٢

(٤) ديوانه ٢٢٣ وشرح التبريزي ٢ / ٤٥٦ وفي اللسان ١٢ / ٣٢٣ « سفك الدمع يسفك
سفكاً فهو مسفوك وسفيك - : صبه »

٥- وقال أيضاً :

نَجْرَعُ أَمْسَى قَدْ أَقْفَرَ الْجَرْعُ الْفَرْدُ وَدَعُ حِسَى عَيْنٍ يَحْتَلِبُ مَاءَهُ الْوَجْدُ^(١)
الجرع والأجرع والجرعاء : أرض ذات رملٍ وحجارة مختلطة [وهي
أرض] خشنة ، وقد قيل : رملة سهلة .

والحِسَى : ماء المطر يغيض في الرمل [شيئاً]^(٢) قليلاً ثم يصل^(٣) إلى
الصلابة فيقف فيحفر عنه ويشرب^(٤) ، وجمعه أحساء .

١- وقال البحتري .

مَتَى لَاحَ بَرَقَ أَوْ بَدَا طَلَلُ قَفَرٍ جَرَى مُسْتَهْلٌ لَا بَكْيَ وَلَا نَزْرُ^(٥)
وهذا بيت حَسْبُكَ به جودة [وحسناً] وبراعة وفصاحة .

٢- ونحوه قوله :

لَهَا مَنْزِلٌ بَيْنَ الدُّخُولِ فَتَوَضَّحْ مَتَى تَرَهُ عَيْنُ الْمُتَمِّمِ تَسْفَحُ^(٦)

هذا مثل قول امرئ القيس : « بين الدخول فحوول » .

وهذا أيضاً بيت جيد ، وليس كالأول .

٣- وقال أيضاً :

أَفِي كُلِّ دَارٍ مِنْكَ عَيْنٌ تَرَقُّقُ وَقَلْبٌ عَلَى طُولِ التَّذَكُّرِ يَخْفُقُ^(٧)

(١) ديوانه ١٢٠ وشرح التبريزي ٨٠/٢

(٢) م « سنا »

(٣) ط « يصير »

(٤) في اللسان ١٩٣/١٨ « الحسى : الرمل المتراكم أسفله جبل صلد ، فإذا مطر الرمل نشف ماء المطر ، فإذا انتهى إلى الجبل الذي أسفله أمسك الماء ، ومنع الرمل حر الشمس أن ينشف الماء ، فإذا اشتد الحر نبت وجه الرمل عن ذلك الماء ، فتبع بارداً عذباً »

(٥) ديوانه ٨٦ ، ٨٤٣/٢ المعارف

(٦) ديوانه ٦٣١

(٧) ديوانه ٥١٧ ، ١٤٩٢/٣

وهذا أيضاً غاية في جودته وبراعته وكثرة مائه .

٤- وقال أيضاً :

أَلَمَّا يَكْفِ فِي طَلَلِي زُرُودٌ بُكَاءُكَ دَارِسَ الدَّمَنِ الْهُمُودِ^(١)

٥- وقال أيضاً :

أَعْنِ سَفَهَ يَوْمِ الْأَبْيَرِ قِيَامَ حِلْمٍ وَقُوفُ بَرَبَعٍ أَوْ بُكَاءٍ عَلَى رَسْمٍ^(٢)

هذه الأبيات الثلاثة كأنه منكر [فيها] على نفسه البكاء وقد أحسن فيما اعتمد من ذلك وأجاد ، وهو ضد ما ذهب إليه أبو تمام في أبياته .

٦- وقال البحتري وهو حسن جداً :

وَقُوفُكَ فِي أَطْلَالِهِمْ وَسُؤَالُهَا يُرِيكَ غُرُوبَ الدَّمْعِ كَيْفَ انْهَمَالُهَا^(٣)

٧- وقال [أيضاً] :

عِنْدَ الْعَقِيقِ فَمَا ثَلَاثَ دِيَارِهِ شَجْنٌ يَزِيدُ الصَّبَّ فِي اسْتِعْبَارِهِ^(٤)

٨- [وقال] :

بَابِي الْخَلِيُّ بُكَاءُ الْمَنْزِلِ الْخَالِي وَالنَّوْحَ فِي دَمَنِ أَقْوَتِ وَأَطْلَالِ^(٥)

٩- وقال :

أَبُكَاءٍ فِي الدَّارِ بَعْدَ الدَّارِ وَسَلُّوا بِزَيْنَبٍ عَنْ نَوَارِ^(٦)

(١) الهامد : البالي

(٢) ديوانه ١٩٠

(٣) ديوانه ٢٢٢

(٤) ديوانه ٢٤٠ ، ٢ / ٨٦٦ المعارف

(٥) زيادة من ط .

(٦) ديوانه ٤٤٤ ، ٢ / ٩٨٨ وفي ط « عن زينب بنوار »

وهذا من البحتري تصرف^(١) في البكاء على الديار حسن ، ومعان فيه
مختلفة صعبة ، كلها جيد نادر ، وأبو تمام لزم طريقة [واحدة]^(٢) لم
يتجاوزها .

والبحتري في هذا الباب أشعر .

(١) ط « وصف »

(٢) زيادة من ط

سؤال الديار واستعجامها عن الجواب

١- قال أبو تمام :

الدَّارُ نَاطِقَةٌ وَلَيْسَتْ تَنْطِقُ لِذُورِهَا ، إِنَّ الْجَلِيدَ مَيَّخَلَقُ

٢- وقال في مثل معناه :

وَأَبَى الْمَنَازِلِ إِنَّهَا لَشُجُونُ وَعَلَى الْعُجُومَةِ إِنَّهَا لَتُبِينُ^(١)

وهذا قسم^(٢) شائع على ألسن العرب أن يقولوا^(٣) لمن يعقل : [وأبيك لقد أحسنت] وأبيك لقد أجملت ، وكثرت على الألسن حتى تعدوا^(٤) بها إلى ما لا يعقل ، قَسَمًا وغير قسم ، وكذلك قالوا : لَأَمْكُ الْهَيْلِ ، ولَأَبِيكَ^(٥) الْوَيْلُ ، ثم قالوا [مثل] ذلك لما لا أم له وقام مُعْرِزُ^(٦) بن الْمُكَتَبِرِ [الضبي] يرثي بِسْطَامَ بن قيس :

لَأَمَّ الْأَرْضِ وَيْلٌ مَا أَجْنَتْ بَحِيثُ أَضَرَ بِالْحَسَنِ السَّبِيلُ^(٧)
فجعل للأرض أما .

(١) ديوانه ٣٢٨ وشرح التبريزي ٣ / ٣٢٣

(٢) ط « معي »

(٣) ط « تقول » و م « لما »

(٤) ط « حتى حملوا »

(٥) م « ولأمك »

(٦) تريم له المرزبان في معجم الشعراء ٤٠٥

(٧) الحسن اسم مكان قتل به بسطام بن قيس بن خالد الشيباني ، كما في معجم ما استعجم ٤٤٨/٢ ، ١٣١٩ / ٤ وفيه : « وقال ابن عنمة الضبي يرثي بسطاما ، وكان مجاوراً في بني بكر فأراد أن يتخلص منهم بتأيين بسطام : لأم الأرض . . . ما ألت . . . وهي أبيات . وفي القام ٢٧٣ / ١٦ . قال عبد الله بن عنمة الضبي في الحسن ، يرثي بسطام . . . »

وقد قال البحرى :

لَعَمْرُ أَبِي الْأَيَّامِ مَا جَارَ حُكْمُهَا عَلَى ، وَلَا أُعْطِيَتْهَا إِنِّي مِقْوَدِي^(١)
فجعل للأيام أبا .

وقوله « شجون » جمع شَجَن ، وما أقل ما يجمع فَعَلَ على فُعُول . قالوا :
أسد وأسود ، وليس هو بابيه ، والشجن : الحاجة ، والشجن : الهم والحزن .

٣- وقال أبو تمام :

مَنْ سَجَايَا الطُّلُولِ أَنْ لَا تُجِيبَا فَصَوَابٌ مِنْ مُقَلَّتِي أَنْ تَصُوبَا^(٢)
صدر هذا^(٣) البيت جيد ، وقوله « فصواب » [لفظة] ليست بجيدة
في هذا الموضع ، وإنما أراد التجنيس .

١- وقال البحرى :

لَا دِمْنَةٌ بِلَوَى خَبْتٍ وَلَا طَلَلٌ تَرُدُّ قَوْلًا عَلَى ذِي لَوْعَةٍ يَسَلُّ^(٤)
وهذا ابتداء جيد لفظه ومعناه .

٢- وقال [البحرى] :

صَبُّ يُخَاطِبُ مُفَحَّمَاتِ طُلُولٍ مِنْ مَائِلِ بَالٍ وَمِنْ مَسْئُولٍ^(٥)
أراد أنه بال^(٦) والطلول بالية . وهذا ابتداء صالح .

(١) ديوانه ٢٣١ ، ٧٧٢/٢ المعارف

(٢) سبق ص ١٠ .

(٣) ط « هذا . . . صدره . . . بالجيدة »

(٤) ديوانه ٧١٥ ، ١٧٥٨/٣

(٥) ديوانه ٦١٠ ، ١١٦١/٣ وط « سائل بالك »

(٦) ط « بالك . . . باكية »

٣- وقال [البحتري] :

عَزَمْتُ عَلَى الْمَنَازِلِ أَنْ تُبَيِّنَا وَإِنْ دِمْنُ بَلِيْنٍ كَمَا بَلَيْنَا^(١)
 أى : عزمت عليها أن توضح لنا ، ويكون « تبين »^(٢) بمعنى تُفصح
 هي في نفسها ، يقال : بان الشيء وأبان .

وقوله : « وَإِنْ دِمْنُ بَلِيْنٍ كَمَا بَلَيْنَا » أى : عزمت عليها أن تبين لنا
 القول وإن كانت قد بليت كما بينا نحن ، وهذا البيت ردى العجز^(٣) .

٤- وقال [البحتري] :

أَقِمْ عَلَيْهَا أَنْ تَرْجِعَ الْقَوْلَ أَوْ عَلَيَّ أَخْلَفُ فِيهَا بَعْضَ مَا بَى مِنَ الْخَبْلِ^(٤)

وهذا أيضاً بيت ردى الصدر لفظه ومعناه ؛ لأنه أراد أن يقول : قف لعلها أن
 تَرْجِعَ القولَ أو لعلى ، فقال « أقم » مكان قِفْ ، وليست هذه اللفظة نائبة
 عن تلك ؛ لأن الإقامة ليست من الوقوف فى شيء ، والدليل على أنه أراد أن
 يقول قف قوله بعد هذا :

فَإِنْ لَمْ تَقِفْ مِنْ أَجْلِ نَفْسِكَ سَاعَةً فَقِفْهَا عَلَى تِلْكَ الْمَعَالِمِ مِنْ أَجْلِ

وقال : « عليها أو على » وهما^(٥) وإن كانتا لفظتين عربيتين فلعل أحسن
 من عل وأبرع ، وزاد فى تهجينها أنه كررها فى مصراع .

وقوله : « أَخْلَفُ فِيهَا بَعْضَ مَا بَى مِنَ الْخَبْلِ » عَجَزَ حسن ، [أى]^(٦)

(١) ديوانه ٥٥٣ ، ٤ / ٢٢٠٧ المعارف وفى م « نبينا »

(٢) م « تبين . . يتضح »

(٣) م « الضفر » !!

(٤) ديوانه ٣٦١ ، ٣ / ١٨٠٥

(٥) م « فهما »

(٦) زيادة من ط

أَطْرَحَهُ عَنِّي ، أَى : لعل أبكى فأخفف بعض ما بي من البكاء ، وإلى هذا المعنى ^(١) ذهب ، وإن لم يذكر ^(٢) البكاء في البيت فقد ذكره من بعد .

٥- وقال :

بِاللَّهِ يَا رُبُّعُ لَمَّا زِدْتَ تَبَيَّنَا فَقُلْتَ لِي الْحَيُّ لَمَّا بَانَ لِمَ بَانَ ^(٣)

٦- وقال أيضاً :

هَبِ الدَّارَ رَدْتُ رَجَعَ مَا أَنْتَ قَائِلُهُ

وَأَبْدَى الْجَوَابَ الرَّبُّعُ عَمَّا تَسْأَلُهُ ^(٤)

وهذا بيت غير جيد ؛ لأنَّ عَجَزَ البيت مثل صدره سواء في المعنى ، وكأنَّه بنى الأمر على أن الدار غير الربع ، وأن السؤال إن وقع وقع في محلين ^(٥) اثنين .

والبيت أيضاً لا يقوم بنفسه ؛ لأنَّه ^(٦) جعله معلقاً بالبيت الثاني وهو قوله :

أَفِي ذَاكَ بُرْءٌ مِنْ جَوَى أَلْهَبَ الْحَدَا

تَوَقُّدُهُ وَأَسْتَخْزَرَ الدَّمْعَ جَائِلُهُ ^(٧)

٧- وقال [أيضاً] :

هَلِ الرَّبُّعُ قَدْ أَمَسَتْ خَلَاءَ مَنَازِلُهُ مُجِيبٌ صَدَاهُ أَوْ يَخْبِرُ سَائِلُهُ ^(٨)

(١) م « إلى . . . المعنى »

(٢) ط « لم يكن »

(٣) ديوانه ٤ / ٢١٤٩ المعارف م « ازدت » وفي ديوانه ٤ / ٢١٤٩ « لما ازدت تبينا ... »

وقلت »

(٤) ديوانه ٥١ ، ٣ / ١٦١٠ وفي ط « ما أنت سائلة »

(٥) م « بمجلين »

(٦) م « بنفسه وجعله »

(٧) م « العين غابله » !

(٨) ديوانه ٣ / ١٨٧٨ و م « يجيب »

وهذا ابتداء صالح .

٨- وقال أيضاً :

عَسَتْ دِمْنُ بِالْأَبْرَقَيْنِ خَوَالِي تَرُدُّ مَسْلَامِي أَوْ تُجِيبُ سُؤَالِي^(١)

وهذا ابتداء حسن .

* * *

فهذا ما وجدته لهما من الابتداءات في الباب ، وليس [لهما]^(٢) فيه

بيت بارع .

والجيد [فيه] للبحترى قوله :

* لَا دِمْنَةٌ بِلَوَى خَبْتٍ وَلَا طَلَلٌ^(٣) *

وقوله :

* عَسَتْ دِمْنُ بِالْأَبْرَقَيْنِ خَوَالِي *

والجيد لأنّ تمام بيتاه الأولان ، ومعناهما غير معنى هذين البيتين [واللطف] .

وبيتا البحترى أجود لفظاً ، وأصح سبكاً ، فاجعلهما^(٤) في هذا الباب

متكافئين .

(١) ديوانه ٧٨٣ ، ٢ / ١٧٠١

(٢) زيادة من ط

(٣) سبق البيت في ص ٤٥٦

(٤) ط « سبكا وهما في هذا متكافئان »

فما يخلف الظاعنين في الديار من الوحش وما يقارب معناه

١- قال أبو تمام :

أَطْلَلُهُمْ سُلِبَتْ دُمَاها الْهَيْفَا وَاسْتُبْدِلَتْ وَخْشاً بِهِنَّ عُكُوفَا^(١)

وهذا [أيضاً] بيت جيد لفظه ومعناه .

٢- وقال أيضاً :

أَطْلَالَ هِنْدٍ سَاءَ مَا اعْتَضَتْ مِنْ هِنْدٍ

أَقَايَضَتْ حُورَ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ وَالرُّبْدُ^(٢)

الْعَيْنُ : بقر الوحش والظباء ، والرُّبْدُ : النعام ، وقايضت : أبدلت .

وهذا بيت ليس بالجيد ، ولا [هو] بالردىء .

٣- وقال أيضاً :

أَرَامَةٌ كُنْتُ مَالَفَ كُلِّ رِيَمٍ لَوْ اسْتَمْتَعْتُ بِالْأُنْثَى الْقَدِيمِ^(٣)

وهذا ابتداء^(٤) جيد .

وقال البحتري :

١- رُبْعٌ خَلَا مِنْ بَدْرِهِ مَغْنَاهُ وَرَعَتْ بِهِ عَيْنُ الْمَهَا الْأَشْبَاهُ^(٥)

وهذا بيت حسن حلو .

(١) ديوانه ٢٠٥ وشرح التبريزي ٢ / ٣٧٦

(٢) ديوانه ١١٤ وشرح التبريزي ٢ / ٥٩

(٣) شرح التبريزي ٣ / ١٦٠ وفي الديوان ٢٨٧ وم « المقيم » وهما روايتان . وقد سبق في

الإشال

(٤) ط « وهذا بيت »

(٥) « وزعت به »

٢- وقال البحتري أيضاً :

عَهْدِي بِرَبِّكَ مَانُوساً مَلَاعِبُهُ أَشْبَاهُ آرَامِهِ حُسْنًا كَوَاعِبُهُ^(١)
وهذا بيت في غاية الجودة والبراعة لفظه ومعناه .

٣- وقال أيضاً :

عَهْدِي بِرَبِّكَ مَثَلًا آرَامُهُ يُجَلِّي بِضَوْءِ خُلُودِهِنَّ ظَلَامَهُ
وهذا بيت جيد اللفظ والمعنى ، ولفظ الأول أعلى^(٢) وأبرع .
وقوله : « يجلي بضوء خلودهن ظلامه » حسن جداً .

٤- وقال أيضاً :

أَرَى بَيْنَ مُلْتَفِّ الْأَرَاكِ مَنَازِلًا مَوَائِلَ لَوْ كَانَتْ مَهَا مَوَائِلًا^(٣)
وهذا أيضاً بيت من أبرع ابتداءاته .

* * *

فهذا ما وجدته لهما في هذا النحو ، والبحتري في أبياته أشعر من
أبي تمام في أبياته .

(١) ديوانه ٧٨٦ وفي م « تربك ما توساه » . أشباه أزال به « وهو تحريف

(٢) ط « أحل »

(٣) ديوانه ٣ / ١٦٠٣

وفيما تهبجه الديار وتبعثه من جوى الواقفين بها

١- قال أبو تمام :

أَقَشِيبَ رَبِّعِهِمْ أَرَاكَ دَرِيساً وَقَرَى ضُيُوفَكَ لَوْعَةً وَرَسِيساً^(١)

وهذا بيت من جيد الابتداءات وبارعها .

١- وقال البحتري :

مَغَانِي سُلَيْمِي بِالْعَقِيقِ وَدُورُهَا أَجَدَّ الشَّحَى إِخْلَاقُهَا وَدُثُورُهَا^(٢)

وهذا بيت في جودة بيت أبي تمام وبراعته .

٢- وقال [أيضاً] :

لَعَمْرُ الْمَغَانِي يَوْمَ صَحْرَاءَ أَرْتَدِ لَقَدْ هَيَّجَتْ وَجْدًا عَلَى ذِي تَوَجُّدٍ^(٣)

٣- وقال أيضاً :

مَا جَوُّ حَبْتٍ وَإِنْ نَأَتْ ظُعْنُهُ تَارِكَنَا أَوْ تَشُوقَنَا دِمْنُهُ^(٤)

وقال أيضاً :

كَلَّمَا شَاعَتِ الرُّسُومُ الْمُحِيلَةُ هَيَّجَتْ مِنْ مَشُوقِ صَدْرِ غَلِيلَةٍ^(٥)

وهذه كلها ابتداءات جياد ، وهي مع بيت أبي تمام متكافئة .

(١) ديوانه ١٧٥ وشرح التبريزي ٢ / ٢٦٢ « القشيب : الحديد هنا . واللوعة : حرقه القلب : والرئيس : ما يحده الإنسان في قلبه من حزن أو هوى » وفي م « نقرى » وصوابها « نقرى » وهي رواية أخرى .

(٢) ديوانه ٣٨٣

(٣) ديوانه ٢٣٠ « لعمرى » وفي ط « صحراء أريد » وفي م « ذى توحيد »

(٤) ديوانه ٣٣٤ وفي اللسان ١٨ / ١٧٣ « قال الأزهري : الجو : ما اتسع من الأرض واطمأن وبرز وفي بلاد العرب أجوية كثيرة كل جو منها يعرف بما نسب إليه . فلها جو غطريف إلخ » ونسبت : اسم موضع

(٥) ديوانه ٤٧٥ « مشوق قلب » ٣٠ / ١٦٣٩

الدعاء للدار بالسقيا

١- قال أبو تمام :

أَسْقَى طُلُوبَهُمْ أَجَشَّ هَزِيمٍ وَغَدَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةٌ وَنَعِيمٌ^(١)

٢- وقال أيضاً :

سَقَى عَهْدَ الْحَيِّ سَبْلُ الْعَهَادِ وَرَوْضَ حَاضِرٍ مِنْهُ وَبَادِي^(٢)

وهذان ابتداءان جيدان .

٣- وقال أيضاً :

يَا بَرْقُ طَالِعٍ مَنْزِلًا بِالْأَبْرِقِ وَأَخَذُ السَّحَابَ لَهُ حُدَاءَ الْإَيْتُقِ^(٣)
قوله : « طالع » لفظة رديئة في هذا الموضع قبيحة ، وقوله : « واحدُ
السحاب »^(٤) له حذاء الأيتق « لفظه ومعناه جيدان فصيحان ، وإنما خص(١) ديوانه ٢٩٩ وشرح التبريزي ٢/ ٢٨٩ « أسقى وسقى بمعنى واحد . والمراد بالأجش : الرعد .
والهزيم : يحتمل أن يكون من الصوت ، من ذلك قولهم : تهزم الأديم إذا تكسر وتشقق »

(٢) ديوانه ٧٨ وشرح التبريزي ١/ ٣٧٢

والسبل بالتحريك : المطر . والعهاد : جمع عهد ؛ وهو مطر بعد مطر يدرك آخره بلل أوله وفي
الشرح . « وروض حاضر ، يعني المكان الذي فيه الحاضر ؛ وكذلك المكان الذي فيه البادى ، سقى
المكان باسم الناس ، لأن القوم إذا حضروا الماء قيل لهم : حاضر ، ولا يمتنع أن يعنى في هذا البيت :
الإنس إذ كان يمكن أن يقال : قد روضوا : إذا نبت لهم الروض » وفي ط « صوب العهد وروى حاضر
منهم »(٣) ديوانه ٢١١ وشرح التبريزي ٢/ ٤٠٦ « يقول للبرق : سقى سحابك برطه وصوبه إليه ،
كما تساق النوق بالحذاء » .

(٤) م « واحد المحاز . . . لفظ ومعنى » وهو تحريف

البرق لأنه دليل الغيث .

٤ - وقال أيضاً :

أَيُّهَا الْبَرْقُ بَيْتُ بِيَّاعِ الْبِرَاقِ وَاعْدُ فِيهَا بِوَابِلِ غَيْدَاقِ^(١)
الْبِرَاقُ: جمعُ بَرْقَةٍ ، مثل بُرْمَةٍ وَبِرَامٍ ، وهى الأرض ذات الطين والحصى تكون
ذات ألوانٍ مختلفة .

وهذا بيت جيد ، ووَصَلَه ببيت هو غاية فى الحسن والحلاوة نأتى به إن
شاء الله تعالى فى بابهِ .

٥ - وقال :

يَا دَارُ دَارَ عَلَيْكَ إِرْهَامُ النَّدى وَاهْتَزَّ رَوْضُكَ فِي الثُّرى فَتَرَّ دَا^(٢)
يقال : أرهمت السماء ، إذا أتت بالرَّهْمَةِ ، وهو المطر اللين ، يقال :
رَهْمَةٌ وَأَرْهَامٌ مثل^(٣) أَكْمَةٍ وَأَكَامٍ ، فلان قلت : «أرهام الندى» كان ذلك
سائغاً .

وتراً د : تثنى لكثرة ما به وغَضَّاضَتِه ومنه «امرأة رُوْدُ الشباب» أى :
غَضَّتِه .

وهذا بيت ليس بجيد اللفظ ولا النسيج .

١ - وقال البحرى :

نَشَدْتُكَ اللَّهُ مِنْ بَرْقٍ عَلَى إِضْمٍ لَمَّا سَقَيْتَ جُؤَبَ الْحَزَنِ فَالْعَلَمِ^(٤)

(١) ديوانه ٢٢٠ وشرح التبريزى ٢ / ٤٤٧ والفيدان : الكثير الماء والجري

(٢) ديوانه ١٢٥ وشرح التبريزى ٢ / ١٠١

(٣) ط « كأكمة »

(٤) ديوانه ٦٥٣ ، ٢ / ١٩٧٣ وقم « جوب »

وهذا بيت بارع اللفظ ، جيد المعنى ، وزاد في جَوْدته قوله : « نشدتك
الله » .

٢- وقال أيضاً :

سُقِيتِ الْغَوَادِي مِنْ طُلُولٍ وَأَرْبُعٍ وَحُبِّتِ مِنْ دَارٍ لِأَسْمَاءَ بَلَقَمٍ^(١)

وهذا أيضاً بيت جيد اللفظ والمعنى ، ويدخل في باب التسليم على الديار
لقوله : « وحبيت من دار » .

٣- وقال أيضاً :

أَنَاشِدُ الْغَيْثَ كَيْ تَهْمِي غَوَادِيهِ عَلَى الْعَفِيقِ وَإِنْ أَقَوْتُ مَغَانِيهِ^(٢)

وهذا [أيضاً] بيت جيد .

٤- وقال أيضاً :

أَقَامَ كُلُّ مِلْثٍ الْوَدْقِ رَجَاسٍ عَلَى دِيَارٍ بَعْلُو الشَّامِ أَذْرَاسٍ^(٣)

ملت : دائم كثير ، ورجاس : مُصَوَّتٌ^(٤) ، يريد الرعد .

وهذا بيت كثير الماء والروثني .

٥- وقال أيضاً :

لَا يَرِمُ رَبْعُكَ السَّحَابُ يَجُودُهُ تَبْتَدِي سَوْقُهُ الصَّبَا أَوْ تَقُودُهُ^(٥)

(١) ديوانه ٨٨ ، ٢ / ١٢٣٧

(٢) ديوانه ١٧٤ وفي ط « هل تهيم »

(٣) ديوانه ٧٩٣ . والودق : المطر ، وأذراس : باليات

(٤) م « مصوب » وهو تحريف

(٥) ديوانه ١٨٨ لا يرم : لا يبرح . يجوده : يسقيه . وفي ط « تجوده »

٦- وقال أيضاً :

سَقَى دَارَ لَيْلَى حَيْثُ حَلَّتْ رُسُومَهَا
عَهَادٌ مِنَ الْوَسْمِيِّ وَطَفٌ غَيُومَهَا^(١)
وهذان ابتداءان جيدان ، وليسا مثل ما تقدم .

٧- وقال أيضاً :

سَقَى رَبْعَهَا سَحْ السَّحَابِ وَهَاطِلُهُ وَإِنْ لَمْ يُخْبِرْ آتِفًا مَنْ يُسَاذِلُهُ^(٢)
وهذا بيت^(٣) ردىء العجز ؛ من أجل قوله « آتِفًا » لأنها حَشَمٌ لا حاجة
بالمعنى إليها .

فهذا ابتداء [به] من الدعاء للديار بالسقيا ، وهما عندي متكافئان .

(١) ديوانه ١٠٧ والعهاد : جمع عهد ، وهو انظر المتتابع . والوسى : مطر الربيع ووطف :
جمع وطفاء ، وهى السحابة المسترخية الجوانب لكثرة ماؤها . والنيوم : جمع غيم ، وهو السحاب

(٢) ديوانه ٢٢٥ ، ١٦٩٦/٣

(٣) ط « البيت . . . لأنه . . . لا حاجة للمعنى به »

في لوم الأصحاب في الوقوف على الديار

١- قال أبو تمام :

أَرَاكَ أَكْبَرْتَ إِذْمَانِي عَلَى الدَّمَنِ وَحَمَلِي الشُّوقَ مِنْ بَادٍ وَمَكْتَمِينَ^(١)
[وهذا ابتداء صالح] .

٢- وقال أيضاً :

مَا عَهِدْنَا كَذَا نَحِيبَ الْمَشُوقِ كَيْفَ وَالْدَمْعُ آيَةُ الْمَعْشُوقِ^(٢)
وهذا بيت رديء جداً ، وقد ذكرتُ ما فيه في باب ما^(٣) ذكر له في وسط الكلام في تعنيف الأصحاب على الوقوف على الديار ، وهذا البيت ابتداء ، وإنما ذكرته هناك لأن معناه يتضح بالأبيات التي بعده ؛ فجعلته في ذلك الباب .

وليس لأبي تمام ابتداء صالح في لوم الأصحاب ، غير هذين البيتين .
فأما البحترى فإنه تصرف فيه في ابتداءات جواد حسان بارعة حلوة .

١- فمن ذلك قوله :

فِيمَ ابْتِدَارُكُمْ الْمَلَامَ وَلَوْعَا أَبْكَيْتُ إِلَّا دِمْنَةً وَرُبُوعًا^(٤)
وهذا بيت حسن ، وفيه سؤال . وهو أن يقال : إنما لاموه على بكائه على الدمنة والربوع ، فما وجه اعتذاره بأنه لم يبك إلا دمنة وربوعاً ؟

(١) ديوانه ٣٣٣ وشرح التبريزي ٣ / ٣٣٧ والمكتمن : المضمحل الخافي

(٢) شرح التبريزي ٢ / ٤٣٠ وفي ديوانه ٢١٥ « بكاء المشوق » وهما روايتان

(٣) م « ما ذكرناه في وسط »

(٤) ديوانه ٢٥٧ ، ٢ / ١٢٥٣ وفي ط « ابتداركما » « أنكيت إلا » وهو تحريف وقد سبق ص ٨

والجواب : أنه ^(١) أراد أبكيت إلا ما مثله يُبكي ، وقد تقدّمنا الناس فيه ولم ينكر ذلك على أحد ؟

٢- وقوله :

خُذَا مِنْ بُكَائِي فِي الْمَنَازِلِ أَوْدَعَا وَرُوحَا عَلَى لَوْمِي بِهِنَّ أَوْ اِرْبَعَا ^(٢)
وهذا بيت جيد [حسن] .

٣- وقوله أيضاً :

ذَاكَ وَادِي الْأَرَكَ فَاحْبِسْ قَلِيلًا مُقْصِرًا مِنْ مَلَامَتِي أَوْ مُطِيلًا ^(٣)
وهذا بيت جيد حسن ، بارع اللفظ والمعنى ، وقد ذكرته أيضاً في باب الوقوف على الديار .

٤- وقوله :

أُخْرَى الْخُطُوبِ بَيِّنٌ يَكُونُ عَظِيماً قَوْلُ الْجَهُولِ : أَلَا تَكُونُ حَلِيمًا ^(٤)
٥- وقوله :

مَا أَنْتَ لِلْكَلِفِ الْمَشُوقِ بِصَاحِبٍ فَاذْهَبْ عَلَى مَهَلٍ فَلَيْتَ بِذَاهِبٍ ^(٥)
٦- وقوله :

فِي غَيْرِ شَأْنِكَ بُكْرَتِي وَأَصِيلِي وَسَوَى سَبِيلِكَ فِي السُّلُوِّ سَبِيلِي ^(٦)

(١) « ما أراد ما بكيت »

(٢) ديوانه ٧٠٢ . ١٢٦٣ / ٢ « من بكاء » ومعنى اربعا : ارفقا واقتصر

(٣) ديوانه ٦٨٦ « من صباة »

(٤) ديوانه ٢٨٦ ، ١٩٦٤ / ٣

(٥) ديوانه ٦٩٦

(٦) ديوانه ١٧٧

٧- وقوله :

بَعْضَ هَذَا الْعِتَابِ وَالتَّفْنِيدِ لَيْسَ دُمُ الْوَفَاءِ بِالْمَحْمُودِ^(١)

* * *

ولهما [أيضاً] في تأنيب العُدَّال في غير الوقوف على الديار ، ابتداعات
ليس بضائر ذكرها هنا .

١- فمن ذلك قول أبي تمام :

تَقَى جَمَحَاتِي لَسْتُ طَوْعَ مُؤْتَبِي وَلَيْسَ جَنِيبي إِنْ عَذَلْتُ بِمُصْحِي^(٢)

٢- وقوله أيضاً :

دَابُّ عَيْنِي الْبُكَاءُ وَالْحُزْنُ دَابِّي فَاتْرُكْنِي - وَقِيَّتِ مَا بِي - لِمَا بِي^(٣)

٣- وقوله أيضاً :

كُفِّي وَغَاكِ فَإِنِّي لَكَ قَالِي لَيْسَتْ هَوَادِي عَزَمَتِي بِتَوَالِي^(٤)

٤- وقوله أيضاً .

لَا مَتَهُ لَامَ عَشِيرُهَا وَحَمِيمُهَا مِنْهَا خَلَاتِقَ قَدْ أَبَرَّ ذَمِيمُهَا^(٥)

(١) ديوانه ٦٩١

(٢) ديوانه ٢٣ وفي شرح التبريزي ١ / ١٥٣ « تقى : أمر من تقاه يتقيه مخففا . و « جمحاتى » : من جمع الفرس إذا عز قارسه . وقوله : « لست طوع مؤتبي » : أى لست مطيعه . و « الجنيب » : المجنوب ، وهو هواه وقلبه ، وإنما يجنبها غيره ، ولكن أضافهما إلى نفسه لتعلقهما به . يخاطب عاذلته ، يقول : عذلك لا يجدى نفعا . ويقال : أحسب الرجل : إذا تابع وانقاد . والمعنى : اتقينى فيما أتصعب فيه ، فإنى لا أطاوع المؤنب إذا أنب ، وليس قلبى بمنقاد لى إذ ألمت » وفى ط والديوان « وليس جيبى » وهو تحريف .

(٣) ديوانه ٣٥٥

(٤) وشرح التبريزي ٣ / ٧٦ وفى ديوانه ٢٤٦ « يكفى وغاك »

(٥) ديوانه ٣١٠ وشرح التبريزي ٣ / ٢٧٢ وعشيرها : معاشرها . وحميمها : قريبها . ويروى « قد أبى ذميمها » وأبى بالثى : إذا لزمه

٥ - وقوله أيضاً :

مَتَى كَانَ سَمْعِي خِلْمَةً لِللَّوَائِمِ وَكَيْفَ صَغَتْ لِلْعَادِلَاتِ عَزَائِمِي^(١)
وقوله أيضاً :

قَدْكَ اتَّيَّبَ أَرْبَيْتَ فِي الْغُلُوءِ كَمْ تَعْدِلُونَ وَأَنْتُمْ سُجْرَانِي^(٢)

وهذه كلها ابتداءات صالحة ، إلا هذا البيت الأخير ؛ فإن الناس عابوه .
ذكر أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح في كتابه : أن مما عيب من
ابتداءات الطائي قوله :

[• قَدْكَ اتَّيَّبَ أَرْبَيْتَ فِي الْغُلُوءِ •]

وقوله [:

• كَذَا فَلْيَجِلَّ الْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الْأَمْرُ •]

وقوله :

• خَشْنَتْ عَلَيْهِ أُخْتُ بَنِي خُشَيْنِ •]

فأما قوله : « خشنت عليه » فهو لعمري من تجنيساته القبيحة ، وعهدت
مُجَانُ البغداديين يقولون : قليل نورة يذهب بالخشونة .

وأما قوله : « كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر » فليس بمعيب عندي ،
وقد ذكرته في ابتداءات المراتي ، وأخبرت بمعناه .

وأما قوله : « قدك اتتب أربيت في الغلواء » فإنها ألفاظ . صحيحة فصيحة
من ألفاظ العرب ، مستعملة في نظمهم ونثرهم ، وليست من متعسف ألفاظهم ،
ولا وحشي كلامهم : ولكن العلماء بالشعر أنكروا عليه أن يجمعها في مصراع

(١) ديوانه ٢٩٠ وشرح التبريزي ٣ / ٢١٩ وفي ط « للماذلين »

(٢) سبق ص ٢٦ و ٣٠١ .

واحد ، وجعلها ابتداء قصيدة ، ولم يفرق بينها بفواصل^(١) فقال : « قدك اتشب أربيت في الغلواء » فصار قوله « قدك اتشب » كأنها كلمة واحدة على وزن مُسْتَفْعِل ، وضم إليه « أربيت في الغلواء » فاستهجن .

ولو جاء هذا في شعر أعرابي لما أنكره ؛ لأن الأعرابي إنما ينظم كلامه المنشور الذي يستعمله في مخاطباته^(٢) ومحاوراته ، ولو خاطب أبو تمام بهذا المعنى في كلامه المنشور لما قال لمن يخاطبه إلا : حَسْبُكَ اسْتَحَى زِدْتَ وَغَلَوْتَ . وهذا كلام حسن بارع .

قال : فمن شأن الشاعر الحضري أن يأتي في شعره بالألفاظ [العربية] المستعملة في كلام الحاضرة ، فإن اختار أن يأتي بما لا يستعمله أهل الحضرة ، فمن سبيله أن يجعله من المستعمل في كلام أهل البدو دون الوحشي الذي يقل استعمالهم إياه ، وأن يجعله متفرقاً في تضاعيف ألفاظه ، ويضعه في مواضعه : فيكون قد اتسع مجاله^(٣) بالاستعانة به ، ودل على فصاحته وعلمه ، وتخلص من الهجنة . كما أن الشاعر الأعرابي إذا أتى في شعره بالوحشي الذي يقل استعماله إياه في منشور كلامه وما يجري^(٤) دائماً في عاداته - هَجَنَ وَقَبَحَ ، إلا أن يضطر إلى اللفظة واللفظتين ، ويقل ، ولا يستكثر ؛ فإن الكلام أجناس إذا أتى منه شيء مع غير جنسه باينته ونافره وأظهر قبحه .

وقد تَصَرَّفَ البحتري في هذا الباب أَحْسَنَ تصرف وأبلغه وأعجبه .

(١) ط : « إلا بفواصل [يسيرة] » والكلمة الأخيرة زادها الناشر ليقيم له الكلام ، ولكن أين هذه الفواصل اليسيرة ؟

(٢) م « في خطابه »

(٣) ط « مجاله بالاستعانة ودل »

(٤) ط « وما جرى »

١- فمن ذلك قوله :

أَتَارِكِي أَنْتَ أَمْ مُغْرَى بِتَعْلِيْبِي
وَلَا تَهْمِي فِي الْهَوَى إِنْ كَانَ يُزْرِي بِي^(١)

٢- وقوله أيضاً :

يُفَنِّلُونَهُمْ أَذْنَى إِلَى الْفَنْدِ وَرُشْدُونَ وَمَا الْعَدَالُ مِنْ رَشْدِي^(٢)

٣- وقوله أيضاً :

إِنَّمَا النَّيُّ أَنْ يَكُونَ رَشِيدًا فَانْقُصَا مِنْ مَلَاهِهِ أَوْ فَرِيدًا^(٣)

٤- وقوله أيضاً :

أَلَمْ يَكُ فِي وَجْدِي وَبَرَحٍ تَلْدُدِي نِهَابَةً نَهَى لِلْعَلْوِ الْمُفْنِدِ^(٤)

٥- وقوله أيضاً :

مَرَنْتَ مَسَامِعُهُ عَلَى التَّفْنِيدِ فَقَضَى الْمَلَامَ لِأَعْيُنٍ وَخُلُودِ^(٥)

٦- وقوله أيضاً :

شُغْلَانٍ مِنْ عَدَلٍ وَوَنَ تَفْنِيدِ وَرَسِيْسُ حُبِّ طَارِفٍ وَتَلِيدِ^(٦)

٧- وقوله أيضاً :

أَقْصَرَا لَيْسَ شَأْنِي الْإِقْصَارُ وَأَقْلَا لَنْ يُغْنِيَ الْإِخْتَارُ^(٧)

(١) ديوانه ٣٢٦ وفي ط « في هوى »

(٢) ديوانه ١١٣ « وما التَّعْدَالُ » وفي ط « في رَشْدِي »

(٣) ديوانه ٤٥٠

(٤) في ديوانه ٨١٥/٢ « المعارف : نهى للعلو »

(٥) ديوانه ٨ / ٢٠٨ « فَمَسَى »

(٦) ليس في ديوانه المطبوع ،

(٧) ديوانه ١٠٤ وفي م « أن يغني » وهو تحريف

٨- وقوله أيضاً :

قُلْتُ لِلْأَئِمِّ فِي الْحُبِّ : أَفَقِنُ لَا تُهَوِّنْ طَعْمَ شَيْءٍ لَمْ تَتْلُقْ^(١)

٩- وقوله أيضاً :

أَمَّا كَانَ فِي تِلْكَ الرَّبُّوعِ السَّوَانِلِ بَيَانٌ لِنَاءٍ أَوْ جَوَابٍ لِمَسَائِلِ^(٢)

١٠- وقوله أيضاً :

أَكْثَرْتَ مِنْ لَوْمِ الْمُحِبِّ فَاقْلِيلِ وَأَمَرْتَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ فَأَجْمِلِ^(٣)

١١- وقوله أيضاً :

رُوَيْدَكَ إِنَّ شَأْنَكَ غَيْرُ شَانِي وَقَصْرَكَ لَمْ تُطَاعَةَ مَنْ نَهَانِي^(٤)

١٢- وقوله أيضاً :

يَكَادُ عَاذِلُنَا فِي الْحُبِّ يُغْرِينَا فَمَا لَجَاجُكَ فِي لَوْمِ الْمُحِبِّينَا^(٥)

١٣- وقوله أيضاً :

عَلَيْدِرِي فَيْكِ مِنْ لَاحِ إِذَا مَا شَكَوْتُ الْحُبَّ حَرَّقَنِي مَلَامًا^(٦)

١٤- وقوله أيضاً :

طَفِقتُ تَلُومُ وَلَاتَ حِينَ مَلَامِهِ لَا عِنْدَ كَرَّتِهِ وَلَا إِحْجَامِهِ^(٧)

ولا خفاءً بفضل البحتری على أبي تمام في هذا الباب .

وقد مضت الموازنة بين الابتداءات بذكر الديار والآثار ، وأما الآن

فأذكر ما جاء عنهما من ذلك في وسط الكلام .

(١) ديوانه ٣٢١ ، ٣ / ١٤٧١ (٢) ليس في ديوانه المطبوع

(٣) ديوانه ١٨٧ ، ٣ / ١٧٩٩ « في لوم » وكذلك في ط

(٤) ديوانه ١٤٤

(٥) ليس في ديوانه المطبوع . في ديوانه ٢٢٠٠ / ٤ المعارف

(٦) ديوانه ٢٩ وفي ط « قطعني ملأ » (٧) ديوانه ٤٣١

ما قالوا في أوصاف الديار والبكاء عليها

قال أبو تمام :

طَلَلَ الْجَمِيعَ لَمَدَ عَفْوَتَ حَمِيدَا وَكَفَى عَلَى رُزْنِي بِذَلِكَ شَهِيدَا^(١)
 دِمْنٌ كَانَ الْبَيْنَ أَصْبَحَ طَالِبَا دِمْنًا لَدَى آرَامِهَا وَحُقُودَا^(٢)
 قَرَّبْتَ نَازِحَةَ الْقُلُوبِ مِنَ الْجَوَى وَتَرَكْتَ شَأْوَ الدَّمْعِ فَيْكَ بَعِيدَا
 خَضِلًا إِذَا الْعَبْرَاتُ لَمْ تَبْرَحْ لَهَا وَطَنًا سَرَى قَلِقَ الْمَحَلُّ طَرِيدَا

وقوله : « وكفى على رزنى بذاك^(٣) شهيدا » ليس بالجيد ، وقد ذكرت معناه [فيما تقدم من ذكر معانيه] في باب الابتداءات عند ذكر البيت^(٤) .

وقوله : « قَرَّبْتَ نَازِحَةَ الْقُلُوبِ مِنَ الْجَوَى » يريد القلوب التي بَعْدَ عَهْدِهَا بمرض الحب فأدنيتهما من ذاك^(٥) عند الوقوف عليك ، يخاطب [الطلل أو] الدمن .

وقوله : « وتَرَكْتَ شَأْوَ الدَّمْعِ فَيْكَ بَعِيدَا » أى دائماً طويلاً . وقوله :

خَضِلًا إِذَا الْعَبْرَاتُ لَمْ تَبْرَحْ لَهَا وَطَنًا مَرَى قَلِقَ الْمَحَلُّ طَرِيدَا
 أى : مَنْ كَانَ إِذَا يَبْكِي فِي وَطْنِهِ عَلَى الْحَوَادِثِ الَّتِي تَحْدُثُ عَلَيْهِ^(٦) فِيهِ ،
 سَرَى هَذَا الدَّمْعُ قَلِقَ الْمَحَلُّ طَرِيدَا ، أى اعتسف^(٧) المسير لطوله حتى حلَّ
 بهذه الدمن . وهذا نحو من قوله :

(١) ديوانه ٨٧ وشرح التبريزي ١/ ١٠٤

(٢) ط « دينا لدى » وهو تحريف قال التبريزي : « والدمن الأول : جمع دمنة ، وهي آثار
 النجوم في الديار . والدمن الثانية : جمع دمنة أيضاً ، وهي الحقد وبقينه في القلب . وعنى بالآرام :
 النساء ، شبها بالظباء البيض »

(٣) م « رزنى نداله » وهو تحريف

(٤) راجع ص ٢١٧ و ٤٤٦

(٥) ط « فأزيتها من ذلك » وهو تحريف لأن الشاعر قال « قريت » ولم يقل : أريت !

(٦) م « تحدث فيه »

(٧) ط « إذا عسف . . . حتى يحل » وهو تحريف

فَمَا وَجَدْتُ عَلَى الْأَخْشَاءِ أَبْرَدَ مِنْ دَمْعٍ عَلَى وَطَنِ لِي فِي سِوَى وَطَنِي^(١)
 فقوله : « على وطن لي » يعنى الرسوم والطلول التى يقف عليها .

وهذا من جيد ألفاظه وصحيح معانيه ، وغرضه فيها وصف من الدمع غرض

حسن^(٢) ، وأحسن منه [وألطف] وأغرب قوله :

أَمَّا الرُّسُومُ فَقَدْ أَذْكَرَنَ مَا سَلَفَا فَلَا تَكْفُنْ عَنْ شَأْنِكَ أَوْ يَكْفَا^(٣)
 لَا عُذْرَ لِلصَّبِّ أَنْ يَقْنَى السُّلُوَّ وَلَا لِلدَّمْعِ بَعْدَ مُضِيِّ الْحَيِّ أَنْ يَقِفَا^(٤)
 حَتَّى يَظُلَّ بِمَاءٍ سَافِحٍ وَدَمٍ فِي الرَّبْعِ يُحْسَبُ مِنْ عَيْنَيْهِ قَدَرُ عَفَا^(٥)

وهذا المعنى ليس له ، وإنما أخذه من قول أبى وجزة [السعدى] :

عُيُونُ نَرَامَى بِالرُّعَافِ كَأَنَّهَا مِنْ الشُّوقِ صِرْدَانٌ تَدِفُّ وَتَلْمَعُ^(٦)

قيل فى تفسيره : شبه الدمع وقد عَصَفَرَه الدم بالرُّعَافِ ، وثَبَّهَ العيون -

وهى تفيض بالدمع تارة وتحبسه أخرى - بالصُّرْدَانِ تَنْتَفِضُ تارة وتظهر قريباً^(٧) من الأرض تارة .

وبيت أبى تمام أجود لفظاً ونظماً .

ولا أعلم^(٨) الباحثرى ذهب إلى مثل هذا المعنى ، ولا للمعنى الذى قبله

(١) فى ديوانه ٣٣٣ وشرح التبريزى ٣ / ٣٣٨ « أو قد من دمع »

(٢) ط « غرض صحيح »

(٣) ديوانه ٢٠٠ وشرح التبريزى ٢ / ٣٥٩ وقد سبق فى البكاء على الديار

(٤) يقنى السلو : يدخره ويمسكه . ويروى « يقنى الحياء »

(٥) قال التبريزى « تقديره : حتى يظل هذا الصب يحسب قد رعى من عينيه بماء سافح ودم ،

لاختلاط الدمع بالدم »

(٦) ط « صردان تدب » وهو تحريف والصردان : جمع صرد ، وهو طائر ، والدفيق : أن

يدف الطائر على وجه الأرض يحرك جناحيه ورجلاه بالأرض وهو يطير ، ثم يستقل . ويقال لمع الطائر
 بجناحيه يلمع وألمع بهما : حركهما فى طيرانه وخفق بهما »

(٧) ط « وتظهر عرضاً » وهو تحريف

(٨) ط « ولا أعلم »

[في وصف الذمّع] . ولكنه يعتذر مرةً بقلّة دمه ، ومرة يذكر كثرته ويفتخر
بغزّره ، وفي كل ذلك يُحسّن ويجيد .

فمن اعتذاره قوله في قصيدته التي أولها :

فِيمَ ابْتِدَارُكُمْ الْمَلَامَ وَلَوْعَا أَبَكَيْتُ إِلَّا دِمْنَةً وَرُبُوعًا^(١)
يَا دَارُ غَيْرِهَا الزَّمَانُ وَفَرَقْتُ عَنْهَا الْحَوَادِثَ شَمَلَهَا الْمُجْمُوعَا^(٢)
لَوْ كَانَ لِي دَمْعٌ يُحَسِّنُ لَوْعَتِي خَلَيْتُهُ فِي عَرَصَتَيْكَ خَلِيعَا^(٣)
لَا تَخْطُبِي دَمْعِي إِلَى فَلَمٍ يَدْعُ فِي مُقْلَتِي جَوَى الْفِرَاقِ دُمُوعَا
فقوله في ابتداء القصيدة : « أَبَكَيْتُ إِلَّا دِمْنَةً وَرُبُوعَا » قد أخبر أنه
بكى ثم قال : « لو كان لي دمع يحسن لوعتي » أي : لو كان لي دمع غزير
يليق بلّوعتي ويبين^(٤) عنها .

وكذلك قوله : « فلم يدع في مقلتي جوى الفراق دموعاً » أي : دموعاً
كافيةً أرضاها ، أو دموعاً تسعني^(٥) : لأنه استقلّ دمه واستنزّره ،
أو أن يكون انقطع دمه .

ولله در كثيرٍ إذ يقول :

وَقَضَّيْنِ مَا قَضَّيْنِ ثُمَّ تَرَكْنِي بِفَيْفَا خُرَيْمٍ وَاقِفَا أَتَلَدُ^(٦)
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْعَيْنِ ضَنْتَ بِمَا تَهَا عَلَى وَلَا مِثْلِي عَلَى الذَّمْعِ يُحْصَدُ^(٧)

(١) ديوانه ٢٥٧ ، ٢ / ١٢٥٣ وقد سبق هذا البيت في صفحة ٨ و ٤٦٧

(٢) ط « أيلى الحوادث »

(٣) في الديوان « خلفته » وفيه ٢ / ١٢٥٣ « تركته »

(٤) ط « وينى »

(٥) ط « تسعني » و م « تسعني »

(٦) ديوانه ١ / ١١٤ « وأمن بينا عاجلاً وتركني » وقد سبق البيت في الوقوف على الديار

(٧) ديوانه ١ / ١١٨

وقال أبو تمام :

أَفَشِيبَ رَبْعِهِمْ أَرَاكَ دَرِيسَا تَقْرَى ضُيُوفَكَ لَوْعَةً وَرَمِيسَا^(١)
وَلَكِنْ حُبِسْتُ عَلَى الْبَلَى لَقَدْ اغْتَدَى دَمْعِي عَلَيْكَ إِلَى الْمَمَاتِ حَبِيسَا^(٢)
وَأَرَى رُسُومَكَ مُوحِشَاتٍ بَعْدَ مَا قَدْ كُنْتَ مَأْلُوفَ الْمَحَلِّ أُنَيْسَا^(٣)
وَبَلَاغَةً حَتَّى كَأَنَّ قَطِينَهَا حَلَفُوا يَمِينًا أَخْلَفَكَ غَمُوسَا^(٤)

وهذا كلام رَصِينٌ ، وقوله : « حلفوا يميناً أخلفك » أى : كأنهم حلفوا يميناً أن يعود إليك فأخلفك ذلك .

ومن حلو معانيه وجيد ألفاظه في البكاء على الديار . قوله :

دِمْنُ لَوْتٍ عَزَمَ الْفُؤَادِ وَمَزَقَتْ فِيهَا دُمُوعُ الْعَيْنِ كُلُّ مُمَزَّقٍ^(٥)
وقال أيضاً :

سَقَى عَهْدَ الْحِمَى سَبْلُ الْعِهَادِ وَرَوْضَ حَاضِرٍ مِنْهُ وَبَادَى^(٦)
نَزَحْتُ بِهِ رَكِيَّ الْعَيْنِ لَأَنِّي رَأَيْتُ الدَّمْعَ مِنْ خَيْرِ الْعَتَادِ^(٧)
وهذا البيت في غاية الجودة لفظه ومعناه إلا أنه وصله بكل تخليط^(٨) ،

(١) ديوانه ١٧٥ وشرح التبريزي ٢٦٢/٢ وقد سبق البيت الأول فيما تهيج به الديار . . . وفي م « وقرى » وما روايتان .

(٢) ويروى « لبا اغتدى » قال التبريزي : « أى صرت »

(٣) ويروى : « وأرى ربوعك »

(٤) ط « أخلفتك » وفي شرح التبريزي عن المعري : « هذا مبنى على الحديث المروى ، وهو قولهم : « الأعيان الكاذبة تترك الديار بلاقع » . يقول : كأن أهل هذا الربع حلفوا يميناً كاذبة فتركت ديارهم بلاقع . والغموس : التى تمس في الإثم »

(٥) ديوانه ٢١١ وفي شرح التبريزي ٤٠٦/٢ « لوت : أى نثت ، أى كان في الفؤاد تعديها والاستمرار على السير ، فلما انتهينا إليها نثت هذا العزم وردته حتى تركنا السير ووقفنا عليها . ويروى : أى مزق »

(٦) ديوانه ٧٨ وشرح التبريزي ٣٧٢/١ وقد سبق البيت الأول في الادعاء للدار بالسقيا

(٧) ويروى « لما رأيت » وق م « ركي العهد » وهو تحريف

(٨) ط « وصله بكلام غليظ »

فقال :

فَيَا حُسْنَ الرُّسُومِ وَمَا تَمَثَّى إِلَيْهَا الدَّهْرُ فِي صُورِ الْبَعَادِ^(١)

وهذا بيت في غاية الرداة والسخافة [لفظه] ومعناه [يريد] : فيا حسن الرسوم ولم يمش إليها الدهر : أى لم يصبها الدهر ببعده أهلها عنها ، فأخرجه^(٢) هذا المخرج القبيح المستهجن .

ومن إحسان البحترى المشهور في هذا . قوله :

أَمْحَلَّتْنِي سَلْمَى بِكَاطِمَةَ اسْلَمَا وَتَعَلَّمَا أَنَّ الْجَوَى مَا هِجْتُمَا^(٣)
هَلْ تُرَوِّيانِ مِنَ الْأَجِيَةِ هَائِمًا أَوْ تُسْعِدَانِ عَلَى الصَّبَابَةِ مُغْرَمًا
أَبْكِيكُمْ دَمْعًا وَلَوْ أَنِّي عَلَى قَدَرِ الْجَوَى أَبْكِي بِكَيْتُكُمْ دَمًا

ومن جيد أشعار^(٤) أبي تمام في هذا الباب أيضاً ، قوله :

أَرَامَةٌ كُنْتُ مَالَفَ كُلِّ رِيمٍ لَوْ اسْتَمْتَعْتُ بِالْأَنْسِ الْقَدِيمِ^(٥)
أَدَارَ الْبُؤْسِ حَسَنَكَ التَّصَابِي إِلَى فَصِرَتْ جَنَاتِ النَّعِيمِ
لَشَنْ أَضْبَحْتُ مَيْدَانَ السَّوَا فِي لَقَدْ أَضْبَحْتُ مَيْدَانَ الْهُمُومِ^(٦)
وَمِمَّا ضَرَمَ الْبُرَحَاءُ أَنِّي شَكُوتُ فَمَا شَكُوتُ إِلَى رَجِيمِ
أُظِنُّ الدَّمْعَ فِي خَدِّي سَبِّقِي رُسُومًا مِنْ بُكَائِي فِي الرُّسُومِ

(١) م « الدهر وصور » وهو تحريف

(٢) م « فأخرجه هذا اللفظ »

(٣) ديوانه ٢٢٨ ، ١٩٥٨/٣ وفي ط « ان الهوى » وقد سبق هذا البيت في التسليم على

الديار . ص ٤٤٢

(٤) ط « شعر »

(٥) ديوانه ٢٨٧ وشرح التبريزي ١٦٠/٣ وفي م « الأنس المقيم » وقد سبق البيت

صفحة ٤٦٠ .

(٦) في شرح التبريزي « السواى : جمع سافية ، وهى الريح التى تسقى التراب »

وهذا من أسهل كلامه^(١) وأسلس نظمه ، ومن أبعد قولٍ من التكلف والتعسف ، وأشبهه بكلام المطبوعين وأهل البلاغة .

وقوله : « فصرت جنات النعيم » معنًى حسنٌ . ولكن فيه إسراف أن يجعل داراً خلت من أهلها - دارَ بؤس وهو بالك فيها - جنات النعيم .

وقد أتى البحرى بهذا المعنى متبعاً فيه أبا تمام ، ولكنه جاء به على سبيل اقتصاد واعتدال ، وتجنب الإفراط^(٢) ، فقال :

يَا مَغَانِي الْأَحْبَابِ صِرْتِ رُسُومًا وَغَدَا الدَّهْرُ فِيكَ عِنْدِي مَلُومًا^(٣)

أَلِفَ الْبُؤْسِ عَرَصَتِكَ وَقَدْ كُنْتُ مِ يَعْينِي جَنَّةً وَنَعِيمًا

فقال : « ألف البؤس عرصتك » ثم قال : « وقد كنت بعينى جنة ونعياً » فجعلها جنةً ونعياً فيما مضى . ومع هذا فلأنى أقول : إن بيت أبى تمام أحسن ، وهو فى سائر أبياته أشعر .

وقال البحرى :

لَعَمْرُ الرُّسُومِ الدَّارِسَاتِ لَقَدْ غَدَتْ بَرِيًّا سَعَادٍ وَهِيَ طَيِّبَةُ الْعَرَفِ^(٤)

بَكَيْنًا فَمِنْ دَمْعٍ يَمَازِجُهُ دَمٌ هُنَاكَ وَمِنْ دَمْعٍ نَجُودُ بِهِ صِرْفٍ

وهذا حسن جداً ، وإنما أخذ قوله : « برى سعاد وهى طيبة العرف »

من قول الآخر^(٥) ، أنشدته الأنخس عن المبرد :

وَأَسْتَوْدِعْتُ نَشْرَهَا الدِّيَارُ فَمَا تَزْدَادُ إِلَّا طَيِّبًا عَلَى الْقِدَمِ

(١) ط « أسهل الكلام »

(٢) ط « واجتنب إفراطه »

(٣) ديوانه ٢٧٣

(٤) ديوانه ٤٤١ ، ٢ / ١٣٩٨ وفى ط « لمعرك إن الدارسات » .

(٥) م « قول آخر وأنشده الأنخس » وهو تحريف .

وهذا أجود من بيت البحترى ، لما فيه من الزيادة الحسنة ، وهو قوله :
« فما تزداد إلا طيباً على القدم » .

وقال البحترى :

تَرَى اللَّيْلَ يَقْضِي عُقْبَةً مِنْ هَزِيمِهِ أَوْ الصُّبْحُ يَجْلُو غُرَّةً مِنْ صَدِيعِهِ^(١)
أَوْ الْمَنْزِلُ الْعَاقِي يَرُدُّ أُنَيْسَهُ بَكَاءَ عَلَى أَطْلَالِهِ وَرُثْوَعِهِ
إِذَا أَرْتَفَقَ الْمُشْتَاقُ كَانَ سُهَادُهُ أَحَقَّ بِجَفْنِي عَيْنِهِ مِنْ هُجُوعِهِ^(٢)
وهذا لفظاً^(٣) فحلّ ، ومعان في غاية الصحة والاستقامة .

وللبحترى في وصف الديار والبكاء عليها مذهب آخر ، وهو [حسن جداً] .
من ذلك [قوله :

أَبْكَاءُ فِي الدَّارِ بَعْدَ الدَّارِ وَسَلُّوا بِزَيْنَبٍ عَنْ نَوَارِ^(٤)
لَا هُنَاكَ الشُّغْلُ الْجَدِيدُ بِحَزْوَى عَنْ رُسُومِ بَرَامَتَيْنِ قِفَارِ
مَا ظَنَنْتُ الْأَهْوَاءَ قَبْلَكَ تُنْمَحَى مِنْ صُدُورِ الْعُشَّاقِ مَحَوِ الدِّيَارِ^(٥)
دِمْنَةُ رَدَّتِ الْهَوَى الشَّرْقَ غَرْباً وَأَمَالَتْ نَهَجَ الدُّمُوعِ الْجَوَارِي^(٦)
وهذا غرض حلو ، ومعنى لطيف .

(١) ديوانه ٣٧٢ « أم الصبح » ، ٢ / ١٢٧٥ وقد قال الشيخ محيي الدين « العقبة : بضم العين وسكون القاف - الشدة ويقولون : لقيت من فلان عقبة الصبح ، يريدون : لقيت منه شدة . . . ويقال للصبح صديق من الصدع الذي هو الشق ؛ لأن الظلام ينشق عنه »

ولست أرى رأيه في تفسيره العقبة بالشدة ، لأن هذا يحيل معنى البيت . والمراد من العقبة هنا : آخر المزيج لأن عقبة كل شيء آخره . والصديق : انصداع الصبح وهو انشقاقه ، لأن الليل ينشق عنه

(٢) م « إذا اتفق . . . كان شهوده » وهو تحريف

(٣) ط « وهذا معنى »

(٤) ديوانه ٤٤٤ ، ٢ / ٩٨٦ وانظر ص ٤٥٣

(٥) سقط هذا البيت من ديوانه وهو ثابت في طبعة مصر ٢ / ٢٤

(٦) في ديوانه و ط « نظرة ردت »

ومثله قوله ولكن ليس فيه ذكر البكاء :

أَبَيْتُ بِأَعْلَى الْحَزَنِ وَالرَّمْلُ دُونَهُ مَعَانٍ لَهَا مَجْفُوءَةٌ وَطُلُوبٌ^(١)
وَقَدْ كُنْتُ أَهْوَى الرِّيحَ غَرْباً مَهِيئاً فَقَدْ صِرْتُ أَهْوَى الرِّيحَ وَهِيَ قَبُولٌ^(٢)
قال (٣) : ذلك : لَأَن الْقَبُولَ هِيَ الصَّبَا ، وَمَهِيئاً مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ .

ونحوه قوله :

كَلَّفَتْنِي أَرْجِيَّاتُ الصَّبَا طَلَقاً فِي الشَّوْقِ مُمْتَدَّ السَّنِ^(٤)
نَقَلْتَنِي فِي هَوَى بَعْدَ هَوَى وَابْتَغَتْ لِي سَكناً بَعْدَ سَكَنٍ
وقوله :

مَا ظَنَنْتُ الْأَهْوَاءَ قَبْلَكَ تُمَحِّي مِنْ صُدُورِ الْعُشَّاقِ مَحْوَ الدُّيَارِ^(٥)
معنى حسن ، وإنما أخذه من قول أبي تمام :
زَعَمْتُ هَوَاكَ عَفَا الْغَدَاةَ كَمَا عَفَتْ مِنْهَا طُلُوبٌ بِاللَّوَى وَرُسُومٌ^(٦)
وبيت البحترى أحلى وأبدع .

وقال البحترى في وجه آخر ، وهو أيضاً حسن لطيف :

فِي كُلِّ يَوْمٍ دِعْنَةٌ مِنْ حُبِّهِمْ تَقْوِي وَرَبْعٌ بَعْدَهُمْ يَتَابَدُ^(٧)
أَوْ مَا كَفَانَا أَنْ بَكَيْنَا غُرْباً حَتَّى شَجَانَا بِالْمَنَازِلِ نُهَمْدُ^(٨)

(١) ديوانه ٣٤٣ « والرمل عنده »

(٢) ط « أريج الریح » وفي الديوان « غرباً مأجها »

(٣) ط « وذلك »

(٤) ديوانه ٦١٣ « في الحب تمتد الرسن » ، ٢١٥٣/٤ المعارف

(٥) مضى آتفا صفحة ٤٨٠ .

(٦) ديوانه ٢٩٩ وشرح التبريزي ٢٨٩/٣

(٧) ديوانه ٦٨٩

(٨) ط « غردا حتى شجتنا »

ومثله :

هُوَ الدَّمْعُ مَوْقُوفًا عَلَى كُلِّ دِمْنَةٍ تُعْرَجُ فِيهَا أَوْ خَلِيطٌ تُزَايِلُهُ^(١)
تَرَادَفَهُمْ خَفَضُ الزَّمَانِ وَلَيْئَهُ وَجَادَهُمْ طَلُّ الرَّيْعِ وَوَايِلُهُ^(٢)
ولمّا حذا البحترى هذا المعنى على حَلْوٍ قول كُثِير :

وَكُنْتُ أَمْرًا بِالْغُورِ مَنَى ضَمَانَةً وَأُخْرَى بِنَجْدٍ ، مَا تُعِيدُ وَمَا تُبْدَى^(٣)
فَطَوَّرًا أَكْرُّ الطَّرَفِ نَحْوَ نِيْهَامَةٍ وَطَوَّرًا أَكْرُّ الطَّرَفِ كَرًّا إِلَى نَجْدٍ
وَأَبْكِي إِذَا فَارَقْتُ هِنْدًا صَبَابَةً وَأَبْكِي إِذَا فَارَقْتُ دَعْدًا عَلَى دَعْدٍ^(٤)
وهذا مالا مزيد فيه على حسنه وحلاوته^(٥) . ومثله قول جرير :

أَخَالِدُ قَدْ عَلِقْتُكَ بَعْدَ هِنْدٍ فَشَبَبَنِي الْخَوَالِدُ وَالْهُنُودُ^(٦)
هَوَى بِنِيْهَامَةٍ وَهَوَى بِنَجْدٍ فَبَلَّتْنِي التَّهَائِمُ وَالنُّجُودُ^(٧)
[وقال جرير في نحو المعنى :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنَّ بِالْغُورِ حَاجَةً وَأُخْرَى إِذَا أَبْصَرْتُ نَجْدًا بَدَ الْيَارِ^(٨)
ومثله قوله أيضاً] :

أَحَبُّ ثَرَى نَجْدٍ وَبِالْغُورِ حَاجَةٌ فَعَارِ الْهُوَى يَا عَبْدَ قَيْسٍ وَأَنْجَدًا^(٩)

(١) ديوانه ٥١ « موقوف » ٣٠ / ١٦١١

(٢) في الديوان « حفص النعم »

(٣) ط « منى صريمة . . . ما يعينك ما تبدي » وهو تحريف

(٤) م « إلى دعد »

(٥) ط « وطلاوته »

(٦) اللسان ٤٥٠ / ٢ ٩٨ وفي ديوانه ١٦٠ « فبلتنى » وبين هذا البيت والذي

يليه ثلاثة أبيات .

(٧) ط « فقتلنى »

(٨) ديوانه ٦٠٢

(٩) ديوانه ١٨٥

وهذا باب في وصف أطلال الديار وآثارها

قال أبو تمام :

قَفُّوا نَعْطِ الْمَنَازِلَ مِنْ عُبُونٍ لَهَا فِي الشُّوقِ أَحْسَاءُ غِزَارُ^(١)

عَفَّتْ آيَاتُهُنَّ وَأَيُّ رَبِّعٍ يَكُونُ لَهُ عَلَى الزَّمَنِ الْخِيَارُ^(٢)

أَنَافٍ كَالْخُنُودِ لَطِمنَ حُزْنًا وَنُؤْيٌ مِثْلُ مَا انْقَصَمَ السَّوَارُ

قوله : « أَحْسَاءُ » جمع حِسْبَى ، وهو الماء يغيض في الرمل ، فإذا وصل إلى الصلابة وقف فيخفر عنه ويشرب .

[وقد قال في موضع آخر :

• وَدَغَ حِسْبَى عَيْنٍ يَجْتَلِبُ مَاءَهُ الْوَجْدُ^(٣) •

وقوله : « أَنَافٍ كَالْخُنُودِ لَطِمنَ حُزْنًا » من قول المَرَارُ الْفَقَّاسِي :

أَثَرُ الْوُقُودِ عَلَى جَوَانِبِهَا بِخُدُودِهَا كَأَنَّهُ لَطْمٌ^(٤)

وقال البحري :

عَوَضَ مِنْهُمْ حَسْبِسٌ - وَقَدْ حَلَّ وَاللَّوَى - مَنَزِلٌ بِوَجَرَةٍ عَافِي^(٥)

لَمْ تَدَغْ مِنْهُ مُبْلِيَاتُ اللَّيَالِي غَيْرَ نُؤْيٍ تَسْفِي عَلَيْهِ السَّمَوَاتِي^(٦)

(١) شرح التبريزي ١٥٢/٢ وفي الديوان ١٤٠ « أنواء غزار »

(٢) في شرح التبريزي ١٥٣/٢ « لأن الزمان لا يحصى على اختياره ، بل يلبه ويخلفه »

(٣) صدره : « تجرع أسمى قد أقفر الخزع الفرد » وهو مطلع قصيدة في الديوان ١٢٠ وشرح

التبريزي ٨٠/٢

(٤) سبق ص ٦٨

(٥) ديوانه ٣٦٧ « عرض منهم » ، ١٣٨٥/٣

(٦) في ديوانه « فيه »

وَأَثَافٍ أَتَتْ لَهَا حِجَجٌ دُوْنَ لَطَى النَّارِ مُثْلُ كَالْأَثَافِ

قوله : « مُثْلُ » [أى] قاعة ثابتة « كالأثافى » . يريد الكواكب التى عند الفرقدين وهى ثلاثة ، قيل لها أثاف لشبهها بالأثافى ، فشبهه البحرى الأثافى بها لثباتها^(١) وأنها مُثْلٌ على مرِّ الدهر .

قال أبو حنيفة الدينورى فى كتابه كتاب^(٢) الأنواء : إن تثليثها طويلاً ، ولو شبهها البحرى بالنسر الواقع - لأنه أشهر وأظهر وأقرب شبهاً - لكان ذلك أحسن [وأليق] وأكشف للمعنى من أن يشبهها بشيء إنما استعير له اسمها ، وليس يعرفه كل أحد ، ولكنه جاء [به] من أجل القافية .

وقال البحرى :

لَهَا مَنْزِلٌ بَيْنَ الدُّخُولِ فَتُوضِحْ مَتَى تَرَهُ عَيْنُ الْمُتِمِّمْ تَسْفَحْ^(٣)
عَفَا غَيْرَ نَوِي دَارِسٍ فِي فِنَائِهِ ثَلَاثُ أَثَافٍ كَالْحَمَائِمِ جُنْحِ
وهذا جيدٌ حسن وعلى منهج الشعراء ، وأظنه أخذه من قول عدي بن زيد :

وثلث كالحمائم بها بَيْنَ مَجْشَاهُنَّ تَوْسِيمُ الْحُمَمِ^(٤)
وابن الأعرابي قال : لا يكون « مجشاهن » ، إنما هو « مجراهن » .

(١) ط « ثبوتها »

(٢) ط « فى كتابه فى الأنواء »

(٣) ديوانه ٦٣١

(٤) أورده أبو الفرج الأصفهاني فى الأغاني ٤٠/٢ وعقب عليه بقوله : « ويروى »
« توشيم العجم » والتوشيم أراد به آثار الوقود ، قد صار فيها كاللثوم ، والثلاث : يعنى الأثافى التى تنصب عليها القدر « وفى م » بهاتين « وهو تعريف

أو من قول أبي نُوَّاس :

كما اقتربت عند المبيت حمامٌ بعيداتٌ تُسمى مَالَهُنَّ وَكُونُ^(١)

وهذا أجود من بيت عدى ومن بيت البحتري .

وقد شبه الأثافي بالحمام غير واحد من الشعراء ، والبديع^(٢) النادر في وصف الأثافي قول كثير :

أَمِنْ آلِ قَيْلَةٍ بِالْذُّخُولِ رُسُومُ وَيَحْوَمَلِي طَلَلٌ يَلُوحُ قَدِيمُ^(٣)

لَعِبَ الرِّيحُ بِرَسْمِهِ فَأَجَدَهُ جُونُ عَوَاكِفُ فِي الرَّمَادِ جُثُومُ^(٤)

سُفَعُ الْخُدُودِ كَأَنَّهُنَّ ، وَقَدْ مَضَتْ حَجَجٌ ، عَوَانِدُ بَيْنَهُنَّ سَقِيمُ

قوله : « فَأَجَدَهُ جُونُ عَوَاكِف » يعنى الأثافي ، لأنَّ الرِّيح لما كشفت عنها فظهرت سوداء [كانت كأنها هي أجدت الرسم]^(٥) ، شبهها بالعوائد .
والجُونُ : الأسود . والجُونُ : الأبيض . وهو من الأسماء المتضادة . قال الأصمعي : ويقال : غَابَتِ الجونة ، وطلعت الغزالة ، يعنى مَغِيبَ الشمس وطلوعها . وهما اسمان من أسماء الشمس ، وإنما سميت الشمس جونة عند المغيب لما يعرض فيها من تغير اللون إلى السواد .

(١) ديوانه ٣٣٧ « كما اقترنت . . حمام غريبات » وفي طبعة الحلبي ٣٢١ « كما اقتربت . . . غريبات » وفي م « عسى » وفي ط « عند المر حمام غريبات تسمى بينهن وكون » ! ! وهو تحريف يفسد المعنى ، ولست أدري كيف يكون الحمام « غريبات » ، ولا أدرك معنى هذا الوصف !

(٢) ط « والبالغ النادر »

(٣) ديوانه ٢٥٣/١ وأمالى المرتضى ٣٣/٢

(٤) ط « لعب الزمان »

(٥) نقل الشريف المرتضى هذا التفسير في أماليه ٣٣/٢ من غير عزو ثم قال : « ويحتمل وجه آخر ، وهو أن يكون معنى « أجنت » أنها حمت الرماد الذي أحاطت به ، عن لعب الرياح ، فبقى بحاله يستدل به المترسم ، فكأن الرياح درست الريح وبحت ، إلا ما أجده هذه الأثافي من الرماد ، ومنعت الريح منه »

وقال حميد بن ثور :

على أن سحفاً من رمادٍ كأنه حصي إثمٍ بين الصلاءِ سحيق^(١)

وقال أبو سعيد المخزومي :

يبكى ثلاثاً كالحمام رُكداً تَسْفِي بها الريحُ رماداً أرمداً^(٢)

كأنما يَطْحَنُ فيها إثمداً

وقال بشار بن بُرْد :

ومسجدُ شيخٍ كنتَ في زمن الصبا تُحَيِّيه أحياناً وفيه نُكُوبُ^(٣)

غداً بثلاثٍ ما يَنَامُ رَقِيبُها وَأَبْقَى ثلاثاً ما لَهُنَّ رَقِيبُ

غداً : يريد الشيخ غداً بثلاث ، أى بثلاث نسوة ما ينام رقيبها ،
يعنى الشيخ أنه ما ينام عن رقيبها . وأبقى ثلاثاً ، يعنى الأثافي .

وأخذ أبو تمام قوله : « ونؤى مثل ما أنفصم السوار » من قول آخر :

نؤى كما نقص الهلال محاقه أو مثل ما فصم السوار المعصم^(٤)

وهذه العجز ما لحسنه نهاية .

وقال كثير :

عرفتُ لسعدى بعد عشرين حجةً بها درسُ نُبِيٍّ في المحلةِ مُنَحِنِ^(٥)

قَدِيمٌ كَوَقِفِ العَاجِ ثُبَّتْ حَوْلُهُ مَغَارِزُ أوتادٍ بِرِخْمٍ مُوَضَّنِ

(١) الذي في ديوانه ٣٤ « فغادون منه الرماد كأنه » . والإثم : حجر الكحل . والصلاة : الصلاة .
والصلاة : كل حجر عريض يلق عليه المعطر ويحود

(٢) ق : « ريدداً »

(٣) م « أحييه » وهما في ديوانه ١ / ١٨١ - ١٨٢

(٤) نقله المرتضى في أماليه ٣٤ / ٢ . وقد تقدم ص ٩٢

(٥) ديوانه ٢ / ٥٨ وأما المرتضى ٣٤ / ٢

قوله : « منحن » : مستدير . والوقفُ : السَّوار من الذَّبل^(١) ومن العاج .
والرَّخْمُ : صخور عظام . والرَّخْمُ أيضاً : هضاب صغار . والمَوْضُنُ :
هو الذى بعضه فوق بعض . يقول : ضربت الأوتاد بحجارة الرِّخمة .
وما أحسن قول بشار :

وَنُؤْيُ كَحَلْخَالِ الْفَتَاةِ وَصَائِمُ أَشَجَّ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ رُقُوبُ^(٢)

قوله : الصَّائِمُ الْأَشَجُّ : يعنى الوند . والصائم : القائم الثابت ؛ قال
النابغة :

خَيْلٌ صِيَامٌ وَ [خَيْلٌ] غَيْرُ صَائِمَةٍ يَوْمَ الْعَجَاجِ وَخَيْلٌ تَغْلُكُ اللَّجُجَمَا^(٣)

فجعلهُ رُقُوبًا لانفرادهُ على الاستعارة .

والمرأة الرُّقُوب ، والشيخ الرُّقُوب : الذى لا يعيش له ولد ، والذى لا ولد
له فهو ينتظره . والمستعمل فى الرِّقبة أن يقال : رقيب ورَّاقب . وأظنه ذهب
إلى توكيد الفعل . مثل قولهم : ضارب ، فإذا وكدوا قالوا : ضروب ، كذلك ،
شارب وشروب ، وآكل وأكول : أى كثير الأكل والشرب .

وقال أبو تمام :

وَالنُّؤْيُ أَهْمِدَ شَطْرُهُ فَكَانَهُ تَحْتَ الْحَوَادِثِ حَاجِبٌ مَقْرُونُ^(٤)

وهذا أيضاً فى وصف النوى حسن .

(١) فى اللسان ٢٧٢/١٣ « الذبل : شئ كالعاج ، وهو : ظهر السلحفاة البرية يتخذ
منه السوار »

(٢) ديوانه ١٨١/١ وأمال المرتضى ٣٥/٢

(٣) ديوانه ٩٥ وفى اللسان ٢٤٤/١٥ « تحت العجاج » . وقد تقدم ص ٢٤٣ .

(٤) ديوانه ٣٢٨ وأمال المرتضى ٣٥/٢ وفى شرح التبريزى ٣٢٤/٣ « الحوادث : السحاب
والأمطار »

ولست أعرف للبحترى في مثل هذا شيئاً ، إلا ما يشتهبه^(١) فيه ، وهو قوله :

آثار نُؤْيٍ بِالْفَيْنَاءِ مُثَلَّمٍ وَزِمَامُ أَشْعَثَ بِالْعَرَاءِ مُشَجَّجٍ^(٢)

وهذا على مذاهب الناس . وقال النابغة :

رَمَادٌ كَكُحْلِ الْعَيْنِ مَا إِنَّ تُبَيْنُهُ وَنُؤْيٌ كَجِذَمِ الْحَوْضِ أَثْلَمُ خَاشِعُ^(٣)

ووصل البحترى بيته بأن قال :

دِمْنٌ كَمَثَلِ طَرَائِقِ الْوَشْيِ أَنْجَلَتْ لَمَعَاتُهُنَّ عَنِ الرَّدَاءِ الْمُنْهَجِ^(٤)
يَضْعُفْنَ عَنْ إِذْ كَارِنَا عَهْدَ الصَّبَا أَوْ أَنْ يُهَجْنَ صَبَابَةً لَمْ تَهْتَجِ
وَلَرُبَّ عَيْشٍ قَدْ تَبَسَّمَ ضَاحِكًا عَنْ طُرَّتِي زَمَنِ بِيَهْنٍ مُدْبِجٍ^(٥)

وهذا كله على مذاهب الناس .

ونحو قوله : « كمثل طرائق الوشي » قول النابغة :

عَلَى الْعَصْرِ الْخَالِي كَأَنَّ رُسُومَهَا بَتَهْنِيَّةَ الرُّكْنَيْنِ وَشْيٌ مُرْجَعٌ^(٦)

مرجع بعضه على بعض في النساجة .

وقال كثير :

مَغَانِي دِيَارٍ لَا تَزَالُ كَانَهَا بِأَصْعَدَةِ الشَّطَارِ رَيْطٌ مُضَلَّعٌ
وقال كثير أيضاً :

غَشِيَ الرِّكْبُ رَبْعَهَا فَعَجِبْنَا مِنْ بِلَاةٍ وَمَا الْمَدَى بِقَدِيمٍ

(١) ق « ما لا تشبهه »

(٢) ديوانه ٢ / ٢٢٨

(٣) في ديوانه (٧١ : ط الهلال) : « لا يا أباييه . . . »

(٤) ديوانه « من الرداء » ١٠ / ٤٠٠ معارف

(٥) م « عن طريق زمن »

(٦) ديوانه ١ / ٢٧

كحواشي الرِّداء قد مَحَّ مِنْهُ بَعْدَ حُسْنِ عَصَائِبِ التَّنْهِيمِ
وهذا حسن جداً .

وقول البحتري : « يضعفن عن إِذْكَارِنَا عهد الصَّبَا » يعنى لطول عهدهنَّ
وَدُرُوسِهِنَّ .

وقد تصرَّف شعراء الجاهلية والإسلام في وصف آثار الديار أحسن تصرّف ،
وأتوا فيه بكل تشبيه مستحسن ، ومعنى مستغرب فمناه قول طرفة :
« تَلُوحُ كَبَا فِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ »^(١) .

الوشم : أثر الجِنَاء ، وخصَّ ظاهر اليد : لِأَنَّ دُرُوسَهُ أَسْرَعَ .
وقال لبيد :

وَجَلَا السُّيُولُ عَنِ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ تُجَدُّ مُتُونَهَا أَقْلَامُهَا^(٢)

وهذا ما زلت أسمع العلماء تعجب من حسنه ولطافة معناه . وكان الفرزدق
إذا أنشده يسجد ويقول : إنا نعرف مكان السجود في الشعر كما تعرفونه
في القرآن^(٣) .

وقال آخر ، وأنشده إسحاق بن إبراهيم :

نَمْتَعُ بِكُرِّ الطَّارِفِ فِي رَسْمِ مَنْزِلٍ نَحْمَلُ عَنْهُ قَاطِنُوهُ فَأَقْفَرَا^(٤)
تَرَى فِيهِ آثَارًا وَإِنْ كَانَ دَائِرًا بِذِكْرِكَ الشُّوقِ الْقَدِيمِ فَتَذَكَّرَا

(١) صدره : « لحولة أطلال ببرقة شهيد » وهو مطلع معلقته ، كما في ديوانه ٢١ وشرح القصائد
العشر ٩٦ تقريباً

(٢) شرح القصائد العشر ١٥٨ تقريباً والوساطة ١٨٧ واللسان ٥ / ٤٠٣

(٣) الخبر في الأغاني ١٤ / ٩٨

(٤) م « فافتقرا »

قوله : فتذكرا ، ليس بالجيد ، ووجهه الرفع ، ولكنه جاء به على إرادة النون^(١) ، وقد جاء مثله في أشعارهم قال جَزِيمَةُ الْأَبْرَشِ :

رُبَّمَا أَوْفَيْتُ فِي عِلْمٍ تَرْفَعُنْ ثَوْبِي شِمَالَاتُ^(٢)

وقال الجَعْدِيُّ :

وَأَقْبَلَ عَلَى مَجْدِي وَمَجْدِكَ نَبْتَحِثُ مَسَاعِينَا حَتَّى تَرَى كَيْفَ تَفْعَلَا^(٣)
ومثله قليل .

وأحسن من هذا ومن كل حسن قول محمد بن عبيد الْأَزْدِيُّ^(٤) :

فَلَمْ تَدْعِ الْأَرْوَاحُ وَالْمَاءُ وَالْبَلَى مِنْ الدَّارِ إِلَّا مَا يَشُوقُ وَيَشْعَفُ

وَأَنْشُدْ إِسْحَاقَ ، وَوَجَدْتَهُ فِي التَّعْلِيقَاتِ لِيَعْلَى الطَّائِي :

لَيْسَنَ الْبَلَى حَتَّى كَانَ رُسُومَهَا طَعْمَنَ الْهَوَى أَوْ ذُقْنَ هَجَرَ الْحَبَائِبِ^(٥)

وقال ابن وهب في مثله يذكر منزليين :

لَيْسَا الْبَلَى فَكَأَنَّمَا وَجَدَا بَعْدَ الْأَجَبَةِ مِثْلَ مَا أَجِدُ^(٦)

وقال البحترى مثل هذا :

صَبٌّ يَخَاطِبُ مُفَحَّمَاتِ طُلُولٍ مِنْ سَائِلِي بَاكِ وَمِنْ مَسْئُولِ^(٧)

(١) م « النوى » والتصويب من ق

(٢) اللسان : ٣٨٩/١٣ وفي م « في عمل ترقمن » وهو خطأ . وهو بلذيمة الأبرش ، كما في

نوادير أبي زيد ٢١٠

(٣) م « يفعلا »

(٤) ذكره الصول في معجم الشعراء ٤١٧

(٥) م « أودفين »

(٦) الأغاني ١٤٧/١٨ والعمدة ٤١/٢ والصناعتين ٤٥٥ وعيار الشعر ١١٤ وفي م « لبسنا »

وهو تحريف

(٧) ديوانه ٦١٠ ، ١٦٦/١٣ وسبق ص ٤٥٦ « بال »

حَمَلْتُ مَعَالِمُهُنَّ أَعْبَاءَ الْبَلَى حَتَّى كَأَنَّ نَحُولَهُنَّ نُحُولِي^(١)

وَأَنْشَلْنِي غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الشُّيُوخِ :

مَا غَيْرَ الدَّارِ [بَعْدَ] بَيْنِهِمْ رِيحٌ عَفَتْ أَيْهَا وَلَا مَطَرُ^(٢)

كَأَنَّهَا جَرْعَةٌ يَمَانِيَّةٌ قَدْ نُشِرَتْ فِي عِرَاصِهَا الْحَبَرُ

وَقَالَ آخِرُ وَأَنْشَدَهُ حَمَادُ :

قَدْ وَقَفْنَا لِكُلِّكُمْ بِطُلُولٍ وَأَرْسَمَ^(٣)

لَانْحَاتِ كَأَنَّهَا بَرْدٌ وَشِيْ مُنَمَّمٌ

وَسَأَلْنَا فَأَفْجَمَتْ عَنْ جَوَابِ الْمَكْلَمِ

وهذا كله أحلى وألطف معاني ، وألوط بالنفس من كل ما قال الطائيان .

(١) م « أعيا البلى »

(٢) مكان الزيادة مغموس في م

(٣) م « وقفنا لا ثم »

محو الرياح للديار

قال أبو تمام :

قِفْ بِالطُّلُولِ الدَّارَسَاتِ عَلَاتًا أَضْحَتْ حِبَالُ قَطِينِهِنَّ رِثَاتًا^(١)

قَسَمَ الزَّمَانُ رُبُوعَهَا بَيْنَ الصَّبَا وَقَبُولِهَا وَدُبُورِهَا أَثْلَاتًا

وهذا غلط منه ؛ لأن الصبا هي القبول . ولو قال : بين الصبا وشمالها وجنوبها أثلاثاً ، كان قولاً مستقيماً ؛ لأن هذه الرياح الثلاث أكثر هبوباً من الدُّبُور . ولو اقتصر على ريحين كان ذلك أيضاً صواباً ، كما قال امرؤ القيس :

• لِمَا نَسَجْتُهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ^(٢) •

وكما قال الأعشى :

دِمْنَةُ قَفَرَةٍ نَعَاوَرَهَا الصَّيْفُ فُ بَرِيحِينَ مِنْ صَبَا ، وَشَمَالٍ^(٣)

ولكنه جعلها ثلاثاً من أجل القافية لا غير .

وقد حكى عن النضر بن شميل أنه قال : القبول : ريح بين الصبا والجنوب .

وهذا إن كان النضر قاله فليس بمعروف ولا معول عليه ؛ لأن الناس جميعاً على خلافه في أن القبول هي : الصبا .

وقال ابن الأعرابي : القبول : كل ريح لينة طيبة المس ، تقبلها النفس .

وهذا لا حجة فيه لبيت أبي تمام . وقد استقصيت القول في هذا فيما مضى عند ذكر أغاليطه من هذا الكتاب^(٤) .

(١) ديوانه ٦٣ وشرح التبريزي ٣١٤/١٧ وانظر ص ١٥٨ .

(٢) ديوانه ١٢٤ وصدده : « فتوضح فالمقارنة لم يعف رسمها » وهو من مملته

(٣) ديوانه ٣ واللسان ٢٩٨/٦

(٤) راجع ص ١٥٨ - ١٩٤

وقال البحرى ، فذكر^(١) الرياح الأربع :

مَتْرُوكَةٌ لِلرَّيْحِ بَيْنَ شِمَالِهَا وَجَنُوبِهَا وَدُبُورِهَا وَقَبُولِهَا^(٢)

وأحسن من هذا ومن كل ما قيل في هذا المعنى قوله أيضاً :

بَيْنَ الشَّقِيقَةِ فَالَلَوَى فَالْأَجْرَعِ دِمْنٌ حُبْسَنَ عَلَى الرِّيحِ الْأَرْبَعِ

وقد تقدم ذكره^(٣) .

قال أبو تدم :

أَوْ مَا رَأَيْتَ مَنَازِلَ ابْنَةِ وَاثِلٍ رَسَمَتْ لَهُ كَيْفَ الزَّفِيرِ رُسُومَهَا^(٤)

آثَارُهَا وَطُلُّلُهَا وَنَجَادُهَا وَوِهَاذُهَا وَحَدِيثُهَا وَقَدِيمُهَا

تغرد الرياح سواقياً وعوافياً فتضم مغناها وليس تضمُّها^(٥)

قوله : « رسمت له كيف الزفير » لفظة غير لائقة بالمعنى ؛ وإنما جاء بها

ليجانس بينها وبين قوله : « رسومها » .

وقوله في البيت الثانى : « وحديثها وقديمها » ، حشو لم يفد به فائدة .

وقوله : « تضم مغناها » ؛ يعنى الرياح إنها تضم المعنى وليس يضمُّها ،

وهذا أيضاً معنى ليست له حلاوة ، ولا يقود إلى فائدة ؛ لأن المعلوم أن الأرض

لا تضمُّ الرِّيح .

وقال أيضاً في وصف ربع :

مَلَكَّتُهُ الصَّبَا الْوَلُوعُ فَأَلَّ نَفْتَهُ قَعُودَ الْبِلَى وَسُورَ الْخُطُوبِ^(٦)

(١) ق « يذكر » .

(٢) ديوانه ٣٤٥ وقد تقدم ص ١٦٠

(٣) راجع تعمية الرياح للديار

(٤) ديوانه ٣١٠ وشرح التبريزى ٣٧٣/٣ « ابنة مالك » وق « واثل » وم « أبيت »

(٥) م « وليس نعيمها » وهو تحريف

(٦) ديوانه ٣٦ وشرح التبريزى ١٢٣/١

قوله : « الصَّبَا الْوَلُوع » . وإنما أراد المُولَعَة بالهَيُوب ؛ لأنها أكثر الرياح هبوباً . ولا أعلمه يقال : ولع بالشئ يولع فهو ولوع ، ولكن قد سمعت : وَلِعَ يَلِغُ ، مثل وَزَعَ يَزِغُ ، وَلِعَ يَلِغُ ، مثل وَسِعَ يَسَعُ . حكاهما أبو زيد^(١) .

والْوَلُوعُ : هو المصدر ، وما أراه يقال : هو وَلُوعٌ بكذا ، والقياس هو ولع بكذا ، مثل وزعم به^(٢) ، ووالع مثل واسع . واللغة المعروفة : أُولِعْتُ بالشئ فأننا مَوْلَعٌ به . والمصدر الْوَلُوع .

وقوله : « أَلَفْتُهُ » ، ليس هذا موضع أَلَفْتُهُ ؛ لأن معنى أَلَفْتُهُ : صادفته ، وإذا كانت الريح هي التي فعلت بالربع ، فَوَجَّهَ الكلام : « جعلته » ، لو استوى له ، لا « أَلَفْتُهُ » ، وإذا لم يستقيم له « جعلته » ، ولا ما هو في معناها - نقض البيت بأسره ، وبناءه بالفاظ آخر . وكأنه أراد أن يقول : يعود البلى وهدفاً للخطوب ، أو غَرَضاً للخطوب ، أى تقع به أبداً وتصيبه ؛ فلم ينتظم له الوزن . وكأنه أراد أن يقول : وهدفاً للخطوب أو غرضاً للخطوب ، أى تقع به أبداً [وتصيبه]^(٣) فقال : سور ؛ لأن السور جعل يَقَعُ^(٤) به كل قَارِعَةٍ دون ما وراءه ، فهو هدف وغَرَضٌ لكل رام . فهذا الذى أرادته ، والله أعلم .

وليس قول من يقول : سُورُ الخطوب ، أى أن هذا الربع محيط بالخطوب فهو كالحارس لها ، فهى لا تبرحه ولا تريمه - بشئ ؛ لأن الأنشبه والأولى في

(١) نوادر أبي زيد ٢٣٩ وفيه بعد ذلك : « قال أبو الحسن : وكذلك يقال : ولع يلغ ، مثل وضع يضع ، ولع يلغ على الأصل ، وإنما انفتحت الأولى من أجل العين لأنها من حروف الحلق . ولست أنكر ولع ، ولكن الذى أحفظ ما ذكرت لك »

(٢) كذا بالأصل ولعله : مثل هو زعم به . وإن كان لم يرد إلا « زعم »

(٣) الزيادة من ق (٤) ق « لتقع » .

هذا أن تجعل الخطوب هي التي أحاطت به من كل وجه حتى عفته وأبْلَته وأخلته من أهله ، لا [أ] نه أحاط بها .

وقد قيل : سُور الخطوب [بالحمز : بقية ما أبقت الخطوب] ^(١) كُسُور السبع إذا وَلَغَ في الشيء ، ثم أَسَارَ منه . وليس هذا ببعيد من المعنى ، بل هو وجه جيد ^(٢) .

وقال البحتري :

مَعَانِي سُلَيْمَى بِالْعَقِيقِ وَدُورُهَا أَجَدَّ الشَّجَا إِخْلَاقُهَا وَدُورُهَا ^(٣)
وَمَا خِلْتُهَا مَأْخُودَةً بِصَبَابَتِي صَحَائِفُ تُمَحِّي بِالرِّيَّاحِ سُطُورُهَا
وهذا من أحسن معنى وأبرعه .

وقوله : « وما خلتها مأخوذة بصبابتي » ، مما يسأل عنه فيقال : كيف تُؤخذ الصحائف - وهي عرصات الدار - بصبابته ؟ فمعنى مأخوذة بصبابتي : أى ملزمة صبابتي ، كما يقال : قد أُخِذَ فُلَانٌ بِأَن يَفْعَلَ كَذَا وكذا : أى أُلْزِمَهُ ، كما يقال للرجل : أفعَلْ كَذَا وكذا ، فيقول : من أَخَذَنِي بهذا ، أى من أُلْزَمَنِيهِ ؟ ومن نَاطَهُ بِي ^(٤) وَعَلَّقَهُ عَلَيَّ . وكما يقال كذا وكذا وما أَخَذَ مَا أَخَذَهُ ، أى وما اتَّصَلَ بِهِ ، وتعلَّقَ عَلَيْهِ ، ولزم طريقته .

ولا أعرف لأبي تمام معنى جيداً في ذكر الرياح إلا قوله :

يَا مَنْزِلًا أَعْطَى الْحَوَادِثَ حُكْمَهَا لَا مَطْلَ فِي عِدَةٍ وَلَا تَسْوِيفًا ^(٥)

(١) الزيادة من ق

(٢) وفي شرح التبريزي ١٢٣/١ عن أبي العلاء المعري : « سُور الخطوب : بقيتها ، ومن عرف مذهب الطائي لم يعدل عن هذه الرواية »

(٣) ديوانه ٦٠٤ ، ٩٩٨/٢

(٤) م « ومن ناظرني وعلقه »

(٥) ديوانه ٢٠٦ وشرح التبريزي ٢٧٦/٢

أَرَمَىٰ بِنَادِيكَ النَّدَىٰ وَتَنَفَّسْتُ نَفْسًا بِعَقْوَتِكَ الرِّيحُ ضَعِيفًا
وإنما قال ضَعِيفًا : لأنَّ الرِّيح إذا اشتدَّ هبوبها عفت آثارَ الديار وطُمَسَتْ
مَعَالِمُهَا . ولذلك قال البحترى :

وإذا هبَّت الرِّيحُ نَسِيمًا فَعَلَى رُبْعٍ دَارِهَا وَالْجَنَابُ^(١)

وما زلت أسمع أهل العلم بالشعر يستحسنون بيت أبي تمام هذا ، وهو
لعمرى حسن ، ولكنه أخذ المعنى من قول آخر - وأنشده إسحاق بن إبراهيم
الموصلى ولم يأت به فى ذكر الدار :

يَا حَبْدًا رِيحُ الْجَنُوبِ إِذَا مَرَّتْ بِاللَّيْلِ وَهِيَ ضَعِيفَةُ الْأَنْفَاسِ
قَدْ ضُمْنَتْ بَرْدُ النَّدَى وَتَحَمَّلَتْ عَبَقًا مِنَ الْجَشَجَاتِ وَالْبَسْبَاسِ^(٢)
وأجود من هذا وذلك فى وصف طيب الرِّيح ، قول أبي الصنِّى^(٣) الأَسَدَى :
إِذَا أَضْعَدَ الرُّكْبَانُ وَأَسْتَقْبَلْتَهُمْ جَنُوبٌ كَمَسَ الرَّازِقُ هُبُوبُهَا
الرَّازِقُ : الرقيق من الكتان الأبيض^(٤) ، والرِّيح وإن كانت قد تسنى
الترب على رِسم الدار فتغطيه وتعفوه ، فإنها أيضاً قد تنسِفُه^(٥) عنه فتكشفه
وتُجِدُّه ، ألا ترى إلى قول جرير :

تُخَيِّى الرُّوَامِسُ رَبْعَهَا فَتُجِدُّهُ بَعْدَ الْبَلَى وَتُمِيتُهُ الْأَمْطَارُ^(٦)

فهى تفعل فعلين مختلفين ، وربما نسفت تراب أرض فطرحتة على أرض
أخرى ، وبينهما سَيْرُ أيام ، فتكشف عن معالم تلك الأرض ، وتُغَطِّى على

(١) ديوانه ٥٦٣ « فعل رسم »

(٢) سبقا ص ١٠٧

(٣) ق « إلى الصفر »

(٤) اللسان ٤٠٦/١١

(٥) م « تنسفه »

(٦) ديوانه ٢٠١

معالم هذه . وربما غشيت وجه الأرض كله بتراب الأرض الأخرى ، وفي ذلك يقول ذو الرمة :

ضَهُولٌ كَسَاها تُرْبَ أَرْضٍ غَرِيبَةٍ سَوَى أَرْضِها مِنْها الْهَبَاءُ الْمُغْرَبِلُ^(١)

ضَهُولٌ : وصف للريح ، وذكرها في بيت قبل هذا . والهباء في كساها راجعة إلى رسوم الدار التي وصفها . وضهول ماؤها : يَجِيءُ قليلا قليلا . وضَهُولٌ كُلُّ شَيْءٍ : رجوعه . وبشر ضَهُولٌ : يَجِيءُ ماؤها قليلا قليلا . ويروى : « جَفُولٌ » . أى سريعة ذاهبة . فهذا في ريح واحدة .

فأما الريحان المختلفان ، فإن إحداهما تنسف عن الأرض التراب ، والأخرى تَرُدُّه إليها على ما قال امرؤ القيس :

..... لم يعف رسمها لِمَا نَسَجَتْها مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ^(٢)

فلعل الطائنين فيما شرطاه إنما أَشْفَقَا مِنْ أَحَدٍ فَعَلِيَ الرِّيحُ ، وهو طُمُوسُها للرسم .

وقال البحتري :

أُسْنِدُ ضُدُورِ الْيَعْمَلَاتِ بِوَقْفَةٍ فِي الْمَائِلَاتِ كَأَنَّهُنَّ الْمُسْنَدُ^(٣)

دِمْنُ تَقَاضَاهُنَّ إِعْلَانُ الْبِلَى هُوجُ الرِّيحِ الْبَادِيَاتِ الْعُودِ^(٤)

حَتَّى فَنِينَ وَمَا الْبَقَاءُ لِوَأَقِفِ وَالْدَّهْرُ فِي أَطْرَافِهِ يَتَرَدَّدُ

وهذا معنى عجيب ، وغرض حسن ، والمُسْنَدُ : الدهر ، أراد أن طولل الدار والمائلات ثابتة فيه ككتبات الدهر ودوامه . وإنما قال : أُسْنِدُ ، من أجل قوله : المُسْنَدُ .

(١) ديوانه ٤٥٨ « جفول »

(٢) سبق ص ٤٩٢

(٣) ديوانه ٦٨٩

(٤) في ديوانه « إعلام البلى »

وأجود منه وأحلى قوله :

عَسَتْ دِمْنٌ بِالْأَبْرَقَيْنِ خَوَالٍ تَرُدُّ سَلَامِي أَوْ تُجِيبُ سُؤَالِي^(١)
إِذَا مَا تَأَيَّا الرُّكْبُ فِيهَا تَبَيَّنُوا ضَمَانَةٌ مَتَبُولٌ وَصِحَّةٌ بَالِ^(٢)
خَلِيلِي مَا لِلرَّامِسَاتِ وَمَا لَهَا وَمَا لِشُجُونِي الْمُبْرَحَاتِ وَمَالِي^(٣)

ومما لا مزيد عليه ، ولا غاية لحسنه وبراعته ، ولطف معناه - قوله :

أَصَبَا الْأَصَائِلِ إِنَّ بُرْقَةً مُنْشِدٍ تَشْكُو أختلافك بالهَيُوبِ السَّرْمَدِ^(٤)
لَا تُتَعَبِي عَرَصَاتِهَا إِنَّ الْهَوَى مُلْقَى عَلَى تِلْكَ الرُّسُومِ الْهُمْدِ
دِمْنٌ مَوَائِلُ كَالنُّجُومِ فَإِنْ عَفَتْ فَبِأَيِّ نَجْمٍ فِي الصَّبَابَةِ تَهْتَدِي^(٥)

وقد قرأت شعراً كثيراً ، في وصف الرياح وتعفيتها للدار ، لشعراء
الجاهلية والإسلام . فما سمعت بأحسن من هذا ، ولا أعرف ولا أبدع .

(١) ديوانه ٧٨٣ ، ١٧٠/٣

(٢) في الديوان « تَأَيَّ » وهو تحريف . والتأَيَّ : التلبث والتنظر والتؤدة

(٣) في الديوان « ما للرايسات . . وما للشجون »

(٤) ديوانه ٤٥٨

(٥) في الديوان « تهتدي »

ماقالاه في سؤال الديار واستعجامها عن الجواب والبكاء عليها أيضاً

قال أبو تمام :

مِنْ سَجَايَا الطُّلُولِ أَلَّا تُجِيبَا فَصَوَابٌ مِنْ مُقْلَةٍ أَنْ تَصُوبَا^(١)

فَاسْأَلْنَهَا وَاجْعَلْ بُكَاءَكَ جَوَاباً تَجِدِ الشُّوقَ سَائِلاً وَمُجِيباً^(٢)

وقد ذكرت هذا الابتداء في الابتداءات^(٣) .

وقوله : « فاسألنها واجعل بكاءك جواباً » ، لأنه قال^(٤) : من سجاياها ألا تجيب ، فليكن بكائك الجواب ؛ لأنها لو أجابت : أجابت بما يبكيك ، أو لأنها لما لم تجب علمت أن من كان يجيب قد رحل عنها . فأوجب ذلك بكاءك .

وقوله : « تجد الشوق سائلاً ومجيباً » ، أى أنك إنما وقفت على الدار وسألتها لشدة شوقك إلى من كان بها ، ثم بكيت شوقاً أيضاً إليهم ، فكان الشوق سبباً للسؤال ، وسبباً للبكاء .

وهذه فلسفة حسنة ، ومذهب من مذاهب أبي تمام ، ليس على مذاهب الشعراء ولا طريقتهم . ومثله قوله :

تَجَرَّعُ أَسَى قَدْ أَقْفَرَ الْجَرَّعُ الْفَرْدُ وَدَغَ حِنَى عَيْنٍ يَجْتَلِبُ مَاءَهُ الْوَجْدُ^(٥)

(١) ديوانه ٢٥ وشرح التبريزي ١٦٤/١

(٢) م « بكاءك عليها »

(٣) راجع ص ١٠ و ٤٥٦ ،

(٤) م « لأنه من قال »

(٥) ديوانه ١٢٠ وشرح التبريزي ٨٠/٢ وفي م « الجوع » وهو تحريف

إِذَا أَنْصَرَفَ الْمَحْزُونُ قَدْ فَلَّ صَبْرَهُ سَوَّالُ الْمَعَانِي فَاَلْبَكَاءُ لَهُ رَدُّ^(١)
 فَالْجَرَعُ : الموضع من الأرض له ارتفاع . يقال : هو حَزَنٌ ، ويقال :
 هو سَهْلٌ يُشْبِهُ الرَّمْلَ ، والجمع : أَجْرَاعٌ .
 وقوله : « فَاَلْبَكَاءُ لَهُ رَدُّ » : أى للسؤال ، على معنى قوله :

• تَجِدُ الشُّوقَ سَائِلًا وَمُجِيبًا •

ولم يسلك البحثى هذه الطريق ، بل جرى في هذا الباب على مذاهب
 الناس فقال :

وَقَفْنَا عَلَى ذَاتِ النَّخِيلَةِ فَاثْبَرَتْ سَوَاكِبُ قَدْ كَانَتْ بِهَا الْعَيْنُ تَبْخَلُ^(٢)
 عَلَى دَارِمِ الْآيَاتِ عَافٍ تَعَاقَبَتْ عَلَيْهِ صَبَأٌ مَا تَسْتَفِيقُ وَشَمَالُ
 فَلَمْ يَدْرِ رَسْمُ الدَّارِ كَيْفَ يُجِيبُنَا وَلَا نَحْنُ مِنْ فَرَطِ الْبُكَاءِ كَيْفَ نَسْأَلُ^(٣)
 وقول أبى تمام وإن كان فيه دقة وصنعة ، فهذا عندى أولى بالجودة ،
 وأحلى فى النفس ، وألوط بالقلب ، وأشبه بمذاهب الشعراء .

ومثله فى الحسن والجودة والحلاوة قوله :

خُلِقْتُ بَعْدَهُمْ الْأَحِظُّ نِيَّةً قُذِفَا وَأَنْشَدُ دَارِسًا مُتَرَسِّمًا^(٤)
 طَلَلَا أَكْفَكِفُ فِيهِ دَمْعًا مَغْرِبًا بِجَوَى وَأَقْرَأُ فِيهِ خَطًّا أَعْجَمًا^(٥)
 تَأَبَّى رُبَاهُ أَنْ تُجِيبَ وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَخْبِرٌ لِيُجِيبَ حَتَّى يَفْقَهَمَا

(١) م « قد قل » . ويروى « رد » بكسر الراء ، أى معين ، من قولك : هو رد عليك ، أى
 إذا لم تجبه المغانى . فذهب صبره ، فليس له معين إلا البكاء

(٢) ديوانه ٥٨٥ ، ١٧٩٢/٣ « على دار البخيلة »

(٣) فى الديوان « الجوى كيف »

(٤) ديوانه ٢٢٩ وفى م « الاحظب نية »

(٥) م « وأقرأ منه »

وقال أبو تمام :

قَدْ مَرَرْنَا بِالْدارِ وَهِيَ خَلَاءٌ فَبَكَيْنَا طُلُولَهَا وَالرُّسُومَا (١)
وَمَا سَأَلْنَا رَبُّوعَهَا فَانْصَرَفْنَا بِشِفَاءٍ وَمَا سَأَلْنَا حَكِيمَا
وهذه معنى حسن حلو ، ومذهب صحيح قد تقدم الناس فيه .

وقال البحتري في مثله أو قريب منه :

يَا دَارُ لَا زَالَتِ رَبِّكَ مَجُودَةٌ مِنْ كُلِّ غَادِيَةٍ تَعَلَّ وَتَنَهَلُ (٢)
فَهَمَّتْنَا دَوْلَ الزَّمانِ وَصَرَفَهُ وَأَرَيْتَنَا كَيْفَ الْخُطُوبُ النُّزُلُ (٣)
أَرَادَ تَعَلَّ الرَّبِّي وَتَنَهَلُ مِنْ كُلِّ غَادِيَةٍ .

وقوله : « فهمتنا دول الزمان وصرفه » مع تمام البيت ، قريب من قول
أبي تمام : « فانصرفنا بشفاء » . وإن كان أبو تمام إنما انصرف بشفاء من
العلم بأهل الدار أنها منهم مقفرة .

والبحتري قد دل على هذا إلا أنه جاء في بيت بآشده . ومعنى أبي تمام
جاء به في حكمة واحدة ، وأتى بزيادة في غاية الحلاوة والصحة ، وهو قوله :
« وَمَا سَأَلْنَا حَكِيمَا » .

* * *

فأبو تمام في هذا عندي أشعر من البحتري .

* * *

ومما يشبه قول أبي تمام : « فانصرفنا بشفاء » ، أو يقاربه - قوله :

(١) ديوانه ٢٩١ وشرح التبريزي ٣ / ٢٢٢

(٢) ديوان البحتري ٢٥ وفي ٣ / ١٧٥٤ « سارية تعل » وفي م « غادية تعل »

(٣) في ديوانه « أذكرتنا دول » م « دون الزمان . . . والنزل »

وَأَبَى الْمَنَازِلِ إِنَّهَا لَشُجُونٌ وَعَلَى الْعُجُومَةِ إِنَّهَا لَتَبِينٌ^(١)

وهذا بيت حسن . وقد ذكرته في الابتداءات^(٢) .

وقد قال مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ :

وَقَفْتُ عَلَى أَطْلَالٍ لَهُمْ فَكَانَتْهَا تَفَهُمٌ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُحَاوِرِ

وقال أبو تمام :

هَلْ أَثَرٌ مِنْ دِيَارِهِمْ دَغَسُ حَيْثُ تَلَاقَى الْأَجْرَاعُ وَالْوَعْسُ^(٣)

مُخْبِرُ السَّائِلِ الرَّذِيَّةُ فِي الْأُطْلَالِ أَيْنَ الْجَاذِرُ اللَّعْسُ؟^(٤)

لَا تَسْأَلْنَهَا فَلَيْسَ يَسْمَعُ جَرَسُ إِلَّا شَخْصٌ لَهُ جَرَسُ^(٥)

وهذه أبيات مُتَعَسِّفَةٌ ، ولفظ غير جيد ، ومعنى غير حسن .

وقوله : الْأَجْرَاعُ وَالْوَعْسُ ، فالأَجْرَاعُ : جمع جرع ، مثل جَبَلٍ

وَأَجْبَالٍ ، وهو : المكان من الأرض الذى فيه حُرُونَةٌ . ويقال : بل هى سهلة

غير أنها مرتفعة قليلا ، تُشَبِّهُ الرَّمْلَ فى سهولتها . ويقال أيضاً : أَجْرُع

وَأَجَارِعُ وَجَرَعَاءُ وَجَرَعَاوَاتُ وَجَرَعُ وَأَجْرَاعُ .

(١) ديوان أبي تمام ٣٢٨ وشرح التبريزي ٣٢٨/٣

(٢) راجع سؤال الديار

(٣) ديوانه ١٦٦ وفى شرح التبريزي ٢٢٣/٢ يقال : أثر دغس ، أى واضح متين ،

وكانه الذى وطئ وطئاً كثيراً

(٤) ويرى : مخبر السائر « وتقديره : هل أثر يخبر الذى يسير إبلا قد أعيت وكلت : أين

الجاذر ؟ فيجئ بالسائر الرذية : نفسه ، وبالجاذر : النساء التى فارقت . وقال أبو العلاء المعرى : الرذية

أصلها فى المظلية التى قد هزلما السير ولم يبق فيها حركة . واستعاره ههنا للسائل ، لأنه شبهه بهذه فى

تخلفه وعجزه عن السير . واللعس : جمع ألعس ولعساء ، واللعس : سمرة فى الشفة شديدة . وقيل :

يحتمل أن يكون أراد بالرذية ههنا : الدار ، وجعلها رذية لما أتى عليها من الدهر . راجع شرح التبريزي

٢٢٤ / ٢

(٥) فى شرح التبريزي « المعرى : الجرس والجرس : الصوت ، وعنى بقوله : « إلا شخص

له جرس ، إنساناً يتكلم . يقول : الديار لا تسمع جرس قوئك ، وإنما ينبغى أن تتخاطب إنساناً مثلك

على أن الجرس قد يسمعه الحيوان غير الناطق كما يسمعه الناطقون »

والوَعْسُ : جمع وَعَسَاء ، مثل حَمَرَاءُ وَحُمَرٌ ، وهى : الرملة التى تفوص فيها الرجل ، وإذا ذَكَرُوا قالوا : أَوْعَسَ .

وقد تصرف البحترى فى هذا الباب تصرفاً كثيراً حسناً فقال فى قصيدته التى أولها : « هَجَرْتُ وَطِيفُ خِبَالِهَا لَمْ يَهْجُرِ » - :

مُسْتَهْتَرٌ بِالظَّاعِنِينَ وَفِيهِمْ صَدٌّ يُضْرْمُ لَوَعَةٍ الْمُسْتَهْتَرِ^(١)
يَسَلُّ الْمَنَازِلَ عَنْهُمْ وَعَلَى اللَّوَى دَمْنٌ دَوَّارُسٌ إِنْ تَسَلَّ لَا تُخْبِرُ^(٢)
وَمِنَ السَّفَاهَةِ أَنْ تَظَلَّ مُكْفَكِفًا دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ تَابَدَ مُقْفِرٍ

وهذا كلام فعل ، ومعان جيدة صحيحة مستقيمة .

ومثل هذا فى الجودة والبراعة قوله :

هُوَ يَنَّاكَ مِنْ لَوْمٍ عَلَى حُبٍّ تَكْتَمَا وَقَصْرَكَ نَسْتَخْبِرُ رُبُوعًا وَأَرُسَمًا^(٣)
تَحْمَلُ مِنْهَا مُنْجِدٌ مِنْ خَلِيطِهِمْ أَطَاعَ الْهَوَى حَتَّى تَحُولَ مُتْهِمَا^(٤)
وَمَا فِي سُؤَالِ الدَّارِ إِذْرَاكَ حَاجَةً إِذَا اسْتَعْجَمْتَ آيَاتُهَا أَنْ تَكَلَّمَا

قوله : هُوَ يَنَّاكَ ، تصغير هَوْنِكَ . وَالْهَوْنُ : الْمَهْلُ . يُقَالُ : سِرٌّ عَلَى مَهْلٍ ، وَتَكَلَّمَ عَلَى مَهْلٍ . وَيُقَالُ لِلْمَتَكَلِّمِ : هَوْنًا ، أَيْ مَهْلًا . وَهَوْنُكَ : أَيْ مَهْلُكَ ، أَيْ أَلْزَمَ مَهْلُكَ وَلَا تَعْجَلْ .

وأراد البحترى ارفق واكفف من لَوْمِكَ ، أَلَا تَرَاهُ وَكَدَّ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : « وَقَصْرَكَ نَسْتَخْبِرُ » ، أَيْ أَقْصِرْ .

ووجدت بعضهم يستهجن هذه اللفظة ، كأنه كره أن يكون مُبْتَدَأً

(١) ديوانه ١٢٠ ، ٨٦٠/٢ المعارف

(٢) فى الديوان : « نسل »

(٣) ديوانه ٣٥٥ « محب » وانظر ص ٢٢٢

(٤) فى الديوان « عنها منجد »

بها ، وليست عندي بمكروهة ولا مستهجنة . وهو ابتداء إن لم يكن من جيد ابتداءاته ونادرها ، فليس هذا من رديثها .

ووصل هذا بأن قال :

نَصَرْتُ لَهَا الشَّوْقَ اللَّجُوجَ بِأَدْمَعٍ تَلَاَحَقْنَ فِي أَعْقَابِ وَضَلَّ نَصْرُهَا
وَبَيَّغْنِي أَنَّ الْجَوَى غَيْرُ مُقْصِرٍ وَأَنَّ الْحِمَى وَضَفَّ لِمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى
فقوله : « نصرت لها الشوق اللجوج بأدمع » ، يعنى الدار ، بعد قوله :
« وما فى سؤال الدار إدراك حاجة » لأنه لما لم يجد فى سؤالها إدراك حاجة .

وهذا قريب من قول أبى تمام :

فَاسْأَلْنَهَا وَاجْعَلْ بُكَاءَكَ جَوَاباً تَجِدِ الشَّوْقَ سَائِلاً وَمُجِيباً^(١)
وقوله : « وَأَنَّ الْحِمَى وَضَفَّ لِمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى » ، غير جيد ، وهو من
تَوَلِيدَاتِ الْمُتَأَخِّرِينَ ، وأضل من أصول أبى تمام التى يَعْمَلُ عليها .
وقوله : « نَصَرْتُ لَهَا الشَّوْقَ اللَّجُوجَ بِأَدْمَعٍ » ، خطأ اتبع فيه أبى تمام
فى قوله :

دَعَا شَوْقُهُ بِأَنَاصِرِ الشَّوْقِ دَعْوَةً فَلَبَّاهُ طَلَّ الدَّمْعُ يَجْرِي وَوَابِلُهُ^(٢)
وقد شرحت المعنى فيما تقدم^(٣) .

• • •

وقال البحتري :

وَبِيْذِ الْأَرَاكِةِ مِنْ مَصِيفٍ لَأَبْسٍ نَسَجَ الرِّيحَ وَمَرَبَعٍ مَهْضُوبٍ^(٤)

(١) سبق ص ٤٩٨

(٢) ديوانه ٢٣٠ وشرح التبريزى ٢٢ / ٣

(٣) رابع ص ٢٢١

(٤) ديوانه ١٧٦ ، ١ / ٢٤٥ - ٢٤٦ ، مزارف

دَمْنُ لَزِينَبَ قَبْلَ تَشْرِيدِ النَّوَى مِنْ ذِي الْأَرَاكِ بِزَيْنَبٍ وَلَعُوبٍ
تَأْتِي الْمَنَازِلُ أَنْ تُجِيبَ وَمِنْ جَوَى يَوْمَ الدِّيَارِ دَعَوْتُ غَيْرَ مُجِيبٍ
وهذا من جيد شعره ، وبارع ألفاظه ، ومُتَقَن معانيه .

وقال أيضاً :

إِذَا شِئْتُ أَجَرْتُ أَدْمَعِي مِنْ شُؤْنِهَا رُبُوعٌ لَهَا بِالْأَبْرَقَيْنِ وَأَرْسَمُ^(١)
وَقَفْتُ بِهَا وَالرَّكْبُ شَتَّى سَبِيلُهُمْ بَفِيضُونَ مِنْهُمْ عَازِرُونَ وَلَوْ
هِيَ السَّدَارُ إِلَّا أَنَّهَا لَا تُكَلِّمُ عَفَا مَعْلَمَ مِنْهَا وَأَقْفَرَ مَعْلَمَ
تُقَبِّضُ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ النَّوَى وَيَسْرِي إِلَى الشُّوقِ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ^(٢)
وهذه أبيات جواد .

وقوله : « عفا معلم منها » ، أى انمحي وذهب . « وأقفر معلم » ، أى
خلا من أهله . وفى هذا سؤال ، وهو أن يقال : المَعْلَم الذى عفا هو أيضاً
مُقْفِر ، لأن المقفر : الخالى ، فما وجه هذا التقسيم ؟

والجواب : أن العافى : هو الذى قد ذهب وفنى وعدم ، فلا ينسب إلى
أنه مُقْفِر ، لأن المُقْفِر : الخالى ، والخالى لا يكون معدوماً . فأراد البحترى :
أن مَعْلَمًا منها عفا ، أى عدم . ومَعْلَمًا بَقِيَ مُقْفِرًا ، أى خالياً من أهله ،
كما يقول القائل فى الرجلين : مات أحدهما وأعدم الآخر ، فالميت لا يقال
له معدوم .

وقال البحترى :

أَرْسُومُ دَارِ أَمِّ سَطُورِ كِتَابِ دَرَسْتُ بِشَاشَتِهَا عَلَى الْأَحْقَابِ^(٣)

(١) ديوانه ٩٦ ، ٣ / ١٩٢٧

(٢) م « يفيض لى »

(٣) ديوانه ٣٤٠ « مع الأحقاب » ، ١ / ٢٩٤ معارف

يَجْتَازُ زَائِرُهَا بغيرِ لُبَانَةٍ وَيُرْدُ سَائِلُهَا بغيرِ جَوَابٍ

قوله : «أرْسوم دارٍ» من ابتداءاته العجيبة لفظاً ومعنى ، وقد ذكرته في بابه من الابتداءات^(١) .

وقوله : «يَجْتَازُ زَائِرُهَا بغيرِ لُبَانَةٍ» أى إِذَا عَرَّجَ عَلَيْهَا زَائِرُهَا فِي اجْتِيَازِهِ بِهَا فَإِنَّهُ يَجْتَازُ ، أى يَجُوزُهَا وَيَمْضِي بِغيرِ حَاجَةٍ قَضِيَتْ لَهُ . وأراد : ينصرف عنها زَائِرُهَا بغيرِ لُبَانَةٍ ، فجعل في موضع «ينصرف» ، «يجتاز» .

وقال البحرى أيضاً :

هَبِ الدَّارَ رَدَّتْ رَجْعَ مَا أَنْتَ قَائِلُهُ وَأَبْدَى الْجَوَابَ الرَّبْعُ عَمَّا تُسَائِلُهُ^(٢)
أَفَى ذَاكَ بُرْءٌ مِنْ جَوَى أَلْهَبِ الْحَشَا تَوَقُّدُهُ وَأَسْتَغْزَرَ الدَّمْعَ جَائِلُهُ^(٣)

وهذا معنى حلو ، ومذهب حسن إلا أنه كرر معنى صدر البيت في عجزه ، وهذا قبيح من مثله . وجعل البيت الثانى معلقاً بالأول ، والعذر له أن يقال : إنه جعل الدار غير الربع .

وقال أبو تمام في قصيدته التى أولها :

• أَيْ مَرَعَى عَيْنٍ وَوَادَى نَسِيبٍ •

فَعَلَيْهِ السَّلَامُ لَا أُشْرِكُ الْأَطْ لَالٌ فِي لَوْعَتِي ، وَلَا فِي نَجِيبِي^(٤)
فَسَوَاءٌ إِنْجَابَتِي غَيْرَ دَاعٍ أَمْ دُعَايَ بِالْقَفْرِ غَيْرَ مُجِيبٍ^(٥)

(١) سبق في تنفية الدهور للديار .

(٢) ديوانه ٥١ ، ٣ / ١٦١٠ وفى م « ردت ربع » . وقد سبق ص ٤٥٨

(٣) م « ذاك يوم ألهب . . . واستعمل العين حافله »

(٤) ديوانه ٣٦ وشرح التبريزي ١٢٥ / ١

(٥) فيها : « ودعائى »

أخذه البحرى فقال :

أَصْبَابَةٌ بِرُؤُوسٍ رَامَةً بَعْدَمَا عَرَفَتْ مَعَالِمَهَا الصَّبَا وَالشَّمَالَ^(١)
وَسَأَلْتُ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ فَكُنْتُ فِي أَمَدٍ تَخْبَارُهُ كَهَجِيبٍ مَنْ لَا يَسْأَلُ^(٢)
وبيت أبي تمام أجود .

قال أبو تمام :

لَهُمْ مَنْزِلٌ قَدْ كَانَ بِالْبَيْضِ كَالْدَى فَصَبَحَ الْمَغَانِي ثُمَّ أَصْبَحَ أَعْجَمًا^(٣)
وَرَدَّ عِيُونَ النَّاطِرِينَ مُهَانَةً وَقَدْ كَانَ مِمَّا يَرْجِعُ الطَّرْفَ مُكْرَمًا^(٤)
وهذا في غاية الحسن والحلاوة .

وقال البحرى :

مَنَازِلُ مَا تُجِيبُ الصَّبَّ مِنْ خَرَسٍ وَلَا تُرِيغُ إِلَى شَكْوَاهُ مِنْ صَمَمٍ^(٥)
أَقَامَ يَنْشُدُ شَمْلًا غَيْرَ مُتَّفِقٍ مِنْ آلِ لَيْلَى وَشَعْبًا غَيْرَ مُلْتَمِمْ
قوله : « مَا تُجِيبُ الصَّبَّ مِنْ فَرَسٍ » ، أى ما تجيب الصبَّ لِخَرَسِهَا ،
وَلَا تُرِيغُ إِلَى شَكْوَاهُ مِنْ صَمَمٍ ، أى لِصَمَمِهَا .
وهذه - أيضاً - أبيات حلوة ، حسنة الغرض .

(١) ديوانه ٢٥ ، ٣ / ١٧٥٤

(٢) فى م « وكنت » وسبق البيت ص ٣٢٤

(٣) ديوانه ٢٩٤ وفى شرح التبريزي ٣ / ٢٣٢ « أى كان مزينا بمن فيه » ثم خلت فأعجمت على الناظر فلا يرى فيها أحداً »

(٤) قال التبريزي فى شرحه : « أى تغير فصار الطرف يرد عنهم لسوء المنظر ، وقد كان فى الدهر الأول يرد الطرف مكرما ، كأنه يكرمه بما يرى فيه من الحسن والبهجة والمهابة ، ويجب أن تكون مفعلة ، من الهوان ، لأن الإهانة ضد الإكرام »

(٥) ديوانه ٦٥٣ « لا تجيب » . . . ولا ترينغ « وفى م « ولا ترينغ » ومعنى لا ترينغ : لا تميل .

فهذا ما وجدته لهما في هذا الباب ، وهما عندي فيه متكافئان . وأجود من

كل ما قالاه من ذلك قول جميل :

أصبح الربعُ من بشينةٍ فَيًّا زَادَهُ طُولُ مَا تَابَدَ عِيًّا
وإن ما يُبَيِّنُ رَجَعَ سُؤَالِ ولقد يَسْمَعُ السُّؤَالُ الْخَفِيًّا

وقال المَخْبِلُ :

وكأنما أَثَرُ النَّعَاجِ بِجَوِّهَا بِمَدَافِعِ الرُّكْنَيْنِ وَذُعُ جَوَارِ
وسألتها عن أهلها فوجدتها عمياء جافية عن الإخبار

وهذا كلام حلو جداً ؟

وقال عَوْفُ بْنُ عَطِيَّةَ بْنِ الْخَرِجِ :

وقفت بها ما تبين الكلا م لسائلها القولَ إِلَّا سِرَارًا^(١)
أى إنا قد فهمنا عنها وإن لم تُجِبْ ؛ فجعل ذلك سِرَارًا .

وقال ذو الرُّمَّةِ :

وَقَفْنَا فَسَلَّمْنَا فَرَدَّتْ تَحِيَّتَنَا علينا ولم تَرْجِعْ جَوَابَ الْمُخَاطِبِ^(٢)
الأصمعي : يقول : من سرورنا بها رأينا أنها قد ردت علينا التحية
وأجابتنا .

وقال غيره : ردت تحية ، أى لم تقبلها منا .

(١) روايته في المفضليات ٤١٣ « بها أصلا ما تبين لسائلها »

(٢) ديوانه ٤ « تحية »

باب آخر من وصف الديار وساكنيها

وليس نكاد في القطعة التي تشتمل على عدة أبيات ، أن تكون سائر أبياتها موافقة في معانيها لسائر أبيات القطعة الأخرى . وإنما يوازن بين بيت وبيت إذا اتَّفَقَا ، أو بين غرض وغرض إذا تَقَارَبَا . وأغراض هذا الباب هي من جنس واحد وإن اختلفت المعاني .

قال أبو تمام :

قد عهدنا الرُّسُومَ وهى عُكَاظٌ للصِّبَا تَرْذِيكَ حُسْنًا وَطِيبًا^(١)
أكثر الأرض زائراً ومزوراً وصعوداً من الهوى وصُوبًا^(٢)
وكعاباً كأنما ألبستها غفلات الشباب بُرْدًا قَشِيًّا
بينَ البَيْنِ فَقَدَهَا ، قَلَمًا تَع رِفْ فَقَدًا لِلشَّمْسِ حَتَّى تَغِيًّا
قوله : « قد عهدنا الرُّسُومَ وهى عُكَاظٌ » معنى ليس بالجيد ؛ لأنه إنما أراد : قد عهدنا الرسوم وهى معدن للصبا أو مألَف أو موطن ، فقال : عكاظ . أى سوق للصبا يجلب إليها . ولو قال : « سوق » لكان أجود من قوله « عكاظ » . وإنما ذهب إلى أن عكاظ من أعظم الأسواق التي تجتمع إليها العرب . وقد كان يكفيه أن يقول : سوق ، فيأتى باللفظة المستعملة المعتادة . وإن السوق قد تكون عظمة آهلة ، وعكاظ . أيضاً سوق . فما وجه التخصيص في موضع العموم ، والعموم أجود وأليق ؟
وقد يجوز أن يكون احتذاه على مثال ، والرَّدَى لا يُعْتَبَرُ به ، وعلى أن الوزن لم يَمَكَّنْهُ من سُوق .

(١) ديوانه ٢٥ وشرح التبريزي ١٦٥/١

(٢) أراد بالصعود الكزود من الهوى ، وبالصوب : اللين المطاع

وقال البحتري :

رَحَلَ الظَّاعِنُونَ عَنْكَ وَأَبْقَوْا فِي حَوَاشِي الْأَحْشَاءِ حُزْنًا مُقِيمًا^(١)
أَيِّنَ تِلْكَ الظُّبَاءِ أَشْبَهَنَ فِي الْحُسْنِ بِنِ بُدُورًا فِي الْبِعَادِ نُجُومًا
قَدْ وَجَدَنَ السُّلُوءَ بَرْدًا سَلَامًا إِذْ وَجَدْنَا الْهَوَىٰ عَذَابًا أَلِيمًا^(٢)
وهذا كلام حلو ، وغرض حسن .

وقوله : « أَشْبَهَنَ فِي الْحُسْنِ بُدُورًا فِي الْبِعَادِ نُجُومًا » أجود وألطف من قول أبي تمام : « قَلَّمَا تَعْرِفُ فَقَدْ أَفْقَدْنَا لِلشَّمْسِ حَتَّى تَغِيْبَا » لأنه جمع البدر والنجوم في بيت ، وجعل التشبيه بمعنيين مختلفين . وأيضاً فإن أبا تمام لم يصف المرأة في بيته بالحسن ، والبيت من أوصاف النساء . ولا يقول مثله عاشق ، وإنما يوصف بمثله صديق أو حميم . فيقال : قد بَانَ عَلَى فَقْدِهِ لَمَّا غَاب ، أو يكون وصفاً للملك أو سيد فيقال : غاب فغاب عنا فَضْلُهُ ونائلُهُ ، وبعد فبعد عنا خيره ومعروفه ، كما يبعد ضوء الشمس والانتفاع بها إذا غابت . ألا تراه لو كان مدحاً لرجل حتى يقول :

بَيِّنَ الْبَيِّنُ فَقْدَهُ قَلَّمَا تَعْرِفُ فَقَدْ أَفْقَدْنَا لِلشَّمْسِ حَتَّى تَغِيْبَا
ولو كان من أقبح الناس صورة ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ كَرِيمًا جَوَادًا ، أو شجاعاً مُحَامِيًا - أَنَّ ذَلِكَ كَانَ يَكُونُ حَسَنًا جَمِيلًا ، ومدحاً صحيحاً مستقيماً !؟

وقد قال يرقى إسحاق بن أبي ربيع :

رَاحَتْ وَفُودُ الْأَرْضِ عَنْ قَبْرِهِ فَارِغَةً الْأَيْدِي وَمَلَأَى الْقُلُوبَ^(٣)
قَدْ عَلِمَتْ مَا رُزِئَتْ إِنَّمَا يُعْرِفُ فَقْدُ الشَّمْسِ بَعْدَ الْغُرُوبِ^(٤)

(١) ديوانه ٢٧٣ « وألفرو في حواشي »

(٢) في الديوان « سلاماً ووجداناً »

(٣) ديوانه ٣٤٤

(٤) في الديوان « عند المغيب »

فهنا موضع هذا المعنى لا هناك .

ويقال في قول البحتري : « أَشْبِهَنَ فِي الْحُسْنِ بُدُورًا فِي الْبَعَادِ نُجُومًا » :
إن البدر^(١) أيضاً لا يوصل إليه ، فهو بعيد المنال كبُعد النجم . فَلِمَ خَصَّ
النجومَ بالبعاد ؟

فالجواب : أن العادة لم تجر بأن يقال : أبعدُ من البدر ، وإنما يقال :
أبعد من النجم . فجعلهن في الحسن كالبدور ، وفي بعد منالهن كالنجوم .
وهذا معنى لا مَزِيدَ على حُسْنِهِ وصَحْتِهِ .

وإن حملت المعنى على أن البدر ليس ببعيد منا كبُعد سائر النجوم ،
لأن بينه وبينها في البعد مسافة بعيدة - كان ذلك مذهباً صحيحاً وقد استهجن
ابن المعتز قوله : « فِي حَوَاشِي الْأَحْشَاءِ » وهو تَجْنِيسٌ إن لم يكن حُلُوءاً لا ثِقاً
فليس بالهجين ولا الرديء القبيح .

وقال ابو تمام :

لَا أَنْتَ أَنْتَ وَلَا الدِّيَارُ دِيَارُ [خَفَّ الْهَوَى وَتَوَلَّتِ الْأَوْتَارُ]^(١)
كَانَتْ مُجَاوِرَةً الطَّلُولِ وَأَهْلِيهَا زَمَنًا عَذَابَ الْوَرْدِ فَهِيَ بَحَارُ^(٢)
أَيَّامٍ تُذْمِي عَيْنَهُ تِلْكَ الدُّيُ فِيهَا وَتَقْمُرُ لُبَّهُ الْأَقْمَارُ^(٣)
إِذْ لَا صَدُوفَ وَلَا كُنُودَ أَسْمَاهُمَا كَالْمَعْنَيْنِ وَلَا نَوَارَ نَوَارُ^(٤)

(١) م « البدر »

(٢) الزيادة من ديوانه ١٤٤ وشرح التبريزي ١٦٦/٢

(٣) قال الصول : « أي كانت عذاباً لنا بحضورهم فلما رحلوا عنها صارت مجاورة الطلول بعدم

بحار الورد ، أي ملاحه »

(٤) تقمر لبه : تذهب به

(٥) قال التبريزي في شرحه ١٦٧ « يقول : صدوف وكنود ونوار : كن من أهل ودي ووصال

وكانت أفعالهن مخالفة لأسمائهن ، لأن « صدوف » من صدف أي أعرض ؛ و « كنود » من كند إذا عك ،

وقيل كفر ؛ و « نوار » من نار ينور : إذا نفر « وفي م » أخلا صدوف « وهو تحريف .

بَيْضُ فَهَنْ إِذَا رُمِقْنَ سَوَافِرًا صُورٌ وَهَنْ إِذَا رَمَقْنَ صَوَارًا^(١)
فِي حَيْثُ يُمْتَنُّ الْحَدِيثُ لِذِي الصَّبَا وَتُحَصَّنَ الْأَسْرَارُ وَالْأَسْرَارُ^(٢)

قوله : « لَا أَنْتَ أَنْتَ » لفظ. من ألفاظ. أهل الحضرة ، مُسْتَهْجَنٌ وليس بجيد . لكن قوله : « وَلَا الدَّيَّارُ دِيَارٌ » كلام معروف من كلام العرب ، مستعمل حسن أى ليست الديار دياراً كما عهدت ، مثل ما يقال فى الإيجاب :
* إِذِ النَّاسُ نَاسٌ وَالزَّمَانُ زَمَانٌ^(٣) *

أى كما عهدت . قال جرير :
وَكُنَّا عَهْدَنَا الدَّارَ وَالْدَّارَ مَرَّةً هِيَ الدَّارُ إِذْ حَلَّتْ بِهَا أُمُّ يَعْمُرَ^(٤)
وكما قال ابن حِطَّانٍ فى النَّفْيِ :
أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ مَا النَّاسُ بَعْدَكَ يَأْمُرُ دَأْسُ بِالنَّاسِ^(٥)
فبنى أبو تمام على هذا قوله : « لَا أَنْتَ أَنْتَ » أى لست أنت الذى كنت تُعْهَدُ مُجِيًّا وَامِقًّا ، ذامقة . أى^(٦) قد تَغَيَّرَتْ وَتَغَيَّرَتِ الدِّيَارُ .
وقوله : « فَمِى بَحَارٍ » ، والبحر : الماء والمِلْحُ ، ويقال : قد أَبْحَرَ الماءُ ، إِذَا صَارَ مِلْحًا .
وقوله : « وَتُحَصَّنَ الْأَسْرَارُ وَالْأَسْرَارُ » الأول جمع سِرٍّ^(٧) ، يعنى النكاح ، والثانى يريد الحديث ، أى هو محفوظ .

(١) يقول : إِذَا رَأَى النَّاسُ فَكَأَنَّهُمْ صُورٌ مِنْ حُسْنِهِمْ . وقوله : « وَهَنْ إِذَا رَمَقْنَ صَوَارٌ » أى عيونهم تشبه عيون بكر الوحش إِذَا نظرت
(٢) قال المعري : « جعل الحديث يمتن ، لأن الامتنان ضد التحصين » وفى م « ويحصن الأسوار » وهو تحريف

(٣) صدره : « بلاد بها كنا وكنا نجها » . والبيت لأخى عاد ، كما فى رسائل الهذلى

(٤) ديوانه ٢٤٠

(٥) الكامل ٨٩٦/٣ ، ٩٩٩

(٦) م « وامقا ذا من إلى قد »

(٧) م « وتحصن الأسوار . . . جمع أسر يعنى »

وقوله : «إِذْ لَا صَدُوفَ وَلَا كُنُودَ أَسْمَاهُمَا كَالْمَعْنَيْنِ» ، أى لا تصدف هذه ، ولا تكئند تلك ، أى لا تقطع .

«وَلَا نَوَارُ نَوَارُ» أى ولا نوار نافر ، أى هى آئمة غير نفور من الحديث والأنس . وإنما قال فى موضع آخر :

• نَوَافِرُ مِنْ سُوءٍ كَمَا نَفَرَ السَّرْبُ^(١) •

لأنه أراد نفورهن من السوء ، وهو : الريبة .

• • •

وقال البحتري :

لِلْعَيْنِ لَوْ كَانَ الْعَقِيْقُ عَقِيْقًا ^(٢)	هَذَا الْعَقِيْقُ فِيهِ مَرَأَى مُوْنِقُ
فَتَبِلَ قَلْبًا لِلْغَلِيلِ شَقِيْقًا ^(٣)	أَشَقِيْقَةَ الْعَلَمَيْنِ هَلْ مِنْ نَظَرَةٍ
تُحْيِي رَجَاءً أَوْ تَرُدُّ عَشِيْقًا ^(٤)	وَسَمْتِكِ أَوْدِيَةَ السَّمَاءِ بَدِيْمَةٍ
طَرَفًا وَأَوْحَشَ أَنْسَكِ الْمَوْمُوقَا ^(٥)	وَلَشَنْ تَنَاقُلَ مِنْ بَشَاشَتِكَ الرَّدَى
مَغْنَاكَ بِالرُّشَا الْأَنْبِقِ أَنْبِقَا	فَلَرُبَّ يَوْمٍ قَدْ غَنِينَا نَجْتَلِي
وَالدَّارَ تَجْمَعُ شَائِقًا وَمُشَوِّقًا ^(٦)	عَلَّ الْبَخِيْلَةَ أَنْ تَجُودَ بِهَا النَّوَى

قوله : «لَوْ كَانَ الْعَقِيْقُ عَقِيْقًا» كما عيَّدت . وهذا مثل قول أبي تمام .
«وَلَا الدِّيَارُ دِيَارُ» .

وبيت البحتري أجود ، لأن صدره أحسن معنى من قول أبي تمام : «لَا أَنْتَ أَنْتَ» .

(١) صدره كافى ديوانه ٣٠ «سواكن فى بركا سكن الدى»

(٢) ديوانه ٧٢٢ ، ٣ / ١٤٥٠ وفى م «موقى للمين»

(٣) م «قتيل قلبا» وهو تحريف

(٤) فى الديوان «أودية السماء»

(٥) فى الديوان : «بشاشتك الليل» م «طرقا»

(٦) م «على البخيلة»

وَأَوْدِيَةُ السَّمَاءِ : يَريِدُ المُدْوَدَ الَّتِي تَجْرِي ، وَالسَّمَاءَ : السَّحَابَ . وَالْدَّيْمَةُ :
المَطَرُ يَدُومُ أَيَّاماً لَا يُقْلَعُ .

وَقَوْلُهُ : « تَحْيَ رَجَاءٌ » أَيِ تُخَصِّبُ المَوْضِعَ ، فَيَعُودُ إِلَيْهِ الظَّاعِنُونَ عَنْهُ .
وَلِنَّمَا ذَهَبَ إِلَى قَوْلِ جَرِيرٍ :

أَلَا أَيُّهَا الْوَادِي الذِي ضَمَّ سَبْلُهُ إِلَيْنَا نَوَى ظَمِيمَاءَ حُبَيْتٍ وَادِيًا^(١)
وَهَذَا مِنْ حُرِّ الشَّعْرِ ، وَرَضِيْنِ المَعَالَى .

وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ :

وَعَهْدِي بِهَا إِذْ نَاقِضُ الْعَهْدِ بَدَّرَهَا مَرَّاحُ الْهَوَى فِيهَا وَمَسْرَحُهُ الْخِصْبُ^(٢)
مُؤَزَّرَةٌ مِنْ صَنْعَةِ الْوَبْلِ وَالنَّدَى بِيَوْثِي وَلَا وَثِيٍّ وَعَصْبٍ وَلَا عَصْبٍ^(٣)
تَحْيَرَ فِي آرَامِهَا الْحُسْنُ فَاعْتَدَتْ قَرَارَةً مَنْ يُضْبِي وَنُجْعَةً مَنْ يَصْبُو^(٤)
سَوَاكِينُ فِي بَرٍّ كَمَا سَكَنَ الدُّمَى نَوَافِرُ مِنْ سُوءٍ كَمَا نَفَرَ السَّرْبُ^(٥)
كَوَاعِبُ أَتْرَابٍ لِغَيْدَاءٍ أَصْبَحَتْ وَلَيْسَ لَهَا فِي الْحُسْنِ شِكْلٌ وَلَا تَرَبُّ^(٦)
لَهَا مَنَظَرٌ قَبْدُ النَّوَظِرِ لَمْ يَزَلْ يَرُوحُ وَيَغْدُو فِي خَفَارَتِهِ الْحُبُّ^(٧)

(١) ديوانه ٦٠١ والوساطة ٢٩

(٢) ديوانه ٣٠ وفي شرح التبريزي ١٨٤/١ قال المرزوقي : « يقول : عهدي بهذه الدار حين
كان حبيبي الناقص لعهدى فيها يضيئها وينورها فكأنه بدر لها ، وهي مظنة الهوى لأنها مأوى الحسان »
وفي م « مزاج الهوى » وهو خطأ

(٣) قال المعري : « أي لها إزار من الروض وضروب من النبات . ويرى ابن المستوفى أن
مؤزرة مأخوذة من قولهم : تأزر الثبت إذا التف واشتد »

(٤) يرى المعري أن معنى « تحير » في هذا الموضع : أقام . والمراد بالآرام هنا النساء . أي
فأصبحت مجمع المصيبات من النساء ، ونجعة الصابين من الفتيان وطلاب الغزل

(٥) م « قيد النوازل » !

يَظَلُّ سَرَاةَ الْقَوْمِ مَشْنَى وَمَوْحَدًا نَشَاوَى بِعَيْنَيْهَا كَأَنَّهُمْ شَرِبُ^(١)
 قوله : « مَرَّاحُ الْهَوَى فِيهَا وَمَشْرَحُهُ الْخِصْبُ » أى الهوى مُخَصَّبٌ فِيهَا
 لكثرة الحسن بها فى مَرَّاحِهِ وَمَشْرَحِهِ .
 وقد يكون أراد خِصْبَ النَّبَاتِ لِأَنَّهُ قَالَ بَعْدَهُ : « مُؤَزَّرَةٌ مِنْ صَنْعَةِ الْوَبَلِ
 وَالنَّدَى » .

والمعنى الأول أجود وألطف ، ولا يكون هذا البيت متعلقاً بما قبله .
 وقوله :

تَحِيرُ فِي آرَامِهَا الْحَسَنُ فَاغْتَدَتْ قَرَارَةً مِنْ يُصْبِي وَنُجْعَةً مِنْ يَصْبُو
 فإنه من حُلُوِّ الْكَلَامِ .

وقوله : « سَوَاكُنُ فِي بَرٍّ كَمَا سَكَنَ الدُّمَى » فالدُّمَى : الصُّورُ ، جمع
 دُمِيَّة . أى هن سواكن فى بَرٍّ ، أى فى صلاح . كما سكن الصُّورُ ؛ لِأَنَّ
 الصُّورَ سَوَاكِينَ بِلا حركة ، كَأَنَّهُ يَنْسَبُهُنَّ إِلَى الْوَقَارِ وَقَلَّةِ الْأَسْرِ . وهذه صفة
 الْعَفَائِفِ مِنَ النِّسَاءِ .

وقوله : « نَوَافِرُ مِنْ سُوءٍ كَمَا نَفَرَ السَّرْبُ » فالسَّرْبُ : الجماعة من الظباء
 والقطا ، ومن بقر الوحش أيضاً إِلا أَنَّ الْمُسْتَعْمَلَ فى بقر الوحش ، والمُسْتَعْمَلَ
 فِيهِ الرَّبْرَبُ^(٢) .

وقوله : « أَتْرَابُ الْغِيدَاءِ » أى أَتْرَابُ لَهَا فى سَنِهَا ، وليس لها فى الْحَسَنِ
 تَرِبٌ .

وقوله : « يَرَوْحُ وَيَعْدُو فى خَفَارَتِهِ الْحُبُّ » أى لا يلحق الحبُّ معه آفة
 مِنْ ثَلَمٍ وَلَا نَقْصٍ وَلَا تَغْيِيرٍ وَلَا ضَعْفٍ . وهذه كلها معانٍ حسنة متقنة ، وألفاظ

(١) سرة القوم : خيارهم وأماثلهم . والشرب : جمع شارب ، كركب وراكب

(٢) م « الربوب »

بارعة فصيحة ، إلا البيتين الأولين ، فإن فيهما اضطراباً . والبدرُ أيضاً ليس هذا موضعه ، وإنما يحسن ذكر البدر في مثل هذا إذا كان في الكلام ذكر لِسَمَاءٍ أو نجوم أو ليل .

ولو قال : « إذ ناقض العهد ريمها » كان أشبه وأليق .

وقد قال البحتري في مثل هذا ، ولكنه فيه أعذر من أبي تمام ، وذلك قوله :

رَبْعٌ خَلا مِنْ بَدْرِهِ مَغْنَاهُ رَبِحَتْ بِهِ عَيْنُ الْمَهَى الْأَشْبَاهُ
أراد أن ربع المرأة خلا منها ، وخلفتها العين التي هي أشباه يشبه بعضها بعضاً . وباعد المرأة من شبهها فجعلها بَدْرًا ، أى أخلى الربع من هو كالبدْر ، خلفته العين ، كأنه يخس أمرها ، كما يقال : انظروا من بقى ومن مضى . فاحتاج البحتري إلى ذكر البدر [أكثر]^(١) من حاجة أبي تمام إليه في قوله : « وَعَهْدِي بِهَا إِذْ نَاقَضَ الْعَهْدَ بَدْرُهَا » .

وأحسن من هذا وأجود لفظاً ومعنى قول البحتري [أيضاً]^(٢) :
وَعَهْدِي بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَحْكُمَ النَّوَى عَلَى عَيْنِهَا أَلَّا تَذُمَّ عُهْدُهَا^(٣)
بَعِيدَةُ مَا بَيْنَ الْمُحِبِّينَ وَالْجَوَى وَمَجْمُوعَةُ غَيْدُ اللَّيَالِي وَغَيْدُهَا^(٤)
قوله : وَمَجْمُوعَةُ غَيْدُ اللَّيَالِي وَغَيْدُهَا « لفظ ومعنى ما لحسنهما نهاية .

وإنما أخذ المعنى من قول أبي تمام :

كَوَاعِبُ زَارَتْ فِي لَيْالٍ قَصِيرَةٍ يُخَيِّلُنِي مِنْ حُسْنِهِنَّ كَوَاعِبًا^(٥)

(١) الزيادة من ق

(٢) ديوانه ٤٦٥ « ألا تدرم »

(٣) ديوانه « عند الليالي »

(٤) ديوانه ١٦ وشرح التبريزي ١٤٦/١

وبيت البحرى أجود لفظاً ، وأحلى سبكاً .

• • •

وقال أبو تمام :

أَزَعَمْتَ أَنَّ الرَّبْعَ لَيْسَ يُتِّيمُ والدَّمْعُ فِي دِمَنِ عَفَتٍ لَا يَنْسُجُمُ^(١)
يَا مَوْمِمْ اللَّذَاتِ غَالَتِكَ النَّوَى بَعْدِي فَرَيْعُكَ لِلصَّبَابَةِ مَوَامِمُ
وَلَقَدْ أَرَاكَ مِنَ الْكَوَاعِبِ كَاسِبًا فالْيَوْمَ أَنْتَ مِنَ الْكَوَاعِبِ مُخْرِمُ
لَحَظْتُ بِشَاشَتِكَ الْحَوَادِثُ لَحْظَةً مَازَلْتُ أَغْلَمُ أَنَّهَا لَا تَنْسَلِمُ
وهذا كله جيد . ويأتى بعد هذه الأبيات ماهو جيد نادر ، وردىء ماقط .

وقد ذكرت ذلك فى باب العزاء فى أوصاف النساء .

وقوله : « أَزَعَمْتَ أَنَّ الدَّمْعَ لَيْسَ يُتِّيمُ » معنى حسن . وقد أورده البحرى

أحسن من هذا الإيراد^(٢) ، والطف ، فقال - وهو من إحسانه المشهور - :

لَقِينَا الْمَغَانِي بِاللَّوَى فَكَأَنَّمَا لَقِينَا الْغَوَايِ الْآنَسَاتِ عَوَاطِلًا^(٣)
وَقَتْلُ الْمُحِبِّينَ الْعَيُونُ وَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّ الرِّسُومَ الدَّارِسَاتِ قَوَاتِلًا
هَوَاجِرُ شَوْقِي لَوْ تَشَاءَ يَدُ النَّوَى لَجَادَتْ بِمَنْ تَهْوَى فَعَادَتْ أَصَائِلًا^(٤)
وَمَذْهَبُ حُبٍّ لَمْ أَجِدْ عَنْهُ مَذْهَبًا وَشَاغِلُ بَثٍّ لَمْ أَجِدْ عَنْهُ شَاغِلًا
وهذا الذى طلبته الشعراء ، فأعجزها إدراكه .

• • •

وقال أبو تمام :

طَلَلُ وَقَفْتُ عَلَيْهِ أَمْسَالُهُ إِلَى أَنْ كَادَ يُصْبِحُ رَبْعُهُ لِي مَسْجِدًا^(٥)

(١) ديوانه ٢٨٣ وشرح التبريزى ٢/١٢٢

(٢) م « وأحسن من هذه الأبواب »

(٣) ديوانه ٧٠٩ « الغوايى اللابسات »

(٤) فى م « تهوى »

(٥) ديوانه ١٢٥ وشرح التبريزى ٢/١٠١ « طلل عكفت »

وَوَظَلِّلتُ أَنْشِدُهُ وَأَنْشُدُ أَهْلَهُ وَالْحُزْنَ خِدْنِي نَاشِدًا أَوْ مُنْشِدًا^(١)
 سَقِيًّا لِمَعْهَدِكَ الَّذِي لَوْ لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ قَلْبِي لِلصَّبَابَةِ مَعْهَدًا .
 قوله : « إلى أن كاذ يُصْبِحُ رَبُّعُهُ يَ مَسْجِدًا » كأنه أراد أن يؤكد طول
 وقوفه في الربع ، كما يقف المصلي في المسجد ، وربما أطلال الوقوف .
 وقوله : « وَظَلِّلتُ أَنْشِدُهُ » أى أعرفه أصحابي . وأقول : هذا هو الربع
 أو الطلل ، يقال : أَنْشَدْتُ الضَّالَّةَ بِالْأَلْفِ : إذا عرَّفْتُها ، ونَشَدْتُهَا : إذا
 طلبتها . فقوله : « أَنْشُدْ أَهْلَهُ » أى أطلبهم كما يطلب الذئب ضالته .
 والحزن خِدْنِي ، أى صاحبي في الحالين .

وهذه أبيات لا حلاوة لها ، ولا طلاوة عليها . ولكن الحلو العذب - على
 هذا الوزن - قول البحترى :

عَهْدِي بِرَبِّكَ لِلْعَوَانِي مَعْهَدًا نَضَبْتُ بِشَاشَةِ أَنْسِهِ فَمَتَابِدًا^(٢)
 بِخِلْتِ جُفُونٍ لَمْ تُعْرِكَ دُمُوعُهَا وَقَسَا فُؤَادٌ لَمْ يَبْتَ بِكَ مُقْصِدًا
 مَا نَجَّ لِي نَوْحُ الْحَمَامِ وَمَا دَعَا مِنْ صَبَوْتِي وَصَبَابَتِي إِذْ غَرَّدَا

* * *

وقال أبو تمام :

وَلَقَدْ سَلَوْتُ لَوْ أَنَّ دَارًا لَمْ تَلُحْ وَحَلُمْتُ لَوْ أَنَّ الْهَوَى لَمْ يَجْهَلِ^(٣)
 وَلَطَالَمَا أَمْسَى فُؤَادُكَ مَنْزِلًا وَمَجَلَّةٌ لِظَبَاءِ ذَاكَ الْمَنْزِلِ^(٤)
 إِذْ فِيهِ مِثْلُ الْمُطْفِلِ الْغُلَمَائِ الْحَشَمَا رَعَتِ الْخَرِيفَ وَمَا الْقَتُولُ بِمُطْفِلٍ^(٥)

(١) م « والحزن حزني » وهو تحريف (٢) لم ترد في ديوانه ووردت في القول الفائق ٣٣ ظ

(٣) ديوانه ٢٣٣ وشرح التبريزي ٣٢/٣

(٤) وقيل إن رواية الأمامي في غير هذا الكتاب « آمى فؤادك » راجع هامش التبريزي ٣٢/٣

(٥) في شرح التبريزي ٣٣/٣ « المائل : الوحشية التي سميا ولدها . وأراد بالظلمى الحشا : الخبيصة البطن . فافهم أن هذه المرسوفة كأنها وحشية مطفل وليست هي بذات طفل ، لأن المرأة إذا لم تلد كان أفضل لها في النعت »

وقال أبو تمام يصف المنزل أيضاً :

وَلَيْشَ نَوَى بِكَ مُلْقِيَا أَجْرَامَهُ ضَيَّفَ الْخُطُوبَ لَقَدْ أَصَابَ مُضِيْفَا^(١)
وَهِيَ الْفَجَائِعُ لَمْ تَزَلْ نَكْبَاتُهَا يَأْلَمُنْ رَبْعَ الْمَنْزِلِ الْمَالُوفَا
خَلَفَتْ بِعَقْوَتِكَ السَّنُونَ وَطَالَمَا كَانَتْ بَنَاتُ الدَّهْرِ عَنْكَ خُلُوفَا
أَيَّامٌ لَا تَسْطُو بِأَهْلِكَ نَكْبَةً إِلَّا تَرَاجَعَ صَرْفُهَا مَصْرُوفَا^(٢)
وَإِذَا رَمَتَكَ الْحَادِثَاتُ بِلَحْظِهَا رَدَّتْ ظِبَاؤُكَ طَرْفَهَا مَطْرُوفَا

وقال أبو تمام أيضاً :

سَلَّمَ عَلَى الرَّبِيعِ مِنْ سَلَمَى بِذِي سَلَمٍ عَلَيْهِ وَسَمٌ مِنَ الْأَيَّامِ وَالْقِدَمِ^(٣)
مَا دَامَ عَيْشُ لَيْسَنَاهُ لِسَاكِنِهِ لَدُنَّا وَلَوْ أَنَّ عَيْشًا دَامَ لَمْ يَدَمْ^(٤)
يَا مَنْزِلًا أَعْنَقَتْ فِيهِ الْجُنُوبُ عَلَى رَسَمٍ مُجِيلٍ وَشُعْبٍ غَيْرِ مُلْتَسِمِ
هَرِمْتَ بَعْدَى وَالرَّبِيعُ الَّذِي أَفَلَتْ مِنْهُ بُدُورُكَ مَعْدُورٌ عَلَى الْهَرَمِ
عَهْدِي بِمَعْنَاكَ حُسَانِ الْمَعَالِمِ مِنْ حُسَانَةِ الْوَرْدِ وَالْبَرْدِ وَالْعَنَمِ^(٥)
بَيْضَاءُ كَانَ لَهَا مِنْ غَيْرِنَا حَرَمٌ فَلَمْ نَكُنْ نَسْتَحِلُّ الصَّيْدَ فِي الْحَرَمِ
كَانَتْ لَنَا صَنَمًا نَحْنُوا عَلَيْهِ وَلَمْ نَسْجُدْ كَمَا سَجَدَ الْأَفْئِيسُ لِلصَّنَمِ

قوله : « لَوْ أَنَّ عَيْشًا دَامَ لَمْ يَدَمْ » أى لو دام مدة من المدد أو دهرًا من الدهور - لم يدم ، أى لا نقطع ونفد ، ولم يكن بد من أن يتصَرَّم . وقوله :

(١) ديوانه ٢٠٦ وشرح التبريزى ٢٧٨/٢ « يقال : أتى أجرامه بالمكان ، إذا أقام . والأجرام : جمع جرم »

(٢) فى الديوان وشرحه « بلحظة »

(٣) ديوانه ٢٦٧ وشرح التبريزى ١٨٤/٣

(٤) فى الديوان وشرحه « بساكنه »

(٥) ويروى : « حسنة الجيد » قال التبريزى ١٨٥/٣ : « حسان : مثل حسن إلا أنه

أشد مبالغة منه ، والأثنى حسانة »

« هَرِمْتُ بَعْدِي » كَلَامٌ رَذُلٌ سَخِيفٌ ، قَدْ عَابَهُ النَّاسُ فِيمَا عَابُوهُ مِنْ أَلْفَاظِهِ .
 وَقَوْلُهُ : « حُسَانَةُ الْوَرْدِ » . يَرِيدُ : الْخَدَّ .

وَالْبَرْدَى : يَرِيدُ السَّاقَ ، وَإِنَّمَا يَعْنِي أُصُولَ الْبَرْدَى ، وَهُوَ أَبْيَضُ غَضٍ
 أَمْلَسَ . يُشَبَّهُ بِهِ السَّاقُ . وَالْعَنَمُ : نَبْتٌ لَهُ أَغْصَانٌ دِفَاقٌ ، تُشَبَّهُ بِهَا
 الْأَصَابِعُ .

وَقَوْلُهُ : « بَيْضَاءُ كَانَ لَهَا مِنْ غَيْرِنَا حَرَمٌ » فَالْحَرَمُ : هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي قَدْ
 حُرِّمَ أَنْ يُصَادَ فِيهِ صَيْدٌ ، فَهُوَ حِرْزٌ لَهُ وَمَلْجَأٌ . يَرِيدُ بِهِ زَوْجَ الْمَرْأَةِ ، أَيْ كَانَ
 لَهَا حَرَمٌ مِنْ غَيْرِنَا ، وَلَمْ نَكُنْ نَحْنُ حَرَمَهَا .

وَيُرْوَى : « كَانَ لَنَا مِنْ غَيْرِهَا حَرَمٌ » يَرِيدُ : كَانَتْ لَنَا زَوْجَةٌ هِيَ حَرَمُنَا ،
 فَلَمْ نَكُنْ نَسْتَحِلُّ مَعَهَا غَيْرَهَا أَوْ لَمْ نَكُنْ نَسْتَجِيزُ خِيَانَتَهَا ، كَمَا قَالَتْ لَيْلَى
 الْأَخْيَلِيَّةُ :

لَنَا صَاحِبٌ مَا نَبْتَغِي أَنْ نَحُونَهُ وَأَنْتَ لِأُخْرَى صَاحِبٌ وَخَلِيلٌ^(١)

وَقَوْلُهُ : « كَانَتْ لَنَا صَنَمًا » أَرَادَ أَنْ يَقُولَ : نَعْكُفُ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَسْتَقِمْ
 لَهُ ، فَقَالَ : نَحْنُوهُ عَلَيْهِ ، وَهِيَ لَفْظَةٌ غَيْرُ مُسْتَعْمَلَةٍ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَإِنْ كَانَ
 لَهَا اقْتِرَابٌ مِنْ « نَعْكُفُ » وَمُشَارَكَةٌ .

وَقَوْلُهُ : « وَلَمْ نَسْجُدْ » مَعْنَى رَدَى لَا يَلِيقُ بِالْمَكَانِ . وَإِنَّمَا كَانَ يَجِبُ أَنْ
 يَقُولَ : وَأَوْ جَازَ السَّجُودَ لِسَجْدِنَا ، حَتَّى يَكُونَ قَدْ وَفَّى الْحَبَّ حَقَّهُ ، وَاسْتَعْمَلَ
 الْمَعْنَى الْمَعْتَادَ فِي مِثْلِ هَذَا . وَإِلَّا فَأَيُّ فَائِدَةٍ فِي أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ فِي شِعْرِهِ : قَدْ
 أَحْبَبْتُ وَلَكِنْ لَمْ أَجْعَلْ مُحِبِّي رِبًّا أَعْبُدُهُ ، وَهَوَيْتُ وَلَكِنْ لَمْ أَجْنُ جَنُونَ
 قَيْسُ بْنُ مُعَاذٍ الْعَامِرِيُّ ؟ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْعَاشِقِ أَنْ يَشْكُو مَا يَمُرُّ بِهِ وَيُقَاسِيهِ ،

(١) فِي الْأَمَالِ ٨٨/١ « لَا يَنْبَغِي . . . وَخَلِيلٌ » وَالْبَيْتُ فِي الْأَغَانِي ٦٨/١٠

ويكذب في أكثر أحواله تقريباً إلى محبوبه . فأمّا أن يركب مثل هذا المعنى فلا . وقد يجوز أن يقوله قائل : إذا أراد عدل محب آخر ليقصر .

ولمّا قصد أبو تمام ذكر الأفشين ، فخرج في المعنى عن العادة وجاء بما لا فائدة فيه .

• • •

وقال أبو تمام :

عَفَتْ أَرْبُعُ الْحِلَاتِ لِلأَرْبَعِ الْمُلْدِ لِكُلِّ هَضِيمِ الْكَشْحِ مُغْرِبَةِ الْقَدِّ^(١)
 لِسَلْمَى سَلَامَانَ وَعَمْرَةَ عَامِرٍ وَهِنْدِ بَنَى هِنْدٍ وَسُعْدَى بَنَى سَعْدِ^(٢)
 دِيَارٍ أَرَاقَتْ كُلُّ عَيْنٍ شَجِيحَةً وَأَوْطَأَتْ الْأَخْزَانَ كُلَّ حَشَا صَلْدِ^(٣)
 فَلَا تَسْأَلَانِي عَنْ هَوَى قَدْ طَعَمْتُمَا جَوَاهُ فَلَيْسَ الْوَجْدُ إِلَّا مِنَ الْوَجْدِ^(٤)

قوله : « أَرْبُعُ الْحِلَاتِ » يريد جمع حِلَّة ، وهي المنزل الذي يحلونه^(٥) .

وقوله : « لِلأَرْبَعِ الْمُلْدِ » أى للأربع من النساء المُلْد ، وهُنَّ الغَضَاتِ النَّوَاعِمِ . ومنه قولهم : غُضِنُ أُمْلُود : إذ كان كذلك . وهذا لفظ لا حلالة له . وقد مضى التفسير عند ذكر هذا البيت في الابتداءات^(٦) .

(١) ديوانه ١٣٠ وشرح التبريزي ١١٨/٢ وفي م « الخلات » وفي الديوان وشرحه « لحسولة القَد »
 (٢) في شرح التبريزي قال أبو العلاء المعري : « لم يسم قبيلة في هذا البيت إلا وفي العرب قبائل تعرف باسمها ، فبنو سلامان ، وكذلك في قضاعة ، وفي الأزدي سلامان بن مفرج ، وعامر بن حصمة وعامر بن لوى ، وعامر الأجدار في كلب وغيرهم . وبنو هند في كندة وفي سواها . وكذلك بنو سعد ، قال طرفة :

رَأَيْتُ سَعْدًا مِنْ سَعْدٍ كَثِيرَةٍ فَلَمْ أَرِ سَعْدًا مِثْلَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ

(٣) في الديوان وشرحه : « هراقت » ويروى « حشا جلد »

(٤) م « غلعتنا جواه » وهو تحريف . قال التبريزي : « أى لاتسألاني عن شيء أننا به خيران

فالموجد كله فن واحد »

(٥) م « الخلات . . . حلة . . . يحلون » وهو تحريف

(٦) راجع تمفية الرياح للديار

وقوله : فَلَيْسَ الْوَجْدُ إِلَّا مِنَ الْوَجْدِ « أى من الوجد الذى تعرفانه .

* * *

ومن جيد هذا الباب ونادره ، قول البحتري :

نَعَمْ قَدْ تَشَاكَيْنَا عَلَى الشُّعْبِ سَاعَةً وَمِنْ دُونِهِ شُعْبٌ لِلْيَلَى مُفَرَّقٌ^(١)
عَلَى دِمْنَةٍ فِيهَا لِأَدْمَانَةِ النَّقَا مُحَاسِنُ أَيَّامٍ تُحِبُّ وَتُعْشَقُ^(٢)
وَقَفْتُ وَأَوْقَفْتُ الْجَوَى مَوْقِفَ الْهَوَى لِيَالِي عُدُ الدَّهْرِ فَبُنَانُ مُورِقُ^(٣)
فَحَرَّكَ بَنَى رَبُّهَا وَهُوَ سَاكِنٌ وَجَدَّدَ وَجْدِي رَسْمَهَا وَهُوَ مُخْلَقُ^(٤)

قوله : « فحرَّكَ بَنَى رَبُّهَا وَهُوَ سَاكِنٌ وَجَدَّدَ . . . » معنى مَقُول ، أَخَذَهُ
من قول المَوْيِد في كِسْرَى عند وفاته : حَرَّكْنَا بِسَكُونِهِ . ويقال : قيلت
للإسكندر . وَأَخَذَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ ، فقال :

قَدْ لَعَمْرِي حَكَيْتَ لِي غُصَصَ الْمَوْتِ وَحَرَّكْتَنِي لَهَا وَسَكَنْتَا^(٥)

* * *

وقال أبو تمام :

لَوْ أَنَّ دَهْرًا رَدَّ رَجَعَ جَوَابِ أَوْ كَفَّ مِنْ شَأْوِيهِ طُولُ عِتَابِ^(٦)
لَعَدَلْتُهِ فِي دِمْنَتَيْنِ بِأَمْرِهِ مَمْحُوتَيْنِ لِزَيْنَبٍ وَرَبَابِ^(٧)

(١) ديوانه ٥١٧ « قد تباكينا . . . ومن خلفه »

(٢) الأدم من الظباء : ظباء بيض يعلوها جدد فيها غبرة ، يقال : ظبية أدماء وأدمانة ، وأنكر الأصمعي أدمانة ؛ لأن أدمانا جمع مثل حمران وسودان ولا تدخله الهاء . راجع اللسان ٢٧٧ / ١٤

(٣) في ق والديوان « موضع الهوى » و انظر عبث الوليد ص ١٥٣

(٤) سبق ص ٣٤١

(٥) ديوانه ٣٣٩

(٦) ديوانه ١٨ وشرح التبريزي ٨٠ / ١

(٧) يروي : « بأمرة » قال أبو العلاء المعري : كأنه اسم موضع ، ويروي : « برامة » ورامة أكثر تردداً في الشعر ، ومن روى « بأمره » فله معنى صحيح ، وتكون الهاء عائدة على الدهر ، كأنه يعمل له أمراً مقبولا . وهو حسن من الوجه الأول . وهذا كله مستعار

ثِنْتَيْنِ كَالْقَمَرَيْنِ خُفَّ سَنَاهُمَا يَكْوَابِعٍ مِثْلِ الدُّمَى أَتْرَابٍ^(١)
مِنْ كُلِّ رِيمٍ لَمْ تَرُمْ سُوءًا وَلَمْ تَخْلِطْ صَبَا أَيَّامِهَا بِتَصَابِ

قوله : « لَعَدَلَّتُهُ فِي دِمْنَتَيْنِ » معنى سخيْف ، وإبداع غير حسن ولا جميل .

وقد اعتذر أبو نواس إلى الرَّبْعِ^(٢) : بأنَّه لم يَقْدِرْ على دفع ضرر البليِّ والدُّرُوسِ عنه ، وأنَّه لا يدرى ما يقول في ذلك لِسَعَادِ ؛ فجاءنا بِآيَةٍ أُخْرَى ظريفة عجيبة . وقد رَأَيْتُ غير واحد من الشيوخ يستحسنه لغرابته معناه .
وذلك قوله :

أَرْبَعُ الْبَلَى إِنَّ الْخُشُوعَ لَبَادِي عَلَيَّكَ وَإِنِّي لَمْ أَخُنْكَ وَدَادِي^(٣)
فَمَعْدِرَةٌ مِنِّي إِلَيْكَ بَأْنُ تَرَى رَهِينَةَ أَرْمَاسٍ وَصَوْنَ عَوَادِي^(٤)
وَلَمْ أَذْرِ الضَّرَاءَ عَنْكَ بِحِيلَةٍ فَمَا أَنَا مِنْهَا قَائِلٌ لِسَعَادِ

وهذا ليس على طريقة العرب ، ولا مذهبهم . وإذا اعتمد الشاعر الإبداع فَمِنْ سَبِيلِهِ أَلَّا يَخْرُجَ عَنْ سَنَنِ الْقَوْمِ . فإنه لم يخطر [فيه]^(٥) عليه مُسْتَعْرَبُ المعاني ومُستظرفُها .

وما أحسن المعنى الصحيح إذا أتى به الطبع النقي ، وكان قائله مُخْبِرًا بالأمر على ما هو ، وذلك نحو قول البحترى :

وَمَا أَغْرِفُ الْأَطْلَالَ مِنْ بَطْنٍ تُوَضِّحُ لِطُولِ تَحَفِّيْهَا وَلَكِنْ إِخَالِهَا^(٦)

(١) في الديوان : « ثنتان » وكلاهما صحيح

(٢) م ، ق ، « إلى الربيع » وهو خطأ

(٣) ديوان أبي نواس ٦١ وهو مطلع قصيدة يذبح بها الفضل بن يحيى البرمكي

(٤) م « عواد » وفي الديوان : « رهينة ألواح »

(٥) الزيادة من ق

(٦) ديوانه طبع مصر ١٧٩/٢ وفي ملحة بيروت ٢٢٢ « في جنب توضح » وكذلك ١٦٩٠/٣

إِذَا قُلْتُ : أَنْتَ دَارَ لَيْلَى عَلَى الْبَيْلَى تَصَوَّرَ فِي أَقْصَى ضَمِيرِي مِثَالَهَا^(١)
وَكُنْتُ أَرْجَى وَصْلَهَا عِنْدَ هَجْرِهَا فَقَدْ بَانَ مِنِّي هَجْرُهَا وَوَصَالُهَا
فَلَا عَهْدَ إِلَّا أَنْ يُعَاوِدَ ذِكْرُهَا وَلَا وَصْلَ إِلَّا أَنْ يُعْطِفَ خِيَالُهَا^(٢)
وهذا هو الشعر الذي لم تشن وجهه الاستعارة البعيدة ، ولا المعنى المتمحل .
وقال الحارث بن خالد المخزومي في ضد قول البحتري : « وما أعرف
الأطلال » ، وأحسن كل الإحسان ، وأبدع وأغرب . وذلك قوله :

عَفَتِ الدِّيَارُ فَمَا بِهَا أَهْلُ أَجْرَاعُهَا وَدُمَائُهَا السَّهْلُ^(٣)
إِنِّي وَمَا نَحَرُوا غَدَاةَ مِنِّي عِنْدَ الْجَمَارِ تَوَوَّدُهَا الْعَقْلُ
لَوْ بُدِّلَتْ أَعْلَى مَنَازِلِهَا سُفْلًا وَأَصْبَحَ سُفْلُهَا يَغْلُو
لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا بِمَا أَحْتَمَلَتْ مِنِّي الضُّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ
وَيَكَادُ يَعْرِفُهَا الْخَبِيرُ بِهَا فَيَرُدُّهُ الْإِقْوَاءُ وَالْمَحَلُ^(٤)

• • •

وأقول الآن في الموازنة بينهما : إن أهل الصنعة يفضلون كل ما قاله أبو تمام
على أكثر ما قاله البحتري في هذا الباب ، ويقولون : إن أبا تمام استقصى
الوصف في نعوت النساء ، وأحسن وأجاد .

وقد كان ذاك [لعمري]^(٥) مع ما فيه من الإساءات والألفاظ الرديئة
التي ذكرتها .

(١) لا يوجد هذا البيت في طبعة بيروت . وفي م « كان ليل » وهو تحريف .

(٢) في ديوانه طبعة بيروت ٢٢٣ « فلا قرب إلا »

(٣) الأغاني ٣/٣١٣ طبعة دار الكتب . والبيت الثاني والثالث والرابع في حسانة أبي تمام

١٢٨٢/٣

(٤) م « فبرده الأنواء »

(٥) الزيادة من ق

والمطبوعون وأهلُ البلاغة لا يكونُ الفضلُ عندهم من جهة استقصاء المعاني والإغراق في الوصف ؛ وإنما يكون الفضلُ عندهم في الإلمام بالمعاني ، وأخذِ العَفْو منها ، كما كانت الأوائِلُ تفعلُ ، مع جَوْدَةِ السَّبْكِ ، وقرب المَأْتَى .
والقول في هذا قولهم ، وإليه أذهب . إلا أَنِّي أجعلهما في هذا الباب متكافئَيْن ، لكثرة إحسان أبي تمام فيه .

الدعاء للديار بالسقيا والخصيب والنبات

قال أبو تمام :

سَقَى رَبِّعَهُمْ لَا بَلَ سَقَى مُنْتَوَاهُمْ من الأرض أخلاف السحاب الحواشك^(١)
وَأَلْبَسَهُمْ عَصَبَ الرَّبِيعِ وَوَشِيَهُ وَيُمْنَتَهُ نَبْتُ الثَّرَى الْمُتَلَاكِ^(٢)
إِذَا غَاظَلَ الرُّوْضُ الْغَزَالَ نَشْرَتْ زَرَابِيُّ فِي أَكْنَاجِهِمْ وَدِرَانِكُ^(٣)
إِذَا الْغَيْثُ غَادَى نَسْجَهُ خِلَتْ أَنَّهُ مَضَتْ حَقْبَةُ حَرْمُسَ لَهُ وَهُوَ حَائِكُ^(٤)

قوله : « حَوَاشِكُ » جمع حَاشِكَةٍ ، وهى : الناقة التى قد اجتمع لبنها فى خلفها شبه السحاب بها . والحَشَكُ : اسم الدَّرة^(٥) المجتمعة .

والمُتَلَاكِكُ : الذى قد تكاثفَ وتداخلَ بعضه فى بعض . من الملاحكة فى البناء ونحوه .

وقوله : « حَقْبَةُ حَرْمُسَ » فى غاية الرداء ؛ لأنَّ الحَقْبَةَ ، السنة : وجمعها حَقَبَ .

والحرْمُس : الدهر : وذكرُ السنة مع الدهر جهلٌ بموضوعات الكلام ، وخروج عن العادات . ومضى سمع أحداً يقول : ما رأيته مذ سنة دهرًا ، وقد مضى له سنة دهر ما يكلمنا ؟

فلما جعله الغيث كأنه كان حائِكًا ، فمن مَضَاحِيكِ معانيه وألفاظه .

(١) ديوانه ٢٢٤ وشرح التبريزى ٤٥٧/٢ وفى م « أخلاق » وهو تعريف . والمتوى : الموضع الذى يتوون إليه ، أى ينوونه ويرحلون إليه

(٢) م « غيب الربيع وشيه وتلتته بنت النوى » وفى شرح التبريزى « بنت النلى »

(٣) الزرابى : الطنافس ، والدِرَانِك : نحو من العنفة والبساط

(٤) قال التبريزى : « أى إذا أصاب الغيث نلى هذه الأرض وجماده وزينه بالأنوار والزهى - حسب أن كان يحوكها ويمسحها زماناً من الدهر »

(٥) م « اسم الأرض » والتصويب من ق

وقال البحرى :

أَسْقَى دِيَارَكَ ... وَالسَّقْيَا يَقِلُّ لَهَا - إِغْزَارُ كُلِّ مُلْتٍ الْوَدْقِ ثَجَاجٍ^(١)
يُلْقِي عَلَى الْأَرْبَسِ مِنْ حَلِيٍّ وَمِنْ حُلَلِيٍّ مَا يَمْتَعُ الْعَيْنُ مِنْ حُسْنٍ وَإِبْهَاجٍ
فَصَاغَ مَا صَاغَ مِنْ تَبِيرٍ وَمِنْ وَرَقٍ وَحَاكَ مَا حَاكَ مِنْ وَثِيٍّ وَدِبَاجٍ
فصوغ الغيث [النبت] ^(٢) وَحَوَّكُهُ للنبات ليس باستعارة . بل هو حقيقة ،
ولكن لا يقال : هو صانع ، ولا كأنه صانع . وكذلك لا يقال : حائك .
وعلى أن لفظة حائك خاصة في غاية الركافة إذا خرجت على ما جاء به
أبو تمام .

وقال البحرى :

فَسَقَاهُمْ وَإِنْ أَطَالَتْ نَوَاهُمْ خِلْفَةَ الدَّهْرِ لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ^(٣)
كُلُّ جَوْنٍ إِذَا ارْتَقَى الْبَرْقُ فِيهِ أَوْدَتْ لِلْعَيْنِ بِالماء نَارُهُ
إِنْ أَقَامَ ارْتَوَى الظَّمَاءُ وَإِنْ سَا رَ أَقَامَتْ أَنْبَقَةُ آثَارُهُ
بِاتِّفَاقٍ مِنْ خُضْرَةِ الرُّوضِ نَضِيرٍ وَأَخْتِلَافٍ يُجِدُّهُ نُورُهُ
كَسْفُورِ الْفَتَاةِ عَنْ حُسْنِ خَدِّ يَتَكَافَى ابْيَاضُهُ وَاحْمِرَارُهُ^(٤)

وهذا كله جيد ، حسن لفظه ومعناه .

وقوله : « يتكافى ابيضاضه واحمراره » ما لحسنه نهاية .

وقال أيضاً يصف آثار الغيث . وليس بدعاء للدار بالسقيا^(٥) :

(١) ديوانه ٣٨٧ ويقال : آلت المطر إلثاء : أى دام أياماً لا يقلع ، وألث السحابة :
دامت أياماً فلم تقلع . والودق : المطر . والتهجاج : المصوب بشدة

(٢) الزيادة من ق

(٣) ديوانه ٥٣٤ ، ٩١٧/٢ .

(٤) م « يتكافى انتضاضه » وفى الديوان « واحوراره » وفيه ٩١٨/٢ « عن مروجه »

(٥) م « والسقيا » .

دِمْنٌ تَنَاهَبَ رَسْمُهَا حَتَّى عَفَا مِنْهَا تَعَاقُبُ رَائِحِ بِقِطَارِهِ^(١)
 بَاتَتْ وَبَاتَ الْبَرْقُ يَمْرِي عُوْدَهُ فِيهَا وَيُنْتِجُ مُثْقَلَاتِ عَشَارِهِ
 فَالْأَرْضُ مِنْ نَسْجِ النَّبَاتِ مُجْدَّةٌ أَثْوَابُهَا وَالرُّوْضُ مِنْ نُوَارِهِ^(٢)
 وهذا أيضاً حلو ، حسن لفظه ومعناه .

وقوله : « وَبَاتَ الْبَرْقُ يَمْرِي » : أى يَسْتَخْرِجُ ماءها . والعُوْدُ : الحديثات
 النَّتَاج ، شبه السحاب بها .

والعِشَار : التى قد أتى لحملها عشرة أشهر ، وإذا وَضَعَتْ ففى أيضاً
 عِشَار ، لا يزول عنها هذا الاسم .

وقال أبو تمام يصف آثار الغيث :

دَوَارِسُ لَمْ يَجْفُ الرُّبُوعُ رُبُوعَهَا وَلَا مَرٌّ فِي أَغْفَالِهَا وَهُوَ غَافِلٌ^(٣)
 فَقَدْ سَجَبَتْ فِيهَا السَّحَابُ ذُبُولَهَا وَقَدْ أَخْمَلَتْ بِالنُّورِ مِنْهَا الْحَمَائِلُ^(٤)

وقال البحتري :

يَادِمْنَةً جَادَبَتْهَا الرِّيحُ بَهْجَتَهَا تَبَيَّتْ تَنْشُرُهَا عَنْهَا وَتَطْوِيهَا^(٥)
 لَا زِلَتْ فِي حُلَلٍ لِلْغَيْثِ ضَافِيَةً يُنِيرُهَا الْبَرْقُ أَحْيَاناً وَيُسْدِيهَا^(٦)
 تَرُوحُ بِالْوَابِلِ الدَّانِي رَوَائِحُهَا عَلَى رُبُوعِكَ أَوْ تَغْدُو غَوَادِيهَا
 رَوَائِحُهَا : يعنى السَّحَاب . وهذا أيضاً جيد بالغ .

(١) ديوانه ٢٤٠ ، ٢ / ٨٦٦ المعارف وفى م « ناهت »

(٢) فى الديوان « فالأرض فى عم النبات . . . والروض فى م « والأرض من نوارة »

(٣) ديوانه ٢٥٥ وشرح التبريزى ٣ / ١١٣

(٤) ويروى : « السحاب ذيلها »

(٥) ديوانه ٢٧ « تنشرها طوراً »

(٦) فى الديوان « حل الخير »

وقال أبو تمام :

لَا مَرَّ يَوْمٌ وَاحِدٌ إِلَّا وَفَى أَحْشَائِهِ لِمَحَلَّتَيْكَ غَمَامٌ^(١)
حَتَّى تَعَمَّمَ صَلْعُ هَامَاتِ الرُّبَا مِنْ نُورِهِ وَتَأْزَرَ الْأَهْضَامُ^(٢)
فَالْأَهْضَامُ : ما انخفض من الأرض . جمع هضم .

وقوله : « حَتَّى تَعَمَّمَ صَلْعُ هَامَاتِ الرُّبَا » أخذه من قول الراجز - وأنشده
يعقوب بن السكيت وغيره - :

قَدْ أَصْبَحَتِ الْعُقْدَةُ صَلْعَاءَ اللَّمَمِ وَأَصْبَحَ الْأَسْوَدُ مَخْضُوبًا بِدَمٍ^(٣)
فالعقدة : موضع ذو شجر لا يَنْتَفِي فِيْهِ ذَهَبٌ .

وَاللَّمَمُ ، وهي الْجِمَامُ^(٤) جمع لَمَّةٌ ، فجعله مثلاً لرؤوس النبت إذا
أكلته الإبل فصارت لِمَمَهُ صَلْعًا .
وَالْأَسْوَدُ : الحية تَطَوُّهُ الْإِبِلُ فَتَقْتُلُهُ .

• • •

وقال البحتري :

إِذَا الْغَمَامُ حَدَاهُ الْبَارِقُ السَّارِي وَأَنْهَلَ فِي دَيْمَةٍ وَطَفَاءٍ مِدْرَارٍ^(٥)
وَحِيلَ إِشْرَاقُهُ طَوْرًا وَظُلُمَتُهُ مَا حَاكَ مِنْ نَمَطٍ رَوْضٍ وَنَوَارٍ^(٦)
فَجَادَ أَرْضَكَ فِي غَرْبِ السَّمَاءِ مِنْ أَرْضٍ وَدَارَكَ بِالْعُلْيَاءِ مِنْ دَارٍ^(٧)

(١) ديوانه ٢٧٩ وشرح التبريزي ١٥١/٣

(٢) قال التبريزي : « أَى لَا زَالَتِ الْغَمَامُ تَسْفِيكَ حَتَّى يَصِيرَ النَّبَاتُ كَالْعَمَامِ عَلَى الرَّبْرِ الصَّلْعِ
الَّتِي لَا نَبَاتَ بِهَا ، وَتَأْزَرُ : أَى يَكُونُ لَهَا كَالِإِزَارِ »

(٣) سبق ص ١١١

(٤) م ، ق « الحسام »

(٥) ديوانه ١١٨

(٦) في الديوان : « وَأَنْوَارٍ »

(٧) في الديوان : « مِنْ غَرْبِ »

وهذا معنى فى غاية اللطافة والحسن ، وكثرة الماء .

وقال البحرى :

قَسَمَ الصَّبَابَةُ فَرَقَتَيْنِ فَشَوْفُهُ لِلظَّاعِنِينَ وَدَمْعُهُ لِلنَّزْلِ (١)
مُتَقَسِّمُ الْأَحْشَاءِ يَنْدُبُ أَرْبَعًا مُتَقَسِّمَاتٍ لِلصَّبَا وَالشَّمَالِ (٢)
حَطَّتْ عَلَى تِلْكَ الْأَجَارِعِ وَالرُّبَى مِنْهُنَّ أَعْبَاءُ السَّحَابِ الْمُثْقَلِ (٣)
وَعَدَا الرَّبِيعُ لَهَا يُنْمِئُ رَوْضَهُ ضَرْبَيْنِ بَيْنَ مُعَمِّدٍ وَمُهَلِّلٍ (٤)
مُعَمِّدٍ : مثل العمدة ، ومُهَلِّلٍ : مثل الأهلة .

* * *

وقال أبو تمام :

أَسْتَقَى دِيَارَهُمْ أَجَشُّ هَزِيمٍ وَعَدَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةٌ وَنَعِيمٌ (٥)
جَادَتْ مَعَاهِدَهُمْ عِيَادُ سَحَابَةٍ مَا عَهْدُهَا عِنْدَ الدِّيَارِ دَمِيمٌ
ولأبى تمام فى الدعاء للديار بالسقيا ، أبيات كثيرة فى قصيدته التى أولها :
• إِنَّ بُكَاءَ فِى الدِّيَارِ مِنْ أَرِيهِ (٦) •

تفاصح فيها وتبادى ، وهى كَرَّةٌ قليلة الحلوة ، لم أكتب منها شيئاً .

* * *

وقال البحرى :

وَإِذَا تَحَمَّلَ مِنْ تِهَامَةٍ بَارِقٌ لَجِبَ يَسِيرُ مَعَ الْجَنُوبِ زُخُوفُهُ (٧)

(١) فى الديوان ٧٨١ ، ١٧٩٩/٣ : « للمنزل »

(٢) فى الديوان : « ينشد أربعا . فى الصبا » . وفى طبعة المعارف : « بالصبا »

(٣) فى الديوان : « أعباء الغمام »

(٤) فى الديوان : « وسرى الربيع »

(٥) ديوانه ٢٩٩ وشرح التبريزى ٢٨٩/٣ « أسقى طلوعهم » وهما روايتان . وتقدم فى الدعاء

لقدار بالسقيا

(٦) ديوانه ٥١ وشرح التبريزى ٢٦٩/١ وعجزه : « نشايها مغرباً على طربه »

(٧) فى ديوانه ٦٥ « فإذا تحمل . . . تسير » ، وفى « وإذا الحمل »

صَغِبُ الرُّوَّاحِ إِذَا تَصَوَّبَ مُزْنُهُ ذَعَرَ الْأَجَادِلَ فِي السَّمَاءِ حَفِيفُهُ
فَسَقَى اللُّوَى ، لَا بَلْ سَقَى عَهْدَ اللُّوَى أَيَّامَ نَرْتَجِعُ اللُّوَى وَنَصِيفُهُ^(١)
الأَجَادِلَ : الصَّقُور .

وهذا جيد ، بالغ لفظه وسبكه ومعناه .

وقال البحتري أيضاً :

إِلْمَامُهُ بِالْدارِ [إِنَّ] مُتَيْمًا يَكْفِيهِ أَكْثَرُ شَوْقِهِ إِلْمَامُهُ^(٢)
أَمْسَى يُضَرِّمُ فِي جَوَانِحِهِ الْجَوَى . بَرَقَ يَشِبُّ مَعَ الْعَشِيِّ ضِرَامُهُ
سَقَى اللُّوَى حَوْذَانُهُ وَعَرَارُهُ وَسَيَّالُهُ وَأَرَاكُهُ وَبَشَامُهُ^(٣)
فَلَرُبَّ عَيْشٍ بِاللُّوَى لَمْ تَسْتَزِدْ حُسْنًا لِيَالِيهِ وَلَا أَيَّامُهُ
وهذا لا مزيد على براعة لفظه ، وجودة سبكه ، وكثرة مائه .

وقال أيضاً :

أَدَارَهُمُ الْأَوَّلَى بِدَارِهِ جُلْجُلٍ سَقَاكَ الْحَيَا رَوْحَاتُهُ وَبَوَاكِرُهُ
وَجَاءَكَ بِحِكِي يَوْسُفَ بْنَ مُحَمَّدٍ فَرَوْتُكَ رِيَاءَهُ وَجَادَلِكِ مَاطِرُهُ^(٤)
وهذا أحسن ما يكون من المدح . وَيُسَمَّى^(٥) الْأَسْتِطْرَادَ ، وقد ذكر
أبا سعيد محمد بن يوسف في غير موضع ، على هذا المعنى ونحوه . يتسبب
[إلى مدحه]^(٦) في مدائح غيره .

(١) م « تربيع اللوى وتصيفه »

(٢) الزيادة من ق . والأبيات لم ترد في ديوانه طبع بيروت

(٣) م « جودانه وغزاره » والحوذان والمرار فبتان كما في اللسان ٢١/٥ ، ٢٣٥/٦

(٤) البيتان في ديوانه ص ٢٠٥

(٥) في م « ويبقى » والتصويب من ق

(٦) الزيادة من ق

وقال أيضاً :

أَوْدُ لَهَا سُقْيَا السَّحَابِ وَمَحَوَهَا
مَحَلَّتَنَا وَالْعَيْشُ غَضُّ نَبَاتِهِ
بُسْقِيَا السَّحَابِ حِينَ يَصْدُقُ خَالُهَا^(١)
وَأَفْنِيَةُ الْآيَامِ خُضْرُ ظِلَالِهَا
وهذا معنى حسن صحيح .

وقال أيضاً :

يَا عَارِضًا مُتَلَفِعًا بِسُبُرِهِ
لَوْ شِئْتَ عُدْتَ بِلَادَ نَجْدٍ عَوْدَةً
يَخْتَالُ بَيْنَ بُرُوقِهِ وَرُغْوَدِهِ^(٢)
فَنَزَلَتْ بَيْنَ عَقِيقِهِ وَزُرُودِهِ
لِتَجُودَ فِي رَنْجٍ بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى

وقال أيضاً :

سَأَلْتُ الْغَوَادِي مُلْحِفًا فِي سُؤَالِهَا
مَنَازِلُ مَا أَبْقَى الْبَلَى مِنْ عِرَاصِهَا
وَنَاصِرَ ضَوْهِ الْكُوكَبِ الْمُتَوَقِّدِ^(٤)
تَشْنَى عَلَى لَحْظِ الْعَيْنِ إِذَا مَشَتْ
وَنَاشِدُهَا فِي سَقَى بُرْقَةٍ نَهْمِدِ
سِوَى أَرْسَمٍ مَعْفُودِ الْآيِ هُمِدِ^(٣)
تَشْنَى غُضْنِ الْبَانَةِ الْمُتَاوِدِ^(٥)
وهذا كله جيد لفظاً ومعنى .

وقال أيضاً :

أَنَاشِدُ الْقَيْثَ كَيْ تَهْمِي غَوَادِيهِ
عَلَى مَحَلٍّ أَرَى الْآيَامَ تَضْحَكُ عَنْ
عَلَى الْعَقِيقِ وَإِنْ أَثَوْتَ مَعَانِيهِ^(٦)
أَيَّامِهِ وَاللَّيَالَى عَنْ لَيَالِيهِ

(١) ديوانه ٢٢٢ ، ٣ / ١٦٩٠

(٢) ديوانه ٦٥٨ وفي م « بار عارضا »

(٣) م « من عراصها »

(٤) م « الكواكب »

(٥) لم ترد هذه الأبيات في ديوانه طبع بيروت

(٦) ديوانه ١٧٤ وفي م « غواريه » وفي الديوان : « وإن أثوت »

عهد من اللّهُو لم تُذَمَّ عَوَائِدُهُ يَوْمًا فَيُنْسَى ولم تَقْدُم بَوَادِيهِ^(١)
وقال أيضاً :

خَلَفْتَكُمْ الْأَنْوَاءَ فِي أَوْطَانِكُمْ فَسَقَتْ صَوَادِي أَرْبَعٍ وَطُلُولٍ^(٢)
وَإِذَا السَّحَابُ تَرَجَّحَتْ هَضْبَاتُهُ فَعَلَى مَحَلٍّ بِالْعَقِيقِ مَجِيلٍ
حَتَّى تَبُلَّ مَنَازِلًا لَوْ أَنَّهَا كَثَبُ لَرُخْتُ عَلَى جَوَى مَبْلُولٍ^(٣)

وقال أبو تمام :

أَيُّهَا الْبَرَقُ بَيْتَ بَأْعْلَى الْبَرَاقِ وَأَعْدُ فِيهَا بِوَابِلٍ غَيْدَاقٍ^(٤)
دِمْنٌ طَالَمَا التَّقَتْ أَدْمُعُ الْغَيْدِ ثَلَاثٌ عَلَيْهَا وَأَدْمُعُ الْعِشَاقِ^(٥)
وقال أبو تمام أيضاً - وهذا من أحسن معاني هذا الباب ، وهو [من]

إحسانه المشهور :

يَا مَنْزِلًا أَعْطَى الْحَوَادِثَ حُكْمَهَا لَا مَطْلَ فِي عِدَّةٍ وَلَا تَسْوِيفًا^(٦)
أَرَسَى بِنَادِيكَ النَّدَى وَتَنَفَّسَتْ نَفْسًا بِعَقْوَتِكَ الرِّيحُ ضَعِيفًا^(٧)
شَغِفَ الْغَمَامُ بِسَاحَتَيْكَ فَرُبَّمَا رَوَتْ رَبَّاكَ الْهَائِمَ الْمَشْغُوفًا
وقوله : « وَتَنَفَّسَتْ نَفْسًا بِعَقْوَتِكَ الرِّيحُ ضَعِيفًا » مما استحسنته
الناس ، وقد ذكرته في باب مَحْوِ الرِّيحِ لِلدِّيار ، ومن أين أخذ المعنى^(٨) .
وقوله : « شَغِفَ الْغَمَامُ بِسَاحَتَيْكَ » يدعو له بالسُّقْيَا على سبيل الجزاء ،
بما رَوَّته رِياه من أحبابه فيه .

(١) في م : « اللي » ! ! وفي الديوان « ولم تفقد بواديه »

(٢) ديوانه ١٧٨ ، ٣ / ١٨٣٩

(٣) في الديوان « منازل » وم « مناوولا »

(٤) ديوانه ٢٢٠ وشرح التبريزي ٤٤٧/٢ ، والغيداق : الكثير الماء والجري

(٥) في الديوان « أدمع المزن »

(٦) ديوانه ٢٠٦ وشرح التبريزي ٣٧٦/٢

(٧) ويرى « نفساً بمرصتك »

(٨) راجع ص ١٠٧ ، و ١٦٢ و ٣٣٩ وانظر ص ٥١٨

ما يخلف الظاعنين في الديار من الوحش وغيرها

قال أبو تمام يخاطب الربع :

قد كُنتَ مَقْهُودًا بِأَحْسَنِ سَاكِنٍ ثَاوٍ فَأَحْسَنَ دِمْنَةً وَرُسُومًا^(١)
 أَيَّامَ اللَّأْبَامِ فَيْكَ غَضَارَةٌ والدَّهْرُ فِيَّ وَفَيْكَ غَيْرُ مُلِيمٍ
 وَظِيَاءُ أَنْسِكَ لَمْ تَبْدَلْ مِنْهُمْ بظباءٍ وَخَشَمَكَ ظَاعِنًا بِمَقِيمٍ
 مِنْ كُلِّ رَيْمٍ لَوْ تَبَدَّلَ قَطَعَتْ الْحَاظُ. مُقْلَتِهِ فَوَادَ الرَّيْمِ

قوله : « ثَاوٍ بِأَحْسَنَ دِمْنَةً وَرُسُومًا » غلط . ؛ لأنَّ رُسُومَ الدار لا تسمى رُسُومًا إِذَا كَانَ أَهْلُهَا ثَاوِينَ فِيهَا ، بَلْ إِنَّمَا تُسَمَّى رُسُومًا : إِذَا فَارَقَهَا سَاكِنُوهَا وَارْتَحَلُوا عَنْهَا ؛ لِأَنَّ الرَّيْمَ هُوَ الْأَثَرُ الْبَاقِي بَعْدَهُمْ .

والصحيح المستقيم قول البحتري :

يَا مَعَانِي الْأَحْبَابِ صِرْتَ رُسُومًا وَغَدَا الدَّهْرُ فَيْكَ عِنْدِي مَلُومًا^(٢)

وليس أبو تمام ممن يذهب هذا عليه ، ولكنه يسمّح نفسه في ألفاظه ، فيقع الغلط عليه عِنْدَ كَلَالِ خَاطِرِهِ . أَلَا تَرَاهُ قَالَ :

قَالُوا : أَتَبْكِي عَلَى رَسْمٍ ؟ فَقُلْتُ لَهُمْ : مِنْ فَاتِهِ الْعَيْنُ هَدَى شَوْقُهُ الْأَثَرُ^(٣)

فجاء بالرسم في موضعه . وقد ذكرت هذا فيما تقدم^(٤) .

وقوله : « مِنْ كُلِّ رَيْمٍ لَوْ تَبَدَّلَ » لفظٌ غَيْرُ لَائِقٍ بِالْمَعْنَى ، وَلَا مُلْتَمِمْ مَعَهُ ؛ لِأَنَّهُ يُرِيدُ بِالرَّيْمِ : الْمَرَاةَ ؛ وَتَبَدُّلُهَا لَا يَقْطَعُ فَوَادَ الرَّيْمِ . فَإِنْ كَانَ

(١) ديوانه ٣٠٥ وشرح التبريزي ٢/٢٦١ وفي الديوان « ساكن منا وأحسن »

(٢) ديوانه ٢٧٣

(٣) ديوانه ١٤٩ وشرح التبريزي ٢/١٨٦

(٤) وسيأتي ص ٥٤٩

أراد بالتبذلّ ظهورها للرّيم ، فإنّ ظهورها للرّيم ليس بتبذلّ ، ولا هي محجوبة ولا مَصُونَةٌ عن الرّيم . وإنما كان المعنى يصح وينتظم لو قال : « من كل ريم لوعرف الريم كنه جماله ، ثم رآه أو واجهه » . فأمّا التبذل فقد يقع منها وربما لا يراها^(١) .

ويروى : « من كلّ ريم لو تبدّى » أى لو ظهر ، وليس بشيء ؛ لأنّها ليست محجوبة عن الرّيم .

وقال :

أَطْلَالَ هِنْدٌ سَاءَ مَا أَعْتَصَمَتْ مِنْ هِنْدٍ أَقَابَيْضَتْ حُورَ الْعَيْنِ بِالْعُونِ وَالرُّبْدِ^(٢)
إِذَا شِئْنَ بِالْأَلْوَانِ كُنَّ عِصَابَةً مِنْ الْهِنْدِ وَالْأَذَانِ كُنَّ مِنَ الصُّغْدِ^(٣)
أَعُجِبْنَا عَلَيْكَ الْعَيْسَ بَعْدَ مَعَاجِهَا عَلَى الْبَيْضِ أَتْرَاباً عَلَى النُّوَى وَالْوَدِّ^(٤)
فَلَا دَمْعَ أَوْ يَغْفُو عَلَى إِثْرِهِ دَمٌ وَلَا وَجْدَ مَا لَمْ تَعَى عَنْ صِفَةِ الْوَجْدِ^(٥)

قوله : « حُورُ الْعَيْنِ » يريد النساء .

وقوله : « بِالْعَيْنِ » يريد بقر الوحش ، وقيل لها عَيْن : لِعِظَمِ أَعْيُنِهَا .
وَالرُّبْدُ : النَّعَام ، جعلها رُبْدًا فى ألوانها .

وقوله : « كُنَّ عِصَابَةً مِنْ الْهِنْدِ » لأنّ الهند سُمِّرُ إِلَى الصُّفْرَةِ الْكَبِيرَةِ
وَتِلْكَ هِيَ الرُّبْدَةُ .

(١) م « منها ربما ولا يراها »

(٢) ديوانه ١١٤ وشرح التبريزى ٥٩ / ٢ وفى هامش م « فى نسخة عبد السلام البصرى :
بِالْعَيْنِ وَالرُّبْدِ . والمعروف بِالْعُونِ . وهو جمع عانة » وفى شرح التبريزى : « الْعَيْنِ : جمع عينا . وهى الحسنة
العينين الواسعتين . والعون يحتمل أن تكون جمع عانة ، وهى جماعة من حمير الوحش . كما يقال :
ساحة وسوح » . وانظر سؤال الديار

(٣) م « من السعد »

(٤) ويروى « لعينا » والود : لغة من الود

(٥) ويروى « ما لم يحرق فى إثره دم »

والصغد : إذ أنهم صغار جداً ، وربما وُجِدَ فيهم من لا يكون له أذن ظاهرة ، لصغرها ولُصُوقِها برأسه . قال ذلك : لأن النعام لا آذان لها ، فقال : إذا شئت ، من أجل ألوانهن ، كن من الهند ، أو من أجل أنهن لا آذان لهن ، من الصغد .

وقوله : « أو يَغْفُو على إثره دم » أى يكثر ، يقال : عفا شعره : إذا كثر . وهو من الأضداد^(١) ، وهذه طريقة لا حلاوة لها .
والبيت الأول والأخير جيدان .

وقوله « أَعْجَبْنَا عَلَيْكَ الْعَيْسَ » بيت مضطرب النظم^(٢) ، ردىء اللفظ ؛ لأنه يخاطب الأطلال ، فكأنه أراد أن يقول : أَعْجَبْنَا الْعَيْسَ مِنْكَ عَلَى النَّوَى وَالْوَدِّ ، بعد معاجيها على الْبَيْضِ أَتْرَاباً . فجعل « عليك » فى موضع « منك » .

وقال أيضاً :

تَبَدَّلَ غَاشِيَهُ بِرِيمٍ مُسْلَمٍ تَرَدَّى رِذَاءُ الْحُسْنِ طَيْفًا مُسْلَمًا^(٣)
ومن وَشَى خَدُّ لَمْ يُنَمِّنْ فِرْنَدُهُ مَعَالِمُ يُذَكِّرُنَ الْكِتَابَ الْمُنَمَّنَا^(٤)
وبالحُلَى إِنْ قَامَتْ تَرَنَّمَ فَوْقَهَا حَمَامًا إِذَا لَاقَى حَمَامًا تَرَنَّمَا
وبالْخَذَلَةِ السَّاقِ الْمُخْدَمَةِ الشَّوَى قَلَائِيصَ يَتَلَوْنَ الْعَبْنَى الْمُخْدَمَا^(٥)
قوله : « تَبَدَّلَ غَاشِيَهُ بِرِيمٍ مُسْلَمٍ » يعنى المرأة .

« طَيْفًا مُسْلَمًا » يعنى خيالها ، ولم يرد أن من يغشى هذا المنزل ينام فيه حتى يرى الطيف فى منامه ، وإنما أراد : أن يتصور له خيال من كان يهواه فيه فسماه طيفاً . وهذا غير مُنْكَرٍ .

(١) راجع الأضداد لابن الأثير ٧١

(٢) م « النظر »

(٣) ديوانه ٢٩٤ وشرح التبريزي ٢٣٢/٣

(٤) م « من رثى »

(٥) فى الديوان : « يتيمين » وهما روايتان

وقوله : « وَمِنْ وَشَى خَدَّ لَمْ يُنَمِّنْ فِرْنُدَّهُ » فَفِرْنُدَّهُ : ماؤه وروثه .
 لم يُنَمِّنْ : لم يُنْقَشْ كما تُنْقَشُ الخُدُودُ إذا زُيِّنَتْ ، لاستغنائها عن
 ذلك بحسنه . وجعله وَشِيًّا ، والوَشَى : ما كان ألواناً مختلفة كألوان الزهر في
 الرِّياض . فجعل بياض الخد وتلوّنه بالأحمر وَشِيًّا . أى بدل غاشي الربع
 من ذلك معالم يذكرن الكتاب المُنَمِّنْ ، أو المَكْتُوب ، وبالحلى إن قامت
 ترنم فوقها حماماً يترنم .

وقوله : « وبِالْخَدْلَةِ السَّاقِ » أى الممتلئة ، يعنى المرأة .
 والمُخْدَمَةُ الشَّوَى : التى فى رجلها خَدَمَةٌ ، وهى الخَلْخال .
 والشَّوَى : الأَطْرَافُ .

والقَلَايِصُ من الإبل : جمع قُلُوص ، وهى الفَتِيَّةُ السِّنُّ .
 من يقف على الربع يتلون العَبْنَى ، وهو الفَحْلُ الغليظ .
 والمُخَدَّمُ : الذى فى رجله خَدَمَةٌ ، وهى سير غليظ مُحْكَم ، يُشَدُّ مثل
 الحلقة فى رُسْغِ البعير ، ثم يشد إليه شرائح نَعْلِهِ ، وَسَمَوُ الخَلْخال خَدَمَةٌ .
 ثم قال بعد هذا :

سَوَارٍ إِذَا قَابِلْنَ مُمْتَنِعَ الْفَلَا جَعَلْنَ الشُّعَارَيْنِ : الْجَدِيلَ وَشَدَقَمًا^(١)
 وهما فحلان . يقول : إِذَا قَابِلَتْ هَذِهِ الْإِبِلَ سِيرَ الْفَلَاةِ رَجَعْتَ إِلَى أَنَّهَا مِنْ
 نَتَاجِ هَذَيْنِ الْفَحْلَيْنِ الْكَرِيمَيْنِ ، فَتَقْوَى عَلَى قَطْعِ الْفَلَا . فجعل ذلك شعاراً لها .

(١) فى شرح التبريزى : « إِذَا قَاتَلْنَ » وقال فى شرحه : « قد جرت العادة من يقاتل أن يكون
 له شعار يتميز به من العدو ، وهو شيء يدعو به فى الحرب ، مثل أن يقول : يال كلاب ، أو يال نمير ، أو
 غير ذلك من الكلام الذى يصلح عليه . . فكأن هذه الرواحل قد جعلت شعارها فى قطع الفلاة ، أنها
 تنسب إلى "جديل وشدم" كما يذكر المحارب جده الأكبر وقبيلته »

وقال : سوار - رفع - وهو وصف القلائص^(١) والعَبْنَى ، وهى منصوبة .
وهذا تحمّل إذا اعتمد بالكلام الاستثناف .

والمعنى أيضاً ليس بالجيد ؛ لأنه جعل الإبل التى ذكر أنها مجتازة بهذا المنزل وغير مقيمة لقوله : سوار - أسوةً معاملة التى قد دَرَسَتْ ، وحمايمه التى تألفه وتقطّنه . ولو كان هذا المنزل عامراً بأهله ، لَمَا خَلَوْا من إبلٍ مَقْطُورَةٍ تَجْتَازُ بِهِمْ ، لِقَوْمٍ مُسَالِمِينَ من العشائر أو مخالفين أو متاجرين ، أو إبلٍ لهم أنفسهم يَقْطُرُونَهَا لبعض مَسِيرِهِمْ وَمَآرِبِهِمْ .

ولعل منزلهم كان يألف من هذا الجنس من الإبل وهو عامر ، أكثر مما يجتاز به وهو خراب .

* * *

وقال البحتري :

ويزيده شجواً تَقَارُضُ وحشها وَضَلَيْنَ وصلَ أحيّةٍ وحبايب^(٢)
تَرَعَى السُّهُولَةَ والحُزُونَ يَقِينَهَا حَدَيْنِ حَدَ أَظَافِرٍ وَمَخَالِبِ^(٣)
لم يَمْشِ وإشَ بَيْنَهُنَّ ولا دَعَا بَيْنَا لَهُنَّ صَدَى الغُرَابِ النَّاعِبِ
ما كان أحسنَ هذه من وَقْفَةٍ لو كان ذاك السَّرْبُ سِرْبَ كَوَاعِبِ

وقوله : « وَضَلَيْنَ » يريد وصل الذكور للإناث ، وصل الإناث للذكور .
والأحيّة : الذكور .

والحبايب : الإناث ؛ جمع حبيبة .

وقوله : « تَرَعَى السُّهُولَةَ والحُزُونَ يَقِينَهَا » يريد بالحُزُونَ : المواضع التى

(١) م « القلائص »

(٢) ديوانه ٦٩٦ « وحشا . . . وصلين بين أحيّة »

(٣) فى الديوان « خدين خد » ١٥٩/١ المعارف

يُعْتَصَمُ بِهَا ، وَيُسْتَتَرُ فِيهَا مِنْ جَوَارِحِ الطَّيْرِ وَالسَّبَاعِ .
 وقوله : « صَدَى الْغُرَابِ » يعنى صوته . وَالصَّدَى : هو ما يسمع بعد
 الصَّوْتِ من جبال أو نحوه ، وهو حكاية الصوت سواء . فجعل صوت الغراب
 صدى . ولعل له أصلا .

وقال البحرى :

أَأَنْتِ دِيَارُ الْحَيِّ أَيْتُهَا الرَّبِّى الـ الْأَنْيَقَةُ أَمْ دَارُ الْمَهَى وَالنَّعَائِمِ (١)
 وَسِرْبُ ظِبْيَاءِ الْوَحْشِ هَذَا الَّذِى أَرَى أَمَامَكَ ؟ أَمْ سِرْبُ الظُّبَاءِ النَّوَاعِمِ
 وَأَذْمُعِ اللَّاتِي عَفَاكَ أَنْسَجَامُهَا وَأَبْلَاكِ ؟ أَمْ صَوْبُ الْغَيْوْثِ السَّوَاجِمِ (٢)
 وَأَيَّامُنَا فَيْسَلُكَ اللَّوَاثِ تَصَرَّمَتْ مَعَ الْوَصْلِ ؟ أَمْ أَضْغَاثُ أَحْلَامِ خَالِمِ (٣)
 وهذا كأنه فى مذهب أبى تمام فى استقصاء المعانى ؛ وليس هو بوصف جيد .
 وقوله أيضاً : إن الدموع السَّجَامُ هى التى عَفَتْ الدِّيَارَ وَأَبْلَتْهَا أَمْ الْغَيْوْثُ ؛
 لإسراف ومبالغة غير حسنة ولا جميلة .

وأجود من هذا ومن جميع ما قاله الطائيان فى هذا الباب ، وأبرع لفظاً
 وألطف معنى - ما أنشده إبراهيم الموصلى :
 وَمَا يَسْتَفِيقُ الْقَلْبُ إِلَّا أَنْبَرَى لَهُ تَوَهُُّمٌ ضَيْفَرٌ مِنْ سَعَادَ وَمَرْبَعِ (٤)

(١) ديوانه ٤٤٧ ، ٣ / ١٩٦٩ - ١٩٧٠ فى م « أليت ديار »

(٢) فى الديوان « وأدمننا اللاتى » فى م « عفاى »

(٣) فى م « أمن أضغاث » وفى الديوان « أحلام نائم »

(٤) الأبيات لابن الدمينية ، كما فى ديوانه ٢٥ وحماة أبى تمام بشرح التبريزى ٢٠٢/٣
 وغير منسوبة فى شرح المرزوقى ١٢٢٣/٣ والبيت الأخير ليس فيها . والبيت الأول والثانى فى
 زهر الآداب ٢٤٠/٢ ليحيى بن منصور النهلى ، وكذلك نسبها فى جمع الجواهر ١٧٩ ، والرواية
 « يستفيع أما » وفى م « وما نسمين » .

أَخَادِعُ عَنْ عِرْفَانِهَا الْعَيْنَ إِنَّهُ مَنِ تَعْرِفِ الْأَطْلَالَ عَيْنِي تَدْمَعُ^(١)
عَهْدْتُ بِهَا وَخَشَاً عَلَيْهَا بَرَأَقِعُ وَهَذِي وَخُوشُ أَصْبَحَتْ لَمْ تَبْرُقِعِ
تَشَابَهُ فِي أَجْيَادِهَا وَعُيُونِهَا وَلَمْ يَتَفَقْ أَشْبَاهُ سُوقٍ وَأَذْرُعِ
وَأَخَذَ بِشَارٍ - فِيمَا أَظُن - قَوْلَ هَذَا الشَّاعِرِ :

• مَنِّي تَعْرِفِ الْأَطْلَالَ عَيْنِي تَدْمَعُ •

فَقَالَ :

مَنِّي تَعْرِفِ الدَّارَ الَّتِي بَانَ أَهْلُهَا بِسُعْدَى فَإِنَّ الدَّمْعَ مِنْكَ قَرِيبُ^(٢)
فَأَسَاءَ إِسَاءَةً بَيْنَهُ ، لِأَنَّهُ جَعَلَ الدَّمْعَ قَرِيباً وَلَمْ يَجْعَلْهُ جَارِياً . وَقَدْ كَانَ
يُمْكِنُهُ أَنْ يَقُولَ : فَدَمْعَ الْمُقْلَتَيْنِ مَسْكُوبٍ ، أَوْ جَرَى الْمُقْلَتَيْنِ غُرُوبٍ ، أَوْ نَحْوِ
هَذَا . وَلَكِنَّهُ وَصَلَهُ بِبَيْتٍ فِي غَايَةِ الْحَسَنِ ، فَقَالَ :

تَذَكَّرُ مَنْ أَحْبَبْتَ إِذْ أَنْتَ يَافِعُ غَلَامٌ ، فَمَغْنَاهُ إِلَيْكَ حَبِيبُ^(٣)
وَمِنْ هَهُنَا أَخَذَ ابْنُ الرُّومِيِّ قَوْلَهُ :

وَجِبَّ أَوْطَانُ الرِّجَالِ إِلَيْهِمْ مَا رَبُّ قَضَاهَا الشَّبَابُ هُنَالِكَ^(٤)

(١) فِي الْحِصَاسَةِ « عَنْ أَطْلَالِهَا »

(٢) دِيوَانُ بَشَاوٍ ١٨٤/١ وَفِي زَهْرِ الْأَدَابِ ٦٨٤/٢ « فَإِنَّ الْمَهْدَ »

(٣) فِي زَهْرِ الْأَدَابِ : « تَذَكَّرُ الْأَهْوَاءُ إِذْ أَنْتَ يَافِعٌ لَدَيْهَا »

(٤) رَاجِعْ زَهْرَ الْأَدَابِ ٦٨٤/٢

ماقالاه في الوقوف على الديار وفي تعنيف الأصحاب إياهما على ذلك

قال أبو تمام :

فَاعْقِلْ بِنُضْوِ الدَّارِ نِضْوَكِ يَفْتَسِمُ فَرَطَ الصَّبَابَةِ مُسْعِدُ وَحَزِينُ^(١)
لَا تَمْنَعْنِي وَقْفَةٌ أَشْفَى بِهَا دَاءُ الْفِرَاقِ فَإِنَّهَا مَاعُونُ
وَاسِقِ الْأَثَا فِي مَنْ دُمُوعَكَ رِيَّهَا إِنْ الضَّنِينَ بِدَمْعِهِ لَضَنِينُ
استعار للدار اسم « النَّضْو » لِدُرُوسِهَا ، من أجل قوله : « نِضْوُكَ » ،
يريد بغيره ، وذلك رسمه ومذهبُه في الاستعارة .

وقوله : « يَفْتَسِمُ » فَرَطَ الصَّبَابَةِ مُسْعِدُ وَحَزِينُ « فإنَّ المُسْعِدَ ليس عنده
من الصَّبَابَةِ ما عند الحزين ، لأنَّ الصَّبَابَةَ رَقَّةُ الشَّوْقِ . فما في المُسْعِدِ من
الاشتياق ؟ وكيف فرط الاشتياق ؟

والقريب من الصواب قولُ البحترى :

هَلْ مُغْرَمٌ يُعْطَى الْهَوَى حَقَّ الْجَوَى مِنْكُمْ فَيَنْفَدَ دَمْعُهُ ، أَوْ مُسْعِدُ^(٢)
أَيُّ هَلْ مُغْرَمٌ مِنْكُمْ يَبْكِي لَغْرَامِهِ كَمَا أَبْكِي أَوْ مُسْعِدُ ؟ لِأَنَّ المُسْعِدَ قَدْ
يَبْكِي لِبِكَاءِ صَاحِبِهِ وَإِنْ لَمْ تَكْ هُنَاكَ صَبَابَةٌ ، أَوْ أَنَّ يَكُونُ أَرَادَ بِالْمُسْعِدِ مَنْ
يَقِفُ مَعَهُ يَتَأَلَّمُ لَهُ وَلَا يَعْنِفُهُ .

وقول أبي تمام يتجاوز في مثله : لِأَنَّ الْهَائِمَ الصَّبَّ إِذَا وَجَدَ مَنْ يَرِيقُ لَهُ
وَيَرْحِمُهُ وَيُظْهِرُ الْاِغْتِمَامَ بِأَمْرِهِ ، يَخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَحْزَنَ كَحَزْنِهِ ،
وَيَبْكِي كَبِكَائِهِ وَقَدْ قَالَ الْبَحْتَرِيُّ فِي مِثْلِ هَذَا :

(١) ديوانه ٣٢٨ وشرح التبريزي ٣/٢٢٣

(٢) ديوانه ٦٨٩ وفي م ، ق « الْجَوَى حَقَّ الْجَوَى »

هَلَّا بَكَيْتِ وَقَدْ رَأَيْتِ بُكَاءَهُ وَدَنْفَتِ حِينَ سَمِعْتَ شَكْوَى الْمُذْنَفِ
فَلَا جُرَيْنَ الدَّمْعِ إِذْ لَمْ تُجْرِهِ وَلَا عَرَفْنَ الْوَجْدَ إِذْ لَمْ تَعْرِفِ
وَأَنَا الْمُعْنَفُ فِي الصَّبَابَةِ وَالصَّبَى وَعَلَيْهِمَا إِنْ كُنْتَ غَيْرَ مُعْنَفٍ^(١)
فَأَرَادَ مِنْ صَاحِبِهِ أَنْ يَذْنَفَ كَذَنْفِهِ ، كَمَا أَرَادَ أَبُو تَمَامٍ مِنْ صَاحِبِهِ أَنْ
يُقَاسِمَهُ قَرْطَ الصَّبَابَةِ .

وقد قال كَثِيرٌ :

خَلِيلِي هَذَا رَسْمُ عَزَّةٍ فَأَعْقِلَا قُلُوصَيْكُمَا ثُمَّ أَبْكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ^(٢)
فَأَرَادَ هَذَا أَيْضاً مِنْ خَلِيلِهِ أَنْ يَبْكِيَا عَلَى رَسْمِ عَزَّةٍ .

وقال أَبُو تَمَامٍ - فَجَرَى عَلَى الْمَنَهِجِ الْمُسْتَقِيمِ فِي مَخَاطِبَةِ الْأَصْحَابِ - :

مَا فِي وَقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسٍ نَقَضِي ذِمَامَ الْأَرْبَعِ الْأَذْرَاسِ^(٣)
فَلَعَلَّ عَيْنَكَ أَنْ تَجُودَ بِمَائِهَا وَالْدَّمْعُ مِنْهُ خَاذِلٌ وَمَوَاسِي^(٤)
لَا يُسْعِدُ الْمَشْتَاقَ وَمَنَّانُ الْهَوَى يَبْسُ الْمَدَامِعَ بَارِدُ الْأَنْفَاسِ^(٥)

فَقَالَ : « وِشْنَانُ الْهَوَى »^(٦) أَيْ نَائِمُ الْهَوَى ، أَيْ مِنْ لَا هَوَى لَهُ ،
فَهُوَ يَبْسُ الْمَدَامِعَ بَارِدُ^(٧) الْأَنْفَاسِ ، فَلَا يَكُونُ مِنْهُ إِسْعَادٌ .

وَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ هَوَى فَأَنْفَاسُهُ حَارَّةٌ لِحَرَارَةِ قَلْبِهِ . فَتَأْتِي هُنَا بَعِينَ
الصُّوَابِ ، وَحَقِيقَةُ أَمْرِ الصَّاحِبِ . فَأَحْسَنَ وَأَجَادَ .

(١) ديوانه ٦٧٦ : « إِذْ كُنْتُ » وَالصَّنَاعَتَيْنِ ٤١٢

(٢) ديوانه ٣٦/١

(٣) ديوانه ١٧٢ وشرح التبريزي ٢٤٢/٢ . وَانْظُرْ ص ٢١٠ وَ ٤٣٠ وَ ٤٣٥

(٤) م « فَلَعَلَّ عَيْنِي » وَفِي الدِّيَّوَانِ « أَنْ تَعِينِ »

(٥) م « رَشْفَانُ الْهَوَى »

(٦) م « أَيْ »

(٧) م « بَارِكُ »

ومثله قول البحترى :

يَأْبَى الْخَلَى بُكَاءَ الْمَنْزِلِ الْخَالِي وَالنَّوْحَ فِي دِمَنِ أَقْوَتٍ وَأَطْلَالٍ^(١)
وَدُو الصَّبَابَةِ مَا يَنْفَكُ يَنْصِبُهُ وَجَدَ تَابُدُّ آيِ الدُّمْنَةِ الْخَالِي^(٢)
قوله : « تَابُدُّ » أى صار فيها أَوَابِدُ الوحش . ويقال : تَابَدَّ الْمَنْزَلُ :
إِذَا طَالَ عَلَيْهِ الْأَبْدُ .

ونحو هذا قول أبى تمام أيضاً :

أَقُولُ لِقُرْحَانَ مِنَ الْبَيْنِ لَمْ يُضِفْ رَسِيسَ الْهَوَى بَيْنَ الْحَشَاوِ التَّرَائِبِ^(٣)
أَعْنَى أَفْرَقَ شَمْلَ دَمْعِي فَإِنِّى أَرَى الشَّمْلَ مِنْهُمْ لَيْسَ بِالْمُتَقَارِبِ
وَمَا صَارَ يَوْمَ الدَّارِ عَذْلُكَ كُلُّهُ عَدُوِّ حَتَّى صَارَ جَهْلُكَ صَاحِبِي^(٤)
وَمَا بِكَ إِزْكَابِي مِنَ الرُّشْدِ مَرْكَبًا إِلَّا إِنَّمَا حَاوَلْتَ رُشْدَ الرُّكَائِبِ
فَكِلْنِي إِلَى شَوْقِي وَسِرِّ يَسِرَ الْهَوَى إِلَى حُرْقَاتِي بِالْدُمُوعِ السَّوَارِبِ
قوله : « أَقُولُ لِقُرْحَانَ مِنَ الْبَيْنِ » أى التمسست المعونة والمساعدة فى
الوقوف على الدار معى مِمَّنْ لَمْ يَثْقُ مُفَارَقَةَ الْأَحْبَابِ وَلَمْ يَعْرِفِ الْهَوَى ؛
كَأَنَّهُ يَنْكَرُ ذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ .

وَالْقُرْحَانُ : هُوَ الَّذِى لَمْ يَخْرُجْ بِهِ الْجُدْرَى . وَلَيْسَ بِهِ آثَارُهُ وَلَا آثَارُ
غَيْرِهِ مِنَ الْقُرُوحِ . وَقِيلَ لَهُ قُرْحَانٌ ، عَلَى الْعَكْسِ ، كَمَا قِيلَ لِلْأَسْوَدِ :
أَبُو الْبَيْضَاءِ ، وَالْمَهْلَكَةُ : مَفَازَةٌ ، وَنَحْوُ هَذَا . فَجَعَلَ أَبُو تَمَامٍ مِنْ لَمْ يَعِشْ وَلَمْ
يَفَارِقِ الْأَحْبَابِ قُرْحَانًا ، عَلَى التَّشْبِيهِ . كَمَا قَالَ جَرِيرٌ :

(١) لم يرد البيتان فى ديوانه طبع بيروت . رها فى طبعة المعارف ١٧٢٠/٢ وفيها « فى
أرسم أتوت »

(٢) فى م « وجد »

(٣) ديوانه ٤٠ وشرح التبريزى ٢٠٦/١

(٤) م « جهلك ما حبى »

• لَوْ كُنْتُ مِنْ زَفَرَاتِ الْحَبِّ قُرْحَانًا^(١) •

ثم قال :

وَمَا صَارَ يَوْمَ الدَّارِ عَذْلُكَ كُلُّهُ عَدُوِّي حَتَّى صَارَ جَهْلُكَ صَاحِبِي
فأراد أنه قد عَذَلَهُ على الوقوف والبكاء وأنه كره عَذْلَهُ وشق عليه ، فصار
عَذْلُهُ عَدُوًّا لَهُ . وإنما أراد عداوته في نفسه . ثم قال : « حتى صار جهْلُكَ
صَاحِبِي » ، أى إنما استفرغت عَذْلُكَ وأنْهَيْت فيه حتى انطلقتُ معك فصار
جهْلُكَ صَاحِبِي ، وإنما أراد حتى أَصْطَحَبْتُكَ على جهْلِكَ بحالى وأنك غير
مُجَانِسِي ولا على سَجِيَّتِي وطباعي في الهوى وتجربته .

ثم قال : « وَمَا بِكَ إِزْكَابِي مِنَ الرُّشْدِ مَرْكَبًا » أى لم تقصد بعذلك
إيْأَى قَصْدٍ من يريد رُشْدِي وَصَرَفِي عن الهوى وتسليتي ؛ وإنما حاولت رُشْدَ
الركائب ، يعنى الإبل ، وهى جمع رُكُوبَةٍ ، لئلا يطول وقوفها في الدار
وترددها واحتباسها ، فيتضاعف كلالُها ويشق ذلك عليها .

ثم قال : « فَكَلَّنِي إِلَى شَوْقِي وَسِرِّي يَسِرُّ الْهَوَى إِلَى حُرْقَاتِي » .
فإما أن يكون قال له هذا قبل أن ينطلق معه أى سِرُّ أَنْتَ ودعنى ؛
أو يكون قال هذا وهو سائر معه لَمَّا علم أنه لا يقف عليه ؛ وأنه ماض وتاركه ،
كما يقول المُكْرَه : والله ما أريد التوجه ، وهو متوجه .

وهذا من معاني أبى تمام التى يسأل الناس عنها ، وليس له إن شاء الله
وجه غير ما ذكرته .

وهذه العَوِيصَات فى الشعر هى سُرُّ مَذَاهِبِهِ ، وأَرَادَهَا وَأَقْلَهَا حَلَاوَةً .
ومن ردىء ما جاء به فى هذا الباب ، قوله :

(١) ديوانه ٥٩٤ وصدرة : « وكاد يوم لوا حواء يقتلنى »

ما عهدنا كَذَا نَحِيبَ الْمُشُوقِ كَيْفَ وَالْدَمْعُ آيَةُ الْمَعْشُوقِ^(١)
 كأنه يقول لنفسه : ما عهدنا كذا نَحِيبَ الْمُشُوقِ ؛ أو أن يكون حكى
 قول أصحابه . وأراد أن يقول : بكيتُ فانتحبتُ ، فقالوا : ما عهدنا كذا
 نَحِيبَ الْمُشُوقِ . وأراد أن يقول : فقلت لهم : كيف والدمع ، فاقترصر
 على حكاية كلامهم وجوابه ، وأسقط قالوا ، وفقلت . وكان الأجود أن يَقُولَ :
 آيَةُ الْعَاشِقِ ، لَأَنَّ مِنْ عِلَامَاتِ الْمَحَبِّ الْبُكَاءُ . وقال : آيَةُ الْمَعْشُوقِ ، أَيْ أَنَّ
 دَمْعِي عِلَامَةٌ لِمَنْ أَحْبَبَهُ فِي أَنِّي عَاشِقُهُ . وهذا لا يكون جواباً صحيحاً عما أنكره
 عليه من شدة نحيبه . لَأَنَّهُ لَمْ يَبْكْ لِيَعْلَمْهَا أَنَّهُ عَاشِقٌ . وإنما بكى من شدة
 وجده . وإنما كان يصح أن يكون جواباً عنه أن لو كان صدر البيت :
 * حَسِبْتَنِي فِي الْحَبِّ غَيْرَ صَدُوقِ *

فيقول :

* كَيْفَ وَالْدَمْعُ آيَةُ الْمَعْشُوقِ *
 أى كيف لا أكون صدوقاً في حبى ودمعى آيَةُ لك يشهد بأنى محب .
 فهذا كان وجه هذا .
 وعلى أن آيَةُ الْعَاشِقِ ههنا أيضاً أجود .
 والدليل على أن قوله :

* مَا عَهِدْنَا كَذَا نَحِيبَ الْمُشُوقِ^(٢) *
 إنما هو حكاية كلام من عنفه على النحيب - أنه وصله بأن قال :
 فَأَقِلَّا التَّعْنِيفَ إِنَّ غَرَاماً أَنْ يَكُونَ الرَّفِيقُ غَيْرَ رَفِيقٍ

(١) ديوانه ٢١٥ وشرح التبريزي ٤٣٠/٢ ويروى : « كذا بكاء المشوق » وقد نقل التبريزي
 عن أبي العلاء المعري أنه قال في شرحه : « أنكر على نفسه النحيب ، ثم قال : كيف ، وكأنه يريد
 لقاء أى فكيف لا أنتحب والمشوق قد بكى ؟ ! » وهذا خطأ منه عجيب
 (٢) م « المشوق »

وَأَسْتَمِيعَا الْجُفُونِ دِرَّةَ دَمْعٍ فِي دَمْعِ الْفِرَاقِ غَيْرَ لَصِيقِ
 إِنَّ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ لَمَلْعُو نْ وَمَنْ عَقَّ مَنَزِلًا بِالْعَقِيقِ
 وَفَقَا الْعِيسَ مُلْقِيَاتِ الْمَنَانِ فِي مَحَلِّ الْأَنْبِيَّ مَعْنَى الْأَنْبِيَّ^(١)
 قوله : « أَنْ يَكُونَ الرَّفِيقُ غَيْرَ رَفِيقٍ » أى أن يكون جافياً عسوفاً غير رفيق
 بمن يصاحبه .

وقوله : « فِي دَمْعِ الْفِرَاقِ غَيْرَ لَصِيقٍ » أى ابكيا بدمع لا يشبه دمع مَنْ
 فارق أحبابه ، أى ابكيا وإن لم يكن وراء البكاء حرقة ، ولا لَاعِجُ هوى ، أى
 على وجه الإسعاد . فأورده بهذا اللفظ الردى .

وقوله : « إِنَّ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ لَمَلْعُونٌ » البيت - من أحمق المعاني وأسخطها
 وأقبحها . وقد زاد فى الحمق هذا المعنى على معنى البيت الذى قبله ، وطَمَّ عليه
 وعلى كل جهالاته فى معانيه ؛ لأنه لم يقنع بأن يبعث صاحبيه على الوقوف
 معه والوقوف على المنزل ، والبكاء حتى جعل كل من يقف ويعرج كائناً من
 كان من الناس : من خاص وعام ، وباء وحاضر ، ومجتاز وغير مجتاز ،
 ومفارق لأحبابه وغير مفارق - مَلْعُوناً إذا لم يقف على المنزل بالعقيق ؛ لأن
 ظاهر المعنى العموم ، وما المستحق والله للعن^(٢) غيره ، إذ رضى لنفسه بمثل
 هذا السخف .

وقوله : « فِي مَحَلِّ الْأَنْبِيَّ مَعْنَى الْأَنْبِيَّ » قول مَالِيزِد^(٣) معناه ولفظه نهاية .

(١) فى شرح التبريزى « أى منحللات الأنساع ، والمنانى الخلال ، أى قفاها فى محل حبيبى ،
 ومعنى الأنبيى : منزل المحبوب »

(٢) م « للعين »

(٣) م « ما أبرد مناه »

وقال أيضاً :

نُجِرَتْ رِكَابُ الْقَوْمِ حَتَّى يَغْبُرُوا رَجَلِي . لَقَدْ عَنُفُوا عَلَى وَلَا مُوَا^(١)
وَقَفُوا عَلَى اللَّوْمِ حَتَّى خِيلُوا أَنَّ الْوُقُوفَ عَلَى الدِّيَارِ حَرَامٌ

وهذا معنى جيد حسن صحيح .

وقال أيضاً :

أَرَاكَ أَكْبَرْتَ إِذْمَانِي عَلَى الدَّمَنِ وَحَمَلِي الشَّقَّ مِنْ بَادٍ وَمُكْتَمِنٍ^(٢)
لَا تُكْثِرَنَّ مَلَامِي إِنْ عَكَنْتُ عَلَى رَنِعَ الْحَبِيبِ فَلَمْ أَعْكُفْ عَلَى وَثْنٍ
صَلَوْتُ إِنْ كُنْتُ أَذْرِي مَا تَقُولُ إِذَا جَعَلْتَ أُنْمَلَةَ الْأَحْزَانِ فِي أُذُنِي^(٣)

وهذا أيضاً معنى حسن ولفظ جيد .

وقوله : « أُنْمَلَةُ الْأَحْزَانِ » أى يشغلنى حزنى عن أن أفهم ما تقول .

وقال أيضاً :

أَجَلُ أَيُّهَا الرَّبِيعُ الَّذِي حَفَّ آهْلُهُ لَقَدْ أَذْرَكْتَ فِيكَ النَّوَى مَا تُحَاوِلُهُ^(٤)
وَقَفْتُ وَأَخْشَائِي مَنَازِلُ لِلْأَسَى بِهِ وَهُوَ قَفَرٌ قَدْ تَعَفَّتْ مَنَازِلُهُ
أَسْأَلُكُمْ مَا بَالُهُ حَكَمَ الْبَلَى عَلَيْهِ ، وَإِلَّا فَاتْرُكُونِي أَسْأَلُهُ
وهذا المعنى فيه اضطراب ؛ لأنه قال : أسألكم^(٥) ما باله حكم البلى
عليه وإلا فاتركوني أسأله . فما هذه المسألة منه أو للربيع فى أن حكمَ البلى
عليه وهو قد قدَّمَ السببَ الذى من أجله بكى ، وشرحه فى البيت الأول بقوله :

(١) ديوانه ٢٧٩ وشرح التبريزى ١٥٠/٣ « يغبروا : يبقوا ، رجلى : جمع راجل .
وإنما دعا عليهم بنحرركابهم ليتلبثوا فى الديار فيقضى وطره من التسليم ، ويكون نحرها جزءا لهم على
لوحهم إياه »

(٢) ديوانه ٣٣٣ وشرح التبريزى ٣٣٧/٣ وفى م « وجهلى الشوق »

(٣) ويروى : « إذن سجت مقالتي فى وجهها أذنى » .

(٤) ديوانه ٢٢٩ وشرح التبريزى ٢١/٣

(٥) م « أسأله »

خَفَّ أَهْلُهُ ، ويقول : « لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله » . وهذا هو الذى أبلاه ؛ لأنه إذا فارق أهله ، وَتَعَفَّتْ منازلُه - فقد خرب وبلى .

وقال أيضاً :

حَبِيتَ مِنْ طَلَلٍ لَمْ يُبْقِ لِي طَلَلًا إِلَّا وَفِيهِ أَسَى تَرْشِيحُهُ الذِّكْرُ^(١)
قالوا : أَتَبْكِي عَلَى رَسْمٍ ؟ فقلت لهم : من فاته العَيْنُ هَدَى شَوْقُهُ الْأَثَرُ^(٢)
قوله : « لَمْ يُبْقِ لِي طَلَلًا » ، والطللُ : ما شخص من آثار الديار ، والطلل : شخص الإنسان وقامته . يقال : ما أحسن طَلَلَهُ . وإنما يريد طلل الدار . أى لم يبق لى طلالاً فى ديارى ومواطنى التى فارقتها ، وأخليتها ، وعكفت عليه - إلا وفيه أَسَى أى حزن من أهلى الذين فارقتهم على . تَرْشِيحُهُ الذِّكْرُ : أى تنميطه ، وتربيته الذِّكْر . أى ذكرهم لى^(٣) يرشح الحزن على أن يمسكه ، ويحفظه ، ويقوم عليه حتى يبنى ولا يذهب .

ولا يجوز أن يريد بالطلل جملة شخصه وقامته ؛ لأن ذلك يكون مثل قولك : ما لزيد جسد إلا وفيه أثر ، وما له رأس إلا وفيه شجة . وهذا خطأ ؛ إذ ليس له إلا رأس واحد ، وجسد واحد . والبيت الثانى جيد بالغ .

وقال البحتري :

لَعَمْرُ الْمَغَانِي يَوْمَ صَحْرَاءَ أَرْتَدِ لَقَدْ هَيَّجَتْ وَجَدًا عَلَى ذَى تَوَجُّدٍ^(٤)

(١) ديوانه ١٤٩ وشرح التبريزى ١٨٥/٢

(٢) سبق ص ٥٣٤ وغيرها

(٣) م ل لم يرشح

(٤) ديوانه ٢٣٠ ، ٧٧١/٢ أريد سبق البيت ص ٤٦٢

مَنَازِلُ أَضْحَتْ لِلرِّيحِ مَنَازِلًا تَرَدَّدُ مِنْهَا بَيْنَ نُؤْيٍ وَرِفْدٍ^(١)
شَجَّتْ صَاحِبِي أَطْلَالُهَا فَتَهَلَّلَتْ مَدَامَعُهُ فِيهَا وَمَا قُلْتُ : أَشْعِدِ

وهذا لعمرى صاحب حَسَنُ الصَّحْبَةِ ، ولعله كان له شَجَنٌ وهوى ،
فلما وقف على الديار نذَّكَرَ أَجَابَتَهُ فَبَكَى .

وقال أيضاً :

خُذَا مِنْ بُكَاءٍ فِي الْمَنَازِلِ أَوْدَعَا وَرُوحَا عَلَى لَوْنِي بِهِنَّ ، أَوْ أَرْبَعَا^(٢)
فَمَا أَنَا بِالْمُشْتَاكِ إِنْ قُلْتُ : أَشْعِدَا لِنَنْدُبٍ مَغْنًى مِنْ سَعَادٍ وَمَرْبَعَا
وَلِي لَوْعَةٌ تَسْتَعْرِقُ الْهَجَرَ وَالنَّوَى جَمِيعَا وَدَمْعٌ يُنْفِدُ الْحَبَّ أَجْمَعَا^(٣)
وهذا معنى آخر ذهب إليه في الإسعاد حسن جداً .

ونحو هذا قوله :

فَالدَّارُ تَعْلَمُ أَنَّ دَمْعِي لَمْ يَغْضُ فَارُوحَ حَامِلٍ مِنْهُ مِنْ مُسْعِدٍ^(٤)
مَا كَانَ لِي جَلْدٌ فَيُودِي إِنَّمَا أَوْدَى غَدَاةَ الظَّاعِنِينَ تَجَلْدِي
وقال أيضاً على السبيل التي سلكها أبو تمام :

يَا أَخَا الْأَزْدِ مَا حَفِظْتَ الْإِخَاءَ لِمُحِبٍّ ، وَلَا رَعَيْتَ الْوَفَاءَ^(٥)
عَذْلًا يَتْرُكُ الْحَنِينَ أَنِينًا فِي هَوَى يَتْرُكُ الدَّمْعَ دِمَاءَ
لَا تَلْمَنِي عَلَى الْبُكَاءِ فَإِنِّي نِضْوُ شَعْبٍ مَأْمَتٌ فِيهِ الْبُكَاءُ
كَيْفَ أَغْدُو مِنَ الصَّبَابَةِ خِلْوًا بَعْدَ مَا رَاحَتِ الدِّيَارُ خَلَاءَ

(١) ٧٧١ / ٢ المعارف كذا في م ، ق وفي الديوان « رمد » يقال : رمد رمد : أى
كثير دقيق جداً .

(٢) ديوانه ٧٠٢ ، ١٢٦٣ / ٢ وسبق ص ٤٦٨

(٣) كذا في م ، ق وفي الديوان « وحب ينقد السمع »

(٤) ديوانه ٤٥٩ .

(٥) ديوانه ٧١٢ « ولا ذكرت الوفاء » وفي م « ياذا الأزل »

قف بها وقفة تُرَدُّدٌ عليها أَدْمَعاً رَدَّهَا الْجَوَى أَنْضَاءً^(١)
 قوله : « نِضْوُ شَجْوٍ مَا لُمْتُ فِيهِ الْبُكَاءُ » - من المقلوب ، وكان يجب
 أن يقول : ما لُمته في البكاء ؛ فقال : ما لمت البكاء فيه .

ومثل هذا في الشعر كثير . وإنما كان يصدر عن العرب على سبيل السهو ،
 ولا يسوغه متأخر . ومنه ما هو حسن ، وقد جاء مثله في القرآن .

فإن قيل : إن لفظ البيت مستقيم ، وهو^(٢) مستغن بمعناه ولفظه عن
 أن يُتَأَوَّلَ فيه القلب . وذلك أن البكاء ليس هو شيئاً غير سكب الدموع ،
 وجريها على الخدود . فكما تلوم العين على بكائها ، وتلوم الدمع على انحداره
 مجازاً - فكذلك تلوم البكاء مجازاً .

قيل : هذا عدول عن القياس وصحيح التمثيل ، وإنما كان ينبغي أن
 يقول : فكما تلوم انحدار الدمع الذي هو البكاء . فكذلك تلوم البكاء . هذا
 وجه المعارضة . فإن كنت تلوم انحدار الدمع فقد صح اعتراضك ، وإن كنت
 لا تلومه ، وهو البكاء ، فلم تلوم البكاء .

ومع هذا فقد جرت العادة بلوم العين على البكاء ، ولوم الدمع على
 الانحدار ، ولوِّمها أيضاً على الامتناع ، وقالت الشعراء في ذلك ما هو معروف
 مشهور . ومنه قول مُتَمِّم بن نُوَيْرَةَ يبكى أخاه مَالِكاً :
 عذرتك يا عيني الصحيحة في البكا فما أنت يا عوراء والهملان^(٣)

(١) كذا في ق وقدم « تودد » وفي الديوان : « ترد »

(٢) م « وما هو »

(٣) البيت غير منسوب في أمالي اليزيني ١٤٩ وقبله :

بكيت بعين لم تخنها ضمانة وأغرى بها ريب من الحدثنان

فعذر [عَيْنًا] ^(١) ولام أخرى .

وقال بعض المتأخرين ^(٢) :

لا جَزَى اللهُ دَمْعَ عَيْنِي خَيْرًا وَجَزَى اللهُ كُلَّ خَيْرٍ لِسَانِي
كنتُ مثلَ الكتابِ أَخْفَاهُ طَيُّ فاستدلُّوا عليه بالعُنْوَانِ
فلام هذا دمعه ؛ لأنَّه فضحه ، كما لام ذلك عينه . وما علمنا أحدًا لام
البكاء . ومعنى ذلك مفهوم ؛ لأنَّ البكاء قد جعل فعلًا للعين على المجاز ،
والسيلان فعل الدمع ، فيقال : بكت عيني : وسال دمعي . فإذا لُمْنَا العين
على بكائها ، ولُمْنَا الدمع على انحداره - كان ذلك حسناً جميلاً ؛ لأنَّا إنما
لُمْنَا فاعلاً على فعله ، كما نلومُ الفاعل الذي فعله حقيقة على فعله ، ولكن
لا نلومُ فِعْلَه ؛ لأنَّا إذا لُمْنَا الباكي على أَنْ فَعَلَ البكاء : فنلوم البكاء على
أَنْ فَعَلَ ماذا ؟

فإن قيل : على أَنْ كثر واتصل منه .

قيل : فهل سمعت أحدًا قط قال : يا بكاء - لم كثر ، ولم اتصلت ؟
كما يقال يا عين لم بكيت ؟ فإني ما أظن أن أحدًا يقدر أن يقول : إنه
سمع بهذا . وذلك أن الإكثار والاتصال إنما هما حركات الفاعل بالفعل ،
فالباكي هو الذي أكثر البكاء وواصله ، لا أن البكاء فَعَلَ ذلك بنفسه .
فالمجاز لا يتسع لأن نلوم البكاء كما نلوم العين ، ولا لأن نلوم انحدار
الدمع كما نلوم الدمع ، ولا تنتهي الاستعارة إلى هذا الموضع .

ولو حملنا البكاء الذي هو فِعْلُ الفاعل على المجاز فلمنَّاه كما نلوم
الباكي ، لَحَسُنَ أيضاً أن نلوم الجزع كما نلوم الجازع ، ونلوم الغضب

(١) الزيادة من ق

(٢) هو العباس ، بن الأحنف ، كما في ديوانه ٢٨٢

كما نلوم الغضبان ، ونلوم الضحك الذى هو ضد البكاء كما نلوم البكاء .
وما أكثر ما تُحْمَلُ الأشياء على أضدادها ، وما علمت مثل هذا جرى في
توسع ولا مجاز : لأن « لمت » ليس هذا موضعها ، وإنما هو موضع أحمدت ،
وذممت [وكرهت] ^(١) وأنكرت ، وأشباهها . وهذه حقائق ^(٢) . وليس كل
شيء يحْمَلُ على المجازات .

فإن استجزنا أن نلوم البكاء فينبغى أن نلوم أيضاً الضرب ، والقتل ،
والقيام ، والقعود ، والركوب ، والنزول ، والأكل ، والشرب ، وسائر أفعال
الفاعلين ، ونعذلها أيضاً ، ونوبخها ؛ لأن العَدْل والتوبيخ في معنى اللوم .
ونلوم أيضاً النَّجِيب ، والشهيق ، والزَّفِير ، والنَّشِيج كما نلوم البكاء .

وإذا لمنا أيضاً اليد على أن لم يشد قبضها على الشيء مجازاً - لَمَنَّا
القبض أيضاً مجازاً ، وكذلك الرَّجُلُ إن لمناها على أن عجزت عن المشي ،
لَمَنَّا المشي أيضاً ، وعَنَفْنَاهُ ، وَرَكَّبْنَاهُ مجازاً على مجاز ، وتوسَّعاً على توسُّع .
وهذا ما لم يُسَمَّع بمثله في لغة من اللغات .

فعلى كل الأحوال حَمَلُ بيت البحتري على القلب الذى قد استعملته
العرب في مجازاتها ، ونطق به القرآن بوجه منه حسن ، وسطره أهل العلم
بكلام العرب في كتبهم - أوَّلَى من حمله على وجه غير مستعمل ، ولا معروف ،
ولا سائغ .

وقد قال المبرد : إن العرب كانت تستعمل القلب لاختصار الكلام ،
وإقامة الأوزان ، وإصلاح القوافي ^(٣) . وأنشد لِإِفْرَزْدَقٍ يصف ذئباً :

(١) الزيادة من ق

(٢) م « وهذه حقائق »

(٣) م « القول »

وَأُطْلِسَ عَسَالٍ وَمَا كَانَ صَاحِبًا رَفَعْتُ لِنَارِي مَوْهِنًا فَاتَانِي^(١)
 وقال^(٢) : أراد رفعت له نارى . فَقَلَبَ^(٣) . فهذا الآن يقول : إن الوجه
 من القلب الذى ذكر بعض أهل اللغة أنه جاء فى كلامهم على سبيل السهو
 والغلط - أنهم كانوا يفعلونه اعتياداً . وإذا اعتمدت العربُ الشيء ضرورة لم
 يكن ذاك لتأخر .

وهنا مع هذا وجهان قويان جيدان يحتملهما بيت البحرى ، ويجرى
 على تأليف لفضه ، لا على القلب :

أحدهما : أن يكون أراد : لا تلمنى على البكاء فإني ذو حزن ما لمت فيه
 على البكاء . فأسقط . « على » كعادة العرب الجارية فى حذف حروف الصفات
 للإيجاز والاختصار فوصل الفعل إلى البكاء فنصبه . وهذا معنى قريب جداً .
 ومثل قولهم : جزيتك إحسانك ، أى على إحسانك ، وعن إحسانك . وقولهم
 نزلتْكَ ، بمعنى نزلت عليك ، ونزلت^(٤) بك . وهذا من أفصح اللغات وأبلغها ،
 وهو مسطور فى كتبهم . وكذلك شغبتك بمعنى شغبت عليك^(٥) حكاهما
 أبو زيد .

ومما هو جائز [وجار]^(٦) فى كلامهم - كلام أهل البدو والحضر -
 قولهم : بَكَيْتُ فلاناً ، بمعنى بكيت عليه .

وأنشدنا « أبو الحسن الأخفش » قِرَاءَةً عليه فى الكتاب الكامل عن المبرد
 لأعرابي :

(١) الكامل ١/ ٣٢٠

(٢) الكامل ١/ ٣٢٢

(٣) م « فقلت »

(٤) م « ونزله بك »

(٥) م « شغب عليك »

(٦) الزيادة من ق

فَمَنْ يَكُ لَمْ يَفْرَضْ فَلَانِي وَنَاقَتِي بِحَخْرِ إِلَى أَهْلِ الْجَمَى غَرْضَانِ^(١)
تَحِنْ فُتْبِلِي مَا بِهَا مِنْ صَبَابَةٍ وَأَخْضِي الَّذِي لَوْلَا الْأُمَى لَقَضَانِي
أَرَادَ لَقَضَى عَلَى . قَالَ الْمَبْرَدُ : فَأَخْرَجَهُ لِفَصَاحَتِهِ ، وَعَلِمَهُ بِجَوَاهِرِ الْكَلَامِ
أَحْسَنَ مُخْرَجٍ^(٢) .

وَقَالَ عُبَيْدُ بْنُ جُرَيْجٍ :

وَلَقَدْ أَبَيْتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظْلُهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَأْكَلِ^(٣)
أَيَ أَظْلٍ عَلَيْهِ .

قَالَ : وَمِثْلُهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾^(٤) أَيِ
مِنْ قَوْمِهِ .

وَقَوْلُ الشَّاعِرِ :

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَاغْفِلْ مَا أَمَرْتُ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَسَبٍ^(٥)
أَيِ أَمَرْتُكَ بِالْخَيْرِ .

وَقَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

وَمِنَّا الَّذِي اخْتِيرَ الرُّجَالُ سَمَاحَةً وَجُودًا إِذَا هَبَّ الرِّيحُ الزُّعَازِعُ^(٦)
أَيِ مِنَ الرُّجَالِ . وَأَشْبَاهُ لِهَذَا كَثِيرَةٌ .

(١) الكامل ٣١/١ وبعده فيه :

وَأَنِّي وَإِسَامَا مُخْتَلِفَانِ

هَوَى نَاقَتِي خَلَقِي وَقَدَامِي الْهَوَى

وَقَدْ « الْحَمَى غَيْرَ صَاقِي »

(٢) الكامل ٣٢/١

(٣) ديوانه ١٠٠

(٤) سورة الأعراف : ١٥٥

(٥) البيت لأعشى طرود ، واسمه إياس بن عامر ، كافى الكامل ٣٢/١

(٦) ديوانه ٥١١/١ والكامل ٣٢/١

وَأَنْشُدْ أَبُو مَسْحَل :

سَقَى اللَّهُ مَنْ يَسْقِي حَمَامَةً دَارَهَا عَلَى فُرْضَةٍ مِنْ مَاءٍ شُرِبَ يَقُومُهَا^(١)
أَرَادَ يَقُومُ عَلَيْهَا . وَقَالَ : يَقَالُ : قَامَ فُلَانُ الْيَوْمَ الْمَاءَ بَيْنَ الْقَوْمِ . إِذَا
قَسَمَهُ بَيْنَهُمْ . وَمَعْنَاهُ : قَامَ عَلَى الْمَاءِ . فَلَمَّا حَذَفَ « عَلَى » نَصَبَ .

فَكَذَلِكَ قَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ : مَا لَمْتُ فِيهِ الْبُكَاءَ ، أَيْ عَلَى الْبُكَاءِ .

وَالْوَجْهَ الْآخَرَ : أَنْ يَكُونَ أَرَادَ : لَا تَلْمَنِي عَلَى الْبُكَاءِ فَإِنِّي ذُو حُزْنٍ مَا لَمْتُ
فِيهِ ذُوِي الْبُكَاءِ . وَأَهْلُ الْبُكَاءِ . فَأَسْقَطَ الْمُضَافَ فَوَصَلَ الْفِعْلَ إِلَى الْبُكَاءِ
فَنَصَبَهُ . وَذَلِكَ عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ الْمُسْتَمِرَّةِ فِي حَذْفِ الْمُضَافِ وَإِقَامَةِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ
مَقَامَهُ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَلْيَذْغُ نَادِيَهُ ﴾^(٢) أَيْ أَهْلُ نَادِيِهِ . ﴿ وَأَسْأَلِ
الْقَرْيَةَ ﴾^(٣) أَيْ أَهْلَ الْقَرْيَةِ . وَقَوْلُ مُهْلَهْلٍ :

• وَأَسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كَلَيْبُ الْمَجْلِسُ^(٤) .

أَيْ أَهْلُ الْمَجْلِسِ . وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾^(٥) أَيْ
بِرٍّ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى جَدَهُ : ﴿ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ
الْمَمَاتِ ﴾^(٦) أَيْ ضِعْفَ عَذَابِ الْحَيَاةِ ، وَضِعْفَ عَذَابِ الْمَمَاتِ .
وَأَوْكَدَ مِنْ ذَلِكَ كَلَهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾^(٧) .
أَيْ حُبَّ الْعِجْلِ .

وَكَذَلِكَ أَرَادَ الْبَحْتَرِيُّ : لَا تَلْمَنِي عَلَى الْبُكَاءِ ، فَإِنِّي مَا لَمْتُ فِي هَذَا الْحُزْنِ
ذَا بُكَاءَ ، أَوْ أَهْلَ الْبُكَاءِ . وَأَسْقَطَ . « أَهْلَ » ، وَأَقَامَ الْبُكَاءَ مَقَامَهُ .

(١) الفُرْضَةُ : الْمَشْرَعَةُ الَّتِي يَسْقِي مِنْهَا

(٢) سُورَةُ الْمَلَقِ : ١٧

(٣) سُورَةُ يُوسُفَ : ٨٢

(٤) صَدْرُهُ : « نَبِئْتُ أَنَّ النَّارَ بِمَلِكٍ أَوْقَدَتْ »

(٥) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : ١٧٧

(٦) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ : ٧٥

(٧) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : ٩٣

وهذا يستوى فيه القدماء والمتأخرون جميعاً ؛ لأنه خارج عن الضرورة .
فهذان وجهان في غاية القوة والصحة . والمعنى : لا تلمنى على البكاء ؛
فإني ما لمت في هذا الشجو بأكياً . لأنه يحق في مثله البكاء ؛ لعظم تأثيره
في النفس ، وَتَحَوُّنِهِ ^(١) للجلد ، وذهابه بالصبر ، ونحو هذا .

وقوله بعده :

كَيْفَ أَغْدُو مِنَ الصَّبَابَةِ خِلْوًا بَعْدَ مَا رَاحَتِ الدِّيَارُ خَلَاءَ
أى لا تلمنى على البكاء ؛ فإني [إن] ^(٢) لم أبك وقد خلعت الديار من
أهلها فلست ذا صباة . يقول : إنه يكون إن لم يبك والخلي الذي ليس في
قلبه هوى ، بمنزلة واحدة . وإذا خَفَّفَ البكاء من صباة فقد قضى حق
المحبة على كل حال .

• • •

وقال البحتري أيضاً :

أَخْرَى الْخُطُوبِ بِأَنْ يَكُونَ عَظِيماً قَوْلُ الْجَهْلِ : أَلَا تَكُونُ حَلِيماً ^(٣)
قَبَّحْتَ مِنْ جَزَعِ الشَّجِيِّ مُحَسَّناً وَمَدَحْتَ مِنْ صَبْرِ الْخَلِيِّ ذَمِيماً
وقال أيضاً :

مَاذَا عَلَيْكَ مِنْ أَنْتِظَارٍ مُتِّمٍ بَلْ مَا تُضْرِكُ وَفَقَةً فِي مَنْزِلٍ ^(٤)
إِنْ رِمِلَ عَى عَنِ الْجَوَابِ فَلَمْ يُعْطَ رَجَعَا فَكَيْفَ يَكُونُ إِنْ لَمْ يُسْأَلِ
لَا تُكَلِّفَنَّ لِي الدَّمُوعَ فَإِنْ لِي دَمْعًا يَتِمُّ عَلَيَّ إِنْ لَمْ يُفْضَلِ ^(٥)

(١) م ، ق ، و تحوده ، والتخون : التنقص

(٢) الزيادة من ق

(٣) ديوانه ٢٨٦/١ ، ١٩٦٤/٣ وفي م « ألا أن يكون » . وقد سبق الأول ص ٤٦٨

(٤) ديوانه ٧٣١ ، ١٧٤٣/٣

(٥) م « في الدموع » وفي الديوان « يتم عليه »

قوله : «يتم على إن لم يفضل» مثل قوله :
• ودمع ينفد الحب أجمعاً^(١) •

ومثل قوله أيضاً :

سارت مُقَدِّمَةُ الدُّمُوعِ وَخَلَّفَتْ حُرْقاً - تَوَقَّدُ فِي الْحَشَا مَا تَرَحَّلُ^(٢)
إِنَّ الْفِرَاقَ كَمَا عَلِمْتَ فَخَلَّنِي وَمَدَامِعاً تَسْعُ الْفِرَاقَ وَتَفْضُلُ
قال : «سارت مقدمة الدموع وخلفت حرقاً» . ثم قال : «فخلني
ومدامعاً تسع الفراق وتفضل» ومقدمة الشيء ليس هو الشيء بأسره . إنما
مقدمة الجيش : ما ينقدمه من جملته ، ويبقى سائره متأخراً . فقال :
«رحلت مقدمة الدموع» . يعنى يوم المفارقة . ثم قال : «فخلني ومدامعاً»
يريد جملة الدمع المتأخر الذى هو مَقْرُونٌ بِالْحَرْقِ المقيمة التى ذكرها .

وقال فى نحوه أيضاً :

خَلِيْبَاهُ وَوَقْفَةٌ فِي الرُّسُومِ يَخْلُ مِنْ بَغْضِ بَيْتِهِ الْمَكْتُومِ^(٣)
وَدَعَاهُ لَا تُسْعِدَاهُ بِدَمْعٍ حَسْبُهُ فَيُبْضُ دَمْعِهِ الْمَسْجُومِ
سَفَهُ مِنْكَمَا وَإِفْرَاطُ لُؤْمٍ أَنْ تَلُومَا فِي الْحَبِّ غَيْرَ مُلِيمِ

وقال فى نحوه أيضاً :

إِنْ تِلْكَ الطُّلُولُ مِنْ وَهْمَيْنَا أَخْزَنْتْ خَالِيَا، وَزَادَتْ حَزِينَا^(٤)
فَاتْرَكَانِي فَمَا أَطِيعُ عَدُوْلَا وَأَخْذَلَانِي فَمَا أُرِيدُ مُعِينَا
وقال أيضاً :

وَمِنَ الْجَهَالَةِ أَنْ تُعْنَفَ بِأَكْبَا وَقَفَ الْغَلِيلُ بِهِ عَلَى مَجْهُولِهَا^(٥)

(١) سبق ص ٥٤٩

(٢) ديوانه ٢٥ . وفيه ١٧٥٣/٣ . سالت •

(٣) ديوانه ٥٩٤

(٤) ديوانه ٢٤٥ . ٢١٦٢/٤ . الماروف

(٥) ديوانه ٣٤٥ وفي ١٧٧١/٣ . وقف الغرام • وفي م • ومن الجهال •

إن الدموع هي الصَّابَةُ فَاطْرَحَ بعض الصَّابَةِ تَسْتَرِخُ بِهْمُولِهَا
وهذا معنى حسن معروف . والدموع ليست الصَّابَةُ ؛ لأن الصَّابَةَ ؛ رَقَّةُ
الشوق ، وإنما يبكي الباكي من شِدَّةِ صبابته . ولَمَّا كانت الصَّابَةُ تَخِفُ
بالبكاء ، وتذهب بذهاب الدمع - قال : إن الدموع هي الصَّابَةُ . أى إنها
تذهب بذهابه . وتمضى بمضيه . أى فدعنى أبكى ؛ فإنى أستريح بِهْمُولِ
الدمع .

وقال أيضاً :

وما أَنْفَكَ رَسْمُ الدَّارِ حَتَّى تَهَلَّلْتَ دُمُوعِي وَحَتَّى أَكْثَرَ اللُّومَ صَاحِبِي^(١)
وَقَفْنَا فَلَ الْأَطْلَالُ رَدَّتْ إِبْجَابَةً وَلَا الْعَذْلُ أَجْدَى فِي الْمَشُوقِ الْمُخَاطِبِ
تَمَادَتْ عَقَابِيلُ الْهَوَى وَتَطَاوَلَتْ لَجَاجَةٌ مَعْتُوبٍ عَلَيْهِ وَعَاتِبِ
وهذا معنى حسن ، ولفظ له ماء ورونق ، وهو أجود وأسلم من قول أبي تمام :
وما صَارَ يَوْمَ الدَّارِ عَذْلُكَ كُلُّهُ عَدُوِّي حَتَّى صَارَ جَهْلُكَ صَاحِبِي^(٢)

• • •

وقال أيضاً :

فِي غَيْرِ شَأْنِكَ بُكْرَتِي وَأَصِيلِي وَسَوَى سَبِيلِكَ فِي السُّلُو سَبِيلِي^(٣)
بَخَلْتُ جَفُونُكَ أَنْ تَكُونَ مُسَاعِدِي وَعَلِمْتُ مَا كَلَفِي فَصِرْتُ عَدُوِّي^(٤)
جَارَ الْهَوَى يَوْمَ اسْتَخَفَّ صَبَابَتِي لِيَخْلِي مَا تَحْتَ الضُّلُوعِ مَلُولِ
أى جار الهوى على لِيَخْلِي مَا تَحْتَ الضُّلُوعِ . أى لِيَخْلِي من الهوى . أى
جار على له .

(١) ديوانه ١٥٣ ، ١ / ١٠٨ معارف فائق ٤٧ ظ

(٢) سبق ص ٥٤٤

(٣) ديوانه ٥١٥ ، ٣ / ١٨٣٨

(٤) في الديوان : « فكننت عنول »

وقال أيضاً :

ما أَنْتَ لِلْكَلِفِ الْمَشُوقِ بِصَاحِبٍ فَادْهَبْ عَلَى مَهْلٍ فَلَيْسَ بِذَاهِبٍ^(١)
 عَرَفَ الدِّيَارَ وَقَدْ سَتِمَنَ مِنَ الْبَلَى وَمَلِلَنَ مِنْ صَوْبِ السَّحَابِ الصَّائِبِ^(٢)
 فَارَاكَ جَهْلَ الشُّوقِ بَيْنَ مَعَالِمٍ مِنْهَا وَجَدَ الدَّمْعَ بَيْنَ مَلَاعِبِ

قوله : « على مهل » لست أراه مفيداً شيئاً ، وما أظنها إلا حشواً . وهذا [من مواضع] ^(٣) قولهم : فامض لشأنك ، وامض لسبيلك .

وقال أيضاً :

بَعْضُ هَذَا الْعِتَابِ وَالتَّنْفِيدِ لَيْسَ ذِمُّ الْوَفَاءِ بِالْمَحْمُودِ^(٤)
 مَا بَكَيْنَا عَلَى زُرُودٍ وَلَكِنَّا نَا بَكَيْنَا أَيَّامَنَا فِي زُرُودٍ
 وَدُمُوعُ الْمُجِيبِ إِنْ عَصَتْ الْعُدَّ ذَالْ كَانَتْ طَوْعَ النَّوَى وَالصَّدُودِ^(٥)

وهذا من إحسانه المشهور ^(٦) .

وقال أيضاً :

فِيمَ ابْتَدَارُكُمْ الْمَلَامَ وَلَوْعَا أَبْكَيْتَ إِلَّا دِمْنَةً وَرُبُوعَا^(٧)
 عَذَلُوا فَمَا عَذَلُوا بِقَلْبِكَ عَنْ هَوَى وَنَهَوْا فَمَا وَجَدُوا الشَّجَى سَمِيعَا^(٨)

(١) ديوانه ٦٩٦ / ١ . ١٥٨ / ١ معارف

(٢) في الديوان : « من سقيا السحاب »

(٣) الزيادة من ق

(٤) ديوانه ٦٩١ . وسبق ص ٤٦٩

(٥) م « كانت طلوع »

(٦) م « المشهورة »

(٧) ديوانه ٢٥٧ وانظر ص ٩ و ٤٦٧ و ٤٧٦

(٨) في الديوان « بقلبي . . ودعوا فا »

وقال أيضاً :

يا وَهْبُ هَبْ لِأَخِيكَ وَقْفَةً مُسْعِدٍ يُعْطَى الْأَسَى مِنْ دَمْعِهِ الْمَبْنُولِ^(١)
أَوْ مَا تَرَى الدَّمْنَ الْمُحِيلَةَ تَشْتَكِي غَدَرَاتِ عَهْدٍ لِلزَّمَانِ مُحِيلِ
إِنْ كُنْتَ تُنْكِرُهَا فَقَدْ عَرَفَ الْبَلَى قَدْماً مَعَارِفَ رَسْمِهَا الْمَجْهُولِ^(٢)

وقال أيضاً :

وَقَفْنَا فَحَيِّنَا لِأَهْلِكَ بِاللَّوَى رُبُوعَ دِيَارِ دَارِسَاتِ الْمَعَالِمِ^(٣)
ذَكَرْنَا الْهَوَى الْعُذْرَى فِيهَا فَانْسَمَيْتَ عَزَاهَا مَشُوقَاتُ الْقُلُوبِ الْهَوَائِمِ
خَلَعْنَا بِهَا عُذْرَ الدُّمُوعِ فَأَقْبَلْتَ تَلُومٌ وَتَلْجِي كُلِّ لَاحٍ وَلا تَمِ
وهذا كله على اختلاف معانيه ، جيد بالغ ، وحلو نادر .

وقال أيضاً :

ذَاكَ وَادِي الْأَرَاكِ فَاحْشِ قَلِيلاً مُقْصِراً مِنْ صَبَابَةٍ أَوْ مُطْبِلًا^(٤)
قِفْ مَشُوقًا أَوْ مُسْعِدًا ، أَوْ حَزِينًا أَوْ مُعِينًا ، أَوْ عَازِرًا ، أَوْ غُلُولًا
قد وَسَّعَ البحتري على هذا الصاحب كل السَّعة . أى قف على أية حال
كنت عليها من هذه الأحوال ، ولو أَنْ تَعْلِيلَ بعد أَنْ تَتَلَوَّمَ عَلَى ، ولا تنصرف
عنى فَإِنِ أَحْتَمَلَ عَذْلَكَ . وهذه غاية النِّصْفَةِ . ثم أَتْبَعَ هذا بِأَنْ قَالَ :
إِنَّ بَيْنَ الْكُثِيبِ فَالْجِزْعِ فَالْآ رَامَ رَسْمًا لَالٍ هَذَا مُحِيلًا^(٥)
أَبْلَتْ الرِّيحُ وَالرَّوَائِحُ ، وَالْأَيُّ يَامَ مِنْهُ مَعَالِمًا ، وَطُلُولًا^(٦)

(١) ديوانه ١١٠ ، ٣ / ١٦٦٢ سبق الأول ص ٤٣٥

(٢) في الديوان « عرف الهوى » وفيه ص ١٦٦٢ « معارف ربها »

(٣) ديوانه ٤٤٧ . وفي م « وقفنا محبين لأهلك بالنوى »

(٤) ديوانه ٦٨٦ ، ٣ / ١٧٦٦

(٥) في الديوان « ربما »

(٦) م « أملت الريح »

وخلافَ الجميلِ قولك لِلذَّا كِرِ عَهْدَ الْأَحْبَابِ: صَبْرًا جَمِيلًا
 لَا تَلْمُهُ عَلَى مُوَاصَلَةِ الدَّمْعِ فَلَوْمْ لَوْمْ الْخَلِيلِ الْخَلِيلَا
 عَلَّ مَاءَ الدُّمُوعِ يُخَمِّدُ نَارًا مِنْ جَوَى الْحُبِّ ، أَوْ يَبْلُغُ غَلِيلًا
 وَبُكَاءُ الدِّيَارِ مِمَّا يُرَدُّ الشُّوْقَ قَدْ ذَكَرْنَا ، وَالْحُبُّ نِضْوًا ضَمِيلًا
 لَمْ يَكُنْ يَوْمَنَا طَوِيلًا بِنُعْمَا نَ وَلَكِنْ كَانَ الْبُكَاءُ طَوِيلًا

قوله : « أَبْلَتِ الرِّيحُ وَالرَّوَانِحُ » فالروائح : السحائب التي تخطر النهار
 بأسره ، وتروحُ عشيا .

وقوله : « مما يرد الشوق ذكرًا » أى يُخَفِّفه حتى يصير تذكرًا لا يُقْلِقُ ،
 ولا يُزْعِجُ كإفلاق الشوق .

« وَالْحُبُّ نِضْوًا » أى يردُّ الحبَّ نِضْوًا . أى يخفف الهوى ، ويصغِّره ؛
 لأنه يرى الدار ، وخلوها من أهلها ، ويبأس فيبكى ويستريح . فذلك هو
 تَصْغِيرُ الحب .

وقوله : « لَمْ يَكُنْ يَوْمَنَا طَوِيلًا بِنُعْمَانِ » ينبغى أن يكون هذا اليوم كان
 يومَ توديع لم يكن طويلاً ؛ لأن يوم مشاهدتهم ورؤيتهم لا يستطيله بل
 يستقصره . قال : « وَلَكِنْ كَانَ الْبُكَاءُ طَوِيلًا » .

وهذا خلاف قول أبي تمام :

• يَوْمَ الْفِرَاقِ لَقَدْ خُلِقْتَ طَوِيلًا^(١) •

وأنا أستقصى الكلام فى هذا عند ذكر بيت أبى تمام فى « باب الفراق » .

• • •

ومن جيد هذا الباب قول البحتري :

عَرَّجُوا فَالْدُمُوعُ إِنَّ أَبْكَ فِي الرَّبِّ عِ دُمُوعِي ، وَالْاِسْتِثَابُ اسْتِثَابِي ^(١)
وَكَمِثِلِ الْأَحْبَابِ - لَوْ يَعْلَمُ الْعَا ذَلُّ - عِنْدِي مَنَازِلُ الْأَحْبَابِ

وهذا نحو قول امرئ القيس :

• قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل •

فجعل البكاء للحبيب والمنزل جميعاً .

وَلَا تَزِيدُ زِيَادَةً فِي لَوْمِ الْأَصْحَابِ عَلَى حُسْنِ قَوْلٍ كَثِيرٍ :

يَقُولُ خَلِيلِي : سِرُّ بِنَا أَيْ مَوْقِفِ وَقِفْتُ ، وَجَهْلُ بِالْحَلِيمِ الْمَعْمِ
تَلُومُ وَلَمْ تَعْلَمْ بِأَسْرَارِ خُلَّةٍ فَتَعْذِرُ إِلَّا عَنْ حَدِيثِ مُرْجَمِ
فَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَجْهَلُ فَقَدْ لُئِمْتُ ظَالِمًا وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَرَزَرِي فِي الْجَهْلِ فَأَحْلَمِ ^(٢)

أَرَادَ أَيْ مَوْقِفَ هَذَا الَّذِي وَقِفْتَهُ . يَقُولُ لِي الْأَحْبَابُ : سِرُّ أَيْ مَوْقِفِ .

كَأَنَّهُ يَحْكِي إِنْكَارَ صَاحِبِهِ عَلَيْهِ الْوُقُوفِ .

• • •

(١) ديوانه ٥٦٣

(٢) م « لمت ظالماً »

ما جاء عنهما في ترك البكاء على الديار والنهي عنه

قال أبو تمام :

إِنْ كَانَ مَسْعُودٌ سَقَى أَطْلَالَهَمْ سَبَلَ الشُّثُونِ فَلَسْتُ مِنْ مَسْعُودٍ^(١)
ظَعَنُوا فَكَانَ بُكَاءُ حَوْلًا بَعْدَهُمْ ثُمَّ أَرْعَوَيْتُ ، وَذَاكَ حُكْمُ لَبِيدٍ
أَجْدِرُ بِجَمْرَةٍ لَوْعَةٍ إِطْفَؤُهَا بِالذَّمْعِ أَنْ تَزْدَادَ طُولَ وَقُودِ

قوله : إن كان مسعود . يعنى مسعوداً أخاً ذى الرمة . ولا يعرف له بيت واحد بكى فيه على الديار . وهذا من معاني أبي تمام الغامضة التى يُسأل عنها . وما زلت أرى الناس قديماً يَخْبِطُونَ فيه . وإنما ذكر مسعوداً : لأنه كان ينهى ذا الرمة عن البكاء على الديار . وذلك قول ذى الرمة :

عَشِيَّةَ مَسْعُودٍ يَقُولُ وَقَدْ جَرَى عَلَى لِحْيَتِي مِنْ وَآكِفِ الذَّمْعِ قَاطِرٌ^(٢)
أَفَى الدَّارِ تَبْكِي إِذْ بَكَيْتَ صَبَابَةً وَأَنْتِ امْرَأٌ قَدْ حَلَمْتِكَ الْمَعَاشِرُ

فأراد أبو تمام إن كان مسعود الذى أنكر على ذى الرمة البكاء ونهاه عنه .
- قد رأى أن البكاء أحسن بعد أن كان عنده غير حسن - فَلَسْتُ
منه . وذلك كقول القائل : إن كان حاتم قد شَحَّ فلست منه . أى إن
كان بعد كرمه وجوده قد رأى أن البخل حسن - فَلَمْتُ مقتدياً به .

وكان هذا عند أبي تمام أبلغ من أن يقول : إن كان غِيْلَانُ سَقَى
أطلالهم - يعنى ذا الرمة - فلست منه .

(١) ديوانه ٨٢ وشرح التبريزى ١/ ٣٩٠

(٢) ديوانه ٢٤٠ « من عبرة العين »

وهذا أيضاً من استقصاء أبي تمام ، ومبالغته في المعاني التي يخرجها إلى التَّعْمِيَةِ والانغلاق .

وقوله : «وذاك حُكْمُ لَبِيدٍ» يريد قول لبيد :

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ أَسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ أَعْتَذَرَ^(١)
وقوله :

أَجْدُرُ بِجِمْرَةٍ لَوْعَةٍ إِطْفَاؤُهَا بِالذَّمِّ أَنْ تَزْدَادَ طُولَ وَقُودِ
- غلط. بَيَّنَّ ؛ لأنه أتى فيه بما يخالف مذهب أهل الجاهلية والإسلام ،
والأمم كلها ؛ لأنهم مُجْمِعُونَ على أن في البكاء راحةً من الكرب ، وتبريداً
لحرارة الحزن ، وتَخْفِيفاً من لَاعِجِ المصيبة . و « طول خمود » أولى بالصواب
من « طول وقود » لو كان بنى المعنى عليه . وقد ذكرت هذا في أغاليطه^(٢) .

وقال أبو تمام :

فَعَلَيْهِ السَّلَامُ لَا أَشْرِكُ الْأَطَّالَ فِي لَوْعَتِي ، وَلَا فِي نَجِيبِي
فَسَوَاءٌ إِجَابَتِي غَيْرَ دَاعٍ وَدُعَاؤِي بِالْفَقْرِ غَيْرِ مُجِيبٍ
قوله : « لَا أَشْرِكُ الْأَطَّالَ فِي لَوْعَتِي » أي أجعل ذلك خالصاً لأحبتى ،
أي لا أقول كما قال امرؤ القيس :

• قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل •

فاستوقف ليكي على الحبيب والمنزل معاً .

وقوله : « فسواء إجابتي » معنى لطيف . وقد ذكرته في « باب استعجام
الديار عن الجواب » ، وبيَّنتَ البحتري الذي حذا على حذوه^(٣) .

(١) خزائن الأدب ٢/ ٢١٧ وبماز القرآن ١٦ وتفسير غريب القرآن ٧

(٢) راجع ص ٢٠٩

(٣) راجع ص ٣٢٤

قال البحتري :

يَسْلُ الْمَنَازِلَ عَنْهُمْ وَعَلَى اللَّوَى دِمْنُ دَوَارِمْسَ إِنْ تُسَلَّ لَا تُخْبِرُ^(١)
وَمِنَ السَّفَاهَةِ أَنْ تَظَلَّ مُكْفِكِفًا دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ تَابَدَ مُقْفِرِ

وقال البحتري :

مَا بَكَيْنَا عَلَى زُرُودٍ وَ كِنَّا بَكَيْنًا أَبَآمَنَا فِي زُرُودِ^(٢)

وهذا حسن . وأحسن منه وأحلى وأعذب - قول كثير :

وَمَا بِرِبَاعِ الدَّارِ يَا أُمَّ مَالِكٍ وَلَا بِالطُّلُولِ الدَّارِ سَاتِ أَهِيمِ
هِيَ الدَّارُ وَخَشًا غَيْرَ أَنْ قَدْ يَحُلُّهَا وَيَغْنَى بِهَا شَخْصٌ عَلَى كَرِيمِ

• • •

وقال البحتري :

لَا تَقِفْ بِي عَلَى الدِّيَارِ فَإِنِّي لَسْتُ مِنْ أَرْبَعٍ وَرَسْمٍ مَجِيلِ^(٣)
فِي بُكَاءٍ عَلَى الْأَجْبَةِ شُغْلٌ لِأَنِّي الْحُبُّ عَنْ بُكَاءِ الطُّلُولِ

وهذا مذهب قد تقدم الناس أيضاً فيه ، إلا أن البكاء على الديار هو

المذهب الأقدم ، والأعم الأشهر . قال امرؤ القيس :

• قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل •

فجعل البكاء للحبيب والمنزل جميعاً . والرواة تزعم أن هذا البيت أحسن

ابتداءات العرب وأبرعها وأجمعها لعلة معان في لفظ . واتبعته الشعراء

على هذا ، وأكثروا فيه القول .

(١) ديوانه ١٢٠

(٢) ديوانه ص ٦٩١

(٣) ديوانه ٦٠٣ ، ١٦٢٨/٣ وفي م لا تقف على . . . أربع في رسم

وعلى هذا المعنى هذا البحترى قوله :

عَرَجُوا فَالْدُمُوعُ إِنَّ أَبْلَكَ فِي الرَّبِّ عِ دُمُوعِي وَالْاِكْتِشَابُ الْاِكْتِشَابِي (١)
وَكَمِثِلِ الْأَحْجَابِ لَوْ يَعْلَمُ الْعَالَا ذَلُّ عِنْدِي مَنَازِلُ الْأَحْجَابِ
وكانوا يرون الوقوف على الديار من الفتوة والمروعة وكرم العهد ، ولذلك
قال أبوتمام :

أَمَوَاقِفَ الْفَتِيَانِ تَطْوِي لَمْ تَزُرْ شَرْفًا ، وَلَمْ تَنْدُبْ لَهْنٌ صَعِيدًا (٢)
أَذْكُرْتِنَا الْمَلِكُ الْمُضَلَّلُ فِي الْهَوَى وَالْأَعْشِيَيْنِ وَطَرْفَةً وَلَيْدًا (٣)
حَلُّوا بِهَا عَقْدَ النَّسِيبِ وَنَمْتُمُوا مِنْ وَشِيهَا رَجَزًا بِهَا وَقَصِيدًا (٤)
قوله : « لم تَزُرْ شَرْفًا » يريد ارتفاعاً ، « ولم تَنْدُبْ لَهْنٌ صَعِيدًا » أراد
انخفاضاً وهبوطاً فلم يستقم له ذلك فقال : « صعيداً » لأن الصعيد التراب .
وهو يكون في أغواطِ الأرض ، وما اطمأن منها - أكثر منه فيما علا وارتفع .

ثم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني وأوله :

« ذكر الفراق والوداع والترحل عن الديار والبكاء على الظاعنين »

(١) ديوانه ٥٦٣ وقد سبقا ص ٥٦٢

(٢) ديوانه ٨٧ وشرح التبريزي ٤١٢/١

(٣) الملك المضلل : امرؤ القيس . والأعشيان : أعشى قيس بن ثعلبة ، وأعشى باهلة ، ويروى

« جرولا وليدًا » وجرول هو : الحطينة

(٤) نمتوا : زخرفوا . ويروى : « من وشيها حلالا لها وقصيداً » و « نثرًا لنا » و « نتفا لها » .

فهرس موضوعات الجزء الأول

الصفحة	
٥	مقدمة المؤلف
٦	احتجاج الخصمين
٥٧	منهج الكتاب
٥٨	سرقات أبي تمام
١١٢	سرقات أبي تمام التي أخرجها ابن أبي طاهر
١٢٣	الآبيات التي نسبها فيها ابن أبي طاهر إلى السرقة وليست بمسروقة
١٣٧	أول الجزء الثاني من تجزئة المؤلف
	ما غلط فيه أبو تمام من المعاني والألفاظ وأنكره عليه أحمد بن عبيدالله
١٤١	ابن محمد بن عمار
١٥٧	أخطاء أبي تمام في المعاني والألفاظ
	الجزء الثالث في الرذل من ألفاظ أبي تمام والساقط من معانيه والقبيح من
٢٥٩	استعاراته والمستكره المتعمد من نسجه ونظمه
٢٦١	ما في شعر أبي تمام من قبيح الاستعارات
٢٨٢	ما جاء في شعر أبي تمام من قبيح التجنيس
٢٨٨	ما يستكره للطائي من المطابق
٢٩٣	باب في سوء نسجه وتعقيد ووحشي ألفاظه
٣٠٦	باب فيما كثر في شعره من الزحاف واضطراب الوزن
٣١١	جزء في مساوي البحري
٣١١	سرقات البحري
	ما أخذته البحري من معاني أبي تمام خاصة وخرجه أبو الضياء بشر
٣٢٤	ابن يحيى الكاتب

الصفحة

٣٤٥	إسراف أبي الضياء بشر بن يحيى فى تكثير سرقات البحترى من أبى تمام .
٣٤٦	ما ادعى فيه أبو الضياء السرقة على البحترى من أبى تمام وليس بمسروق لشهرة معناه وابتداله
٣٥٨	ما جاء به أبو الضياء على أنه مسروق من أبى تمام والمعنيان مختلفان ليس بينهما اتفاق ولا تناسق
٣٦٣	ما ادعى فيه أبو الضياء على البحترى السرقة من أبى تمام وهو غير مسروق لأن الاتفاق بينهما إنما هو فى الألفاظ التى ليست بمحظورة على أحد
٣٧١	ما أخطأ فيه البحترى من المعانى
٣٨١	ما عيب به البحترى وليس بعيب
٤٠٨	اضطراب الأوزان فى شعر البحترى
٤١٠	جزء فيه أنواع المعانى التى يتفق فيها الطائيان والموازنة بين معنى ومعنى ، وبيان نهج الموازنة بينهما
٤٢٠	باب فى فضل أبى تمام
٤٢٣	باب فى فضل البحترى
٤٢٦	صناعة الشعر لانه لا توجد إلا بأربعة أشياء
٤٢٩	بدء الموازنة وتفصيل الباب الذى ابتدأ به
٤٣٠	الابتداءات بذكر الوقوف على الديار
٤٤١	التسليم على الديار
٤٤٥	ما ابتدأ به من ذكر تعفية الدهور والأزمان للديار
٤٤٧	فى إقواء الديار وتعفيها
٤٤٩	فى تعفية الرياح للديار
٤٥١	البكاء على الديار
٣٥٥	سؤال الديار واستعجائها عن الجواب
٤٦٠	ما يخلف الظاعنين فى الديار من الوحش وما يقارب

٤٦٢		ماتيهجه الديار وتبعته من جوى الواقفين بها
٤٦٣		الدعاء للدار بالسقيا
٤٦٧		لوم الأصحاب في الوقوف على الديار
٤٧٤		ما قالاه في أوصاف الديار والبكاء عليها
٤٨٣		باب في وصف أطلال الديار وآثارها
٤٨٦		أول زيادة هذه الطبعة عن جميع الطبعات السابقة
٤٩٢		محو الرياح للديار
٤٩٩		ما قالاه في سؤال الديار واستعجامها عن الجواب والبكاء عليها أيضاً
٥٠٩		باب آخر من وصف الديار وساكنيها
٥٢٦		الدعاء للديار بالسقيا والخصب والنبات
٥٣٤		ما يخلف الظاعنين في الديار من الوحش وغيرها
٥٤١		ما قالاه في الوقوف على الديار وتعنيف الأصحاب إياهما على ذلك
٥٦٣		ما جاء عنهما في ترك البكاء على الديار والنهي عنه

